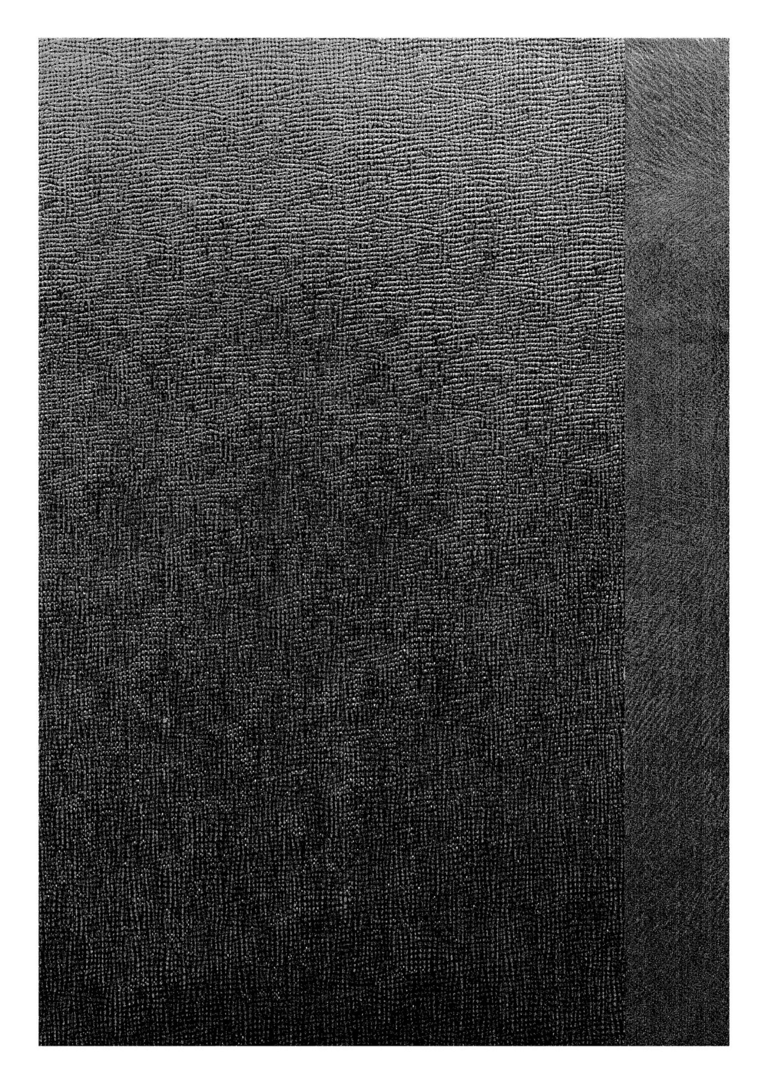


تراثنا



تأليف

أبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء الثالث عشر

مصور عن طبعة دار الكتب

طبعة كاملة الأجزاء معها فهرس
جامع وتصويبات واستدراكات

وزارة الثقافة والارشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار أبي الطَّمَحانِ القَيْنِيّ

اسمه ونسبه

أبو الطّمحان اسمه حَنْظَلةُ بن الشَّرْقِيّ[1]، أحد بني القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله، من قُضاعة. وقد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع من الكتاب في أنساب شعرائهم.

إدراكه الجاهلية والإسلام واتصاله بالزبير بن عبد المطلب

وكان أبو الطّمحان شاعرا فارسا خاربا[2] صُعلوكا. وهو من المُخَضْرَمين، أدرك الجاهلية والإسلام، فكان خبيث الدِّين فيهما كما يُذكر. وكان تِرْبًا للزُّبَير ابن عبد المطّلب في الجاهلية ونديما له. أخبرنا بذلك أبو الحسن الأَسَدِيّ عن الرِّياشيّ عن أبي عُبَيدة.

وقوع قيسبة السكوني في أسر العقيليين وحمل أبي الطمحان خبره إلى قومه

ومما يدُلّ على أنه قد أدرك الجاهلية ما ذكره ابن الكَلْبيّ عن أبيه قال: خرج قَيْسَبة بن كُلْثوم السَّكُونيّ، وكان ملِكا، يريد الحج ـ وكانت العرب تحجّ في الجاهلية فلا يعرِض بعضُها لبعض ـ فمرّ ببني عامر بن عُقَيل، فوثَبوا عليه فأسَروه وأخذوا

---

(1) قال الآمدي في المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء: «أبو الطمحان القيني اسمه حنظلة بن الشرق، كذا وجدته في كتاب بني القين بن جسر. ووجدت نسبه في ديوانه المفرد: أبو الطمحان ربيعة بن عوف ابن غنم بن كنانة بن القين بن جسر». وفي الحماسة طبع أوربا ص ٥٥٨: «واسمه حنظلة بن الشرق وقيل ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن جسر».

(2) الخارب: سارق الإبل خاصة، ثم نقل إلى غيره اتساعا. قال الجوهري: خرب فلان بإبل فلان يخرب خرابة مثل كتب يكتب كتابة، أي سرقها، وخرب فلان: صار لصا.

ماله وما كان معه ، وألقوه فى القدّ[1]، فمكث فيه ثلاثَ سنينَ ، وشاع باليمن أن الجنّ
آستطارتْه[2]. فبينا هو فى يوم شديد البرد فى بيت عجوزٍ منهم إذ قال لها : أتأذَنين لى أن
آتىَ الأَكَمَةَ فأتَشرّقَ[3] عليها فقد أَضَرّ بى القُرّ[4]؟! فقالت له نعمْ . وكانت عليه جُبةٌ له
حِبَرةٌ[5] لم يُترك عليه غيرُها ، فتمشّى فى أغلاله وقيوده حتى صعِد الأكمةَ ، ثم أقبل
يضرب ببصره نحوَ اليمن ، وتغشّاه عَبْرةٌ فبكى ، ثم رفع طَرْفه الى السماء وقال : اللهم
ساكنَ السماء فرِّج لى مما أصبحتُ فيه . فبينا هو كذلك إذ عرض له راكب يسير ،
فأشار إليه أن أَقبِلْ ، فأقبل الراكبُ ، فلما وقف عليه قال له : ما حاجتك يا هذا ؟
قال : أين تريد؟ قال : أريد اليمنَ . قال : ومن أنت؟ قال [أنا][6] أبو الطَّمَحان القَيْنِىّ ،
فآستعبرَ باكيا . فقال[له][6] أبو الطَّمَحان : من أنت؟ فإنى أرى عليك سيما الخير ولباسَ
الملوك ، وأنت بدارٍ ليس فيها ملك . قال : أنا قَيْسَبة بن كُلْثوم السَّكُونىّ ، خرجتُ عام
كذا وكذا أريد الحج ، فوثَب علىَّ هذا الحىّ فصنعوا بى ما ترى ، وكشف عن أغلاله

(١) القد : سير يقد من جلد غير مدبوغ ، فتشد به الأقتاب والمحامل ، و يتخذ منه السوط ، و يقيد به الأسير . قال يزيد بن الصعق يعيب بعض بنى أسد :

فرغتم لتمرين السياط وكنتم * يصب عليكم بالقنا كل مربع

فأجابه شاعرهم :

أعيتم علينا أن نمرّن قدّنا * ومن لم يمرّن قدّه يتقطع

(٢) استطارته الجن : ذهبت به . وفى حديث ابن مسعود : « فقدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : اغتيل أو استطير » ، أى ذهب به بسرعة ، كأن الطير حملته أو اغتاله أحد .

(٣) تشرق : جلس بالمشرقة ، وهو موضع القعود للشمس ، والموضع الذى تشرق عليه الشمس .

(٤) القرّ ، بالضم : البرد ، أو هو برد الشتاء خاصة ؛ سمى بذلك من الاستقرار والسكون كأنه يسكن الحز و يطفئه .

(٥) فى مختار الأغانى الكبير (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٤٦ أدب) : « جبة من حبرة » .

(٦) زيادة عن نسخة ط .

وقيوده؛ فاستعبر أبو الطمحان، فقال له قيسبة: هل لك فى مائة ناقة حمراء؟ قال: ما أحوجنى إلى ذلك! قال: فأنِخْ، فأناخ. ثم قال له: أمعك سكّين؟ قال نعم. قال: ارفع لى عن رَحْلك، فرفع له عن رحله حتى بدت خشبة مُؤْخره (١)، فكتب عليها قيسبةُ بالمُسنَد (٢)، وليس يكتب به غيرُ أهل اليمن:

بلّغا كِنْدةَ (٣) الملوكَ جميعًا * حيثُ سارت بالأكرمين الجمالُ
أنْ رِدُوا العَيْنَ بالخميس (٤) عِجالًا * وأصدِرُوا عنه والرَّوايا (٥) ثِقال
هزِئَتْ جارتى وقالت عجيبا * إذ رأتْنى فى جِيدِىَ الأغلال
إن تَرَيْنى عارِى العِظام اسيرًا * قد بَرانى تَضَعْضُعٌ واختلال
فلقد أقْدُم الكَتيبةَ بالسيـ * ـف علىَّ السلاحُ والسِّرْبال

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبى الطَّمَحان مائة ناقةٍ. ثم قال له: أَقْرِئْ هذا قومى؛ فإنهم سيعطونك مائةَ ناقةٍ حمراء. فخرج تسير به ناقته، حتى أتى

(١) يجوز فيه سكون الهمزة مع فتح الخاء وكسرها، وفتح الهمزة مع تشديد الخاء مفتوحة ومكسورة، كما يقال فيه آخرة الرحل وآخره ومؤخرته، وفى «مؤخرته» من اللغات ما فى «مؤخره».

(٢) المسند: هو خط حمير وهو مخالف لخطنا. وقد نشرت كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول كتابا فى حروف هذا الخط، وحل الآثار اليمنية المكتوبة به من تأليف الأستاذ أغناطيوس جويدى، اسمه «المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة». ويعدّ أجود المراجع فى خط اليمن ولغتها.

(٣) كان قيسبة من قبيلة السكون. والسكون: بطن من كندة. لذلك استنجد بملوكهم.

(٤) الخميس: الجيش الكامل، وهو المؤلف من خمس فرق: المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة والساقة. (٥) الروايا: جمع راوية وهى هنا المزادة فيها الماء. وتطلق الراوية أيضا على البعير أو البغل أو الحمار الذى يستقى عليه الماء. والرجل المستقى أيضا راوية. ومن الأول قول عمرو بن ملقط:

ذاك سنان محلب نصره * كالجمل الأوطف بالراويه

ومن الثانى قول أبى طالب:

وينهض قوم فى الحديد إليكمو * نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

حَضْرَمَوْت، فتشاغل بما ورد له ونسى أمر قَيْسبة حتى فرَغ من حوائجه. ثم سمع نسوةً من عجائز اليمن يتذاكرن قيسبة ويبكين، فذكر أمره، فأتى أخاه الجَوْن بن كُلْثوم، وهو أخوه لأبيه وأمه، فقال له: يا هذا، إنى أدلُّك على قيسبة وقد جعل لى مائة من الإبل. قال له: فهى لك. فكشّف عن الرحل، فلما قرأه الجَوْن أمر له بمائة ناقة، ثم أتى قَيْسَ بن مَعْديكَرِبَ الكِنْدىّ أبا الأشْعَثِ بن قيس، فقال له: يا هذا، إن أخى فى بنى عُقَيل أسير، فسرْ معى بقومك. فقال له: أتسير تحت لوائى حتى أطلُب ثأرَك وأُنجِدك، وإلا فامض راشدًا. فقال له الجَوْن: مسُّ السماء أيسر من ذلك وأهونُ علىّ مما خَيّرتَه. وضجَّت السَّكُونُ(١) ثم فاءوا ورجَعوا وقالوا له: وما عليك من هذا! هو ابن عمك ويطلب لك بثأرك! فأنْعَمَ له بذلك(٢). وسار قيس وسار الجَوْن معه تحت لوائه، وكِنْدةُ والسَّكُونُ معه؛ فهو أوّل يوم اجتمعتْ فيه السَّكُون وكِنْدة لقَيْس، وبه أدرك الشرف. فسار حتى أوقع بعامر بن عُقَيل فقتل منهم مقتلةً عظيمة واستنقذ قَيْسَبَةَ. وقال فى ذلك سَلامَةُ بن صُبَيح الكِنْدىّ:

اجتماع السكون وكندة لإنقاذ قيسبة

لا تَشْتُمونا إذ جَلَبنا لكم * ألْفَىْ كُمَيتٍ كلُّها سَلْهَبَهْ(٣)

نحن أبَلْنا الخيلَ فى أرضكم(٤) * حتى تَأَرْنا منكمُ قَيْسَبه

واعترضتْ من دُونِهم مَذْحِجٌ * فصادَفوا من خيلنا مَشْغَبه(٥)

١٣٢ / ١١

(١) السكون كصبور: بطن من بطون العرب بكندة. (٢) أنعم له، أى قال له: نعم.

(٣) الكميت: الذى خالط حمرته سواد. السلهب: الطويل من الخيل والناس؛ يقال فرس سلهب وسلهبة إذا عظم وطال وطالت عظامه. وفرس مسلهبّ: ماض.

(٤) أبال الخيل واستبالها: وقفها للبول؛ يقال: لنبيلن الخيل فى عرصاتكم.

(٥) مشغبة: من الشغب بسكون الغين، وهو هيجاء القتال.

حدّثنا إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم قال :

اعتراف أبى الطمحان بأدنى ذنوبه

بلغنى أنّ أبا الطَّمَحان القَيْنِىّ قيل له ، وكان فاسقا خارِبا ، ما أَدْنَى ذنوبك ؟ قال : ليلةُ الدَّيْر . قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلت بدَيْرانية فأكلتُ عندها طَفَيْشَلا[1] بلحم خِنزير ، وشربتُ من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كساءها[2] ، ثم آنصرفتُ عنها .

أخبرنى عمى قال حدّثنى محمد بن عبد الله الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرو الشَّيْبانىّ عن أبيه قال :

التجاؤه إلى بنى فزارة من جناية جناها وإقامته عندهم حتى شبع

جنى أبو الطَّمَحان القَيْنِىّ جنايةً وطلبه السلطان ، فهرب من بلاده ولجأ إلى بنى فَزارة فنزل على رجل منهم يقال له : مالك بن سعد أحد بنى شَمْخ ؛ فآواه وأجاره وضرب عليه بيتا وخَلَطه بنفسه . فأقام مدّة ، ثم تشوّق يوما إلى أهله وقد شرب شرابا ثمِل منه ، فقال لمالك : لولا أنّ يدى تقصُر عن دِيَة جنايتى لعُدْت إلى أهلى . فقال له : هذه إبلى فخذ منها دِيَة جنايتك وآزْدَدْ[3] ما شئت . فلمّا أصبح ندم على ما قاله وكره مفارقة موضعه ولم يأمن على نفسه ، فأتى مالكا فأنشده :

سأمدَحُ مالِكا فى كلِّ ركبٍ * لَقِيتُهُمُ وأتْرُكُ كل رَذْلِ
فما أنا والبِكارةُ أو مَخاضٌ * عِظامٌ جِلَّةٌ سُدُسٌ وبُزْلُ[4]

(١) الطفيشل كسميدع : نوع من المرق .

(٢) كساء هنا : جمع كسوة مثل كُسى كما ورد فى القاموس .

(٣) فى المختار : « وآزدد » ولعلها أصوب .

(٤) البكارة : جمع بكر . والبكر بالفتح : الفتىّ من الإبل بمنزلة الغلام من الناس ، والأنثى بكرة . والمخاض : الحوامل من النوق . وجلة الإبل : مسانُّها ، وهو جمع جليل مثل صبى وصبية . والسدس : جمع سديس كرغيف ورغف ، وهى من الإبل ما دخل فى السنة الثامنة ، وذلك إذا ألقى السن التى بعد الرباعية . والبزل : جمع بازل ، وهو الناقة والبعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعن فى التاسعة وفطر نابه . وفى قافية البيت إقواء .

وقد عرفتْ كلابُكُمُ ثيابى ... كأنّى منكمُ ونَسِيتُ أهلى

نَمَتْ[1] بكَ مِن بَنِى شَمْخٍ زِنادٌ ... لها ما شئتَ من فَرْعٍ وأصلِ

قال فقال مالك : مرحبا ! فإنك حبيب آزداد حبا ، إنما آشتقتَ إلى أهلك وذكرتَ أنه يحبسك عنهم ما تُطالَب به من عَقْلٍ[2] أو دِيَةٍ ، فبذلتُ لك ما بذلتُ ؛ وهو لك على كل حال ، فأقِم فى الرُّحْبِ والسَّعَة . فلم يزل مقيما عندهم حتى هلك فى دارهم .

قال أبو عمرو فى هذه الرواية : وأخبرنى أيضا بمثله محمد بن جعفر النَّحْوى صِهْرُ المبرّد ، قال حدّثنا ثَعْلَب عن آبن الأعرابى قال :

عاتبتْ أبا الطَّمَحان القَيْنِىّ آمرأتُه فى غاراته ومُخاطرته بنفسه ، وكان لصًّا خاربا خبيثا ، وأكثرتْ لومَه على ركوب الأهوال ومخاطرته بنفسه فى مَذاهبه ، فقال لها :

لو كنتُ فى رَيْمانَ[3] تحرُس بابَه ... أراجيلُ أُحْبوشٍ وأَغْضَفُ آلفُ

إذًا لأَتَتْنِى[4] حيثُ كنتُ مَنِيَّتِى ... يَخُبُّ بها هادٍ بأمرِىَ قائفُ

فمَنْ رَهْبَةٍ[5] آتِى المَتالِفَ سادِرا ... وأيّةُ أرضٍ ليس فيها مَتالِفُ

(١) كذا فى الأصول . والمعروف « ورت » . وورى الزناد يضرب مثلا للظفر والنجاح أى هم ينجحون فيدركون ما يطلبون بك . (٢) العقل هو الدية ، وهى ما يدفع فدية للقتيل .

(٣) ريمان بفتح الراء موضعان : أحدهما حصن باليمن وهو المقصود هنا ، وقصر باليمن وصفه الأعشى فى أبياته التى يقول فيها :

يا من يرى ريمان أمـ ... ـسى خاويا خربا كعابه

والبيت فى معجم البكرى منسوب لأوس بن حجر . وأراجيل : جمع أرجال ، وأرجال : جمع راجل كصاحب وأصحاب ، وهو خلاف الفارس . والأحبوش : جماعة الحبش ، أو الجماعة أيا كانوا ؛ لأنهم إذا تجمعوا اسودّوا . وجمعه أحابيش . والأغضف : المسترخى الأذن من الكلاب . والآلف : المستأنس بمن يحرسهم ، من الإلف بكسر الهمزة . (٤) يخب بها : يسير بها خببا ، وهو ضرب من العدو السريع . والهادى بالأمر : العارف به ، المهتدى . والقائف : متتبع الآثار العارف بها . (٥) السادر : الذى لا يهتم بشىء ، ولا يبالى ما صنع . والمتالف : المهالك .

شعره في بجير ابن أوس الطائي وإطلاقه من الأسر

فأمّا البيت الذي ذكرتُ من شعره أن فيه لعَريبَ صنعةً وهو :

أضاءتْ لهم أحسابُهم ووجوهُهم

فإنه من قصيدة له مدح بها بُجَير بن أوْس بن حارثة بن لأْم الطائيّ، وكان أسيرا في يده. فلما مدحه بهذه القصيدة أطلقه وجزّ ناصيته، فمدحه بعد هذا بعدّة قصائد.

وأوّل هذه الأبيات :

إذا قيل أيّ الناس خيرٌ قَبيلةً[1] * وأصبرُ يوماً لا تَوارَى كَواكبُهْ

فإنّ بني لأم بن عَمْرٍو أُرومةٌ[2] * عَلَتْ فوقَ صَعْبٍ لا تُنالُ مَراقبُهْ

أضاءتْ لهم أحسابُهم ووُجوهُهمْ * دُجَى الليل حتى نَظَّمَ الجِزْعَ[3] ثاقبُهْ

لهم مَجْلِسٌ لا يَحْصَرونَ[4] عن النَّدَى * إذا مَطْلَبُ المعروف أجْدَبَ راكبُهْ

١٣٣ / ١١

(١) "قبيلة" منصوبة على التمييز، وكذلك "يوما". ويعني بذكر اليوم الوقعات والحروب. وقوله لا توارى كواكبه، أي لا تتوارى، فحذفت إحدى التاءين تخفيفا. ويروى: لا توارى كواكبه (بضم التاء بالبناء للمفعول)، أي لا تستر. والأصل في هذا وما يجري مجرى الأمثال «يوم حليمة». وذلك أنه غطيت عين الشمس في ذلك اليوم بالغبار الثائر في الجو فرئيت الكواكب ظهرا، على ما ذكروا فقيل: «ما يوم حليمة بسر» وصار الأمر إلى ما قيل في التوعد «لأرينك الكواكب ظهرا». (عن التبريزي في شرحه على حماسة أبي تمام ج ٤ ص ٧٣ طبع بولاق).

(٢) الأرومة: الأصل. والمراقب: جمع مرقبة، وهي المنظرة في رأس جبل أو حصن. وروى في الكامل للمبرد هذا البيت ضمن أبيات في هذه القصيدة لم يذكرها المؤلف، وها هي ذي :

وإني من القوم الذين هم هم * إذا مات منهم سيد قام صاحبه

نجوم سماء كلما غار كوكب * بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وما زال منهم حيث كانوا مسود * تسير المنايا حيث سارت كتائبه

(الكامل ص ٣٠ طبع ليبسك).

(٣) الجزع اليماني: الخرز اليماني والصيني، وهو الذي فيه سواد وبياض. وهو يختلط على ناظم العقد في الظلام. (٤) لا يحصرون عن الندى: لا يبخلون. وفعله من باب فرح.

وأمّا خبر أسره والوقعة التى أُسِر فيها فإن علىّ بن سليمان الأَخْفَش أخبرنى بها عن أحمد بن يحيى ثَعْلَب عن ٱبن الأعرابىّ قال :

حرب جديلة والغوث الطائيين

كان أبو الطَّمَحان القَيْنِىُّ مجاورا فى جَدِيلةَ من طَيِّئ ، وكانت قد اقتتلت بينها وتحاربت الحربَ التى يقال لها "حرب الفَساد"[1] وتحزّبت حزبين : حزبَ جَدِيلةَ وحزبَ الغَوْث ، وكانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام ، ثلاثة منها للغوث ويومٌ لجديلة . فأمّا اليوم الذى كان لجديلة فهو "يوم ناصِفة" . وأمّا الثلاثة الأيام التى كانت للغوث فإنها "يوم قارات حُوَق"[2] و"يوم البَيْضة"[3] و"يوم عِرْنان"[4] وهو آخرُها وأشدُّها وكان للغَوْث ، فانهزمت جَدِيلةُ هزيمةً قبيحة ، وهربتْ فلحقت بكَلْب وحالفتْهم وأقامت فيهم عشرين سنة . وأُسِر أبو الطَّمَحان فى هذه الحرب :

شعر أبى الطمحان لما أسر فى هذه الحرب

أسره رجلان من طَيِّئ وٱشتركا فيه ، فاشتراه منهما بُجَيْر بن أَوْس بن حارثة لمّا بلغه قوله :

(١) حرب الفساد من أيام العرب كانت كما قال المؤلف بين الغوث وجديلة من طيئ ، سميت بذلك لما حدث فيها من الفظائع والأهوال ؛ فقد قيل إن هؤلاء خصفوا نعالهم بآذان هؤلاء ، وهؤلاء شربوا الشراب بأقحاف رءوس هؤلاء . وفيه يقول جابر بن الحريش الطائى :

إذ لاتخاف حدوجنا قذف النوى * قبل الفساد إقامة ونذيرا

ويقال له أيضا : زمن الفساد ، وعام الفساد .

(٢) حوق بالضم : موضع . وهذا اليوم هو المعروف أيضا بيوم اليحاميم . وسببه أن الحارث بن جبلة الغسانى كان قد أصلح بين طيئ ، فلما هلك عادت إلى حربها ، فالتقت جديلة والغوث بموضع يقال له عرنان فقتل قائد بنى جديلة وهو أسبع بن عمرو بن لأم عم أوس بن خالد بن حارثة بن لأم ، وأخذ رجل من سنبس يقال له مصعب أذنيه فخصف بهما نعليه . وفى ذلك يقول أبو سروة السنبسى :

نخصف بالآذان منكم نعالنا * ونشرب كرها منكم فى الجماجم

وتناقل الحيان فى ذلك أشعارا كثيرة . (ابن الأثير ج ١ ص ٤٧٦ طبع أوربا) . وقارات جمع قارة وهى أصاغر الجبال والآكام . (٣) البيضة : عين ماء لبنى دارم ، كما ذكر أبو محمد الأعرابى الأسود .

(٤) عرنان : جبل بين تيماء وجبلى طيئ .

أَرِقتُ وآبتْنى الهمومُ الطَّوارِقُ * ولم يلقَ ما لاقيتُ قبلِىَ عاشقُ

إليكم بنى لَأْمٍ تَخُبُّ هِجانُها(١) * بكلّ طريقٍ صادفَتْه شَبارِقُ

لكم نائلٌ غَمْرٌ(٢) وأحلامُ سادةٍ * وألسِنةٌ يومَ الخِطاب مَسالقُ

ولم يَدْعُ داعٍ مثلَكم لعَظِيمةٍ * إذا وَزَمتْ(٣) بالساعدَيْن السَّوارقُ

٥ السوارق : الجوامع(٤)، واحدتها سارقة .

قال فابتاعه بُجَير من الطائيَّيْن بحكمهما، بجزّ ناصيته واعتقه .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا أبو أيّوب المدينى قال : حدّثنى مُصْعَب ابن عبد الله الزُّبيرى قال :

جواره فى بنى جديلة وقتل تيس له غلاما منهم وشعره فى ذلك

كان أبو الطَّمَحان القَيْنىُّ مجاورا لبطن من طَيِّئٍ يقال لهم بنو جَدِيلة، فنطح ١٠ تيس له غلاما منهم فقتله ، فتعلّقوا أبا الطمحان وأسروه حتى أدّى(٥) دِيَتَه مائةً من الإبل . وجاءهم نَزِيلُه ، وكان يدعى هِشاما، ليدفع عنه فلم يقبلوا قولَه ؛ فقال له أبو الطمحان :

أتانى هِشامٌ يَدفعُ الضَّيمَ جاهدًا * يقول ألَا ماذا تَرَى وتقولُ

فقلت له قُمْ يالَكَ الخيرُ أدِّها * مُذَلَّلةً إنّ العزيزَ ذليلُ

١٥ فإن يكُ دُونَ القَيْنِ(٦) أغبرُ شامخٌ * فليس إلى القَيْنِ الغَداةَ سبيلُ

(١) تخب : تسير الخبب، وهو العدو السريع . والهجان : كرام الإبل . والشبارق : جمع شبرق بكسر الشين والراء، وهو شجر منبته نجد وتهامة ، وثمرته شاكة صغيرة الجرم حمراء مثل الدم منبتها السباخ والقيعان ، وإذا يبس فهو الضريع . (٢) مسالق : ذَرِبة حادة ؛ ومنه قوله تعالى : (سلقوكم بألسنة حداد) .

(٣) فى ب ، س ، ط : « إذا رزمت » وهو تحريف . ووزمت : عضت . ورواية اللسان ٢٠ وأساس البلاغة (مادة أزم) : «إذا أزمت» . والأزم : العض كالوزم . (٤) الجوامع : القيود التى تشد بها سواعد الأسرى والمحبوسين . (٥) لعلها : يؤدى . (٦) القين : قبيلة أبى الطمحان منسوبة إلى جدّه القين بن جسر . يقول : إنه منقطع عن قبيلته وأهل نصرته بما يقوم بينه وبينهم من مفازة وجبل ، فلا مناص من أداء دية الغلام المقتول . وإذا كان فى أدائها معنى من معانى الذل ، لأن جرح العجماء جبار (بضم الجيم) وهو يذهب هدرا ، فإن العزيز يذل إذا وقع فى مثل ما وقع فيه أبو الطمحان .

أخبرنى عمى قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى محمد بن عبد الله ابن مالك، عن إسحاق قال :

انتعاش المأمون ببيتين لأبى الطمحان فى ساعة اكتئابه

دخلت يوما على المأمون فوجدته حائرا متفكّرا غير نشيط . فأخذتُ أحدّثه بمُلَح الأحاديث وطُرَفها، أستميله لأن يضحك أو ينشَط، فلم يفعل. وخطر ببالى بيتان فأنشدتُه إيّاهما، وهما :

٥

ألَا عَلِّلانى قبـلَ نَوْح النوائح[1] * وقبلَ نُشوزِ[2] النفس بين الجَوانح

وقبل غدٍ، يالَهْفَ نفسى على غدٍ * إذا راح أصحابى[3] ولستُ برائح

فتنبّـه كالمتفزِّع ثم قال : من يقول هذا ويحك ؟ قلت : أبو الطَّمَحان القَيْنىّ يا أمير المؤمنين . قال : صدَق والله، أعِدْهما علىّ . فأعدتُهما عليه حتى حفظهما، ثم دعا بالطعام فأكل ، ودعا بالشراب فشرب. وأمر لى بعشرين ألفَ درهم .

١٠

اخبرنى حبيب بن نصر المُهَلَّبىّ قال: حدّثنى أحمد بن الحارث الخرّاز قال : [حدّثنى] المدائنىّ قال :

استشهاد خالد بن يزيد ببيتين له فى ريبة اعتذر عنها الحسن لعبد الملك

١٣٤
―
١١

عاتب عبد الملك بن مَرْوان الحسنَ بن الحسن عليهما السلام على شيء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إيّاه إلى الخروج معهم على عبد الملك، فجعل يعتذر إليه و يحلف له . فقال له خالد بن يزيد بن معاوية : يا أمير المؤمنين ، ألَا تقبل عذر ابن عمك وتُزيل عن قلبك ما قد أُشْرِبْتَه إيّاه ؟ أمَا سمعتَ قول أبى الطَّمَحان القَيْنىّ :

١٥

(١) وفى الحماسة : «ويروى قبل صدح الصوادح» . والصدح : شدّة صوت الديك والغراب وغيرهما .

(٢) النشوز : ارتفاع الشىء عن موضعه ، ونشوز النفس بين الجوانح : خروجها منها عند الموت . وفى الحماسة : «وقبل ارتقاء النفس فوق الجوانح» . والجوانح : ضلوع الصدر . وارتقاء النفس فوقها : بلوغها التراق . (٣) راح أصحابى : رجعوا فى العشية إلى منازلهم و بقيت فى قبرى منفردا .

٢٠

إذا كان فى صدر ٱبن عمّك إحنة * فلا تستثرها سوف يبدو دفينها
وإن حمأة المعروف أعطاك صفوها * فخذ عفوه لا يلتبس بك طينها (١)

استئذانه الزبير ابن عبد المطلب فى الرجوع إلى أهله وشعره فى ذلك

قال المدائنىّ: ونزل أبو الطمحان على الزُّبَير بن عبد المطَّلب بن هاشم، وكانت العرب تنزل عليه، فطال مُقامه لديه، واستأذنه فى الرجوع إلى أهله وشكا إليه شوقا (٢) إليهم، فلم يأذن له. وسأله المُقام، فأقام عنده مدّة، ثم أتاه فقال له:

٥

ألا حنّت المِرقال (٣) وٱئتبّ ربّها * تذكّرُ أوطانا (٤) وأذكُرُ معشرى
ولو عرفت صرف البيوع لسرّها * بمكّة أن تبتاع حمضا بإذخر (٥)
أسرّك لو أنا بجنبى عنيزة (٦) * وحمض (٧) وضمران (٨) الجناب وصعتر

(١) الحماة: الطين الأسود المنتن. والمقصود هنا عين الماء وفيها صفو وكدرة، وهو يوصيه بأخذ الصفو وترك الطين.

١٠

(٢) فى المختار: «شوقه».

(٣) المرقال: الناقة تسرع فى سيرها، من الإرقال، وهو ضرب من العدو فوق الخبب. وائتبّ: تهيأ للذهاب وتجهز، كأبّ الثلاثى من بابى نصر وضرب.

(٤) رواية الشعر والشعراء ص ٢٢٩: «أرماما». وأرمام: موضع، وله يوم يعرف بيوم أرمام.

(٥) يقول: إن ناقته لو عرفت صرف البيوع، لسرها أن تنتقل من بلاد الإذخر إلى بلاد الحمض نشوقها إلى البادية. والحمض من النبات كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له كالتجيل والرمث والطرفاء وما أشبهها. ومن الأعراب من يسمى كل نبات فيه ملوحة حمضا ضد الخلة من النبات وهو ما كان حلوا. والعرب تقول: الخلة خبز الإبل، والحمض فاكهتها. وإذا شبعت الإبل من الخلة اشتهت الحمض. والإذخر: حشيش طيب الرائحة.

١٥

(٦) عنيزة: قارة سوداء فى بطن وادى فلج من ديار بنى تميم.

٢٠

(٧) حمض بفتح أوله هنا: موضع بالبحرين. و إذخر هنا: مكان بمكة.

(٨) الضمران: موضع. وصعتر بفتح أوّله و إسكان ثانيه: موضع. قاله أبو حنيفة عند ذكر الصعتر فى أصناف النبات (معجم ما استعجم ص ٦٠٨). والبيت فى رواية أبى حنيفة كما فى تاج العروس (مادة: صعتر):

بودّك لو أنا بفرش عنازة * بحمض وضمران الجناب وصعتر

٢٥

إذا شاء راعيها آستقى من وَقِيعةٍ(١) * كَعَين الغُرابِ صَفْوُها لم يُكَدَّر

فلمّا أنشده إيّاها أذِن له فانصرف، وكان نديمًا له .

صــــوت

لا يَعْتَرِى شَرْبَنا اللَّحاءُ وقد * تُوهَبُ فينا القِيانُ والحُلَلُ(٢)

وفِتيةٍ كالسّيوفِ نادمتُهم * لا حَصَرٌ(٣) فيهم ولا بَخَلُ

الشعر للأَسْوَدِ بن يَعْفُرَ، والغِناء لسُلَيم، خَفِيفُ ثَقِيلٍ أوّل بالبِنْصَر .

(١) الوقيعة : مكان صلب يمسك الماء .

(٢) الشرب (بالفتح) : القوم يجتمعون على الشراب . واللحاء : النزاع . والقيان : جمع قينة ، وهى الأمة المغنية . يقول : إنهم قوم لا يعتريهم النزاع ، وقد يجود الواحد منهم بالقينة والحلة .

(٣) الحصر هنا : البخل .

أخبار الأسود ونسبه

نسبه ومنزلته في الشعر

الأَسْوَدُ بن يَعْفَر — ويقال يُعْفر بضم الياء —[1] ابن عبد الأسود بن جَنْدَل بن نَهْشَل ابن دارِم بن مالك بن حَنْظَلة بن مالك بن زَيْد مَناة بن تَميم . وأُمّ الأسود بن يعفر رُهْم بنت العَبّاب ، من بنى سَهْم بن عِجْل . شاعر متقدِّم فصيح ، من شعراء الجاهلية ، ليس بالمُكثر . وجعله محمد بن سَلّام فى الطبقة الثامنة[2] مع خداش بن زُهَير ، والمُخَبَّل السعدىّ ، والنَّمِر بن تَوْلَب العُكْلىّ . وهو من العُشْي — ويقال العُشْو بالواو — المعدودين فى الشعراء . وقصيدته الدالية المشهورة :

نامَ الخَلِىُّ وما أُحِسُّ رُقادى ... والهمُّ مُحتَضِرٌ لدَىَّ وِسادى

معدودةٌ من مختار أشعار العرب وحِكَمِها ، مُفَضَّلِيَةٌ مأثورةٌ .

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ وأبو الحسن أحمدُ بن محمد الأسَدىّ قالا : حدّثنا الرِّياشىّ عن الأصمعىّ قال :

---

(١) إذا فتحت الياء منع من الصرف لشبهه بالفعل . وإذا ضمت الياء مع الفاء صرف ؛ لأنه زال عنه شبه الفعل . ويقال فيه أيضا : يعفر (بفتح الياء وكسر الفاء) كما يقال : يونس ويوسف (بضم النون والسين وكسرهما) .

(٢) كذا فى جميع الأصول . وفى خزانة الأدب (ج ١ ص ١٩٥ طبع بلاق) : «قال السيوطى : وجعله محمد بن سلام فى الطبقة الثانية مع خداش بن زهير ، والمخبل السعدى ، والنمر بن تولب» .

والذى فى طبقات الشعراء لابن سلام تحت عنوان : الطبقة الخامسة : «وهم أربعة رهط : خداش ابن زهير بن ربيعة ذى الشامة بن عمرو — وهو فارس الضحياء — بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، والأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم ، وأبو يزيد المخبل بن ربيعة ابن عوف بن قتال ابن أنف الناقة بن قريع ، وتميم ابن أبى مقبل بن عوف بن حنيف بن العجلان بن عبد الله ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة» .

توقف سوار القاضى فى شهادة دارى يجهل الأسود بن يعفر

تقدّم رجل من أهل البَصرة من بنى دارِم إلى سَوّار بن عبد الله لِيُقيمَ عنده شهادةً، فصادفه يتمثّل قولَ الأسود بن يَعْفُر (١) :

ولقد علمتُ لَوَ انّ علمى نافِعِى (٢) * أنّ السَّبيلَ سَبيلُ ذى الأعْواد (٣)

إنّ المَنِيَّـةَ والحُتُوفَ كلاهما * يُوفِى المَخارمَ يَرْمِيانِ سَوادِى (٤)

ماذا أُؤَمِّلُ بعـد آلِ مُحَـرِّقٍ * تَرَكوا مَنازلَهُمْ و بعـدَ إيادِ (٥)

---

(١) من قصيدة له هى إحدى مختارات المفضل الضبى، وهى عنده فى ستة وثلاثين بيتا .

(٢) فى س : « نافع » . ورواية الضبى لهذا الشطر : « ولقد علمت سوى الذى نبأتنى » .

(٣) ذو الأعواد، من أجداد أكثم بن صيفى حكيم تميم . وقيل له ذو الأعواد لسرير كانوا يحملونه عليه لما أسنّ ، فكان سريره ملاذ الخائف وملجأ المحتاج . واسم ذى الأعواد مخاشن بن معاوية . يقول الأسود : إن سبيل كل حى سبيل ذى الأعواد بعـد أن عمر طويلا، فكان مصيره إلى الموت .

(٤) فى جـ والمفضليات وشعر الأعشين : « يرقبان » بدل « يرميان » . ويوفى : يعلو . ورجع الضمير هنا مفردا وفى « يرميان » مثنى ، وهو جائز . والمخارم : أفـواه الفجاج والطرق فى الجبال ، واحدها مخرم . وسواد الرجل : شخصه .

(٥) آل محرّق هنا : هم ملوك الحيرة من لخم . ومحرّق الذى أضيفوا إليه هو امرؤ القيس بن عمرو ابن عدى أحد ملوكهم ، ويقال له : المحرق الأكبر . ولقب به أيضا من اللخميين عمرو بن هنـد من ملوكهم ، ويقال له : المحرّق الثانى . ومحرق أيضا : لقب الحارث بن عمرو أبى شمـر ملك الشام من آل جفنة ؛ لأنه أوّل من حرّق العرب فى ديارهم . ويقال لآل جفنة أيضا : آل محرق . (ملخص عن اللسان والقاموس وشرحه مادة حرق ، والمعـارف لابن قتيبة ص ٣١٧) . وإياد : حى من معـد بن عدنان، وهم بنو إياد بن نزار، منهم قس بن ساعدة الذى يضرب به المثل فى الجود والفصاحة . وكانت ديارهم مع العدنانيـة ، وحين تكاثر بنو إسماعيل وتفردت مضر بالرياسـة خرج بنو إياد إلى العراق ، وكان لهم مع الأكاسرة أيام مشهودة إلى أن أغار عليهم سابور ذو الأكتاف من ملوك الأكاسرة فأبادهم وأفناهم . راجع كتاب (نهـاية الأرب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندى ص ٨٢ طبع مطبعة الرياض ببغـداد) .

١٣٥
١١

أهلِ الخَوَرْنَق والسَّدِير وبارِقٍ * والقصرِ ذى الشُّرُفات من سِنداد(١)
نزلوا بأنْقِرةٍ يَفيض عليهمُ * ماءُ الفُرات يَفيض من أَطْواد(٢)
جَرَتِ الرياحُ على محلِّ دِيارهم * فكأنّما كانوا على مِيعادِ

ثم أقبل على الدارِمىّ فقال له : أتروى هذا الشعر؟ قال : لا . قال : أتعرِفُ مَنْ يقولُه ؟ قال : لا . قال : رجلٌ من قَوْمك له هذه النباهةُ وقد قال مثلَ هذه ٥ الحكمةِ لا تَرويها ولا تَعرِفُه ! يا مُزاحِم ، أثبِتْ شهادتَه عندك ، فإنى متوقِّفٌ عن قبوله حتى أسألَ عنه ، فإنى أظنّه ضعيفا .

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ عن الرِّياشىّ عن أبى عُبيدة بمثله .

أخبرنى عمى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى الحَكَم بن موسى ١٠ السَّلُولىّ قال حدّثنى أبى قال :

وعد الرشيد بعشرة آلاف لمن يروى قصيدة «نام الخلىّ ...»

بينا نحن بالرافِقة(٣) على باب الرَّشيد وقوفٌ ، وما أفقِدُ أحدًا من وجوه العرب من أهل الشام والجزيرة والعراق ، إذ خرج وَصِيفٌ كأنه دُرّةٌ فقال : يا مَعشرَ الصحابة ،

(١) الخورنق كسفرجل : قصر من قصور الحيرة ، والخورنق هو بالفارسية خورنكاه وهو بيت الضيافة ، بناه شخص رومى اسمه سنمار للنعمان بن امرئ القيس اللخمى ، وكمله فى عشرين سنة ، فلما وقف ١٥ عليه النعمان استجاده وأثنى على سنمار فقال له سنمار : لو شئت أن أجعله يدور مع الشمس لفعلت ، فأمر به أن يطرح من أعلى شرفاته ، فضرب به المثل فقيل : « جزاه جزاء سنمار » . (عن مسالك الأبصار جـ ١ ص ٢٣٠ طبع دار الكتب) . والسدير : قصر كان ما بين نهر الحيرة إلى النجف إلى كسكر من هذا الجانب . وبارق : ماء بالعراق ، أو هو نهر كما فى معجم البلدان بين القادسية والبصرة ، وهو من أعمال الكوفة . وسنداد : منزل لإياد ، وهو أسفل سواد الكوفة . وقال ابن الكلبى فى القصر ذى الشرفات : إن ٢٠ العرب كانت تحج إليه . (٢) أنقرة : مدينة بالأناضول على طريق القسطنطينية وهى عاصمة الدولة التركية اليوم ، لها ذكر فى رحلة امرئ القيس إلى الروم ، وافتتحها المعتصم فى طريقه إلى عمورية سنة ٢٢٣ ، وكانت إياد قد نزلتها لما نفاها كسرى عن بلاده .

(٣) الرافقة : بلد متصل البناء بالرقة على ضفة الفرات ، ثم خربت الرقة وغلب اسمها على الرافقة ، وصار اسم المدينة الرقة ، وهى من أعمال الجزيرة ، وهى مدينة كبيرة كثيرة الخيرات (عن معجم البلدان) .

إنّ أميرَ المؤمنين يقرأ عليكم السلامَ ويقول لكم : مَنْ كان منكم يروى قصيدة الأسْوَد بن يَعْفُرَ :

نام الخَلِىُّ وما أُحسُّ رُقادِى * والهمُّ مُحْتَضِرٌ[1] لدَىَّ وِسادِى

فليدخلْ فليُنشدْها أميرَ المؤمنين وله عشرةُ آلاف درهم . فنظر بعضنا إلى بعض، ولم يكن فينا أحدٌ يَرْويها . قال : فكأنما سقطتْ والله لَبِدْرةٌ عن قَرَبُوسِى[2] .
قال الحكم : فأمرنى أبى فرَوَيْتُ شعرَ الأسودِ بن يَعْفُرَ من أجل هذا الحديث .

أخبرنى محمدُ بن القاسم الأنبارىُّ قال : حدّثنى أبى قال : حدّثنى عبدُ الله ابن عبد الرحمن المَدائنىُّ قال : حدّثنا [أبو][3] أمية بن عمرو بن هشام الحرّانىُّ قال : حدثنا محمدُ بنُ يزيد بن سنان قال : حدّثنى جَدِّى سِنانُ بن يزيد قال :

التمثل بشعره لما انتهى على إلى مدائن كسرى

كنت مع مولاى جَرِير بن سَهْم التيمىّ وهو يسير أمامَ علىّ بن أبى طالب عليه السلام ويقول :

يا فَرَسى سِيرِى وأُمِّى الشاما * وخَلِّفى الأخوالَ والأعماما
وقطِّعى الأجْوازَ والأعلاما[4] * وقاتِلِى مَن خالفَ الإماما
إنى لأرجو إن لَقِينا العاما * جَمْعَ بنى أُمَيَّةَ الطَّغاما
أنْ نَقْتُلَ العاصىَ والهُماما * وأن نُزِيلَ من رِجالٍ هاما

فلما انتهى الى مَدائن كِسرَى وقف علىٌّ عليه السلام ووقفنا، فتمثَّل مولاى قولَ الأسودِ بن يَعْفُرَ :

جَرَتِ الرِّياحُ على مَكانِ دِيارِهمْ * فكأنّما كانوا على مِيعادِ

(١) المحتضر : الحاضر . (٢) القربوس : حنو السرج وهو الجزء المعوج فى السرج .
(٣) الزيادة عن نسخة ط . (٤) الأجواز جمع جوز يقصد الجهات . والأعلام : الجبال .

فقال له علىٌّ عليه السلام: فلِمَ لَمْ تقل كما قال الله جلّ وعزّ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وعُيُون . وزُرُوعٍ ومَقَامٍ كَرِيمٍ . ونَعْمةٍ كانوا فِيها فاكِهِين . كذلك وأَوْرَثْناها قَوْمًا آخَرِين﴾. ثم قال: يابن أخى، إن هؤلاء كفروا النعمة، فحلّت بهم النِّقْمةُ، فإيّاكم وكُفْرَ النِّعمة فتَحِلَّ بكم النقمةُ .

٥ أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنىّ قال :

التمثل بشعره لما مرّ عمر بن عبد العزيز بقصر لآل جفنة

مَرَّ عمرُ بن عبد العزيز ومعه مُزاحِمٌ مولاه يومًا بقَصْرٍ من قصور آل جَفْنة ، وقد خَرِبَ ، فتمثّل مُزاحِمٌ بقول الأسودِ بن يَعْفُرَ :

جَرَتِ الرِّياحُ على مَحَلِّ دِيارِهم * فكأنّما كانوا على مِيعادِ
١٠ ولقد غَنَوْا[1] فيها بأنْعَمِ عِيشةٍ * فى ظِلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأوْتادِ
فإذا النَّعيمُ وكلُّ ما يُلْهَى به * يومًا يَصيرُ الى بِلًى ونَفاد

١٣٦ / ١١

فقال له عمر: هَلّا قرأْتَ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وعُيُونٍ﴾، إلى قوله جلّ وعزّ: ﴿كذلك وأَوْرَثْناها قوما آخَرِين﴾ .

نسختُ من كتاب محمد بن حَبيب عن ٱبن الأعرابىّ عن المُفَضَّل قال :

ما قاله فى استنقاذ إبل له أخذتها بكر ابن وائل

١٥ كان الأسود بن يَعْفُر مُجاورًا فى بنى قَيْس بن ثَعْلَبَة ثم فى بنى مُرّة بن عُبَادٍ بالقاعة[2]، فقامَرَهم فقَمَروه، حتى حَصَل عليه تسعةَ عشرَ بَكْرًا، فقالت لهم أمّه وهى رُهْم بنت العَبّاب : يا قوم، أتَسْلُبون ٱبن أخيكم[3] مالَه ؟ قالوا : فماذا نصنع ؟ قالت : ٱحبسوا قِداحه[4] .

(١) غنوا : أقاموا . ويستعمل إذا كانت الإقامة فى غنى ونعيم . ومنه المغنى وجمعه مغان .
(٢) القاعة من بلاد سعد بن زيد مناة بن تميم قبل يبرين ، وقيل منازل بنى مرة بن عباد بن قيس بن ثعلبة ،
٢٠ وتسمى الأجواف أيضا . (عن معجم ما استعجم) . (٣) فى نسخة ط : « ابن أختكم » .
(٤) القداح جمع قدح : سهام الميسر التى كانوا يتقامرون بها . وفى س، ش : « أقداحه » .

فلما راح القوم قالوا له : أَمْسِكْ[١] . فدخل لِيُقامِرَهم فردّوا قِداحَه . فقال : لا أقيمُ بين قوم لا أضرب فيهم بِقِدْح ؛ فاحتَمَل قبل دخول الأشهُر الحُرُم ، فأخذت إبلَه طائفةٌ من بَكْر بن وائل ؛ فاستسعى الأَسودُ بنى مُرّة بن عُباد[٢] وذكّرهم الجِوَار وقال لهم :

يالَ عُبَادٍ دَعوةً بعد هَجْمةٍ * فهل فيكمُ من قوّة وزَماع[٣]

فتَسْعَوْا لجارٍ حلَّ وَسْطَ بُيُوتكم * غريبٍ وجاراتٍ تُرِكنَ جِياعِ

وهى قصيدةٌ طويلةٌ ، فلم يصنعوا شيئا . فادّعى جِوارَ بنى مُحَلِّم بن ذُهْل آبن شَيْبانَ ، فقال :

قل لبنى مُحَلِّمٍ يَسِيروا * بذِمّةٍ يَسْعَى بها خَفِيرُ[٤]

* لا قَدْحَ[٥] بعد اليوم حتى تُورُوا *

ويُروى « إن لم تُورُوا » . فسعَوْا معه حتى آستنقذوا إبلَه ، فمدحهم بقصيدته التى أوّلها :

أجارَتَنا غُضِّى من السَّيْر أو قِفِى * وإن كنتِ قد أَزْمَعْتِ بالبَيْن فاصْرِفى[٦]

أَسائلُكِ أو أُخْبِرْكِ عن ذى لُبانةٍ * سَقِيمِ الفُؤاد بالحِسانِ مُكَلَّفِ[٧]

---

(١) كذا فى ط . وفى سائر الأصول : «أمسك قدحك» . (٢) فى س ، ب ، ط : « فاستسعى الأسود بن مرة بن عباد » وهو تحريف . والتصويب عن نسخة جـ . (٣) الزماع (كسحاب وكتاب) : المضاء فى الأمر والعزم عليه . (٤) الخفير هنا : المانع المجير .

(٥) القدح : طلب الإيراء ، يقال : قدح بالزند يقدح قدحا . واقتدح : رام الإيراء به . وتورون : تستخرجون نار الزند ، يقال : ورى الزند خرجت ناره ، وأوراه غيره إذا استخرج ناره . وورى الزناد وإيراؤها يراد به الإنجاح وإدراك المطالب . (٦) الصرف هنا : رد الشىء عن وجهه ، يريد : اعدلى عما أزمعته من البين . (٧) مكلف : مولع .

يقول فيها :

تدارَكَنى أسبابُ آلِ مُحَلِّمٍ * وقد كدتُ أَهْوِى بين نِيقَيْنِ نَفْنَفِ[1]

همُ القومُ يُمسِى جارُهم فى غَضارةٍ * سَوِيًّا سَليمَ اللَّحمِ لم يُتَحَوَّفِ[2]

فلمّا بلغتهم أبياتُه ساقُوا إليه مثلَ إبلِه التى آستنقذوها من أموالهم .

طلب طلحة من الأسود بن يعفر أن يسعى له فى إبله

٥ قال المفضَّلُ : كان رجلٌ من بنى سعدِ بنِ عَوْفِ بنِ مالكِ بنِ حَنْظَلَةَ يقال له طَلْحةُ ، جارًا لبنى رَبيعةَ بنِ عِجْلِ بنِ لُجَيْمٍ[3][4] ، فأكلوا إبله ، فسألَ فى قومه حتّى أتى الأسودَ ابنَ يَعْفُرَ يسألُه أن يُعطِيَه ويَسْعَى له فى إبله . فقال له الأسودُ : لستُ جامعَهما لكَ ، ولكن آخْتَرْ أيَّهما شئتَ . قال : أختارُ أنْ تسعَى لى بإبلى . فقال الأسودُ لأخواله من بنى عِجْلٍ :

١٠ يا جارَ طلْحَةَ هلْ تَرُدُّ لَبُونَهُ * فتكونَ أدْنَى للوَفاء وأَكْرَمَا

تاللهِ لو جاوَرْتُمُوه بأرْضِه * حتّى يُفارِقَكم إذًا ما أَحْرَمَا[5]

ردّ الإبل مكرمة للأسود

وهى قصيدةٌ طويلةٌ . فبعثَ أخوالُه من بنى عِجْلٍ بإبل طلحةَ إلى الأسودِ آبنِ يَعْفُرَ فقالوا : أمّا إذْ كنتَ شَفِيعَه فخُذْها ، وتولَّ ردَّها لتُحْرِزَ المَكْرُمَةَ عنده دون غيرك .

النعمان يحث خالد ابن مالك على المطالبة بثأر عمه الذى قتله وائل وسليط العجليان

١٥ وقال آبنُ الأعرابىّ : قَتل رجلان من بنى سَعْدِ بنِ عِجْلٍ يُقال لهما وَائِلٌ وسَلِيطٌ آبنا عبدِ الله ، عَمًّا لخالدِ بنِ مالك بن رِبْعِىٍّ النَّهْشَلِىِّ يقال له عامرُ بن رِبْعِىّ ، وكان خالدُ بن مالكٍ عند النُّعمان حينئذٍ ومعه الأسودُ بنُ يَعْفُرَ . فالتفت النعمانُ يوما إلى

(١) النيق : حرف من حروف الجبل ، وأرفع موضع فيه . والنفنف : مهواة ما بين جبلين . وكل شىء بينه مهوى ، فهو نفنف . (٢) الغضارة : النعمة والسعة فى العيش . ويتحوف : يتنقص . وفى كل الأصول بالراء بدل الواو وهو تحريف . (٣) فى ب ، س ، ح : «جشم» ٢٠ والتصويب من ط وكتب الأنساب . (٤) يريد أخذوها . (٥) لعلها «ما أجرما» .

١٣٧
١١

خالدِ بن مالكٍ فقال له : أىّ فارسَيْن فى العرب تعرِفُ هما أثقل على الأقران وأخفّ على مُتون الخيْل ؟ فقال له : أبيْتَ اللعْنَ ! أنتَ أعلم . فقال : خالاَ ٱبنِ عمِّك الأسْوَدِ بن يَعْفُرَ وقاتِلا عمِّك عامرِ بن رِبْعى (يعنى العِجْليَّيْن وائلاً وسَليطاً). فتغيَّر لونُ خالدِ بن مالكٍ . وإنما أراد النُّعمانُ أن يحُثّه[1] على الطَّلَب بثأرِ عمِّه . فوثب الأسْودُ فقال : أبيْتَ اللعنَ ! عَضّ بِهَنِ أُمّه مَنْ رأى حقَّ أخواله فوقَ حقِّ أعمامه . ثم التفت إلى خالد بن مالكٍ فقال : يابنَ عمِّ ، الخمرُ علىَّ حرامٌ حتى أثأرَ لك بعمك . قال : وعلىّ مثل ذلك . ونهضا يطلُبان القومَ ، فجمعا جَمْعا من بنى نَهْشَلِ بنِ دارِمٍ فأغارا بهم على كاظِمَةَ[2] ، وأرْسلا رجلاً من بنى زيدِ بنِ نَهْشَلِ بنِ دارِمٍ يقال له عُبَيْد يتجسّسُ لهم الخبَر، فرجع اليهم فقال : جَوْفُ كاظمَةَ ملآنُ من حُجّاجٍ وتجارٍ، وفيهم وائلٌ وسليطٌ مُتساندان[3] فى جيش . فركبتْ بنو نَهْشَلٍ حتى أتَوْهم ، فنادَوا : مَنْ كان حاجًّا فليَمْض لحجه ، ومَنْ كان تاجرًا فليمض لتجارته . فلمّا خَلَصَ لهم وائلٌ وسَليطٌ فى جيشهما ٱقتتلوا ، فقُتِلَ وائل وسليطٌ ، قتلهما هِزّانُ بنُ زُهَيرِ بنِ جَنْدَل بن نَهْشَل ، عادَى[4] بينهما . وادّعى الأسودُ بنُ يعفُرَ أنه قتَل وائلاً . ثم عاد إلى النّعمان فلما رآه تبسّم وقال : وفى نَذْرُكَ يا أسود ؟ قال : نعَمْ أبيْتَ اللّعنَ ! ثم أقام عنده مدّةً يُنادمه ويؤاكله ، ثم مَرِضَ مرضًا شديدًا ، فبعث النعمانُ اليه رسولًا يسألُه عن خَبَره وهَوْلِ ما به ؛ فقال :

الأسود وخالد يجمعان جمعا ويغيران على كاظمة فقتل وائل وسليط

ما قاله الأسود فى مرضه

(١) فى ط : « يبعثه » .

(٢) كاظمة : موضع على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان . وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب . وهى الواردة فى بردة البوصيرى .

(٣) متساندان : متعاونان يسند كل واحد منهما الآخر ويعضده ، وكل منهما تحت راية .

(٤) عادى الفارس بين رجلين ، إذا طعنهما طعنتين متواليتين .

نَفْعٌ قليلٌ إذا نادَى الصَّدَى أُصُلًا (١) * وحانَ منه لبردِ الماءِ تَغْريدُ
ووَدَّعونى فقالوا ساعةَ انطلقوا * أودَى فأودَى النَّدَى والحزمُ والجُودُ
فما أُبالِى إذا ما مِتُّ ما صَنَعُوا * كلُّ امرئٍ بسبيلِ الموتِ مَرْصودُ

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبى عمرو الشَّيبانىّ يأثُره عن أبيه، قال:

ما قاله فى فرس أخذها ابنه جراح من بنى الحارث بن تيم الله واستولدها أمهارا

كان أبو جُعَلٍ أخو عمرو بن حنظلة من البَرَاجِم قد جمع جَمْعًا من شُذّاذ أَسَدٍ وتميمٍ وغيرهم، فغزوا بنى الحارثِ بنِ تَيْمِ الله بن ثَعْلَبَة، فنَذِروا (٢) بهم وقاتلوهم قتالًا شديدًا حتى فَضُّوا جمعهم. فلحِق رجلٌ من بنى الحارث بن تَيْم الله بن ثعلبة جماعةً من بنى نهشلٍ فيهم جَرّاحُ بن الأسود بن يَعْفُر، والحُرُّ بن شَمِر بن هزّانَ بن زُهير بن جَنْدل، ورافعُ بن صُهَيْب ابن حارثة بن جَنْدَل، وعمرو والحارث ابنا حُرَيْر (٣) بن سَلْمَى بن جندل، فقال لهم الحارثىُّ (٤): هَلُمَّ إلىَّ طُلَقاءَ (٥)، فقد أعجبنى قتالُكم سائرَ اليوم، وأنا خيرٌ لكم من العَطَش. قالوا نعم. فنزل ليَجُزَّ نواصيَهم. فنظر الجَرّاحُ بن الأسود إلى فَرَسٍ من خيلهم فإذا هى أجودُ فرسٍ فى الأرض، فوثَب فركِبها وركَضها ونجا عليها. فقال الحارثىُّ للذين بَقُوا معه: أتعرفونَ هذا؟ قالوا: نعم نحن لكَ عليه خُفَراءُ. فلمّا أتى جَرّاحٌ أباه أمرَه فهرب بها فى بنى سعد فابْتَطَنَها (٦) ثلاثةَ أَبْطُنٍ، وكان يُقال لها: العَصْماء. فلما رجع النَّفَرُ النَّهْشَليُّون إلى قومهم قالوا إنّا خُفَراءُ فارسِ العصماءِ، فوالله لنأخذُنَّها، فأوْعَدُوه (٧). وقال حُرَيْرٌ (٨) ورافع: نحنُ الخفيرَان

---

(١) الصدى هنا: الطائر الذى يخرج من هامة الميت إذا بلى، وجمعه أصداء، وهو من خرافات العرب. وأصلا (بضمتين): جمع أصيل وهو العشىّ. (٢) نذر بالشىء وبالعدو (بكسر الذال) نذرا: علمه فحذره. (٣) فى الأصول: «حدين» صوابه من نقل البغدادى فى الخزانة ١: ١٩٥ عن الأغانى. (٤) فى سائر الأصول: «الحارث» وظاهر أنه تحريف، إذ هو الرجل الذى لحق بجماعة بنى نهشل. وهو منسوب إلى بنى الحارث بن تيم الله بن ثعلبة، وسيأتى بعد سطور بلفظ «الحارثى». (٥) طلقاء: جمع طليق، وهو الأسير أطلق عنه إساره.
(٦) ابتطنها: نتجها ثلاث مرات. (٧) أوعدوه: هددوه.
(٨) كذا فى ط. وفى سائر الأصول «جرير» بالجيم.

بها . وكان بنو جَرْوَلٍ حُلفاءَ بنى سَلْمَى بن جَنْدَل عَلَى بنى حارثةَ بن جندل، فأعانه على ذلك التَّيْحان بن بَلْج بن جَرْوَل بن نهشل . فقال الأسود بن يَعْفُر يهجُوه :

أتانى ولم أَخشَ الذى ٱبْتَعثا به * خَفِيرَا بنى سَلْمَى حُرَيرٌ ورافعُ

هُمُ خَيَّبونى يومَ كلِّ غَنِيمةٍ * وأهلكْتُهم[1] لَوْ أنَّ ذلك نافعُ

فلا أنا مُعْطِيهم علىَّ ظُلامةً * ولا الحقَّ مَعْروفاً لهم أنا مانعُ

وإنى لأَقْرِى الضيفَ وَصَّى به أبى * وجارُ أبى التَّيْحانِ ظمآنُ جائعُ

فقُولَا لتَيْحانَ ٱبنِ عاقِرةِ ٱستِها * أَمُجْرٍ[2] فلاقِى الغىِّ أمْ أنتَ نازعُ[3]

ولَوْ أنَّ تَيْحانَ بنَ بَلْجٍ أطاعنى * لأرشدتُه وللأمور مَطالعُ

وإنْ يَكُ مَدلولًا[4] عَلَّى فإنَّنى * أخو الحَرْبِ لا قَحْمٌ[5] ولا مُتَجاذعُ[6]

ولكنَّ تَيْحانَ ٱبنَ عاقِرةِ ٱستِها * له ذَنَبٌ[7] من أمْرِه وتَوابعُ

قال : فلمّا رأى الأسودُ أنهم لا يُقْلِعون عن الفَرس أو يردّوها، أحلفهم عليها فحَلَفوا أنهم خُفراءُ لها، فردّ الفرسَ عليهم وأمسك أمْهارَها، فردّوا الفرسَ إلى صاحبها. ثم أظهرَ الأمْهارَ بعد ذلك، فأوْعَدُوه فيها أن يأخُذوها . فقال الأسود :

أحقًّا بنى أبناءِ سَلْمَى بنِ جَنْدَلٍ * وَعيدُكُمُ إيّاىَ وَسْطَ المجالسِ

فهلّا جَعلْتُمْ نحوَهُ من وَعِيدِكم * على رَهْطِ قَعْقاعٍ ورهطِ ٱبنِ حابسِ

(١) كذا فى الأصل وخزانة الأدب . (٢) مجر : قاصد إلى الشر، يقال : أجرى إلى الشىء قصده ؛ وأكثر ما يستعمل الإجراء ، محذوف المفعول، فى الأمر المنكر المذموم . قال غلاق بن مروان ابن الحكم بن زنباع :

هم قطعوا الأرحام بينى وبينهم * وأجروا إليها واستحلوا المحارما

(٣) النازع من النزوع وهو الكف عن الشىء، والانتهاء عنه . (٤) مدلولا على : أى اجترأ القوم على . (٥) القحم : الكبير المسن . (٦) المتجاذع : الذى يرى أنه صغير السن . والجذع : الصغير السن . (٧) له ذنب : لأمره عواقب .

هُمُ مَنعوا منكم تُراثَ أبيكُمُ * فصار التُّراثُ للكرام الأكايس
هُمُ أوْرَدوكم ضَفَّةَ البحرِ طامياً * وهُمْ تركوكم بين خازٍ(١) وناكس(٢)

رثاؤه مسروق بن المنذر النهشلي وكان كثير البر به

وقال أبو عمرو: كان مَسْروقُ بنُ المُنْذر بنِ سَلْمَى بن جَنْدَل بنِ نَهْشَل سيِّدًا جوادًا، وكان مُؤْثِرًا للأسود بن يَعْفُر، كثيرَ الرِّفْد له والبِرِّ به. فمات مسروق واقتسم أهلُه مالَه، وبانَ فقدُه على الأسْوَد بن يَعْفُر فقال يَرْثيه:

أقولَ لمّا أتاني هُلْكُ سَيِّدنا * لا يُبْعِدِ اللهُ ربُّ الناسِ مَسْروقَا
من لا يُشيِّعُه(٣) عَجْزٌ ولا بَخَلٌ * ولا يَبيتُ لديه اللَّحمُ مَوْشُوقا(٤)
مِرْدَى حُروبٍ(٥) إذا ما الخيلُ ضَرَّجها(٦) * نَضْحُ الدماء وقد كانتْ أَفاريقا(٧)
والطاعنُ الطعنةَ النَّجْلاءَ تحسَبُها * شَنًّا(٨) هَزِيمًا(٩) يَمُجُّ الماءَ مَخْروقا
وجَفْنةٍ(١٠) كنَضيحِ(١١) البِئْرِ مُتأقةٍ(١٢) * ترى جَوانبَها بالشحم مفتوقا(١٣)
يَسَّرْتَها ليتامَى أو لأرْمَلةٍ * وكنتَ بالبائسِ المتروكِ مَحْقوقا(١٤)
يالَهْفَ أُمِّيَ إذْ أوْدَى وفارَقني * أوْدَى ابنُ سَلْمَى نقيُّ العِرْضِ مَرْمُوقا

(١) الخازى، من خزى بالكسر يخزى خزيا، إذا ذل وهان، كما فسرها البغدادى فى الخزانة.

(٢) الناكس: المطأطىء رأسه. (٣) يشيعه: يصحبه ويتبعه. (٤) الموشوق: المقدد. يقال وشق اللحم يشقه إذا شرحه وقدده، يقول: إنه لكرمه لا يدخر اللحم إلى غد.

(٥) مردى حروب: شجاع صبور عليها، غالب؛ وأصل المردى: الحجر الذى تكسر به الصخور، ويكسر به النوى، وأكثر ما يقال فى الحجر الثقيل. (٦) ضرجها: لطخها.

(٧) الأفاريق: جمع أفراق، وأفراق جمع فرقة وهى: الطائفة والجماعة. (٨) الشن: القربة القديمة الصغيرة. (٩) الهزيم: اليابس المتكسر. (١٠) الجفنة: القصعة.

(١١) نضيح البئر: حوضها. (١٢) المتأقة: الممتلئة. (١٣) المفتوق: المشقوق. قال فى اللسان «مادة فتق» بعد أن ذكر هذا الشطر: «إنما أراد مفتوقة فأوقع الواحد موقع الجماعة». وفى ط واللسان: «... بالشحم مفتوقا». (١٤) المحقوق هنا: الخليق. قال فى اللسان: «قال شمر: تقول العرب: حق على أن أفعل ذلك، وحق، وإنى لمحقوق أن أفعل خيرا، وهو حقيق به، ومحقوق به، أى خليق له، والجمع أحقاء ومحقوقون».

ما أجاب به بنته وقد لامته على جوده

وقال أبو عمرو : عاتبتْ سَلْمى بنتُ الأسود بن يَعْفُر أباها على إضاعته ماله فيما يَنُوبُ قومَه من حَمالة(١) وما يمنَحُه فُقراءَهم ويُعين به مُستمنِحَهم، فقال لها :

وقالت لا أراكَ تُلِيقُ شيئاً * أتُهلِكُ ما جَمَعْتَ وتَستفيدُ(٢)

فقلتُ بحَسْبِها يَسَرٌ وعارٍ * ومُرْتَحِلٌ إذا رَحَل الوفودُ(٣)

فلُومِى إنْ بدا لكِ أو أفيقِى * فقبْلَكِ فاتَنِى وهو الحَمِيدُ

أبو العَوْراءِ لمْ أكْمَدْ عليه * وقيسٌ فاتَنِى وأخِى يزيدُ

مَضَوْا لِسبيلِهم وبَقِيتُ وَحدِى * وقد يُغْنِى رَباعتَه الوَحيدُ(٤)

فلولا الشامِتونَ أخذْتُ حَقِّى * وإنْ كانتْ بمَطلبه كَؤُودُ(٥)

١٣٩ / ١١

ويُروَى * وإنْ كانت له عِندى كَؤُودُ *

ما قاله فى ابنه جراح وكان ضئيلا ضعيفا

قال أبو عمرو: وكان الجرّاح بن الأسْوَد فى صباه ضئيلًا ضعيفًا، فنظر إليه الأسود وهو يُصارع صبيًّا من الحىّ - وقد صَرَعه الصبىُّ - والصبيان يَهزَءُون منه، فقال :

سيَجْرحُ جَرّاحٌ وأَعْقِلُ ضَيْمَه * إذا كان مَخْشِيًّا من الضَّلَع المُبْدِى(٦)

فآباءُ جَرّاحٍ ذُؤابةُ دارِمٍ * وأخوالُ جَرّاحٍ سَراةُ بنى نَهْد

قال : وكانت أُمّ الجرّاح أَخِيذةً، أخذها الأسودُ من بنى نَهْد فى غارة أغارها عليهم .

(١) الحمالة : ما يحمله عنهم من مغارم . (٢) يقال : فلان ما يليق شيئا أى ما يمسك شيئا .
(٣) اليسر: القوم المجتمعون على الميسر . والعارى : الذى يعرو القوم يلتمس معروفهم . والمرتحل : الذى يرتحل البعير، أى يركبه بالقتب. (٤) الرباعة، بالفتح و بالكسر : الشأن والأمر وهى القبيلة أيضا .
(٥) كؤود صفة لموصوف محذوف وهو العقبة التى تعترض من الطريق، وكان تامة . و رواية ط :

فلولا الشامتون لأخذ حق * و إن كانت بمطلبه كؤود

(٦) أعقل : أحمل عنه . الضلع : الاعوجاج خلقة . والمعنى أن هذا العيب لا يمنع من أنه سيقوى فآباؤه وأخواله رؤساء وسادة ولن يتخلف عن صفاتهم وشمائلهم . والمبدى، لعلها «المندى» بالنون، أى المخزى .

ما قاله لما أسن وكف بصره

وقال أبو عمرو : لمّا أسنّ الأسودُ بنُ يَعْفُر كُفَّ بصَرُه، فكان يُقاد إذا أراد مذهبا . وقال فى ذلك :

قد كنتُ أَهْدِى ولا أُهْدَى فعلَّمنى * حُسْنُ المَقادةِ أنى أَفقِدُ البَصَرا

أَمْشِى وأَتْبَعُ جُنَاباً ليَهْديَنى * إنّ الجَنيبة مما تَجْشَمُ الغَدَرا (١)

٥ الجُنَاب : الرجل الذى يقوده كما تُقاد الجَنيبة . الجَشْمُ : المشى ببطء . والغَدَرُ : مكانٌ ليس مستويا .

شعر لأخيه حطائط وقد لامته أمه على جوده

وذكر محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابىّ، عن المفضَّل : أن الأسود كان له أخٌ يقال له حُطَائط بن يَعْفُرَ شاعر، وأن ابنه الجرّاح كان شاعرا أيضا . قال : وأخوه حُطائط الذى قال لأمّهما رُهْم بنت العَبّاب، وعاتبته على جوده فقال :

١٠ تقول ابنةُ العَبّاب رُهْمٌ حَرَبْتَنى * حُطائطُ لم تَتْرُكْ لنفسك مَقْعدا (٢)

إذا ما جمعنا صِرمةً بعد هَجْمة * تكون علينا كابن أُمّك أَسودا (٣)

فقلتُ ولم أَعْىَ الجوابَ : تأمّلى * أكان هُزالا حَتْفُ زيدٍ وأَرْبدا (٤)

أَرِينى جَوادًا مات هُزْلا لعلّنى * أَرَى ما تَرَيْنَ أو بخيلا مُخَلَّدا

ذَرِينى أكنْ للمال ربًّا ولا يكن * لى المالُ ربًّا تَحْمَدى غِبّه غدا

---

١٥ (١) جناب بضم الجيم لا بالفتح : الذى يسير مع الرجل إلى جنبه (كما ورد فى اللسان) . والجنيبة : الدابة تقاد . والغدر : ما واراك وسد بصرك . (٢) حربتنى : سلبتنى مالى .

(٣) فى الحماسة (طبع أوربا ص ٧٥٥) : « أفدنا » بدل جمعنا . والصرمة : القطعة من الإبل نحو الثلاثين . والهجمة : أربعون من الإبل إلى سبعين فما دون المائة . فإذا بلغت المائة فهى الهنيدة . وقد روى « عليها » وفى الأصول : « علينا » . يريد : تعود عليها سالكا طريق أخيك الأسود بن يعفر

٢٠ فى السخاء بذلك المال .

(٤) يقول : إن زيدا وأربد من كرام قومنا لم يموتا من هزال . وفى الحماسة : « نهد » بدل « زيد » . وفيها أيضا : « وقيل إن بهذا وأربد كانا أخوين لحطائط »

ذرينى فلا آعيا بمـا حَلّ ساحَتِى * أَسُودُ فأُكْفَى أو أطِيعُ المُسَوَّدا

ذرينى يكُنْ مالى لعِرْضى وِقايةً * يَقِى المــالُ عِرْضِى قَبلَ أن يتبدَّدا

أجارةَ أهــلى بالقَصيمةِ لا يكن (١) * عــلىَّ - ولم أَظلِمْ - لسانُكِ مِبْرَدا

صـــــوت

أعاذِلَــتِى أَلَا لا تَعــذُلِينا * أَقِــلِّى اللَّــومَ إنْ لم تَنْفَعِينا ٥

فقــد أكثرتِ لو أغنيتِ شيئا * ولستُ بقابــلٍ ما تأمُرِينــا

الشعرُ لأَرْطاةَ بن سُهيَّةَ، والغناءُ لمحمد بن الأَشْعَث، خفيفُ رَمَلٍ بالبِنْصَر، من نسخة عمرو بن بانَةَ .

(١) القصيمة : (بالفتح ثم الكسر) الرملة التى تنبت الغضى . وفى معجم البلدان : القصيمة بلفظ التصغير ، و يضاف فيقال قصيمة الطرّاد . قال الأسود بن يعفر : ١٠

بالجوّ فالأمراج حول مرامر * فبضــارج فقصيمة الطــرّاد

أخبار أَرْطاة ونسبه

نسبه من قبل أبويه وبيان أن أمه كانت لضرار بن الأزور فصارت إلى زفر وهي حامل بأرطاة

١٤٠ / ١١

هو أَرْطاةُ بنُ زُفَرَ بن عبد الله بن مالك بن شدّاد بن عُقْفان[1] بن أبى حارثة ابن مُرّة بن نُشْبة بن غَيْظ بن مُرّةَ [بن عَوْف][2] بن سعد بن ذُبْيانَ. وقد تقدّم هذا النسبُ فى عدّة مواضعَ من هذا الكتاب. وسُهَيّةُ أُمُّه؛ وهى بنتُ زامل ابن مَرْوانَ بن زُهَير بن ثَعلبة بن حُدَيْج بن أبى جُشَم بن كعب بن عوف بن عامر ابن عوف، سَبِيّةٌ من كلب، وكانت لضِرَارِ بن الأَزْوَر ثم صارت إلى زُفَر وهى حاملٌ فجاءت بأَرْطاة من ضِرَارٍ على فِرَاش زُفَر؛ فلما ترعرع أرطاة جاء ضِرَارٌ إلى الحارث ابن عوف فقال له :

* يا حارِثُ افْكُكْ لى بُنَىَّ من زُفَرْ *

— ويروى : « يا حارِ أَطْلِقْ لِى » —

* فى بعضِ مَنْ تُطْلِقُ مِن أَسْرَى مُضَرْ *

* إنّ أباه آمرُؤُ سَوْءٍ إن كَفَرْ[3] *

فأَعطاه الحارثُ إيّاه وقال : آنطلِقْ بآبنك؛ فأدركه نَهْشَلُ بن حَرِّىٍّ بن غَطَفان فانتزعه منه وردّه إلى زُفَر. وفى تَصْداق ذلك يقول أَرْطاةُ لبعضِ أَوْلادِ زُفَرَ :

فإذا خَمَصْتُم[4] قلتُمُ يا عمَّنا * وإذا بَطِنْتُم[5] قلتمُ آبنَ الأَزْوَرِ

(١) فى الأصول : « غطفان » والتصويب مما سيأتى فى الشعر. وقد صححها كذلك الشنقيطى فى نسخته. (٢) الزيادة من شرح شواهد المغنى للبغدادى (ج ٢ ص ٥٧٢) نسخة مخطوطة ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢ نحو — ش) والقاموس المحيط مادة (غيظ) ومما تقدّم فى هذا الكتاب ومن ذلك ما ورد فى أخبار النابغة ونسبه. (الجزء الحادى عشر الصفحة الثالثة من هذه الطبعة). (٣) كفر : جحد حقه فى أبوته. (٤) خمصتم : جعتم. (٥) بطنتم : شبعتم.

قال : ولهذا غلبت أمّه سُهَيَّةُ على نسبه فنُسب إليها . وضرارُ بن الأزْوَر هذا قاتل مالك بن نُوَيْرَةَ الذى يقول فيه أخوه مُتَمِّم :

نِعْمَ القتيلُ إذا الرِّياحُ تناوَحَتْ * تحت البيوت، قتلتَ يابنَ الأَزْوَرِ

منزلته فى الشعر

وأرطاةُ شاعر فصيح ، معدودٌ فى طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام فى دولة بنى أُمَيَّة لم يَسْبِقْها ولم يتأخّر عنها . وكان امرأ صِدْق شريفًا فى قومه جَوَادًا .

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعى قال حدّثنا أبو غسّان رُفَيع بن سَلَمَة الملقب بدَماذ، قال : حدّثنا أبو عُبَيْدَةَ قال :

إنشاده عبد الملك بعض ما ناقض به شبيب بن البرصاء

دخل أرطاة بن سُهَيَّة على عبد الملك بن مروان . فاستنشده شيئا مما كان يناقض به شَبِيبَ بن البَرْصاء[(١)]، فأنشده :

أبى كان خيرًا من أبيكَ ولم يَزَلْ * جَنيبًا لآبائى وأنت جَنيبُ[(٢)]

فقال له عبد الملك بن مروان : كذبتَ، شبيبٌ خيرٌ منك أبًا . ثم أنشده :

وما زلتُ خيرًا منك مذ عَضَّ كارِهًا * برأسك عادىُّ النِّجاد رَسوبُ[(٣)]

معرفة عبد الملك مقادير الناس على بعدهم

فقال له عبد الملك : صدقتَ ، أنت فى نفسك خيرٌ من شبيب . فعجب من عبد الملك مَن حضر ومِن معرفته مقاديرَ الناس على بُعْدهم منه فى بواديهم[(٤)] ، وكان الأمر على ما قال : كان شبيب أشرفَ أبًا من أرطاة ، وكان أرطاة أشرف فعلًا ونفسًا من شبيب .

---

(١) يناقض : يعارض ، والمناقضة هى أن يعارض الشاعر غيره فى قصيدته من نفس الوزن والروى .
(٢) الجنيب : الطائع المنقاد . (٣) النجاد : حمائل السيف . وعادى النجاد : سيف قديم ، كأنه لقدمه أدرك زمن عاد . والرسوب : الماضى الذى يغيب فى الضريبة ويرسب . وفى ب ، س ، ط : « ركوب » ولا وجه له . (٤) فى ط « بسائر الناس » .

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا عمرو بن بحر الجاحظ ودَماذُ أبو غسّان، قالا جميعا، قال أبو عبيدة :

قوله لعبد الملك وقد أسنّ

دخل أرطاة بن سُهَيَّة على عبد الملك بن مَرْوان، فقال له : كيف حالُك يا أرطاة؟ — وقد كان أسنّ — فقال : ضَعُفتْ أوصالى، وضاع مالى، وقلَّ منّى ما كنت أُحِبُّ كثرتَه، وكَثُر منّى ما كنت أُحِبّ قِلّته . قال : فكيف أنت فى شعرك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أطرَبُ ولا أغضبُ ولا أرغبُ ولا أرهبُ، وما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربع، وعلى أنّى القائل :

رأيتُ المرءَ تأكُلُه الليالِى * كأكْلِ الأرضِ ساقِطةَ الحديدِ

وما تَبْغى المَنِيَّةُ حين تأتى * على نَفْسِ ٱبن آدمَ من مَزِيدِ

وأعْلَمُ أنها ستَكُرُّ حتّى * تُوَفِّى نَذْرَها بأبى الوَلِيدِ

فارتاع عبد الملك ثم قال : بل تُوَفِّى نَذْرَها بك وَيْلَك ! مالى ولك ؟ فقال : لا تُرَعْ يا أمير المؤمنين ، فإنّما عَنَيْتُ نفسى — وكان أرطاة يُكْنَى أبا الوليد — فسَكَن عبد الملك ، ثم استعبر باكيا وقال : أمَا والله على ذلك لتُلِمَّنَّ بى (1) .

141 / 11

أخبرنى به حبيب بن نَصْر المُهَلَّبىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنى أبو غسّان محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبى ثابت، فذكر قريبًا منه يزيد و ينقص ولا يُحِيل (2) معنًى .

أخبرنى عبد الملك بن مَسْلَمة القُرَشىّ الهشامىّ بأَنْطاكِيَةَ (3) قال أخبرنى أبى عن أهلنا أن أرطاة بن سُهَيَّة دخل على مَرْوان بن الحَكَم لمّا ٱجتمع له أمرُ الخلافة،

(1) لتلمنّ بى : لتنزلن بى . (2) أحال الكلام يحيله إحالة : غيره و فسده .

(3) أنطاكية (بتخفيف الياء) : بلد معروف فى شمال الساحل الشامى .

مدحه مروان لما اجتمع له أمر الخلافة

وفرغ من الحروب التى كان بها متشاغلاً ، وصَمَد[1] لإنفاذ الجيوش الى ابن الزُّبَير لمحاربته ، فهنّأه وكان خاصًّا به و بأخيه يحيى بن الحكم ، ثم أنشده :

تَشَكَّى قَلُوصى إلىَّ الوَجَى[2] * تَجُرُّ السَّريحَ وتُبْلِى الخِداما
تَزُورُ كريمًا له عندها[3] * يدٌ لا تُعَدُّ وتُهْدِى السَّلاما
وقَلَّ ثوابًا له أنَّها * تُجِيدُ القَوافِىَ عامًا فعاما
وسَادَتْ مَعَدًّا على رَغْمِها * قُرَيْشٌ وسُدْتَ قريشًا غُلاما
جُعِلْتَ على الأمرِ فيه صَغًا[4] * فما زال غَمْزُكَ حتى آستقاما
لَقِيتَ الزُّحوفَ فقاتلتَها * فجَرَّدتَ فيهنَّ عَضْبًا حُسَاما
تَشُقُّ القَوانِسَ[5] حتى تَنا * لَ ما تحتها ثم تَبرِى العِظاما
نَزَعْتَ[6] على مَهَلٍ سابقًا * فما زادكَ النَّزْعُ إلّا تَماما
فزاد لَكَ اللهُ سُلطانَهُ * وزاد لك الخيرَ منه قَداما

فكساه مَرْوانُ وأمر له بثلاثين ناقةً وأوقرهنَّ له بُرًّا وزَبِيبًا وشعيرا .

هجاؤه شبيبا وقد وقع فيه عند يحيى ابن الحكم

قال : وكان أرطاةُ يُهاجى شَبيب بن البَرْصاء، ولكلِّ واحدٍ منهما فى صاحبه هجاءٌ كثير، وكان كلُّ واحد منهما ينفى صاحبَه عن عشيرته فى أشعاره، فأصلح بينهما

(١) صمد : قصد .
(٢) القلوص : الناقة الشابة . الوجى : الحفا . والسريح : الذى تشدّ به الخدمة فوق الرسغ . والخدام جمع خدمة (بالتحريك) هى السير الغليظ المحكم مثل الحلقة يشدّ فى رسغ البعير ثم يشدّ إليها سرائح نعلها .
(٣) فى س : « عنده » وهو تحريف .
(٤) الصغا : الميل .
(٥) القوانس : جمع قونس، وهو أعلى البيضة من الحديد .
(٦) نزعت : جريت .

يحيى بن الحكم، وكانت بنو مُرّة تألفه وتنتجعه لصهره فيهم. فلما افترقا سَبَعه[1] شبيب عند يحيى بن الحكم؛ فقال أرطاةُ له:

رمتك فلم تُشْوِ[2] الفؤادَ جَنوبُ * وما كلّ من يَرْمي الفؤادَ يُصيبُ

وما زوّدتْنا غيرَ أن خلَطتْ لنا * أحاديثَ منها صادقٌ وكَذوبُ

ألا مُبلغٌ فتيانَ قومي أنّني * هجاني ابنُ برصاءِ اليدين شبيبُ

وفي آل عوفٍ من يهودَ قبيلةٌ * تَشابهَ منها ناشئون وشِيبُ

أبي كان خيراً من أبيكَ ولم يزلْ * جَنيبًا لآبائي وأنت جَنيبُ[3]

وما زلتُ خيرًا منكَ مذ عضَّ كارهًا * برأسك عاديُّ النِّجاد رَسوبُ

فما ذنبُنا إن أمُّ حمزةَ جاورتْ * بيثربَ أتياسًا لهنّ نَبيبُ[4]

وإنَّ رجالًا بين سَلْعٍ وواقمٍ[5] * لأيرِ أبيهم في أبيكَ نَصيبُ

فلو كنتَ عوفيًّا عَميتَ وأسهلتْ * كُداكَ[6] ولكنّ المُريبَ مُريبُ

حرص العوفيين على العمى عند الكبر

١٤٢ / ١١

فأخبرني عمي قال حدثنا الكُرانيّ قال حدثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ قال: لما قال هذا الشعرَ أرطاة في شبيب بن البرصاء كان كلُّ شيخ من بني عوفٍ يتمنّى أن يَعمى — وكان العَمى شائعًا في بني عوف كلّما أسنّ منهم رجل عَمِي — فعُمِّر أرطاة ولم يَعْمَ، فكان شبيبٌ يعيّره بذلك. ثم مات أرطاة وعَمِي شبيب، فكان يقول بعد ذلك: ليتَ أرطاةَ عاش حتى يراني أعمى فيعلمَ أنّي عوفيّ.

(١) سبعه: شتمه ووقع فيه بالقول القبيح. (٢) لم تشو: لم تصب الشوى، والشوى: كل ما كان غير مقتل من الأعضاء. وجنوب: اسم امرأة. (٣) الجنيب: المنقاد. (٤) النبيب: صياح التيوس عند هياجها. (٥) سلع: جبل متصل بالمدينة. وواقم: أطم من آطامها وإليه تنسب حرة واقم. (٦) كدى: جمع كدية (بالضم) والكدية: الأرض الغليظة. يريد: لو كنت من بني عوف بن سعد بن ذبيان لعميت مثل كثيرين منهم ولسهلت أرضك الغليظة.

ما كان له مع شبيب وقد تمنى لقاءه فى يوم قتال

ونسخت من كتاب ابن الأعرابىّ فى شعر أرطاة قال: كان شبيبُ بنُ البَرصاء يقول : وددت أنّى جمعنى وابنَ الأمَةِ أرطاةَ بنَ سُهَيَّة يومُ قتال فأشفى منه غيظى. فبلغ ذلك أرطاة فقال له :

إنْ تَلْقَنى لا تَرَى غيرى بناظِرةٍ * تنسَ السلاحَ وتعرفْ جبهةَ الأَسَدِ (١)

ما ذا تظنُّكَ تُغنى فى أخى رَصَدٍ * من أُسْدِ خفّانَ جابِى العَينِ ذى لِبَدِ (٢)

— جابى العين وجائب العين : شديد النظر —

أبى ضَراغمَــةٍ غُبْرٍ يعَــوِّدُها * أكلَ الرجال متى يَبْدأ لها يَعُدِ

يا أيهــا المتمنّى أن يُــلاقِيَنى * إن تَنْأَ آتِكَ أو إن تَبْغِنى تَجِــدِ

تَقِضِ اللُّبانةَ من مُرٍّ شَرائعُه * صَعبِ المَقادة تَخشاه فلا تَعُدِ (٣)

متى تَرِدْنِىَ لا تَصْدُرْ لمَصْدَرة * فيها نجاةٌ وإن أُصْدِرْكَ لا تَرِدِ

لا تحسبَنِّى كفَقْعِ القاعِ يَنقُره * جانٍ بإصبعِه أو بَيْضةِ البَــلدِ (٤) (٥) (٦)

أنا ٱبنُ عُقْفانَ معروفٌ له نَسَبى * إلا بمــا شاركتْ أُمٌّ على وَلَدِ

لاقى الملوكَ فأَثْأَى فى دمائِهــمُ * ثم اســتقرَّ بلا عَقْــلٍ ولا قَوَدِ (٧) (٨)

من عُصْبةٍ يَطعنُون الخيلَ ضاحيةً * حتى تَبَــدَّدَ كالمَزْءودة الشُّرُدِ (٩) (١٠) (١١)

ويَمنعون نساءَ الحىّ إن عَلِمت * ويَكشفون قَتامَ الغارة العمدِ (١٢)

---

(١) الناظرة : العين . (٢) فى ب ، س « ما ذا أظنك » . والتصحيح من نسخة ط . أخو رصد ، يقال رصده رصدا ورصدا بفتح الصاد : رقبه ، كرصده . والراصد : الأسد . والرصيد : السبع يرصد الوثوب ، كما فى القاموس . وخفان : موضع قرب الكوفة كان مأسدة .

(٣) الشرائع (جمع شريعة) وهى مورد الشاربة ، يقول : إن من يطمع فى مواردى يجد ماء مرا.

(٤) فقع القاع : الكمأة . (٥) الجانى : الذى يجنيها . (٦) بيضة البلد : الخامل الذى لا يعرف نسبه ، ويضرب به المثل للذل . (٧) أثأى : جرح وطعن .

(٨) أى لم يرزأ بدية ولا قصاص . (٩) الضاحية : البارزة . (١٠) المزءودة : [illegible]

(١١) الشرد (جمع شرود) : النافر . (١٢) القتام : الغبار .

أنا ابنُ صِرْمة[1] إن تَسأل خِيارَهمُ * أضربْ برِجلٍ فى ساداتهم ويَدى
وفى بنى مالك أمٌّ وزافِــرةٌ[2] * لا يدفع المجد من قَيْس إلى أحد
ضربتُ فيهم بأَعْراقى[3] كما ضَربت * عُروقُ ناعمةٍ فى أَبطَحٍ ثَئِــدِ
جَدّى قُضاعة[4] معروف ويعرفنى * جَبا رفيدة أهل السَّرو والعَدد

٥ أخبرنى عمى قال حدثنا محمد بن عبد الله الحَزَنْبل عن عمــرو بن أبى عمرو الشيبانىّ عن أبيه قال :

خبر حبـه لوجزة وبعض ما قال فيها

كان أرطاة بن سُهَيَّة يتحدث إلى امرأة من غَنِىّ يقال لها وَجْزَة، وكان يهواها ثم ٱفترقا وحال الزمان بينهما وكبر أرطاة، ثم اجتمعت غَنِىّ وبنو مُرّة فى دار، فمرّ أرطاة بوَجْزة وقــد هرِمت وتغيَّرت محاسنها وافتقرت ، فجلس إليها وتحدّث معها ١٠ وهى تشكو إليه أمرها، فلما أراد الآنصراف أمر راعيه فجاء بعشرة من إبله فعقلها بفِنائها وٱنصرف وقال :

مررتُ على حِدثَى[5] برَمّانَ[6] بعدما * تَقطَّعَ أقرانُ الصِّبَا والوَسائلُ
فكنتُ كظَبْيٍ مفلِتٍ ثم لم يزل * به الحَيْن[7] حتى أُعلِقته الحبائل[8]

أرطاة ينسب بوجزة

قال أبو الفرج الأَصبهانىّ : وقد ذكر أرطاةُ بنُ سهيةَ وجزةَ هــذه ، ونسب ١٥ بها فى مواضع من شعره ، فقال فى قصيدة :

(١) صرمة : هو ابن مرة بن عوف بن سعد ، من أسلاف أرطاة .
(٢) زافرة الرجل : عشيرته وأنصاره .
(٣) أعراق : أصولى . والناعمة : النبتة الحسنة الغذاء والرى . والأبطح : المسيل الواســع ، وثئد : ندىّ .
٢٠ (٤) قضاعة : جد الشاعر لأمه وهى سهية الكلبية . الجبا ، بالفتح : الحوض ، وما حول البئر . يعنى به جماعة القبيــلة . ورفيدة ابن ثور الجــد الأعلى لقبائل كلب الذين تنسب اليهــم أم الشاعر . والسرو : المروءة والندى .
(٥) الحدث : المحدث والمسامر . (٦) رمان : جبل فى بلاد طيء .
(٧) الحين : الهلاك . (٨) الحبائل جمع حبالة (بالكسر) وهى : التى يصاد بها .

وداوية نازعتُها الليلَ زائرا * لوجزة تهديني النجومُ الطوامس [1] [2]
أعوجُ بأصحابي عن القصد تعتلي * بناعُرض كسريها المطيّ العرامس [3] [4] [5] [6] [7] [8]
فقد تركتني لا أعيج بمشرب * فأروَى ولا ألهو إلى من أجالس [9]
ومن عجب الأيام أنْ كلّ منزل * لوجزةَ من أكناف رَمّان دارس [10]
وقد جاورت قصرَ العُذيب فما أرى * برمّانَ إلا ساخطَ العيش بائس [11]
طلابٌ بعيدٌ واختلافٌ من النوى * اذا ما أتى من دون وجزةَ قادس [12]
لئن أنجحَ الواشون بيني وبينها * وطال التنائى والنفوسُ النوافس [13]
لقد طالما عشنا جميعًا وودُّنا * جميعٌ إذا ما يبتغى الأُنسَ آنس [14]
كذلك صرْفُ الدهر ليس بتاركٍ * حبيبا ويبقى عمرُه المتقاعس

(١) الداوية، بتشديد الياء وتخفيفها: الفلاة الواسعة المستوية. (٢) النجوم الطوامس: التى ذهب نورها. (٣) أعوج: أميل. (٤) القصد: استقامة الطريق. (٥) تعتلى: ترتفع. (٦) كسرا كل شيء: ناحيتاه. (٧) المطى: جمع مطية، وهى الناقة التى يركب مطاها أى ظهرها. (٨) العرامس: جمع عرمس (بالكسر)، وهى الناقة الصلبة الشديدة.
(٩) لا أعيج بمشرب: لا أكترث له ولا أباليه. (١٠) أن هنا: مخففة من الثقيلة.
(١١) العذيب: واد بظاهر الكوفة، أو هو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال. وقصر العذيب: هو القصر الذى أشرف منه سعد بن أبى وقاص على جيش المسلمين فى قتاله مع جيش الفرس فى وقعة القادسية. انظر معجم ما استعجم للبكرى، ومعجم البلدان لياقوت، وتاريخ الطبرى (القسم الأول ص ٢٣٥١ طبع أوربا). (١٢) النوى: النية، والقصد لبلد غير الذى أنت مقيم فيه، والبعد والتحول. وقادس: أراد بها القادسية. قال الكميت:

كأنى على حب البويب وأهله * يرى بالجباتين العذيب وقادسا

انظر معجم ما استعجم فى رسم: «الجابي». (١٣) كذا فى جـ. والنوافس: جمع نافس، وهو الحاسد. وفى بقية الأصول: «النفائس» وهو تحريف لأن «فعائل» لا يطرد فى «فاعل» سواء أكان اسما أو وصفا، وإنما الذى يطرد فيه «فواعل». انظر شرح الأشمونى (ج ٣ ص ١٧٧ طبع بولاق). (١٤) كذا فى ب، س وفى ط: «إلى ما يبتغى». وفى جـ: «إلى من يبتغى».

وقال ابن الأعرابي : كانت بين أرطاةَ بن سُهَيَّةَ وبين رجلٍ من بني أسد يقال له حيان مهاجاة ، فاعترض بينهما حُبَاشةُ الأسديّ فهجا أرطاةَ فقال فيه أرطاةُ :

أبلغ حُبَاشةَ أني غيرُ تاركه * حتى أُذَلِّلَهُ إذ كان ما كانا

الباعثَ القولِ يُسْدِيه ويُلْحِمه * كالمُجْتَدِي الشَّكْلَ إذ حاورتُ حيانا

إنْ تدعُ خندفَ بغيًا أو مكاثرةً * أدعُ القبائلَ من قيس بن عَيْلانا

قد تَحْبِس الحقَّ حتى ما يجاوزنا * والحقُّ يحبسنا في حيثُ يلقانا

نبني لآخرِنا مجدًا نُشَيِّده * إنَّا كذاك ورثْنا المجدَ أولانا

وقال ابنُ الأعرابي : وفدَ أرطاةُ بنُ سُهَيَّةَ إلى الشام زائرا لعبد الملك بن مروانَ عامَ الجماعة[1] ، وقد هنَّأَهُ بالظَّفَر ، ومدحه فأطال المُقَامَ عنده ، وأرجفَ أعداؤه بموته ، فلما قدم — وقدْ ملأ يدَيْه — بلَغَهُ ما كان منهم ، فقال فيهم :

١٠

إذا ما طَلَعْنا من ثَنِيَّةِ لَفْلَفٍ[2] * فخبِّرْ رجالا يَكْرَهُون إيابي

وخبِّرْهُمُ أني رجعتُ بغبطة * أُحَدِّدُ أظْفَاري ويَصْرِفُ[3] نابي

وإني ابنُ حرب لا تزالُ تَهِرُّني * كلابُ عدوّي أو تهِرُّ كلابي

أرطاة وزميل يتلاحيان

وقال أبو عمرو الشَّيْباني : وقع بين زُمَيْل[4] قاتلِ ابن دارةَ وبين أرطاةَ بنِ سُهَيَّةَ لِحاءٌ ، فتوعده زُمَيل ، وقال : إني لأحسَبُك ستَجْرعُ مثل كأس ابن دارة . فقال له أرطاةُ :

١٥

(١) المعروف أن عام الجماعة هو عام ٤١ هـ حينما تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة إلى معاوية وعبد الملك بن مروان ولي الخلافة سنة ٦٥ . وعام الجماعة هنا العام الذي فرغ فيه عبد الملك من قتال الزبيريين والخوارج ، وقتله عمرو بن سعيد الأشدق وكان يشارك عبد الملك في الخلافة . (٢) لفلف : بلد تجاه برد من حرة ليلى . وهي من أداني ديار بني مرة (عن معجم ما استعجم للبكري) . وفي هامش ط : «ويروى فبشر رجالا» . (٣) صريف الأنياب : حرقها وسماع صوتها . (٤) زميل : هو زميل ابن عبد مناف الفزاري ، تولى قتل ابن دارة لأنه هجا ثابت بن رافع الفزاري وهجا كذلك فزارة جميعا فقال :

٢٠

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها بأسيار

وابن دارة هذا : هو سالم بن مسافع . ودارة أمه . (انظر الشعر والشعراء ص ٢٣٦ طبع ليبسك) .

يا زملُ إنى إنْ أكُنْ لك سائقا * تَرْكُضْ بِرِجْلَيْك النجاة وأَلْحَقِ
لا تحسَبَنِّى كامرئٍ صادفتَه * بِمَضِيعَة نخدشتَه بالمِرْفَقِ
إنِّى امرؤٌ أوفِى إذا قارعتكُمْ * قَصَبَ الرِّهَانِ وما أشأْ أتعرّقِ (١)

فقال له زميل :

يا أرطَ إن تكُ فاعلا ما قلتَهُ * والمرء يستحيى إذا لم يَصْدُقِ
فافعل كما فعل ابنُ دارةَ سالمٌ * ثم امش هَوْنَكَ (٢) سادرا لا تتّقِ
وإذا جعلتُكَ بين لَحْيَىْ شابكِ الـ * أنياب فارْعُد ما بدا لك وابرُقِ

أخبرنى أبو الحسن الأسدىّ، قال: حدّثنا الرِّيَاشىُّ، قال: حدّثنا الأصمعىُّ قال: قال أرطاةُ بنُ سُهَيّةَ للرّبيع بن قَعْنَبٍ :

لقد رأيتُك عُرْيانا ومؤْتَزِرًا * فما عرفتُ أأُنْثَى أنتَ أمْ ذَكَرُ؟

فقال له الربيعُ : لكنْ سُهَيّةُ قد عرفَتْنى . فغلبه وانقطع أرْطاةُ .

١٤٤ / ١١

عبد الرحمن ابن سهيل يتزوج أم هشام و يأخذ عليها المواثيق عند وفاته ألا تتزوج بعده ولكنها تزوجت عمر بن عبد العزيز

أخبرنى عمى، قال: حدثنا الحسنُ بن عُلَيْلٍ العنزى قال: حدّثنا قَعنبُ بنُ المحرّز عن الهَيْثم بن الربيع عن عمرو بن جَبَلةَ الباهلىّ قال: تزوّج عبد الرحمن بنُ سُهَيل ابن عمرو أمّ هشام بنتَ عبدِ الله بنِ عمرَ بنِ الخطاب، وكانت مِنْ أجمل نساء قُرَيْش (٣)، وكان يجدُ بها وَجْدًا شديدا، فمرِض مَرْضَتَهُ التى هَلَك فيها، فجعل يُدِيمُ النظرَ إليها وهى عندَ رأسه، فقالت له : إنك لتَنْظُرُ إلىّ نظر رَجلٍ له حاجة. قال: إى والله إن لى إليك حاجةً لو ظفرتُ بها لهَان على ما أنا فيه . قالت : وما هِىَ؟ قال : أخافُ أنْ تَتَزَوّجى بَعْدى . قالت : فما يُرْضِيكَ مِن ذَلك؟ قال : أن تُوثِّق لى

(١) أتعرق : أذهب .
(٢) الهون ومثله الهوينى : التؤدة والرفق . والسادر هنا : الذى لا يهتم لشىء ولا يبالى ما صنع .
(٣) فى أغلب النسخ : « قيس » . والتصويب من جـ ونسخة الشنقيطى .

بالأيمان المُغَلَّظة . فحلفتْ له بكُلِّ يَمِينٍ سكنَتْ إليها نفسُه ثم هَلَك . فلما قَضتْ عدتها خطبها عمرُ بن عبد العزيز وهو — أميرُ المدينة — فأرسَلتْ إليه : ما أراكَ إلا وقد بلغتكَ يميني . فأرسَلَ اليها : لك مكانَ كُلِّ عبدٍ وأمةٍ عبدان وأمتان ، ومكانَ كُلِّ عِلْقٍ عِلْقان[1] ، ومكانَ كُلِّ شيء ضِعْفُه . فتزوّجَتْه ، فدخَلَ عليها بطالٌ بالمدينة ، وقيل : بل كان رجلًا من مشيخةِ قريشٍ مُغَفَّلًا ، فلما رآها مع عمرَ جالسةً قال :

تبدلتِ بعد الخيزرانِ جريدةً * وبعدَ ثيابِ الخزِّ أحلامَ نائمِ

فقال له عمر : جعلتني ويلك جريدة وأحلام نائم ! فقالت أمّ هشام : ليس كما قلتَ ، ولكن كما قال أرطاة بن سهيّة :

وكائنْ تَرَى من ذاتِ بثٍّ وعَوْلَةٍ * بكت شجوها بعد الحنين المُرجَّعِ

فكانت كَذاتِ البَوِّ[2] لمَّا تعطفتْ * على قطعٍ من شِلْوِهِ المُتَمزِّعِ

مَتى لا تجِدْه تَنْصَرِفْ لِطياتها[3] * منَ الأرضِ أو تَعمدْ لإلفٍ فتَرْبَعِ

عَنِ الدهرِ فاصفحْ إنه غيرُ مُعتِبٍ * وفي غيرِ مَن قد وارَتِ الأرضُ فاطمعِ

وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ يرثي بها أرطاةُ ابنه عمرا .

أرطاة يقيم عند قبر ابنه حولا ويرق قومه لحاله بعد ذلك فيقيمون عامهم ذلك

أخبرني مُحَمَّدُ بنُ عِمْرانَ الصَّيْرَفيُّ ، قال : حدثنا الحسنُ بنُ عُلَيْلٍ ، قال : حدثنا قَعْنَبُ بنُ المحرز عن أبي عبيدة ، قال : كان لأرطاةَ بن سُهَيَّةَ ابنٌ يُقال له : عمرو ، فمات ، فجزِعَ عليه أرطاةُ حتى كاد عقلُه يذهبُ ، وأقامَ على قبره ، وضرب بيتَه عنده لا يفارقه حولا . ثم إن الحيَّ أراد الرَّحيلَ بعد حول لنُجعةٍ بَغَوها ، فغدا على قبره ، فجلسَ عندَه

(١) العلق : النفيس من كل شيء .

(٢) البو : جلد الحوار يحشى ثماما أو تبنا أو غيرهما فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر .

(٣) طياتها (غير مشددة) : أراد بها طيّاتها (بالتشديد) فحذف الياء الثانيــة . وهى جمع طية . والطية هنا : الوجه الذى يراد و يقصد . وقد نص صاحب اللسان على تخفيف ياء هذا الجمع فى الشعر .

حتى إذا حان الرواحُ ناداه: رُحْ يا ابنَ سَلْمَى مَعَنا! فقال له قومُه: نَنْشُدُك الله فى نفسك وعقلِك ودينك، كيف يروحُ معك من ماتَ مُذْ حَوْلٍ؟ فقال: أَنْظِرونى الليلةَ إلى الغد. فأقاموا عليه، فلمَّا أصبح ناداه: اغدُ يا ابنَ سلمى معنا، فلم يَزَلِ الناسُ يُذَكِّرُونه اللهَ ويُنَاشِدُونَه، فانتضى سَيْفَهُ وعقرَ راحلتَه على قبره، وقال: واللهِ لا أَتْبَعُكُمْ فامضُوا إن شئتم أو أَقيمُوا. فرقُّوا له ورحِمُوه، فأقاموا عامهم ذلك، وصبرُوا على منزلِهِمْ. وقال أرطاةُ يومئذٍ فى آبنه عمرو يرثيه:

وقفتُ على قبرِ آبن سلمى فلم يَكُنْ * وقوفى عليه غيرَ مَبْكًى ومَجْزَع

هل آنتَ آبنَ سلمى إن نظرتُك رائحٌ * مع الركبِ أو غادٍ غداةَ غدٍ معى

أأنسى آبنَ سَلْمَى وهو لم يأتِ دونَه * من الدهرِ إلا بعضُ صيفٍ ومَرْبَع

وقفتُ على جُثمان عمرو فلم أجد * سوى جَدَثٍ عافٍ بِبَيْداءَ بلقع

ضربتُ عمودَى بانةٍ(1) سَمَوَا معًا * فخرَّت ولم أُتبِعْ قَلُوصى بدَعْدَع

ولو أنها حادت(2) عن الرمسِ نلتُها * ببادرةٍ من سيفِ أشهبَ(3) مُوقَع

تركْتُك إن تَحْيَ تَكُوسِى(4) وإن تَمُتْ * على الجُهْدِ تَخْذُلْها توالٍ فتَصْرع

فدع ذِكْرَ مَنْ قد حالت الأرضُ دونه * وفى غيرِ من قد وارت الأرضُ فاطمَع

أرطأة يناجى قبر ولده فى العشى حولا كاملا

وقد أخبرنى بهذا الخبرِ محمدُ بن الحسنِ بن دُرَيْدٍ عن أبى حاتم عن أبى عبيدةَ، فذكر أن أرطاةَ كان يجىءُ إلى قبرِ ابنه عَشِيًّا فيقول: هل أنت رائحٌ معى يا ابن سَلْمى؟ ثم ينصرفُ فيغدو عليه ويقولُ له مثلَ ذلك حَوْلًا، ثم تَمَثَّل قولَ لبيد:

إلى الحول ثمَّ اسمُ السلامِ عليكما * ومن يبكِ حَوْلًا كاملًا فقد اعتذَرْ

(1) البانة: واحدة شجر البان، وهو شجر يسمو ويطول فى استواء. وسموا معا ارتفعا. وفى النسخ «شمرا» ولا وجه له. شبه بها راحلته التى عقرها على قبر ابنه. ودعدع: كلمة يدعى بها للعاثر فى معنى قم وانتعش واسلم.
(2) فى ط: «جارت». (3) الأشهب: النصل الذى برد بردا خفيفا فلم يذهب سواده كله. والموقع هنا: الوقيع. والوقيع من السيوف ما شحذ بالحجر. (4) تكوسى: تمشى على ثلاث قوائم.

أخبرني حبيبُ بن نصر المُهَلَّبيّ ، قال : حدثنا عمرُ بن شبة قال حدثنا المدائني قال : قال أرطاةُ بن سُهَيَّة يومًا للربيع بن قعنب كالعابث به :

لقد رأيتك عُرْيانًا ومُؤْتَزِرًا * فما دريتُ أأنثى أنت أم ذَكَرُ

فقال له الربيعُ :

لكن سُهَيَّةُ تدرى إذ أتيتكمُ * على عُرَيجاءَ لما احتلَّت الأُزُرُ[1]

فغلبهُ الربيعُ ، وَلَجَّ الهجاءُ بينهما ، فقال الربيعُ بنُ قَعْنب يهجو أرطاةَ :

وما عاشَت بَنُو عُقْفانَ إلا * بأحلامٍ كأحلامِ الجَوَارى

وما عُقْفَانُ من غَطَفَان إلا * تَلَمُّس مُظْلِم بالليل سارى

إذا نَحَرَتْ بنو غيظ جَزُورًا * دَعَوْهُمْ بالمراجل والشِّفار

طُهاة اللحم حتى يُنْضِجُوه * وطاهى اللحم فى شُغْلٍ وعار

فقال أرطاةُ يُجيبه ويعيِّره بأَن أمَّه من عبد القيس :

وهذا الفَسْوُ[2] قد شاركتَ فيه * فمَن شاركتَ فى أَير الحمار[3]

وأىُّ الناس أخبثُ مِنْ هِبَلٍّ[4] * فزارىٍّ وأخبثُ ريحَ دار

(١) عريجاء : موضع . احتلت ، كذا وردت . والمعروف «انحلت» .

(٢) الفسو عرف به حى من عبد القيس يقال لهم الفساة . حكى أنه جاء رجل منهم يقال له زيد بن سلامة ببردى حبرة إلى سوق عكاظ فقال : من يشترى منا هذا الفسو بهذين البردين ، فقام رجل من مهو ، يقال له : عبد الله بن بيذرة فارتدى بأحدهما واتزر بالآخر فسمى مشترى الفسو ببردى حبرة فضرب به المثل فقيل « أخيب صفقة من شيخ مهو » . انظر اللسان والقاموس وشرحه (مادة فسا) .

(٣) نبزه بذلك لما كانت تعير به فزارة من أكل أير الحمار . قال سالم بن دارة :

لا تأمنن فزار يا خلوت به * على قلوصك واكتبها بأسيار

لا تأمنه ولا تأمن بوائقه * من بعد ما امتل أير العير فى النار

(٤) الهبل : الثقيل المسن الكبير من الناس والإبل .

مسرف بن عقبة يطرد قومه ومعهم أرطاة لما استرفدوه بعد التهنئة والمديح بفوزه على أهل الحرة

أخبرنى عبدُالله بنُ محمد اليزيدىّ، قال: حدثنا أحمدُ بنُ الحارث الخرّازُ، قال: حدثنا المدائنىّ عن أبى بكرٍ الهُذَلى، قال: قدم مُسْرِفُ بنُ عقبةَ المرىّ (١) المدينة، وأوقعَ بأهلِ الحرة، فأتاه قومُه مِن بنى مُرّةَ وفيهم أرطاةُ فهنّئوه بالظفر واسْتَرْفَدُوهُ (٢) فطردهم ونَهَرَهُم، وقام أرطاةُ بن سُهَيّةَ يمدحه فتجهّمَهُ بأقبح قولٍ وطردَه. وكان فى جيشِ مُسْرِفٍ رجلٌ من أهل الشام من عُذْرةَ، يقال له عُمَارةُ، قد كان رأى أرطاةَ عند معاويةَ بن أبى سفيانَ، وسمع شعرَه، وعرفَ إقبالَ مُعاويةَ عليه، ورفدهله، فأومأ إلى أرطاةَ فأتاه، فقال له: لا يغرُرْك مابدا لك من الأمير، فإنه عليلٌ ضَجِرٌ، ولو قدْ صَحَّ واستقامتِ الأمورُ لزال عما رأيتَ من قوله وفعله، وأنا بكَ عارفٌ، وقد رأيتُكَ عند أميرِ المؤمنين — يعنى مُعاوية — ولن تعدمَ منى ماتُحِبُّ. ووَصَلَهُ وكساه وحملَه على ناقةٍ، فقال أرطاةُ يمدحُه ويهجو مُسْرِفًا :

لَحَا الله فَوْدَى مُسْرِف وابنِ عمه ❋ وآثارَ نَعْلَىْ مسرف حيث أثّرا
مررتُ على رَبْعَيْهِما فكأنّنى ❋ مررتُ بجبّارَيْنِ (٣) من سَرْوِ حِمْيرا
— ويروى: «تضيَّفتُ جبّارَيْنِ» —
على أن ذَا العَلْيا عُمَارةَ لم أجِدْ ❋ على البُعْدِ حُسْنَ العهد منه تَغيّرا
حبانى ببُرْدَيْه وعَنْسٍ (٤) كأنما ❋ بنى فوق مَتْنَيْها الوليدان قَهْقَرا

(١) مسرف: لقب مسلم بن عقبة المرى، لقب به لأنه أسرف فى القتل فى وقعة الحرة.
(٢) استرفدوه: طلبوا الرفد وهو العطاء.
(٣) الجبار هو: الملك أو هو المتكبر الذى لا يرى لأحد عليه حقا. وسرو حمير: محلتهم. وبه فسر قول ابن مقبل:
بسرو حمير أبوال البغال به ❋ أنى تسديت وهنا ذلك البينا
انظر تاج العروس مادة (سرو).
(٤) العنس: الناقة الصلبة القوية. والوليد هنا: العبد أو الغلام. والقهقر: جمع القهقرة، وهى الصخرة العظيمة. يريد: إن ما على متنيها من اللحم مثل الصخرة العظيمة. وقد يكون «القهقر» لغة فى «القهقور» كعصفور، وهو بناء من حجارة طويل يبنيه الصبيان. القاموس (قهر).

أرطاة يسب من تطاولت على أمه ويضربها فيلومه قومه

وقال أبو عمرو الشيبانيّ : خاصمتْ امرأةٌ من بنى مُرة سُهية أمَّ أرطاةَ بن سهية ، وكانت من غيرهم أُخيذة أخذها أبوه ، فاستطالت عليها المرأة وسبَّتها ، فخرج أرطاة إليها فسبها وضربها ، فجاء قومُه ، ولاموه ، وقالوا له : مَالَكَ تُدْخِلُ نفسَكَ فى خُصُوماتِ النساءِ ! فقال لهم :

يُعَيِّرُنى قومى المَجَاهلَ والْخَنَا(1) * عليهم وقالوا أنتَ غيرُ حليم

هل الجهلُ فيكم أن أُعاقِبَ بعدما * تجوّزَ سَبِّى واسْتُحِلَّ حريمى

اذا أنا لم أَمنعْ عَجُوزِىَ منكُمُ * فكانت كأُخْرَى فى النساءِ عقيم

وقد علمتْ أفناءُ(2) مُرَّة أننا * إذا ما اجتدانا(3) الشرّ كلُّ حميم

حماةٌ لأحسابِ العشيرة كلِّها * إذا ذُمَّ يومَ الرَّوعِ كلُّ مُليم(4)

وتمامُ الأبياتِ التى فيها الغناءُ، المذكورةِ قبل أخبارِ أرطاةَ بنِ سُهَيَّة ، وذكرت فى قوله فى قتلى من قومه قُتِلُوا يوم بناتِ قينٍ(5) — هو :

فَلَا وأبيكَ لا تَنفَكُّ نَبْكِى * على قتلى هُنَا لكَ ما بَقِينَا

على قَتْلَى هنا لك أو جُعِتْنا * وأَنْسَتْنا رِجالًا آخرينَا

---

(1) المجاهل : هذا الجمع ليس له واحد يجمع عليه إلا قولهم « جهل » وفعل لا يكسر على مفاعل فمجاهل هنا : واحده جهل على غير قياس ، كما كسروا ملامح ومحاسن على لمحة وحسن على غير قياس .

(2) كذا فى ط . والأفناء : الأخلاط . وفى سائر الأصول « أبناء » .

(3) اجتدانا الشر : طلب إلينا الشر ، وهو يريد طلب معونتنا لدفع الشر . فسمى المعونة شرا للشاكلة . (4) المليم : الذى يأتى ذنبا يلام عليه .

(5) بنات قين : آكام معروفة فى ديار بنى كلب كانت بها وقعة لبنى فزارة على كلب زمن عبد الملك ابن مروان . قال عويف القوافى :

صبحناهم غداة بنات قين * ململمة لها لجب طحونا

انظر اللسان (مادة قين) ومعجم ما استعجم للبكرى .

سَنَبْكِى بالرِّماحِ إذا التقينا * على إخواننا وعلى بنينا
بطعنٍ تُرْعَدُ الأحشاءُ منه * يردُّ البِيضَ والأبدانَ جُونا[1]
كأنّ الخيلَ إذْ آنسن كَلْبًا[2] * يَرَيْنَ وراءهُمْ ما يبتغينا

صوت

عجبتُ لِمَسْراها وأنَّى تخلَّصت * إلىَّ وبابُ السجن بالقفل مُغْلَقُ[3]
ألمَّتْ فحيَّتْ ثم قامت فودَّعتْ[4] * فلما تولت كادت النفسُ تَزْهَقُ

الشعرُ لجعفرَ بن علبةَ الحارثىّ، والغناءُ لمعبدٍ ثقيل أوّلَ بالسبّابَة فى مَجْرَى البِنْصر عن إسحاقَ . وذكر عَمرُو بنُ بانة أن فيه خفيفا ثقيلا أوّلَ بالوسْطى لابن سُرَيج . وذكر حمادُ بنُ إسحاقَ أن فيه خفيفَ الثقيل للهُذَلى .

---

(١) البيض : السيوف . والأبدان معناه : الدروع القصيرة . والجون هنا : الحمر من كثرة الدم السائل من الجراح .
(٢) كلب : قبيلة .
(٣) كذا فى ب، س . وفى جـ وأشعار الحماسة (طبع أوربا ص ٢٢) : « دونى مغلق » .
(٤) فى ط : « ولت » ، وكتب بهامشها : كلمة « قامت » وتحتها لفظة (صح) .

أخبـار جعفر بن عُلبة الحارثى ونسبه

أخبار جعفر بن علبة الحارثى ونسبه

هو جَعْفَرُ بْنُ علبةَ بن ربيعةَ، بن عبدِ يغوثَ الشاعرِ أسيرِ يومِ الكُلَاب، (١) بن معُاويةَ بن صلاءةَ بن المُعَقَّل بن كعبِ بن الحارثِ بن كعبٍ، ويكْنَى أبا عَارِمٍ، وعارمٌ ابنٌ له قد ذكَره فى شعره . وهو من مُخَضْرَمى الدولتين الأموية والعباسية، شاعرٌ مُقلٌّ غَزِلٌ فارسٌ مَذْكورٌ فى قومه. وكان أبوه علبةُ بن ربيعةَ شاعرا أيضا، وكان جعفرٌ قَتَـلَ رجلا من بنى عقيل : قيـل : إنه قتلَهُ فى شأنِ أَمَةٍ كانا يزورانها فتغايرا عليها . وقيل : بل فى غارةٍ أغارها عليهم . وقيل : بل كان يُحَدِّث نساءهم فنهَوْه فلم يَنْتَهِ، فَرَصـدُوه فى طريقه إليهن فقاتلوه فَقَتَل منهم رجُلا فاستَعْدَوْا عليه السُّلطان فأقادَ منه (٢) . وأخبارُه فى هذه الجهاتِ كلُّها تُذْكر وتُنْسَبُ إلى مَنْ رَوَاها .

١٤٧ / ١١

أخبرنى محمدُ بنُ القاسمِ الأنبارىّ، قال : حدّثنى أبى، قال : حدّثنى الحسنُ ابنُ عبد الرحمن الرّبعىّ ، قال : حدّثنا أبو مالكٍ اليمانىّ ، قال : شرب جعفرُ بنُ عُلْبَةَ الحارثىّ حتى سَكِرَ فأخذه السُّلطانُ فحبسه ، فأنشأ يقولُ فى حبسه :

لقـد زَعَموا أنى سكِرتُ ورُبَّمـا * يكونُ الفتى سَـكرانَ وهْـوَ حَليم
لعمرُك ما بالسّكرِ عارٌ على الفـتى * ولَكِـنَّ عارًا أن يُقَـالُ لئـيمُ
وإنّ فَتًى دامت مواثيقُ عهـده * عـلى دونِ (٣) ما لاقيتُـه لكريمُ

---

(١) كذا فى جميع الأصول وفيما سيأتى فى أخبار عبد يغوث ونسبه . والمعروف أن عبد يغوث أسير يوم الكلاب هو : عبد يغوث بن وقاص بن صلاءة . انظر النقائض ص ١٤٩ (طبع أوروبا) والأمالى ج ٣ ص ١٣٠ (طبع دار الكتب) والاغانى ج ١٥ ص ٧٢ (طبع بولاق) .

(٢) أقاد منه : قتله به .

(٣) فى ح : « مثل » .

قال: ثم حُبِس معه رجل من قومه من بنى الحارث بن كعب فى ذلك الحبس، وكان يقال له دَوْرانُ(1)، فقال جعفر:

إذا بابُ دورانٍ ترنّم فى الدّجَى * وشُدّ بأغلاقٍ علينا وأقفالِ
وأظلم ليلٌ قامَ علجٌ بِجُلْجُلٍ(2) * يدورُ به حتّى الصباحِ بإعمالِ
وحراسُ سَوْءٍ ما ينامون حَوْلَهُ * فكيفَ لمظلومٍ بحيلةِ مُحْتالِ
ويصبِرُ فيه ذُو الشجاعةِ والنّدى * على الذّلِ للمأمورِ والعِلْجِ والوالى

جعفر بن علبة وعلى ابن جعدب يغيران على بنى عقيل

فأما ما ذكر أن السبب فى أخذ جعفرٍ وقتلِه فى غارةٍ أغارها على بنى عُقيل، فإنى نسختُ خبرَه فى ذلك من كتاب عمرو بن أبى عمرو الشيبانى يأثُره عن أبيه. قال: خرج جعفرُ بنُ علبةَ وعلىُّ بنُ جُعْدُبٍ الحارثى القنانى والنضرُ بن مُضارب المعاوى، فأغاروا على بنى عُقيل. وإن بنى عقيل خرجوا فى طلبهم وافترقوا عليهم فى الطريقِ ووضعوا عليهم الأرصادَ على المَضايق، فكانوا كلما أفلتوا من عصبةٍ لقيتهم أخرى، حتى انتهَوْا إلى بلادِ بنى نهدٍ فرجعتْ عنهم بنو عُقيل، وقد كانوا قَتَلُوا فيهم، ففى ذلك يقول جعفر:

---

(1) كذا فى جميع الأصول. ولم نهتد إلى مكان هذا السجن فيما لدينا من المصادر. وإنما المعروف — كما فى معجم ما استعجم ومعجم البلدان — «دوّار» بفتح الدال وتشديد الواو. وهو اسم سجن باليمامة. قال جرير، وقد نهى قوما من بنى كليب عن شىء، وقع بينهم فلم ينتهوا فحبسوا وقيدوا فى سجن اليمامة:

لما عصتنى كليب اللؤم قلت لها * ذوقى الحديد وشمى ريح دوّار

وقال السمهرى وقد سجن فيه:

كانت منازلنا التى كنا بها * شتى فألف بيننا دوّار

راجع معجم ما استعجم للبكرى وكذلك معجم البلدان لياقوت.

(2) العلج هنا: الرجل الشديد الغليظ. والجلجل: الجرس الصغير.

ألا لا أبالى بعد يومٍ بسَحْبَلٍ[(١)] * إذا لم أُعَذَّبْ أن يجئ حِماميا

تركت بأعلى سَحْبل ومَضيقه * مُرَاقَ دَمٍ لا يبرح الدهرَ ثاويا

شَفَيْتُ به غيظى وجُرِّب موطنى[(٢)] * وكان سَناءً[(٣)] آخرَ الدهر باقيا

أرادوا لِيَثْنُونى فقلت تجنبوا * طريقى فمالى حاجةٌ من ورائيا

فدًى لبنى عمٍّ أجابوا لدعوتى * شَفَوا من بنى القَرعاء عمّى وخاليا

كأنّ بنى القرعاء يوم لقيتُهم * فِراخُ القطا لاقَيْن صَقْرًا يمانيا

تركناهمُ صَرْعى كأنّ ضَجيجَهم * ضَجيجُ دَبارَى[(٤)] النِّيب لاقت مُداويا

أقولُ وقد أَجْلَت من اليومِ عركةٌ[(٥)] * لِيبكِ العُقَيْلِيِّين من كان باكيا

فإنّ بقُرَّى[(٦)] سَحْبل لأمارةً * ونَضْحَ دماء منهم ومَحَابيا

— المَحَابى : آثارهُم ، حَبَوْا من الضعف للجراح التى بهم —

ولم أتْرُك لى رِيبةً غير أننى * وددت مُعاذا كان فيمن أتانيا

— أراد : وددت أن مُعاذا كان أتانى معهم فأَقْتُلَه —

شفيتُ غليلى من خُشَينة بعد ما * كسوتُ الهُذَيْلَ[(٧)] المَشْرَفِىَّ اليمانيا

أحقًّا عبادَ الله أن لست رائيا * صحارِىَ نجدٍ والرِّياحَ الذواريا

---

(١) سحبل : موضع فى ديار بنى الحارث بن كعب . وهو الموضع الذى أدركت فيه بنو عقيل جعفر ابن علبة فقاتلهم وقتل منهم كما سيأتى . و يقال لكل ما عظم واتسع سحبل كالجراب والوطب .

(٢) موطنى : موقفى . (٣) السناء (بالمدّ) : المجد والشرف والرفعة . والنيب جمع ناب ، والناب : الناقة المسنة . (٤) دبارى النيب : التى أصابها الدبر . (٥) العركة : المرة من العراك . (٦) قرى هنا : موضع فى بلاد بنى الحارث بن كعب . وحكى البكرى فى معجم ما استعجم عن أبى حنيفة أن : قرى ماءة قريبة من تبالة . وفى جميع الأصول : «بقرنى» وهو تحريف . وما أثبتناه عن معجم ما استعجم للبكرى ومعجم البلدان لياقوت وأشعار الحماسة (ص ١٩ طبع أوروبا) .

(٧) خشينة والهذيل : شخصان كانا فيمن التق بجعفر من العقيليين فقتل جعفر خشينة وعرقب الهذيل : ضربه فى عرقوبه .

ولا زائرا شُمَّ العرانين أنتمى * إلى عامر يحلُلْن رَمْلًا مُعاليا

إذا ما أتيتَ الحارثياتِ فَانْعَنِى * لهن وخبِّرْهُنّ أن لا تَلاقيا

وقوِّد (١) قَلوصى بينهن فإنها * ستُبْرِدُ أكبادا وتُبْكِى بواكيا

أوصِّيكُمُ إن متُّ يوما بعارم (٢) * لِيُغْنِىَ شيئا أو يكونَ مكانيا

ويروى :

وعطّل (٣) قلوصى فى الرّكاب فانها * ستبرد أكبادا وتبكى بواكيا

وهذا البيت بعينه يُرْوى لمالك بنِ الرَّيْبِ فى قصيدته المشهورة التى يرثى بها نفسه . وقال فى ذلك جعفرٌ أيضا :

وسائلةٍ عنا بغَيْب وسائلٍ * بمَصْدَقِنا فى الحرب كيف نُحاول

عشيةَ قُرَى سَحْبَل إذ تعطَّفت * علينا السرايا (٤) والعدوُّ المُباسل

ففرج عنا اللهُ مَرْحَى (٥) عدوِّنا * وضربٌ ببيض المَشْرفيّة خابِل

إذا ما قرى (٦) هامَ الرءوس اعترامُها (٧) * تعاورَها (٨) منهم أكفٌّ وكاهل (٩)

(١) قوّد : أكثر القياد . والقلوص : الفتية من الإبل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء . وفى أساس البلاغة : «فى الركاب» بدل «بينهن» . (٢) عارم : ابن جعفر بن علبة وبه كان يكنى . وفى مختار الأغانى الكبير القسم الثانى ص ٢٤٨ نسخة بالتصوير الشمسى : «أوصيهم» بدل «أوصيكم» .

(٣) رواية بيت مالك بن الريب فى الخزانة (ج ١ ص ٣١٩ طبع بولاق) هى :

وعطل قلوصى فى الركاب فإنها * ستفلق أكبادا وتبكى بواكيا

وروايته فى الأمالى (ج ٣ ص ١٣٨ طبع دار الكتب المصرية) هى :

وعز قلوصى فى الركاب فإنها * ستفلق أكبادا وتبكى بواكيا

(٤) السرايا : جمع سرية ، وهى الطائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة رجل . والمباسلة : المصاولة فى الحرب . والبيت فى أشعار الحماسة فى إحدى روايتيه وفى معجم البلدان ومختار الأغانى الكبير :

ألهفى بقرى سحبل حين أحلبت * علينا الولايا والعدوّ المباسل

وأحلبت : جاءت من كل أوب للنصرة . والولايا هنا : العشائر والقبائل . وفى معجم ما استعجم : «أجلبت» بالجيم بدل «أحلبت» أى صار لها جلبة وضوضاء . (٥) المرحى : الموضع الذى تدور عليه رحى الحرب . (٦) قراه : أطعمه القرى ، وهو كناية عن كثرة الضرب . (٧) اعترامها : اشتدادها . (٨) تعاورها : تداولها . (٩) الكاهل : مقدّم أعلى الظهر مما يلى العنق ، وهو الثلث الأعلى فيه ست فقر . وفى ح : «احتدامها» بدل «اعترامها» .

إذا ما رُصِدْنا مَرْصدا فرجت لنا * بأيماننا بِيضٌ جلتها الصياقل

ولما أبوا إلا المُضِىَّ وقد رأوا * بأن ليس منا خشيةَ الموت ناكل

حلفتُ يمينا بَرّةً لم أُرِدْ بها * مقالةَ تسميع ولا قول باطل (١)

لَيَخْتَضِمَنّ الهُنْدُوانىّ منهم * مَعاقِدَ يخشاها الطبيبُ المزاوِلُ (٢)

٥ وقالوا لنا ثِنتان لا بدّ منهما * صدور رماح أُشْرِعت أو سلاسلُ

فقلنا لهم تلكم إذًا بعد كَرّةٍ * تُغادِرُ صرعى نَهْضُها مُتَخاذِل (٣)

وقتلى نفوس فى الحياة زهيدةٍ * إذا اشتجر الخَطّىُّ والموت نازل

نُراجِعُهُمْ فى قالة بدءُوا بها * كما راجع الخصمَ البذىَّ المُنَاقِلُ (٤)

لهم صدرُ سيفى يوم بَطْحاءِ سحبلٍ * ولى منه ما ضُمّت عليه الأنامل

عامل مكة أخذ بحق بنى عقيل ويقتل جعفر ابن علبة

١٠ قال : فَاسْتَعْدَت عليهم بنو عُقيل السَّرىَّ بنَ عبد الله الهاشمىّ عاملَ مكة لأبى جعفر ؛ فأرسل إلى أبيه عُلْبَةَ بن ربيعةَ فأخذه بهم ، وحبسه حتى دفعهُمْ وسائر من كان معهم إليه ، فأما النضرُ فاستُقِيدَ (٥) منه بجراحة (٦) ، وأمّا علىُّ بنُ جُعْدُبٍ فأفلتَ من الحبس ، وأما جعفرُ بنُ علبةَ فأقامت عليه بنو عقيل قسامةً (٧) : أنه قَتَلَ صاحبَهم فَقُتِلَ به . هذه رواية أبى عمرو .

١٥ وذكر ٱبنُ الكلبىّ أن الذى هاجَ الحربَ بين جعفر بنِ علبةَ وبنى عقيلٍ أن إياسَ بنَ يزيدَ الحارثىَّ وإسماعيلَ بنَ أحمرَ العقيلىَّ اجتمعا عند أَمَةٍ لشعيبِ بنِ صامتٍ الحارثىّ ، وهى فى إبلٍ لمولاها فى موضع يُقال له صَمْعَرُ من بلاد بَلْحارث (٨) ، فتحدّثا

(١) التسميع : التشهير والتشنيع . والبيت فيه إقواء . (٢) الاختضام : القطع . وفى الأصل : «ليختصمن» . (٣) فى ط : «بعد عركة» . (٤) المناقل : الذى يحدّث مع غيره ويراجعه .
٢٠ (٥) استقيد منه : اقتص منه . (٦) الجراحة : الضربة أو الطعنة . (٧) القسامة : الجماعة يقسمون على الشىء أو يشهدون . ويمين القسامة منسوبة إليهم . وراجع اللسان (مادة قسم) ففيه تفصيل واف عن القسامة . (٨) هم بنو الحارث بن كعب ، كما فى معجم البلدان .

١٤٩
١١

عندها قالت إلى العقيلى، فدخلتهما مؤاسفة(١) حتى تخانقا بالعمائم. فانقطعت عمامة الحارثى وخنقه العقيلى حتى صرعه، ثم تفرقا. وجاء العُقَيْليّون إلى الحارثيّين فحكّموهم فوهبوا لهم. ثم بلغهم بيتُ قِيلَ، وهو:

ألم تسأل العبدَ الزيادىّ ما رأى * بصمعرَ والعبدُ الزيادىُّ قائمُ

فغضب إياسٌ من ذلك فلَقِىَ هو وابن عمه النضرُ بنُ مضاربٍ ذلك العقيلىَّ، وهو إسماعيلُ بنُ أحمرَ، فشجّاه شجّتين وخنقاه؛ فصار الحارثيّون إلى العقيليّين فحكّموهم فوهبوا لهم. ثم لَقِىَ العقيليون جعفرَ بن علبةَ الحارثىّ فأخذوه فضربوه وخنقوه وربطوه وقادوه طويلا ثم أطلقوه. وبلغ ذلك إياسَ بنَ يزيدَ فقال يتوجع لجعفر:

أبا عارم كيف اغتررت ولم تكن * تُغَرُّ إذا ما كانَ أمرٌ تحاذرُه

فلا صلْحَ حتى يخفِقَ السيفُ خَفْقَةً(٢) * بكفِّ فتىً جُرَّتْ عليه جرائرُه

ثم إن جعفرَ بنَ علبةَ تبعهم ومعه ٱبنُ أخيه جُعْدُب، والنضرُ بنُ مضاربٍ، وإياسُ بنُ يزيدَ، فلقوا المهدىَّ بن عاصم وكعب بن محمد بحِبِرٍّ(٣) — وهو موضع بالقاعة — فضربوهما ضربا مُبرِّحًا، ثم ٱنصرفوا فضَلّوا عن الطريق. فوجدوا العقيليّين وهم تسعةٌ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى خلّى لهم العقيليون الطريقَ ثم مَضَوْا حتى وجدوا من عقيلٍ جمعا آخرَ بسَحْبَل فاقتتلوا قتالا شديدا، فقَتَلَ جعفرُ بن علبةَ رجلًا من عقيل يقال له خشينةُ، فٱستعدى العقيليّون إبراهيمَ بن هشامٍ المخزومىَّ عاملَ مكة، فرفع(٤) الحارثيين الأربعة من نجران حتى حبَسهم بمكة، ثم أفلت منه رجلٌ فخرج هاربا، فأحضرت عقيلٌ قَسَامَةً: حلفوا أن جعفر قتَلَ صاحبَهم. فأقاده إبراهيمُ بن هشام.

---

(١) المؤاسفة: المغاضبة. (٢) خفق السيف: اضطرابه. وفى ط: «خفقة» بالتاء.
(٣) الذى فى معجم البلدان ومعجم ما استعجم أنه جبل لبنى سليم. وأنشد لابن مقبل:

سل الدار من جنبى حبر فواهب * إذا ما رأى هضب القليب المضبح

(٤) رفعهم: أرسلهم إلى الوالى.

قال وقال جعفرُ بن علبةَ قبل أن يُقتَل وهو محبوس :

عَجِبتُ لمسراها وأنّى تخلّصت * إلىّ وبابُ السجن بالقفل مُغْلَقُ[1]

ألَمّتْ فحيّت ثم قامت فودّعت * فلما تولّت كادت النفسُ تزهَقُ

فلا تحسبى أنى تخشّعتُ بعـدكم * لشىء ولا أنّى من الموتِ أفـرَقُ

٥ وكيف وفى كفى حسـامٌ مُذَلّقٌ[2] * يَعَضّ بهـاماتِ الرجال ويعلَقُ

ولا أن قلبى يَزْدهيـه وعيدُهم[3] * ولا أنّنى بالمشى فى القيـد أخرقُ

ولكنْ عرتنى من هواكِ صبـابةٌ[4] * كما كنتُ ألقَى منك إذ أنا مُطْلَقُ

فأما الهـوى والودُّ منى فطـامحٌ * إليـك وجُثمانى بمـكة مُوثَقُ

وقال جعفرُ بنُ علبة لأخيه [ما عز][5] يحرّضه :

١٠ وقل لأبى عـون إذا ما لقيتَـه * ومن دونه عرْضُ الفلاة يَحُولُ

١٤٤/١١

— فى نسخة ابن الأعرابى :

... ... إذا ما لقيتَـه * ودونه من عرض الفـلاة مُحولُ

بالميم ، وبشمّ الهاء فى « دونه » بالرفع وتخفيفها ، وهى لغتهم خاصة —

(١) الرواية فى أشعار الحماسة : « دونى » بدل « بالقفل » . (٢) مذلق : محدّد .

١٥ (٣) فى جـ وأشعار الحماسة ومختار الأغانى ومعاهد التنصيص (ص ٥٧ طبع بولاق) : « وعيدكم » . ورواية الشطر فى أشعار الحماسة :

* ولا أن نفسى يزدهيها وعيدكم *

وقال التبريزى فى شرحه لهـذا البيت : « ويروى "وعيدهم" » . والأخرق هنا : الدهش فزعا ، أو هو القليل الرفق بالشىء . (٤) كذا فى جميع الأصول . وفى معاهد التنصيص و ط : «ضمانة» .

٢٠ وكتب بهامشها : ويروى :

* ولكنّ مابى من هواك ضمانة *

والضمانة : المرض والزمانة . (٥) زيادة عن جـ .

تَعَلَّمْ وعَدِّ الشكَّ أنّى يَشُفُّنِي * ثلاثةُ أحراسٍ معاً وكُبولُ[(١)]
إذا رُمتُ مشياً أو تبوّأتُ مَضْجعاً * يبيتُ لها فوقَ الكِعابِ صَليلُ
ولو بِكَ كانت لابتعثتُ مطيّتي * يَعودُ الحفَا أخفافَها وتَجولُ
إلى العدلِ حتى يَصْدُرَ[(٢)] الأمرُ مَصْدَرا * وتَبرأَ منكم قالةٌ وعُدولُ

١٥٠
—
١١

ونسختُ أيضا خبرَه من كتاب للنضر بن حديد، فخالف هاتين الروايتين، ٥
وقال فيه: كان جعفرُ بن علبةَ يزور نساءً من عقيل بن كعب، وكانوا متجاورين هم
وبنو الحارث بن كعب، فأخذته عُقيلٌ، فكشفوا دُبُرَ قميصه، وربطوه إلى جُمّته،
وضربوه بالسياط، وكتّفوه، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتى كان يتحدّث
إليهن على تلك الحال ليغيظوهن، ويفضحوه عندهن، فقال لهم: يا قوم، لا تفعلوا
فإن هذا الفعلَ مُثْلَةٌ، وأنا أحلف لكم بما يُثْلِجُ صدورَكم ألا أزورَ بيوتَكم أبدا، ١٠
ولا أَلِجَها. فلم يقبلوا منه. فقال لهم: فإن لم تفعلوا ذلك فحسبُكم ما قد مضى،
ومُنّوا علىّ بالكفّ عنّى فإنى أعدّه نعمةً لكم ويداً لا أكفُرُها أبدا، أو فاقتلونى
وأريحونى، فأكونَ رجلا آذى قوما فى دارهم فقتلوه. فلم يفعلوا، وجعلوا يكشفون
عورتَه بين أيدى النساء، ويضربونه، ويُغْرُون به سفهاءهم حتى شَفَوْا أنفسهم منه،
ثم خلَّوا سبيلَه. فلم تمض إلا أيامٌ قليلة حتى عاد جعفرٌ ومعه صاحبان له، فدفع راحلتَه ١٥
حتى أولجها البيوت، ثم مضى. فلما كان فى نُقْرة من الرمل أناخ هو وصاحباه،
وكانت عقيلٌ أقفى خلق الله لأثر، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه، والعقيليّون
مُغْتَرّون ليس مع أحد منهم عصاً ولا سلاح، فوثب عليهم جعفرُ بنُ عُلبةَ وصاحباه
بالسيوف فقتلوا منهم رجلا وجرحوا آخر وافترقوا، فاستعدَتْ عليهم عُقَيلُ السرىَّ

(١) يشفه: يهزله ويضمره ويذهب بعقله. والكبول: القيود، واحدها كبل (بالفتح وبكسر). ٢٠
والكبل: القيد أو هو أعظم ما يكون من القيود. (٢) فى ط: «حتى تصدر» بالتاء.

ابنَ عبدِ الله الهاشمىَّ عاملَ المنصور على مكةَ، فأحضرهم وحبَسَهم، فأقادَ من الجارح، ودافع عن جعفرِ بنِ علبةَ — وكان يُحبُّ أن يدرأَ عنه الحدَّ لخؤولةِ أبى العباس السفاح فى بنى الحارث، ولأن أختَ جعفرٍ كانت تحتَ السرىّ بنِ عبدالله، وكانت حظيةً عنده — إلى أن أقاموا عليه قَسَامَةً: أنه قتلَ صاحبهم. وتوعدوه بالخروج إلى أبى جعفر والتظلمِ إليه، فحينئذ دعا بجعفرٍ فأقاد منه، وأفلت علىُّ بنُ جُعدُبٍ من السجن فهربَ. قال وهو ابنُ أخى جعفرَ بنِ علبة. فلما أُخرِجَ جعفرٌ للقَوَد قال له غلامٌ من قومه: أسقيك شربةً من ماءٍ بارد؟ فقال له: اسكت لا أُمَّ لك، إنى إذا لمهيافٌ[1]. وانقطع شِسْعُ نعله[2] فوقف فأصلحَهُ، فقال له رجلٌ: أما يَشْغلك عن هذا ما أنت فيه؟ فقال:

أَشُدُّ قِبالَ نعلى أن يرانى[3] * عدوّى للحوادث مُسْتكينا

قال: وكان الذى ضَرَبَ عنُقَ جعفرِ بن علبة نَخَبَةُ بنُ كليبٍ أخو المجنون، وهو أحدُ بنى عامرِ بنِ عُقَيلٍ، فقال فى ذلك:

شفى النفسَ ماقال ابنَ عُلبةَ جعفر * وقولى له آصْبر ليس ينفعكَ الصبرُ
هَوَى رأسُه من حيثُ كان كما هوى * عُقَابٌ تدلّى طالبا جانبَ الوكرِ[4]
أبا عارمٍ، فينا عُرامٌ[5] وشدّة * وبَسْطَةُ أيمانٍ سواعدها شُعْرُ
هُمُ ضربوا بالسيف هامةَ جعفر * ولم يُنْجِه بَرٌّ عريضٌ ولا بحرُ
وقُدْناهُ قَوْدَ البَكْرِ قسراً وعَنْوَةً * إلى القبر حتى ضم أثوابَه القبرُ

(١) المهياف: الذى لا يصبر على العطش. (٢) شسع النعل: أحد سيورها، وهو الذى يدخل بين الإصبعين ويدخل طرفه فى الثقب الذى فى صدر النعل المشدود فى الزمام. والزمام: السير الذى يعقد فيه الشسع. (٣) قبال النعل (بالكسر): شسعها. (٤) كذا فى الأصول ولا يستقيم بغيره الشعر، وفيه إقواء. والذى فى كتب اللغة: أن العقاب مؤنثة. وقيل العقاب يقع على الذكر والأنثى، إلا أن يقولوا: هذا عقاب. ذكره فى اللسان مادة عقب. (٥) العرام (بالضم): الشدّة والقوّة والشراسة.

١٥١
١١

وقال علبةُ يرثى ٱبنَه جعفرا :

لعمرُكَ إنى يوم أسلمتُ جعفرًا * وأصحابَه للموت لمـا أقاتـلِ
لمجتنبٌ حبّ المَنَايا وإنمـا * يهيج المنايا كلُّ حقٍ وباطلِ
فراح بهم قومٌ ولا قومَ عندهم * مُغَلَّلَةً أيديهُم فى السلاسلِ
ورب أخٍ لى غاب لو كان شاهدا * رآه التباليّون[1] لى غيرَ خاذلِ

وقال علبةُ أيضا لامرأته أمّ جعفرٍ قبل أن يُقْتَل جعفرٌ :

لعمرك إن الليلَ يا أمّ جعفرٍ * علىّ وإنْ عَلَّلتنى لطويلُ
أحاذرُ أخبارا من القوم قد دنت * ورجعةَ أنقاضٍ[2] لهنّ دليلُ

فأجابته فقالت :

أبا جعفرٍ أسلمتَ للقوم جعفرًا * فَمُتْ كَمَدًا او عش وأنت ذليلُ

بنت يحيى بن زياد تبكيه وتستجيد له الكفن وترثيه بأبياته

قال أبو عَمْرٍو فى روايته : وذكر شدادُ بن إبراهيمَ أن بنتًا ليحيى بن زيادِ بن عُبَيْد الله الحارثىّ حضرت المَوسمَ فى ذلك العام لما قُتِل فكفّنَتْه واستجادت له الكفنَ، وبكته وجميعُ من كان معها من جَوَارِيها، وجعلن يندُبْنه بأبياته التى قالها قبل قتله :

أحقا عبادَ الله أن لستُ رائيًا * صَحَارِىَ نجدٍ والرياحَ الذَّوارِيا

وقد تقدمت فى صدرِ أخباره . وفى هذه القصيدة يقولُ جعفرٌ :

* وددت معاذا كان فيمن أتانيا *

(١) التباليون : المنسوبون إلى تبالة، وهو بلد باليمن .

(٢) الأنقاض : جمع نقض (بالكسر)، وهو المهزول من الإبل والخيل كأن السفر نقض بنيته . [illegible] » بدل « ذليل » وفى مختار الأغانى : « هزيل » .

فقال مُعاذٌ يُجيبُه عنها بعد قتله، ويخاطبُ أباه، ويُعرّضُ له أنه قُتِلَ ظُلماً لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حين قُتِل، ولم يكونوا عرفوا القاتلَ من الثلاثة بعينه، إلا أن غيظَهم على جعفرٍ حملهُم على أن ادّعوا القتل عليه :

أبا جعفرٍ سَلِّبْ بنَجْرانَ واحتسب * أبا عارمٍ والمُسْمَنَاتِ العواليا (١)

وَقوِّدْ قَلوصًا أتلفَ السَّيفُ ربها * بغيرِ دمٍ فى القومِ إلا تَمَاريا (٢)

اذا ذكرتْهُ مُعصِرٌ حارثيَّةٌ (٣) * جرى دمعُ عَيْنَيْها على الخد صافيا

فلا تحسَبَنَّ الدَّيْنَ يا عُلْبَ مُنْسَأً * ولا الثائرَ الحرّانَ يَنْسى التقاضيا

سنقتُلُ منكم بالقتيلِ ثلاثةً * ونُغْلى وإن كانت دماءً غواليا

تمنيتَ أن تلقى مُعاذا سفاهَةً * ستلقى مُعاذا والقضيبَ اليمانيا

ووَجَدْتُ الأبياتَ القافيَّةَ التى فيها الغناءُ فى نسخة النَّضرِ بنِ حديدٍ أتمَّ مما ذكره أبو عمرو الشيبانىّ. وأوّلُها :

ألا هَلْ إلى فتيانِ لهوٍ ولذّةٍ * سبيلٌ وتَهْتافِ الحمامِ المطوقِ (٤)

وشربةِ ماءٍ من خَدُوراءَ (٥) باردٍ * جرى تحتَ أظلالِ (٦) الأراكِ المُسَوَّقِ

وسيرى مع الفتيانِ (٧) كُلَّ عشيةٍ * أُبَارى مَطاياهم (٨) بصهباءَ سَيْلَقِ

(١) سلب : ألبس ثياب الحداد السود . والأصل فى التسلب أن يكون للمرأة الذى يموت زوجها أو حميمها . يقال تسلبت المرأة إذا لبست ثياب المأتم السود . والمسمنات : ذوات السمنة .
(٢) قود : اجعلها تقادولا تركب . والقلوص : الشابة أو الباقية على السير، أو أوّل ما يركب من إناثها إلى أن تثنى ثم هى ناقة والناقة الطويلة القوائم خاص بالإناث . تماريا : تكذيبا . (٣) المعصر : الجارية التى بلغت عصر شبابها وأدركت . (٤) المطوق من الحمام : ما كان له طوق فى عنقه . (٥) خدوراء : موضع فى بلاد بنى الحارث بن كعب ذكره ياقوت فى معجم البلدان . (٦) فى معجم البلدان لياقوت فى روايته لهذا البيت : «أفنان» بدل «أظلال» . (٧) فى ط : «وسير مع الفتيان» .
(٨) كذا أصلحها الشنقيطى فى نسخته، وفى سائر الأصول : «نداماهم» . والأصهب من الإبل : الذى يخالط بياضه حمرة، وهو أن يحمرّ أعلى الوبر وتبيض أجوافه . وإنما خص الإبل الصهب بالذكر لأنها خير الإبل لسرعتها . والسيلق : الماضية فى سيرها . ورواية البيت فى اللسان (مادة سلق) :

وسيرى مع الركبان كل عشية * أبارى مطاياهم بأدماء سيلق

والأدماء من الإبل : البيضاء ذات المقلتين السوداوين .

إذا كَلَحَتْ(١) عن نابها مجَّ شِدْقُها * لُغاما(٢) كَمُحِّ البيضة المُتَرَقْرِق
وأصهبَ جَوْنِىٌّ كأن بُغَامَه * تَبَغُّمُ مطرودٍ من الوحش مُرْهَق(٣)
برى(٤) لحمَ دَفَّيْه وأدمى أَظَلَّه اجـ * ـتيابى الفيافى سَمْلَقا بعد سَمْلَق(٥)

١٥٢
١١

وذكر بعده الأبياتَ الماضيةَ . وهذا وهمٌ من النضر، لأن تلك الأبياتَ مرفوعةُ القافيةِ وهذه مخفوضةٌ، فأتيتُ بكل واحدةٍ منهما منفردةً ولم أخلطهما لذلك . ٥

علبة ينحر أولاد النوق والشياه تصيح مع النسوة بكاء على جعفر

أخبرنى الحسينُ بنُ يحيى المِرداسِىُّ عن حمادِ بنِ إسحاقَ عن أبيه عن أبى عبيدةَ قال : لما قُتِل جعفرُ بنُ علبة قام نساءُ الحىّ يبكين عليه، وقام أبوه إلى كلّ ناقةٍ وشاةٍ فنحرَ أولادَها، وألقاها بين أيديها وقال : ابْكِينَ معَنا على جعفر ! فما زالت النوقُ ترغو والشاءُ تَثْغُو والنساءُ يَصِحْن ويبكين وهو يبكى معهنّ ؛ فما رُئِى يومٌ كان أوجعَ وأحرقَ مأتما فى العرب من يَوْمِئذٍ . ١٠

(١) كلحت : كشرت فى عبوس .

(٢) اللغام : زبد أفواه الإبل، وهو من البعير بمنزلة البزاق أو اللعاب من الإنسان . ومح البيضة ومحتها : صفرتها . وفى اللسان (مادة محح) : « وقال ابن شميل : مح البيض : ما فى جوفه من أصفر وأبيض كله مح . ومنهم من قال : المحة : الصفراء . والغرقئ : البياض الذى يؤكل » . والمترقرق : المتحرك جيئة وذهوبا . ١٥

(٣) يريد : بعيرا جونيا، وهو الأسود المشرب حمرة . وبغامه : صوته . يقال بغمت الناقة تبغم (بالكسر) بغاما : قطعت الحنين ولم تمده . ويكون ذلك للبعير أيضا . وتبغم (بالتشديد) لبغم . انظر اللسان (مادة بغم) .

(٤) فى سائر الأصول : «ترى» بالتاء وهو تحريف . وما أثبتنا عن نسخة الشنقيطى مصححا بقلمه .

(٥) دفا البعير : جنباه . وأظله : باطن منسمه، أو هو باطن إصبعه . السملق : الأرض المستوية الجرداء لا نبات فيها . ٢٠

صـــوت

عَلِّلانِى إنما الدنيا عَلَلْ * واسقيانى عَلَلًا بعد نَهَلْ[1]
أَصْحِبُ الصاحبَ ما صاحبَنى * وأكُفُّ اللومَ عنه والعَذَلْ[2]

الشعر للعُجير السلولى . والغناءُ لابنِ سُرَيْج ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن حُبَيْش .
وذكر الهشامىُّ أنه من منحولِ يحيى المكّىّ . ٥

(١) العل والعلل (محركة) : الشربة الثانية ، وقيل الشرب بعد الشرب تباعا . والنهل (بالتحريك) : أول الشرب .

(٢) العذل (بالتحريك) : الاسم من عذله يعذله عذلا فاعتذل وتعذل : لامه فقبل منه وأعتب .

أخبار العُجَير السَّلولىّ ونسبه

أخبار العجير السلولى ونسبه

هو — فيما ذكر محمدُ بن سلّام — العجيرُ بنُ عبد الله بن عبيدةَ[1] بن كعب بن عائشةَ[2] بن الربيع بن ضُبَيط[3] بن جابر بن عبد الله بن سَلُول. ونسختُ نَسَبهُ من نسخة عبيد الله بن محمد اليزيدىّ عن ابن حبيب قال: هو العجيرُ بنُ عبيد الله بن كعب ابن عبيدةَ بن جابر بن عمرو بن سلولَ[4] بن مرةَ بن صعصعةَ، أخى عامرِ بن صعصعةَ. شاعرٌ مقلٌّ إسلامىٌّ من شعراء الدولة الأموية. وجعله محمدُ بنُ سلام فى طبقة أبى زبيد الطائىّ، وهى الخامسةُ من طبقاتِ شعراءِ الإسلام.

أخبرنى أبو خليفة فى كتابه إلىّ قال: حدّثنا محمد بنُ سلّام الجُمَحىُّ، قال: حدّثنا أبو الغَرّاف[5] قال: كان العجيرُ السَّلُولىُّ دلَّ عبدَ الملك بن مروانَ على ماءٍ يقال له مطلوبٌ[6]، وكان لناسٍ من خثعم، فأنشأ يقول:

---

(١) عبيدة (بفتح العين وكسر الباء): هكذا ضبطه البغدادى فى خزانة الأدب. ثم قال بعد ذلك: «ويقال ابن عبيدة بضم العين».

(٢) كذا فى سائر الأصول ما عدا ط. وفى ط: «ابن عابسة».

(٣) فى المؤتلف والمختلف للآمدى: «... بن ضبيط بن رفيع بن جابر بن عمرو بن مرة بن صعصعة وهم سلول».

(٤) فى الخزانة ما يفيد أن "سلول" اسم امرأة؛ ففيها: «وأم بنى مرة سلول بنت ذهل ابن شيبان بن ثعلبة غلبت عليهم وبها يعرفون. وجاء فى المعارف لابن قتيبة: «فأما بنو مرة فيعرفون ببنى سلول وهى أمهم. منهم أبو مريم السلولى ومنهم العجير السلولى الشاعر وعبد الله بن همام الشاعر السلولى». انظر خزانة الأدب (ج ٢ ص ٢٩٨ طبع بلاق) والمؤتلف والمختلف (ص ١٦٦ طبع السلفية) والمعارف لابن قتيبة (ص ٤٢ طبع أوربا).

(٥) فى الأصول: «العراف» بالعين المهملة، وهو تحريف والتصويب من طبقات الشعراء لابن سلام (ص ١٣٢ طبع أوربا).

(٦) مطلوب: اسم بئر بين المدينة والشام بعيدة القعر يستقى منها بدلاء.

لا نومَ إلا غِرارُ العينِ ساهرةً * إن لم أرَوِّعْ بغيظٍ أهلَ مطلوبِ[1]
إن تشتُمونى فقد بدّلتَ أيكتَكُم * ذَرْقَ الدَّجاجِ بحَفّانِ اليعاقيبِ[2]
وكنتُ أخبرتُكُم أن سوف يعمُرها * بَنُو أمية وعداً غيرَ مكذوبِ

قال: فركب رجلٌ من خثعم يقال له أميّةُ إلى عبد الملك حتّى دخل عليه فقال:
٥ يا أمير المؤمنين، إنّما أراد العجير أن يصلَ اليك وهو شويعر سآلٌ[3]. وحرّبه[4] عليه.

العجير يذهب ليلا إلى عبد الملك حين طلبه

فكتب إلى عامله بأن يشدّ يدي العجير إلى عنقه ثم يبعثَه فى الحديد. فبلغ العجيرَ الخبرُ فركب فى الليل حتّى أتى عبدَ الملك فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا عندك فاحتبِسْني وٱبعث من يبصر الأرَضين والضياع، فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمى حِلٌّ وبِلٌّ[5]، فبعث فاتخذ ذلك الماء، فهو اليوم من خيار ضياع بنى أمية.

١٠ نسخت من كتاب عبيد الله بن محمّد اليزيدى عن ابن حبيب عن ٱبن الأعرابى

نافع الكنانى يطلبه ليقيم الحد أو يقيم عليه ذلك بنو حنيفة فيهرب

١٥٣/١١ قال: هجا العجير قوما من بنى حنيفة وشتمهم، فأقاموا عليه البيّنة عند نافع بنِ علقمة الكنانى، فأمرهم بطلبه وإحضارِه ليقيمَ عليه الحدّ وقال لهم: إن وجدتموه أنتم فأقيموا عليه الحد وليكن ذلك فى ملأ يشهدون به لئلا يَدّعى عليكم تجاوزَ الحق. فهرب العجيرُ منهم ليلا حتى أتى نافعَ بنَ علقمة، فوقف له متنكرا حتى خرج من
١٥ المسجد، ثم تعلق بثوبه وقال:

---

(١) غرار العين: قلة نومها.
(٢) الأيكة: الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر. وذرق الدجاج: خرؤه. واليعاقيب جمع يعقوب، وهو هنا ذكر الحجل. وحفان اليعاقيب: فراخها.
(٣) السآل: الملحاح فى السؤال. (٤) حربه: حرضه عليه وأثار عليه حرب الغضب.
٢٠ (٥) حل: حلال. وبل: مباح مطلق. وبل من برد الماء أى أن دمى يبرد صدرك. وقيل: "بل" إتباع "لحل" أى توكيد. إلا أن أبا عبيدة وابن السكيت لم يرتضيا هذا الإتباع لمكان الواو بينهما. انظر اللسان (مادة بلل).

إليك سبقنا السوطَ والسجنَ، تحتنا * حيالٌ يُسامين الظلالَ ولُقَّحُ (١)

إلى نافع لا نرتجى ما أصابنا * تحومُ علينا السانحاتُ وتبرحُ

فإن أكُ مجلودا فكن أنت جالدى * وان أكُ مذبوحا فكن أنت تذبح

فسأله عن المطر وكيف كان أثره، فقال له :

يا نافعٌ يا أكرم البريه (٢) * والله لا أكذبك العشيّه

إنا لقينا سنةً قسيّه (٣) * ثم مُطِرْنا مطرةً رويه

* فنبت البقل ولا رعيه (٤) *

— يعنى أن المواشى هلكت قبل نباتِ البقل — فقال له : انجُ بنفسك فانّى سأُرضى خصومَك، ثم بعث إليهم فسألهم الصفح عن حقّهم وضمن لهم أن لا يعاودَ هجاءهم .

أخبرنى الحرمىُّ بنُ أبى العلاء قال :

حدّثنا الزبيرُ بنُ بكّار قال : حدّثنى عُمَرُ بنُ إبراهيم السعدىّ عن عباس بن عبد الصمد السعدىّ قال : قال هشام بن عبد الملك للعجير السلولىّ : أصدقت فيما قلته لابن عمك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين، إلا أنى قلت :

فتًى قُدَّ قدّ السيف لا متضائلٌ (٥) * ولا رهلٌ لبّاتُه وبآدله

(١) حيال : جمع حائل . والحائل : الناقة التى ضربها الفحل فلم تحمل . ولقح : جمع لاقح . واللاقح : الناقة الحامل . ويسامين الظلال : يبارينها . وفى ط : « طلح » بدل « لقح » وكتب بهامشها كلمة « لقح » إشارة إلى الروايتين . وطلح : جمع طالح . والطالح : الناقة التى أجهدها السير فأصابها الكلال والإعياء . (٢) رواية اللسان لهذا الشطر منسوبا الى العجير السلولى (مادة قسا) :

* يا عمرو يا أكرم البريه *

(٣) القسية : الشديدة لا مطر فيها، من القسوة .

(٤) الرعية : الماشية الراعية أو المرعية . (كما فى القاموس) . (٥) الرهل : يقال رهل لحمه اضطرب واسترخى أو ورم من غير داء . اللبة : موضع النحر . والبآدل : جمع بأدلة ؛ وهى اللحمة بين العنق والترقوة . وفى الأغانى (ج ٨ ص ١٨٣ طبع دار الكتب) وهامش ط : « أباجله » . والأباجل : جمع أبجل؛ وهو عرق غليظ فى الرجل، وقيل فى باطن الذراع .

— هذا البيت يُروى لأخت يزيد بن الطَّثْرِيّة ترثيه به[1] —

جميلٌ إذا استقبلتَه من أمامه * وإن هو ولّى أشعثُ الرأس جافله[2]

طويلٌ سطىُّ الساعدين[3] عَذَوَّرٌ[4] * على الحىّ حتى تستقلّ مراجله

ترى جازرَيْه يُرعَدان وناره * عليها عداميلُ الهشيم وصامله[5]

(١) فى أشعار الحماسة (ص ٤١٦ طبع أوربا) ذكر هذا البيت ضمن أبيات ستة منسوبة إلى العجير السلولى، لكن مع اختلاف فى تقديم الأبيات وتأخيرها وكذلك فى ألفاظ بعض الأبيات. وفى أشعار الحماسة أيضا (ص ٤٦٨) والأمالى (ج ٢ ص ٨٥ طبع دار الكتب) والأغانى (ج ٨ ص ١٨٢ طبع دار الكتب) ورد هذا البيت ضمن قصيدة لزينب بنت الطثرية ترثى أخاها يزيد بن الطثرية؛ وفى هذه القصيدة أبيات مما نسب للعجير مع اختلاف فى اللفظ أيضا. والطثرية (بإسكان الثاء)؛ هكذا ضبطه ابن خلكان بالعبارة فى ترجمته ليزيد بن الطثرية فقال: «والطثرية بفتح الطاء وإسكان الثاء وبعدها راء ثم ياء النسب وهاء وهى أمة ينسب يزيد المذكور إليها؛ وهى من بنى طثر بن عنز بن وائل. والطثرة: الخصب وكثرة اللبن. يقال: إن أمه كانت مولعة بإخراج زبد اللبن». وفى القاموس وشرحه (مادة طثر): «وطثرية (محركة): أم يزيد بن الطثرية الشاعر القشيرى». وقد ضبط بالقلم فى ط بإسكان الثاء. وفى أشعار الحماسة والشعر والشعراء وطبقات ابن سلام والكامل للبرد ضبط بالحركة بإسكان الثاء أيضا.

(٢) الشعث: تلبد الشعر واغبراره. يقال: شعث يشعث شعثا وشعوثة فهو شعث وأشعث وشعثان إذا اغبر شعره وتلبد. وجافله هنا: من الجفال؛ وهو الشعر الكثير. ورواية البيت فى الحماسة والأمالى:

كريم إذا لاقيته متبسما * وإما تولى أشعث الرأس جافله

(٣) سطى الساعدين: ذو بطش، وهو مبالغة من سطا عليه وبه سطوا وسطوة، إذا بطش به برفع اليد.

(٤) العذور: السيء الخلق. وإنما جعله عذورا لشدة تهممه بأمر الأضياف وحرصه على تعجيل قراهم، حتى تنصب المراجل وتهيأ المطاعم للضيفان ثم يعود الى خلقه الأول. ورواية البيت فى الحماسة والأمالى:

إذا نزل الأضياف كان عذوّرا * على الحى حتى تستقل مراجله

(٥) يرعدان: تصيبهما الرعدة إما من خوفه لاستعجاله إياهما وإما من البرد. يخبر أنه ينحر فى الشتاء والجدب. وإنما جعل له جازرين على عادتهم فى جعلهم أصحاب المهن فيهم اثنين اثنين؛ كالبائن والمستعلى فى الحلب والماتح والقابل فى الاستقاء. انظر شرح التبريزى للحماسة ٤٧٠، وفى اللسان: «والناقة حالبان أحدهما يمسك العلبة من الجانب الأيمن، والآخر يحلب من الجانب الأيسر. والذى يحلب يسمى المستعلى والمعلى، والذى يمسك يسمى البائن». والعداميل جمع عدمل: الضخم القديم من الشجر. والصامل =

يجران ثنيًّا[1] خيرُها عظمُ جاره * على عينه لم تعدُ[2] عنها مشاغله

تركنا أبا الأضياف فى كل شتوة[3] * بمرّ[4] ومردى[5] كلّ خصم يجادله

مقيمًا سلبناه دريسىْ[6] مُفاضة * وأبيضَ هنديًّا طوالا حمائله

فقال هشام : هلك والله الرجل .

ونسختُ من كتاب ابنِ حبيبٍ قال ابن الأعرابى : اصطحب العجيرُ وشاعرٌ من خزاعة إلى المدينة فقصد الخزاعىّ الحسنَ بنَ الحسن بن علىّ عليهم السلام ، وقصد العجيرُ رجلا من بنى عامرِ بنِ صعصعة كان قد نال سلطانا ، فأعطى الحسن ابنَ الحسن الخزاعىّ وكساه ولم يعط العامرىُّ العجيرَ شيئا ، فقال العجير :

= والصميل : اليابس . ويروى «عدولى» كما فى حـ واللسان «مادة عدل» . والعدولى هنا : نسبة إلى عدولى ، وهو موضع بنواحى البحرين تنسب إليه السفن . والهشيم هنا : الشجرة البالية يأخذها الحاطب كيف شاء لأنها بدون ثمر . وصامله : يابسه . يقول : على النار حطب يابس . وفى اللسان (مادة صمل) ورد هذا البيت منسوبا للعجير ولبنت الطثرية بلفظ « عداميل » بدل « عدولى » . وفى بقية الأصول : « ... السنام وناصله » وهو تحريف . ورواية الشطر فى الحماسة والأمالى :

* عليها عداميل الهشيم وصامله *

(١) الثنى : الناقة التى ولدت بطنين . وولدها الثانى يسمى ثنيا أيضا . وخيرها عظم جاره يريد أن خير عظم فيها يهديه لجاره . (٢) لم تعد : لم تصرف . يريد : لم يشغله عن نحرها ضنه بها لبصره بقرى الأضياف والنحر لهم . وفى الحماسة والأمالى : «بصيرا بها» بدل «على عينه» . (٣) كذا فى جميع الأصول . وفى أشعار الحماسة : « فى ليلة الصبا » . وفى معجم البلدان : « فى ليلة الدجا » .

(٤) « مر » : ماءة لبنى أسد بينها و بين الحوة يوم شرقى سميراء ، و بهامات ابن عم العجير واسمه جابر بن زيد . (انظر معجم البلدان فى رسم « مر ») . وفى أشعار الحماسة : « مرو » وهو تحريف .

(٥) المردى فى الأصل : صخرة يكسربها النوى . يقال : فلان مردى الحروب أو الخصوم أى يرمون به فيكسرهم . (٦) الدريس هنا : الدرع الخلقة . والمفاضة : الدرع الواسعة . وأبيض هنديا : يريد سيفا . وجعله طويل الحمائل لطول قوامه . يقول : إنه أنفق ماله فيما نشرله حمدا فلم يكن لإرثه إلا ما ذكر من السلاح . ورواية البيت فى الحماسة واللسان (مادة درس) :

مضى وورثناه دريس مفاضة * وأبيض هنديا طويلا حمائله

العجير يقول حين حرمه العامري العطاء

يا ليتني يوم حزَّمتُ القَلوصَ له * يمَّمتُها هاشميًّا غيرَ ممذوق (١)

محضَ النِّجار من البيت الذي جُعلت * فيه النبوّةُ يجري غيرَ مسبوق (٢)

لا يُمسك الخيرَ إلا ريثَ يُسأله * ولا يلاطم عند اللحم في السوق (٣) (٤)

فبلغت أبياتُه الحسنَ ، فبعث إليه بصلة إلى مَحَلَّة قومه وقال له : قد أتاك حظُّك وإن لم تتصدَّ له .

١٥٤ / ١١

العجير يشرب حتى ينتشي فيأمر بنحر جمله ويقول شعرا

أخبرني أحمدُ بنُ عبيدالله بن عمار قال : حدّثنا محمدُ بنُ الحسن بن دينار الأحولُ قال : حدّثني بعض الرواة أن العجير بنَ عبد الله السلولي مرّ بقوم يشرَبون فسَقَوه . فلما انتشى قال : انحروا جملي وأطعِمونا منه . فنحروا وجعلوا يُطْعمونه ويسقونه ويغنُّونه بشعر قاله يومئذ ، وهو :

عللاني إنما الدنيا عَلَلْ * واسقياني عللا بعد نَهَل

وانشُلا ما اغبرّ من قدريكما (٥) * وأصبحاني أبعدَ اللهُ الجمل (٦)

أصحبَ الصاحب ما صاحبني * وأكفُّ اللوم عنه والعذل

وإذا أتلف شيئا لم أقل * أبدا يا صاحِ ما كان فعل

---

(١) المذق : الخلط . يريد أنه هاشمي صريح النسب .

(٢) النجار (بالكسر ويضم) : الأصل والحسب . ومحضه : خالصه .

(٣) في جميع الأصول : « يطاعم » وهو تحريف . والتصويب عن المرحوم الشنقيطي في نسخته . والملاطمة : مفاعلة من اللطم ، وهو ضرب الجسد وصفحة الجسد بالكف مفتوحة .

(٤) يريد أنه لا يشتري لضيفانه اللحم من السوق وإنما يذبح لهم في بيته .

(٥) انشلا : أمر من نشل اللحم ينشله (بضم الشين وكسرها) نشلا إذا أخرجه من القدر بيده من غير مغرفة فهو نشيل . والنشيل : ما طبخ من اللحم بغير توابل . وما اغبر : ما بقي .

(٦) اصبحاني : أعطياني الصبوح . وهو هنا ما أكل أو شرب غدوة .

قال : فلما صحا سأل عن جمله فقيل له : نحرته البارحة . فجعل يبكى و يصيح : واغربتاه ! وهم يضحكون منه . ثم وهبوا له بعيرا فارتحله(١) وانصرف إلى أهله .

ندمه على ذلك بعد صحوه وارتحاله على بعير وهب له

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد قال: حجّ العجير السلولىّ فنظر إلى امرأته وكان قد حجّ بها معه وهى تلحظ فتى من بعد وتكلمه فقال فيها :

أيا ربّ لا تغفر لعثمة ذنبها * وإن لم يعاقبها العجير فعاقب

أشارت وعقدُ الله بينى وبينها * إلى راكب من دونه ألف راكب

حرامٌ عليك الحجُّ لا تقربنّه * إذا حان حجُّ المسلمات التوائب

العجير يكل زواج ابنته إلى خالها ثم يطلقها من المولى بعد قدومه

وقال ابن الأعرابى : غاب العجير غيبة إلى الشأم ، وجعل أمرَ ابنته إلى خالها ، وأمره أن يزوّجها بكفء، فخطبها مولىً لبنى هلال كان ذا مال ، فرغبت أمّها فيه وأمرت خالَ الصبية الموصى إليه بأمرها أن يزوّجها منه ففعل . فلاذت الجارية بأخيها الفرزدق بن العجير ، وبرجالٍ من قومها ، وبابن عمٍ لها يقال له قيل ، فمنعوا جميعا منها سوى ابن عمها القيل فإنّه ساعد أمها على ما أرادت ، ومنع منها الفرزدق .

فلما قدم العجير أخبر بما جرى ففسخ النكاح وخلع ابنته من المولى وقال :

ألا هل لبعجان الهلالىّ زاجرٌ * وبعجانُ مأدومُ الطعام سمينُ

أليس أميرُ المؤمنين ابنَ عمها * وبالحنو(٢) آسادٌ لها وعرينُ

وعاذت بحقوَى(٣) عامر وابن عامر * ولله قد بتت علىَّ يمينُ

تنالونها(٤) أو يخضبَ الأرضَ منكم * دم خرّ عنه حاجب وجبينُ

(١) ارتحله : حط عليه الرحل . (٢) الحنو : حنو ذى قار قرب الكوفة .

(٣) الحقو (بالفتح وبكسر) : معقد الإزار . ويسمى الإزار كذلك حقوا لأنه يشد على الحقو ، كما تسمى المزادة الراوية لأنها تحمل على الراوية ، وهو الجمل . والعرب تقول : « عذت بحقوه إذا عاذ به ليمنعه » . (٤) تنالونها : لا تنالونها . وحذف « لا » النافيه فى مثل هذا كثير .

وقال أيضا فى ذلك :

إذا ما أتيتَ الخاضبات أَكُفَّهـا * عليهنّ مقصورُ الجمال المروَّقُ[1]

فـلا تدعونّ القَيـلَ[2] إلا لمشربٍ * رَواء ولكنّ الشجاع الفـرزدق

هـو ابنُ لَبيْضاءِ الجبين نَجيبـةٍ * تَلَقَّتْ[3] بطُهرٍ لم يجئْ وهْو أحمـق

تداعى إليـه أكرمُ الحىِّ نسوةً * أطفن بِكِسرَىْ بيتها حين تُطْلَق[4]

فجـاءت بعُريانِ اليـدين كأنّه * من الطير بازٌ ينفُض الطّلّ أزرق

قول العجير فى رفيق

وقال ابن الأعرابى : كان للعجير رفيقٌ يقال له أصبحُ ، وكانا يصيبان الطريق ، وفيه يقول العجير :

١٥٥ / ١١

ومنخرقٍ عن مَنْكِبيه قميصُه * وعن ساعديه ، للأخلّاء واصلِ

إذا طال بالقـوم المطا[5] فى تَنُوفَةٍ * وطولُ السُّرَى ألفيتَـه غير ناكلِ

دعوتُ وقد دبّ الكَرى فى عِظامه * وفى رأسه حتّى جرى فى المفاصلِ

كما دبّ صافى الخمر فى مُخّ شاربٍ * يميـل بِعِطْفَيْه ، عن اللُّبّ ذاهلِ

فلـبّى لَيَثْنِينى بِثِنْـيَىْ لسـانه * ثقيلين من نـوم غَلوبِ الغياطِل[6]

فقلتُ له قم فارتحـل ليس ها هنا * سِوى وقفـةِ السّارى مُناخٌ لنازلِ

فقام اهتزازَ الرمح يسرُو قميصَـه[7] * ويحسِر عن عارى الذّراعين ناحِلِ

---

(١) المروق : ذو الستور . والرواق : ستر دون السقف ، أو مقدّم البيت . وورد فى هامش ط : « المروق الذى عليه رواق ، أى ستر » . (٢) كذا فى جـ وهامش ط ، وفى سائر الأصول : « فلا يذعرنك القيل » . والقيل : اللبن يشرب فى القائلة . (٣) تلقت : علقت ، أى حبلت . (٤) الكسر : جانب البيت أو الشقة السفلى . وتطلق بالبناء للمجهول من طلقت ، كعنى ، فى المخاض أصابها وجع الولادة . (٥) المطا هنا : التمطى ، والتمطى : السير الممتد . والتنوفة كالتنوفية : الأرض الواسعة البعيدة الأطراف وتسمى المفازة . والناكل هنا : الجبان الضعيف .

(٦) الغياطل : جمع غيطلة ، والغيطلة هنا : غلبة النعاس .

(٧) يسرو قميصه : يلقيه عنه . يقال : سروت الثوب عنى سروا وسريته إذا ألقيته عنك ونضوته .

وقال ٱبن الأعرابىّ : كانت للعجير ٱمرأة يقال لها أمّ خالد، فأسرع فى ماله فأتلفه وكان جوادًا ، ثم جعل يدّان حتى أُثقل بالدين ومد يده إلى مالها، فمنعته منه وعاتبته على فعله ، فقال فى ذلك :

تقولُ وقد غالبتُها أمُّ خالد * على مالها أغرقتَ دَيْنًا فأقْصر (١)

أبى القَصْرَ مَن يأوى إذا الّليل جَنّنى * إلى ضوءِ نارى مِنْ فقيرٍ ومُقْترِ

أيا موقِدَىْ نارى ارْفعاها لعلّها * تُشَبُّ لِمُقْوٍ (٢) آخرَ الليل مقصر

أمِن راكبٍ أمسى بظهر تَنُوفة * أوَارِيكِ أم من جارىَ المُتَنَظِّر

ولا قدرَ دون الجار إلّا ذميمةٌ * وهذا المُقاسى ليلةً ذاتَ منكر

تكاد الصَّبا تبتَزُّه مِنْ ثيابه (٣) * على الرَّحْل إلا من قميص ومئزر

وماذا علينا أن يخالِس ضوءَها * كريمٌ نثاه شاحبُ المُتحسَّر (٤)

— المتحسر : ما ٱنكشف وتجرد من جسمه —

فيخبِرنا عمّا قليل ولو خلت * له القِدر لم نعجب ولم نتخبَّر

صوت (٥)

سلِى الطارقَ المعترَّ يا أمَّ مالكٍ (٦) * إذا ما أتانى بين قِدرى ومَجْزِرى

أأبسُط وجهى إنّه أول القِرى * وأبذُلُ معروفى له دون مُنْكَرِى (٧)

فلا قصر حتّى يَفرِج الغيثُ من أوى (٨) * إلى جنب رَحْلى كلّ أشعثَ أغبر

(١) الإقصار : الامتناع . (٢) المقوى : الذى لا زاد معه ، يقال : أقوى الرجل إذا نفد طعامه وفنى زاده . (٣) الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش . وتبتزه : تجرده . والرحل بالحاء المهملة فى ط ، ووردت بالجيم فى باقى الأصول ، وهو تحريف . (٤) يخالس : ينتهز . والنثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء . (٥) كلمة «صوت» ليست فى ب ، ج . (٦) الطارق : الآتى بالليل . والمعتر : الذى يطيف بك يطلب ما عندك ، سألك أو سكت عن السؤال . والمجزر ، وردت بفتح الزاى فى ط خطأ والصواب كسرها مثل مشرق ومغرب . (٧) ورد فى جـ « قبل » بدل « دون » . (٨) يفرج بكسر الراء .

أقى العِرضَ بالمال التِّلادِ(١) وما عسى * أخوكَ إذا ماضيّع العرض يشترى

يُؤدِّى إلىَّ النَّيلَ(٢) قنيانَ ماجدٍ * كريم ومالى سارحًا مال مقتر

— القنيان(٣) : ما اقتنى من المال . يقول : إنه لبَذْله القِرَى كأنه موسر ، وإذا سرح ماله علم أنه مُقتر(٤) —

٥ إذا مُتُّ يومًا فاحضُرى أمَّ خالد * تُراثَك من طِرف وسيف وأقدَرِ(٥)

قال ابن حبيب : من الناس من يروى هذه الأبياتَ الأخيرةَ التى أوّلُها :

* سلِى الطارقَ المعترَّ يا أمَّ مالك *

لعروة بنِ الوردِ ، وهى للعُجَيْر .

العجير يفد على عبد الملك فيقيم ببابه شهرا ١٥٦/١١

أخبرنى حبيبُ بنُ نصر المهلّبىّ قال : حدّثنا عبدُالله بنُ أبى سعد قال حدّثنا

١٠ على بنُ الصَّبّاح عن هشامِ بنِ محمدٍ قال : وفد العجيرُ السَّلُولىُّ — وسلولُ بنو مرّةَ بنِ صعصعةَ — على عبد الملك بن مروانَ ، فأقام ببابه شهرًا لا يصل إليه لشغلٍ عَرَضَ لعبد الملك ، ثم وصل إليه فلما مثَل بين يديه أنشد :

(١) التلاد : المال القديم الأصلى الذى ولد عندك من مالك أو نتج . وكل مال قديم من حيوان وغيره يورث عن الآباء . وهو التالد والتليد والمتلد .

١٥ (٢) النيل والنائل : ما نلته . ورواية ط لهذا الشطر :

* يؤدى إلىّ الليل قنوان ماجد *

وفى مثل هذا المعنى قال الشاعر :

ليس العطاء من الفضول سماحة * حتى تجود وما لديك قليل

(٣) يقال بضم القاف وكسرها . فى ط : « القنوان » . وهى صحيحة وقافها مضمومة ، بمعنى

٢٠ القنيان . (٤) فى ط : « فقير » . (٥) الطرف هنا : الكريم من الخيل . والأقدر : الفرس الذى يجاوز حافرا رجليه مواقع حافرى يديه .

ألا تلك أُمّ الهِبْرِزِىّ تبيّنتْ * عِظامى ومنها ناحِلٌ وكسير (١)

وقالتْ تضاءلتَ الغداةَ ومَنْ يكُنْ * فتًى قبلَ عام الماءِ فَهْو كبير (٢)

فقلتُ لها إنّ العُجيرَ تقلّبتْ * به أبطُنٌ أبلينَه وظهور

فمنهنّ إدلاجى على كُلّ كوكبٍ * له من عُمانىّ النجوم نظير (٣)

وَقَرْعى بكفّى بابَ مَلْك كأنّما * به القومُ يرجون الأَذِينَ نُسُور (٤)

(١) أم الهبرزى : الحمى . هكذا فى لسان العرب وتاج العروس حيث رو يا البيت منسو با للعجير شاهدا على ذلك ، مع اختلاف فى بعض ألفاظ الشطر الأول . ومثله كذلك ما أورده المحبىّ فى (ما يعول عليه فى المضاف والمضاف إليه) حيث قال : « أم الهبرزى هى الحمى » . ثم قال فى موضع آخر : « أم الحـدبذى ، بالدال والذال ، هى الداهية والحمى » . ثم أورد البيت شاهدا على ذلك مع اختلاف فى بعض ألفاظ الشطر الأول كذلك . ناحل : مهزول دقيق . وفى جميع الأصول : « ناصل » ، والتصويب من لسان العرب وتاج العروس وما يعول عليه . ورواية البيت فى اللسان والتاج (مادة هبرز) :

فإن تك أم الهبرزى تمصرت * عظامى فنها ناحل وحسير

وتمصرت : اعتصرت . وحسير : تعب . وروايته فى (ما يعول عليه) :

فنهن أم الهبرزى تتابعت * عظامى فنها ناحل وكسير

والكسير : المكسور .

(٢) عام الماء ، قال أبو حنيفة : « إذا كان عام خصيب مشهور بالكلأ والكمأة والجراد سمى عام الماء » . انظر المخصص (١٠ : ١٧) . ورواية البيت فى اللسان (مادة عوم) :

رأتنى تحادبت الغداة ومن يكن * فتى عام عام الماء فهو كبير

قال فى اللسان هنا : « فسره ثعلب . فقال : العرب تكرر الأوقات فيقولون : أتيتك يوم يوم قمت ، ويوم تقوم » . وانظر ما سيأتى فى ص ٧٥ .

(٣) العمانى : المنسوب إلى عمان .

(٤) الأذين : الحاجب الذى يبلغ إذن الملك للدخول بين يديه ، وهو الآذن . والنسور : جمع نسر . وفى جـ بالشين المعجمة ، وهو تحريف . والمعنى أن طلاب المغانم يجمعون على باب الملك مثل تجمع النسور ساغبة ويسبقهم إليه .

ويومٍ تبارى أَلْسُنُ القوم فيهم * وللموت ارحاءٌ بهنّ تدورُ[1]
لو آن الجبالَ الصُّمَّ يسْمعْن وَقْعَها * لَعُدْن وقد بانت بهنّ فُطورُ[2]
فرحتُ جَوادًا والجوادُ مثابرٌ * على جَرْيه، ذو علة ويسيرُ

عطاء عبد الملك له لطول مقامه

فقال له: يا عجيرُ ما مدحتَ إلّا نفسك، ولكنّا نُعْطيك لطول مُقَامك. وأمر له بمائةٍ من الإبل يُعطَاها من صدقات بني عامر، فكتب له بها.

٥

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ سعد الكُرَانيّ قال: حدّثنا العُمَريُّ عن العُتْبيّ قال: نظر أبي إلى فتًى من بني العبّاس يسحب مُطْرف[3] خزٍّ عليه وهو سكران —وكان فتًى مُتَهتِّكًا— فحرك رأسه مَليًّا ثم قال: لله درُّ العُجَيرِ السَّلُوليّ حيث يقول:

وما لبس الناسُ من حُلّةٍ * جديدٍ ولا خَلَقًا يُرْتَدَى[4]
كمثل المُروءةِ للابسين * فدعني من المُطْرَف المُسْتَدَى[5]
فليس يُغَيِّرُ فضلَ الكريم * خُلُوقةُ أثوابه والبِلى[6]

١٠

(١) الألسن: جمع لسان، واللسان: المقول يذكر ويؤنث، ففي حالة التذكير يجمع على ألسنة كحصان وأحصنة، وفي حالة التأنيث يجمع على ألسن كذراع وأذرع. (انظر اللسان مادة لسن).
روایة البيت في جـ:

١٥

و يوم تنادى ألسن القوم فيهم * وللقوم أرحاء بهن تدور

(٢) الفطور: الشقوق جمع فطر بالفتح.
(٣) المطرف (بالضم ويكسر) واحد المطارف، وهي أردية من خز مربعة لها أعلام.
(٤) الحلة: إزار ورداء، بردًا كان أو غيره. ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة. وخلق: بال، الذكر والأنثى فيه سواء.

٢٠

(٥) المستدى هنا: المنسوج.
(٦) الخلوقة، بضم الخاء: البلى. وفي الأصل: «خلوقات».

وليس يُغَيِّر طبعَ اللئيم * مطارِف خز رِقاقُ السَّدَى(١)

يجود الكريمُ على كلّ حالٍ * ويكبو اللئيمُ إذا ما جرى

قوله فى ابنه الفرزدق

أخبرنى عمّى قال: حدّثنى محمدُ بنُ القاسم بنِ مهرويه قال: حدثنى أبو القاسم اللّهبىّ عن أبى عبيدة قال: كان العُجيرُ السلولى له ٱبن يقال له الفرزدقُ، وفيه يقول العجير:

ولقد وضعتُك غيرَ مُتَّرِك * من جابر(٢) فى بيتها الضّخم

واخترتُ أمّكَ من نسائهم * وأبوك كلُّ عَذَوّرٍ(٣) شهم

فلئن كذبتَ المنحَ من مائةٍ(٤) * فلتقبلن بسائغ وَخْم

إن الندى والفضل غايتُنا * ونجاتُنا وطريقُ من يحمى

أخبرنى عمّى قال: حدثنا الكُرَانىّ قال قال الحرمازى: وقف العجيرُ السّلولى لبعض الأمراء، وقد علق به غريمٌ له من أهله فقال له:

أتيتك أنّ الباهلى يسوقنى(٥) * بدين ومطلوبُ الدُّيون رقيقُ

ثلاثتُنا إن يسّر اللهُ: فائزٌ * بأجر، ومُعْطَى حقّه، وعتيقُ

فأمر بقضاء دينه.

---

(١) السدى من الثوب: مامدّ منه، وهو خلاف اللحمة.

(٢) من جابر: يريد من قبيلة جابر، وجابر من آباء العجير.

(٣) العذور: السيء الخلق، القليل الصبر فيما يريده ويهم به.

(٤) من مائة: يريد مائة من الإبل. «فلتقبلن» كذا فى ط. وفى سائر الأصول: «فلتقتلن» وهو تحريف. بسائغ: فى ط هكذا: «بسابع» بإهمال الحرفين الأخيرين، وفى سائر الأصول: «بسائغ». الوخم: الذى لاتحمد مغبته. وفى ب وس وط: «وحم» ولا وجه له. وفى جـ: «ضخم».

(٥) كذا فى جميع الأصول. وكتب على هامش ط إشارة إلى نسخة أخرى: «خ استرقنى». وأسترقنى: أدخلنى فى الرق أى العبودة.

بنت عمه تخنا العامرى عليه وتتزوجه ليسار

١٥٧ / ١١

وقال ابن الأعرابى : كانت للعجير بنتُ عمّ وكان يهواها وتهواه، فخطبها إلى أبيها فوعده وقاربه[(١)] . ثم خطبها رجلٌ من بنى عامرٍ موسر ، فخيرها أبوها بينه وبين العُجير، فاختارت العامرىَّ ليساره، فقال العجيرُ فى ذلك :

ألِمَّا عـلى دارٍ لزينبَ قــد أتى * لهـا بِلوَى ذى المَرْخِ صيفٌ ومَربع[(٢)]

وقُـولا لهـا قـد طالمـا لم تَكلَّمى * وراعاك بالعـين الفُـؤادُ المُـروَّع

وقـولا لهـا قال العجير وخَصَّـنى * إليك ، وإرسـال الخليلَيْن ينفـــع

أأنت التى استودعتُك السِّرَّ فانتحى * لى الخَوْنَ مَرَّاحٌ من القـوم أفرع[(٣)]

إذا مت كان الناسُ نِصفين: شامتٌ * ومثنٍ بمـا قد كنت أُسْدِى وأصنع[(٤)]

ومستلَحم قــد صَكَّه القومُ صكّةً * بعيـدِ الموالى نيـلَ ماكان يمنع[(٥)]

رددتُ له ما أفرط القتل بالضحى * وبالأمس حتى اقتـاله فهو أصلـع[(٦)]

ولست بمـولاه ولا بابنِ عمّــه * ولكن مـتى ما أملك النفع أنفـع[(٧)]

(١) قاربه : قرب منه فى الرأى والموافقة .

(٢) اللوى : منقطع الرمل ، يقال : ألويتم فأنزلوا ، وذلك إذا بلغوا لوى الرمل . وذو المرخ هنا : واد كثير الشجر قريب من فدك . (٣) انتحى : قصد . والخون : مصدر كالخيانة . ومراح مبالغة من المرح وهو نشاط الروح . وأفرع : له جمة ، وافى الشعر . (٤) مثن فى جـ والشواهد الكبرى للعينى وشرح الحماسة ، وفى بقية الأصول : « مسد » . ورواية البيت فى الشواهد :

إذا مت كان الناس صنفان : شامت * وآخر مثنٍ بالذى كنت أصنع

وصنفان خبر الناس لا خبر « كان » .

(٥) المستلحم : الذى أرهق فى القتال واحتوشه العدو . صكه القوم : ضربوه ضربا شديدا . ونيل بالبناء للجهول . أى نال القوم منه ما كان يمنعه ، لضعفه .

(٦) القتل ، كذا فى جـ ، وفى بقية الأصول « القيل » بالياء بعد القاف . « اقتاله » يقال اقتاله شيئا بشىء : بدّله . وفى جـ : « اقتاده » ، بالدال قبل الهاء . (٧) فى ط وشواهد العينى « الضر » فى مكان « النفع » وهى أبلغ فى المعنى ، وبيان ذلك أنه فى الحالة التى يستطيع فيها أن يضر ينفع .

حبب العجير إلى امرأة من عامر فانتهبوا ماله ، فشكاهم إلى محمد ابن مروان

وقال ٱبنُ الأعرابىّ : كان العُجيرُ يتحدث إلى ٱمرأة من بنى عامر يقال لهـا جُمْلٌ فألفها وعَلِقها . ثم انتجع أهلُها نواحىَ نَصيبين ، فتبِّعتْها نفسه ، فسار إليهم فنزل فيهم مجاورا[1] ، ثم رأوه مُنازلا مُلازما مُحادثةَ تلك المرأة فنهوه عنها وقالوا : قد رأينا أمرك فإمّا أن انقطعتَ عنها أو ارتحلتَ عنّا ، أو فأذنْ بحرب[2] . فقال : ما بينى و بينها ما يُنكَر ، وإنما كنتُ أتحدث إليها كما يتحدّثُ الرجلُ الكريم إلى المرأة الحرّة الكريمة ، فأمّا الريبةُ فحاش لله منها . ثم عاود محادثتها ؛ فانتهبوا ماله وطردوه . فأتى محمدَ بنَ مروانَ بن الحكم وهو يومئـذ يتولّى الجزيرةَ لأخيه عبـدِ الملك بنِ مروان ، فأتاه مُسْتَعْدِيًا على بنى عامر وعلى الذى أخذ ماله خَصوصيّةً[3] ، وهو رجل من بنى كلاب يقال له ٱبن الحسام ، وأنشده قوله :

عفا يافـعٌ من أهـله فطَلوبُ[4] * وأقفـرَ لـو كان الفـؤادُ يثـوب
وقفتُ بهـا مِن بعـدِ ماحلّ أهلها * نَصيبيِن والرّاقى الدمـوعَ طبيب
وقد لاح معروفُ القتير[5] وقد بدت * بك اليـومَ من ريب الزمان نُدوب
وسالمتْ روحاتِ المطىّ[6] وأحمدت * منـاسمُ منهـا تشتكى وصُلوب

(١) المجاور : الجار ولو من بعد . والمنازل : الذى ينزل بجانب بيتك . والملازم : الذى لا ينقطع عن البقاء فى المنزل الذى يجاور من يهواه .

(٢) يقال ائذن بهذا الأمر ، أى اعلمه . (٣) الخصوصية بفتح الخاء وضمها : اسم من خصه يخصه ، أى خاصة . (٤) يافع : مكان . وطلوب : علم لقليب عن يمين سميراء فى طريق الحاج ، طيب الماء قريب الرشاء . عن معجم البلدان لياقوت . وقال أبو عبيد البكرى : إنه من مياه بنى عوف بن عقيل . (٥) معروف القتير : هو الشيب الذى لا يمكن نكرانه . ولاح : ظهر . والندوب آثار الجروح على الجلد .

(٦) المراد من سالمت روحات المطى : أنها سلمت من عنائها فى الغدو والرواح . وأحمدت : حمدت وأثنت . والمناسم : جمع منسم بفتح الميم وكسر السين : خف البعير . والصلوب بضم الصاد كما ورد فى الاصول لم يعثر عليه فى المعاجم ، وهو جمع قياسى للصلب ، والصلب يبدأ من الكاهل إلى أصل الذنب أى المؤخر .

وما القلب أم ما ذكْرُه أُمَّ صِبْيَةٍ * أُرَيْكَةُ منها مسكن فهَروبُ (١)
حَصَانُ الحُمَيَّا حرةٌ حال دُونَها * حليلٌ لها شاكى السلاح غضوبُ (٢)
شَمُوسٌ، دُنُوُّ الفَرْقَدين اقترابُها، * لِغَنِيٍّ مقاريف الرجال سَبُوبُ (٣)
أحقًّا عبادَ الله أن لستُ ناظرا * إلى وجهها إلا علىّ رقيبُ
٥ عدتنى العِدا عنها بُعَيْدَ تساعف * وما أرتجى منها إلىّ قريبُ (٤)
لقد أحسنت جُمْلٌ لو آنّ تبيعها * إذا ما أرادت أن تُثيب يثيبُ (٥)
تَصُدِّين حتّى يذهبَ اليأسُ بالمنى * وحتّى تكادَ النفسُ عنكِ تطيبُ

— هذا البيت يروى لابن الدُّمَيْنة، وهو بشعره أشبه، ولا يُشاكل أيضا هذا المعنى ولا هو من طريقه؛ لأنه تشكى فى سائر الشعر قومها دونها، وهذا بيت يصف فيه
١٠ الصدّ منها، ولكن هكذا هو فى رواية ابن الأعرابى —

وأنتِ المُنَى لو كنتِ تستأنفيننا * بخير ولكن مُعْتفاك جديبُ (٦)
أيؤكلُ مالى وابنُ مروانَ شاهدٌ * ولم يقضِ لى وابنُ الحُسَام قريبُ
فتًى مَحْضُ أطرافِ العروق مساورٌ * جبالَ العلا طلقُ اليدين وهوبُ (٧)

فأمر محمدُ بنُ مروان باحضار ابنِ الحسام الكلابى فأُحْضِر، فحبسه حتى ردّ مال
١٥ العجير، وأمر العجير بالانصراف إلى حيّه وتَرْكِ النزولِ على المرأة أو فى قومها .
قال : وقال العجير فيها أيضا :

(١) ما : اسم استفهام . وأم : حرف عطف . وأريكة : اسم جبل بالبادية . وقال الأصمعى أريكة : ماء لبنى كعب (معجم البلدان ج ١ ص ٢١٢) . وهروب : من قرى صنعاء باليمن .
(٢) الحصان : العفيفة أو المتزوّجة . والحميا : الحوزة والجانب . (٣) الشموس : الجامحة .
٢٠ ومقاريف الرجال : المتهمون . والسبوب : من السب والطعن . (٤) التساعف : الدنو والقرب والإقبال الشديد . (٥) التبيع : المولى والناصر . وتثيب : تعطف .
(٦) تستأنفيننا : تعودين إلينا بخير وتجدّدين العودة . والمعتفى : الموضع الذى يطلب فيه الحاجة .
(٧) محض أطراف العروق : خالص الأصول طاهرها . والمساور : المواثب . وفى بعض الأصول «حبال» بالحاء، أما فى ط فبالجيم .

هاتيك جُمْلٌ بأرض لا يُقرِّبُها * إلّا هِبَلٌّ من العِيدِى مُعْتَقِد (١)

ودونها مَعشر خزر عيونُهم * لو تخمُدُ النار من حَرٍّ لما خمدوا (٢)

عدُّوا علينا ذنوبا فى زيارتها * ليحجبوها وفى أخلاقهم نَكَد (٣)

وحالَ من دونها شَكْسٌ خلائقه * كأنه نَمِرٌ فى جلده الرُّبَد (٤)

فليس إلا عويلٌ كلما ذُكِرَتْ * أو زفرةٌ طالما أنَّتْ بها الكَبِد

وتيّمتْنِى جُمْل فاستمرّ بها * شَحطٌ من الدار لا أَمٌّ ولا صَدَد (٥)

قالوا غداة استقلت : ما لمقلته * أمن قذى هملت أم عارها رمد (٦)

فقلت لا بل غدت سلمى لِطِيَّتِها * فليتهم مثل وجدى بُكرةً وَجَدوا (٧)

إن كان وصلُك أبلى الدهرُ جِدّته * وكلُّ شيءٍ جديدٍ هالكٌ نَفَد (٨)

فقد أرانى ووجدى إذ تفارقنى * يوما كوجدِ عجوزٍ درعُها قِدَد (٩)

تبكى على بطل حُمَّتْ منيته * وكان واترَ أعداء به ابترَدوا (١٠)

وقد خلا زمنٌ لو تَصرِمين له * وَصْلى لأيقنتُ أنّى ميّتٌ كَمَد (١١)

---

(١) الهبل : الضخم أو الطويل يقال بكسر الهاء والباء ، وبكسرها مع فتح الباء . والعيدى : منسوب إلى فحل معروف منجب ، و يقال النجائب العيدية . والمعتقد : الموثق الظهر الصبور الشديد الصلب .

(٢) خزر العيون : جمع أخزر ، وهو ضيق العين ، كناية عن العداوة . (٣) النكد : الشح والعسر والبخل . (٤) الشكس : الصعب . الربد : جمع ربدة ، وهو السواد المتقطع فيه احمرار ، أو الغبرة .

(٥) الشحط : البعد . والأم : القصد . وفى الأصول : «أيم» . والصدد : القرب . يريد أن المسافة بعيدة وأنها أرض لا يسهل قطعها . (٦) هملت : فاضت ودام نزول دمعها . وعارها : أصابها .

(٧) طيتها : وجهها الذى تريده ونيتها التى انتوتها . والطيبة : الحاجة والوطر وتكون منزلا ومثوى . وجدوا بفتح الجيم : اعتراهم الوجد ، وهو الحب الشديد . (٨) نفد بالتحريك . وفى ط بكسر الفاء ، وهو : الفانى . (٩) القدد : القطع ، جمع قدة بالكسر .

(١٠) حمت : نزلت . والواتر : المفزع المدرك الأعداء . وابتردوا ، معناه فى الأصل : صبوا على أجسامهم الماء أو شربوه ، أى أثلجت قلوبهم لموته . (١١) من الكمد ، وهو الحزن الشديد .

أزمانَ تعجبُنى جمْلٌ وأكتمُه * جُمْلًا حياءً، وما وجدٌ كما أجد

فقد برِئتُ على أنى إذا ذُكِرَتْ * ينهلُّ دمعى وتحيا غُصّةٌ تَلَدُ (١)

من عهد سَلمى التى هام الفؤادُ بها * أزمانَ أزمانَ سلمى طِفلةٌ رُودُ (٢)

قد قلت للكاشح المبدى عداوتَه * قد طالما كان منك الغشُّ والحسد

٥ ألا تُبِينُ لى لا زلت تُبغضنى * حتّامَ أنت إذا ما ساعفَت ضَمِدُ (٣)

وصية عبد الملك لمؤدب ولده أن يرويهم مثل قول العجير

وقال ابن حبيب : قال عبد الملك لمؤدّب ولده : إذا روّيتهم شعرا فلا تروّهم إلّا مثلَ قول العُجير السلولى :

يَبِين الجارُ حين يَبِين عنّى * ولم تأنسْ إلىّ كلابُ جارى

وتظعنُ جارتى من جَنب بيتى * ولم تُستَر بستر من جِدارى (٤)

١٠ وتأمن أن أطالع حين آتى * عليها وَهى واضعةُ الخمار

كذلك هَدْىُ آبائى قديما * توَارثه النِّجار عن النِّجار

فهديِى هديُهم وهُم افتَلَونى * كما افتُلِى العتيق من المِهارِ (٥)

---

(١) ينهل دمعى : يشتدّ انصبابه . والغصة : ما يعترض فى الحلق ويدفع بالماء . قال الشاعر :

لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصارى

١٥ وتلد بفتح التاء واللام ، وهى لغة فى التلاد ، وهو القديم .

(٢) الرؤد : الشابة الحسنة . وانظر ما مضى من الكلام على تكرار الظرف فى حواشى ص ٦٨ .

(٣) الضمد ، يقال ضمِد فلان على فلان : حقد عليه .

(٤) فى ط «حذار» بالحاء بدل الجيم .

(٥) افتلونى ، يقال فلا الصبى والمهر فلوا وأفلاه وافتلاه : عزله عن الرضاع وفصله . وافتليته : فطمته

٢٠ أى : فطمونى عن جهل الصبا وعقلت . والعتيق : الفرس الرائع الكريم . والمهار ، بكسر الميم : جمع مهر بالضم ، وهو ولد الفرس .

١٥٩ / ١١

وقال ابنُ حبيب أيضا : نزل العجيرُ بقوم فأكرموه وأطعموه وسقَوْه ، فلما سكر قام إلى جمله فعقره ، وأخرج كبِدَه وجبَّ سَنامه ، فجعل يشوى ويأكل ويُطعِم ويغنى :

علّلانى إنما الدنيا عَلَل * واسقيانى عَلَلًا بعد نهل (١)

وانشُلا لى اللحم من قِدْريكما * واصبحانى أبعدَ اللهُ الجمل (٢)

فلما أفاق سأل عن جمله فأُخبر ما صنع به ، فجعل يبكى ويصيح : واغربتاه ! وهم يضحكون منه . ثم أعطوه جملا وزوّدوه ، فانصرف حتّى لحق بقومه .

أخبرنى عمّى بهذا الخبر قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سعد قال : حدّثنا الحكم ابن موسى بنُ الحسين بنِ يزيدَ السلولى قال : حدّثنى أبى عن عمّه فقال فيه :

مر العجيرُ بفتيان من قومه يشربون نبيذا لهم فشرب معهم ، وذكر باقى القصّة نحوًا مما ذكر ابنُ حبيب ، ولم يقل فيها : — فلما أصبح جعل يبكى ويصيح : واغربتاه ! — ولكنه قال : فلمّا أصبح ساق قومُه إليه ألفَ بعير مكانَ بعيره .

سليمان بن عبد الملك يعجب بشعر العجير ويأمر له بثلاثين ألفا ردها على قومه ووهبها لهم

أخبرنى عمّى وحبيبُ بن نصرٍ المهلّبىّ قالا : حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سعد قال : حدّثنى الحكم بنُ موسى بنِ الحسين السلولى قال : حدّثنى أبى عن عمه قال : عرض العجيرُ لسليمانَ بن عبدِ الله وهو فى الطواف ، وعلى العجير بُرْدان يساويان مائةً وخمسين دينارا ، فانقطع شِسعُ نعله (٣) فأخذها بيده ، ثم هتف بسليمان فقال :

ودلّيتُ دلوى فى دِلاء كثيرة * إليك فكان الماءُ ريّانَ مُعلما (٤)

(١) عللانى : أشغلانى بطعام وحديث ونحوهما . والعلل : الشرب الثانى . والنهل : الشرب الأوّل .

(٢) انشلاه : أخرجاه باليد من غير مغرفة . اصبحانى : اسقيانى الصبوح من لبن النوق .

(٣) الشسع : قبال النعل ، والقبال ككتاب : زمام بين الإصبع الوسطى والتى تليها .

(٤) الريان : الكثير . المعلم : ما فيه علامة ، أراد أنه مشهور معروف .

فوقف سليمان ثم قال : لله دره ما أفصحه ، والله ما رض ، أن قال ريان حتى قال معلما ، والله إنه لَيُخَيَّلُ إلىّ أنه العُجير ، وما رأيتــه قط إلا عند عبد الملك . فقيل له : هو العجير . فأرسل إليه : أن صر إلينا إذا حللنا . فصار إليه ، فأمر له بثلاثين ألفا و بصدقات قومه ، فردّها العجير عليهم ووهبها لهم .

رثاء العجير لابن عمه

أخبرنى الحرمى بنُ أبى العلاء قال : حدّثنى هرونُ بن موسى الفروى[1] قال : كان ابن عم للعجير السّلولى إذا سمع بأضياف عند العجير لم يَدَعْهم حتى يأتى بجزور كوماء[2]، فيطعنَ فى لَبَّتها عند بيته ، فيبيتون فى شواء وقدير[3]، ثم مات ، فقال العجير يرثيــه :

تركنا أبا الأضياف فى ليلة الصَّبا * بمَــرٍّ[4] ومِردى كل خصم يجادله
وأرعيــه سمعى كلّما ذُكر الأسَى * وفى الصّدرِ منى لوعةٌ ما تزايله
وكنت أعيرُ الدّمعَ قبلك مَن بكى * فأنت على مَنْ مات بعدك شاغلُه

هكذا ذكر هرون بنُ موسى فى هذا الخبر ، والبيت الثالثُ من هذه الأبيات للشّمردلِ بنِ شَريك لايُشَكُّ فيه ، من قصيدة له طويلة . فيه غناء قد ذكرته فى أخباره .

صـــوت

فتــاةٌ كأن رضابَ العبيــر * بفيهــا يُعَــلُّ[5] به الزنجبيــلُ
قتلتُ أباهــا عــلى حبِّهــا * فتبخلُ إن بخلَت أو تُنيــلُ

الشعر لخُزيمةَ بنِ نهدٍ ، والغناءُ لطويس ، خفيفُ رملٍ بالبِنصر عن يحيى المكىّ .

---

(١) الفروى : نسبة إلى جد له يقال له « أبو فروة » . (٢) الكوماء : الناقة العظيمة السنام . (٣) القدير : ما يطبخ فى القدر . (٤) مر ، بفتح الميم : ماءة لبنى أسد مات بها جابر بن زيد ، وهو ابن عم العجير . انظر معجم البلدان (مر) حيث أنشد المرثية . وفى بعض الأصول : « بصر » تحريف . ومردى الخصومة والحرب : الصبور عليهما . (٥) يعل به : يخلط .

أخبار خُزيمة بن نهد ونسبه

أخبار خزيمة ونسبه
١٦٠
١١

هو خُزيمةُ بنُ نهد بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بنَ الحاف بن قضاعة . شاعر مقل من قدماء الشعراء فى الجاهلية . وفاطمة التى عناها فى شعره هذا : فاطمة بنتُ يذكُر بن عنزةَ بن أسدِ بنِ ربيعةَ بنِ نزار ، كان يهواها فخطبها من أبيها فلم يزوّجه إياها ، فقتله غيلة . وإياها عنى بقوله :

٥

إذا الجوزاءُ أردَفَت الثُّريا * ظننت بآلِ فاطمة الظنونا (١)

أخبرنى بخبره محمدُ بنُ خلف وكيعٌ قال : حدّثنا عبيد الله بن سعد الزبيرى قال : حدّثنى عمّى قال حدّثنى أبى — أظنه عن الزهرى — قال : كان بدءُ تفرّق بنى إسماعيل ابنِ إبراهيم عليهما السلامُ عن تهامةَ ونزوعِهم عنها إلى الآفاق ، وخروجِ من خرج منهم عن نسبه ، أنه كان أوّل من ظعن عنها وأخرج منها قضاعةَ بنَ معدّ . وكان سبب

١٠

خزيمة يشبب بفاطمة بنت يذكر بن عنزة

خروجهم أن خزيمةَ بنَ نهدِ بنِ زيد بنِ سودِ بنِ أسلمَ بنِ الحاف بن قضاعة بن معدّ كان مشؤوما فاسدا ، متعرّضا للنساء ، فعلق فاطمة بنتَ يذكر بن عَنَزَةَ — واسم يذكر عامر — فشبب بها وقال فيها :

إذا الجوزاء أردفت الثريا * ظننتُ بآل فاطمة الظنونا
وحالت دون ذلك مِن همومى * همومٌ تُخْرِج الشجن الدّفينا

١٥

(١) الجوزاء : برج فى السماء . أردفت الثريا : ردفتها وتلتها ، وذلك يكون فى شدّة الحرّ فتتكبد السماء فى آخر الليل ، وعند ذلك تنقطع المياه وتجف ويتفرق الناس فى طلبها . وظنه يحتمل أمرين : أن تكون مجاورة له ، فهى حينئذ تفارقه مع أهلها لطلب الماء . وقد تكون فى موطن آخر ، فهو متوقع أن يجمع بينهما ماء من المياه . انظر الأزمنة والأمكنة (٢ : ١٣٠ — ١٣١)

أرى ابنة يذكرٍ ظعنت، فحلَّت ❊ جَنوبَ الحَزْن يا شَحَطا مبينا (١)

مقتل يذكر بن عنزة وإشعاله الشر بين قضاعة ونزار

قال : فمكث زمانا، ثم إن خزيمةَ بن نهد قال ليذكر بنِ عنزةَ : أحب أن تخرج معي حتى نأتى بِقَرَظ . فخرجا جميعا، فلما خلا خزيمةُ بن نهد بيذكر بنِ عنزة قتله، فلما رجع — وليس هو معه — سأله عنه أهله، فقال : لست أدرى، فارقني وما أدرى أين سلك . فكان فى ذلك شرٌّ بين قضاعةَ ونزار ابنى معد، وتكلموا فيه فأكثروا، ولم يصحَّ على خزيمة عندهم شيء يطالبون به، حتى قال خزيمة ابن نهد :

فتاة كأنَّ رضابَ العبير (٢) ❊ بفيها يُعَلّ به الزنجبيلُ
قتلت أباها على حبِّها ❊ فتبخلُ إنْ بخِلت أو تنيلُ

فلما قال هذين البيتين تثاور الحيّان فاقتتلوا وصاروا أحزابا، فكانت نزارُ بنُ معد وهي يومئذ تنتسب فتقول كندة بن جُنادة بن معد . وحاءٌ وهم يومئذ ينتمون فيقولون حاءُ بنُ عمرِو بنِ أُدّ بن أُدَد . وكانت قضاعة تنتسب إلى معد، وعك يومئذ تنتمى إلى عدنان فتقول: عك عدنان بن أُدّ، والأشعريون ينتمون إلى الأشعر بن أدد . وكانوا يتبدَّون (٣) من تهامة إلى الشأم، وكانت منازلهم بالصُّفَّاح، وكان مَرّ وعُسْفان لربيعة ابن نزار، وكانت قضاعة بين مكة والطائف، وكانت كندة تسكن من الغَمر إلى ذات عِرق، فهو إلى اليوم يسمى غمر كندة . وإياه يعنى عمر بن أبى ربيعة بقوله :

---

(١) ظعنت : رحلت . والحزن : ما غلظ من الأرض . والشحط المبين : البعد القوى .
(٢) بهامش ط : « العصير » .
(٣) يتبدون : ينزلون البادية .

إذا سلكت غمر ذى كندة * مع الصبح قصدٌ لها الفرقد[1]

هنا لك إما تُعَزى الهوى * وإما على إثرهم تكمد[2]

وكانت منازلُ حاءِ بنِ عمرِو بنِ أُدَد، والأشعرِ بنِ أددٍ، وعكِّ بنِ عدنانَ بن أدد، فيما بين جُدّة إلى البحر .

القارظان

قال : فيذكُرُ بنُ عنزَةَ أحدُ القَارظَيْن[3] اللذين قال فيهما الهذلى : ٥

١٦١
١١

وحتّى يؤوب القارظان كلاهما * ويُنْشرَ فى القتلى كليبٌ لوائل

والآخر من عنزة، يقال له أبو رُهْم، خرج يجمع القرظ فلم يرجع ولم يُعْرف له خبر .

قال : فلما ظهرت نزارٌ على[4] أن خزيمةَ بنَ نهد قتَلَ يذكُرَ بنَ عنزةَ قاتلوا قضاعةَ أشدّ قتالٍ، فهزمت قضاعةُ وقُتِل خزيمةُ بنُ نهد وخرجت قضاعةُ متفرقين، فسارت تيمُ اللّات بنُ أسدِ بنِ وبرَة بنِ تغلبَ بنِ حلوانَ بن عِمرانَ بن آلحاف بن قضاعةَ، وفرقة من بنى رُفيدةَ بنِ ثور بن كلب بن وبرة، وفرقة من الأشعريين، نحو البحرين حتى وردوا هجر، وبها يومئذ قوم من النبط، فنزلت عليهم هذه البطون فأجْلَتْهم، فقال فى ذلك مالك بن زهير : ١٠

انهزام قضاعة وقتل خزيمة بن نهد

نَزَعنا مِن تهامةَ أىَّ حىٍّ * فلم تحفل بذاك بنو نزار

ولم أك من أنيسكمُ ولكنْ * شرينا دارَ آنسةٍ بدار ١٥

(١) وفى ديوان عمر بن أبى ربيعة طبع أوربا « قصد » بالرفع، وفى معجم البلدان بالنصب .

(٢) فى معجم البلدان وديوان عمر بن أبى ربيعة : «الفؤاد» بدل «الهوى» .

(٣) القرظ محركة : ورق السلم أو ثمر السنط . والقارظ : مجتنيه .

(٤) ظهر على الشىء : عرفه .

الزرقاء بنت زهير تحدث بقول الكهان فى الرحيل والنزول بأرض عبقر

فلما نزلوا هَجَر قالوا للزرقاء بنت زُهَير — وكانت كاهنة — ما تقولين يازرقاءُ؟ قالت : « سَعَفٌ وإِهان[1]، وتمر وألبان، خيرٌ من الهوان» . ثم أنشأت تقول :

وَدّع تِهَامَةَ لا وَداعَ مُخَالِق[2] * بذمامه لكن قِلًى وملامِ

لا تُنْكِرى هَجَرًا مُقام غريبةٍ[3] * لن تَعَدَمى من ظاعنين تِهَامِ

٥ فقالوا لها : فما ترين يازرقاء؟ فقالت : «مُقامٌ وتَنُوخ، ما وُلِد مولودٌ وأنْقفتْ[4] فروخ[5]، إلى أن يجيءَ غراب أبقع، أصمع[6] أنزع[7]، عليه خلخالا ذهب، فطار فألهب[8]، ونَعَق فنَعَب، يقع على النخلة السَّحُوق[9]، بين الدُّور والطريق، فسيروا على وَتِيرة، ثم الحِيرة الحيرة!» . فسُمِّيت تلك القبائلُ تَنُوخَ لقول الزرقاء : «مقام وتَنُوخ» . ولحق بهم قوم من الأزد فصاروا إلى الآن فى تنوخ، ولحق سائرُ قضاعةَ موتٌ ذريع ؛ وخرجت

١٠ فرقة من بنى حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضَاعة يقال لهم : بنو تَزيد، فنزلوا عَبْقَر من أرض الجزيرة، فنَسَج نساؤهم الصُّوفَ وعمِلوا منه الزرابىّ[10]؛ فهى التى يقال لها العبقرية، وعمِلوا البرود التى يقال لها التَّزِيدية[11] . وأغارت عليهم الترك، فأصابتهم، وسَبَتْ منهم . فذلك قول عمرو بن مالك :

أَلَا لله ليــلٌ لَمْ نَنَمْــهُ * على ذات الخضاب مُجَنَّبينا[12]

١٥ وليلتُنا بآمِــدَ لَمْ نَنَمْها * كليلتنا بميَّافارقينا[13]

(١) الإهان : العرجون . (٢) المخالق : الذى يعاشر الناس على أخلاقهم .

(٣) لا تكرهى المقام الجديد الغريب فى هجر فستجدين معك مسافرين من تهامة .

(٤) أنقفت فروخ، بالنون والقاف : ثقبت بيضها وخرجت .

(٥) الفروخ : جمع فرخ : وهو ولد الطير . (٦) الأصمع : صغير الأذن .

٢٠ (٧) الأنزع : منحسر الشعر من جانبى الجبهة . (٨) ألهب : اشتدّ فى طيرانه كما يلهب الفرس فى عدوه . (٩) السحوق : الطويلة .

(١٠) الزرابى : الوسائد والبسط، أو كل ما اتكىء عليه . (١١) فى ط « الزيدية » وهو تحريف . (١٢) المجنبون : الذين انقطعت ألبان إبلهم .

(١٣) ميافارقين بفتح أوله وتشديد ثانيه : أشهر مدينة بديار بكر .

وأقبل الحارثُ بنُ قُرادٍ البهرانيُّ ليعيث فى بنى حُلْوان، فعرض له أُباغُ بن سُلَيح صاحبُ العين (١)، فاقتتلا، فقُتِل أباغ، ومضت بهراءُ حتى لحقوا بالترك، فهزموهم واستنقذوا ما فى أيديهم من بنى تزيد. فقال الحارث بن قُراد فى ذلك :

بهراء تلحق بالترك وتهزمهم

كأنَّ الدهرَ جُمِّعَ فى ليالٍ * ثلاثٍ بِتُّهن بِشَهْرَزُور (٢)

صَفَفْنا للأعاجم من مَعَدٍّ * صفوفًا بالجزيرة كالسَّعِير

سليح بن عمرو ونزولها ناحية فلسطين

وسارتْ سَليحُ بنُ عمرو بن الحاف بنِ قُضاعة يقودها الحَدْرِجانُ بنُ سَلَمَةَ حتى نزلوا ناحية فِلَسْطين على بنى أُذَيْنَةَ بنِ السَّمَيْذَع من عاملة. وسارت أسلم بن الحاف وهى عُذْرةُ ونَهْدٌ وحَوْتَكَة وجُهَيْنَةُ والحارثُ بن سَعْد، حتى نزلوا من الحِجْر إلى وادى القُرَى، ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين. ثم أقبل غرابٌ فى رجليه حَلْقَتا ذهب وهم فى مجلسهم، فسَقَط على نَخْلةٍ فى الطريق، فنَعَق نَعَقات ثم طار؛ فذكروا قول الزرقاء، فارتحلوا حتّى نزلوا الحيرةَ. فهُمْ أوّلُ مَن اختطَّها (٣): منهم مالكُ بنُ زهير. واجتمع إليهم لمّا ابْتَنَوا بها المنازلَ ناسٌ كثير من سُقّاط القرى (٤)، فأقاموا بها زمانا؛ ثم أغار عليهم سابور الأكبر (٥)، فقاتلوه فكان شعارهم يومئذ : يا آل عباد الله!

١٥٦
١١

---

(١) أى العين المشهورة بعين أباغ. (٢) شهرزور : معنى شهر بالفارسية : المدينة. قال مسعر بن مهلهل الأديب : شهرزور : مدينات وقرى فيها مدينة كبيرة، وهى قصبتها فى وقتنا هذا يقال لها نيم أزراى. ومن طريف ما ورد فيها قول أبى محمد جعفر بن أحمد السراج :

وعدت بأن تزورى بعد شهر * فزورى قد تقضى الشهر زورى

وموعد بيننا نهر المعلى * إلى البلد المسمى شهرزور

فأشهر صدك المحتوم حق * ولكن شهر وصلك شهر زور

(٣) اختطها : وضع أساسها.

(٤) السقاط بضم السين المشددة : جمع ساقط، وهو النازل على القوم. وفى اللسان : «يقال سقط إلىّ قوم : نزلوا على». (٥) سابور : ملك من ملوك الفرس.

فَسُمُّوا العبادَ، وهزمهم سابُور، فصار معظمُهم ومن فيه نهوضٌ إلى الحَضْر من الجزيرة يقودهم الضَّيْزَنُ بنُ معاويةَ التّنوخى، فمضى حتّى نزل الحَضْر وهو بناء بناه الساطرون[1] الجُرْمُقانى، فأقاموا به، وأغارت حِميَرُ على بقية قضاعة، فخيّروهم بين أنْ يُقيموا على خراجٍ يدفعونه إليهم أو يخرجوا عنهم، فخرجوا — وهم كلبٌ، وجَرْمٌ والعلاف، وهم بنو زَبّانَ بنِ تغلب بن حلوان، وهو أوّل من عمل الرِّحال العِلافية، — وعلافٌ لقب زَبّان — فلحقوا بالشام، فأغارت عليهم بنو كنانة بنِ خزيمة بعد ذلك بدهر، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة، وانهزموا فلحقوا بالسماوة[2]، فهى منازلهم إلى اليوم .

صـــوت

إنى امرؤ كفَّنى ربى ونزَّهنى * عن الأمور التى فى غبِّها وخَمُ[3]

وإنما أنا إنسانٌ أعيش كما * عاش الرجالُ وعاشت قبْلِىَ الأمم

الشعر للمغيرة بنِ حبناء، من قصيدةٍ مدح بها المهلبَ بنَ أبى صفرة، والغناء لأبى العُبَيس آبن حمدون، ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر، وهو من مشهور أغانيه وجيّدها .

(١) الساطرون : ملك من ملوك العجم قتله سابور ذو الأكتاف ، وسمى بذلك لأنه كان يخلع أكتاف الأسرى . (٢) السماوة : موضع بين الكوفة والشام .

(٣) الوخم : الضار الذى لا يوافق .

نسب المغيرة بن حَبْناء وأخباره

المغيرة بنُ حبناءَ بنِ عمرِو بنِ ربيعة بنِ أسيد بن عبدِ عوف بن ربيعة بنِ عامر ابن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وحبناء لقبٌ غَلَبَ على أبيه واسمه جُبيرُ بنُ عمرٍو، ولُقِّبَ بذلك لِحَبَنٍ(1) كان أصابه . وهو شاعرٌ إسلامىّ من شعراء الدّولة الأموية، وأبوه حبناءُ بن عمرو شاعرٌ، وأخوه صخر بن حبناء شاعر، وكان يهاجيه، ولهما قصائد يتناقضانها كثيرةٌ، سأذكر منها طرفاً . وكان قد هاجى زياداً الأعجم فأكثر كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه وأفحش، ولم يغلب أحدٌ منهما صاحبه، كانا متكافئين فى مهاجاتهما يَنْتَصِفُ كلُّ واحد منهما من صاحبه .

مديحه لطلحة الطلحات

أخبرنى محمدُ بنُ خلف بنِ المرزبانِ قال: أخبرنى عبيدُ الله بنُ محمد بنِ عبد الملكِ الزيات قال : حدّثنى الحسنُ بن جُهْوَرٍ عن الحِرْمَازِى قال : قدم المغيرة بن حبناء على طلحةِ الطلحات الخُزاعىّ ثم الْمُلَيْحىّ، أحد بنى مُلَيح، فأنشده قوله فيه :

لقد كنتُ أسعى فى هواكَ وأبتغى * رضاكَ وأرجو منكَ مالستُ لاقيا
وأبذُلُ نفسى فى مواطِن غيرُها * أَحَبُّ، وأعصى فى هواكَ الأدانيا
حِفاظًا وتمسيكا(2) لما كان بيننا * لِتَجْزِيَنى ما لا إخالُكَ جازيا
رأيتُكَ ما تنفكُّ منك رَغيبةٌ * تقصّر(3) دونى أو تحلُّ ورائيا
أُرانى إذا استمطرتُ منك رَغيبةً * لِتُمْطِرَنى(4) عادتْ عَجَاجا وسافيا
وأدليتُ دلوى فى دِلاء كثيرة * فأُبْنَ ملاءً غيرَ دلوى كما هيا

(1) الحبن : ورم فى البطن .   (2) التمسيك : الصيانة .

(3) تقصر دونى : لا تصل إلى .   (4) استمطرت رغيبة : طلبت . والرغيبة : ما يرغب فيه . والعجاج : الغبار . والسافى : الريح التى تحمل التراب، أو الغبار نفسه .

ولستُ بلاقٍ ذا حِفاظٍ ونَجـدةٍ * من القوم حُرًّا بالخسيسة راضيا
فإن تدن منى تدنُ منـكَ مودتى * وإن تنأ عـنى تُلفِنى عنـكَ نائيا

قال : فلما أنشده هـذا الشعرَ، قال له : أمَا كُنّا أعطيناك شيئا ؟ قال : لا. فأمر طلحةُ خازنَه فأخرج دُرْجًا فيه حِجارةُ ياقوت، فقال له : اختر حجرين من هذه الأحجار أو أربعين ألفَ درهم. فقال : ما كنتُ لأختار حجارةً على أربعين ألف درهم! فأمر له بالمـال. فلما قبضه سأله حجرا منها، فوهبه له، فباعه بعشرين ألف درهم. ثم مدحه، فقال :

أرى الناسَ قد مَلُّوا الفَعال ولا أرى * بنى خلف إلا رَواءَ المـواردِ (١)
إذا نفعوا عادوا لمن ينفعونه * وكائن ترى من نافـع غـيرِ عائد (٢)
إذا ما انجلت عنهم غمـامةُ غمرةٍ * من الموت أجلت عن كرامٍ مَذاوِدِ (٣)
تسـود غطاريفَ الملوك ملوكُهم * وماجِدُهم يعـلو على كل ماجـد (٤)

مديحه للهلب بن أبى صفرة

أخبرنى هاشمُ بن محمد قال حدّثنا المغيرةُ بنُ محمد المهلبى عن رواة باهلة، أنّ المهلب بنَ أبى صفرة لـما هزَم قطرىَّ بنَ الفجاءة بسابور (٥) جلس للناس، فدخل إليه وجوههم يهنئونه وقامت الخطباء فأثنت عليـه ومدحته الشعراء، ثم قام المغيرة بن حبناء فى أخرياتهم فأنشده :

---

(١) الرواء : من الرى. والرواء بفتح الراء : الماء العذب.
(٢) وكائن : بمعنى كم، أى كثير. هؤلاء القوم يكررون النفع ويعودون وغيرهم ينفع مرة واحدة.
(٣) الغمرة : الشـدّة. والمذاود : جمع مذود وهو الكثير الذود والدفع عن العشيرة.
(٤) الغطاريف : جمع غطريف : وهو السيد الشريف والسخى السرى.
(٥) سابور : كورة مشهورة بأرض فارس.

حال الشجا دونَ طَعْم العيش والسهرُ * واعتاد عينَك من إدمانها الدِّرَرُ (١)

واستَحقَبتك (٢) أمورٌ كنتَ تكرهها * لو كان ينفعُ منها النأىُ والحذر

وفى الموارد للأقوام تَهْلُكةٌ * إذا الموارِدُ لم يُعْلم لها صَدَر (٣)

ليس العزيزُ بمن تُغشَى محارِمُه * ولا الكريمُ بمن يُجْفَى ويُحتقَرُ

حتى انتهى إلى قوله :

أمسى العِبادُ بشرٍّ لاغياثَ لهم * إلا المهلبُ بعد الله والمطرُ

كلاهما طيِّبٌ تُرْجى نوافله * مباركٌ سَيْبُه يُرجى ويُنتظَر (٤)

لا يَجْمُدانِ (٥) عليهم عند جَهدِهم * كلاهما نافعٌ فيهم إذا افتقروا

هذا يذودُ ويحمى عن ذِمارِهم (٦) * وذا يعيش به الأنعام والشجر

واستسلم الناسُ إذ حلَّ العدوُّ بهم * فلا ربيعتُهم تُرجَى ولا مضرُ

وأنت رأسٌ لأهل الدين منتخَبٌ * والرأسُ فيه يكون السمع والبصر

إن المهلّب فى الأيام فضّله * على منازلِ أقوامٍ إذا ذُكروا

حزمٌ وجودٌ وأيامٌ له سلفتْ * فيها يُعَدُّ جسيمُ الأمر والخطرُ

ماضٍ على الهولِ ما ينفكُّ مرتحلا (٧) * أسبابَ معضلةٍ يعيا بها البشر

سهلُ الخلائق يعفو عند قدرتِه * منه الحياء ومن أخلاقه الخفَرُ

---

(١) الدرر : جمع درة بالكسر . هى كثرة اللبن ، والمراد هنا انسكاب الدموع بغزارة .

(٢) استحقبتك : ادخرتك . (٣) الموارد : جمع مورد ، وموارد الأمور : مداخلها . يقول : من لم يعرف عاقبة أمره الذى دخل فيه هلك .

(٤) السيب : العطاء . (٥) لا يجمدان : لايبخلان .

(٦) الذمار بكسر الذال : ما يلزمك حفظه وحمايته .

(٧) مرتحلا : راكبا ، أى هو يركب المعضلات من الأمور حتى يذللها و ييسرها .

شهابُ حربٍ إذا حلّت بساحته * يُخْزِى به الله أقواما إذا غدروا

تزيدُه الحربُ والأهوالُ إن حضرت * حزما وعزما ويجلو وجهَه السفر

ما إن يزالُ عـلى أرجاءِ مُظْلِمةٍ * لولا يكفكفُها عن مِصرهم دَمَروا [1]

سهلٌ إليهم حليم عن مجاهلهم * كأنما بينهم عثمانُ أو عمر

كهفٌ يلوذون من ذُلّ الحياة به * إذا تكنّفهم مِن هولها ضرر [2]

أمنٌ لخائفهم فيضٌ لسائلهم * ينتاب نائلَه البادون والحَضَر

فلما أتى على آخرها قال المهلب : هـذا والله الشِّعرُ، لا ما نُعَلَّلُ به ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وفرسٍ جوادٍ، وزاده فى عطائه خمسمائةِ درهمٍ .

والقصيدة التى منها البيتان اللذان فيهما الغناء المذكور بذكره أخبارُ المغيرة، من قصيدة له مدح بها المهلبَ بنَ أبى صفرةَ أيضا . وأوّلها :

أمِن رسومِ ديارٍ هاجك القِـدم * أَقْوَتْ وأقفر منها الطَّفُّ والعَلَم [3]

وما يَهيجُك من أطلالِ منزلة * عفّى معالِمَها الأرواح والدِّيَم [4]

بئس الخليفـةُ من جارٍ تضنُّ به * إذا طربتَ أثافى القِدر والحُمَم [5]

دارُ التى كاد قلبى أن يُجَنَّ بها * إذا ألمّ به مِن ذِكرها لَمَم [6]

إذا تذكرها قلبى تضيَّفه * همٌّ تضيق به الأحشاء والكَظَم [7]

(١) يكفكفها : يردها . دمروا : هلكوا . (٢) يلوذون : يلجئون . تكنفهم واكتنفهم : أحاط بهم . (٣) الرسوم : الآثار أو بقيتها . أقوت : خلت وأقفرت . والطف والعلم : موضعان . (٤) الأرواح : الرياح . الديم جمع ديمة بكسر الدال : مطر يدوم فى سكون بلا رعد وبرق ، أو يدوم خمسة أيام . (٥) الخليفة هنا : الخلف والبدل . الأثافى : جمع أثفية بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد ثالثه : الحجارة الثلاثة التى توضع عليها القدر . والحمم بضم الحاء واحدته حممة : الفحم . (٦) ألم به : نزل به . واللمم : الجنون . (٧) الكظم : مخرج النفس .

والبينُ حين يروعُ القلبَ طائفُه * يبدى ويظهر منهم بعضَ ما كتموا

إنى امرؤ كفّنى ربى وأكرمنى * عن الأمور التى فى غبّها وخم (١)

وإنما أنا إنسان أعيش كما * عاش الرجال وعاشت قبلى الأمم

سبب قوله قصيدة الصوت

وهى قصيدة طويلة، وكان سببُ قوله إياها أنّ المهلب كان أنفذ بعض بنيه فى جيشٍ لقتالِ الأزارقة، وقد شدّت منهم طائفةٌ تُغير على نواحى الأهواز، وهو مقيمٌ يومئذ بسابور، وكان فيهم المغيرةُ بنُ حبناء، فلما طال مُقامه واستقر الجيش لحق بأهله، فألَمّ بهم وأقام عندهم شهرا، ثم عاود وقد قفل الجيش إلى المهلب فقيل له: إن الكُتّاب خطُّوا على اسمه، وكُتِبَ إلى المهلب أنه عصَى وفارق مكتبه بغير إذن، فمضى إلى المهلب، فلما لقيه أنشده هذه القصيدة واعتذر إليه فعذره، وأمر باطلاقِ عطائه وإزالة العتبِ عنه، وفيها يقول يذكر قدومه إلى أهله بغير إذن:

ما عاقنى عن قُفُولِ الجندِ إذ قفلوا * عِىٌّ بما صنعوا حولى ولا صَمَمُ

ولو أردتُ قفولا ما تجهّمنى (٢) * إذنُ الأمير ولا الكُتّابُ إذ رقموا

أنى ليعرفنى راعى سريرهم * والمُحدِجون (٣) إذا ما ابتلّت الحُزُمُ

والطالبون إلى السلطان حاجتَهم * إذا جفا عنهم السلطان أو كَرَموا (٤)

فسوف تُبْلِغُك الأنباءَ إن سلِمت * لك الشواحِج (٥) والأنفاسُ والأُدُم

إن المهلّب إنْ أَشتق لرؤيتِه * أو امتدحه فإن الناس قد علموا

إن الكريم من الأقوامِ قد علموا * أبو سعيد إذا ما عُدّت النِّعم

والقائلُ الفاعلُ الميمونُ طائره * أبو سعيد وإن أعداؤه رَغِموا

(١) غبها: عاقبة فعلها. والوخم: المكروه. (٢) ما تجهمنى: ما استقبلنى بغير ما أحب (٣) المحدجون: الذين يشدون الأحداج على الإبل. (٤) كرموا: هابوا. (٥) الشواحج: البغال. والأدم جمع أدماء وآدم، وضم داله للشعر. والأدماء: الناقة أشرب لونها سوادا أو بياضا.

كم قد شهدتُ كراماً من مواطنه * ليست بغيب ولا تقوالهم زعموا (١)
أيامَ أيامَ إذ عض الزمان بهـــم * وإذ تمـنى رجال أنهـم هُزموا (٢)
وإذ يقولون : ليتَ الله يُهلكهم * والله يعـلم لو زلت بهـم قـدم
أيامَ سابور إذ ضاعت رَباعتهـم * لولاه ما أَوطَنوا داراً ولا انتقموا (٣)
إذ ليس شيء من الدنيا نصول به * إلا المغـافر والأبدان والجُـم (٤)
وعاترات من الخَطِّيِّ مُحْصَـدة * نفضى بهن إليهـم ثم نَدَّعـم (٥)

١٦٥
١١

هكذا ذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني في خبر هذه القصيدة، ونسخت من كتابه .

سبب التهاجي بين زياد الأعجم والمغيرة بن حبناء

وذكر أيضاً في هـذا الكتاب أن سبب التهاجي بين زيادٍ الأعجم والمغيرة بنِ حبناءَ، أن زياداً الأعجـم والمغيرةَ بن حبناء وكعبا الأشـقريّ، اجتمعوا عند المهلب وقد مدحوه، فأمر لهم بجوائز وفضّل زياداً عليهم، ووهب له غلاماً فصيحاً يُنشِد شعره، لأن زياداً كان ألكن لا يُفصح ، فكان راويته يُنْشد عنـه مايقوله ، فيتكلف له مؤونة ويجعل له سهماً في صِلاته ، فسأل المهلبَ يومئذ أن يهب له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب، فوهبه له ، فنفسوا عليـه ما فُضِّل به ، فانتدب له (٦)

(١) ولا تقوالهم زعموا : القول المزعوم زورا وبهتانا .
(٢) انظر ما سبق من الكلام على تكرير الظروف في ص ٦٨ .
(٣) رباعتهم : أمرهم الذي كانوا عليـه . وأوطنوا دارا : اتخـذوها دار إقامة .
(٤) المغافر جمع مغفر : الزرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة ، أو حلق يتقنع بها المتسلح . والأبدان جمع بدن بالتحريك : الدرع القصيرة .
(٥) العاترات : المضطربات للينها . والخطى : الرمح المنسوب إلى الخط بلد على سيف البحرين بكسر السين ، وموضـع في عمان . وكانت الرماح تجلب إلى هـذه المواضع فتقوم وتصقل ثم تباع . والمحصدة بضم الميم وفتح الصاد : المحكمة الصنعة . وندعم : نتكئ عليها ونأخذها دعامة .
(٦) انتدب له : مطاوع ندبه للأمر : دعاه ووجهه إليه .

المغيرةُ من بينهم ، فقال للمهلب : أصلح اللهُ الأمير ، ما السبب فى تفضيل الأمير زِيادا علينا ؟ فوالله ما يُغنى غَنَاءنا فى الحرب، ولا هو بأفضلنا شِعرا ، ولا أصدقنا ودا ، ولا أشرفنا أبا ، ولا أفصحنا لسانا ! فقال له المهلب : أما إنّى والله ما جهلت شيأ مما قلت ، وإن الأمرَ فيكم عندى لمتساو ، ولكنّ زيادا يُكْرَم لِسنّه وشعره وموضعه من قومه ، وكلُّكم كذلك عندى ، وما فضلته بما يُنْفَسُ به (١) ، وأنا أعوّضكم بعد هذا بما يزيد على ما فضلته به . فانصرف ، وبلغ زيادا ما كان منه ، فقال يهجوه :

أرى كلَّ قومٍ ينسل اللؤمُ عندهم * ولؤمُ بنى حبناءَ ليس بناسِل (٢)
يَشبُّ مع المولودِ مثلَ شبابه * ويَلقاه مولودا بأيدى القوابل
ويُرضَعُه من ثدى أمٍّ لئيمةٍ * ويُخْلَق من ماءِ امرئٍ غير طائل (٣)
تعالَوْا فعدّوا فى الزمانِ الذى مضى ، * وكل أناس مجدُهم بالأوائل
لكم بفعالٍ يعرف الناس فضله * إذا ذُكِر الأَملاء عند الفضائل (٤)
فغازيكم فى الجيش ألأم مَن غزا * وقافلكم فى الناس ألأم قافل (٥)
وما أنتم مِنْ مالكٍ غيرَ أنكم * كمغرورةٍ بالبوّ فى ظل باطل (٦)
بنو مالك زُهرُ الوجوه وأنتم * تَبيَّنَ ضاحى لؤمكم فى الجحافل (٧)

يعنى برصا كان بالمغيرة بن حبناء .

---

(١) ينفس به : يحسد عليه . (٢) ينسل : من قولهم نسل ريش الطائر : سقط .
(٣) يقال للخسيس الدون : ما هو بطائل . (٤) الأملاء : جمع ملأ ، وهم الأشراف الذين يملئون العين . (٥) القافل : الراجع ، وسميت القافلة وهى ذاهبة قافلة تيمنا برجوعها .
(٦) كمغرورة بالبو : أى مخدوعة بالجلد الذى يحشى تبنا فتحن له . والمراد أن هذه القبيلة تتوهم أن نسبها إلى مالك نسب حقيق . (٧) أراد بالجحافل الشفاه ، جمع جحفلة . وأصل الجحفلة للخيل والحمر والبغال .

أخبرنى عبيد الله بن محمد الرازىّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال : حدّثنى المدائنى قال :

عيّر زياد الأعجم المغيرة بن حبناء فى مجلس المهلّب بالبرص ، فقال له المغيرة : إن عِتاق الخيل لا تشينها الأوضاحَ (١) ، ولا تعير بالغرر والحُجُول ، وقد قال صاحبنا بلعاء بن قيس لرجل عيّره بالبرص : « إنما أنا سيف الله جلاه واستلّه على أعدائه » فهل تُغنى يا آبن العجماء غنائى ، أوتقوم مقامى ؟ ثم نشب الهجاء بينهما .

نسخت من نسخة ابن الأعرابى ، قال : كان المغيرة بنُ حبناء يوما يأكل مع المُفَضّل بن المهلّب، فقال له المفضل :

فلم أر مثلَ الحنظلىّ ولونِه * أكيلَ كرامٍ أو جليس أميرِ

فرفع المغيرة يدَه وقام مغضبا، ثم قال له :

إنى امرؤٌ حنظلىٌّ حين تنسُبُنى * لامِ العتيك (٢) ولا أخوالِى العَوَقُ (٣)

ــ العَوَق من يشكر، وكانوا أخوال المفضل ــ

لا تحسبَنَّ بياضا فىّ منقصةً * إن اللّهاميم (٤) فى ألوانها بلَقُ

و بلغ المهلّب ما جرى ، فتناول المفضلَ بلسانه وشتمه، وقال : أردتَ أن يتمضّغ هذا أعراضَنا ، ماحملك على أن أسمعته ما كره بعد مواكلتك إياه ؟ أما إن كنت تعافه فاجتنبه أَوْ لا تُؤْذه. ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم ، واستصفحه عن المفضل ، واعتذر إليه عنه ، فقبل رِفده وعذره ، وآنقطع بعد ذلك عن مواكلة أحدٍ منهم .

(١) الأوضاح : جمع وضح : التحجيل فى القوائم بالبياض .

(٢) لام العتيك : لا من العتيك . انظر الحيوان (٥ : ١٦٥) .

(٣) العتيك والعوق : قبيلتان . (٤) اللهاميم ومفردها لهموم، وهو الجواد من الخيل .

مناقضات زياد الأعجم والمغيرة ابن حبناء

— رجع الخبر إلى سياقته مع زياد والمغيرة — فقال المغيرة يجيب زيادا :

أزيادُ إنّــك والذى أنا عبـدُه * ما دون آدمَ من أبٍ لك يُعلَمُ
فالحَق بأرضك يا زيادُ ولا تَرُمْ * ما لا تطيق وأنت عِلجٌ أعجم (١)
أظننتَ لؤمَك يا زياد يسدُّه * قوس سترتَ بها قفاك وأسهم
علجٌ تعصّبَ ثم راق بقوسه * والعلجُ تعرفه إذا يتعمَّم (٢)
ألقِ العصابة يا زيادُ فإنما * أخزاك ربِّى إذ غدوتَ ترنّمُ
واعلم بأنك لست مِنّى ناجيا * إلا وأنت ببَظْرِ أمك ملجَمُ (٣)
تهجو الكرام وأنت ألأمُ من مشى * حسبًا وأنت العلجُ حين تَكَلَّم
ولقد سألت بنى نزارٍ كلّهم * والعالمين من الكهول فاقسموا
بالله مالك فى معدٍّ كلِّها * حسبٌ وإنك يا زياد موذَّم (٤)

فقال زياد يجيبه :

ألم تر أنّى وتّرت قوسى * لأبقعَ من كلاب بنى تميم
عوَى فرميته بسهام موتٍ * كذاك يُرَدُّ ذو الحمق اللئيم (٥)
وكنتُ إذا غمزتُ قناة قوم * كسرتُ كعوبها أو تستقيم (٦)

---

(١) العلج : الرجل من كفار العجم . (٢) راق بقوسه أى ظن أنه راق بها ، أى زاد فضلا .
(٣) البظر : هنة بين أسكتى الفرج . (٤) الموذم بضم الميم وتشديد الذال : المقطع . وكلب موذم : جعلت فى عنقه قلادة . (٥) بالبناء للمجهول . فى جـ « تَردد الحمق » .
(٦) غمزت : عضضت . وقد نصب سيبويه يستقيم بأو وكذلك جميع البصريين . والحجة لسيبويه فى هذا أنه سمع من العرب من ينشد هذا البيت بالنصب . و بالرفع يكون فيه إقواء . و يقال أقوى فى الشعر : خالف بين قوافيه برفع بيت وجر آخر . وقلت قصيدة لهم بلا إقواء . وأما الإقواء بالنصب فقليل (راجع اللسان) . والإقواء يغلب على هذه القصيدة . والمعنى إذا اشتدّ على جانب قوم رمت تليينه لإضعافه أو يستقيم . وقد قيل : إنه هجا قوما زعم أنه أثارهم بالهجاء ، وهددهم إلا أن يتركوا سبه وهجاءه .

هم الحشْوُ القليلُ لكلّ حيّ * وهمْ تَبَعٌ كزائدة الظليم[1]

فلستَ بِسابق هَرِما ولما * يمرَّ على نواجذك القَدومُ[2]

فحاوِلْ كيف تنجُو مِن وقاعِي * فإنّك بعد ثالثةٍ رميمُ[3]

سَراتُكم الكلابُ البُقْعُ فيكم * للؤمِكم وليس لكم كريمُ

٥ فقد قَدُمَتْ عُبودتُكم ودُمتم * على الفَحْشاء والطبع اللئيم[4]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال : حدثنا عمر بن شَبَّة قال : حدثنا المدائني قال : قال زياد الأعجم يهجو المغيرة بن حبناء :

عجبتُ لأبْيضِ الخُصيينِ عبدٍ * كأنّ عِجانه الشِّعرى العبورُ[5]

فقيل له : يا أبا أمامة، لقد شرفته إذ قلت فيه :

١٠ * كأنّ عجانه الشعرى العبور *

ورفعتَ منه . فقال : سأزيده رفعةً وشرفا ، ثم قال :

١٦٧ / ١١

لا يبرحُ الدّهرَ منهم خارئٌ أبدا * إلّا حسبتَ على بابِ آستِه القمرا

---

(١) الظليم : ذكر النعام . زائدة الظليم : هنة وراء الظلف ، أو شبه أظفار الغنم فى الرسغ فى كل قائمة زائدتان كأنما خلقتا من قطع القرون ، والشعرات المدلاة مؤخر رجل الشاة والظبي والأرنب .

١٥ (٢) « يمر » فى حـ بالتاء وفى باقى الأصول بالياء ، والاثنتان جائزتان . والقدوم : التى ينحت بها بفتح أوله . والمراد أنه لم يجرب مثله ولم تهتم أسنانه .

(٣) بعد ثالثة : أى بعد ليلة ثالثة . (٤) العبودة : العبودية ، وهى الخضوع والتذلل .

(٥) العجان : القضيب الممدود من الخصية إلى الدبر . والشعرى : كوكب يطلع بعد الجوزاء وطلوعه فى شدة الحر . وتقول العرب : «إذا طلعت الشعرى جعل صاحب النخل يرى» . وسميت الشعرى العبور ٢٠ لأنها عبرت السماء عرضا ولم يعبرها عرضا غيرها . وكان العرب يعبدونها ؛ فأنزل الله تعالى : « وأنه هو رب الشعرى » أى : رب الشعرى التى تعبدونها . والشعرى الغميصاء وسميت بذلك لأن العرب قالت فى حديثها : إنها بكت على إثر العبور حتى غمصت .

قال ، وتقاولا فى مجلس المهلَّب يوما ، فقال المغيرة لزياد :

أقول له وأنكَرَ بعضَ شانى * ألم تعرف رقاب بنى تميم

فقال له زياد :

بلَى فعرفتُهنّ مقصَّراتٍ * جِباهَ مذلَّةٍ وسِبالَ لومِ (١)

المغيرة يهجو زيادا بتحريض من ربيعة

نسخت من كتابِ عمرو بنِ أبى عمرو الشيبانى ، قال : كانت ربيعة تقول لزيادٍ الأعجم : يا زياد ، أنت لساننا ، فاذبب عن أعراضنا بشعرك ، فإنّ سيوفنا معك . فقال المغيرة بن حبناء فيه ، وقد بلغه هذا القول من ربيعة له :

يقولون ذَبِّبْ يا زياد ولم يكن * لِيوقظَ فى الحرب الملمَّة نائما

ولو أنّهم جاءوا به ذا حفيظةٍ * فيمنعَهُم أو ماجدًا أو مراغما

ولكنّهم جاءوا بأقلَفَ قد مضت * له حِجَجٌ سبعون يُصبح رازما (٢)

لئيمًا ذميما أعجميًّا لسانُه * إذا نال دَنًّا لم يبال المكارما (٣)

وما خلتُ عبد القيس إلا نُفايةً * إذا ذَكَر الناس العُلا والعظائما (٤)

إذا كنتَ للعبدىّ جارا فلا تَزَلْ * على حذرٍ منه إذا كان طاعما

أناسًا يعُدّون الفساء لجارهم * إذا شَبعوا عند الجُبَاةِ الدراهما (٥)

من الفسوِ يقضون الحقوق عليهم * ويعطون مولاهم إذا كان غارما

لهم زَجَلٌ فيه إذا ما تجاوَبُوا * سمعتَ زفيرًا فيهم وهَماهِما (٦)

(١) السبال : جمع سبلة وهى مقدم الشعر أو مجتمعه فى الذقن .

(٢) الأقلف : الذى لم تجر عليه موسى . والرازم : الذى لا يقدر على النهوض ولا يتحرك هزالا وإعياء .   (٣) الدن : وعاء الخمر .   (٤) النفاية بالضم : الردىء .

(٥) فى ط : «سبعوا» ؛ وفى س ، ء ، حـ بالشين المعجمة والياء المثناة ؛ والأصوب ما أثبتناه .

(٦) الزجل : الصوت . والهماهم : تردّد الزئير فى الصدر .

لعمركَ ما نجَّى ابنَ زروان إذ عوى * ربيعــةُ منَّ يوم ذلك سالمـا
أظنَّ الخبيث ابنُ الخبيثين أنّنى * أسلِّم عرضى أو أهابُ المقاوِما
لعمركَ لا تَهـدِى ربيعةُ للحجا * إذا جعلوا يستنصرون الأعاجما

عبد القيس تعتذر إلى المغيرة

قال : فجاءت عبد القيس إلى المغيرة ، فقالوا : يا هذا ، مالنا ولك ، تعمَّنا بالهجاء لأنْ نَبَحَك منّا كلب ، فقـال وقلت ، قـد تبرأنا إليك منـه ، فإن هجاك فاهجُه ، وخلِّ عنا ودَعْنا ، وأنت وصاحبُك أعلم ، فليس منّا له عليك ناصر . فقال :

لعمرُك إنّى لابنِ زروان إذ عوى * لمحتقِرٌ فى دعوة الودِّ زاهــدُ
وما لك أصــلٌ يا زياد تعــدُّه * وما لك فى الأرض العريضة والدُ
ألم تَرَ عبــد القيس منك تبرّأتْ * فلاقيتَ ما لم يلق فى الناس واحدُ
وما طاشَ سهمى عنك يوم تبرّأتْ * لُكَيزُ بنُ أفصى منك والجند حاشدُ
ولا غابَ قرنُ الشَّمسِ حتى تحدَّثت * بنفيِك سُكانُ القُـرى والمساجدُ[1]

ــ رفع "المساجد"، لأنه جعل الفعل لها، كأنه قال : وأهل المساجد، كما قال الله عزّ وجل : ﴿ واسأل القَرْيَة ﴾[2] . وتحدَّثت المساجد، وإنمـا يريد من يصلِّى فيها ــ

فأصبحتَ عِلجاً من يُزُرْك ومن يزر * بنـاتِك يعـلمْ أنَّهن ولائد[3]
وأصبحن قُلفـاً يغترلْن بأُجرة * حواليَكَ لم تجْرَحْ بهن الخـدائد[4]
تَفَرنَ من الموسى وأقررنَ بالتى * يقِر عليهـا المقرِفاتُ الكواسد[5]

(١) قرن الشمس : ناحيتها . (٢) فى ط : «وصل القصيدة» وكتب فى الهامش : « أى وتحدّثت المساجد وإنمـا يريد من يصلى فيها » . (٣) الولائد : جمع وليدة : وهى الجارية . (٤) القلف : جمع أقلف : من لم يختتن . والقلفة بالضم ويحرك : جلدة الذكر ، هذا فى الأصل . وقد استعمله هنا للنساء . ولم تجرح بهن ، أى لم تستعمل فى ختانهن . (٥) المقرفات : الهجينات .

بإصطخرَ لم يَلبَسْنَ من طُول فاقةٍ [١] * جديداً ولا تُلقَى لهنّ الوسائدُ
وما أنتَ بالمنسوب فى آل عامرٍ * ولا ولدتْك المحصَناتُ المواجدُ [٢]
ولا ربّيتك الحنظليّةُ إذ غذت * بنيها ولا جيبت عليك القلائدُ [٣]
ولكن غذاكَ المشركون وزاحمت * قَفاكَ وخدَّيك البُظور العواردُ [٤]
ولم أرَ مِثلى يا زياد بِعِرضه * وعِرضك يستبّانِ والسيفُ شاهد [٥]
ولو أنّنى غشّيتك السيفَ لم يقل * إذا متّ إلّا مات عِلجٌ معاهدُ [٦]

المغيرة وجوائز المهلب

ونسخت من كتاب عمرِو بنِ أبى عمرٍو أيضا، قال: رجع المغيرة بن حبناء إلى أهلِه وقد ملأ كفَّيه بجوائزِ المهلبِ وصلاتِه والفوائد منه، وكان أخوه صخر ابن حبناء أصغرَ منه، فكان يأخذ على يده وينهاه عن الأمر يُنكِرُ مثلَه، ولا يزال يتعتّب عليه فى الشئ بعد الشئ ممّا ينكره عليه، فقال فيه صخر بن حبناء:

صخر والمغيرة يتلاحيان لما تعتب المغيرة عليه

رأيتُك لمّا نِلت مالاً وعَضَّنا * زمانٌ نرى فى حدّ أنيابه شغْبا [٧]
تجنَّى علىّ الدّهرُ أنّى مذنِب * فأمسكْ ولا تجعل غِناك لنا ذنْبا

فقال المغيرة يجيبه:

لحا الله أنّآنا عن الضّيف بالقرى * وأقصَرَنا عن عِرض والده ذَبّا
وأجدَرَنا أن يدخُلَ البيتَ بإسته * إذا القفّ دلّى من مخارمه رَكْبا [٨]
أأنبئتَ الأفّاكَ عنّى أنّنى * أحرِّك عرضى إن لعبتَ به لِعبا

(١) إصطخر: بلدة بفارس من أعيان حصون فارس ومدنها. (٢) المواجد جمع ماجدة: الشريفة. (٣) لاجيبت بالبناء للمجهول: أى ماوضعت. (٤) العوارد: جمع عاردة، وهى الغليظة الشديدة المنتصبة. (٥) يستبان بتشديد الباء: يتشاتمان. (٦) العلج: الكبير من كفار العجم. والمعاهد: الذمى. وهو يقصد أنه لا يقتل إن قتله، لما ورد عن رسول الله قوله: «لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد فى عهده» أى لا يقتل ذو عهد أى ذو ذمة وأمان ما دام على عهده الذى عوهد عليه. (٧) الشغب: تهييج الشر. (٨) القف: بالضم: ما غلظ من الأرض وارتفع. والمخارم: جمع مخرم، وهو الطريق فى الجبل.

أخت صخر تشكوه الى المغيرة

ونسخت من كتاب عمرو بن أبى عمرو ، قال : جاءت أخت المغيرة بن حبناء إليه تشكو أخاها صخرا ، وتذكر أنّه أسرع فى مالها وأتلفه ، وإنّها منعته شيئا يسيرا بقىَ لها ، فمدّ يده إليها وضربها ، فقال له المغيرة معنّفا :

ألا من مبلغٌ صخرَ بنَ ليلى * فإنى قد أتانى من نثاكا (1)

٥ رسالةَ ناصحٍ لك مستجيبٍ * إذا لم تَرْعَ حرمتَه رعاكا

وصولٍ لو يراك وأنت رهنٌ * تُباع، بماله يوماً فَدَاكا

يرى خيرًا إذا ما نلتَ خيرا * ويَشْجَى فى الأمور بما شجاكا

فإنّك لا ترى أسماء أختا * ولا تريَنَّني أبدًا أخاكا

فإن تعنُفْ بها أو لا تصِلْها * فإنّ لأمّها ولدًا سواكا

١٠ يَبَرُّ ويستجيبُ إذا دعته * وإنْ عاصيتَه فيها عصاكا

وكنت أرى بها شرفاً وفضلا * على بعضِ الرِّجال وفوق ذاكا

جزانى اللهُ منك وقد جزانى * ومنّى فى مَعَاتبنا جَزَاكا (2)

وأعقبَ أصدقَ الخصمينِ قولًا * وولّى اللؤمَ أَولانا بذاكا

١٦٩/١١

فلا واللهِ لو لم تعصِ أمرى * لكنتَ بمنزلٍ عمّا هُناكا

١٥ قال : فأجابه أخوه صخر بن حَبْناء فقال :

أتانى عن مُغيرةَ ذَرْوُ قولٍ * تعمّده فقلت له كذاكا (3)

يعمُّ به بنى ليلى جميعًا * فولّ هجاءَهم رجلًا سواكا

(1) نثاك : أخبارك . والنثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ ، وهنا يقصد الشر .

(2) المعاتب : جمع معتبة ومعتب ، الملامة . وفى جـ « ومنانى » بدل « ومنى » وهو تحريف .

٢٠ وفى المؤتلف والمختلف ١٠٥ : « ومنى فى معاتبتى » . (3) كذا فى ط والمؤتلف والمختلف ص ١٠٦ . والذرو، بالفتح : الطرف من القول . وفى اللسان (ذرأ) : « ذرء قول » ، وهو بمعناه . وفى سائر النسخ : « زور قول » .

فإنْ تكُ قد قطعتَ الوصلَ منّى * فهذا حينَ أخلفَنى مُناكا
تُمنّينى إذا ما غبتَ عنّى * وتُخلِفنى منَاىَ إذا أراكا
وتُولِينى مَلامةَ أهلِ بيتى * ولا تعطِى الأقاربَ غيرَ ذاكا
فإن تكُ أختُنا عتبَتْ علينا * فلا تَصْرِم لِظِنّتِها أخاكا
فإنَّ لها إذا عتبَتْ علينا * رِضاها صابِرينَ لها بذاكا
وإن تك قد عتبتَ علىَّ جهلًا * فلا واللهِ لا أبغى رضاكا
فقد أعلنتُ قولَك إذ أتانى * فأعلِنْ مِن مقالى ما أتاكا
سيُغنِى عنك صخرًا ربُّ صخرٍ * كما أغناك عن صخرٍ غِناكا
ويغنِينِى الذى أغناكَ عنّى * ويكفِينى الإلهُ كما كفاكا
ألم تَرَنِى أجودُ لكم بمالى * وأرمى بالنّواقِرِ(١) مَن رماكا
وأنّى لا أقودُ إليك حربًا * ولا أعصيك إن رجلٌ عصاكا
ولكنّى وراءك شِمَّرِىٌّ(٢) * أحامِى — قد علِمتَ — على حِماكا
وأدفعُ ألسنَ الأعداء عنكم * ويعنِينى(٣) العدوُّ إذا عناكا
وقد كانت قُريبةُ ذات حق * عليكَ فلمْ تطالعْها بذاكا
رأيتُ الخيرَ يقْصر منك دونى * وتبلُغنِى القوارِضُ مِن أذاكا

حبناء بن عمرو ينتقل إلى نجران وامرأته تلومه لما ضرب ابنه

ونسخت من كتاب عمرِو بن أبى عمرو أيضا قال : كان حبناءُ بن عمرٍو قد غضِبَ على قومه فى بعض الأمر ، فانتقل إلى نَجران ، وحمل معه أهلَه وولدَه ، فنظرتِ امرأتُه سَلمى إلى غلامٍ من أهل نَجْران يضرب ابنَه المغيرة — وهو يومئذ

(١) النواقر : جمع ناقرة ، وهى الداهية .
(٢) الشمرى : الماضى فى الأمور المجرب ، والحركات الثلاثة على الشين والميم لاختلاف اللهجات .
(٣) يعنينى : يقصدنى .

غلام — فقالت لحبناء : قد كنتَ غنيا عن هذا الذّل ، وكان مُقامك بالعراق في قومك أو في حيٍّ قريبٍ من قومك أعزَّ لك ! فقال حبناء في ذلك :

تقول سُليمى الحنظليةُ لابنها * غلامٌ بنجرانَ الغداةَ غريبُ
رأتْ غلمة(١) ثاروا إليه بأرضهم * كما هرَّ كلبُ الدارِ بين كَليبِ(٢)
فقالت لقد أجْرَى أبوك لِما ترى * وأنت عزيزٌ بالعراقِ مَهيبُ

٥

وقال أيضا :

لعمركَ ما تدرى أشيءٌ تريده * يليك أمِ الشيءُ الذى لاتحاولُه
متى ما يَشَأْ مستقبِسُ الشرِّ يَلْقَه * سريعًا وتجمعه إليه أناملُه(٣)

زياد الأعجم يهجو أسرة المغيرة بأدوائهم

١٧٠ / ١١

أخبرني عيسى بن الحسن الورّاق، قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرُويه ، قال : حدّثني أبو الشِّبل النَّضْرى ، قال : كان المغيرة بن حبناءَ أبرص، وأخوه صخرٌ أعور ، وأخوه الآخر مجذوما ، وكان بأبيهم حِبْن ، فلقِّب حبناء — واسمه جبير بن عمرو — فقال زيادٌ الأعجم يهجوهم :

١٠

إنّ حبناءَ كان يدعى جُبيراً * فدعَوه من لؤمه حبناءَ
ولَدَ العُورَ منه والبُرْصَ والجَذْ * مَى(٤)، وذو الداءِ يُنْتِجِ الأدواءَ

زياد يمسك عن الهجاء.

فيقال : إنّ هذه الأبيات كانت آخرَ ما تهاجيا به؛ لأنّ المغيرة قال — وقد بلغه هذا الشعر — : ما ذَنْبنا فيما ذكره ، هذه أدواءٌ ابتلانا الله عزّ وجل بها ، وإني لأرجو أن يجمع الله عليه هذه الأدواءَ كلَّها ! فبلغ ذلك زيادًا من قوله، وإنّه لم يهجه بعقب هذه الأبيات ، ولا أجابه بشيء ، فأمسك عنه ، وتكافّا .

١٥

(١) كذا . وفي الشعر : «سليمى» فلعله صغره في الشعر .
(٢) الكليب جمع كلب : جماعة الكلاب . وفي هذا البيت إقواء .
(٣) المستقبس ، يقال قبس يقبس منه نارا واقتبسها : أخذها . يشير إلى أن من يطلب الشر يجده .
(٤) الجذمى جمع أجذم : المقطوع اليد ، أو الذاهب الأنامل .

٢٠

حادثة المغيرة فى تفضيل الأخ على أخيه

أخبرنى محمد بن الحسن بنِ دريد، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعى عن عمه، وأخبرنى به الحسن بن على عن ابن مهرويه عن أبيه عن الأصمعى، قال:

لم يقل أحد فى تفضيلِ أخٍ على أخيه وهُما لأب وأمّ ، مثلَ قولِ المغيرةِ ابنِ حبناء لأخيه صخر :

أبوك أبى وأنت أخى ولكنْ * تفاضلتِ الطّبائعُ والظُّروف
وأمُّكَ حين تُنسَب أمُّ صدقٍ * ولكنّ ابنها طَبِعٌ سخيفُ [1]

قال: وكان عبدُ الملك بن مروان إذا نظر إلى أخيه معاويةَ — وكان ضعيفا — يتمثّل بهذين البيتين .

قول الحجاج فى يزيد بن المهلب

أخبرنى الحسن بن على ، قال : حدثنى أحمد بن محمد بن جُدّان ، قال : حدثنى أحمد بن محمدِ بنِ مخلدٍ المهلبى، قال :

نظر الحجّاج إلى يزيدَ بنِ المهلّب يخطِر فى مِشيته، فقال : لعن الله المغيرةَ بن حبناءَ حيث يقول :

جَميلُ المحيّا بَختريٌّ إذا مشى * وفى الدّرعِ ضخمُ المَنكبين شِناق [2]

فالتفت إليه يزيد ، فقال : إنه يقول فيها :

شديدُ القوى من أهلِ بيتٍ إذا وهَى * من الدّين فتقٌ حُمّلوا فأطاقوا [3]
مَراجيحُ فى اللأْواء إن نزلتْ بهم * ميامينُ قد قادُوا الجيوش وساقوا [4]

---

(١) الطبع بفتح الطاء وكسر الباء : دنىء الخلق اللئيمه الدنس ، لا يستحى من سوأة وعيب . والسخيف : قليل العقل شاذ التصرف . وقد ورد فى معنى هذا البيت وسابقه قول الشاعر :

أبوك أبى والجد لاشك واحد * ولكننا عودان آس وخروع

(٢) البخترى ، حسن المشى . والشناق ، بالكسر : الطويل . (٣) الفتق : الشق والخرق . أطاقوا ، يقال طاقه طوقا و إطاقة ، وأطاق عليه إطاقة ، والإسم : الطاقة . وهو فى طوق أى فى وسعى .

(٤) مراجيح : ذوو أحلام وبصر بالأمور .

مصرع ابن حبناء، وكتابته اسمه على صدره

أخبرني محمد بن مَزْيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: حدثني مَن حضر ابن حبناء لمّا قتل — وهو يجود بنفسه — فأخذ بيده من دمه — وكتب بيده على صدره: «أنا المغيرة ابن حبناء». ثم مات.

صـــوت

٥
بسطَتْ رابعــةُ الحبــلَ لنا * فوصَلْنا الحبــل منها ما اتسعْ(١)
كيف تَرْجُون سِقاطي بَعْدَ ما * جَلّلَ الرأسَ بيــاضٌ وصــلعْ(٢)
رُبَّ مَن أنضجتُ غيظًا صدرَه * قــد تمــنّى لِيَ مــوتًا لم يُطَعْ(٣)
وَيَراني كالشَّــجا في حَلقِــهِ * عَسِرًا مخــرجُه ما ينــتزِعْ(٤)
ويحيِّيــنِي إذا لاقيتُــه * وإذا أمكن من لحمي رَتَــعْ(٥)
١٠
وأبيتُ الليــلَ ما أهجَعُــه * وبعيــنيَّ إذا النجمُ طلَــعْ(٦)

الحبل هاهنا: الوصل؛ والحبل أيضا: السبب يتعلّق به الرجُل من صاحبه، يقال: عَلِقتُ من فلانٍ بحبل؛ والحبــل: العهد، والميثاق، والعقــد يكون بين القــوم؛ وهذه المعاني كلُّها تتعاقب ويقوم بعضُها مقام بعض. والشَّجا: كلُّ ما اغتُصّ به من لُقمة أو عظم أو غيرهما.

١٧١
١١

١٥
الشعر لسُويد بنِ أبي كاهلٍ اليشكُرِيّ، والغناء لعَلُّويه، ثاني ثقيل بالبِنصر، عن عمرو بن بانة في الأولِ والثاني من الأبيات، وليونس الكاتبِ في الثالث والرابع والثـاني ما خُورِي بالوسطى، عن علي بن يحيي، والهشامي. ولمـالكٍ فيها ثقيل بالبنصر، عن الهشامي أيضا، ولابن سريج فيها خفيف ثقيلٍ، عن علي بن يحيي.

(١) اتسع: امتد. ويروى: «فبسطنا الحبل» وروى: «بسطت رابعة الوصل لنا». (٢) سقاطي: يقال للرجل: «أنه لذو سقطات»، أي لا يزال يفتر فترة بعد فترة، وهي الانكسار والضعف. (٣) روى: «ربما أنضجت غيظا قلب من». (٤) الشجا: الغصص ونحوه مما يعترض في الحلق. (٥) روى: «وإذا يخلو له» راجع المفضليات. رتع: أكل. وقد أرتع الرجل إذا ترك إبله ترعى. (٦) روى: «فأبيت الليل ما أرقده»، ويروى: «ويعنيني»، أي يتعبني. يصف أنه ساهر لا ينام، [illegible] النجوم، أي يمكث الليل ساهرا.

٢٠

أخبار سويد بن أبى كاهل ونسبه

سُوَيد بن أبى كاهل بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد سعد بن جُشَم ابن ذُبيان بن كنانة بن يشكُر . وذكر خالد بن كلثوم أنّ اسم أبى كاهل شبيب ، ويكنى سُويد أبا سعد .

٥ أنشدنى وَكيعٌ عن حماد، عن أبيه، لسويد بن أبى كاهل شاهدا بذلك :

أنا أبو سعد إذا الليلُ دجا * دخلتُ فى سرباله ثُمّ النّجا (١)

طبقة سويد — وجعله محمّد بن سلام فى الطبقة السادسة، وقرنه بعنترة العبسىّ وطبقته .

وسويد شاعر متقدّم من مخضرمى الجاهلية والإسلام، كذلك ذكر ابن حبيب . وكان أبوه أبو كاهل شاعرًا ، وهو الذى يقول :

١٠ كأنّ رحلى على صَقعاءَ حادرة * طَيًّا قد ابتلّ من طَلٍّ خَوافيها (٢)

قول الأصمعى فى عينية سويد — أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى، قال: حدثنا محمد بن إسحاق البغوىّ، قال: حدثنا أبو نصر صاحب الأصمعىّ أنّه قرأ شعرَ سويد بن أبى كاهل على الأصمعى، فلما قرأ قصيدتَه :

بَسطتْ رابعةُ الحبلَ لنا * فوصَلْنا الحبلَ منها ما اتّسعْ

١٥ فَضّلها الأصمعى، وقال: كانت العرب تفضّلها وتقدّمها وتعدّها من حِكمها. ثم قال الأصمعى : حدثنى عيسى بن عُمَر أنّها كانت فى الجاهليّة تسمّى : « اليتيمة » . (٣)

---

(١) روى : « تخال فى سواده أرندجا » .

(٢) الصقعاء: ما لها بياض فى وسط رأسها من الخيل والطير وغيرها . والحادرة من الحدرة بالتسكين : الحط من علو إلى أسفل كالحدور، والإسراع كالتحدر . الطيا : مؤنثة الطيان، وهو الجائع . والطوى : الجوع .

٢٠ (٣) هى آخر قصيدة فى الجزء الأوّل من المفضليات طبع المعارف .

بين سويد وزياد الأعجم

أخبرنى محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنى محمد بن الهيثم بن عدىّ، قال: حدثنا عبد الله بن عباس، قال:

قال زيادٌ الأعجمُ يهجو بنى يشكر:

إذا يشكُرىٌّ مسَّ ثوبَك ثوبُه * فلا تذكرنّ الله حتّى تَطهَّرا

٥ فلو أنّ من لؤمٍ تمـوتُ قبيلةٌ * إذًا لأماتَ اللؤمُ لاشكَّ يشكُرا

قال: فأتت بنو يشكُرَ سويدَ بن أبى كاهلٍ ليهجوَ زيادا، فأبى عليهم، فقال زياد:

وأُنبِئتُهم يَستصرِخون ابنَ كاهلٍ * ولِلؤم فيهـم كاهلٌ وسَـنامُ[1]

فإنْ يأتِنا يرجِعْ سويدٌ ووجهُه * عليـه الخزايا غُـبرةٌ وقتامُ[2]

دعِىٌّ إلى ذُبيانَ طورًا، وتارة * إلى يشكرٍ ما فى الجميعِ كِرامُ

١٠ فقال لهم سويد: هذا ما طلبتم لِى! وكان سويد مغلَّبا[3]. وأما قوله:

دَعِىٌّ إلى ذُبيان طورًا وتارةً * إلى يشكر ... ...

خبر أم سويد وسبب تسميته

فإنّ أمّ سويد بنِ أبى كاهلٍ كانت امرأةً من بنى غُبَر، وكانت قبلَ أبى كاهلٍ عند رجلٍ من بنى ذبيان بنِ قيس بنِ عيلان، فمات عنها، فتزوّجها أبو كاهلٍ، وكانت فيما يقال حاملا، فاستلاط[4] أبو كاهل ابنَها لمَّا ولدته، وسَمّاه سويدا، واستلحقه[5]، فكان إذا غضب على بنى يشكر ادّعى إلى بنى ذبيان، وإذا رضِى عنهم أقام على نسبه فيهم.

١٥

١٧٢ / ١١

(١) الكاهل: مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق، وهو الثلث الأعلى وفيه ست فقر، أو ما بين الكتفين أو موصل العنق فى الصلب.

(٢) القتام: الغبار. (٣) المغلب: المغلوب مرارا، والمحكوم له بالغلبة، ضد.

٢٠ (٤) استلاطه: ادعاه ولدا وليس منه. (٥) استلحقه: ادعاه إليه.

وذكر علّان الشعوبى، أنه ولد فى بنى ذبيان، وتزوجت أمه أبا كاهل — وهو غلام يفعة[1] — فاستلحقه أبو كاهل وادّعاه، فلحق به.

انتماء سويد إلى قيس

ولسويد بن أبى كاهل قصيدةٌ ينتمى فيها إلى قيس، ويفتخر بذلك، وهى التى أولها:

أبى قلبُه إلّا عميرةَ إن دنت * وإن حضرت دارَ العِدا فهو حاضرُ
شَموسٌ حَصانُ السِّرِّ ريّا كأنها * مُرَبَّبةٌ مما تضمّن حائر[2]

٥

ويقول فيها أيضا:

أنا الغطفانى زينُ ذُبيانَ فابعدوا * فَلَلزِّنْجُ أدنى منكم ويُحابِر[3]
أبت لىَ قيسٌ أن أسامَ دَنيّةً * وسعدٌ وذبيانُ الهِجانُ وعامر[4]
وحىٌّ كرامٌ سادةٌ من هَوازنٍ * لهم فى الملمّاتِ الأنوفُ الفواخر[5]

١٠

سويد يهجو بنى شيبان لأخذ ماله وينتقل عنهم

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدى، قال: حدثنا أحمد بن معتِّب الأَزْدى عن الحِرمازى[6]، أنّ سويدَ بن أبى كاهلٍ جاور فى بنى شَيبان، فأساءوا جِواره، وأخذوا

(١) اليفع: المناهز البلوغ، من يفع: ترعرع وناهز البلوغ. ويقال رجل يفع ويفعة ورجلان ورجال يفعة.

(٢) الشموس هنا: النافرة التى لا تخضع، ويقال شمس الفرس: منع ظهره. وحصان السر: أى هى عفيفة فى السر، بله العلانية. والمربية: عنى بها الدرة التى يربيها الصدف فى قعر الماء. وحائر البحر: مجتمع مائه. ومثله فى قول حسان:

١٥

من درة بيضاء صافية * مما تربب حائر البحر
ولأنت أحسن إذ برزت لنا * يوم الخروج بساحة القصر

(٣) يحابر كيقاتل، وهو يحابر بن مالك بن أدد أبو مراد، ثم سميت القبيلة يحابر.

٢٠

(٤) الهجان: الكريم الحسب النقيه. (٥) الأنوف الفواخر: كناية عن ارتفاعها شمما وإباء للضيم. (٦) الحرمازى من الحرمزة، وهى الذكاء. وبنو الحرماز حى.

شيئا من ماله غصبا ، فانتقل عنهم وهجاهم فأكثر، وكان الذى ظلمه وأخذ ماله أحدَ بنى محلِّم، فقال يهجوهم وإخوتَهم بنى أبى ربيعة :

حَشَر الإلهُ مع القُرودِ محلِّما * وأبا ربيعة ألأمَ الأقوامِ
فلأُهدينَّ مع الرِّياح قصيدة * منِّى مُغلغَلة(١) إلى همَّامِ
الظاعنين(٢) على العمى قُدّامهم * والنازلين بِشرِّ دار مُقامِ
والواردين إذا المياه تُقُسِّمت * نُزُحَ(٣) الرَّكيِّ وعاتمَ الأسدامِ

وقال يهجو بنى شيبان :

لعمرى لبئس الحىُّ شيبانُ إنْ علا * عُنيزةَ يومٌ ذو أهابىَّ(٤) أغبرُ
فلما التقوا بالمشرفيةِ ذَبذبت * مولِّيةً أستاهُ(٥) شيبانَ تقطُرُ

يعنى يوم عنيزة، وكان لبنى تغلب على بنى شيبان، وفيه يقول مهلهل :

كأنّا غُدوةً(٦) وبنى أبينا * بجنب عُنيزةٍ رَحَيا مُديرِ

وقال أيضا :

فأدُّوا إلى بهراءَ فيكم بناتِه * وأبناءه إنّ القضاعىَّ أحمرُ

يعير بنى شيبان لأن بهراء ردت نساءهم حبالى بعد الأسر

كانت بهراء أغارت على بنى شيبان ، فأخذوا منهم نساء ، واستاقوا نَعَما(٧) ، ثمّ إنهم اشتروا منهم النِّساء وردُّوهنَّ(٨)، فعيرهم سُويد بأنهم رُددنَ حَبالى، فقال :

(١) المغلغلة : المحمولة السائرة من بلد إلى بلد . (٢) الظاعنون : المسافرون .
(٣) نزح : جمع نزوح ، وهى البئر التى نفد ماؤها . الركى جمع ركية : البئر . والعاتم : المحتبس البطىء . والأسدام جمع سدم، وهو الماء المندفن . (٤) ذو أهابىّ : ذو تراب مثار .
(٥) الأستاه : جمع است وسته بفتح وسكون ويحرك ، وهى العجز أو حلقة الدبر .
(٦) الغدوة بالضم : البكرة ، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغداة والغدية .
(٧) النعم : الإبل والشاء ، أو هو خاص بالإبل .
(٨) فى ط : « ردوهم » .

ظَلِلن يُنازِعنَ العضاريطَ أُزْرَها * وشيبانُ وسطَ القُطقُطانة حُضَّرُ[1]

فمنا يزيدٌ إذ تحدَّى جُموعَكم * فلم تُفرِحوه[2]، المرزُبان المسوَّرُ

— يزيد : رجل من يشكر ، برز يوم ذِى قارٍ إلى أسوارٍ ، وحمل على بنى شيبان، فانكشفوا من بينِ يديه —

فاعترضه اليشكرىُّ دونَهم، فقتَلَه ، وعادت شيبانُ إلى موقِفها ، ففخر بذلك عليهم ، فقال :

وأَجمعتمُ حتّى علاهُ بصارمٍ * حسامٍ إذا مَسَّ الضَّريبةَ يبترُ[3]

ومنّا الذى أوصى بثُلث تُراثِه * على كلّ ذى باعٍ يقلُّ ويكثر

ليالى قُلتم يا ابن حِلِّزةَ ارتحِلْ * فزابِن[4] لنا الأعداءَ واسمَعْ وأبصِر

فأدّى إليكم رهنَكم وسطَ وائلٍ * حباه بها ذُو الباع عمرُو بنُ منذرِ

يعنى الحارث بن حلِّزة، لما خطبه دون بكرِ بنِ وائلٍ حتى ارتجع رهائنهم . وقد ذكر خبره فى ذلك فى موضعه .

بنو شيبان تستعدى عامر بن مسعود على سويد وقيس تتعصب له

قال : فاستعدت بنو شيبانٍ عليه عامر بن مسعودٍ الجمحى، وكان والى الكوفةِ، فدعا بهِ ، فتوعَّده، وأمره بالكفِّ عنهم بعد أن كان قد أمر بحبسه، فتعصَّبت له قيس ، وقامت بأمره حتى تخلَّصَتْه، فقال فى ذلك :

يكفُّ لسانى عامرٌ وكأنَّما * يكف لسانًا فيه صابٌ وعلقم[5]

(١) العضاريط : الأتباع والأجراء . والقطقطانة : موضع كان سجن النعمان بن المنذر .

(٢) أفرحوه : غلبوه . والمرزبان : الفارس الشجاع المقدم على القوم ، ويقال للأسد أيضا مرزبان . والمسور : المرتفع .

(٣) الضريبة : المضروب بالسيف . (٤) زابن : دافع .

(٥) الصاب : جمع صابة : شجر مر . والعلقم : الحنظل ، وكل شىء مر .

أَنُتْرَكُ أولادَ البغـايا وغِيبتى * وتحبِسُنى عنهـم ولا أتكلَّمُ
ألم تعلموا أنِّى سـويدٌ وأنَّنى * إذا لم أجد مُستأخَرا أتقدَّمُ
حسِبتُمْ هِجائى إذ بَطِنتم غنيمةً (١) * علىَّ دماءُ البُـدْنِ إن لم تَندَّموا

سويد وابن الغبرى يتهاجيان ثم يهربان لما طلبهما عبد الله ابن عامر وعامل الصدقة يحبسهما وبنو حمال يفكون ابن الغبرى

قال الحرمازى فى خبره هذا: وهاجى سويد بن أبى كاهل حاضر بن سلمة الغبرى، فطلبهما عبدُ الله بن عامرِ بن كريز، فهربا من البصرة، ثم هاجى الأعرج أخا بنى حمّالِ بن يشكر، فأخذهما صاحبُ الصدقة، وذلك فى أيّام ولايةِ عامر بن مسعودٍ الجمحى الكوفةَ، فحبسهما، وأمر أن لا يخرجا من السِّجن حتّى يؤديا مائةً من الإبل، فخاف بنو حمّالٍ على صاحبهم ففكُّوه، وبقى سويد، فخذله

ويخذل سويدا قومه

بنو عبدِ سعد، وهم قومه، فسأل بنى غُبَر، وكان قد هجاهم لما ناقض شاعرهم، فقال:

مَن سَرَّه النَّيكُ بغير مالِ * فالغُبَرِيَّاتُ على طِحالِ (٢)
* شواغرٍ يُلْمِعن للقُفّالِ (٣) *

عبس وذبيان تستوهبه لمديحه لهم وإطلاقه بغير فداء

فلما سأل بنى غُبَر، قالوا له: يا سويد «ضيعت البِكار بطِحالٍ» فأرسلوها مثلا. أى إنك عمَمت جماعتنا بالهجاء فى هـذه الأرجوزة، فضاع منك ما قدرت أنّا نفديك به من الإبل. فلم يزل محبوسًا حتى استوهبَتْه عبسٌ وذبيان لمديحه لهم، وانتمائه إليهم، فأطلقوه بغير فداء.

---

(١) بطنتم، يقال بطن بالكسر: عظم بطنه من الشبع. ورجل مبطان: كثير الأكل ورجل بطن: لا هم له إلا بطنه. وبطن الرجل بالبناء للفعول: اشتكى بطنه.

(٢) طحال، بالكسر: موضع.

(٣) الشواغر: المرفوعة أرجلها للنكاح. والإلماع: الإشارة. والقفال: الراجعون من السفر.

صـــوت

أَخضْنِى المُقامَ الغَمْرَ إنْ كانَ غَرَّنِى [1] * سَنَا خُلَّبٍ أو زَلَّتِ القَـــدمان

أتتركُنى جَـــدْبَ المعيشةِ مقفِرا * وكَفّاكَ مِن ماءِ النَّـــدَى تَكِفانِ [2]

الشعر للعَتّابى، والغناء لمُخارِق، ثانى ثقيلٍ بالوسطى، وقيل : إن فيــه للواثق ثانىَ ثقيلٍ آخر .

٥

(١) الغمر : الغزير . والخلب : البرق الذى لا يعقبه مطر ؛ وهو المطمع .

(٢) تكفان : تقطران ماء غزيرا .

٢/١٢

أخبار العتابى ونسبه

هو كُلثوم بن عمرو بن أيوبَ بن عُبيد بن حُبيش بن أوس بن مسعودِ بن عمرو ابن كلثوم الشاعر ، وهو ابن مالكٍ عتاب بن سعد بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تغلب . شاعر مترسِّل بليغ مطبوع ، متصرِّف فى فنون الشِّعر ومقدَّم . من شعراء الدولة العباسية ، ومنصور النَّمَرىّ تلميذه وراويته ، وكان منقطعا إلى البرامكة ، فوصَفُوه للرشيد ، ووصلوه به ، فبلغ عنده كلَّ مَبْلَغ ، وعظُمت فوائدُه منه ، ثم فسدت الحال بينه و بين منصورٍ وتباعدت . وأخبار ذلك تُذكَر فى مواضعها .

وأخبرنى الحسن بن على ، قال : حدثنى القاسم بن مَهْرُويه ، قال : حدّثنى جعفر بن المفضَّل ، عن رجل من ولد إبراهيم الحرّانى[1] ، قال : كثُر الشّعراء بباب المأمون ، فأوذن بهم ، فقال لعلىِّ بنِ صالح صاحب المصلَّى : اعرِضْهم ، فمن كان منهم مُجيدًا فأوصِلْه إلىّ ، ومن كان غيرَ مُجيد فاصرفْه . وصادف ذلك شُغْلا من علىِّ ابنِ صالح كان يريد أن يتشاغلَ به عن أمرِ نفسه ، فقام مُغضَبا ، وقال : والله لأَعُمَّنَّهم بالحرمان ، ثم جلس لهم ، ودعا بهم فجعلوا يتغالبون[2] على القُرب منه ، فقال لهم : على رِسلِكم فإنَّ المدى أقربُ من ذلك ، هل فيكم مَن يُحسِن أن يقول كما قال أخوكم العتابى :

ماذا عسى مادحٌ يثنى عليك وقد * ناداك فى الوحى تقديسٌ وتطهيرُ

فُتَّ المَمَادحَ إلّا أنَّ ألسنَنَا * مُستنطَقات بما تحوى الضَّمائر

(١) حران : مدينة عظيمة مشهورة بينها وبين الرها يوم ، وبين الرقة يومان ، على طريق الموصل والشام . وقيل أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان . وحرانى : منسوب إليها ، و يقال حرنانى على غير قياس .

(٢) يتغالبون : يتدافعون و يتسابقون .

قالوا : لا والله ما بنا أحدٌ يُحسِن أن يقولَ مثل هذا، قال : فانصرفوا جميعا .

قيل فى شعر العتابى تكلف ونفاه آخرون

٣/١٢

أخبرنى الحسن ، قال : حدثنا ابن مهرويه ، قال : حدّثنى أبو بكرٍ أحمد ابن سهل، قال : تذاكرنا شعر العتّابىّ، فقال بعضُنا : فيه تكلُّف، ونصَرَه بعضُنا، فقال شيخٌ حاضر : وَيْحكم أيقال إن فى شعره تكلفا ؟ وهو القائل :

رُسُل الضّمير إليك تَتْرَى * بالشّوق ظالعــةً وحَسْرَى (١)

مــتَرَجِّيــاتٍ ما يَنِيـ * ـنَ على الوَجَى من بعدِ مَسْرَى (٢)

ما جَفّ للعينــين بَعْـ * ـدك يا قريرَ العــين مَجْرَى

فاســلَمْ سَلِمت مــبرّأً * من صَــبوتى أبدًا مُعرَّى (٣)

إنّ الصَّبابةَ لم تَــدَعْ * منّى ســوى عظمٍ مُبرَّى (٤)

ومدامــعٍ عَبْرَى عــلى * كَبِدٍ عليك الدّهرَ حَرَّى (٥)

— فى هذين البيتين غناء — أو يقال : إنه متكلِّف ؟ وهو الذى يقول :

فلو كان للشكرِ شخصٌ يَبِينُ * إذَا ما تأمّــلَه النّاظــرُ

لمثّلتُــه لك حــتّى تراه * لِتعــلم أنّى امرؤٌ شاكرُ

رذاذ يضع لحنا

الغناء فى هــذين البيتين لأبى العُبَيْس ، ثقيل أوّل ، ولرذاذ خفيف ثقيل .

فحدّثنى أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النوبختىّ عن أبى الحسن علىّ بن العباس وغيره من أهله قالوا : لمــا صنع رَذاذ لحنَه فى هذا الشعرِ :

* فلو كان للشُّكرِ شخصٌ يبين *

(١) ظالعة ، ظلع السائر : غمز فى مشيته وظهر عرجه . الحسرى : المتعبة المعياة ؛ من حسر كضرب وخرج : تعب وأعيا . (٢) المترجيات : المنساقة . ما ينين : ما يبطئن ولا يفترن . والوجى : الحفا . (٣) الصبوة : جهلة الفتوة . (٤) المبرى : المهزول المنحوت . (٥) الحرى : المحترقة .

أبو العبيس يسقط لحن رذاذ

فُتِن به النـاس، وكان هِجِّيراهم زمانا[(١)] ، حتى صنع أبو العبَيس فيــه الثّقيل الأول ، فأسقط لحن رذاذ وغلب عليه .

أخبرنى إبراهيم بن أيوب ، عن عبد الله بن مسـلم ، وأخبرنى على بن سليمان الأخفش، عن محمد بن يزيد، قالوا جميعا :

المأمون يكتب فى إشخاص العتابى

٥ كتب المأمون فى إشخاص كلثوم بن عمــرو العتابى ، فلما دخل عليه قال له : يا كلثـوم، بلغتني وفاتُك فساءتنى، ثم بلغتني وِفادتُك فسرّتْنى . فقــال له العتابى : يا أمير المؤمنــين ، لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسعتاها فضــلًا و إنعاما، وقد خَصَصتني منهما بما لا يتّسع له أُمنية، ولا يبسط لسواه أمَل، لأنه لا دِين إلّا بك ، ولا دنيـا إلا معك . فقال له : سـلْنِى . فقال : يدك بالعطاء

١٠ أطلَقُ مِن لسانى بالسُّؤال . فوصله صــلاتٍ سنية ، وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى محَلّ .

وذكر أحمــد بن أبى طاهر عن عبــد الله بنِ أبى سعدٍ الكُرّانى ، أنّ عبد الله ابن سعيدِ بن زرارة ، حدّثه عن محمدِ بن إبراهيم اليسارى ، قال :

المأمون يداعب العتابى

لمــا قدم العتّابى مدينةَ السلامِ على المأمون، أذِن له ، فدخل عليه وعنده إسحاقُ

١٥ ابن إبراهيم الموصلى، وكان العتّابى شيخًا جليلا نبيلًا ، فسلَّم فردَّ عليه وأدناه، وقرّبه حتّى قرب منه ، فقبّل يده : ثم أمره بالجلوس فجلَس، وأقبل عليه يسائلُه عن حاله ، وهو يجيبه بلسان ذَلْق طَلْقٍ ، فاستظرف المأمونُ ذلك ، وأقبل عليه بالمداعبةِ والمزاح ، فظنّ الشّيخ أنّه استخفّ به ، فقال : يا أمير المؤمنين : الإيناس قبل الإبساس[(٢)] . فاشتبه على المأمون قولُه ، فنظر إلى إسحاقَ مستفهما ، فأومأ إليــه ، وغمزه على معناه[(٣)] حتّى

(١) هجيراهم بكسر الأول والثانى مع تشديده : دأبهم وشأنهم .

(٢) الإبساس : أن يمسح ضرع الناقة يسكنها لتدر . والمراد الاطمئنان قبل المداعبة .

(٣) غمزه على معناه : أشار .

فهم ، فقال : يا غلام ، ألف دينار ! فأُتى بذلك ، فوضعه بين يدي العتّابى ، وأخذوا فى الحديث ، وغمز المأمونُ إسحاق بن إبراهيم عليه ، فجعل العتابى لا يأخذ فى شيء إلّا عارضه فيه إسحاق ، فبقى العتّابىّ متعجّبا ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتأذَنُ لى فى سؤال هذا الشيخ عن اسمه ؟ قال : نعم ، سل . فقال لإسحاق : يا شيخ من أنت ؟ وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس ، واسمى كُلْ بَصَلْ . فتبسم العتابى وقال : أمّا أنت فمعروف ، وأما الاسم فمنكَر . فقال إسحاق : ما أقل إنصافك ، أتنكر أن يكون اسمى كُلْ بصل ؟ واسمك كُلْ ثوم ، وكُلْ ثُومْ من الأسماء ، أو ليس البصل أطيب من الثُّوم ؟ فقال له العتّابى : لله درُّك ، فما أحجَّك[1] ، أتأذن لى يا أمير المؤمنين فى أن أصِلَه بما وصَلتنى به ؟ فقال له المأمون : بل ذلك موفَّر عليك ونأمُرُ له بمثله . فقال له إسحاق : أمّا إذ أقررت بهذا ، فتوهَّمْنِي تجِدْنى ، فقال : ما أظنُّك إلا إسحاقَ الموصلىّ ، الذى تناهى إلينا خبرُه ، قال : أنا حيث ظننت . وأقبَلَ عليه بالتحيّة والسلام ، فقال المأمون ، وقد طال الحديث بينهما : أمّا إذ قد اتّفقتُما على المودّة ، فانصرِفَا متنادمَين . فانصرف العتّابى إلى منزل إسحاق فأقام عنده .

إسحاق بن إبراهيم يعارض العتابى

مصادقة العتابى لإسحاق

وذكر أحمد بن طاهر أيضا أنّ مسعود بن عيسى العبدىّ ، حدّثه عن موسى بن عبد الله التميمى ، قال : وفد إلى عبد الله بن طاهر جمْعٌ من الشّعراء ، فعَلِم أنّهم على بابه ، فقال لخادم له أديب : اُخرج إلى القوم ، وقل لهم : مَن كان منكم يقول كما قال العتّابىُّ للرّشيد :

إعجاب عبد الله بن طاهر بشعر العتابى

مُستنبِط عَزَماتِ القلبِ من فِكَرٍ * ما بينهنّ وبين الله معمورُ[2]

فليدخُلْ ، وليعلم أنّى إن وجدتُه مقصِّرا عن ذلك حَرَمتُه ، فمن وثِق من نفسه أنه يقول مثلَ هذا فليقم . قال : فدخلوا جميعا إلّا أربعةَ نفرٍ .

(١) ما أحجك : ما أكبر حجتك . (٢) المستنبط : المستخرج .

جوائز الرشيد وسروره العتابى بعد خلع الأمين

أخبرنى الحسن بن على قال، حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثنا عبد الله بن سعدٍ عن إبراهيم بنِ الحدينِ، قال: وَجِد[1] الرّشيد على العتّابى، فدخل سِرًّا مع المتظلّمين بغيرِ إذنٍ، فَمَثَل بين يَدي الرشيد، وقال له: يا أمير المؤمنين، قد آذتنِي الناس لك ولنفسِي فيك، وردّنى ابتلاؤهم إلى شكرك، وما مع تذكُّرك قناعةٌ بغيرك، ولنِعم الصّائن لِنفسِي كنت، لو أعانني عليك الصبر. وفى ذلك أقول:

أخضْنِى المَقام الغَمْرَ[2] إن كان غرّنى * سنا خُلّبٍ أو زلّت القدمان
أتتركُنى جَدبَ المعيشةِ مُقْتِرًا * وكفّاك من ماء الندى تَكِفان
وتجعلُنِي سَهْمَ المَطامع بعد ما * بَلَلت يمِينِي بالنّدَى ولسانى

قال: فأَعْجَب الرّشيدَ قولُه، وخرج وعليه الخِلَعُ، وقد أمر له بجائزةٍ، فما رأيتُ العتّابى قطُّ أبسط منه يومئذٍ.

بشار يحقد على إجادة العتابى

أخبرنى الحسن بن على، قال: حدثنى ابن مهرويه، قال: حدّثنا أحمد بن خلادٍ، قال: حدّثنى أبى، قال: جاء العتّابى وهو حَدَثٌ إلى بشّارٍ، فأنشده:

أَيصدِف عن أمامةَ أم يُقِيم * وعهدُك بالصِّبا عهدٌ قديمُ
أقول لِمُستَعارِ القَلبِ عَفَّى[3] * على عَزَماتِه السّيرُ العديمُ
أما يكفيكَ أنّ دموعَ عينِى * شآبيبٌ[4] يفيض بها الهموم
أشِيمُ[5] فلا أردُّ الطرف إلّا * على أرجائه ماءٌ سَجُوم

قال: فمدّ بشّارٌ يدَه إليه: ثم قال له: أنت بصير؟ قال: نعم. قال: عجبا لبصيرٍ ابنِ زانيةٍ، أن يقول هذا الشّعر. فخجِل العتابى وقام عنه.

(١) وجد: غضب. (٢) الغمر: الماء الكثير. سنا خلب: ضوء البرق الذى لا يعقبه مطر.
(٣) عفى: طمس. (٤) الشآبيب: المياه المنصبة، جمع شؤبوب.
(٥) أشيم: أنظر، وأصله أن يشيم البرق ينظر أين يقصد وأين يمطر. السجوم: الكثير.

٥/١٢

أخبرنى محمد بن يونس الأنبارى الكاتب ، قال : حدثنى الحسن بن يحيى أبو الحمار عن إسحاق ، قال :

العتابى ويحيى بن خالد

كلّم العتّابىُّ يحيى بن خالد فى حاجةٍ بكلماتٍ قليلةٍ ، فقال له يحيى : لقد نَدَر كلامُك اليومَ وقلّ . فقال له : وكيف لا يقلّ وقد تكنّفنى ذُلُّ المسألة ، وحيرة الطّلب ، وخوفُ الرّد ؟! فقال : والله لئن قلّ كلامُك لقد كثرت فوائدُه . وقضى حاجته .

وأخبرنى الحسن بن على ، قال : حدّثنا ابن مهرويه ، قال : حدّثنا عثمان الورّاق ، قال :

سخرية العتابى من الناس

رأيتُ العتّابى يأكُل خبزًا على الطّريق بباب الشام ، فقلت له : ويحك ، أَمَا تستحى ؟ فقال لى : أرأيتَ لو كنّا فى دارٍ فيها بقر ، كنت تستحى وتحتشم أن تأكل وهى تراك ؟ فقال : لا . قال : فاصبِرْ حتى أُعلِمَك أنّهم بقر . فقام فوعظ وقصّ ودعا ، حتّى كثُرَ الزّحام عليه ، ثم قال لهم : رَوَى لنا غيرُ واحدٍ ، أنّه من بلغ لسانُه أرنبةَ أنفِه لم يدخُل النّار . فما بقى واحدٌ إلّا وأخرج لِسانَه يومئ به نحو أرنبةِ أنفِه ، ويقدِّره حتّى يبلغها أم لا . فلما تفرقوا ، قال لى العتّابى : ألم أخبرك أنهم بقر ؟

أخبرنى الحسن حدّثنا ابن مهرويه ، قال : حدّثنى أبو عصامٍ محمد بن العباس ، قال : قال يحيى بن خالد البرمكى لولده : إن قدرتُم أن تكتبوا أنفاسَ كلثوم بن عمرٍو العتابى ، فضلًا عن رسائله وشعره ، فلن تَرَوْا أبدا مثله .

إعجاب يحيى البرمكى بالعتابى

كتاب للعتابى

أخبرنى أبى ، قال : أخبرنا الحارث بن محمدٍ عن المدائنى ، وأخبرنى الحسن ابن على ، قال : حدّثنا الخزّاز عن ابنِ الأعرابى ، قال :

أنكر العتابى على صديق له شيئًا، فكتب إليه: «إما إن تقر بذنبك فيكون إقرارُك حجةً علينا فى العفو عنك، وإلّا فطِب نفسا بالانتصاف منك، فإنّ الشاعر يقول:

أقرِرْ بذنبك ثم اطلبْ تجاوُزَنا * عنه فإن جحـودَ الذّنب ذنبان».

أخبرنا الحسن بن على، أخبرنا ابن مهرويه، قال: حدثنى عبد الواحد بن

٥ محمد، قال:

يحيى بن أكثم يستأذن المأمون للعتابى

وقف العتّـابىّ بباب المأمونِ يلتمس الوصولَ إليه، فصادف يحيى بن أكثمَ جالسًا ينتظر الإذن، فقال له: إن رأيتَ — أعزّك الله — أن تذكُرَ أمرى لأمير المؤمنين إذا دخلتَ فافعل. قال له: لستُ — أعزّك الله — بحاجِبه. قال: فإن لم تكنْ حاجبًا فقد يفعل مثلُك ما سألت، واعلم أنّ الله — عزّ وجلّ — جعل

١٠ فى كل شىءٍ زكاة، وجعل زكاةَ المـالِ رِفدَ[1] المستعين، وزكاةَ الجاهِ إغاثةَ الملهوف. واعلم أنّ الله — عزّ وجلّ — مقبل عليكَ بالزيادة إنْ شكرت، أو التغيير إن كفَرت، وإنّى لك اليوم[2] أصلَحُ منك لنفسك، لأنّى أدعُوك إلى ازديادِ نعمتِك، وأنت تأبى. فقــال له يحيى: أفعَلُ وكرامةً. وخرج الإذن ليحيى، فلما دخل، لم يبدأ بشىءٍ بعد السلام إلّا أن استأذن[3] المأمونَ للعتابى، فأذن له.

١٥ أخبرنى الحسن، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثنى أبو الشّبل، قال:

كلمتان للعتابى

قال العتابى لرجلٍ اعتذَرَ إليه: إنّى إن لم أقبـل عُذرَك لكنتُ ألأم منـك، وقد قبلتُ عذرك، فدُمْ على لَومِ نفسك فى جنايتك، نزِدْ فى قبول عُذرك، والتّجافِى عن هفوتِك.

---

(١) رفد: إعطاء وصلة. (٢) فى حـ: «لك منذ اليوم».

٢٠ (٣) فى حـ «أذن» وهو تحريف.

قال : وقيل له لو تزوّجت ! فقال : إنّى وجدتُ مكابدة العِفّةِ أيسَرَ علىّ من الاحتيالِ لمصلحةِ العِيالِ .

تقدير المأمون للعتابى وإكرامه لما أسنّ

أخبرنى الحسن، قال : حدّثنا ابن مهرويه، قال : قال جعفر بن المفضل؛ قال لى أبى :

رأيت العتّابىَّ جالسًا بين يدى المأمونِ وقد أسنّ ، فلما أراد القيام قام المأمون فأخَذَ بيده ، واعتمد الشّيخ على المأمون ، فما زال يُنهِضُه رويدًا رويدا حتّى أقلّه فنهض ، فعجبت[1] من ذلك ، وقلتُ لبعضِ الخدم : ما أسوأ أدبَ هذا الشيخ ، فمن هو ؟ قال : العتابى .

٦/١٢

دعبل وابن مهرويه يحسدانه ويحقدان عليه

أخبرنى الحسن، قال : حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثنى محمد بن الأشعث، قال : قال دعبل : ما حسَدتُ أحدًا قطُّ على شِعرٍ كما حسَدت العتّابى على قوله :

هَيْبة الإخوانِ قاطعةٌ * لأخى الحاجاتِ عن طَلَبِه

فإذا ما هِبتُ ذا أمَلٍ * مات ما أمّلت من سَبَبِه[2]

قال ابن مهرويه : هذا سرقه العتّابى من قولِ على بن أبى طالب، رضى الله عنه : « الهَيبة مقرونة بالخَيبة، والحياءُ مقرونٌ بالحِرمان، والفُرصة تمرُّ مَرَّ السحاب » .

حدّثنى محمد بن داود، عن أبى الأزهرِ، عن عيسى بنِ الحسنِ بن داود الجعفرى عن أخيه عن على بنِ أبى طالب، رضى الله عنه، بذلك .

أخبرنى الحسن ، قال : حدّثنا ابن مهرويه عن أبى الشِّبل . قال :

عبد الله بن طاهر يجيزه ثلاث مرات وينعم عليه بخلعة سنية بعد إنشاده

دخل العتّابى على عبد الله بن طاهر ، فمثل بين يديه ، وأنشده :

حُسن ظنى وحسنُ ما عوّدَ اللـ * ـهُ سِواى[3] منك الغداةَ أتى بى

(١) فى الأصل : « فعجب » ، والسياق يقتضى « فعجبت » . (٢) ب : الوسيلة ، والمودة .
(٣) فى ح، س : « سوائى » .

أىّ شىءٍ يكونُ أحسَن مِن حُسـ * ـنِ يقينٍ حدا إليك ركابى[1]

قال : فأمر له بجائزةٍ ، ثم دخل عليه من الغد ، فأنشده :

ودكَّ يكفينيكَ فى حاجتى * ورؤيتى كافيةٌ عن سؤالْ

وكيف أخشى الفقر ما عشتَ لى * وإنّما[2] كفّاك لى بيت مالْ

٥ فأمر له بجائزةٍ ، ثم دخل فى اليوم الثالث ، فأنشده :

بَهجات الثّياب يُخلِقها[3] الدّهـ * ـرُ وثوبُ الثّناءِ غضٌّ جديدُ

فاكسُنى ما يَبيد أصلحكَ اللـ * ـهُ فالله يكسُوك ما لا يَبيدُ

فأمر له بجائزةٍ ، وأنعم عليه بخِلْعةٍ سنيّةٍ .

أخبرنى الحسن بن على ، قال : حدّثنا ابن مهرويه ، قال : حدّثنى عبد الله

١٠ ابن أحمد ، قال : حدّثنى أبو دِعامة ، قال :

العتابى وطوق ابن مالك

قال طوق بن مالكٍ للعتابى : أمَا ترَى عشيرتَك ؟ — يعنى بنى تغلب — كيف تُدِلّ على ، وتتمرغ وتستطيل ، وأنا أصبر عليهم ؟ ! فقال العتابى : أيُّها الأمير ، إنّ عشيرَك مَن أحسَنَ عِشرتَك[4] ، وإنّ عمَّك من عمَّك خيرُه ، وإنّ قريبَك من قرُب منك نفعُه ، وإنّ أخفَّ النّاس عندك أخفُّهم[5] ثِقلًا عليك ، وأنا الذى

١٥ أقول :

إنّى بلوتُ النّاسَ فى حالاتهم * وخَبَرتُ ما وصلوا من الأسبابِ

فإذا القرابةُ لا تقرِّب قاطعًا * وإذا المودّةُ أقربُ الأنسابِ

---

(١) فى ح : « ظن » . (٢) هذا ما فى ح ، وفى سائر الأصول : « وهذه » .
(٣) يخلقها : يبليها . (٤) فى كل الأصول : « عشيرتك » .
٢٠ (٥) فى ح : « عليك » .

شكوى النمرى للعتابى إلى طاهر ابن الحسين وإصلاحه ما بينهما

أخبرنى إسمعيل بن يونس الشيعى، قال حدثنا الرياشى، قال:

شكا منصور النمرىُّ العتّابىَّ إلى طاهر بن الحسين، فوجّه طاهر إلى العتّابىّ، فأحضره، وأخفى منصورا فى بيتٍ قريبٍ منهما، وسأل طاهرٌ العتّابى أن يصالحه، فشكا سوءَ فعله به، فسأله أن يَصفَح عنه، فقال: لا يستحقُّ ذلك. فأمر منصورًا بالخروج، فخرج وقال للعتّابىّ، لم لا أستحِقُّ هذا منك؟ فأنشأ العتابىُّ يقول:

٧/١٢

أَصْحَبْتُكَ الفضلَ إذ لا أنت تعرِفُه * حقًّا ولا لك فى استصحابه أَرَبُ

لم تَرتَبِطْك على وصلِى محافظَة * ولا أَعاذَكَ مما اغتالك الأدَبُ

ما مِن جَميلٍ ولا عُرفٍ نطقتَ به * إلا إلىّ وإن أنكرتَ ينتسِبُ

قال: فأصلح طاهرٌ بينهما — وكان منصور من تعليم العتابى وتخريجه (١) — وأمر طاهر للعتابى بثلاثين ألف دِرهم.

أخبرنى عمر عن عبد الله بنِ أبى سعدٍ عن الحسين بن يحيى الفِهرى عن العباس ابن أبى ربيعة السلمى، قال:

شكا منصور النمرى كلثومَ بن عمرٍو العتّابى إلى طاهرٍ. ثم ذكر مِثله.

أخبرنى علىُّ بن صالح بن الهيثم الأنبارى الكاتب، قال: حدّثنى أبو هفان، قال:

العتابى يفضل العلم والأدب على المال

كان العتّابىُّ جالسًا ذاتَ يوم ينظُر فى كتاب، فمرّ به بعضُ جيرانه، فقال: أيش ينفَعُ العِلمُ والأدب مَن لا مالَ له؟ فأنشدَ العتّابى يقول:

(١) من تعليم العتابى: أى من تلاميذه.

يا قاتل اللهُ أقوامًا إذا ثقِفُوا * ذا اللبِّ ينظر في الآداب والحكم[1]

قالوا وليس بِهِم إلّا نفاسته * أنافعٌ ذا من الإقتار والعَدَم[2]

وليس يدرُون أنّ الحظَّ ما حُرِموا * لحاهم الله ، مِنْ عِلم ومِن فَهَم[3]

أخبرني علي بن صالح وعمي ، قالا : حدّثنا أحمد بن طاهر ، قال : حدّثنا

٥ أبو حيدرة الأسدي ، قال :

قول العتابي في عزل طاهر بن علي

قال العتابيُّ في عزل طاهر بن علي ، وكان عدوّه :

يا صاحبًا متلوِّنا * متباينا فعلى وفعله

ما إنْ أحِبُّ له الرَّدَى * ويسُرُّني والله عزلُه

لم تَعْدُ فيما قلتَ لي * وفعلتَ بي ما أنت أهلُه

١٠ كم شاغلٍ بك عَدْوتيه * وفارغٌ مَنْ أنت شُغلُه[4]

أخبرني أحمد بن الفرج ، قال : حدّثني أحمد بن يحيى بن عطاء الحراني عن

عبيد الله بن عمار ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني عبد الرحيم

ابن أحمد بن زيد بن الفرج ، قال :

مدحه جعفرا لما أمنه عند الرشيد

لمّا سعى منصورٌ النمريُّ بالعتابيّ إلى الرشيد اغتاظ عليه ، فطلبه ، فستره جعفر

١٥ ابن يحيى عنه مدّة ، وجعل يستعطفه عليه ، حتّى استلّ ما في نفسه ، وأمّنه ، فقال

يمدح جعفر بن يحيى :

ما زلتُ في غَمَرات الموتِ مُطَّرَحا[5] * قد ضاق عنى فسيحُ الأرض من حِيَلي

ولم تَزلْ دائبًا تَسعَى بلُطْفك لي * حتّى اختلست حياتي من يدَىْ أجلِي

(١) في الأصل : « ثقفوا » ، وهو تحريف . ويقال ثقف الرجل الرجل : ظفر به ووجده .

٢٠ (٢) النفاسة : الحسد . والإقتار : القلة والفاقة . ومثله العدم . (٣) الفهم ، بالتحريك : الفهم ، ومثلهما الفهامة . (٤) العدوتان : جانبا الوادي . يريد : إن كثيرا يشغلون أنفسهم بك في الآفاق ولكن من يشغل نفسه بك فارغ لا ينال شيئا . وفي الأصل : « ما أنت » . (٥) الغمرات : جمع غمرة ، وهي الشدة .

أخبرنى عمى، قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد ، قال : حدّثنى أحمد بن خلاد عن أبيه ، قال :

عاد عبد الله بن طاهر و إسحق بن إبراهيم بن مصعب ، كلثومَ بن عمرو العتابىَّ ، فى عِلّةٍ اعتلّها ، فقال الناس : هذه خَطْرةٌ خطرَتْ ! فبلغ ذلك العتابىَّ ، فكتب إلى عبدِ اللهِ بنِ طاهر :

قالوا الزِّيارةُ خَطرةٌ خطرَتْ * ونِجارُ بِرِّك ليس بالخَطْرِ[1]
أبطِلْ مقالَتهم بثانيةٍ * تستنفد المعروفَ من شُكرِى

فلما بلغت أبياتُه عبدالله بن طاهرٍ ضحِك من قوله ، وركب هو وإسحاقُ بن إبراهيم ، فعاداه مرة ثانية .

أخبرنى الحسين بن القاسم الكوكبى ، قال : حدّثنى أبو العيناء ، قال : حدّثنى أبو العلاءِ المعرى[2] ، قال :

عتب عبد اللهِ بن هشامِ بنِ بسطامٍ التغلبى على كُلثومِ بنِ عمرٍو التغلبىّ فى شىءٍ بلغه عنه ، فكتب إليه :

صـــوت

لقد سُمتَنِى الهِجرانَ حتى أذقتَنى * عقوباتِ زلّاتى وسُوءِ مناقبى
فها أنا ساعٍ فى هواكَ وصابرٌ * على حدِّ مصقولِ الغِرارينِ[3] قاضبِ
ومنصرف عما كرهتَ وجاعلٌ * رِضاكَ مِثالًا بين عينى وحاجبى

قال : فرضى عنه ، ووصله صلةً سنيّة .

(١) النجار : الأصل . وفى النسخ : « وبحار » .
(٢) هذا غير الشاعر المعروف المتوفى سنة ٤٤٩ .
(٣) الغراران : الحدان . والقاضب : القاطع .

الغناء فى هذه الأبيات لسعيدٍ مولى فائدٍ، ثانى ثقيلٍ بالبِنصر، عن يحيى المكى، وذكر الهشامى أنه منحول يحيى، وذكر أحمد بن المكى فى كتابه، أنّه لأبى سعيد، وجعله فى باب الثقيل الأوّل بالبِنصر، ولعله على مذهب إبراهيم بن المهدى ومن قال بقوله .

٥ أخبرنى الحسين بن القاسم، قال : حدّثنى محمد بن عبد الرحمن بن يونس السراج، قال : أخبرنى الحسين بن داود الفزارى عن أبيه، قال :

ربيعة تقتل واحدا من فزارة فى خفارته فاستعدى القيسى الحاكم على ربيعة

كان أخوانِ من فَزارة بخُفُرانِ قريةً بين آمِد وسُمَيساط، يقال لها تلّ حُوم، فطال مقامهما بها حتّى أثريا، فحسدهما قومٌ من ربيعة، وقالوا : يخفران هذان الضياع فى بلدنا ! فجمعوا لهما جمعًا، وساروا إليهما، فقاتلوهما، فقُتِل أحدهما،

١٠ وعلى الجزيرة يومئذ عبد الملك بن صالح الهاشمى، فشكا القيسىُّ أمرَه إلى وجوه قيس، وعرّفهم قتل رَبيعة أخاه، وأخْذَهم مالَه . فقالوا له : إذا جلس الأميرُ فادخل إليه . ففعل ذلك، ودخل على عبدِ الملك، وشكا ما لحقه، ثم قال له : وحَسْبُ الأميرِ أنّهم لما قتلوا أخى وأخذوا مالى قال قائلٌ منهم :

اشربا ما شربتُما إنّ قيسًا * من قتيلٍ وهالكٍ وأسيرِ

١٥ لا يحوزنّ أمرَنا مُضَرِىٌّ * بخفيرٍ ولا بغيرِ خفيرِ

فقال عبدالملك : أتندبُنى(١) إلى العصبية؟ وزبره(٢)، فخرج الرّجلُ مغمومًا، فشكا ذلك إلى وُجوه قيس، فقالوا : لا تُرَع، فوالله لقد قَذفتَها فى سويداءِ قلبه، فعاودْه . فعاوده فى المجلس الآخر، فزبرَه، وقال له قولَه الأوّل، فقال له : إنّى لم آتك

(١) أتندبنى : أتحثنى وتدعونى .

٢٠ (٢) زبره : زجره وانتهره .

أنُدبك للعصبيّة ؛ وإنّما جئتُك مستعديا[1]، فقال له : حدّثنى كيف فعَلَ القوم ؟ فحدّثه وأنشده ، فغضب فقال : كذَب[2] لعمرى ، ليحوزَنّها . ثم دعا بأبى عِصمة أحدِ قواده، فقال : اخرُجْ فجرِّد السيفَ فى ربيعة ، فخرج وقتل منها مَقتلةً عظيمة، فقال كلثوم بن عمرو العتّابىّ قصيدتَه التى أولها :

ماذا شجاكِ بحُوّارين من طَلَلٍ * ودمنةٍ كشفَتْ عنها الأعاصيرُ[3]

يقول فيها :

هذى يمينُك فى قرباك صائلةٌ * وصارمٌ من سيوف الهندِ مشهورُ

إن كان منّا ذَوُو إفكٍ ومارقةٌ * وعصبةٌ دينُها العُدوان والزُّور

فإنّ منّا الذى لا يُستَحثُّ إذا * حُثَّ الجيادُ وضمّتْها المضاميرُ

مُستنبِط عَزَماتِ القلب من فِكَرٍ * ما بينهنّ وبين الله معمورُ

يعنى عبدالله بن هشامِ بنِ بسطامٍ التغلبى، وكان قد أخذ قوّادَهم .

شعر العتابى يجعل عبد الملك يأمر بالكف عن قتال ربيعة

فبلغت القصيدةُ عبدَالملك ، فأمر أبا عِصمةَ بالكفِّ عنهم، فلما قدِم الرّشيد الرّافقة أنشده عبدُ الملك القصيدةَ، فقال : لمن هذه ؟ فقال : لرجل من بنى عتابٍ يقال له كلثوم ابن عمرٍو، فقال : وما يمنعه أن يكون ببابنا . فأمر بإشخاصه من رأسِ عينٍ[4]، فوافى الرشيدَ وعليه قميصٌ غليظ ، وفَروة وخُفّ ، وعلى كتفه مِلحفةٌ جافية بغير سراويل ، فلما رُفِع الخبر بقدُومه أمَرَ الرشيدُ بأن تفرش له حُجرة ، وتقامَ له وظيفة، ففعلوا ، فكانت المائدة إذا قدِّمت إليه أخذ منها رُقاقةً وملحا وخلَط الملحَ بالتُّراب فأكله بها ، فإذا كان وقتُ النوم نام على الأرض والخدم يتفقّدونه ، ويتعجبون من

(١) مستعديا : مستنصرا مستعينا . (٢) فى س : « كذبت» والسياق يقتضى حذف التاء .
(٣) حوارين بضم أوله وتشديد الواو وكسر الراء وياء ساكنة : قرية من قرى حلب . وضبطها فى القاموس بفتح الحاء . الدمنة : واحدة الدمن ، وهى آثار الدار .
(٤) رأس عين : مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين .

الرشيد يأمر بطرده

فعله ، وسأل الرشيد عنه ، فأخبروه بأمره ، فأمر بطرده ، فخرج حتّى أتى يحيى ابنَ سعيد العُقَيلى وهو فى منزله ، فسلّم عليه ، وانتسب له ، فرحّب به ، وقال له : ارتفعْ . فقال : لم آتِك للجلوس ، قال : فما حاجتُك ؟ قال : دابّة أبلُغ عليها إلى رأس عين ، فقال : ياغلام أعطِه الفرسَ الفلانىّ . فقال : لاحاجة لى فى ذلك ، ولكنْ تأمرُ أن تشترى لى دابة أتبلّغ عليها . فقال لغلامه : امضِ معه فابتعْ له ما يريد . فمضى معه ، فعدل به العتّابىُّ إلى سوقِ الحَمير ، فقال له : إنّما أمرنى أن أبتاع لك دابّة . فقال له : إنّه أرسلك معى ، ولم يرسلنى معك ، فإن عملت ما أريد و إلا انصرِفْ . فمضى معه فاشترى حماراً بمائة وخمسين درهما ، وقال : ادفع إليه ثمنه ، فدفع إليه ، فركب الحمار عُرْياً بمرشحة عليه و برذعة ، وساقاه مكشوفتان ، فقال له يحيى بن سعيد : فضحتَنى ، أمثلى يحمل مثلَك على هذا ؟ فضحِك ، وقال : ما رأيتُ قدرَك يستوجب أكثرَ من ذلك ، ومضى إلى رأس عين .

يحيى بن سعيد العقيلى يشترى له دابة توصله إلى رأس عين وقد فضح سعيدا بأفعاله

لوم زوجته له وما قال فى ذلك

وكانت تحته امرأةٌ من باهلة ، فلامته ، وقالت : هذا منصورٌ النمرىُّ قد أخذ الأموالَ فحَلّى نساءَه ، وبنى دارَه ، واشترى ضياعًا ، وأنت هاهنا كما ترى ! فأنشأ يقول :

تلوم على تَركِ الغِنى باهليّةٌ (١) * زَوى الفقرُ عنها كلَّ طِرفٍ وتالد

رأتْ حَولها النّسوانَ يرفُلْنَ فى الثَّرا (٢) * مقلّدةً أعناقُها بالقلائد

أسَرَّكِ أنّى نلت ما نال جعفرٌ * من العيش أو ما نال يحيى بنُ خالد

وإنّ أمير المؤمنين أغَصَّنى (٣) * مُغَصَّهما بالمشرقاتِ البوارد

(١) الطارف : الجديد . والتالد : القديم . وانظر كتاب الحيوان للجاحظ (٤ : ٢٦٥) .

(٢) يرفلن : تجر الواحدة ذيلها وتتبختر . (٣) أغصنى : من الغصة ، وهى ما يعترض فى الحلق فتحتبس الأنفاس به . ويروى : « أعضنى معضهما » . المشرقات : السيوف اللوامع . البوارد : التى تثبت فى الضريبة لاتنثنى .

رأيت رفيعاتِ الأمور مشوبةً * بِمستودَعاتٍ فى بُطون الأساوِدِ[1]

دعِينى تَجِئْنِى مِيتَتِى مطمئنةً * ولم أتجشم هَـولَ تلك المـوارد[2]

وهذا الخبرُ عندى فيه اضطراب؛ لأن القصيدةَ المذكورةَ التى أوّلها :

* ماذا شجاكَ بِحُوّارِينَ من طلل[3] *

للعتّابى فى الرشيد، لا فى عبد الملك، ولم يكن كما ذكره فى أيّام الرشيد متنقّصًا منه. وله أخبار معه طويلةٌ، وقد حدّثنى بخبره هذا لما استوهب رَفْعَ السيف عن ربيعةَ جماعةٌ على غير هذه الرواية .

عتب الرشيد على العتابى وقطعه الهبات فيتنصل بقصيدته هذه

أخبرنى عمى قال: حدّثنى عبدُ الله بنُ أبى سعد، قال: حدّثنى مسعودُ بنُ إسماعيلَ العدوىُّ عن موسى بنِ عبد الله التيمى قال :

عتب الرشيدُ على العتابى أيام الوليد بنِ طريف، فقطع عنه أشياءَ كان عوّده إياها، فأتاه متنصِّلًا بهذه القصيدة :

ماذا شجاكَ بِحُوّارِينَ من طللِ * ودمنةٍ كشفت عنها الأعاصيرُ

شجاكَ حتّى ضميرُ القلب مشتركٌ * والعين إنسانها بالماء مغمورُ

فى ناظرىّ انقباضٌ عن جفونهما * وفى الجفون عن الآماق تقصير

لوكنتِ تدرين ماشوقى إذا جَعَلَتْ * تنأى بنا وبك الأوطانُ والدورُ

علمتِ أنّ سُرَى ليلى ومُطاى * من بيت نجران والغَوْرَيْنِ تغوير[4]

إذِ الركائبُ مَخْسوفٌ نواظرها * كما تضمّنتِ الدُّهنَ القواريرُ

نادتك أرحامُنا اللاتى نَمُتُّ بها * كما تنادى جِلادَ الجِلّة الخورُ[5]

(١) الأساود : جمع أسود وهو الحية . (٢) ورد فى كل الأصول « منيتى » ، تحريف .
(٣) انظر ما سبق فى ص ١٢٢ (٤) نجران : موضع بالبحرين وموضع قرب دمشق .
والتغوير : الدخول فى الغور . (٥) الجلاد بالجيم والدال : النوق الصلاب وما غزر لبنها أو قل ضد . والجلة : المسان من الإبل . وفى ش : « الحيلة » تحريف . والخور : جمع خوارة على غير قياس ، وهى الناقة الغزيرة اللبن .

مُستنبط عَزَماتِ القلبِ من فِكَرٍ * ما بينهنّ و بينَ الله معمورُ
فُتَّ المدائحَ إلا أنّ أنفسنا * مستنطَقاتٌ بما تحوى الضّمائرُ
ما ذا عسَى مادحٌ يُثنى عليك وقد * ناداك فى الوحى تقديسٌ وتطهير
إن كان منّا ذَوُو إفكٍ ومارقةٌ(١) * وعصبةٌ دينُها العُدوانُ والزُّور
فإنّ منّا الذى لا يستحثُّ إذا * حُثَّ الجياد وحازتها المضامير(٢)
ومن عرائقه السّفّاح عندكم * مجرّبٌ من بَلاء الصِّدق مخبور(٣)
الآن قد بُعدت فى خطوِ طاعتكم * خُطاهم حيثُ يحتل الغشامير(٤)

— يعنى يزيدَ بن مزيد ، وهشامَ بن عمرٍو التغلبىّ ، وهو من ولدِ سُفَيْح بن السفاح — قال : فرضى عنه وردّ أرزاقه ووصله .

الرشيد يرضى عن العتابى و يرد أرزاقه و يصله

٥

صوت

١٠

تطاول ليلى لم أنمه تقلُّبا * كأنّ فِراشى حال من دونه الجمرُ
فإن تكن الأيامُ فرّقن بيننا * فقد بانَ منى فى تذكُّره العذرُ

الشعرُ للأُبيرد الرِّياحىّ ، والغناءُ لبابَوَيْه ، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو ، وفيه رَمَلٌ نسبه يحيى المكى إلى ابنِ سريج . وقيل إنه منحول .

١٥

(١) الإفك : البهتان . والمارقة : الخارجة على الدين .

(٢) المضامير : جمع مضمار ، وهو الموضع الذى تضمر فيه الخيل . وروى فى ص ١٢٢ : « وضمّتها المضامير » .

(٣) المخبور : المختبر . وصدر البيت محرف .

(٤) الغشامير بالغين من الغشمرة وهى : التهضم والظلم . وفى ش ، حـ بالعين المهملة .

أخبارُ الأبيرد ونسبه

اخبار الأبيرد ونسبه

الأبيرد بنُ المعذِّر بنِ قيس بن عَتّاب بن هَرْمِيّ بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناةَ بنِ تميم . شاعرٌ فصيحٌ بدوىٌّ ، من شعراء الإسلام

الأبيرد ليس مكثرا ولم يتكسب بشعره

وأوّلِ دولةِ بنى أمية . وليس بمكثرٍ ، ولا ممن وفد إلى الخلفاء فمدحهم .

وقصيدتُه هذه التى فيها الغناءُ يرثى بها بُرَيدا أخاه ، وهى معدودة من مختار المراثى .

أخبرنى هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزَاعىُّ قال : حدّثنا دَماذُ عن أبى عبيدةَ قال :

الأبيرد يهوى امرأة من قومه فزوجت غيره

كان الرياحىُّ يهوى امرأةً من قومه وَيُجَنُّ بها حتّى شُهِرَ ما بينهما ، فحجبت عنه ، وخطبها فأبَوا أن يزوّجوها إياه ، ثم خطبها رجلٌ من ولدِ حاجبِ بنِ زُرارةَ ، فزوّجته ، فقال الأبيرد فى ذلك :

إذا ما أردتَ الحسنَ فانظر إلى التى * تَبغَّى لقيطٌ قومَه وتَخَيَّرا (١)

لها بشَرٌ لو يدرُجُ الذرُّ فوقه * لبانَ مكانُ الذرِّ فيه فأثّرا (٢)

لعمرى لقد أمكنتِ منا عدوَّنا * وأقررتِ للعادى فأخْنَى وأهجرا (٣)

١١/١٣

لم يرض الأبيرد من حارثة بن بدر ثوبين يدخل بهما على ابن زياد

أخبرنى أبو خليفة الفضلُ بن الحباب فى كتابه إلىّ قال : حدّثنا محمد بن سلام الجمحى قال :

---

(١) تبغى لقيط قومه : طلب إليهم أن يساعدوه ويخيروا له ذات النسب .

(٢) البشر : الجلد . والذر : صغار النمل .

(٣) أقررت : خضعت . للعادى روى فى كل الأصول « للوادى » ولعلها ما أثبتنا .
أخنى : قال الخنا . وأهجر : قال هجرا .

قدم الأبيرد الرياحى على حارثةَ بنِ بدرٍ فقال : اكسُنى بُردَين أدخلُ بهما على الأمير — يعنى عبيد الله بن زيادٍ — وكساه ثوبين فلم يرضَهما ، فقال فيه :

أحارث أمسك فَضْلَ برديك إنما * أجاعَ وأعرى اللهُ من كنتَ كاسيا

وكنتُ إذا استمطرتُ منك سحابةً * لتُمطرنى عادت عَجَاجا وسافيا (١)

أحارثُ عاود شُرْبَكَ الخمرَ إننى * أرى ابنَ زيادٍ عنك أصبح لاهيا

٥

فبلغت أبياتُه هذه حارثةَ فقال : قبّحه الله : لقد شَهِد بما لم يعلم، وإنما أدعُ جوابه لما لا يعلم . هكذا ذكر محمدُ بنُ سلام .

أخبرنى حبيبُ بن نَصرٍ المهلبى قال : حدّثنا عُمَر بنُ شبّةَ قال : حدّثنا الأصمعىُّ قال : هجا الأبيردُ الرياحىُّ حارثةَ بن بدر فقال :

١٠

أحارثُ راجع شُرْبَكَ الخمرَ إننى * أرى ابنَ زيادٍ عنك أصبح لاهيا

أرى فيك رأياً من أبيه وعمه * وكان زيادٌ ماقتاً لك قاليا

حارثة منع عنه الكسوة لما بلغه هجاؤه

وذكر البيتين الآخرينِ اللذين ذكرهما محمدُ بنُ سلام، وقال فى خبره هذا : فكان حارثةُ يكسوه فى كلّ سنة بردْين، فحبسهما عنه فى تلك السنة، فقال حارثة بن بدر يجيبه :

فإن كنتَ عن بردىَّ مستغنيا لقد * أراك بأسمالِ الملابس كاسيا (٢)

١٥

وعشتَ زمانا أن أعِنّكَ كُسوتى * قنعت بأخلاق وأمسيت عاريا (٣)

وبردين من حوك العراق كسوتَها * على حاجةٍ منها لأمِّك باديا (٤)

---

(١) العجاج : الغبار . والسافى : الريح تحمل ترابا .

(٢) الأسمال : الثوب الخلق أو الأثواب الخلقة .

(٣) عنه : أعطاه . الأخلاق : جمع خلق بالتحريك : الثوب المهلهل .

٢٠

(٤) حوك العراق : نسجه . وكان مشهورا بالدقة فى ذلك الزمان . وفى جميع الأصول «حول» باللام .

فقال الأبيرد يهجو حارثة بن بدر :

زعمتْ غُدانةُ أن فيها سيدًا * ضخمًا يواريه جَناحُ الجندب (١)

يُرْويه ما يُروى الذّبابَ وينتشى * لؤمًا ويشبِعه ذراعُ الأرنب

وقال أيضا لحارثة بن بدر :

ألا ليت حَظّى من غُدانة أنها * تكون كَفافا لا علىّ ولا ليا (٢)

أبى الله أن يهدى غدانةَ للهدى * وأن لا تكونَ الدهرَ إلا مَواليا (٣)

فلو أننى ألقى ابنَ بدرٍ بموطن * نَعُدُّ به من أوّلينا المساعيا (٤)

تقاصر حتى يستقيدَ وبذّه * قُروم تَسامَى من رياح تَساميا (٥)

أيا فارطَ الحى الذى قد حشا لكم * من المجد أنهاءً ملاء الخوابيا (٦)

وعَمّى الذى فكّ السّميدعَ عنوةً * فلستَ بنعمَى ياابن عقربَ جازيا

كلانا غنىٌّ عن أخيه حياتَه * ونحنُ إذا متنا أشدُّ تغانيا (٧)

ألم ترنا إذ سقتَ قومَك سائلا * ذَوِى عددٍ للسائلين مَعاطيا

بنى الردف حمالين كلَّ عظيمةٍ * إذا طلعت والمترعين الجوابيا (٨)

وإنا لنعطى النَّصفَ من لو نَضيمه * أقر ولكنا نحب العوافيا (٩)

---

(١) غدانة : هى من يربوع تسمى به القبيلة . والجندب : الجراد .

(٢) الكفاف : ما يكف عن الناس ويغنى . (٣) الموالى : العبيد .

(٤) المساعى : مآثر أهل الشرف والفضل . فى الأصول : «يعينه من أولينا» ، وهو تحريف .

(٥) استقاد : ذل وخضع . القروم : السادة . ورياح : قبيلة .

(٦) الفارط : السابق لإصلاح الحوض والدلاء . والأنهاء : جمع نهى ، وهو الغدير . والخوابى : جمع خابية ، وهى حوض يجتمع فيه الماء .

(٧) هذا البيت يروى لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، ونقل السيوطى عن أمالى القالى أنه لسيار بن هبيرة . (٨) الجوابى جمع جابية : الحوض يجمع فيه الماء .

(٩) نضيمه : نظلمه ، والظلم علامة القوة . العوافى : جمع عافية : السلامة .

١٢/١٢

الردفُ الذى عنـاه ها هنا : جدُّه عتابُ بنُ هَرمى بن رياح ، كان ردِفَ ابنِ المنذر ، إذا ركب ركب وراءه ، و إذا جلس جلس عن يمينه ، و إذا غزا كان له المرباع ؛ و إذا شرب الملك سُقِىَ بكأسـه بعدَه ، وكان بعده ابنُه قيسُ بن عتّاب يَرْدُفُ[1] النعمان . وهو جدُّ الأبيردِ أيضا .

٥ أخبرنى هاشم بن محمد قال : حدثنا أبو غسانَ عن أبى عبيدة قال :

الأبيرد وسعد العجلى

كانت بنو عِجلٍ قد جاورت بنى رياحِ بنِ يربوع فى سنة أصابت عِجْلا ، فكان الأبيردُ يعاشر رجلا منهم ، يقال له سعد ، و يجالسه ، وكان قصدُه امرأة سعد هذا ، فمالت إليه فومقته ، وكان الأبيردُ شابا جميلاً ظريفاً طريا ، وكان سعد شيخا هِمًّا[2] ، فذهب بها كلَّ مذهب حتى ظهر أمرُهما وتُحُدِّث بهما ، واتُّهِم الأبيردُ بها ، فشكاه إلى قومه

١٠ واستعذرهم[3] منه ، فقالوا له : مالك تَحدّثُ إلى امرأة الرجل ؟ فقال : وما بأس بذلك[4] ! وهل خلا عربى منه ؟ قالوا : قد قيل فيكما ما لا قرار عليه ، فاجتنبْ محادثتَها ، و إياك أن تعاودها . فقال الأبيردُ : إنّ سعدا لا خيرَ فيه لزوجته . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : لأنى رأيته يأتى فرسَه البلقاءَ ، ولا فضل فيه لامرأته ، فهى تبغضه لفعله ، وهو يتّهمها لعجزه عنها . فضحكوا من قوله ، وقالوا له : وما عليك من ذلك ؟ دع الرجل وامرأته

١٥ ولا تعاوِدْها ولا تجلس إليها . فقال الأبيرد فى ذلك :

---

(١) يردف ، يقال يردف الملك : يجلس عن يمينه و يشرب بعده .

(٢) الهم والهمة بكسر الهاء : الشيخ الفانى .

(٣) استعذرهم : استعداهم عليه واستنصرهم .

(٤) ما بأس بذلك : ما عيب فى ذلك . وفى الحـديث أن النبى صلى الله عليه وسلم استعذر أبا بكر

٢٠ من عائشة ، كان عتب عليها فى شىء ، وقال لأبى بكر : اعذرنى منها إن أدبتها . أى قم بعذرى فى ذلك . و يقال أما تعذرنى من هذا ، أى أما تنصفنى .

ألم تر أنّ ابن المعذّر قد صحا * وودّع ما يَلْحَى عليه عواذلُه (١)

غدا ذو خلاخيل علىّ يلومُنى * وما لومُ عَذّالٍ عليه خلاخله (٢)

فدع عنك هذا الحَلْى إن كنت لائمى * فإنّى امرؤ لا تزدهينى صَلاصِله (٣)

إذا خطرت عنس به شدنية * بمُطّرِد الأرواح ناءٍ مناهله (٤)

تبيّن أقوامٌ سفاهةَ رأيهم * ترحّل عنهم وهو عفٌّ منازله

لهم مجلسٌ كالرُّدْن يجمع مجلسًا * لئاما مساعيه كثيرًا هَتَامله (٥)

تبرأتُ من سعد وخُلّةِ بيننا * فلا هو معطينى ولا أنا سائله

متى تُنْتَجُ البلقاءُ يا سعد أم متى * تُلقَحُ من ذات الرِّباط حوائله (٦)

يحدِّث سعد أنّ زوجته زنت * ويا سعدُ إنّ المرء تزنى حلائله

فإن تسمُ عيناها إلىّ فقد رأت * فتًى كحسام أخلصَتْه صياقله (٧)

فتى قُدَّ قدّ السّيف لا متضائلٌ * ولا رهِلٌ لَبّاته وأباجله (٨)

— وهذا البيت الأخير يروى للعجير السّلولى، ولأخت يزيدَ بنِ الطثرية —

فاعترضه سَلمان العجلىّ فهجاه وهجا بنى رياح فقال :

---

(١) يلحى : أى يلوم . (٢) أى لا أهتم بلوم من هو كالنساء يلبس الخلاخل .

(٣) صلاصله : رنينه وصوته . (٤) العنس : الناقة الصلبة . والشدنية من الإبل : منسوبة إلى موضع باليمن . (٥) جعله كالردن ، وهو أصل الكم ، فى ضيقه وقلة عددهم . وفى الأصول : «كالدرن» . والهتملة : الكلام الخفى .

(٦) الرباط : الخيل أو الخمس منها فما فوقها ، والمرابطة : أن يربط كل من الفريقين خيولهم فى ثغرة وكل معد لصاحبه . وسمى المقام بالثغور رباطا . والحوائل : جمع حائل وهى التى حمل عليها فلم تلقح ، والتى لم تلقح سنة أو سنتين أو سنوات .

(٧) الصياقل : جمع صيقل .

(٨) الرهل : المسترخى . ولباته جمع لبة : وهى موضع النحر . والأبجل : عرق غليظ فى اليد أو الرجل . وفى بعض النسخ «أناصله» تحريف .

لعمــرك إنّى وبنى رياح * لكالعاوى فصادف سَهم رامِ
يســوقون ابنَ وجرةَ مزمــئرا (١) * ليحميَهم وليس لهــم بحامِ
وكم من شاعرٍ لبنى تمــيم * قصيرِ البــاع من نفــرٍ لئامِ
كسونا — إذ تخرّقَ (٢) ملبَساه — * دواهىَ يبــترينَ من العظامِ
٥ وإن يُذكر طعامُهم بشَرٍّ * فإنّ طعــامُهم شــرُّ الطعــامِ
شَريجٌ (٣) من مَــنِىّ أبى سُــواج * وآخر خالص من حيض آمِ
وســوداء المغــابن (٤) من رياح * على الكردوس كالفأس الكَهامِ
إذا ما مرّ بالقعقاع (٥) ركب * دعتهم مَن ينيكُ على الطّعــامِ
تداوَلَهــا غــواةُ النّــاس حتّى * تؤوبَ وقد مضى ليل التِّمــامِ (٦)

١٠ وقال الأبيرد أيضا مجيبا له :

عَــوى سَلمانُ من جَــوٍّ فلاقى * أخو أهلِ اليمــامةِ سهمَ رامى
عوى من جُبْنه وشــقِّ عجــلٍ (٧) * عُــواءَ الذئب مُختلَط الظــلامِ
بنــو عِجــلٍ أذلُّ من المطــايا * ومن لحم الجَزورِ (٨) على الثُّمــامِ
تَحيّــا المسلمون إذا تلاقَــوا * وعجــلٌ ما تَحيّــا بالسّــلامِ
١٥ إذا عِجليــةٌ ولدت غلاما * إلى عجــلٍ فَقُبّحَ من غــلامِ

---

(١) المزمئر : الغاضب . (٢) فى الأصول : « إذ يخرق » .
(٣) الشريجان : لونان مختلفان . وأبو سواج ، ورد فى القاموس : « أبو سواج الضبى أخو بنى عبد مناة » . الآم : جمع أمة ، وهى المرأة المملوكة ليست بحرة .
(٤) المغابن جمع مغبن وهو : الإبط . والكردوس كل عظم كثير اللحم . والكهام : الكليل .
٢٠ (٥) القعقاع : مكان . (٦) ليل التّمام ، بالكسر : أطول ليالى الشتاء .
(٧) يعنى بشق عجل ، سلمان العجلى . مختلط الظلام ، أى وقت اختلاط الظلام .
(٨) الجزور : البعير أو خاص بالناقة المجزورة . والثمام : نبت خفيف . ويقصد أنهم كالشريحة الصغيرة يتحملها هذا النبت الضعيف ، وذلك لحقارته .

يَمَصُّ بثديها فرخٌ لئيم * سُلالةُ أعبدٍ ورضيعُ آمِ (١)

خبيث الريح ينشأ بالمخازى * لئيمٌ بين آباء لئام

أنا ابن الأكرمين بنى تميم * ذوى الآكال والهمم العظام (٢)

وكائن من رئيس قَطَّرته * عواملُنا ومن ملك هُمام (٣)

وجيشٍ قد ربَعناه وقومٍ * صبَحْناه بذى لجَبٍ لُهام (٤)

وقال أيضا الأبيرد مجيبا له :

أخذنا بآفاق السماء فلم ندَعْ * لسلمانَ سلمانِ اليمامة مَنْظَرا

من القُلْح فسّاءٌ ضروطٌ يُهَرُّه * إذا الطير مرّاتٍ على الدوح صرصرا (٥)

وأقلح عجلى كأن بخطمه * نواجذَ خنزير إذا ما تكشرا (٦)

يزِلُّ النوى عن ضِرسه فيردُّه * إلى عارضٍ فيه القوادح أبخرا (٧)

إذا شرب العِجْلِىُّ نَجّس كأسَه * وظلت بكَفَّىْ جَانِبٍ غيرِ أزهرا (٨)

شديد سوادِ الوجه تحسب وجهَه * من الدم بين الشارِبين مقَيَّرا (٩)

إذا ما حساها لم تزِده سماحةً * ولكن أرته أنْ يصرَّ ويَحْصَرا (١٠)

فلا يَشْرَبَنْ فى الحىِّ عجلٌ فإنّه * إذا شرب العِجْلىُّ أخنى وأهجرا (١١)

---

(١) الآم جمع أمة : المملوكة غير الحرة . (٢) فى الأصول : « الآطال » تحريف . وذوو الآكال : سادة الأحياء الأخذون للرباع ، وآكال الملوك مآكلهم . (٣) قطرته : صرعته . وعواملنا : رماحنا . (٤) اللهام : الجيش العظيم . (٥) القلح بالضم جمع أقلح وهو : الفاسد الأسنان . يهره : يجعله يهر كالكلاب لفزعه . وفى الأصول : «يمره» وكذا «مرابى الزرع» .

(٦) الخطم : مقدم الفم والأنف ، وأصله للدواب . وفى النسخ : « مخطمه » تحريف .

(٧) القوادح : جمع قادح أكال ، بضم أوله ، يوجد فى الأسنان . (٨) الجانب : القمىء القصير الذليل وفى بعض الروايات «جاسب» بالتسهيل وهو تصحيف . (٩) مقير : مطلى بالقار ، وهو الزفت . وفى الأصول : «مغيرا» . (١٠) يصر : أصل الصر الجمع والشد . يحصر : يبخل .

(١١) أخنى : قال الخنا ، وهو الفحش . وفى الأصول : «أخنى» . وأهجر : قال هجرا وقولا منكرا .

يقاسى نداماهم وتلقى أُنوفهم * من الجذع عند الكأس أمرًا مذكرا (١)

ولم تك فى الإشراك عِجل تذوقها * ليالى يَسبيها مقاولُ حميرا (٢)

ويُنفق فيها الحنظليون مالَهم * إذا ما سعى منهم سفيهٌ تجبّرا

ولكنها هانت وحُرّم شربها * فقالت بنو عجلٍ لِمَا كان أكفرا

٥ لعمرى لئن أُزْنِنْتُمُ أو صحوتم * لبئسَ النّدامى كنتم آلَ أبجرا (٣)

أخبرنى عبيدُ الله بنُ محمدٍ الرازى قال : حدّثنا أحمدُ بن الحارث قال حدّثنا المدائنىُّ قال : كان مجائلُ بنُ مرةَ بنِ مَحْكانَ السعدىّ وابنُ عم له يقال له : عَرَادة، وقد كان عرادةُ اشترى غنما له فأنهبها ، وكانت مائةَ شاة ، فاشترى مُرّة بن محكان مائةً من الإبل فأنحر (٤) بعضها وأنهب باقيها ، وقال أبو عبيدةَ : إنهما (٥) تفاخرا، فغلبه

١٠ مُرّةُ ، فقال الأبيردُ لعرادةَ :

مجائل وعرادة يتفاخران بنحر الشياء والإبل

١٤/١٢

شرى مائةً فأنهبها جميعا * وبتَّ تقسم الحذف (٦) النقادا

فبعث عبيدُ الله بنُ زياد فأخذ مُرةَ بنَ محكان فحبسه وقيّده، ووقع بعد ذلك من قومه لِحاء ، فكانت بينهم شِجاجٌ (٧) ، ثم تكافئوا وتوافقوا على الدّيات فأُنبِئَ (٨) مرة بن محكان وهو محبوسٌ، فعرف ذلك فتحمَّلَ جميعَها فى ماله ، فقال فيه الأبيردُ :

١٥ لله عينا من رأى من مكَبَّل * كَمُرّةَ إذ شُدّت عليه الأداهم (٩)

(١) الجدع : القطع . وفى الأصول : « ويلقى ألوفهم من الجدع » . والمذكر : الشديد .
(٢) يسبيها : يشتريها . والمقاول : جمع مقول كمنبر : الملك من ملوك حمير . (٣) أزننتم : اتهمتم .
(٤) أنحرها : أراد جعلها للنحر ، ولم نجد هذا الفعل بهذا المعنى فى المعاجم .
(٥) فى حـ « إنما » . (٦) الحذف بالتحريك وبالفاء لا القاف . فى حـ : «الغنم السود
٢٠ حجازية أو جرشية بلا أذناب ولا آذان» . وجاء بالدال المهملة والقاف فى س ، وهو تحريف . والنقاد : جمع نقد بالتحريك : جنس من الغنم قبيح الشكل ، وراعيه نقاد . (٧) الشجاج : جمع شجة ، وهى الجرح فى الوجه والرأس . (٨) فى الأصول : «فأتى» . (٩) الأداهم : جمع أدهم وهو القيد .

فأبلغ عبيدَ الله عنى رسالةً * فإنك قاضٍ بالحكومة عالم
فإن أنتَ عاقبت ابنَ محكان فى الندى * فعاقب هداك الله أعظمَ حاتم (١)
تعاقب خِرْقًا أن يجود بماله * سعى فى ثَأًى من قومه متفاقم (٢)
كأن دماء القوم إذ علقت به * على مكفهرٍّ من ثنايا المخارم (٣)

الأبيرد وابن عمه الأحوص يحرضان رجلا على سحيم بن وثيل الرياحى

أخبرنى محمدُ بنُ العباس اليزيدىُّ قال : حدّثنا عبدُ الرحمن ابنُ أخى الأصمعى، قال : حدّثنا عمى قال : أتى رجل الأبيرَد الرياحىَّ وابن عَمه الأخوص، وهما من رهط ردِف الملك من بنى رِياح، يطلب منهما قَطِرانا لإبله فقالا له : إن أنت بلّغت سحيم ابنَ وثيل الرياحى هذا الشعر أعطيناك قطرانا . فقال: قولا . فقالا : اذهب فقل له :

فإن بُداهَتى وجِراءَ حولى * لذو شِقٍّ على الحُطَم الحرون (٤)

قال : فلما أتاه وأنشد الشعرَ أخذ عصاه ، وانحدر فى الوادى ، وجعل يُقْبل فيه ويدبِر، ويُهَمْهِمُ بالشعر . ثم قال : اذهبْ فقل لهما :

فإنّ عُلالتى وجِراء حَولِى * لذو شِقٍّ على الضَّرَع الظَّنون (٥)
أنا ابن الغُرّ من سَلَفَىْ رِياح * كنصل السيف وضّاحُ الجبين
أنا ابنُ جلا وطلّاعُ الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى (٦)

(١) حاتم، أى جواد كحاتم . (٢) الثأى كالسعى والثرى : الإفساد والجرح والقتل ونحوه . وفى هذا البيت وما بعده إقواء كسابقهما . (٣) المكفهر : المضارب لونه إلى الغبرة مع غلظ . والمخارم جمع مخرم : الطريق فى الغلظ . (٤) البداهة : أول جرى الفرس . والجراء : الجرى . والشق : المشقة . والحطم : العسوف العنيف . والحرون، أصله الفرس الذى لا ينقاد . وفى الأصول : « وعشق على الحطم » صوابه من الأصمعيات ص ٥ طبع المعارف . (٥) الضرع بالتحريك : الصغير من كل شىء . والظنون كصبور : الذى لا يوثق بجريه . (٦) أنا ابن جلا، جلا : من الجلاء والظهور، كناية عن العلو . طلاع الثنايا، الثنايا : جمع ثنية وهى العقبة أو الجبل كناية عن تسورقة المجد . متى أضع العمامة تعرفونى : قال ثعلب : « العمامة تلبس فى الحرب وتوضع فى السلم » .

وإنَّ مكانَنا مِن حِميرىّ * مكانُ الليث من وسط العرين
وإنّ قناتنا مَشِظٌ شظاها[1] * شديد مدُّها عنق القرين

— قال الأصمعى: إذا مسست شيئا خشنا فدخل فى يدك قيل: مشظت يدى والشظا: ما تشظّى منها —

وإنى لا يعود إلىّ قِرنى[2] * غداةَ الغِبِّ إلا فى قرين
بذى لِبَدٍ[3] يصدُّ الركب عنه * ولا تُؤتَى فريسته لحين
عذرتُ البُزْلَ[4] إذ هى صاوَلتنى * فما بالى وبالُ ابنَىْ لَبون
وماذا تبتغى[5] الشعراءُ منّى * وقد جاوزتُ رأسَ الأربعين
أخو الخمسين مجتمعٌ أشُدّى * ونجّذنى[6] مداورةُ الشؤون
سأحيا ما حييتُ وإنّ ظهرى * لذو سَنَدٍ إلى نَضَدٍ[7] أمين

قال: فأتياه فاعتذرا إليه، فقال: إنّ أحدكم لا يرى أن يصنع شيئا حتّى يقيس شعره بشعرنا، وحسبَه بحسبنا، ويستطيفَ[8] بنا استطافةَ المهر الأرِن[9]. فقالا له: فهل إلى النّزع[10] من سبيل. فقال[11]: إننا لم نبلغ أنسابنا.

(١) مشظ بالظاء المعجمة، وهذا مثل لامتناع جانبه، أى لا تمس قناتنا فينالك منها أذى، وإن قرن بها أحد مدت عنقه وجذبته وذل.

(٢) قرنى: نظيرى. والقرين: المصاحب. والمعنى أنه لا يأتى منفردا لضعفه.

(٣) اللبد بكسر أوله ويحرك جمع لبدة: الشعر فى رقبة الأسد. و«يصد» يصح أن تكون لازمة وأن تكون متعدية. يصف بذلك القرين الذى يستعين به قرينه.

(٤) البزل: جمع بازل وهو ما بلغ من الإبل التاسعة. وابن اللبون: ما كان فى العام الثانى واستكمله أو دخل فى الثالثة. والمعنى: للقوى عذر إذا صاولنى، فما عذر الضعيف.

(٥) روى «يدرى» بدل «يبتغى»، ومعناه يختل بضرب من الحيلة، أى يخدع. و«حد» بدل «رأس».

(٦) نجذنى: جعلنى مجربا.

(٧) النضد: الوسائد وما حشى من المتاع، وهو أيضا الأعمام والأخوال المتقدمون فى الشرف.

(٨) يستطيف: يدور ويحوم.

(٩) الأرن بفتح الهمزة وكسر الراء: النشيط.

(١٠) النزع: تحويل الشىء عن موضعه، وهو أيضا: الكف.

(١١) فى الأصل: «فقال».

قال اليزيدىّ: أبيات سحيم هذه من اختيارات الأصمعى .

قصيدة الصوت

والقصيدة التى رثى بها الأبيردُ أخاه بريدا وفى أوّلها الغناءُ المذكور، من جيد الشعر، ومختار المراثى، المختار منها قوله :

تطاوَلَ ليلى لم أنمه تقلُّبًا * كأنَّ فراشى حال من دونه الجمرُ

أُراقِب من ليل التِّمام نجومَه * لدُنْ غابَ قرنُ الشّمس حتّى بدا الفجرُ (١)

تذكّرت قَرْمًا بانَ منّا بنَصره * ونائِله يا حبّذا ذلك الذُّكْرُ (٢)

فإن تكن الأيامُ فرّقن بيننا * فقد عذرتنا فى صحابتنا العُذُرُ (٣)

وكنت أرى هَجْرا فراقَكَ ساعةً * ألا لا بل الموتُ التفرّق والهجر

أحقًّا عباد الله أن لستُ لاقيا * بريدا طَوَالَ الدهر ما لألأ العُفْرُ (٤)

فتًى إن هو استغنى تخرّق فى الغنى * فإن قلّ مالًا لم يؤُدْ متنَه الفقر (٥)

وسامى جسيماتِ الأمور فنالها * على العسر حتى أدرك العُسْرَ اليسر (٦)

ترى القومَ فى العَزّاء ينتظرونه * إذا ضلّ رأىُ القوم أو حَزَبَ الأمر (٧)

فليتك كنتَ الحى فى الناس باقيا * وكنتُ أنا الميتَ الذى غيّب القبر (٨)

فتًى يشترى حُسنَ الثناء بماله * إذا السّنةُ الشهباءُ قلّ بها القطر (٩)

(١) لدن : منذ .

(٢) القرم فى الأصل : الفحل، وهو السيد . بان من البين : وهو البعد . والذكر بضم الذال : التذكر .

(٣) العذر، باسكان الذال وأصلها الضم : جمع عذير، كسرير وسرر . والعذير : العاذر . ومثله قول حاتم :

أماوى قد طال التجنب والهجر * وقد عذرتنى فى طلابكم العذر

(٤) لألأ العفر : حركت الظباء أذنابها .

(٥) تخرق : صار متلافا . (٦) سامى : بارى فنالها بعد الامتناع .

(٧) العزاء مأخوذة من العزاز، وهو الأرض الصلبة الصعبة، وانتقلت مجازا إلى الشدّة .

(٨) روى « ثاويا » فى جـ .

(٩) الشهباء : السنة الشديدة . ويقال أشهبت السنة القوم : جردت أموالهم .

كأنْ لم يُصاحبنا بُرَيدٌ بغبطـة * ولم يأتنا يومًا بأخباره السَّفْرُ

لعمرى لنعمَ المرءُ عالى نَعيَّه (١) * لنا ابنُ عزيز بعد ماقصرَ العصر

تمضّت به الأخبارُ حتى تغلغلت * ولم تثنِه الأطباع دونى ولا الجُدر (٢)

ولما نعى الناعى بُريدًا تغوّلَتْ (٣) * بى الأرض فرطَ الحزن وانقطع الظهر

عساكرُ تغشى النفسَ حتى كأننى (٤) * أخو سكرةٍ طارت بهامَتِه الخمر

إلى الله أشكو فى بُرَيدٍ مصيبتى * وبثّى وأحزانا تضمَّنها الصدرُ

وقد كنت أستعفى إلٰهى إذا شكا * من الأجر لى فيه وإنْ سرّنى الأجر

وما زال فى عينىَّ بَعْدُ غِشاوةٌ * وسَمْعِىَ عمّا كنت أسمعه وقر (٥)

على أننى أقْنَى الحياءَ وأتّقِى (٦) * شماتةَ أعداءٍ عيونهم خُزر

فيالكَ منّى الليل والصبح إذ بدا * وهُوجٌ من الأرواح غُدوتها شهر (٧)

سَقَى جدثا لو أستطيع سقيته * بأَوْدِ فَروّاه الروافد والقطر (٨)

ولا زال يرعَى منْ بلادٍ ثوى بها (٩) * نباتٌ إذا صاب الربيعُ بها نضر

حلفتُ برب الرافعين أكُفّهم * وربِّ الهدايا حيث حلّ بها النحرُ

ومُجْتَمَع الحجاج حيثُ توافقت (١٠) * رِفاقٌ من الآفاق تكبيرُها جأر

(١) عالى : رفع الصوت به . والنعىّ : خبر الموت . ابن عزيز، هو فى أمالى القالى (٣ : ٣) : « ابن عرين » .

(٢) فى الأصول : « ولا بينها الاصباح » ، صوابه من أمالى القالى . والأطباع : جمع طبع، وهو النهر .

(٣) تغوّلت : كادت تميد بى .

(٤) العساكر : الشدائد، فى حـ « مالت » بدل « طارت » وفى الأمالى : « دارت » .

(٥) الوقر : الصمم . وفى الأصول : «وسمعى كما قد أسمعه» صوابه من الأمالى .

(٦) أقنى الحياء : يقال قنى الحياء قنوا كرضى ورمى : لزمه ، كأقنى واقتنى وقنّى . الخزر : كسر العين خلقة ، أو ضيقها .

(٧) الهوج : الشديدة . والأرواح جمع روح : الرياح العاصفة .

(٨) أود بفتح الهمزة وضمها : مكان .

(٩) ثوى : أطال الإقامة أو نزل .

(١٠) فى الأمالى : «توافقت» بتقديم القاف .

يمينَ آمرئٍ آلَى وليس بكاذب * وما فى يمينٍ قالها صادقٌ وِزرُ
لئن كان أمسى ابنُ المعذَّر قد ثوى * بريدٌ لنعم المرءُ غيَّبه القبرُ
هو الحلف المعروف والحسن والتقى * ومسعرُ حربٍ لا كَهامٌ ولا غُمْرُ [1]
أقام فنادى أهلَه فتحمَّلوا * وصُرِّمت الأسبابُ واختلط النَّجرُ [2]
فتى كان يُغلى اللحمَ نيئًا ولحمُه * رخيصٌ لجاديه إذا نُزِّلَ القِدرُ [3]
فتى الحىِّ والأضياف إن روَّحتهمْ * بَليلٌ وزادُ السفرِ إن أرملَ السَّفْرُ [4]
إذا جارةٌ حلَّتْ لديه وفَى بها * فآبت ولم يُهتَكْ لجارته سِترُ [5]
عفيف عن السوآت ما آلتبست به * صليبٌ فما يُلْفَى لعود به كسرُ
سلكت سبيلَ العالمين فما لهم * وراء الذى لاقيت مَعْدًى ولا قصر [6]
وكلَّ آمرئٍ يوما سيلقى حِمامَه * وإن نأت الدعوى وطال به العمرُ
وأبليتَ خيرًا فى الحياة وإنما * ثوابُك عندى اليومَ أن ينطق الشعرُ

وقال يرثيه أيضا، وهى قصيدةٌ طويلة:

إذا ذكرَتْ نفسى بريدا تحاملَتْ * إلىَّ ولم أملك لعينى مَدمعا
وذكَّرنيك الناسُ حين تحاملُوا * علىَّ وأضحَوْا جلدَ أجربَ مُولعا [7]

---

(١) فى الأمالى: «هو المرء للمعروف». مسعر حرب: موقدها. والكهام: الكليل. والغمر: الذى لم يجرب الأمور.

(٢) صرمت بالبناء للمجهول: قطعت. يعنى أنه: يشترى به [illegible] ويقال أيضا فى [illegible] قول الشاعر:

نغالى اللحم للأضياف نيئا * ونرخصه إذا نضج القدير

والنجر: الأصل. (٣) الرخيص: أراد به المبذول. والجادى: طالب الجدوى، وهى العطاء. (٤) روحتهم: هبت عليهم. وزاد السفر: هو أن يقوم المرء بزاد المسافرين الذين لم يحضروا طعاما. والسفر بسكون الفاء، هم المسافرون. أرمل: نفد زاده.

(٥) فى الأمالى: «وإن جارة حلت اليه وفى لها * فباتت». (٦) معدى: مصرف أو مجاز. والقصر وردت فى بعض الأصول «مصر» وهو تحريف، والتصويب عن ذيل الأمالى ص ٣.

(٧) المولع: ما فيه خطوط.

فلا يُبعدنكَ الله خيرَ أخى امرئٍ * فقد كنتَ طلّاعَ النِّجادِ سَمَيدعا(١)

وَصُولًا لدى القربى بعيدا عن الخنا * إذا آرتادك الجادى من الناس أمرعا(٢)

أخو ثقة لا ينتحى القومُ دونه * إذا القوم خالوا أو رجا الناسُ مَطْمعا(٣)

ولا يركب الوجناءَ دونَ رفيقه * إذا القومُ أزْجَوْهنّ حَسْرَى وظُلّعا(٤)

صــــوت

٥

يا زائرَينا من الخيام * حيّاكما الله بالسلام

يحزُنُنى أن أطفتُمابى * ولم تنالا سوى الكلام(٥)

بُورك هارونُ من إمام * بطاعة الله ذى اعتصام

له إلى ذى الجلال قُربَى * ليست لِعَدْلٍ ولا إمام

١٠ الشعر لمنصور النمرى، والغناء لعبد الله بن طاهر، رمل، ذكر ذلك عبيدُ الله ابنه، ولم ينسبه إلى الأصابع التى بنى عليها، وفيه للرّف خفيفُ رمل بالوسطى، عن عمرو آبن بانة . وفيه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر مجهول الأصابع . ذكر حبشٌ أنه للرف أيضا .

(١) النجاد جمع نجد : المرتفعات . وطلاع النجاد : ضابط الأمور فيما يعجز عنه غيره . والسميدع : الكريم . (٢) الجادى : طالب العطاء . (٣) خالوا : غلتوا .
١٥ وفى الأصول : «حالوا» . (٤) الوجناء : الناقة السريعة . والحسرى : الكليلة . والظلع : جمع ظالع، التى تغمز فى مشيها من عرج . (٥) فى الأصول : «أطعتمانى» ، وهو تحريف .

أخبار منصورٍ النمرىّ ونسبه

أخبار منصور النمرى ونسبه

منصورُ بن الزبرقان بنِ سلمة — وقيل منصورُ بنُ سلمة بن الزبرقان — بنِ شريك ابن مُطعم الكبشِ الرَّخَمَ، بن مالك بن سعد بن عامر بن سعد الضَّحيان بن سعدبن الخزرج بن تيم الله بن النَّمِر بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمىّ بن جَديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار. وإنما سمى عامرٌ الضَّحيان لأنّه كان سيِّدَ قومه وحاكِمَهم، وكان يجلس لهم إذا أضحى النّهار، فسمِّى الضَّحيان. وسمى جدُّ منصور «مطعمَ الكبشِ الرخم»، لأنه أطعم ناسا نزلوا به ونحر لهم، ثم رفع رأسَه فإذا رخَمٌ يَحُمْنَ حول أضيافه، فأمر بأن يُذبح لهم كبشٌ ويُرْمَى به بين أيديهم، فَفُعِل ذلك، فنزلن عليه، فمزقنَه؛ فسمى مطعمَ الكبش الرخمَ. وفى ذلك يقول أبو نُعيجَةَ النمرىّ يمدح رجلا منهم:

أبوك زعيمُ بنى قاسطٍ * وخالك ذو الكبش يَقْرِى الرخم[1]

وكان منصور شاعرًا من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة، وهو تلميذ كلثوم ابن عمرو العتابى وراويتهُ، وعنه أخذ، ومن بحره استقى، وبمذهبه تشبّه. والعتابى وصفه للفضلِ بن يحيى بنِ خالد وقرّضه[2] عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه، ثم وصله بالرشيد. وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابى وحشةٌ حتى تهاجرا وتناقضا، وسعى كلُّ واحد منهما على هلاك صاحبه، وأخبار ذلك تُذْكَرُ فى مواضعها من أخبارهما — إن شاء الله تعالى — وكان النمرى قد مدح الفضلَ بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة، فأوصلها العتابىّ إليه، واسترفده له، وسأله استصحابه، فأذن له فى القدوم، فحظى عنده، وعرف مذهبَ الرشيد فى الشعر، وإرادته أن يصل

(١) ذو الكبش: يعنى به مطعم الكبش الرخم. يقرى: يطعم.
(٢) قرضه: مدحه، ومن معانيها الذم.

مدحه إياه بنفى الإمامةِ عن ولدِ على بنِ أبى طالب — عليهم السلام — والطعن عليهم ، وعلم مغزاه فى ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروانَ بن أبى حفصة ، وتفضيلِه إياه على الشعراء فى الجوائز، فسلك مذهبَ مروانَ فى ذلك، ونحا نحوه، ولم يصرح بالهجاء والسبِّ كما كان يفعل مروان ، ولكنه حام ولم يقع ، وأومأ ولم يُحقِّق، لأنه كان يتشيع ، وكان مروانُ شديدَ العداوةِ لآل أبى طالب، وكان ينطِق عن نيّةٍ قويّة يقصِد بها طلب الدنيا ، فلا يُبْقِى ولا يذر .

أخبرنى محمدُ بن جعفر النحوىُّ صهرُ المبرّد قال : حدّثنا محمدُ بنُ موسى بن حمّاد قال : حدّثنى عبد الله بن أبى سعد الكُرَانى ، وأخبرنى به عمى قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد حديثَ محمد بن جعفر النحوى أنه قال : حدّثنى محمد ابنُ عبدالله بنِ آدم بنِ جُشَم العبدى قال : حدّثنا ثابتُ بن الحارث الجُشَمىُّ قال:

منصور النمرى يسأل أن يذكر عند الرشيد ثم يمدحه

كان منصورٌ النمرىّ مُصافياً للبرامكة ، وكان مسكَنُه بالشأم ، فكتب يسألهم أن يذكُروه للرشيد، فذكروه ووصفوه، فأحبَّ أن يسمع كلامه ،فأمرهم بإقدامه ، فقدِم ونزل عليهم، فأخبروا الرشيد بموضعه وأمرهم بإحضاره، وصادف دخوله إليه يومَ نوبةِ مروان ، على ما سمعه من بيانه ، وكان مروانُ يقول قبل قدومه : هذا شامىٌّ وأنا حجازى ، أفتراه يكون أشعر منى ، ودخله من ذلك ما يدخل مثلَه من الغمّ والحسد ، واستنشد الرشيدُ منصوراً ، فأنشده :

أميرَ المؤمنين إليك خُضْنا ✽ غِمارَ الهوْل من بلد شَطيرِ (١)

بخُوص كالأهلة خافقاتٍ ✽ تلين على السُّرى وعلى الهجيرِ (٢)

---

(١) الشطير : البعيد . (٢) الخوص : جمع خوصاء، الناقة لما فى عينها من غؤور وصغر ، وفى س : « نخوض » بالنون فى أوله والضاد المعجمة فى آخره ، وهو تحريف .

حملنَ إليـــك أحمالاً ثِقالا * ومثـل الصـخر والدر النثير (١)

فقد وَقف المـديحُ بمنتهاه * وغايتِه وصار إلى المصـير

إلى مَن لا يشير إلى سِـواه * إذا ذُكر النَّدى كفُّ المشير

فقال مروان : وددتُ والله أنّه أخذ جائزتى وسكت .

وذكر فى القصيدة يحيى بنَ عبدِ الله بنِ حسن فقال :

يذلّل من رقاب بنى على * ومَنّ ليس بالمنّ الصـغير

مَنَنْتَ على ابن عبـد الله يحيى * وكانَ من الحُتوف على شفير (٢)

١٨/١٢

مروان ينشد الرشيد

قال مروان : فما برحتُ حتى أمرنى هارون أميرُ المؤمنين أن أنشده، وكان يتبسم فى وقتِ ما كان ينشـده النمرىّ ، ويأخذ على بطنـه ، وينظر إلى ما قال ، فأنشـدته :

موسى وهارون هما اللـذانِ * فى كتب الأخبارِ يوجدان

من وَلَد المهدى مَهـديّان * قُدًّا عنانين على عنـان (٣)

قد أطلق المهدىُّ لى لسانى * وشـدّ أزرى ما به حبانى

من اللُّجَين ومن العِقيـان * عيـديّة شاحِطـةَ الأثمـان (٤)

لو خايلت دجلةَ بالألبـانْ (٥) * إذًا لقيـل اشتبه النهران

(١) أراد شعرا جزلا هو الغاية فى النفاسة . وفى الأصـول : « الصخرة الذر » . وقد عابه مروان لهذا التعبير الذى لم يوفق فيه . (٢) شفير كل شىء : حرفه . (٣) قدا : قيسا وعملا . والعنان بكسر العين هو السير يشد به اللجام . والمعنى أنهما يشبهان المهدى فى صفاته .

(٤) العيدية : ضرب من نجائب الإبل . وفى الأصـول : « عيدته » . وشاحط من قولهم شحط فلان فى السوم ، إذا بلغ أقصى ثمنه . وفى الأصول « ساخطة الإيمان » . (٥) خايلت : فاخرت وبارت . وفى الأصول : « لو حايلت » .

النمري لا يحتفل بقول مروان

قال : فوالله ما عاج[1] النمري بذلك ولا احتفل به، فأومأ إلىّ هارون أن زده؛ فأنشدته قصيدتى التى أقول فيها :

خَلُّوا الطريقَ لمعشر عاداتهم * حَطمُ المناكب كل يوم زحام

ارضَوْا بما قسم الإلهُ لكم به * ودَعُوا وراثةَ كلِّ أصيد[2] حام

٥ أنَّى يكون وليس ذاك بكائن * لبنى البنات وراثةُ الأعمام

قال : فوالله ما عاج بشىء منها، وخرجت الجائزتان، فأعطى مروانَ مائة ألف، وأعطى النمرى سبعين ألفا، وقال : أنت مَزِيدٌ فى ولد على .

قال : ولقد تخلص النمرى إلى شىء ليس عليه فيه شىء، وهو قوله :

فإن شكروا فقد أنعمتْ فيهم * وإلا فالنَّدامة للكفور

١٠ وإن قالوا بنو بنتٍ فحقٌّ * ورُدُّوا ما يناسب للذُّكور

قال : فكان مروان يتأسف على هذا المعنى أن يكون قد سبقه إليه، وإلى قوله :

وما لبنى بنات من تراث * مع الأعمام فى ورق الزَّبور

أخبرنى بهذا الخبر محمدُ بن عمران الصيرفى، قال : حدّثنى الغنوى عن محمد ابن محمد بن عبد الله بن آدم عن أبى معشر العبدى، فذكر القصة قريبا مما ذكره ١٥ محمدُ بن جعفر النحوى يزيد وينقص، والمعنى متقارب .

أخبرنى عمى قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى محمد بن عبد الله ابن طَهمان السّلمى قال : حدّثنى أحمدُ بن سيار الشيبانى الشاعرُ قال :

(١) عاج : انعطف واهتم بالأمر .

(٢) الأصيد : الملك والرافع رأسه كبرا ، وحام : هو الذى يحمى الذمار .

كان هارون الرشيد يحتمل أن يمدح بما يمدح به الأنبياء ويغضب لمن قال كأنه رسول

كان هارون أميرُ المؤمنين يحتمل أن يُمْدَح بما تمدح به الأنبياءُ فلا يُنْكِر ذلك ولا يردّه ؛ حتّى دخل عليه نفرٌ من الشعراء فيهم رجلٌ من ولد زهير بن أبى سلمى، فأفرط فى مدحه حتّى قال فيه :

* فكأنّه بعد الرسول رَسولُ *

فغضب هارون ولم ينتفعْ به أحد يومئذ ، وحَرَم ذلك الشاعرَ فلم يُعْطه شيئاً ، وأنشد منصورٌ النمرى قصيدةً مدحَه بها وهجا آلَ على وثَلَبهم، فَضَجِر هارونُ وقال له : يا ابن اللَّخْناء، أتظنّ أنك تتقربُ إلىَّ بهجاءِ قومٍ أبوهم أبى ، ونسبُهم نسبى، وأصلهم وفرعهم أصلى وفرعى ؟! فقال : وما شهدنا إلا بما علمنا . فازداد غضبُه، وأمر مسرورًا فوجأ[1] فى عنقه وأُخرِج ، ثم وصل إليه يومًا آخر بعد ذلك فأنشده :

١٩/١٢

بنى حسنٍ ورهطَ بنى حُسينٍ * عليكم بالسَّداد من الأمور

فقد ذقتم قِراعَ بنى أبيكمْ[2] * غداةَ الرَّوْع بالبيض الذُّكور

أحينَ شَفَوْكمو من كلِّ وِترٍ[3] * وضمُّوكم إلى كَنَف وَثير

وجادوكم[4] على ظمإٍ شديد * سُقيتم من نوالهم الغزير

فما كان العقوقُ لهم جزاءً * بفعلهم وآدى للثؤور[5]

وإنك حين تُبلغهم أذاةً[6] * وإن ظلموا لمحزون الضمير

فقال له : صدقت، وإلا فعلىّ وعلىّ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

أخبرنى الحسنُ بن على قال : حدثنا يزيد بن محمد المهلبى قال : حدثنى عبدُ الصمد بنُ المعذَّل قال :

(١) وجأ فى عنقه : ضربه . (٢) البيض الذكور : السيوف القوية . (٣) الوتر : الثأر . الكنف الوثير : الجناب اللين . (٤) جاده : أمطره . فى الأصول : « وجادتكم » . (٥) الثؤور : جمع ثأر . (٦) ب، س : «اذاء» وصوابه ما أثبتنا من ش .

مروان ينشد الرشيد

دخل مروانُ بنُ أبى حفصة وسَلْمٌ الخاسر، ومنصور النمرى على الرشيد، فأنشده مروانُ قصيدته التى يقول فيها :

أنَّى يكون وليس ذاك بكائن * لبنى البنـاتِ وراثةُ الأعمامِ

وأنشده سلم فقال :

* حَضَر الرّحيل وشُـدَّت الأحداجُ[(1)] *

وأنشده النمرى قصيدته التى يقول فيها :

الرشيد يميز شاعره الخاص عن سائر الشعراء

إن المكارمَ والمعـروف أوديةٌ * أحَلَّك الله منهـا حيثُ تجتمعُ

فأمر لكلِّ واحد منهم بمائةِ ألفِ درهم، فقال له يحيى بنُ خالد: يا أمير المؤمنين، مروانُ شاعرك خاصّة قد ألحقتهم به. قال: فَلْيُزَدْ مروان عشرة آلاف.

إعجاب الرشيد بشعر منصور

أخبرنى عمى قال: أخبرنا ابن أبى سعدٍ قال: حدثنى علىُّ بن الحسنِ الشيبانىُّ قال: أخبرنى أبو حاتمٍ الطائىّ، عن يحيى بنِ ضبيئةَ الطائىّ، عن الفضل قال: حضرتُ الرشيد وقد دخل منصور النمرىُّ عليه فأنشده :

ما تنقضِى حسرةٌ منى ولا جزَعُ * إذا ذكرتُ شـبابا ليس يُرتَجـعُ

بانَ الشّبـابُ وفاتنى بلذّته * صروفُ دهرٍ وأيامٌ لهـا خُدَعُ

ما كنت أوفِى شـبابى كُنهَ غِرَّته * حتّى انقضى فإذا الدنيـا له تَبَعُ

قال: فتحرّك الرشيدُ لذلك ثم قال: أحسَنَ والله، لا يَتَهنَّأ أحدٌ بعيش حتّى يَخْطِر فى رِداء الشباب.

أخبرنى عمى قال: حدّثنا ابن سَـعدٍ قال : حدثنا محمدُ بنُ عبـدِ الله بنِ آدم العبدى عن أبى ثابت العبدىّ عن مروانَ بن أبى حفصةَ، قال: خرجنا مع الرشيد

(1) الأحداج: جمع حدج بالكسر، وهو المحفة كالهودج.

إلى بلاد الروم ، فظفر الرشيدُ، وقد كاد أن يعطب ، لولا الله عز وجل ثم يزيد بن مزيد . فقال لى وللنَّمَرى : أنشدا . فأنشدته قولى :

طرقَتْك زائرةً فحىِّ خيالها * غراءُ تخلط بالحياء دلالها [1]

ووصفتُ الرجال من الأسرى كيف أسلموا نساءهم ، والظفر الذى رُزِقه ، فقال : عُدّوا قصيدته ؛ فكانت مائةَ بيت ، فأمر لى بمائةِ ألف درهم ، ثم قال للنَّمَرى : ٥ كيف رأيت فرسى فإنى أنكرته ؟ فقال النمرىّ :

٢٠/١٢

مُضِزٌّ على فأس اللجام كأنه * إذا ما اشتكت أيدى الجياد يطير [2]

فظلّ على الصفصاف يومٌ تباشرت * ضباعٌ وذُؤبانٌ به ونسور [3]

فأقسم لا يَنْسَى لك الله أجرها * إذا قُسِّمت بين العباد أجور

قال النمرىّ : ثم قلت فى نفسى : ما يمنعني من إذكاره بالجائزة؟ فقلت : ١٠

إذا الغيث أكدَى واقشعرتْ نجومُه * فغيث أمير المؤمنين مَطِير [4]

وما حلَّ هارونُ الخليفةُ بلدةً * فأخلفَها غيثٌ وكاد يضير [5]

فقال : أذكرتَنِى . ورأيته متهلّلا لذلك . قال : فألحقَنى بمروانَ وأمر لى بمائةِ ألف درهم .

محمد الراوية المعروف بالبيدق ينشد قصيدة النمرى

أخبرنى عمى، قال : حدّثنى ابن أبى سعد، قال : حدّثنى محمد بن عبد الله ١٥ ابنِ طَهْمان، قال حدّثنى محمد الراويةُ المعروفُ بالبيدق — وكان قصيرا ، فلقب بالبيدق [6]

---

(١) الغراء : البيضاء . (٢) مضز على فأس اللجام : يقال أضز الفرس على اللجام إذا أزم عليه . وفأس اللجام : الحديدة القائمة فى الحنك . (٣) «فظل» فى كل الأصول بالطاء المهملة ، وهو تحريف . والصفصاف : مدينة غزاها سيف الدولة بن حمدان . (٤) أكدى الغيث : منع لم يسقط مطره . (٥) أخلف الغيث : لم يمطر . وكاد يضير : كاد يتلف لغزارته . ٢٠

(٦) البيدق : الصغير الخفيف . واختلفت النسخ فكتب بعضها بالذال المعجمة وبعضها بالمهملة .

لقصره، وكان يُنشِدُ هارونَ أشعارَ المحدثين — وكان أحسنَ خلقِ الله إنشادًا — قال: دخلت على الرشيد وعنده الفضلُ بنُ الربيع، ويزيدُ بن مَزْيد، وبين يديه خوان لطيف عليه جَدياني (١) ورُغفان سميد (٢) ودجاجتان، فقال لى: أنشدنى، فأنشدته قصيدة النَّمَرِى العينية، فلما بلغت إلى قوله:

٥

أىّ امرئ بات من هارون فى سَخَط * فليس بالصلواتِ الخمس ينتفعُ

إنّ المكارمَ والمعروفَ أودية * أحلّك الله منها حيث تتسع

إذا رفعت امرأً فالله يرفعه * ومن وضعت من الأقوام مُتضع

نفسى فداؤك والأبطال مُعْلِمَة (٣) * يوم الوغى والمنايا بينَها قُرَعُ

قال: فرمى بالخوان بين يديه وصاح، وقال: هذا والله أطيبُ من كل طعامٍ وكل شيء، وبعث إليه بسبعةِ آلافِ دينارٍ، فلم يعطِني منها ما يرضينى، وشخص إلى رأسِ العين، فأغضبنى وأحفظنى، فأنشدت هارون قوله:

١٠

شاءٌ (٤) من الناسِ راتعٌ هاملٌ * يعللون النفوس بالباطل

فلما بلغت إلى قوله:

إلّا مساعيرَ يغضبون لها * بَسِلّةِ (٥) البيضِ والقنا الذابِل

١٥ قال: أراه يحرّضُ علىّ، ابعثوا إليه من يجىءُ برأسه. فكلّمه فيه الفضلُ بن الربيع

الرشيد يبعث بمن يقتل النمرى فى يوم وفاته

(١) فى الأصل: «جرمان». (٢) السميد: لباب الدقيق، وهو بالدال المعجمة أفصح.
(٣) المعلمة بكسر اللام التى أعلمت أنفسها فى الحرب بعلامة. وبالفتح أيضا، أى أعلمت بذلك. بينها، أى بين الأبطال. وفى الأصل: «والمنايا صابها فزع». وفى تاريخ بغداد ١٣: ٦٨: «والمنايا بينهم فزع». وصواب ما فى الأصل ما أثبتنا. (٤) فى الأصول: «ساد» صوابه من تاريخ بغداد والشعر والشعراء ٨٣٦ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر. والراتع: الذى يأكل ما شاء فى رغد. والهامل: المتروك سدى ولا يعمل. (٥) المساعير: الذين يوقدون نار الحروب، جمع مسعار. سلة البيض: استلال السيوف. والذابل: الدقيق اللاصق الليط، أى القشر.

٢٠

فلم يغنِ كلامه شيئا، وتوجّه إليه الرسولُ فوافاه فى اليوم الذى مات فيــه ودُفِن .
قال : وكان إنشادُ محمدِ البيدقِ يُطْرِب كما يطرِب الغناء .

سبب غضب الرشيد على النمرى

أخبرنى عمى، قال : حدّثنا ابنُ أبى سعدٍ ، قال : حدّثنـا علىّ بن الحسين الشيبانى، قال: أخبرنى منصور بن جهور، قال: سألت العتابى عن سببِ غضبِ الرشيدِ عليــه ، فقال لى : استقبلت منصورا النمرى يوما من الأيام فرأيته مغموما واجما كئيبا، فقلت له : ما خَبَرُك ؟ فقال : تركت امرأتى تُطْلَقُ [1] ، وقد عسر عليها ولادها ، وهى يدى ورجلى ، والقَيِّمَــةُ بأمرِى وأمرِ منزِلى . فقلت له : لم لا تكتبُ على فَرْجِها «هارون الرشيد»؟ قال : ليكون ماذا؟ قال : لتلد على المكان، قال : وكيف ذلك ؟ قلت : لقولك :

إن أخلف الغيثُ لم تُخلِف مخايله [2] * أو ضاق أمــرٌ ذكرناه فيتّسعُ

فقال لى : يا كشخان [3] ، والله لئن تخلصت امرأتى لأذكرنّ قولك هذا للرشيد . فلما ولدتِ امرأته خبّر الرشيدَ بما كان بينى وبينه ، فغضب الرشيدُ لذلك وأمر بطلبى، فاستترت عند الفضلِ بنِ الربيع، فلم يزل يُسأَل فىّ حتى أذن لى فى الظهور، فلمـا دخلتُ عليه، قال لى: قد بلغنى ما قلتَه للنمرىّ ، فاعتذرت إليه حتى قبل، ثم قلت : والله يا أمير المؤمنين ما حَمَــله على التكذّبِ علىّ إلّا وقوفى على مَيله إلى العَلَويّة، فإنْ أراد أمير المؤمنين أن أُنشِدَه شعره فى مديحهم فعلتُ. فقال: أنشدنى. فأنشدته قوله :

شـاءٌ من النـاس راتـع هامـلُ * يعلّلونـ النفوس بالباطـــلْ [4]

(١) تطلق بالبناء للمجهول : تعانى وجع الولادة . (٢) مخايله : جمع مخيلة بالفتح، وهى السحابة . (٣) الكشخان بالفتح والكسر : الديوث . (٤) بعده فى الشعر والشعراء :

تقتـــل ذرية النبىّ ويرجون جنان الخلد للقاتل

حتى بلغت إلى قوله :

إلّا مساعير يغضبون لها * بسلّة البيض والقنا الذّابل

غضب الرشيد وطلبه نبش جثة النمرى

فغضب من ذلك غضبا شديدا ، وقال للفضل بن الربيع : أحضره الساعة . فبعث الفضل فى ذلك ، فوجده قد تُوُفّىَ ، فأمر بنبشه ليحرقه ، فلم يزل الفضل يلطف له حتى كفّ عنه .

الفضل بن الربيع يحمى النمرى

أخبرنى عمى قال حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سعد قال : حدّثنا يحيى بنُ الحسن بن عبد الخالق ، قال : حدّثنى بعض الزينبيّين ، قال : حبس الرشيد منصورا النمرىّ بسبب الرفض[1] ، فتخلّصه الفضلُ بن الربيع ، ثم بلغه شعره فى آل علىّ عليه السلام ، فقال للفضل : اطلبه . فستره الفضلُ عنده ، وجعل الرّشيدُ يُلحّ فى طلبه ، حتّى قال يومًا للفضل : وَيْحَكَ يا فضلُ تُفَوِّتُنِى النمرىّ ؟ قال : ياسيدى ، هو عندى قد حصّلته . قال : فجئنى . وكان الفضل قد أمره أن يُطَوِّلَ شعره ، ويكثر مباشرة الشمس ليشحُبَ وتسوء حالته ، ففعل ، فلما أراد إدخالَه عليه ألبسه فروة مقلوبة ، وأدخله عليه ، وقد عفا شعرُه[2] ، وساءت حالته ، فلما رآه ، قال : السيف ! فقال الفضلُ : ياسيدى من هذا الكلبُ حتى تأمرَ بقتله بحضرتك ؟ قال : أليس هو القائل :

إلّا مساعيرَ يغضبون لها * بسلّة البيض والقنا الذابل

(١) الرفض : ضرب من التشيع لآل على . ذكر فى القاموس أن الروافض كل جند تركوا قائدهم . والرافضة : الفرقة منهم وفرقة من الشيعة بايعوا زيد بن على ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين . فأبى وقال : كانا وزيرى جدّى . فتركوه ورفضوه وارفضوا عنه ، والنسبة رافضى .

(٢) عفا شعره : طال وكثر .

فقال منصور : لا ياسيدى ما أنا قائل هذا، ولقد كُذِب علىّ، ولكنى القائل :

يامنزل الحى ذا المغانى * انعم صباحا على بِلاكا[1]

هارون ياخير من يُرَجّى * لم يُطِع اللهَ مَنْ عَصاكا

فى خير دينٍ وخير دنيا * مَن اتّقى الله واتقاكا

٥ فأمر بإطلاقه وتخلية سبيله، فقال منصورٌ يمدح الفضل بن الربيع :

رأيت المُلْك مُذْ آزر * تَ قد قامت مَحانيه[2]

هو الأوحد فى الفضلِ * فما يعرف ثانيه

أخبرنى عمى، قال : حدّثنا ابن أبى سعد، قال : حدّثنى على بن مسلم بن الهيثم الكوفى عن محمد بن أرتبيل، قال :

٢٢/١٢ عفة النمرى

١٠ اجتمع عند المأمون قبل خلافته، وذلك فى أيام الرشيد، منصورٌ النمرى والخرَيْمِىُّ والعباس بنُ زفر، وعنده جعفرُ بن يحيى، لحضر الغَداء، فأُتِىَ المأمونُ بلونٍ من الطعام، فأكل منه فاستطابه، فأمر به فَوُضِع بين يدىْ جعفر بن يحيى، فأصاب منه، ثم أمر به فوضِع بين يدَىِ العباس فأكل منه، ثم نحّاه، فأكل منه بعده الخريمى وغيره — ولم يأكل منه النَّمَرِى — وذلك بعينِ المأمون، فقال له : لِم لم تأكل ؟

١٥ فقال : لئن أكلتُ ما أبقى هؤلاء إنى لنهمٌ . قال : فهل قلتَ فى هذا شيئا ؟ قال : نعم، قلت :

لَهْفى أتطعِمها قيسا وآكلها * إنى إذًا لدنىءُ النفس والخطرِ[3]

ما كان جدى ولا كان الهُمام أبى * ليأكلا سؤرَ عباس ولا زُفَرِ

(١) البلى : القدم . (٢) آزرت : عاونت وصرت وزيرا . محانيه : معاطفه . وفى الأصول :

٢٠ رأيت الملك وهذا زر * ت قد قامت أحانيه

(٣) الخطر : القدر والمنزلة .

شتان من سؤر عباسٍ وفضلته * وسؤر كلبٍ مُغطّى العين بالوبر[1]

ما زال يلقَمُ والطبّاخُ يلحظُه * وقد رأى لُقَمًا فى الحلق كالعُجَرِ[2]

نسبة هذه القصيدة إلى منصور بن بجرة

أخبرنى محمدُ بنُ عمران الصيرفىّ وعمى، قالا: حدّثنا الحسنُ بن عليل العنزى، قال: أخبرنى علقمة بن نصر بن واصل النمرى، قال: سمعتُ أشياخنا يقولون: إن منصورَ بنَ بُجْرةَ بنِ منصورِ بنِ صُليلِ بنِ أُشَيمَ بن قَطَنِ بنِ سعدِ بنِ عامرِ الضَّحيانِ بنِ سعد بنِ الخزرج بن تيم اللهِ بنِ النمرِ بنِ قاسطٍ، قال هذه القصيدة:

ما تنقضى حسرة منى ولا جزع * إذا ذكرت شبابا ليس يُرتجعُ

بان الشباب وفاتنى بشِرَّته * صروفُ دهرٍ وأيام لها خُدَعُ[3]

ما كنت أولَ مسلوبٍ شبيبتَه * مكسوِّ شيبٍ فلا يذهبْ بك الجزعُ

منصور بن سلمة يستوهبها منه ويطلبه الرشيد ولكنه يرده فيستنجد بيزيد الشيبانى فيدخله

فسمعها منصورُ بنُ سلمة بنِ الزبرقان بنِ شريك بنِ مطعم الكبش الرخمَ بنِ مالكِ بنِ سعدِ بن عامرِ الضحيان فاستحسنها، فاستوهبها منه فوهبها له، وكان منصورُ ابن بجرة هذا موسرا لا يتصدّى لمدح ولا يفِد إلى أحد ولا ينتجعه بالشعر، وكان هارونُ الرشيد قد جرّد السيفَ فى ربيعة، فوجّه منصورُ بن سلمة هذه القصيدةَ إلى الرشيد، وكان رجلا تَقْتحمه العين جدا[4]، ويزدريه من رآه لدمامة خَلْقه، فأمر الرشيدُ لمّا عُرِضَتْ عليه بإحضار قائلِها. قال منصور: فلما وصلت إليه عرّفنى الحاجب أنه لما عُرِضت عليه قرأها واختارها على جميع شعر الشعراء جميعا، وأمره بإدخالى، فلما قرُبت من حاجبه الفضلِ بنِ الربيع ازدرانى لدمامة خلق، وكان قصيرا أزرقَ أحمرَ أعمشَ[5] نحيفا. قال: فردّنى، وأمر بإخراجى فأُخْرِجت،

(١) السؤر: البقية والفضلة. (٢) العجر جمع عجرة: وهى العقدة.
(٣) فاتنى: تخطتنى ولم تصبنى. والشرة: النشاط. (٤) تقتحمه: تتخطاه إلى غيره، وذلك لضعف شأنه. (٥) الاعمش: ضعيف البصر مع سيلان الدمع

فمرّ بى ذات يوم يزيدُ بنُ مَزْيدٍ الشيبانىُّ[1] ، فصحت به : يا أبا خالد ، أنا رجلٌ من عشيرتك ، وقد لحقنى ضيم ، وعذت بك . فوقف ، فعرّفته خبرى ، وسألته : أن يذكرنى إذا مرّت به رقعتى ، ويتلطّف فى إيصالى ، ففعل ذلك ، فلمّا دخلت على أمير المؤمنين أنشدته هذه القصيدة :

الرشيد يرفع السيف عن ربيعة

* أتسلو وقد بانَ الشبابُ المزايلُ *

فقال لى : غدًا إن شاء الله آمر برفع السيف عن ربيعة — وخرج يزيد يركُض ، فما جاءت العصر من الغد حتّى رفِع السيف عن ربيعة بنَصيبين وما يليها ، وأنشدته القصيدة ، فلما صرت إلى هذا الموضع :

جلساء الرشيد يظنون فى هذا البيت حتف منصور

يُجرِّد فينا السيفَ من بين مارقٍ * وعانٍ بُجُودٌ كلهم متحاملُ[2]

قالوا : فلما سمع الجلساءُ هذا البيت ، قالوا : ذهب الأعرابى وافتضح ، فلما قلت :

وقد علم العُدوان والجورُ والخنا * بأنّك عيّافٌ لهنّ مُزايِلُ[3]

ولو علموا فينا بأمرك لم يكن * ينَال بريًّا بالأذى متناولُ

لنا منكَ أرحام ونعتدُّ طاعةً * وبأسًا إذا اصطكّ القنا والقنابلُ[4]

وما يَحفظ الأَنسابَ مثلَك حافظٌ * ولا يصلُ الأرحامَ مثلَك واصلُ[5]

جعلناك ، فامنعنا ، مَعاذا ومفزَعا * لنا حين عضتنا الخطوبُ الجلائلُ[6]

وأنت إذا عاذت بوجهك عُوّذ * تطامنَ خوفٌ واستقرت بَلابِلُ[7]

(١) فى الأصل : « مزيد بن يزيد الشيبانى » . (٢) العانى : الأسير . بجود : جمع بجد : الجماعة من الناس . وقد وردت فى كل الأصول بالخاء بدل الجيم ، والمعنى لا يستقيم بهذا .
(٣) العياف : الشديد الكراهة . والمزايل : المفارق . (٤) القنابل : جمع قنبلة بفتح القاف : الطائفة من الناس والخيل . (٥) فى الأصول : « الإنسان » . (٦) فامنعنا ، بالنون كما فى ش ، أما فى س ، ب فبالتاء وهو تصحيف . والجلائل : العظيات . (٧) عوذ جمع عائذ : وهو الملتجئ . البلابل : الوساوس والهواجس .

فقال الجلساء : أحسَنَ والله الأعرابىُّ يا أمير المؤمنين ! فقال الرشيد : يُرفَع السّيف عن ربيعة ويُحسنُ إليهم .

منصور النمرى ينشد الرشيد ومعه الكسائى ويأمر له بجائزة

أخبرنى عمى، قال : حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعد، قال : حدّثنى علىُّ بنُ الحسن ابن عبيدٍ البكرىُّ، قال : أخبرنى أبو خالد الطائى عن الفضل، قال :

كنا عند الرشيد وعنده الكسائى ، فدخل إليه منصورٌ النمرىّ ، فقال له الرّشيد : أنشدنى . فأنشده قوله :

ما تنقضى حَسرةٌ منى ولا جزَعُ * إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرتَجَع

فتحرّك الرشيد، ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله :

ما كنت أوفِى شبابى كُنهَ عِزّته * حتّى انقضى فإذا الدُّنيا له تَبَعُ [1]

فطرب الرّشيدُ ، وقال : أحسنتَ والله ، وصدقتَ ، لا والله لا يتهنّأ أحد بعيش حتى يَخطِر فى رداء الشباب ! وأمر له بجائزة سنية .

جماعة من الشعراء يتهكمون بالنمرى لعدم اشتراكه فى الشراب

أخبرنى عمى، قال: حدّثنا عبدالله بن أبى سعد، قال: حدّثنى محمد بن عبدالله ابن طَهمان السلمى، قال : حدّثنى أحمدُ بنُ سنانٍ البيسانى، وأخبرنى عمى قال : أخبرنا ابنُ أبى سعدٍ ، قال : حدّثنا مسعودُ بن عيسى ، عن موسى بن عبد الله التميمى : أن جماعة من الشعراء اجتمعوا ببغداد وفيهم منصور النمرى ، وكانوا على نبيذٍ، فأبى منصور أن يشرب معهم، فقالوا له: إنما تعاف الشربَ لأنّك رافضى، وتسمع وتُصْغى إلى الغناء، وليس تركك النبيذ من ورع . فقال منصور :

---

(١) الكُنه : القدر .

٢٤
١٢

صـــوت

خَلا بين نَدمانىَّ موضعُ مجلِسى * ولم يَبقَ عنـدى للوِصال نصيبُ
وَرُدَّت على السّاقى تفيض وربّمـا * رَددتُ عليه الكأسَ وهى سليب(١)
وأىُّ امرئٍ لايستَهِشُّ إذا جرت * عليـه بَنانٌ كفُّهنّ خضيبُ

الغناء لإبراهيم، خفيفُ ثقيلٍ، مطلق فى مجرى البِنصِر. ومن الناس من ينسبه ٥
إلى مخارق، هكذا فى الخبر.

قصيدة للعتابى كتبها الى منصور النمرى

وقد حدّثنى على بن سليمان الأخفش، قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرِّد، قال :
كتب كلثوم بن عمرو العتابى إلى منصور النمرى قوله :

تَقَضّتْ لُبـاناتٌ ولاح مشيبُ * وأشفَى على شمسِ النّهار غروبُ
وودَّعت إخوانَ الصِّبا وتصرّمت * غَوايةُ قلبٍ كانَ وهـو طروبُ(٢) ١٠
ورُدّت على الساقى تفيض وربّمـا * رددت عليه الكأس وهى سليب
وممّـا يَهيج الشّـوق لى فــيَرُدُّه * خفيفٌ على أيدى القِيان صَخوبُ(٣)
عَطَوْن بهِ حـتّى جرى فى أديمـه * أصابيـغ فى لَبّاتهنّ وطيبُ(٤)

فأجابه النمرى وقال :

أوحشَةَ نَدَمانيك تبكى فربّمـا * تلاقيهما والحِلم عنك عَزُوب(٥) ١٥
ترى خَلَقا من كل نَيْـلٍ وثروةٍ * سمـاعَ قيـان عودهنّ قريبُ(٦)

(١) السليب : الفـارغ . يعنى الكأس . وفى بعض الأصـول : « وهـو سليب » تحريف . والكأس مؤنثـة . (٢) تصرمت : تقطعت . وفى الأصول « تفرمت » . طروب وردت فى ب ، جـ أما فى س فهى « حروب » . (٣) فى الأصول : « فترده » تحريف ، أى فيرد الشوق . والخفيف ، يعنى به العود . (٤) عطون به : تناولنه ومددن أعناقهن . أصابيغ : ٢٠ جمع جمع للصبغ ، عنى به الزعفران ونحوه من الطيب ذى اللون . وفى الأصول : « أصابيع » تحريف . واللبات : مواضع النحر . (٥) العزوب : الشديد البعد . (٦) أى قريب المتناول .

يغنيك يابنى فتستصحب النُّهَى * وتحتازك الآفاتُ حين أغيب (١)

وإنّ امرأً أودى السماعُ بلُبّــه * لعُريانُ من ثوب الفلاح سليبُ

النمرى ينشد يزيد ابن مزيد فيعطيه مائة دينار

أخبرنى عمى، قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد، قال : حدّثنا محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدى أبو مسعر، قال : أتى النمرى يزيد بن مزيد و يزيد يومئذ فى إضاقة وعسرة (٢)، فقال : اسمع منّى جُعلت فداك . فأنشده قصيدةً له، يقول فيها :

لو لم يكن لبنى شيبانَ من حَسَب * سوى يزيدَ لفاتوا الناس فى الحسب

تأوى المكارم من بكر إلى مَلِكٍ * من آل شيبانَ يحويهنّ من كَثَب

أبٌ وعمٌّ وأخوالٌ مناصبُهم * فى منبت النَّبع لا فى منبت الغَرَبِ (٣)

إنّ أبا خالد لما جَرى وجرت * خيلُ الندى أحرَزَ الأُولَى من القَصَب

لما تلقّبهنّ الجرىُ قدّمه * عِتقٌ مُبينٌ ومحضٌ غيرُ مؤتشب (٤)

ان الذين اغتَرَوا بالحُرّ غرّته * كمغتزى الليث فى عِرّيسه الأشب (٥)

ضرباً دِراكاً وشدّاتٍ على عَنَقٍ * كأنّ إيقاعها النّيرانُ فى الحطب (٦)

لا تقربنّ يزيدًا عند صولته * لكنْ إذا ما احتبى للجود فاقترب (٧)

فقال يزيد : والله ما أصبح فى بيت مالى شىء، ولكن انظر ياغلام كم عندك فهاته . فجاءه بمائة دينار وحلف أنّه لا يملك يومئذ غيرها .

(١) تحتازك : تلم بك . (٢) الإضاقة : ذهاب المال والضيق . (٣) الغرب بالتحريك : ضرب من الشجر . (٤) تلقبهن : أطال الطرد . والعتق : الكرم . وغير مؤتشب : غير مختلط . (٥) اغتزوا : قصدوا . والمغتزى : القاصد . وفى الأصول : « اعتروا » و « كمعترى » . وهاتان الكلمتان محرفتان . والعريس : مأوى الأسد . والأشب : الشجر الملتف .
(٦) الدراك : لحاق الفرس الوحش و إتباع الشىء بعضه بعضا . والعنق بالتحريك : سير سريع
(٧) احتبى بالثوب : اشتمل به، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة أو غيرها .

منصور يتحسر على شبابه لما نظرت الغانية إلى غيره

وقد أخبرنى عمى بهذا الخبر، قال : حدّثنى محمدُ بن على بن حمزة العلوى، قال: حدّثنى عمى عن جدى، قال : قال لى منصور النمرى : كنت واقفا على جسر بغداد أنا وعبيدُ الله بنُ هشام بنِ عمرٍو التغلبى، وقد وَخَطنى الشّيب يومئذ، وعبيد الله شابٌّ حديث السن، فإذا أنا بقَصْرية(١) ظريفة قد وقفت، فجعلت أنظر إليها وهى تنظر إلى عبيد الله بن هشام ثم انصرفَتْ، وقلت فيها :

لمّا رأيتِ سَوَامَ(٢) الشيبِ منتشرا * فى لِمّتى وعبيدَ الله لم يشِبِ
سَلّتِ سهمينِ من عينيك فانتضلا(٣) * على سبيبة ذى الأذيال والطربِ
كذا الغوانى نرى منهن قاصدة(٤) * إلى الفروع معرّاة عن الخشبِ
لا أنتِ أصبحت تعتدّيننا(٥) أربا * ولا وعيشك ما أصبحتِ من أربى
إحدى وخمسين قد أنضيت(٦) جِدّتها * تحول بينى وبين اللهو واللعبِ
لا تحسَبِنّى وإن أغضيتُ عن بصرى * غفَلتُ عنك ولا عن شأنك العجبِ

ثم عَدلت عن ذلك فمدحتُ فيها يزيدَ بن مزيد فقلت :

لو لم يكن لبنى شيبانَ من حسبٍ * سوى يزيدَ لفاقوا الناسَ بالحسَبِ
لا تحسب الناسَ قد حابَوْا بنى مطرٍ * إذ أسلمَ الجودُ فيهم عاقد الطنبِ(٧)
الجود أخشنُ لمسًا يا بنى مطرٍ * من أن تبزّكموه كفُّ مستلبِ

(١) القصرية : نسبة إلى القصر، صفة للغانية . (٢) السوام فى الأصل : الإبل الراعية، وعنى به الشيب المتفرق فى جوانب الرأس . واللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن . (٣) انتضلا : خرجا . والسبيبة : الخصلة من الشعر . وفى الأصول : «سبية» . (٤) القاصدة : المتجهة . معراة عن الخشب : أى تحب الشباب وبهجته، ولا يروقها كبار السن . (٥) تعتدّيننا : تعدّيننا . وفى الأصول : «تعقد بيننا أربا» وفى تاريخ بغداد : «تفيديننى»، وصواب هذه الأخيرة : «تعتدينى» . (٦) أنضيت : أخلقت وأبليت . (٧) الطنب : حبل طويل يشد به سرادق البيت .

ما أعرفَ الناسَ أنّ الجُود مَدفَعةٌ * للذمّ لكنّــه يأتى على النشب (١)

قال : فأعطانى يزيدُ عشرة آلاف درهم .

حدّثنى عمى، قال : حدّثنى محمد بن عبد الله التميمى الحزنبل، قال : حدّثنى عمرو بن عثمان الموصلى، قال حدّثنى ابن أبى رَوْق الهمدانى، قال :

النمرى لم يعد مدحا ولكنه أطال المعنى فيما قال فينال صلة

٥ قال لى منصور النمرى : دخلت على الرشيد يوما ولم أكن أعددتُ له مدحا، فوجدته نشيطًا طيّب النفس، فرمتُ شيئًا فما جاءنى، ونظر إلىّ مستنطقا، فقلت :

إذا اعتاصَ المديحُ عليك فامدَحْ * أميرَ المؤمنين تَجِدْ مقالا (٢)

وعُذْ بفِنائه واجنَحْ إليه * تَنَلْ عُرْفا ولم تُذْلِلْ سؤالا

فِناءٌ لا تزال به رِكابٌ * وضَعن مدائحًا وحَمَلن مالا

١٠ فقال : والله لئن قصّرت القولَ لقد أطلتَ المعنى . وأمرَ لى بصلة سنيّة .

صوت

طَربتَ إلى الحىِّ الذين تحمّلوا * بِبُرقةِ أحواذ وأنت طروب (٣)

فبِتُّ أُسَقّاها سُلافًا مُدامةً * لها فى عظام الشّاربين دبيب (٤)

الشعر لعبيد الله بن الحجاج التغلبى، والغناء لِعَلُّويه، رمل بالوسطى، عن الهشامى، ١٥ وفيه لسليم خفيفُ رملٍ، مطلقٌ فى مجرى الوسطى .

(١) النشب بالشين المعجمة فى ش، وبالمهملة فى جـ، س وهو تحريف . والنشب : المال والعقار .

(٢) اعتاص : تعسر . (٣) أحواذ، جمع حاذ : شجر تألفه بقر الوحش . وبرقة أحواذ : موضع كما فى معجم البلدان . فى س : «احوان» ب «اخوان» محرفتان . (٤) السلاف : الخمر .

نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره

نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره

هو عبدُ الله بن الحجاج بنِ مِحصنِ بن جُندُب بنِ نصرِ بن عمرِو بنِ عبدِ غنم آبنِ بجاشِ بنِ بَجالة بنِ مازنِ بنِ ثعلبة بنِ سعدِ بنِ ذبيان بنِ بغيض بنِ الريث بنِ غطفان بنِ سعدِ بنِ قيس بنِ عيلان بنِ مضر . ويكنى أبا الأقرع . شاعرٌ فاتكٌ شجاعٌ من معدودى فرسانِ مُضرَ ذوى البأس والنَّجدة فيهم، وكان ممَّن خرج مع عمرِو بنِ سعيدٍ على عبدِ الملكِ بنِ مروان، فلما قتل عبد الملك بنُ مروان عَمرًا خرج مع نجدةَ آبنِ عامرٍ الحنفىّ ثم هرب، فلحق بعبد الله بن الزبير، فكان معه الى أن قُتِل، ثم جاء إلى عبد الملكِ متنكِّرا، وآحتال عليه حتى أمّنه .

وأخبارُه تُذْكر فى ذلك وغيره هاهنا .

١٠ أخبرنى بخبره فى تنقُّله من عسكرٍ إلى عسكر، ثم استئمانه ، جماعةٌ من شيوخنا ، فذكروه متفرِّقا فآبتدأتُ بأسانيدهم، وجمعتُ خبره من روايتهم .

فأخبرنا الحَرَمىّ آبنُ أبى العلاء ، قال : حدّثنا الزبيرُ بن بكارٍ ، قال : حدّثنى اليزيدى أبو عبدِ الله محمدُ بنُ العباس ببعضه ، قال : حدّثنى سليمانُ بن أبى شيخ ، قال : حدّثنا يحيى بنُ سعيدٍ الأموى، وأخبرنا محمدُ بنُ عمران الصيرفى قال : حدّثنا ١٥ الحسن بن عُلَيْلٍ العَنَزِىّ ، قال : حدّثنا محمدُ بن معاوية الأسدى ، قال : حدّثنا محمد بن كُناسةَ ؛ وأخبرنى عمى قال : حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعد ، قال : حدّثنى على بن مسلم بنِ الهيثم الكوفى عن محمدِ بنِ أرْتَبيل؛ ونسخت بعض هذه الأخبار من نسخة أبى العباس ثعلب ، والألفاظ تختلف فى بعضها والمعانى قريبةٌ ، قالوا :

٢٦
١٢

الحجاج وتسرعه الى الفتن

كان عبد الله بن الحجاج الثعلبى شجاعًا فاتكا صعلوكا من صعاليك العرب ، وكان متسرعا ٢٠ إلى الفِتن، فكان ممن خرج مع عمرِو بنِ سعيدِ بنِ العاص، فلما ظفر به عبدُ الملك

هرب إلى ابن الزُّبير، فكان معه حتّى قُتِل، ثم اندسّ إلى عبد الملك فكُلِّم فيه فأمّنه.

هذه رواية ثعلب، وقال العنزيّ وابن أبى سعد فى روايتهما :

دخــوله عــلى عبد الملك بتحايل منــه أو من غيره

لمــا قُتل عبدُ الله بن الزبير، وكان عبــدُ الله بن الحجــاج من أصحابه وشيعته احتال حتى دخل على عبــد الملكِ بن مَرْوانَ وهو يطعِم النــاس، فدخل حجرةً، فقال له : مَالكَ ياهذا لا تأ كُل؟ قال : لا أَسْتَحِلُّ أن آكل حتى تأذنَ لى. قال: إنِّى قد أذنتُ للناس جميعا. قال : لم أَعْلَمْ فآكلَ بأمرك. قال : كُلْ. فأكل، وعبد الملك ينظرُ إليه ويعجبُ من فِعاله، فلما أكل الناسُ [و] جلس عبدُ الملك فى مجلسه، وجلس خواصُّــه بين يديه، وتفرّق الناس، جاء عبــدُ الله بنُ الحجاج فوقف بين يديه، ثم استأذنه فى الإنشاد فأذن له، فأنشده :

أبلِــغْ أمــيرَ المؤمنــين فإنّنى * ممــا لقيتُ مِن الحوادثِ موجَعُ

مُنِـعَ القَرارُ فجئتُ نحوك هاربا * جيش يَجُــرُّ ومِقْنَبٌ[1] يتلمّــعُ

فقال عبدُ الملك : وما خوفُك لا أُمَّ لك، لولا[2] أنك مُرِيبٌ! فقال عبد الله :

إنّ البــلادَ على وهْى عريضــةٌ * وعُرَت مذاهبُها وسُــدّ المطلعُ

فقال له عبدُ الملكِ : ذلك بما كَسَبَتْ يداك، وما اللهُ بظلّامٍ للعبيد. فقال عبد الله:

كنّا تَنَحَّلْنــا[3] البصــائرَ مَــرّةً * وإليــك إذ عمِى البصائرُ نرجِــعُ

إن الذى يَعْصِــيك منــا بعــدها * مِن دينــه وحيــاته متــودِّعُ

آتِى رِضــاكَ ولا أعــودُ لمثلها * وأطيــعُ أمرَكَ ما أمرتَ وأسمعُ

أعطِى نصيحتِىَ الخليفــةَ ناخِعــا[4] * وخِزامــةَ الأنف المقــودِ فأتبــعُ

(١) المقنب : الخيل زهاء الثلاثين أو ما بين الثلاثين إلى الأربعين تجتمع للغارة. يتلمع : يبرق ويضىء بما فيه من لمعان السيوف والسلاح. (٢) فى حـ : «إلا». (٣) تنحّله وانتحله : ادّعاه لنفسه وهو لغيره. وفى حـ : «إن». (٤) فى الأصول : «ناجعا»، تحريف. ويقال نخع فلانا الود والنصيحة : أخلصهما له. الخزامة : حلقة فى أنف البعير أو فى لحمة أنفه.

فقال له عبد الملك : هذا لا نقبلُه منك إلا بعد المعرفة بك وبذنبك ، فإذا عُرِفَت الحَوْبةُ قبلنا التوبةَ . فقال عبد الله :

ولقد وطِئتَ بنى سعيد وطأةً * وابنَ الزبير فعرشُه متضَعْضِعُ

فقال عبد الملك : لله الحمد والمنة على ذلك . فقال عبد الله :

مازلتَ تضربُ مَنكبا عن منكِبٍ * تعلو ويسفل غيركم ما يُرفَعُ
ووطئتَم فى الحرب حتى أصبحوا * حدَثًا يكُوس وغابرا يتجعجع (١)
فوى خلافتَهم ولم يظلم بها * القرمُ قرمُ بنى قصىٍّ الأنزعُ (٢)
لا يستوى خاوى نجوم أُفَّلِ * والبدرُ منبلجاً إذا ما يطلع (٣)
وُضِعَتْ أميّةُ واسطين لقومهم * ووُضِعت وَسْطَهمُ فنعم الموضع (٤)
بيتٌ أبو العاصى بناه بِربوةٍ * عالى المَشَارف عِزُّه ما يُدْفَع (٥)

فقال له عبد الملك : إنّ توريتك عن نفسك لَتُريبنى ، فأىُّ الفسقة أنت ؟ وماذا تريدُ ؟ فقال :

حَرَبَتْ أُصَيْبِيَتِى يدٌ أرسلتها * وإليك بعد مَعادِها ما ترجع (٦)
وأرى الذى يرجو تُراثَ محمدٍ * أَفَلَتْ نجومهمُ ونجمُك يسطع (٧)

(١) فى الأصل : «يؤس» تحريف . ويكوس ، من قولهم كاس البعير : مشى على ثلاث قوائم بعد ما عرقب . يتجعجع : يضرب بنفسه الأرض من وجع .

(٢) الأنزع : من ينحسر عنه الشعر من أعلى الجبين حتى يصعد فى الرأس . وفى صفة على رضى الله عنه «البطين الأنزع» . والعرب تحب النزع وتتيمن بالأنزع .

(٣) الخاوى من النجوم : الماحل الذى لا يمطر .

(٤) الواسطون : الخيار . (٥) المشارف : الأعالى .

(٦) حربت : سلبت المال ولم تترك شيئا . وفى حـ ، ب بالجيم المعجمة . أصيبيتى : تصغير أصبية بفتح الهمزة وسكون الصاد وكسر الباء جمع صبى .

(٧) هذا البيت فى كل الأصول ، وليس فى حـ . والذى هنا بمعنى الذين . كما فى قوله تعالى : «وخضتم كالذى خاضوا» وكقول الشاعر :

وإن الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

فقال عبدُ الملك : ذلك جزاءُ أعداءِ الله . فقال عبدُ الله بن الحجاج :

فانعش أُصَيْبِيَتِى الألاءِ كأنّهم * حَجَلٌ تدرَّجُ بالشرَبّة جُوَّعُ [1]

فقال عبد الملك : لا أنعَشَهُمُ اللهُ ، وأجاع أكبادَهم ، ولا أبقى وليدًا من نسلهم ، فإنهم نسلُ كافرٍ فاجرٍ لا يبالِى ما صنع [2] . فقال عبد الله :

٥ مالٌ لهم مما يُضَنُّ جمعتُه * يومَ القليب فحِيزَ عنهم أجمع [3]

فقال له عبد الملك : لعلك أخذتَه من غيرِ حِلِّه ، وأنفقته فى غيرِ حقِّه ، وأرصدت به لِمُشَاقَّة [4] أولياءِ الله ، وأعْدَدْتَه لمعاونةِ أعدائه ، فنزعه منك إذ استظهرتَ به على معصيةِ الله . فقال عبد الله :

أدنو لِتَرْحَمَنى وتجبرَ فاقتى * فأراك تدفَعُنِى فأين المدفع [5]

١٠ فتبسم عبد الملك ، وقال له : إلى النار ، فمن أنت الآن ؟ قال : أنا عُبدُ الله بنُ الحجاج التعلبىُّ ، وقد وطئتُ دارَكَ وأكلتُ طعامك ، وأنشدتك ، فإن قتلتنى بعد ذلك فأنت وما تراه ، وأنتَ بما عليك فى هذا عارف . ثم عاد إلى إنشاده ، فقال :

ضاقت ثيابُ المُلبِسين وفضلُهم * عنِّى فألبِسْنى فثوبُك أوسعُ

فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه ، وقال : البسه ، لا لبستَ ! فالتحف

١٥ به ، ثم قال له عبدُ الملك : أَوْلَى لك والله ، لقد طاولْتُك طمعًا فى أن يقوم بعض

(١) الألاء لغة فى الألى ، مثل ما جاء فى قوله :

أبى الله للشم الألاء كأنهم * سيوف أجاد القين يوما صقالها

وروى : « فارحم أصيبيتى هديت فإنهم » . الحجل : ضرب من الطير ، واسم الجمع منه الحجلى . والبيت فى اللسان (حجل) برواية : « حجلى تدرج » . الشربة : الأرض المعشبة لا شجر بها ، وموضع بنجد .

٢٠ (٢) الكلام من « ولا أبق » إلى هنا ساقط من حـ .

(٣) وردفى حـ : « ما إن لهم مما تظن » . حيزعنهم : أبعد .

(٤) المشاقة : المعاداة والمحاربة .

(٥) فأين المدفع : أين الجهة التى تدفعنى إليها لأنال منها .

هؤلاءِ فيقتلَك ، فأبى الله ذلك، فلا تجاوِزْنى فى بَلَدٍ ، وانصرِفْ آمنـا ، قُمْ حيثُ شئتَ .

ــ قال اليزيدى فى خبره : قال عبد الله بن الحجاج : ما زلتُ أتعرَّف منه كلّ ما أكره حتى أنشدتُه قولى :

ضاقت ثيابُ الملبِسين وفضلُهم * عنى فألبِسنى فثوبُك أوسعُ

فرمى عبد الملك مُطْرَفه(١)، وقال : البسه . فلبستُه ــ

ثم قال : آكل يا أمير المؤمنين ؟ قال : كل . فأكل حتّى شبع ، ثم قال : أمنتُ وربِّ الكعبة ؟ فقال : كن من شئتَ إلا عبدَ الله بن الحجاج . قال : فأنا والله هو ، وقد أكلتُ طعامك ، ولبست ثيابَك، فأىُّ خوفٍ علىَّ بعدَ ذلك ؟ فأمضى له الأمان .

ونسخت من كتاب أحمد بنِ يحيى ثعلب عن ابن الأعرابى ، قال :

التجاؤه الى أحيح ابن خالد وهجاؤه إياه حين غدر به

كان عبد الله بن الحجاج قد خرج مع نجدةَ بنِ عامرٍ الحنفىّ الشارى، فلما انقضى أمرُه هرب، وضاقت عليه الأرضُ من شدّة الطلب ، فقال فى ذلك :

رأيت بلادَ الله وهْىَ عريضةٌ * على الخائف المطرودِ كِفّةَ حابِلِ(٢)

تؤدِّى إليه أن كلّ ثَنِيَّة(٣) * تيمّمها ترمِى إليه بقاتِلِ

قال : ثم لجأ إلى أُحَيْح بنِ خالدِ بنِ عُقبةَ بن أبى مُعيط ، فسعَى به إلى الوليد ابن عبد الملك، فبعث إليه بالشُّرط، فأُخذ من دار أحيح، فأُتِى به الوليدَ فحبسه، فقال وهو فى الحبس :

(١) المطرف بضم الأوّل وكسره : رداء من خز مربع ذو أعلام .
(٢) الكفة للصائد : حبالته ، وهى المصيدة بكسر الميم وسكون الصاد .
(٣) تؤدى إليه : تخيل إليه . والثنية : الطريق الصعبة والطريقة فى الجبل كالنقب ، وقيل هى العقبة ، وقيل هى الجبل نفسه .

أقول وذاك فرطُ الشـوقِ مـنّى * لعيـنى إذ نأت ظمياءُ فِيضِى (١)

فـما للقلب صـبرٌ يوم بانت * وما للـدمع يُسـفَح من مَغيض

كأن مُعتَّقاً من أذرِعات * بمـاء سحـابة خَصِرٍ فضيض (٢)

بِفيهـا ، إذ تخـافتُنى حيـاءً * بسرٍّ لا تبـوح به خفيض

٥ يقول فيها :

فإن يُعرِضْ أبو العبّـاسِ عنّى * ويركبْ بى عَروضا عن عَروض

ويجعلْ عُرفَه يوماً لغـيرى * ويُبغضْنى فإنّى من بغيض

فإنّى ذو غِـنىً وكريمُ قـومٍ * وفى الأكفاءِ ذو وجهٍ عريض

غلبتَ بنى أبى العـاصى سَماحًا * وفى الحرب المـذكَّرة العضوض (٣)

١٠ خرجتَ عليهـمُ فى كلّ يومٍ * خروجَ القِدْح من كفّ المُفيض (٤)

فِدًى لك مَنْ إذا ما جئتُ يوما * تلقّـانى بجامعـة رَبـوض (٥)

على جنب الخُـوان وذاك لؤمٌ * وبئست تُحفَـة الشيخ المريض (٦)

كأنى إذ فـزِعتُ إلى أُخَيْـحٍ * فزعتُ إلى مُقَوْقِيـةٍ بَيُـوض (٧)

إوزةِ غَيضـةٍ لقِحت كِشـافاً * لِقُحْقُحِها إذا درجت نقيض (٨)

---

١٥ (١) ظمياء : اسم امرأة . والظمياء من الشفاه : الذابلة فى سمرة ، ومن العيون : الرقيقة الجفن .

(٢) المعتق : الشراب عتق زمانا . وفى جـ ، س بالباء بدل التاء وهو تصحيف . أذرعات : بلدة بالشام مشهورة بالخمر . والخصر : البارد ، وفى جـ : «خضر» بالضاد المعجمة وهو تصحيف . والفضيض : المنتشر .

(٣) المذكرة العضوض : الشديدة . (٤) المفيض : الذى يضرب بقداح الميسر ليظهر الفائز وغير الفائز . (٥) الجامعة : الغُلّ ، الربوض : الضخمة الثقيلة . (٦) التحفة :

٢٠ ما أتحفت به الرجل من طعام ونحوه . وفى الحديث : « تحفة الكبير » . وفى كل الأصول : « دست بحفة » . وروى فى الحيوان (٢ : ٣٠٢) : « وبئست خبزة » . (٧) المقوقية : المصوتة .

(٨) الكشاف : أن تلقح حين تبيض . والقحقح بضم القافين : العظم المطيف بالدبر . والنقيض : الصوت . وفى هذا البيت إقواء .

قال: فدخل أحيحٌ على الوليد بن عبد الملك، فقال يا أميرَ المؤمنين: إنّ عبدَ الله ابن الحجاج قد هجاك . قال : بماذا؟ فأنشده قوله :

فإن يُعرِضْ أبو العبـاس عنّى * ويركبْ بى عَروضا عن عروض

ويجعـلْ عُرْفَه يومًا لغـيرى * ويُبغِضْنى فإنى من بغيض

فقال الوليد: وأىُّ هجاءٍ هذا! هو من بغيض إن أعرضتُ عنه، أو أقبلت عليه، أو أبغضته ، ثم ماذا ؟ فأنشده :

كأنى إذ فزعتُ إلى أحيـح * فزِعت إلى مُقوقيـةٍ بيوض

فضحك الوليـد، ثم قال: ما أراهُ هجا غيرك . فلما خرج من عنده أحيح أمر بتخليةِ سبيل عبدِ الله بن الحجاج، فأُطْلِق . وكان الوليـدُ إذا رأى أحيحا ذكر قول عبدِ الله فيه فيضحك منه .

١٠

حدّثنا أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهرىُّ، قال: حدّثنا عمرُ بنُ شبّةَ، قال: حدّثنا خلادُ بنُ يزيدَ الأرقط عن سالمِ بنِ قتيبةَ . وحدّثنى يعقوبُ بنُ القاسم الطلحى ، قال: حدّثنى غير واحدٍ، منهم عبـدُ الرحمن بنُ محمدٍ الطَّلْحىُّ، قال : حدّثنى أحمدُ بنُ معاويةَ، قال : سمعت أبا علقمة الثقفىَّ يحدث . قال أبو زيد (١) : وفى حديث بعضهم ما ليس فى حديثِ الآخر، وقد ألّفتُ ذلك، قال :

١٥

هجاؤه لكثير بن شهاب بن الحصين

(٢) كان كَثيرُ بنُ شهاب بنِ الحصين بن ذى الغُصّة بنِ يزيد بنِ شـدّاد بنِ قَنَان ابنِ سلمة بنِ وهب بنِ عبد الله بنِ ربيعة بنِ الحارثِ بنِ كعبٍ، على ثغر الرَّىّ ، ولّاه إياه المغـيرةُ بنُ شعبة إذ كان خليفةَ معاوية على الكوفة ، وكان عبـدُ الله بنُ

٢٩ / ١٢

(١) أبو زيد : كنية عمر بن شبة .

(٢) « كان » ، ليست فى الأصول ، وأثبتناها لتستقيم العبارة .

٢٠

الحجاج معه، فأغار الناس على الدّيلم، فأصاب عبدُ الله بن الحجاج رجلا منهم، فأخذ سَلَبَهُ، فانتزعه منه كَثِير، وأمر بضربه، فضُرب مائةَ سوط، وحبِس، فقال عبدُ الله في ذلك(١)، وهو محبوس :

تسائلُ سلمى عن أبيها صِحابَه * وقد علِقَتْه من كَثيرٍ حبائل(٢)

فلا تسألِي عنِّي الرفاقَ فإنّه * بأبهَرَ لا غازٍ ولا هو قافِل(٣)

ألستُ ضربت الدّيلميَّ أمامَهم * بجُدَّلَتُه فيه سِنانٌ وعامِل(٤)

فمكث في الحبس مدّةً، ثم أُخْلِيَ سبيلُه، فقال :

سأترك ثغر الري ما كنت واليا * عليه لأمرٍ غالني وشجاني

فإن أنا لم أُدْرِك بثأرى وأتَّئِرْ * فلا تَدعني للصِّيدِ من غطفان(٥)

تمنَّيتَنِي يا بنَ الحصينِ سَفاهةً * ومالك بي يا بنَ الحصينِ يدان(٦)

فإنّي زعيمٌ أنْ أجَلِّلَ عاجلاً * بسيفي كِفاحًا هامةَ ابنِ قنان

عبدالله بن الحجاج يضرب كثيرا بعمود عند خروجه من دار المغيرة

قال : فلما عُزِل كَثِيرٌ وقدم الكوفةَ كَمَنَ له عبدُ الله بنُ الحجاج في سوق التّمَّارين — وذلك في خلافة معاوية وإمارةِ المغيرة بن شعبة على الكوفة — وكان كَثِير يخرج من منزله إلى القصر يحدِّثُ المغيرةَ، فخرج يوما من داره إلى المغيرة يحدِّثه فأطال، وخرج من عنده مُمْسِيًا يريد دارَه، فضربه عبدُ الله بعمودِ حديدٍ على وجهه فهتَّم مقاديم أسنانه كُلِّها، وقال في ذلك :

---

(١) «في ذلك» : ليست في جـ . (٢) الحبائل : جمع حبالة : المصيدة .

(٣) فلا تسألى، في جـ «فإن» . وأبهر : مدينة بين قزوين وزنجان .

(٤) جدلته : صرعته . والعامل من الرمح : صدره . (٥) اتئر : أدرك ثأرى، ومثله «اثأر» و «أثتئر» . انظر مقاييس اللغة (ثأر) . والصيد، جمع أصيد : وهو الملك .

(٦) في الأصول : «تمينتنى» .

مَنْ مُبلِغٌ قيْسًا وخنـدفَ أننى * ضربتُ كثيرا مضرِب الظَّربان (١)

فأُقسِمُ لا تنْفَـكُّ ضربةُ وجهِـه * تُذل وتُخـزِى الدّهرَ كلَّ يمـانِ (٢)

فإن تَلقنِى تلق امرأً قد لقيتـــه * سريعا إلى الهيجاء غـير جبانِ

وتلق امرأً لم تلق أُمُّـك برَّه * على سابحٍ غَوْجِ اللَّبانِ حِصانِ (٣)

وحولىَ مِن قيسٍ وخندِفَ عصبةٌ * كِرامٌ على البأْسـاء والحـدثانِ

وإن تك للسِّنْخِ الذى غَصَّ بالحصَى * فإنّى لِقَـــرمٍ يا كثيرُ هِجَـانِ (٤)

أنا ابنُ بنى قيس علىّ تعطفت * بغيضُ بن ريثٍ بعدَ آل دجانِ

وقال فى ذلك أيضا عبد الله بن الحجاج :

من مبلغ قيسًا وخندف أننى * أدركت مَظلِمَتِى من ابن شهـابِ

أدركتُـه أجرى على مَحْبُــوكةٍ * سُرُحِ الجـراءِ طويلةِ الأقرابِ (٥)

جـــرداءَ سُرحوبٍ كأنّ هُوِيَّها * تعـلُو بجُؤْجُئِهَا هُـوِىُّ عُقـابِ (٦)

خُضتُ الظلام وقد بدت لى عورةٌ * منـــه فأضربه على الأنيـابِ

فتركتُه يكبو لِفيـــهِ وأنفِـــهِ * ذَهِـلَ الجَنانِ مضرّجَ الأثوابِ (٧)

---

(١) الظربان : دويبة كالهرة نتنة الرائحة لا تخرج رائحتها من الثوب حتى يبلى . وفى اللسان : « وقوله مضرب الظربان ، أى ضربته فى وجهه ، وذلك أن للظربان خطا فى وجهه » .

(٢) تنفك فى ش ، وفى باقى الأصول بالياء . (٣) غوج بالغين المعجمة . واللبان كسحاب : أى واسع جلد الصدر . والحصان بالكسر : الفرس الذكر أو الكريم المضنون بمائه .

(٤) السنخ : الأصل ، وجاء فى س ، ب بالحاء المهملة . والقرم : السيد الشجاع ، أى إن نسبتى إلى آباء سادة شجعان . والهجان : الرجل الحسيب . (٥) المحبوكة : الفرس القوية . فى بعض الأصول : « مرح » وفى بعضها : « مرخى » . والسرح : المنسرحة فى سيرها السريعة . والجراء : الجرى . والأقراب : جمع قرب بالضم أو بضمتين : الخاصرة . (٦) الجرداء : قصيرة الشعر . السرحوب : الفرس الطويلة ، توصف به الإناث دون الذكور . هويها ، يعنى به سرعتها . وفى الأصول : « كأن هبوبها » . والجؤجؤ : مقدم الصدر . (٧) يكبو : ينكب لوجهه .

هـلا خشيتَ وأنت عادٍ ظالمٌ * بقصور أبهـرَ نُصرتى وعقابى(1)

إذ تستحلُّ ، وكان ذاك محرَّماً ، * جَلدى وتنزعُ ظالمـا أثوابى

ما ضرّه والحُـرُّ يطلب وِتره * بأشمَّ لا رعِشٍ ولا قبقـاب(2)

انتصار معاوية لعبد الله بن الحجاج

قال : فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفة إلى معاوية : إن سيّدنا ضربه خسيسٌ من غطفانَ ، فإن رأيتَ أن تُقيدنا(3) من أسماءَ بن خارجة . فلما قرأ معاوية الكتاب قال : ما رأيتُ كاليوم كتابَ قوم أحمقَ من هؤلاء . وحبَس عبـدَ الله بن الحجاج ، وكتب إليهم : « إنّ القودَ ممن لم يجنِ محظورٌ ، والجانىَ محبوسٌ . حبسته فليقتصَّ منه المجنىُّ عليه » . فقال كثيرُ بنُ شهابٍ : لا أستقيدها إلّا من سيدِ مضر . فبلغ قوله معاوية فغضب وقال : أنا سيِّدُ مضرَ فليستقدها منى ، وأمّن عبد الله بن الحجاج ، وأطلقه ، وأبطل ما فعله بابنِ شهاب ، فلم يقتصَّ ولا أخذ له عقلا .

قال أبو زيد : وقال خلّادٌ الأرقطُ فى حديثه :

عفو كثير عن عبد الله بن الحجاج

إن عبـدَ الله بن الحجاج لمّـا ضربه بالعمود ، قال له : أنا عبدُ الله بن الحجاج صاحبُك بالرىّ ، وقد قابلتُك بما فعلتَ بى ، ولم أكن لأكتمَك نفسى ، وأقسِمُ بالله لئن طالبتَ فيهـا بِقودٍ لأقتلنَّك . فقال له : أنا أقتصُّ من مثلك ، والله لا أرضى بالقِصاصِ إلا من أسماء بنِ خارجة ! وتكلمتِ اليمانيةُ وتحارب النـاسُ بالكوفة ، فكتب معاويةُ إلى المغيرة : أن أحضِر كثيرا وعبـدَ الله بن الحجاج فلا يبرحانِ من مجلسك حتى يقتصَّ كَثِير أو يعفوَ . فأحضرهما المغيرة ، فقال : قد عفوت ؟ وذلك

(١) نصرتى ويروى : « ثورتى » وهى المكافأة بجناية جنيت عليك . مهذب الأغانى .

(٢) الحر تصحيح ش ، روى فى س ، ب « الحرب » وهو تحريف . والأشم : ذو الأنفة . وورد فى س ، ب «بأتم» . والرعش : المضطرب . والقبقاب : الكذاب أو المهذار .

(٣) تقيدنا : أقاد القاتل بالقتيل : قتله ، ومعناه هنا القصاص .

لخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يغتاله . قال : وقال لى : يا أبا الأقيرع ، والله لا نلتقي أنت ونحن جميعا أهتان ، وقد عفوتُ عنك .

الحراث ينبش قبر جندب بن عبدالله بن الحجاج

ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابى ، قال :

كان لعبد الله بن الحجاج ابنان يقال لأحدهما : عُوَين ، والثانى جُندَب ، فمات جندب وعبدُ الله حىٌّ فدفنه بظهر الكوفة ، فمرّ أخوه عوين بحرّاثٍ إلى جانب قبر جندب ، فنهاه أن يقربه بفدّانه ، وحذّره ذلك ، فلما كان الغدُ وجده قد حرث جانبه ، وقد نبشه وأضرّ به[1] ، فشد عليه فضربه بالسيف وعقر فدانه . وقال :

أقول لحرّانٍ حريمى جنّبا * فَدَانَيْكما[2] لا تُحرثا قبر جندب

فإنكما إن تحرثاه تُشَرَّدا * ويذهبْ فَدَانٌ منكما كلَّ مذهب[3]

عبدالله بن الحجاج يستوهب جرم ابنه من عبد الملك

قال : فأخذ عوين ، فاعتقله السجّان ، فضربه حتّى شغَلَه بنفسه ، ثم هرب ، فوفد أبوه إلى عبد الملك فاستوهب جرمه فوهبه ، وأمر بألّا يُتعقَّب ، فقال عبد الله ابن الحجاج ، يذكر ما كان من ابنه عوين :

لَمثلُكَ يا عوينُ فدتك نفسى * نجا من كُرْبَةٍ إن كان ناجى

عَرَفتك من مُصاص السِّنْخ[4] لما * تركت ابن العُكامِس فى العجاج

إنشاده عبد الملك أرجوزة يستعطفه بها

قال : ولما وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد الملك بسبب ما كان من ابنه عوين مَثَل بين يديه ، فأنشده :

---

(١) الفدان : الثور أو الثوران يقرن بينهما للحرث ، أو هو آلة الثورين ، يقال بتشديد الدال وبتخفيفها .

(٢) فدانيكما بالتثنية ، وروى : «فديتكما» (مهذب الأغانى ج ٤ ص ١١٧) ، ش ، ب .

(٣) كذا فى جـ ومهذب الأغانى ، وفى سائر النسخ : «ويذهب كل» .

(٤) مصاص السنخ ، يقال فلان مصاص قومه ، إذا كان أخلصهم نسبا . ويقال للفرد والمثنى والجمع بلفظ واحد . والسنخ : الأصل ، وورد فى س ، ب بالحاء المهملة ، تحريف .

يابن أبي العاصي ويا خير فتًى * أنت النجيبُ والخيارُ المصطفى
أنت الذي لم تدَعِ الأمرَ سُدَى * حينَ كشفتَ الظلماتِ بالهدى
ما زلتَ إن نازٍ على الأمر انتزى[1] * قَضَيته إنّ القضاء قد مضى
كما أذقتَ ابن سعيدٍ إذ عصى * وابنَ الزبير إذ تسمّى وطغى
وأنتَ إنّ عُدَّ قديم وبُنَى[2] * من عبد شمس في الشماريخ العلى
جِيبت قريشٌ عنكمُ جَوبَ الرَّحَى[3] * هل أنت عافٍ عن طريد قد غوى
أهوَى على مَهواةِ بئرٍ فهوَى * رَمَى به جُولٌ إلى جُولِ الرجا[4]
فتجبرَ اليومَ به شيخاً ذَوَى * يعوِى مع الذئب إذا الذئب عوى
وإن أراد النومَ لم يَقضِ الكرى * من هَولِ ما لاقى وأهوالِ الردى
يشكرُ ذاك ما نفَت عينٌ قذًى * نفسي وآبائي لك اليومَ الفِدا

فأمر عبدُ الملك بتحمُّل ما يلزمُ ابنَه من غُرْم وعَقْل، وأمّنه.

ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابي، قال:

مغاضبته عبد العزيز ابن مروان، ثم رجوعه إليه

وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد العزيز بن مروانَ ومدحه، فأجزل صِلته، وأمره بأنْ يقيمَ عنده ففعل، فلما طال مُقامُه اشتاق إلى الكوفة وإلى أهله، فاستأذن عبدَ العزيز فلم يأذَنْ له، فخرج من عنده غاضباً، فكتب عبدُ العزيز إلى أخيه بشر

(١) النازي: المتوثب. ويقال قضى عليه وقضاه، أي أهلكه.

(٢) البنى بكسر الباء وضمها جمع بنية بالكسر والضم: ما بنيته. والشماريخ مفرده شمراخ، وهي رءوس الجبال وأعالي السحاب.

(٣) جيبت بالجيم، ووردت بالخاء تصحيفا. وجاء في حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للأنصار يوم السقيفة: «إنما جيبت العرب عنا كما جيبت الرحى عن قطبها»، أي خرقت العرب عنا فكنا وسطا، وكانت العرب حوالينا كالرحى، وقطبها الذي تدور عليه.

(٤) الجول: جدار البئر. والرجا: ناحية البئر.

أن يمنعه عطاءه ، فمنعه ، ورجع عبدُ الله لما أضرّ به ذلك إلى عبد العزيز ، وقال يمدحه :

تركت ابنَ ليلى ضَـلَّةً وحريمَـه * وعند ابنِ ليـلى معقِل ومعوَّل (١)

ألم يَهـدِنى أنّ المُرَاغَم واسـعٌ * وأنّ الديار بالمقيم تَنَقَّـلُ (٢)

سأحكم أمرى إن بدا لى رشدُه * وأختار أهلَ الخير إن كنتُ أعقل

وأترك أوطارى وألحـقُ بامرئٍ * تَحَلَّبُ كفاه النَّدَى حين يسأل (٣)

أبت لك يا عبدَ العـزيزِ مآثرٌ * وجَرىٌ شأى جَرْىَ الجيـاد وأوّلُ (٤)

أبى لك إذْ أكدَوْا وقـلّ عطاؤهم * مواهبُ فيّـاض ومجـدٌ مؤثَّل (٥)

أبوك الذى يَنْميـك مروانُ للعلى * وسعدُ الفتى بالخـال لا من يُخَوَّل (٦)

فقال له عبـد العزيز : أمّا إذْ عرفت موضـع خطئك ، واعترفتَ به فقـد صفحتُ عنك. وأمر باطلاق عطائه ، ووَصَلَه ، وقال له : أقِم ما شئت عندنا ، أو انصرف مأذونا لك إذا شئت .

ونسخت من كتابه أيضا :

عبدالله بن الحجاج يعاونه قومه على عمر بن هبيرة

كان عمرُ بنُ هبيرةَ بنِ معيّة بنِ سكينٍ قد ظلم عبـد الله بن الحجاج حقا له ، واستعان عليه بقومه ، فَلَقَوه (٧) فى بعلبك ، فعاونوا عبدَ الله بن الحجاج عليه ، وفرّقوه بالسياط حتى انتزعوا حقّه منه ، فقال عبد الله فى ذلك :

(١) المعوّل : ما يعوّل عليه و يعتمد . (٢) المراغم : المهرب والمتسع .

(٣) الأوطار : الحاجات . (٤) شأى : سبق .

(٥) أكدوا : قل خيرهم وعطاؤهم . وفى س ، ب « كروا » . (٦) الخال : أخو الأم . ويخول : يدعى أنه خال وليس به . وفى الأصول : « وسعد الفتاة الخال » . (٧) التفريق : التخويف . وفى الأصول : « فوّقوه » ، تحريف .

ألا أبلغ بنى سعدٍ رسولًا * ودونهم بُسَيْطةُ فالمعاط (١)

أميطوا عنكم ضرطَ ابن ضرطٍ * فإنّ الخبثَ مثلهم يُماط (٢)

ولى حقٌّ قَرَاطةُ أوّلينا * قديما والحقوق لها افتراط (٣)

فما زالت مباسطتى ومجدى * وما زال التهايطُ والمياط (٤)

وجدّى بالسياط عليك حتّى * تُركتَ وفى ذُناباك انبساط (٥)

متى ما تعترض يوما لحقّ * تلاقك دونه سُعْرٌ سباط (٦)

من الحيّين ثعلبةَ بن سعدٍ * ومرّةَ أخذُ جمعِهم اعتباط (٧)

تراهم فى البيوت وهُم كسالى * وفى الهيجا إذا هِيجوا نِشاط

والقصيدةُ التى فيها الغناء بذكر أمر عبدالله بن الحجاج أولُها :

نأتْك ولم تخشَ الفراقَ جَنوبُ * وشطّت نَوًى بالظاعنين شَعوب (٨)

طربتَ إلى الحىّ الذين تحمّلوا * ببُرْقةِ أحوازٍ وأنت طروب (٩)

فظلْتُ كأنّى ساورتنى مُدامةٌ * تمنى بها شَكْسُ الطِّباع أريب (١٠)

تُمِرُّ وتستحلى على ذاك شَرْبُها * لوجه أخيها فى الإناء قُطوبُ

كميت إذا صبت وفى الكأس وردة * لها فى عظام الشاربين دبيب (١١)

تذكرتَ ذِكْرى من جنوبَ مصيبة * ومالك من ذكرى جنوب نصيبُ

(١) بسيطة بلفظ التصغير: أرض فى البادية بين الشام والعراق، سلكها أبو الطيب المتنبى لما هرب من مصر . (معجم البلدان) . والمعاط : لعله مكان . (٢) يماط : يكشف . (٣) القراطة : السابقة . لها افتراط : يخاف فوتها . (٤) التهايط والمياط ضدان، وهما الدنو والتباعد .

(٥) الذنابى : الذنب . (٦) السعر جمع أسعر: القليل اللحم الظاهر العصب . والسباط : الطوال .

(٧) الاعتباط : إلقاء النفس فى الحرب غير مكره . ووردت فى الأصول بالغين المعجمة محرفة .

(٨) شعوب : مفرقة . (٩) برقة أحواز سبق شرحها آخر ترجمة منصور النمرى .

(١٠) ساورتنى : أخذت برأسى . والشكس : الصعب الخلق . (١١) الكميت : الذى خالط حمرتها سواد . والوردة : الحمراء .

وأنّى ترجّى الوصلَ منها وقد نأت * وتَبخَلُ بالموجود وَهْىَ قريب
فما فوقَ وجدى إذ نأتْ وجدُ واجدٍ (١) * من النّاس لو كانت بذاك تثيب
بَرَهْرَهةٌ (٢) خَوْدٌ كأنّ ثيابها * على الشّمس تبدو تارةً وتغيب

وهى قصيدةٌ طويلة .

ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابى، قال :

الحجاج يحرض عبد الملك على قتل عبد الله بن الحجاج

كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يُعرِّفه آثار عبد الله بن الحجاج، و بلاءه من محاربته ، وأنه بلغه أنه أَمَّنه (٣) ، ويحرضه ويسأله أن يوفده إليه ليتولّى قتْلَه ، وبلغ ذلك عبدَ الله بنَ الحجاج، فجاء حتّى وقف بين يدَىْ عبد الملك ، ثم أنشده :

أعوذُ بثوبَيْك اللّذَيْنِ ارتداهما * كريمُ الثّنا (٤) من جَيبه المسكُ ينفحُ
فإن كنتُ ما كولا فكن أنتَ آكلى * وإن كنتُ مذبوحا فكن أنتَ تذبحُ

فقال عبد الملك : ما صنعْتَ شيئا . فقال عبدُ الله :

لأنتَ وخيرُ الظّافرين كرامُهم * عن المذنب الخاشى العقابَ صَفُوحُ
ولو زَلِقتْ من قبلِ عفوك نعلُه * ترامى به دَحْضُ (٥) المَقام بريحُ
نمى بك إن خانت رجالا عُروقهم * أُرومٌ (٦) ودينٌ لم يَخُنْكَ صحيحُ
وعَرفٌ سَرَى لم يَسرِ فى الناس مثلُه * وشأوٌ (٧) على شأو الرجال مَتوحُ

(١) الواجد بالجيم : المشوق . وورد فى ب ، س بالحاء المهملة .
(٢) البرهرهة : المرأة البيضاء الشابة والناعمة . والخود بالفتح : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة .
(٣) فى ح ، س : « يفده » .
(٤) الثناء : ما أثنيت به على المرء من مدح أو ذم .
(٥) الدحض بفتح الدال وسكون الحاء : الزلق . وفى الأصول بالراء . والبريح : المتعب .
(٦) الأروم جمع أرومة بالفتح والضم : الأصل . وفى الأصول : « ودين لم يجبك » ، تحريف .
(٧) الشأو : السبق والغاية . والمتوح : البعيد . وروى بالنون فى س ، ش ، ب .

تداركَني عفوُ ابن مروانَ بعدما * جَرَى لى من بعد الحياة سنيح[1]

رفعتُ مريحًا ناظرىَّ ولم أكد * من الهمِّ والكرب الشديد أريح

عبد الملك يمنع الحجاج من التعرض لعبد الله

فكتب عبد الملك إلى الحجاج: إنى قد عرفت من خُبث عبدِ الله وفسقِه ما لا يزيدنى علمًا به، إلا أنه اغتفلنى متنكِّرًا، فدخل دارِى، وتحرّم بطعامى، واستكسانى فكسوته ثوبا من ثيابى، وأعاذنى فأعذته، وفى دون هذا ما حَظَر علىَّ دَمَه، وعبدُ الله أقلُّ وأذلُّ من أن يُوقِعَ أمرا، أو ينكثَ عهدا فى قتله خوفًا من شره، فإنْ شكَرَ النعمة وأقامَ على الطاعة فلا سبيلَ عليه، وإن كفر ما أُوتِىَ وشاقَّ اللهَ ورسولَه وأولياءه فالله قَاتِلُه بسيف البغى الذى قتل به نظراؤُه ومن هو أشدُّ بأسا وشكيمة منه، من الملحدين، فلا تعرِضْ له ولا لأحدٍ من أهل بيتِه[2] إلا بخير، والسلام.

الوليد وابن هبيرة يأمران عبد الله بمبارزة رجل فى بركة ماء

٣٣ / ١٢

أخبرنى محمدُ بنُ يحيى الصولى، قال: حدّثنا الحَزَنْبَلُ عن عمرو بنِ أبى عمرو الشيبانى، قال:

كانت فى القريتين[3] بركةٌ من ماء، وكان بها رجل من كلبٍ يقال له دَعْكنةُ، لا يدخل البركةَ معه أحدٌ إلا غطه[4] حتى يغلبَه، فغطّ يوما فيها رجلًا من قيس بحضرة الوليدِ بنِ عبد الملكِ حتّى خرج هاربا، فقال ابنُ هبيرة وهو جالس عليها يومئذ: اللهم اصببْ علينا أبا الأقيرع عبدَ الله بن الحجاج. فكان أوّلَ رجلٍ انحدرت به راحلته، فأناخها ونزل، فقال ابن هُبيرة للوليد: هذا أبو الأقيرع والله يا أمير المؤمنين، أيهما أخزى الله صاحبه به. فأمره الوليد أن ينحطّ عليه فى البركة

(١) السنيح: السانح. وكانت العرب إذا جرت الطير من شمال الإنسان إلى يمينه تفاءلوا ويسمى بالسانح، فإذا مر من الميامن إلى المياسر تشاءموا ويسمى بالبارح. ويقال: «من لى بالسانح بعد البارح»، أى بالمبارك بعد المشئوم.

(٢) فيا عدا ش: «أهله شيئة».

(٣) القريتان: قرية بحمص.

(٤) غطه: غطسه.

والكلبيُّ فيها واقفٌ متعرِّضٌ للناس وقد صدّوا عنه . فقال له : يا أمير المؤمنين إنى أخاف أن يقتلنى فلا يرضى قومى إلّا بقتله ، أو أقتلَه فلا ترضى قومُه إلّا بمثل ذلك ، وأنا رجلٌ بدوىٌّ ولستُ بصاحب مال . فقال دعكنةُ : يا أمير المؤمنين هو فى حِلّ وأنا فى حلّ . فقال له الوليدُ : دونك . فتكأكأ[1] ساعةً كالكارِه حتى عزم عليه الوليد ، فدخل البركة ، فاعتنق الكلبيَّ وهوى به إلى قعرها ، ولزمَه حتّى وجد الموت ، ثم خلّى عنه ، فلما ملا غطّه غطّةً ثانيةً ، وقام عليه ثم أطلقه حتى تروّح ، ثم أعاده وأمسكه حتّى مات ، وخرج ابنُ الحجاج وبقى الكلبيُّ ، فغضب الوليد وهمّ به ، فكلّمه يزيد وقال : أنت أكرهته ، أفكان يُمكِّنُ الكلبيُّ من نفسه حتّى يقتله ؟ فكفّ عنه . فقال عبد الله بن الحجّاج فى ذلك :

نجّانى اللهُ فـردًا لا شريك له * بالقريتين ونفسُ صُلبةُ العـود
وذمّـة مِن يزيدٍ حالَ جانبُها * دونى فأنجيتُ[2] عفـواً غيرَ مجهـود
لولا الإلهُ وصبرى فى مغاطستِى * كان السليمَ وكنت الهالكَ المودى

صـــوت

يا حبّذا عمـلُ الشيطان من عمل * إنْ كان من عمل الشيطان حُبِّيها[3]
لَنظرةٌ[4] من سليمى اليـومَ واحدةٌ * أشهى إلىَّ من الدُّنيـا وما فيها

الشعرُ لناهض بنِ ثُومة الكلابىّ ، أنشدنيه هاشمُ بنُ محمد الخزاعىُّ ، قال : أنشدنا الرياشىُّ قال : أنشدنا ناهضُ بنُ ثومةَ أبو العطاف الكلابىُّ هذين البيتين لنفسه . وأخبرنى بمثل ذلك عمى عن الكُرَانىّ عن الرياشى . والغناءُ لأبى العبيس ابن حمدون ثقيلٌ أوّل يُنشد بالوُسطى .

(١) تكأكأ : نكص وجبن . (٢) فأنجيت بالجيم فى ش ، أما فى ح ، س فبالحاء ، وهو تصحيف .
(٣) حبيها : أى حبى إياها . (٤) لنظرة بالنون ، وروى فى ش ، ح بالقاف ، وهو تحريف .

أخبار ناهض بن ثومة ونسبه

أخبار ناهض بن ثومة ونسبه

هو ناهضُ بن ثُومة بنِ نصيح بنِ نَهِيك بنِ إمامِ بنِ جهضَم بن شهاب بنِ أنس ابنِ ربيعة بنِ كعب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. شاعرٌ بدويٌّ فارس فصيح، من الشعراءِ في الدولة العباسية، وكان يَقدَم البصرة فَيُكْتَبُ عنه شعره، وتؤخذ عنه اللغة. روى عنه الرياشي، وأبو سراقة، ودَماذ وغيرُهم من رواة البصرة. وكان يهجوه رجلٌ من بنى الحارثِ بنِ كعبٍ، يقال له : نافعُ بنُ أشعر الحارثيُّ، فأثرى[1] عليه ناهض . فمما قاله فى جوابِ قصيدةٍ هجا بها قبائلَ قيس، قصيدةُ ناهض التى أولها :

٣٤/١٢

ألا يا اسلما يأيُّها الطللانِ * وهل سالمٌ باقٍ على الحدَثانِ

أبينا لنا، حُيِّيتُما اليومَ، إننا * مبينان عن ميْلٍ بما تَسَلانِ

متى العهدُ مِنْ سلمى التى بَتَّت[2] القُوى * وأسماءَ إن العهد منذ زمانِ

ولا زال ينهلُّ الغمامُ عليكما * سبيلَ الرُّبى من وابلٍ[3] ودِجانِ

فإن أنتما بيَّنتما أو أجبتما * فلا زلتما بالنبتِ ترتديانِ

وجُرَّ الحريرُ والفِرِندُ[4] عليكما * بأذيالِ رَخْصاتِ الأكُفِّ هِجانِ

نظرت ودونى قيدُ[5] رمحين نظرةً * بعينين إنساناهما غرِقانِ

إلى ظُعُنٍ[6] بالعاقِرَين كأنها * قرائنُ من دوحِ الكثيبِ ثمانِ

---

(١) فأثرى عليه : كان أكثر منه . (٢) بتت : قطعت . وفى بعض الأصول : « تبت » وفى بعضها « فتت » محرفتان . (٣) الوابل : المطر الشديد الضخم القطر . والدجان : الأمطار الكثيرة . (٤) الفرند : ضرب من الثياب . والهجان : البيض . (٥) القيد بكسر القاف : القدر والمقدار . (٦) الظعن بضم الأول والثانى جمع ظعينة وهى : الهودج فيه امرأة أم لا ، وهى أيضا المرأة ما دامت فى الهودج . والعاقرين بفتح الراء : أرضان فى وادى العقيق متكافئتان ، ويحيطان بقرية لبنى أسد . والقرائن : المماثلات المتكافئات . والدوح : الشجر . والكثيب : الرمل .

لسلمى وأسماءَ اللتين أَكَنّتا * بقلبى كَنِينَىْ لوعةٍ وضمان (١)

عسى يُعقِبُ الهجرُ الطويل تدانيا * ويا ربَّ هجرٍ معقبٍ بتدانى

خليلىَّ قد أكثرتما اللومَ فاربَعا * كَفَانِىَ ما بى لو تُركتُ كفانى (٢)

إذا لم تصِلْ سَلمى وأسماءُ فى الصِّبا * بحبليهما حَبْلى فمن تصلانِ (٣)

فدع ذا ولكن قد عجِبتُ لنافع * ومَعواه من نَجرانَ حيث عوانى

عوى أسدًا لا يزدهيه عواؤه * مقيما بِلوذَىْ يَذْبُلٍ وذقان (٤)

لعمرى لقد قال ابنُ أشعَرَ نافعٌ * مقالةَ موطوءِ الحريم مهان (٥)

أيزعم أنّ العامرىّ لفعله * بِعاقِبةٍ يُرمَى به الرجوان (٦)

ويذكر إن لاقاه زلّةَ نعله * بِحَىٍّ للذى لم يستبن ببيان

كذبت ولكن بابن علبة جعفرٍ * فدَع ما تمنّى زلّت القدمان

أصيب فلم يُعقَل وطُلّ فلم يُقَد * فذاك الذى يَخزَى به الأبوان (٧)

وحُقّ لمن كان ابنُ أشعر ثائرًا * به الطَّلُّ حَتّى يحشر الثَّقَلان (٨)

ذليلٌ ذليلُ الرهط أعمَى يسومُه * بنو عامرٍ ضَيْما بكلّ مكان

(١) اللتين فى ش ، وفى سائر الأصول «البنين» وهو تحريف . كنينى : مثنى كنين ، أى مكنون .

(٢) اربعا : أمسكا وتوقفا .

(٣) معواه : صوته .

(٤) اللوذ : جانب الجبل وما يطيف به . ويذبل وذقان : جبلان .

(٥) فى الأصول : «لقد كان» . الموطوء : المداس المحتقر. فى ش «أصرع» وفى ج «أضرع» وإنما هو نافع بن أشعر، كما سبق فى أول الحديث .

(٦) الرجوان ، يقال رمى به الرجوان أى استهين به استهزاء وطرح فى المهالك . وهو مثل ، كأنه رمى به رجوى بئر . والرجا : الناحية ، وناحية البئر ، والجمع أرجاء .

(٧) لم يعقل : لم تؤد ديته . والطل : هدر الدم . لم يقد : يقال أقاد القاتل بالقتيل أى قتله به .

(٨) فى س ، ش «الطل» بالطاء المهملة وفى جـ بالمعجمة . وفى الأصل : «ابن أصفر» تحريف .

فلم يبق إلّا قوله بلسانه * وما ضرَّ قولٌ كاذبٌ بلسان
هجا نافعٌ كعبًا ليدرك وتره * ولم يهج كعبٌ نافعا لأوان
ولم تعفُ من آثار كعبٍ بوجهه * قوارعُ منها وُضَّحٌ وقوانِ (١)
وقد خضّبوا وجهَ ابنِ علبةَ جعفرٍ * خضابَ نجيعٍ لا خضابَ دِهان (٢)
فلم يهج كعبا نافعٌ بعد ضربةٍ * بسيف ولم يطعُنْهمُ بِسنان
فما لك مَهْجًى يا ابن أشعر فاكتعِمْ * على حجر واصبر لكل هوان (٣)
إذا المرء لم ينهض فيثأرْ بعمّه * فليس يُحَلِّي العارُ بالهذيان
أبي قيسُ عيلانٍ وعمّيَ خندفٌ * ذَوا البذخ عند الفخر والخطران (٤)
إذا ما تجمّعنا وسارت حذاءنا * ربيعة لم يُعدَل بنا أخوان
أليس نبيُّ الله منّا محمّد * وحمزةُ والعباسُ والعمران
ومنا ابنُ عباسٍ ومنا ابن عمِّه * عليٌّ إمامُ الحق والحسنان
وعثمان والصِّدِّيقُ منا و إننا * لنعلم أن الحقّ ما يَعدان
ومنا بنو العباس فضلا فمن لكم * هَلُمُّوه أولا ينطقَنَّ يمان

ناهض ينشد أيوب بن سليمان قصيدة

قال : فأنشد ناهضٌ هذه القصيدةَ أيوبَ بنَ سليمان بنِ علي بالبصرة، وعنده خالٌ له من الأنصار، فلما خَتمها بهذا البيت قال الأنصاري : أخرسنا أخرسه الله !

من شعر جدّه نصيح

وكان جدّه نصيحٌ شاعرا، وهو الذي يقول :

ألا مَن لقلبٍ في الحِجاز قسيمُه * ومنه بأكناف الحِجاز قسيمُ

(١) القوارع : الإصابات . الوضح : جمع واضحة، وهى الشجة التى تبدى وضح العظم . والقواني : الشديدة الحمرة . (٢) النجيع : دم الجوف . (٣) اكتعم لم توجد فى المعجمات، ويوجد كعم البعير : شدّ فاه لئلا يعض . وفى الأصول : « ابن أصفر » . (٤) الخطران : أن يرفع الإنسان رمحه وسيفه مرة ثم يضعهما أخرى ؛ وفى المشى أن يرفع يديه ويضعهما .

معاوِدٍ شكوى أن نأت أمُّ سالِمٍ * كما يشتكى جُنحَ الظلامِ سليم (١)
سليمٌ لِصِلٍّ أسلمته لما بِهِ * رُقًى قلّ عنه دفعُها وتميم (٢)
فلم تَرِمِ الدارَ البزيصاءَ فالصفا * صَفاها نخلّاها فأين تريم (٣)
وقفت عليها بازلًا ناجيَّةً * إذا لم أزَعها بالزمامِ تعوم (٤)
كِنازًا من اللاتى كأنّ عِظامها * جُبِرْنَ على كسرٍ فهنّ عثوم (٥) ٥

الفضل بن العباس يحدث فى بداوة ناهض

أخبرنى الحسنُ بن على الخفّافُ، قال: حدّثنا محمدُ بن القاسم، قال: حدّثنى الفضل بنُ العباسِ الهاشمى من ولدِ قُثَم بنِ جعفر بنِ سليمان عن أبيه، قال:

كان ناهض بن ثُومة الكلابىّ يفد على جَدّى قثم فيمدحه، ويَصِله جدّى وغيره، وكان بدويًّا جافيا كأنّه من الوحش، وكان طيِّب الحديث، فحدّثه يوما: أنهم انتجعوا ناحيةَ الشام، فقصد صديقًا له من ولدِ خالدِ بنِ يزيد بنِ معاوية ١٠ كان ينزل حلبَ، فإذا نزل نواحِيَها أتاه فمدحه، وكان برًّا به، قال: فمررت بقرية

ناهض يصف ولبية وصف البدوى لما لم يره من قبل

يقال لها قريةُ بكرِ بنِ عبدِ الله الهلالى، فرأيت دورًا متباينة وخِصاصا (٦) قد ضمّ بعضها إلى بعض، وإذا بها ناسٌ كثير مقبلون ومدبرون، عليهم ثيابٌ تحكى ألوان الزهر، فقلت فى نفسى: هذا أحد العيدَين: الأضحى أو الفطر. ثم ثاب إلىّ ما عزَب عن عقلى، فقلت: خرجت من أهلى فى باديةِ البصرة فى صفر، وقد مضى العيدان قبل ١٥ ذلك، فما هذا الذى أرى؟ فبينا أنا واقفٌ متعجّب أتانى رجل فأخذ بيدى،

(١) السليم: اللديغ. (٢) الصل: الحية. الرق: التعاويذ. والتميم: جمع تميمة.
(٣) الخل بالفتح: الطريق [...] فى الرمل. وتريم: تفارق. (٤) البازل ورد فى س، ب بالنون وهو تصحيف، وهو ما كان من الإبل فى السنة التاسعة، وليس بعده سن تسمى. فى س، ب، جـ: «لم أردها». (٥) كناز: كثيرة اللحم صلبته. والعثوم: المنجبرة على غير استواء. ٢٠
(٦) الخصاص: البيوت من القصب، جمع خص.

فأدخلني دارًا قَوْراء(١)، وأدخلني منها بيتا قد نُجِّد في وجهه فُرُش ومُهِّدت، وعليها شابٌّ ينال فروعُ شعره مَنكِبيه، والناس حوله سِماطان(٢)، فقلت في نفسي: هذا الأمير الذي حكي لي جلوسُه على الناس وجلوسُ الناس بين يديه، فقلت وأنا ماثل بين يديه: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته. فجذب رَجُلٌ يدي، وقال: اجلس فإن هذا ليس بأمير. قلت: فما هو؟ قال: عروس. فقلت: واثكلَ أمّاه، لربَّ عَرُوسٍ رأيتـه بالبادية أهونُ على أهله من هَنِ(٣) أمه. فلم أَنْشَبْ(٤) أن دخل رجالٌ يحملون هَنَاتٍ(٥) مدوَّراتٍ، أمّا ما خفَّ منها فيُحْمل حملا، وأما ما كبر وثقُل فيدحرج فوضع ذلك أمامنا، وتحلّق القومُ عليه حلقا، ثم أُتينا بخِرَقٍ بيض فأُلقِيَتْ بين أيدينا، فظننتُها ثيابا، وهممتُ أن أسألَ القوم منها خِرقًا أقطّعها قميصا، وذلك أني رأيتُ نسجًا مُتلاحما لا يبين له سَدًى ولا لحمة، فلما بسطَهُ القومُ بين أيديهم إذا هو يتمزّق سريعا، وإذا هو — فيما زعموا — صِنفٌ من الخُبز لا أعرفه؛ ثم أُتينا بطعام كثير بين حلوٍ وحامضٍ، وحارٍ وباردٍ، فأكثرتُ منه وأنا لا أعلم ما في عَقِبه من التَّخَم والبَشَم؛ ثم أُتينا بشرابٍ أحمرَ في عِساس(٦)، فقلت: لا حاجة لي فيه، فإني أخاف أن يقتلني. وكان إلى جانبي رجل ناصح لي أحسن الله جزاءه، فإنه كان ينصح لي من بين أهل المجلس، فقال: يا أعرابي إنك قد أكثرتَ من الطعام، وإن شربت الماء هَمَى(٧) بطنُك. فلما ذكر البطن تذكّرت شيئا أوصاني به أبي والأشياخُ من أهلي، قالوا: لا تزال حيًّا ما كان بطنُك شديدا فإذا اختلف(٨) فأوصِ. فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به، وجعلت أُكْثِر منه فلا أَمَلُّ شربَه، فتداخلني من ذلك

(١) القوراء: الواسعة.
(٢) السماطان: الصفان.
(٣) الهن: الفرج.
(٤) فلم أنشب، يقال ما نشبت أفعل كذا أي مازلت.
(٥) هنات: أشياء، جمع هنة.
(٦) عساس بكسر العين جمع عس بالضم: هي القداح الكبيرة.
(٧) همى بطنه: أي انطلق.
(٨) اختلف: أصابه إسهال.

صلفٌ لا أعرفه من نفسى، وبكاءٌ لا أعرف سببَه ولا عهدَ لى بمثله، واقتدارٌ على أمرى أظنُّ معه أنى لو أردتُ نيل السَّقف لبلغتُه، ولو ساورت[1] الأسد لقتلته، وجعلت ألتفت إلى الرجل الناصح لى فتحدِّثُنى نفسى بهتْم أسنانه وهَشْم أنفه، وأهُمُّ أحيانًا أن أقول له : يا ابن الزانية ! فبينا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعة، أحدهم قد علَّق فى عنقه جَعبة فارسيَّة مشنَّجة[2] الطرفين دقيقة الوسط، مشبوحة بالخيوط شبحًا منكرا؛ ثم بدر الثانى فاستخرج من كمِّه هَنَةً سوداء كفيشلة[3] الحمار، فوضعها فى فيه، وضرط ضُراطًا لم أسمع — وبيتِ الله — أعجَبَ منه، فاستتمّ بها أمرهم، ثم حرّك أصابعه على أجْحرةٍ فيها فأخرج منها أصواتا ليس كما بدأ تشبه بالضراط ولكنّه أتى منها لمّا حرك أصابِعَه بصوتٍ عجيبٍ متلائم متشاكلٍ بعضُه لبعض، كأنه، علم الله، ينطق . ثم بدا ثالث كزٌّ[4] مقيت عليه قميص وسخ، معه مرآتانِ، فجعل يصفِّق بيديه إحداهما على الأخرى فخالطتا بصوتهما[5] ما يفعله الرجلانِ، ثم بدا رابع عليه قميص مصون وسراويل مصونة وخفان أجذمان[6] لاساق لواحدٍ منهما، فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور العقاربِ، ثم التبط[7] به على الأرض، فقلت : معتوهٌ وربِّ الكعبةِ ! ثم ما برح مكانه حتّى كان أغبط القوم عندى . ورأيت القوم يحذفونه[8] بالدراهم حذفا منكرا، ثم أرسل النساء إلينا : أن أمتِعونا

(١) ساورت الأسد : واثبته . وفى ب، س : « شاوت » .

(٢) المشنجة : المتقبضة . (٣) الفيشلة : الحشفة ورأس كل مدور .

(٤) الكز : الجهم المتقبض . والمقيت : الممقوت .

(٥) فى الأصول : « فخالطت بصوته » .

(٦) الأجذمان : من قولهم « أجذم » ، أى مقطوع اليد .

(٧) التبط به ، المعروف « لبط به » أى صرع .

(٨) يحذفونه : يرمونه .

من لهوكم هذا . فبعثوا بهم ، وجعلنا نسمع أصواتهن من بعد ، وكان معنا في البيت شابٌ لا آبه له[1] ، فعلت الأصواتُ بالثناء عليه والدعاء، فخرج بجفاء بخشبة عيناها في صدرها ، فيها خيوط أربعة ، فاستخرج من خلالها عودًا فوضعه خلف أذنه ، ثم عرك آذانها وحرّكها بخشبة في يده فنطقت — وربِّ الكعبة — وإذا هي أحسنُ قينةٍ رأيتُها[2] قطُّ ، وغنّى عليها ، فأطربني حتى استخفني من مجلسي ، فوثبتُ فجلست بين يديه ، وقلتُ : بأبي أنت وأمي ، ماهذه الدابةُ فلست أعرفها للأعراب وما أراها خُلقتْ إلا قريبا . فقال : هذا البربط[3] ؟ فقلت : بأبي أنت وأمي ، فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : الزير[4] . قلت : فالذى يليه ؟ قال : المَثْنَى[5] . قلت : فالثالث ؟ قال : المَثْلث[6] . قلت : فالأعلى ؟ قال : البمّ[7] . قلت : آمنت بالله أوّلا ، وبك ثانيا ، وبالبربط ثالثا ، وبالبم رابعا .

قال : فضحك أبي ، والله ، حتى سقط ، وجعل ناهضٌ يعجب من ضحكه ، ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا الحديثَ ، ويُطرف به إخوانه فيعيده ويضحكون منه .

وقد أخبرني بهذا الخبر أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهري ، قال : حدّثنا عليُّ بنُ محمد النوفليُّ ، عن أبيه ، قال : كان محمدُ بن خالد بن يزيد بن معاويةَ بحلب ، فأتاه أعرابيٌّ ، فقال له : حدّث أبا عبد الله — يعني الهيثم بنَ النّخعي — بما رأيت في حاضر المسلمين . فحدّثه بنحوٍ من هذا الحديث ، ولم يُسَمِّ الأعرابيَّ باسمه ، وما أجدَرَه بأن يكون لم يعرفه باسمه ونسبه أو لم يعرفْهُ الذى حدّث به النوفلي عنه .

---

(١) لا آبه له : لا أفطن أو نسيته ثم فطنت له .
(٢) القينة : المغنية .
(٣) البربط : العود .
(٤) الزير : أدق أوتار العود .
(٥) المثنى : من أوتار العود بعد الأول .
(٦) المثلث من أوتار العود .
(٧) البم : الوتر الغليظ من أوتار المزهر .

الكميت يستعدى قومه بنى كلاب على من عقر إبله

نسخت من كتاب لعلى بن محمد الكوفى فيه شعرُ ناهض بن ثومة قال : كان رجل من بنى كعب قد تزوّج امرأةً من بنى كلاب ، فنزل فيهم ثم أنكر منها بعض ما ينكره الرجلُ من زوجته فطلّقها ، وأقام بموضعه فى بنى كلاب ، وكانوا لا يزالون يستخفّون به و يظلمونه ، و إن رجلًا منهم أوردَ إبله الماءَ فوردت إبلُ الكعبىّ عليها ، فزاحمتْه ، لكنها ألقته على ظهره فتكشّفَ ، فقام مُغْضَبا بسيفه إلى إبل الكعبى ، فعقر منها عدّةً ، وجَلَاها عن الحوض ، ومضى الكعبىّ مستصرخا بنى كلابٍ على الرجل ، فلم يُصْرِخوه ، فساق باقى إبله واحتمل بأهله حتى رجع إلى عشيرته ، فشكا ما لقى من القوم واستصراخَهم ، فغضبوا له ، وركبوا معه حتى أتَوْا حِلّةَ بنى كلاب ، فاستاقوا إبلَ الرجل الذى عَقَرَ لصاحبهم ، ومضى الرجلُ بجمع عشيرته ، وتداعت هى وكعبٌ للقتال ، فتحاربوا فى ذلك حربا شديدا ، وتمادَى الشرّ بينهم ، حتى تساعَى حلماؤهم فى القضية ، فأصلحوها على أن يُعقَل القتلى والجرحى ، وتُرَدَّ الإبل ، وتُرْسَل من العاقر عدةُ الإبل التى عقرها للكعبى ، فتراضوا بذلك واصطلحوا ، وعادوا إلى الألفة ، فقال فى ذلك ناهضُ بنُ ثومةَ :

أمِن طلل بأخطبَ أبّدَته * نِجاءُ الوبل والدِّيَمُ النِّضاحُ[1]
ومَرُّ الدهر يوما بعد يوم * فما أبقى المساءُ ولا الصباحُ
فكل محَلّة غنيت بسلمى * لرَيدات الرياح بها نُواحُ[2]
تَطُلُّ على الجفون الحزن حتى * دموعُ العين ناكزةٌ نزاحُ[3]

(١) أخطب : اسم جبل بنجد . وأبدته : أوحشته . نجاء بالنون والجيم : جمع نجو ، وهو السحاب الذى قد هراق ماءه . والديم : جمع ديمه ، وفى الأصل : «الضيم» . والنضاح : التى تنضح بالماء ، ووردت فى الأصول بالصاد المهملة . (٢) غنيت : عمرت . فى ش ، ح بالعين المهملة وهو تصحيف . الريدات : جمع ريدة ، وهى الريح الكثيرة الهبوب . وفى الأصول : «لربدات» . (٣) تطل فى س ، ش بالطاء المهملة . أما فى ح فبالظاء المعجمة . أراد أنها تهدر الحزن وتبطله ، وذلك لكثرة ما استنزفت من الدمع . والناكزة : التى فنى ماؤها ، والنزاح كذلك .

وهي طويلة يقول فيها :

هنيئا للعدى سخط ورغم * وللقرعين بينهما اصطلاح

وللعين الرقاد فقد أطالت * مساهرة وللقلب انتجاح

وقد قال العداة نرى كلابا * وكعبا بين صلحهما افتتاح

تداعوا للسلام وأمر نجح * وخير الأمر ما فيه النجاح

ومدوا بينهم بحبال مجد * وثدي لا أجد ولا صياح [1]

ألم تر أن جمع القوم يخشى * وأن حريم واحدهم مباح

وأن القدح حين يكون فردا * فيهصر لا يكون له اقتداح [2]

وإنك إن قبضت بها جميعا * أبت ما شمت واحدها القداح

أنا الخطار دون بني كلاب * وكعب إن أتيح لهم متاح [3]

أنا الحامي لهم ولكل قرم * أخ حام إذا جد النضاح [4]

أنا الليث الذي لا يزدهيه * عواء العاويات ولا النباح

سل الشعراء عني هل أقرت * بقلبي أو عفت لهم الجراح [5]

فما لكوا لهل الشعراء بد * من القتب الذي فيه لحاح [6]

ومن توريك راكبه عليهم * وإن كرهوا الركوب وإن ألاحوا [7]

(١) الأجد : المقطوع . والصياح : اللبن الرقيق الممزوج .

(٢) القدح : العود . ويهصر : يكسر . والاقتداح : الضرب به .

(٣) الخطار : الذي يخطر بالسيف ويهزه معجبا . والمتاح : ما يتاح ويقدر .

(٤) القرم : السيد . النضاح : الدفاع ، يقال هو يناضح عن قومه ؛ أي يذب عنهم .

(٥) عفت : زالت وانقطعت .

(٦) القتب : الرحل . اللحاح : العقر والكسر .

(٧) التوريك : الاعتماد على الورك . وألاحوا : أعرضوا .

ما وقع بين بنى نمير وبنى كلاب وشعر ناهض فى ذلك

ونسخت من هـذا الكتاب الذى فيه شعره ، أنّ وقعـةً كانت بين بنى نمـير وبنى كلاب بنواحى ديار مضر ، وكانت لكلابٍ على بنى نُمير ، وأن نميرا استغاثت ببنى تميم ، ولجأت إلى مالكِ بن زيدٍ سـيد تميم يومئـذٍ بديار مضر ، فمَنَع تميما من إنجادهم ، وقال : ما كنّا لِنُلْقَ بين قيس وخِندف دِماءً نحن عنها أغنياء ، وأنتم وهم لنـا أهلٌ وإخوة ، فإن سـعيتم فى صلح عاونّا ، وإن كانت حَمالة[1] أعنّا ، فأمّا الدماء فلا مدخلَ لنا بينكم فيها . فقال ناهض بن ثُومةَ فى ذلك :

سـلام الله يا مالِ بنَ زيد * عليك وخير ما أُهْـدى السلاما

تعـلم أننـا لـكم صـديق * فـلا تستعجلوا فينـا المـلاما

ولكنا وحىٌّ بنى تمـيم * عداةٌ لا نرى أبدا سـلاما

وإن كنّا تكافَفْنا[2] قليـلا * كحرف السِّـيف ينهار انهداما

وهَيْضُ[3] العظم يُصبح ذا انصداع * وقـد ظَنّ الجهـول به آلتئاما

فلن ننسى الشـبابَ المُرْدَ منّا * ولا الشِّيب الجحاجِحَ[4] والكِراما

ونوحَ نوائحٍ منّـا ومنهـم * مآتم ماتجِفّ لهـم سجاما[5]

فكيف يكون صلحٌ بعد هذا * يرجّى الجاهلون لهـم تمـاما

ألا قـل للقبـائل من تمـيم * وخُصّ لمـالكٍ فيها الكلاما

فـزيدُوا يابنى زيـدٍ نُمـيرا * هَـوانا إنه يـدنى الفطاما

ولا تُبقـوا على الأعداء شيئا * أعزّ الله نصرَكـم وداما

(١) الحمالة : الدية التى يحملها قوم عن قوم .

(٢) تكاففنا : كف بعضنا عن بعض . السيف بكسر السين : جانب الشاطئ .

(٣) الهيض : الكسر بعد الجبور .

(٤) الجحاجح : السادة من القوم ، جمع جحجح .

(٥) السجام ، يقال سجم العين والدمع والماء يسجم سجوما وسجاما ، إذا سال .

وجدت المجد فى حَىَّىْ تميم * ورَهْط الهَذْلق[1] الموفى الذماما

نجوم القوم مازالوا هُداةً * وما زَالُوا لآبيهم[2] زماما

هم الرأس المقدم من تميم * وغاربُها[3] وأوفاها سَناما

إذا ما غاب نجمٌ آب نجم * أغرُّ نرى لطلعته ٱبتساما

٥ فهذى لابن ثُومَةَ فانسُبوها * إليه لا اختفاءَ ولا اكتتاما[4]

وإن رغِمَت لذاك بنو نُمَيْرٍ * فلا زالت أُنوفُهم رَغاما[5]

قال: يعنى بالهذلق الهذلقَ بنَ بشير، أخا بنى عتيبة بن الحارث بن شهاب، وابنيه علقمةَ وصباحا.

فخر ناهض بقومه

قال: وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين فلم تُصب كلابا ولا نميرا، فلما

١٠ ظفرت كلابٌ قال لهم ناهض:

٣٩ / ١٢

ألا هل أتى كعبًا على نأيِ دارهم * وخذلانهم أنا سَرَرنا بنى كعب

بما لقيت منا نميرٌ وجمعُها * غَداةَ أتينا فى كتائبنا الغُلْبُ[6]

فيالك يومًا بالحمى لا نرى له * شبيها وما فى يوم شيبان من عَتْب

أقامت نمير بالحمى غير رغبة * فكانَ الذى نالت نمير من النهب

١٥ رءوسٌ وأوصالٌ يزايل بينها * سباعٌ تدلّت من أباتَيْن والهضْب[7]

(١) الهذلق: هو ابن بشير أخو بنى عتيبة ابن الحارث بن شهاب.

(٢) الآبى: الكاره. (٣) الغارب: الكاهل أو ما بين السنام والعنق.

(٤) الاكتتام: الاختفاء. (٥) رغم: ذل. وأنوفهم رغام أى ذليلة.

(٦) فى الأصول: «فى كتائبها القلب». والغلب: جمع غلباء، وهى العزيزة الممتنعة.

٢٠ (٧) يزايل: يفرق. الأباناتان: جبلان يقال لأحدهما: الأبان الأبيض وهو لبنى فزارة، ثم لبنى جريد منهم، والأبان الأسود لبنى أسد، ثم لبنى والبة، ثم للحارث بن ثعلبة بن هودان بن أسد. وقال صاحب اللسان: إن الأبيض لبنى أسد والأسود لبنى فزارة.

لنـا وقَعاتٌ فى نمـير تتابعت * بضيمٍ على ضيمٍ ونكبٍ على نكب (١)

وقـد علمت قيسُ بن عيلان كلُّها * وللحرب أبنـاءٌ بأنا بنـو الحرب

ألم ترهم طُرًّا علينـا تحـزَّبوا * وليس لنـا إلا الرُّدَيْنِىُّ من حزب (٢)

وإنا لنقتادُ الجيـادَ على الوجى * لأعدائنا مَن لا مُدان ولا صَقْب (٣)

ففى أى فجٍّ ما ركزنا رماحنا * مخوفٍ بنصب للعِدا حين لا نصب (٤)

شعر عمارة فى تحريض كعب وكلاب على بنى نمير

أخبرنا جعفرُ بن قدامة بن زيادٍ الكاتبُ ، قال : حدثنى أبو هِفَّان ، قال : حدثنى غُزَيْرُ بن ناهض بن ثومة الكلابى ، قال : كان شاعر من نمير يقال له : رأسُ الكبش ، قد هاجى عُمارة بنَ عقيل بن بلال بن جرير زمانا ، وتناقضا الشعر بينهما مدة ، فلما وقعت الحرب بيننا و بين بنى نمير قال عمارة يحرض كعبا وكلابا ابنى ربيعة على بنى نمير فى هذه الحرب التى كانت بينهم ، فقال :

رأيتـكما يا ابنَىْ ربيعـةَ خُرْتُمـا * وعَوّلتُما والحـربُ ذات هرير (٥)

وصـدقتما قول الفرزدق فيـكما * وكذبتما بالأمس قـول جرير

فإن أنتما لم تقـذعا الخيل بالقنـا * فصيرا مع الأنبـاط حيث تصير (٦)

تسـومكما بغيا نمـيرٌ هضيمةً * ستُنجد أخبـارٌ بهـم وتغـور (٧)

---

(١) النكب كالنكبة ، وهى المصيبة . (٢) الرديني : الرمح المنسوب إلى (ردينة) ، وهى امرأة كانت تقـوم الرماح . (٣) الوجى : الحفا ، وهـو أن يرق القـدم أو الحافر ، وفى الصحاح : هو الوجع . والمدانى : القريب . وكذلك الصقب . (٤) النصب : يقال نصبه الشر وناصبه ، إذا أظهره له . (٥) خرتما : ضعفتما . وعوّل الرجل : رفع صوته بالبكاء والصياح . وفى كل الأصول : « وعوّدتما » . (٦) القذع : الكف والمنع ، ومثله القدع ، بالدال المهملة . وصيرا فى س ، ش ، وفى جـ « فصيروا » وهو تحريف . النبط : جيل من العجم ينزل بين العراقين سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء ، واستعمل فى أخلاط الناس وعوامهم ، ومنه كلمة نبطية أى عامية . وفى « تصير » إقواء ، وكذلك فى « تغور » فى البيت التالى .

(٧) تنجد : تأتى نجدا . تغور : تأتى الغور

قال : فارتحلت كلاب حين أتاها هذا الشعر ، حتى أتوا نميرا وهم فى هضبات يقال لهن واردات⁽¹⁾ ، فقتلوا واجتاحوا ، وفضحوا نميرا ، ثم انصرفوا ، فقال ناهض ابن ثومة يجيب عمارة عن قوله :

تحضضنا عمارة فى نمير ⁽²⁾ * لتشغلهم بنا وبه أرابوا
ويزعم أنت خنا وأنا * لهم جار المقربة المصاب
سلوا عنا نميرا هل وقعنا * بثروتها التى كانت تهاب
ألم تخضع لهم أسد ودانت * لهم سعد وضبة والرباب
ونحن نكرها شعثا عليهم * عليها الشيب منا والشباب
رغبنا عن دماء بنى قريع * إلى القلعين إنهما اللباب ⁽³⁾
صبحناهم بأرعن مكفهر ⁽⁴⁾ * يدف كأن رايته العقاب
أجش من الصواهل ذى دوى ⁽⁵⁾ * تلوح البيض فيه والحراب
فأشعل حين حل بواردات ⁽⁶⁾ * وثار لنقعه ثم انصباب
صبحناهم بها شعث النواصى * ولم يفتق من الصبح الحجاب
فلم تغمد سيوف الهند حتى * تعيلت الحليلة والكعاب ⁽⁷⁾

(١) واردات : اسم مكان على يسار طريق مكة للذاهب إليها ، وقال أبو عبيدة : إنها عن يمين سميراء ، ويوم واردات معروف بين بكر وتغلب قتل فيه بجير بن الحارث بن عباد ، مرة ، وفيه يقول المهلهل :

فإنى قد تركت بواردات * بجيرا فى دم مثل العبير

(٢) تحضضنا : يحرضنا عليهم ، أرابوا : تشككوا .

(٣) القلعان : هما صلاءة وشريح ابنا عمرو بن خويلفة بن عبد الله بن الحارث بن نمير

(٤) الأرعن : يقال جيش أرعن أى له فضول ، يدف : يدب ويسير بلين .

(٥) الأجش : الغليظ الصوت . (٦) أشعلت الغارة : تفرقت

(٧) تعيلت : أهملت لموت عائلها ، والكعاب : من نهد ثدييها وبرز .

صـــوت

أعرفت من سلمى رسومَ ديار * بالشـط بين مُخَفَّقٍ وصحار (١)
وكأنما أثرُ النعاج بجَوِّها * بمَدافع الرُّكْبَين ودعُ جوارى (٢)
وسألتها عن أهلها فوجدتها * عمياءَ جاهلةً عن الأخبار
فكأنّ عينى غَربُ أدهمَ داجنٍ * متعوِّدِ الإقبال والإدبار (٣)

الشعرُ للمخبل السعدى، والغناءُ لإبراهيم، هزجٌ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاقَ. قال الهشامى: فيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ، ولعِنانَ بنت خوط خفيفُ رمل.

---

(١) الشط: موضع باليمامة. والمخفق: رمل فى أسفل الدهناء من ديار بنى سعد.

(٢) الجوّ: ما آتسع من الأرض واطمأن وبرز. والمدافع: جمع مدفع، وهو مسيل الوادى. والركبان: موضع.

(٣) الغرب: الدلو العظيمة. والأدهم: الأسود، عنى به البعير. والداجن: البعير السانى، أى الذى يستق عليه.

أخبار المخبل ونسبه

أخبار المخبل[1] ونسبه

قال ابنُ الكلبي: اسمه الربيع بن ربيعة، وقال ابن دأب: اسمه كعب بن ربيعة. وقال ابنُ حبيب وأبو عمرو: اسمه ربيعةُ بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال[2] بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناةَ بن تميم. شاعرٌ فحل، من مخضرمى الجاهلية والإسلام، ويكنى أبا يزيد. وإياه عنى الفرزدق بقوله:

وهب القصائد لى النوابغُ إذمضَوْا * وأبو يزيد وذو القروح وجَرْوَل

طبقته فى الشعراء

ذو القروح: امرؤُ القيس. وجرول: الحطيئة. وأبو يزيد: المخبل. وذكره ابن سلام فجعله فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء، وقرنه بخداش بن زهير، والأسود بن يعفر، وتميم بن مقبل. وهو من المقلين، وعمر فى الجاهلية والإسلام عمرا كثيرا، وأحسبه مات فى خلافة عمرَ أو عثمانَ (رضى الله عنهما) وهو شيخ كبير. وكان له ابن، فهاجر إلى الكوفة فى أيام عمر فجزع عليه جزعا شديدا، حتى بلغ خبره عمر، فردّه عليه.

اخبرنى محمدُ بن الحسن بن دريد. قال: حدّثنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعى عن عمه، وأخبرنى به هاشم بن محمد الخزاعى عن أبى غسان دماذ، عن ابن الأعرابى قال:

جزعه على ولده شيبان حين هاجر

هاجر شيبانُ بن المخبل السعدى، وخرج مع سعد بن أبى وقاص لحرب الفرس، فجزع عليه المخبّل جزعًا شديدا، وكان قد أسنّ وضعُف، فافتقَرَ

(١) المخبل بفتح الباء المشددة: اسم مفعول من خبله تخبيلا. وفى الشعراء من يقال له المخبل غير هذا ثلاثة. وهم المخبل الزهيرى والثمالى وكعب المخبل. المؤتلف والمختلف للآمدى ١٧٧

(٢) فى الأصول «ابن قبال» صوابه بالتاء، كما فى المؤتلف والخزانة (٢: ٥٣٥).

إلى ابنه فافتقده ، فلم يملك الصبر عنه ، فكاد أن يُغْلَب على عقله ، فعمد إلى إبله وسائر ماله فعرّضه ليبيعه ويلحق بابنه ، وكان به ضنينا ، فمنعه علقمةُ بنُ هَوذة ابن مالك ، وأعطاه مالا وفرسا ، وقال : أنا أكلّم أمير المؤمنين عمر فى ردّ ابنك ، فإن فعل غَنِمتَ مالك ، وأقمتَ فى قومك ، وإن أبى استنفقتَ ما أعطيتُك ولحقتَ به ، وخلّفتَ إبلَك لعيالك . ثم مضى إلى عمر — رضوان الله عليه — فأخبره خبر المخبّل ، وجَزَعَه على ابنه ، وأنشده قوله :

أيُهلكنى شيبانُ فى كلّ ليلة * لقلبى من خوف الفراق وجيبُ (1)

أشيبانُ ما أدراك أنْ كلُّ ليلة * غبقتُك فيها والغَبوق حبيبُ (2)

غبقتُك عُظْماها سَناماً أو انبرى * برزقك براقُ المتون أريبُ (3)

أشيبان إن تأبى الجيوش بحدّهم * يقاسون أياما لهن خطوبُ (4)

ولا همّ إلا البزُّ أو كلّ سابح * عليه فتًى شاكى السلاح نجيبُ (5)

يذودون جُند الهُرْمُزانِ كأنما * يذودون أوراد الكلاب تلوبُ (6)

فإن يكُ غصنى أصبح اليوم ذاويًا * وغصنُك من ماء الشباب رطيبُ

فإنّى حنتْ ظهرى خطوبٌ تتابعت * فمشيى ضعيفٌ فى الرجال دبيبُ

إذا قال صحبى يا ربيعُ ألا ترى * أرى الشخص كالشخصين وهو قريبُ

ويخبرنى شيبانُ أن لن يعقّنى * تَعُقُّ إذا فارقتنى وتحوبُ (7)

(1) فى حـ : «أهلكنى» . والوجيب : الخفقان .

(2) الغبوق : الشرب فى العشى .

(3) عظماها : تفضيل من العظم . براق المتون : عنى به السيف . الأريب : المختال .

(4) حدّهم : سيفهم .

(5) البز : السلاح . وفى الأصول : « البر » . السابح : الفرس يسبح فى جريه .

(6) الهرمزان والهرمز والهارموز : الكبير من ملوك العجم . وتلوب : تحوم .

(7) تحوب بالحاء المهملة : تأثم .

فلا تُدْخِلَنَّ الدهرَ قبرَك حَوبةً * يقومُ بها يومًا عليك حسيبُ[1]

— يعنى بقوله « حسيب » الله عز ذكره —

عمر بن الخطاب يأمر بعودة شيبان إلى أبيه

قال : فلما أنشد عمرَ بنَ الخطاب هذه الأبياتَ بكى ورق له ، فكتب إلى سعد يأمره أن يُقْفِل شيبانَ بنَ المخبل ويردّه على أبيه ، فلما ورد الكتّابُ عليه أعلم شيبانَ ورده فسأله الإغضاء عنه ، وقال : لا تحرِمنِّى الجهاد . فقال له : إنَّها عزمةٌ من عمر ، ولا خيرَ لك فى عصيانه وعقوقِ شيخك . فانصرَفَ إليه ، ولم يزل عنده حتى مات .

وأخبرنى بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بنِ عمارٍ والجوهرىّ ، قالا :

رواية أخرى فى ذلك

حدّثنا عمرُ بن شَبّةَ أن شيبانَ بن المخبل كان يرعى إبل أبيه ، فلا يزال أبوه يقول : أحسِن رعيةَ إبلك يابنىّ ، فيقول : أراحنى الله من رِعْية إبلك . ثم فارق أباه وغزا مع أبى موسى ، وانحَدَرَ إلى البَصْرة ، وشهد فتح تُسْتَر[2] ، فقال[3] : فذكر أبوه الأبيات ، وزاد فيها قوله :

إذا قلتُ تَرعَى قال سوف تريحنى * من الرِّعى مِذْعانُ العشى خَبُوبُ[4]

قال : أبو زيد وحدّثناه عتابُ بنُ زيادٍ ، قال : حدّثنا ابن المبارك ، قال حدثنا مسعودٌ عن معن بنِ عبدِ الرحمن فذكر نحوه ، ولم يقل : شيبان بن المخبَّل ، ولكنه قال : « انطلق رجُلٌ إلى الشام » ، وذكر القصةَ والشعرَ .

الزبرقان لا يزوج أخته خليدة المخبل

أخبرنا محمدُ بنُ العباس اليزيدى ، قال : حدّثنى عمّى عبيد الله ، عن ابن حبيب ، قال : خطب المخبَّل السعدىُّ إلى الزِّبرقانِ بن بدرٍ أختَه خُلَيدةَ ، فمنعه إيّاها ، وردّه لشىء كان فى عقله ، وزوّجها رجلا من بنى جُشَمَ بن عوفٍ ، يقال له : مالكُ بنُ أميّة

(١) الحوبة : الذنب . (٢) تستر : أعظم مدينة بخوزستان . (٣) فى الأصل : « فقال أبوه فذكر أبوه » . (٤) المذعان : الناقة السلسة المنقادة . والخبوب : من الخبب ، وهو ضرب من العدو . وفى الأصول : « جنوب » وصححها الشنقيطى بما أثبتناه .

ابن عبد القيس، من بنى محارب ، فقتل رجلا من بنى نهشل يقال له الجُلَاس بن مخرَبة بن جندل بن جابر بن نهشل اغتيالا ، ولم يعلم به أحدٌ، ففقد ولم يعلم له خبر، فبينما جارُ الزبرقان الذى من عبد القيس قاتلُ الجُلَاس ليلةً يتحدّث إذ غلط ، فحدّث هزّالا بقتله الرجل، وذلك قبل أن يتزوّج هزّالٌ إلى الزبرقان، فأتى هزّال عبد عمرو بن ضَمْرة بن جابر بن نهشل فأخبره ، فدعا هزّالٌ قاتلَ الجلاس فأخرجه عن البيوت، ثم اعتوره هو وعبدُ عمرو فضرباه حتى قتلاه، ورجع هزّالٌ إلى الحيّ وضرب عبدَ عمرو حتّى لجأ إلى أخواله بنى عُطَارِد بن عوف ، فقالت امرأةُ مالك ابن أمية المقتول :

هزال وعبد عمرو يضربان قاتل الجلاس حتى يموت

أجيرانَ ابنِ ميّة خبّرونى * أعينٌ لابن ميّةَ أم ضِمار (١)
تجلّل خزيَها عوفُ بنُ كعب * فليس لنسلِهم منها اعتذار

امرأة مالك تحرض على من قتل زوجها

قال : فلما زوّج الزبرقانُ أخته خليدةَ هزّالا بعد قتله جاره عيبَ عليه، وعُيِّر به ، وهجاه المخبل، فقال :

المخبل يعير الزبرقان لتزويج هزال بعد قتله جاره وتلاحيهما

لعمرك إنّ الزبرقانَ لدائم * على الناس تعدو نوكُه ومجاهله (٢)
أأنكحت هزالا خليدة بعدما * زعمت بظهر الغيب أنك قاتله
فأنكحتَه رَهوا كأنّ عِجَانها * مَشَقُّ إهابٍ أوسع السَّلْخ ناجله (٣)
يلاعبها فوق الفراش وجارُكم * بذى شُبْرُمَانٍ لم تَزَيَّلْ مفاصله (٤)

قال : ولجّ الهجاءُ بين المخبل والزبرقان حتى تواقفا للمهاجاة واجتمع الناس عليهما فاجتمعا لذلك ذاتَ يوم، وكان الزبرقانُ أسودَهما، فابتدأ المخبل فأنشده قصيدته :

(١) الضمار من المال : مالا يرجى رجوعه ، ومن الدين ما كان بلا أجل .
(٢) النوك : الحمق . (٣) العجان : الاست . والناجل : الشاق للجلد . وقد ذكر فى اللسان (رهو) تعليل تسمية خليدة « رهوا » . (٤) شبرمان بضم أوله وسكون ثانيه وضم ثالثه : موضع . وتزيل : تفرق .

أنبئتُ أن الزبرقانَ يسُبُّنِي * سفهًا ويكْرَهُ ذو الحرَيْن خصالى [1]

قال : وإنما سماه ذا الحرين لأنه كانَ مُبَدَّنا، فكان له ثديان عظيمان، فسبَّه بهما وشبَّهُما بالحرين . ويقال : إنه إنما عيَّره بأخته وابنته ، ولم يكن للمخبَّل ابن فى الجاهلية، قال :

٥ أفلا يفاخرنى ليعلم أيُّنا * أدنى لأكرمِ سُودَدٍ وفعال

فلما بلغ إلى قوله :

وأبوك بدر كان مشترِط الخصى * وأبى الجوادُ ربيعةُ بنُ قتال [2]

فلما أنشده هذا البيت، قال :

وأبوك بدرٌ كان مشترِط الخُصَى * وأبى ... ...

١٠ ثم انقطع عليه كلامه ، إمّا بشَرَق أو انقطاع نَفَس ، فما علم الناس ما يريد أن يقوله بعد قوله : «وأبى» . فسبقه الزبرقان قبل أن يتم ويبين، فقال : صدقت، وما فى ذاك إن كان شيخانا قد اشتركا فى صنعة . فغلبه الزبرقان، وضحكوا من قوله وتفرّقوا، وقد انقطع بالمخبل قوله .

زرارة بن المخبل يضرب العلباوى بحجر فيطلب أبوه إلى بغيض بن عامر أن يحمل الدية ثم يعكسه

أخبرنا اليزيديُّ، قال : حدّثنى عمى عن عبيدالله عن ابن حبيب، قال : كان ١٥ زرارةُ بنُ المخبَّل يَليط حوضه [3] ، فأتاه رجلٌ من بنى عِلباءِ بنِ عوف ، فقال له : صارِعْنى . فقال له زَرَارةُ : إنى عن صراعك لمشغولٌ . فجذب بحُجْزته وهو غافلٌ فسقط ، فصاح به فتيانُ الحى : صُرِع زرارةُ وغُلِبَ . فأخذ زرارةُ حجرا ، فأخذ به رأسَ العلباوىّ، فسأل المخبَّلُ بغيضَ بنَ عامرِ بنِ شماس أن يتحمّل عن ابنه

(١) فى ح : «نبئت» . ذو الحرين : صاحب الفرجين .

٢٠ (٢) مشترط الخصى، المشترط : القاطع . والخصى : جمع خصية وخصى كقفل .

(٣) يليط : يطين، وفى ح : «يلط» .

الدية، فتحملها وتخلّصه، وكسا المخبلَ حلةً حسنةً، وأعطاه ناقة نجيبةً، فقال المخبل يمدحه:

لعمرُ أبيك لا ألقى ابن عمٍّ * على الحدثان خيراً من بَغيض
أقلَّ ملامةً وأعزَّ نصرا * إذا ما جئتُ بالأمر المريض
كساني حُلّةً وحبا بعَنْس (١) * أَبُسُّ بها إذا اضطربت غُروضي
غداةَ جنى بَنِىَّ على جرما (٢) * وكيف يداى بالحرب العضوض
فقد سدّ السبيلَ أبو حميد (٣) * كما سدّ المخاطَبةَ ابنُ بيض

ـــ أبو حميد: بغيضُ بنُ عامرٍ. وأما قوله: «كما سدّ المخاطَبةَ ابنُ بيض»، فإنّ ابن بيض: رجل من بقايا قوم عاد، كان تاجرًا، وكان لقمانُ بنُ عادٍ يجيز له تجارتَه فى كل سنة بأجرٍ معلوم، فأجازه سنة وسنتين، وعاد التاجر ولقمانُ غائبٌ، فأتى قومه فنزل فيهم، ولقمانُ فى سفره، ثم حضرت التاجرَ الوفاةُ فخاف لقمانَ على بنيه وماله فقال لهم: إن لقمانَ صائرٌ إليكم، وإنّى أخشاه إذا علم بموتى على مالى، فاجعلوا ما لَه قبلى فى ثوبه، وضعوه فى طريقه إليكم، فإن أخذه واقتصر عليه فهو حقّه، فادفعوه إليه واتّقوه، وإن تعدّاه رجوت أن يكفيكُمُوه الله إياه. ومات الرجل، وأتاهم لقمان وقد وضعوا حقه على طريقه، فقال: «سدَّ ابنُ بِيضٍ الطريقَ» (٤)، فأرسلها مثلا، وانصرف وأخذ حقه. وقد ذكرتُ ذلك الشعراء، فقال بشامةُ بنُ عمرٍو:

كثوب ابن بيض وقاهم به * فسدّ على السالكين السبيلا

(١) العنس: الناقة الصلبة. أبس يقال بس الإبل: ساقها سوقا لينا وزجرها. والغروض: جمع غرض بالفتح، وهو للرحل كالحزام للسرج.

(٢) العضوض: الشديدة.

(٣) البيت والمثل عند الميدانى فى قوله: «سد ابن بيض الطريق».

(٤) ابن بيض بكسر الباء، ويروى بفتحها.

قال ابن حبيب: ولما حَشَدت بنو علباء للطالبة بدمِ صاحِبهم، حَشَدت بنو قُرَيع مع بَغِيض لنصر المخبَّل، ومشت المشيخة فى الأمر، وقالوا: هذا قُتِل خطأ(١)، فلا تُواقعوا الفتنة، واقبَلوا الدية. فقبلوها وانصرفوا، فقال زرارةُ بنُ المخبل يفخر بذلك:

٥
فاز المخالِسُ لما أن جرى طَلَقًا * أمّا حُطَيْمُ بن عِلباء فقد غُلِبا(٢)
أنى رميت بجُلمود على حَنَق * مِنى إليه فكانت رميةً غَرَبا(٣)
ليثا إلىّ يَشُقُّ الناسَ منفرجًا * لحيَاهُ عنَّانةٌ لا يَتّقى الخشَبا(٤)
فأورثَنى قتيلا إن لقيتُ وإن * أبلتُّ كانت سماع السُّوء والحَرَبا(٥)

سعى المخبل فى إبل جار بنى قشير

ثم أخذ بنو حازم جارا لِبنى قُشير، فأغار عليه المُنْتَشِر بنُ وهب الباهلىّ(٦)، فأخذ إبله، فسأل فى بنى تميم حتّى انتهى إلى المخبل، فلما سأله قال له: إن شئتَ فاعترِض إبلِى فخذ خيرها ناقةً، وإن شئت سعيتُ لك فى إبلك. فقال: بل إبلِى. فقال المخبل(٧):

١٠
إنّ قشيرا من لِقاح ابن حازم * كراحضة حيضا وليست بطاهر(٨)
فلا يأكلنها الباهلىّ وتقعدوا * لدى غرض أرميكُمُ بالنواقر(٩)
أغرّك أنْ قالوا لعزة شاعر * فناك أباه من خفير وشاعر

١٥
فلما بلغهم قولُ المخبلِ سعَوْا بإبله، فردّها عليهم حزنُ بن معاوية بن خفاجة بن عقيل، فقال المخبل فى ذلك:

(١) فى حـ: «قتيل».
(٢) فى حـ: «فار المخالس» بالخاء وفى ط «المجالس» بالجيم وفى ب، س، شـ «قال» بدل «فاز» والمخالس: الذى يأخذ غيره خلسة. (٣) الجلمود: الحجر. والرمية الغرب: التى لا يدرى من رماها.
٢٠
(٤) عنانة: مبالغة من العنن، وهو اعتراض الموت. (٥) الحرب: الهلاك.
(٦) فى حـ «بنى» بالياء وهو تحريف. (٧) فى حـ أضافة «فقال المخبل قوله».
(٨) الراحضة بالحاء المهملة: الغاسلة. (٩) النواقر: بالقاف، أى الدواهى.

تدارك حزنٌ بالقنا آلَ عامر * قفَا حَضَنٍ والكَرُّ بالخيل أعسرُ (١)

فإنِّى بذا الجـار الخفاجىِّ واثقٌ * وقلبى من الجـارِ العبادىّ أوجر (٢)

إذا ما عقيـلىٌّ أقامَ بِذِمّـــة * شريكين فيها فالعبادى أوجر (٣)

لعمرى لقد خارَت خفاجة عامرا * كما خـير بيتٌ بالعراق المشقَّرُ (٤)

و إنّك لو تعطى العِبادى مِشقصا * لراشى كما راشى على الطبـع أبجر (٥)

— راشَى من الرِّشوة —

المخبل وخليدة بنت بدر

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى ، قال : حدّثنـا الرياشى ، قال : حدّثنـا الأصمعى ، قال : مر المخبلُ السَّعدى بخليدةَ بنتِ بدرٍ، أختِ الزِّبرقان بن بدرٍ، بعد ما أسنّ وضعف بصره، فأنزلته وقرّبتـه وأكرمته ووهبت له وليـدة ، وقالت له إنّى آثرتك بها يأبا يزيدَ (٦) فاحتفظ بها . فقال : ومن أنت حتى أعرفك وأشْكُرَكِ ؟ قالت : لاعليك ، قال : بلى والله أسألك . قالت : أنا بعض من هتكتَ بشعرك ظالمـا، أنا خليدةُ بنت بدرٍ. فقال : واسوأتاه منك، فانى أستغفرُ الله عز وجل، وأستقيلك وأعتذرُ إليك . ثم قال :

لقد ضـلَّ حِلمِى فى خليدةَ إنّنى * سأُعتب نفسى بعدها وأموت

فأقسمُ بالرحمن إنِّى ظلمتُهـا * وجُرتُ عليها والهجاءُ كَذوبُ

---

(١) قفا حضن، أى خلفه . وحضن : جبل بأعلى نجد . قال :

فما قلص وجدن معقلات * قفا حضن بمختلف التجار

وفى الأصول : « قنا حصن » ، تحريف .

(٢) الأوجر : الخائف . (٣) فى الأصول : « عقيليا » . الأوجر هنا : الكاره الناقض للعهد . (٤) المشقر : موضع ببلاد العرب . وفى الأصل : «جارت خفاجة» و « جير» . وخاره : صار خيرا منه . وخير : اصطفى . (٥) المشقص : النصل العريض، وقيل : سهم يرمى به .

(٦) فى حـ : « أبا زيد » .

من قصيدة الغناء

والقصيدة التى فيها الغناء المذكور بشعر المخبّل وأخباره يمدح بها عَلقمة بن هَوذة ويذكُر فعلَه به وما وَهَبه له من ماله ، ويقول :

جَزى الإلهُ سَراةَ قومى نَضْرةً * وسقاهُم بمشارب الأبرار
قومٌ إذا خافوا عِثارَ أخيهمُ * لايُسْلمونَ أخاهمُ لعِثار
أمثالُ عَلقمةَ بنِ هوذةَ إذ سعى * يخشى علىَّ متالفَ الأبصار
أثنَوْا علىَّ وأحسنوا وترافَدُوا * لى بالمَخاض البُزْل والأبكار[1]
والشَّولِ يتبعُها بناتُ لَبُونِها * شَرِقًا حناجرُها من الجَرجار[2]

أخبرنا أبو زيد، عن عبد الرحمن، عن عمه، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال : حدّثنى عمى عبيد الله، عن ابن حبيب. وأخبرنى عمّى، قال : حدّثنا الكُرانىّ، قال : حدّثنا العمرىّ ، عن لقيط قالوا :

المخبل والزبرقان وعبدة وعمرو يحكمون فى شعرهم

اجتمع الزبرقانُ بن بدر والمخبل السعدىّ وعَبْدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم قبل أن يُسلموا، وبعدَ مبعث النبى صلى الله عليه وسلم، فنحَروا جَزُورًا، واشترَوا خمرًا ببعير، وجلسوا يشوون ويأكلون، فقال بعضهم : لو أنّ قومًا طاروا من جَودة أشعارهم لطِرْنا . فتحاكموا إلى أوّل من يَطْلُعُ عليهم، فطلع عليهم ربيعة بن حُذار[3] الأسدىّ ، وقال اليزيدى : فجاءهم رجلٌ من بنى يربوع يسأل عنهم ، فدُلّ عليهم وقد نزلوا بطن وادٍ وهم جلوس يشربون ، فلما رأوه سرهم ، وقالوا له : أخبرنا أيُّنا أشعرُ ؟ قال : أخاف أن تغضبوا ، فآمَنُوه من ذلك ، فقال : أما عمرو فشعره بُرودٌ

(١) المخاض : الحوامل من النوق ، أو العشار التى أتى عليها من حملها عشرة أشهر . والبزل : ما بلغ من الإبل التاسعة . والأبكار : النوق التى ولدت أوّل بطن . والشول جمع شائلة : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها . وابن اللبون : ولد الناقة إذا كان من العام الثانى واستكمله أو إذا دخل فى الثالثة . (٢) الجرجار : عشبة لها زهرة صفراء . (٣) حذار فى س ، شه . أما فى حـ فخدار بالخاء المعجمة والدال المهملة ، تحريف . وفى القاموس : « وربيعة بن حذار ، كغراب : جواد معروف » .

يمنية تنشر وتطوى، وأما أنت يا ز برقان فكأنك رجل أتى جزورا قد نُحِرت[(١)]، فأخذ من أطايبها وخلطه بغير ذلك .

وقال لقيط فى خبره، قال له ربيعةُ بن حُذار : وأمّا أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكلَ، ولم يُترك نيئا فيُنتفع به، وأما أنت يا مخبَّل فشعرك شُهُبٌ من نار الله يلقيها على من يشاء[(٢)]، وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادة[(٣)] أُحكِم خرزها فليس يقطر منها شىء .

استمناح روق المخبل

أخبرنا اليزيدى، عن عمه، عن ابن حبيب، قال: كان رجل من بنى امرئ القيس يقال له رَوْقٌ، مُجاورًا فى بكر بن وائل باليمامة، فأغاروا على إبله وغدروا به، فأتى المخبل يستمنحه ، فقال له : إن شئتَ فاختر خيرَ ناقة فى إبلى فخُذْها ، وإن شئتَ سعيتُ لك . فقال : أن تَسعَى[(٤)] بى أحبُّ إلىّ . فخرج المخبل فوقف على نادى قومه ، ثم قال :

أدُّوا إلى رَوْح بن حَسّـ * ـانَ بنِ حارثةَ بن منـذر
كوماءَ مـدفاةً كأنّ * ضروعَها حَمّاءُ[(٥)] أجفـر
تأبى إلى بصـص تَسُـ[(٦)] * ـحُّ المحضَ باللبن الفضنفر

٤٥/١٢

فقالوا: نَعَم ونُعمة . فجمعوا له بينهم الناقةَ والناقتين من رجلين حتى أعطَوه بعدّة إبله .

وقال ابنُ حبيب فى هذه الرواية : «كان رجل من بنى ضبة» .

---

(١) حـ : «ذبحت» . (٢) على من يشاء، ساقطة من حـ . (٣) المزادة : الراوية . وقيل لا تكون إلا من جلدين بينهما ثالث لتتسع . (٤) فى الأصول : « بل يسعى بى » .
(٥) الكوماء : الناقة العظيمة الضخمة السنام . والمدفاة : الكثيرة الوبر والشحم . والأجفر يقال : جفر ولد الشاة، إذا عظم واستكرش أو بلغ أربعة أشهر . والحماء : الاست . وفى الأصول : «جماء» .
(٦) تسع أو تنزل . والمحض : اللبن الخالص . وفى البيت تحريف ظاهر .

صوت

اصلُ عن ليلى ملاك المشيبُ * وتصابِى الشيخ شىءٌ عجيبُ

وإذا كان النسيبُ بِسلمى * لذّ فى سلمى وطَابَ النسيبُ

إنما شبَّهتُها إذ تراءت * وعليها من عيون رقيبُ

٥ بطلوع الشّمس فى يومِ دَجْنٍ * بُكرةً أو حان منها غروبُ

إننى فاعلم وإنْ عزّ أهلى * بالسُّويداءِ(١) الغداةَ غريب

الشعر لغيلان بن سلمة الثّقفىّ ، وجدتُ ذلك فى جامع شعره بخط أبى سعيد السكرى ، والغِناءُ لابن زُرزورٍ الطائفى ، خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى ، عن يحيى المكى ، وفيه ليونس الكاتبِ لحن ذكره فى كتابه ، ولم يُجنسه(٢) .

١٠ (١) السويداء : موضع بالحجاز بعد المدينة على طريق الشام .

(٢) لم يجنسه : لم يذكر نوع لحنه .

أخبار غيلان ونسبه

أخبار غيلان ونسبه

غيلانُ بن سلمةَ بنِ معتِّبِ بنِ مالك بنِ كَعب بنِ عمرو بنِ سعد بنِ عوف بنِ قَسِىّ — وهو ثقيف . وأمّه سبيعةُ بنتُ عبدِ شمس بن عبد مناف بن قصى ، أخت أمية بن شمس بن عبد مناف .

٥ أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف ، ولم يهاجر ، وأسلم ابنه عامر قبله ، وهاجر ، ومات بالشام فى طاعونِ عمواس[1] وأبوه حىٌّ .

وغيلانُ شاعرٌ مقل ، ليس بمعروف فى الفحول .

وصف بادية بنت غيلان

وبنتُه باديةُ بنت غيلان التى قال هِيتٌ المخنَّثُ لعمرَ بن أم سلمة أمّ المؤمنين ، أو لأخيه سلمة[2] : « إنْ فتح الله عليكم الطائفَ فسَلْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يهَبَ لك باديةَ بنتَ غيلان ، فإنها كَلاءُ ، شَموعٌ[3] نجلاء ، خمصانة[4] هيفاء ، إن مشت ١٠ تثنَّت ، وإن جلسَتْ تبنت[5] ، وإن تكلَّمت تغنت ، تقبل بأربع وتدبر بثمانٍ ، وبين فخذيها كالإناءِ المُكْفَأ[6] » .

قول له قبل إسلامه

وغيلان فيما يقال أحدُ مَن قال مِن قريش للنبىّ صلى الله عليه وسلم وآله : ﴿لولَا أُنزِلَ هذا القُرآن على رَجُلٍ من القَرْيَتَين﴾ .

اتهام ولده عمار بسرقته وما كان بينهما من تدابر

١٥ قال ابن الكلبىّ : حدّثنى أبى ، قال : تزوّج غيلانُ بن سلمة خالدةَ بنتَ أبى العاص ،

(١) عمواس بالكسر والفتح وسكون الميم أو فتحها وفتح الأوّل : كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس ، كانت العاصمة فى القديم ، ومنها كان ابتداء الطاعون فى أيام عمر بن الخطاب ، ثم فشا فى أرض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة . (٢) فى اللسان (بنى) : « وروى شمر أن مخنثا قال لعبد الله بن أبى أمية » ثم ساق الخبر . (٣) الشموع : المزاحة اللعوب . والنجلاء : الواسعة ٢٠ العينين . (٤) الخمصانة : الضامرة البطن . والهيفاء : الدقيقة الخصر .

(٥) تبنت : أى صارت كالمبناة ، وهى القبة من أدم ، وذلك لسمنها وكثرة لحمها .

(٦) كذا فى اللسان وحده . وفى سائر النسخ : « المكفوء » . وهما سيان ، يقال كفأ الاناء وأكفأه : قلبه . يعنى بذلك ضخم ركبها ونهوده .

فولدت له عمّارا وعامرا ، فهاجر عمّار إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغه خبره عَمَد خازنٌ كان لغيلانَ إلى مالٍ له فسرقهُ وأخرجه من حِصنه فدفنه ، وأخبرَ غيلانَ أنّ ابنَه عمّارا سرق مالَه وهرب به ، فأشاع ذلك غيلانُ وشكاه (١) إلى الناس ، وبلغ خبرُه عماراً فلم يعتذر إلى أبيه ، ولم يذكر له براءته مما قيل له ، فلما شاع ذلك جاءت أمةٌ لبعض ثقيف إلى غيلان ، فقالت له : أىَّ شيءٍ لى عليك إن دللتُك على مالك ؟ قال : ما شئتِ ، قالت : تبتاعنى وتعتِقُنى ؟ قال : ذلك لكِ . قالت : فاخرج معى . فخرج معها ، فقالت : إنى رأيت عبدَك فلانا قد احتفر هاهنا ليلةَ كذا وكذا ودفن شيئا ، وإنه لا يزال يعتادهُ ويراعيه ، ويتفقّدُه فى اليوم مرّاتٍ ، وما أُراه إلا المالَ . فاحتفر الموضعَ فإذا هو بماله ، فأخذه وابتاعَ الأمة فأعتقَها ، وشاع الخبرُ فى الناس حَتّى بلغ ابنَه عمارا ، فقال : والله لا يرانى غيلانُ أبدا ، ولا ينظُر فى وجهى . وقال :

حلفتُ لهم بما يقولُ محمدٌ * وبالله إنّ الله ليس بغافلِ
برِئتُ (٢) من المالِ الذى يَدفنونه * أبرِّئُ نفسى أنْ أُلَطَّ بباطلِ
ولو غيرُ شيخى من معدٍّ يقولُه * تيمّمتُه بالسيف غير مُواكلِ
وكيف انطلاقى بالسّلاح إلى امرئٍ * تُبَشِّره بى يبتدرن قوابلى

فلما أسلم غيلان ، خرج عامرٌ وعمّارٌ مغاضِبَين له مع خالد بن الوليد ، فتوفى عامر بعمواس ، وكان فارسَ ثقيف يومئذ ، وهو صاحب شَنوءةَ (٣) يومَ تثليث ، وهو قتل سيّدَهم جابرَ بنَ سِنانٍ أخا دِهنة ، فقال غيلان يرثى عامرا :

(١) فى ط ، حـ : « تشكاه » .
(٢) فى شـ ، حـ : « لبرئت » ولا يستقيم الوزن بهذا . وألط : ألصق .
(٣) شنوءة : قبيلة . تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة . ويوم تثليث : من أيام العرب بين بنى سليم ومراد . قال أعشى باهلة :

وجاشت النفس لما جاء فلهم * وراكب جاء من تثليث معتمر

غيلان يرثى ولده عامرا

عينى تجودُ بدمعها الهتّانِ (١) * سحًّا وتبكى فارسَ الفُرسانِ

يا عامِ مَنْ للخيل لمّا أحجمتْ * عن شدّة مرهوبة وطِعان

لو أستطيعُ جعلت منّى عامرا * بين الضُّلوع وكلُّ حىٍّ فان

يا عين بَكّى ذا الحزامة عامرًا * للخيل يومَ تواقُف وطِعان

وله بتثليثاتِ شدّةُ مُعْلَم (٢) * منه وطعنةُ جابر بن سنان

فكأنّه صافى الحديدة مِخْذَمٌ (٣) * ممّا يُحير القُرْس للباذان

٥

ما قاله فيا حدث لجاره الباهلى

نسخت من كتاب أبى سعيد السُّكَّرى، قال: كان لغيلانَ بن سلمة جار من باهلة، وكانت له إبل يرعاها راعيه فى الإبل مع إبل غيلان، فتخطَّى بعضُها إلى أرض لأبى عقيلِ بنِ مسعود بنِ عامرِ بن معتِّب، فضرب أبو عقيل الراعىَ واستخفّ به، فشكا الباهلىُّ ذلك إلى غيلان، فقال لأبى عقيل:

١٠

ألا من يرى رأى امرئٍ ذى قرابة * أبى صدرُه بالضغن إلا تطلعا

فسلمَكَ أرجو لا العداوةَ إنّما * أبوك أبى وإنّما صفقُنا معا (٤)

وإنّ ابنَ عم المرء مثل سلاحه * يقيه إذا لاقى الكمىُّ المقنَّعا

فإن يكثر المولى فإنّك حاسدٌ * وإن يفتقر لا يُلْف عندك مَطْمَعا

فهذا وعيدٌ وادّخارٌ فإن تَعُدْ * وجَدّك أعلمْ ما تسلَّفتَ أجمعا (٥)

١٥

(١) فى حـ : «بدمعها الشنان» .

(٢) المعلم : الفارس جعل لنفسه علامة الشجعان فى الحرب .

(٣) المخذم : القاطع . يحير : يرد ويرجع . والباذان : اسم للذين دخلوا حديثا فى الإسلام، كما فى معجم استينجاس .

(٤) الصفق : الضرب . وهو أيضا ضرب الأيدى عند المبايعة .

٢٠

(٥) تسلف فى المادة والشىء : اقترض . والمعنى إن عدت فسأقف على ما وقع منك .

تهديده لامرأته حين ملته

ونسخت من كتابه ، قال : لما أسنّ غيلانُ وكثرت أسفارُه ملّته زوجتُه ، وتجنّت عليه ، وأنكر أخلاقَها ، فقال فيها :

يا ربَّ مثلكِ فى النِّساء غريرةٍ * بيضاءَ قد صبّحتُها بطَلاقِ

لم تدرِ ما تحتَ الضُّلوع وغرَّها * منى تحمُّـل عِشرتى وخَلاقى

شعره فى انتصار ثقيف على عامر

ثقيف تنتصر على بنى عامر وغيلان يصف تخلف بنى نصر عنهم

٥ ونسخت من كتابه : إنّ بنى عامرِ بن ربيعة جمعوا جموعاً كثيرةً من أنفُسهم وأحلافِهم ، ثم ساروا إلى ثقيف بالطّائف ، وكانت بنو نصرِ بن معاويةَ أحلافًا لثقيف ، فلما بلغ ثقيفًا مسيرُ بنى عامرٍ استنجدوا بنى نصرٍ ، فخرجت ثقيف إلى بنى عامرٍ وعليهم يومئذ غَيلانُ بن سلمة بن معتِّب ، فلَقُوهم وقاتلتهم ثقيفٌ قتالا شديدا ، فانهزمت بنو عامر بنِ ربيعة ومن كان معهم ، وظهرت عليهم ثقيفٌ ،

٤٧/١٢

١٠ فأكثروا فيهم القتلَ ، فقال غيلانُ فى ذلك ، ويذكر تخلّفَ بنى نصرٍ عنهم :

ودِّع بِـذمٍّ اذا ما حانَ رِحلتُنا * أهلَ الحظائرِ من عوفٍ ودهْمانا

القائلين وقد حلّت بساحتهم * جُشرٌ تحسحس عن أولاد هِصّانا (١)

والقائلين وقد رابَتْ وطابُهم * أسيفَ عوفٍ ترى أم سَيفَ غيلانا (٢)

أغْنُوا المَوالىَ عنّا لا أبالَكمُ * إنّا سنُغنِى صريحَ القوم مَن كانا (٣)

١٥ لا يمنع الخطرَ المظلومُ قُحْمَتَه * حتّى يرى ... بالعين من كانا (٤)

شعر غيلان فى هزيمة خثعم

ونسخت من كتابه ، قال : جمعت خثعمُ جموعًا من اليمن ، وغزت ثقيفا بالطائف ، فخرج إليهم غيلان بن سلمة فى ثقيف ، فقاتلهم قتالا شديدا ، فهزمهم وقتل منهم مَقتلةً عظيمة ، وأسر عدّةً منهم ، ثم منَّ عليهم وقال فى ذلك :

(١) هصان : قبيلة . وفى الأصل : «عن أولادها الضانا» . (٢) راب : خثر وفسد . والوطاب :
٢٠ سقاء اللبن . (٣) الصريح : الخالص النسب . وهذا تصحيح سه . وفى سائر النسخ : « بسيفى صريخ » . (٤) القحمة بالقاف تفتح وتضم : الاقتحام فى الشىء والمهلكة . وفى كل الأصول بالفاء وهو تحريف . وفى البيت نقص .

ألا يا أُختَ خَثعمَ خبِّرينا * بأىِّ بلاءِ قومٍ تفخرينا
جَلَبْنا الخيلَ من أكْنافِ وَجٍّ (١) * وليثٍ نحوكم بالدّارِعينا
رأيناهنّ مُعلمةً رواحا * يُقيتانِ الصّباحَ (٢) ومعتدينا
فأمست مُمْسَى خامسةٍ (٣) جميعًا * تُضابِعُ فى القيادِ وقد وجينا
وقد نظرت طوالعكم إلينا * بأعينهم وحققنا الظنونا
إلى رجراجةٍ فى الدار تُعْشِى (٤) * إذا استنّتْ عيونَ الناظرينا
تركن نساءكم فى الدار نَوحا (٥) * يبكّون البُعولةَ والبنينا
جمعتم جمعكم فطلبتُمونا * فهل أُنبِئتَ حالَ الطّالبينا

كيسان ينشد عبد الله الثقفى شعر غيلان

أخبرنا محمدُ بن خَلفٍ وكيع، قال: أخبرنى محمد بن سعد الشامى، قال: حدثنى أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو الثقفى، قال: خرجت مع كيسان بن أبى سليمان أسايره، فأنشدنى شعرَ غيلان بن سلمة، ما أنشدنى لغيره، حتّى صدرنا عن الأُبُلَّة، ثم مرّ بالطَّف وهو يريد الطّابَق (٦)، فأنشدنى له:

---

(١) وج: اسم واد بالطائف. وليث، بالكسر: واد بأسفل السراة. وهذا تصحيح س. وفى سائر النسخ: «وليت». والدارعون: لابسو الدروع.

(٢) المعلمة: المميزة. يقيتان، يقال أقات الشىء: قدر عليه. والصباح: الغارة تفجأ صباحا. وهذا تصحيح ش. وفى سائر النسخ: «يقيتان».

(٣) ممسى خامسة: فى مساء الليلة الخامسة. تضابع: تمد أضباعها فى الجرى. والقياد: المقود، ما تقاد به الدابة. وجين: حفين ووجعن.

(٤) الرجراجة: الكتيبة العظيمة. تعشى من العشا، وهو سوء البصر. وهذا تصحيح س، وفى سائر النسخ: «تغشى». واستنت: أسرعت. وفى الأصول: «استلبت».

(٥) النوح: جمع نائحة. فى س، ش، ح: «يبكون». كما أثبتنا. وفى مهذب الأغانى: «يبكون».

(٦) الطابق: نهر ببغداد. وفى الأصول: «الطائف».

وليلة أرّقت صحابك بالطّ * ـفّ وأخرى بجنب ذى حسم[1]
فالجسر فالقصران فالنّهر المر * بدّ بين النّخيل والأجم[2]
معانق الواسط المقدّم أو * أدنو من الأرض غير مقتحم[3]
أستعمل العنس بالقياد إلى الـ * آفاق أرجو نوافل الطّعم[4]

٥ أخبرنى عمّى قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد ، قال : حدثنى أحمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال : حدثنى عمر بن عبد العزيز بن أبى ثابت عن أبيه، قال :

وصية غيلان بن سلمة لبنيه

لما حضرت غيلان بن سلمة الوفاة، وكان قد أحصن عشرا من نساء العرب فى الجاهلية، قال : « يا بنىّ ، قد أحسنت خدمة أموالكم ، وأمجدت أمهاتكم ١٠ فلن تزالوا بخير ما غذوتم من كريم وغذا منكم ، فعليكم ببيوتات العرب، فإنها معارج الكرم، وعليكم بكلّ رمكاء[5] مكينة ركينة، أو بيضاء رزينة، فى خدر بيت يتّبع[6]، أوجد يرتجى، وإياكم والقصيرة الرّطلة[7]، فإن أبغض الرجال إلىّ أن يقاتل عن إبل أو يناضل عن حسبى، القصير الرّطل » . ثم أنشأ يقول :

٤٨ / ١٢

وحرّة قوم قد تنوّق فعلها * وزينها أقوامها فتزيّنت
١٥ رحلت إليها لا تردّ وسيلتى * وحمّلتها من قومها فتحمّلت

---

(١) الطف : مكان بالعراق قتل به الحسين . ذو حسم : موضع . وفى الأصول : «وأجرى بذى جسم» .
(٢) الجسر : الموضع الذى كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس قرب الحيرة . والقصران بالصاد : ناحيتان كبيرتان بالرى . وفى كل الأصول : « القطران » بالطاء .
(٣) الواسط : المقدم وأول الشىء ، و يقصد به قادمة الرحل .
٢٠ (٤) العنس : الناقة الصلبة . والآفاق : وردت فى كل الأصول : «الآفات» بالفاء بدل القاف ، تحريف .
(٥) الرمكاء : ما كان فى لونها حمرة مختلطة لسواد .
(٦) حـ : « فى حديث » . (٧) الرطلة بفتح الراء وكسرها : المرأة الحمقاء الضعيفة . هذا . والوصية نسبت فى البيان والتبيين (٢ : ٦٧) طبع لجنة التأليف ، إلى عثمان بن أبى العاصى .

وفود غيلان على كسرى

أخبرنى عمى قال : حدثنا محمد بن سعد الكُرَانى، قال :

كان غيلان بن سلمة الثقفىُّ قد وَفَدَ إلى كسرى فقال له ذاتَ يوم : ياغيلان، أىُّ ولدك أحبُّ إليك ؟ قال : «الصغير حتى يكبَر، والمريضُ حتّى يبرأ ، والغائب حتى يَقْدَم» . قال له : ما غذاؤك؟ قال : خبزُ البر. قال: قد عجبت من أن يكون لك هذا العقلُ وغِذاؤك غِذاءُ العرب ، إنّما البرُّ جعل لك هذا العقل .

قال : الكرانى ، قال العُمَرى : روى الهيثمُ بنُ عدى هذا الخبر أتمَّ مِنْ هـذه الرواية، ولم أسمعه منه . قال الهيثم : حدثنى أبى، قال :

رواية أخرى فى هذا الخبر

خرج أبو سفيان بنُ حرب فى جماعة من قريش وثقيف يريدون[1] العراق بتجارة، فلما ساروا ثلاثًا جمعهم أبو سفيان ، فقال لهم : إنّا من مسيرنا هـذا لعلى خَطَر ، ما قُدومنا على ملكٍ جبّارٍ لم يأذَنْ لنا فى القُدوم عليه ، وليست بلاده لنـا بمَتْجَر؟! ولكن أيُّكُمْ يذهب بالعِـير، فإن أُصيبَ فنحن برآء من دمه ، وإن غنِم فله نصفُ الرِّبح ؟ فقال غيلانُ بن سلمة : دعونى إذا فأنا لها . فدخل الوادى، فجعل يَطوفه ويضرب فروعَ الشجر ويقول :

ولو رآنى أبو غيلانَ إذْ حَسَرت[2] * عنى الأمـورُ إلى أمرٍ له طَبَـق

لقال رُغْبٌ[3] ورُهب يُجمعان معـا * حبُّ الحياة وهَول النفس والشفقُ

إمّا بقيتَ على مجـد ومكرمـة * أو أسوة لك فيمن يَهلِك الورق[4]

(١) حـ : « يريد » .

(٢) حسر : انكشف . الطبق : الحال والخطر، والذى له ما بعده .

(٣) الرغب : الرغبة . وفى الأصول : « رعب » .

(٤) الورق : الفضة .

ثم قال : أنا صاحبكم . ثم خرج فى العير، وكان أبيض طويلا جعداً ضخما، فلما قدِم بلادَ كسرى تخلّق[1] ولبس ثوبين أصفرين، وشهر أمره، وجلس بباب كسرى حتّى أذن له، فدخل عليه و بينهما شُبّاكٌ من ذهب، فخرج إليه الترجمان، وقال له : يقول لك الملك : مَن أدخلك بلادى بغير إذنى ؟ فقال : قل له : لستُ من أهل عداوةٍ لك ، ولا أتيتك جاسوسًا لِضدٍّ من أضدادك ، و إنما جئتُ بتجارةٍ تستمتعُ بها، فإن أردتَها فهى لك، و إن لم تُرِدْها وأذِنْتَ فى بيعها لرعيّتك بعتُها، و إن لم تأذنْ فى ذلك رددتُها . قال: فإنّه ليتكلّم إذ سمع صوت كسرى فسجد، فقال له الترجمان : يقول لك الملك : لم سجدت؟ فقال: سمعت صوتًا عاليا حيث لا يَنْبَغى لأحدٍ أن يعلو صوتُه إجلالاً للملك، فعلمت أنه لم يُقْدِم على رفع الصوت هناك غيرُ الملك فسجدتُ إعظامًا له . قال: فاستحسن كسرى ما فعل، وأمر له بمرفقةٍ[2] توضَع تحته، فلما أُتى بها رأى عليها صورةَ الملك، فوضَعها على رأسه، فاستجهله كسرى واستحمقَه، وقال للترجمان: قل له : إنّما بعثنا إليك بهذه لتجلسَ عليها. قال : قد علمتُ، ولكنّى لما أُتيتُ بها رأيتُ عليها صورةَ الملك، فلم يكن حقُّ صورتِه على مثلى أن يجلس عليها، ولكن كان حقُّها التعظيم، فوضعتها على رأسى، لأنّه أشرفُ أعضائى وأكرمُها علىّ. فاستحسن فِعلَه جدًّا، ثم قال له : ألك ولد؟ قال: نعم. قال: فأيُّهم أحبُّ إليك؟ قال: الصّغير حتى يكبر، والمريضُ حتّى يبرأ، والغائب حتى يؤوب. فقال كسرى : زِهْ ، ما أدخلك علىّ ودلّك على هذا القول والفعل إلا حظُّك؛ فهذا فعلُ الحكماء وكلامُهم، وأنت من قومٍ جُفاةٍ لاحكمةَ فيهم، فما غذاؤك؟ قال: خبزُ البُرِّ. قال : هذا العقل من البُرّ، لا من اللبن والتمر. ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها، وكَساه و بعث معه من الفُرس مَنْ بَنَى له أُطمًا[3] بالطّائف، فكانَ أوّلَ أُطُمٍ بُنِى بها .

ما دار بين غيلان وبين كسرى

٤٩ / ١٢

(١) تخلق : تطيب بالخلوق . (٢) المرفقة : المتكأ والمخدة .

(٣) الأطم بضمتين : القصر وكل حصن مبني بحجارة ، وكل بيت مربع مسطح .

أخبرنى محمد بن مزيد بن أبى الأزهر، قال : حدثنا الزبيرُ بن بكّار، قال: حدثنى عمر بن أبى بكر المَوْصِلىُّ عن عبد الله بن مصعب عن أبيه قال :

رثاؤه لأخيه نافع وقد قتل بدومة الجندل

استُشهد نافعُ بن سلمةَ الثّقفى مع خالد بن الوليد بدُومة الجَندل ، بجزِع عليه غيلان وكثر بكاؤه ، وقال يرثيه :

ما بالُ عينى لا تُغمِّضُ ساعةً * إلا اعترتنى عَبْرةٌ تغشانى

أرعَى نجوم الليل عندَ طُلوعها * وَهْنًا وهُنَّ من الغُروب دوانِ (١)

يا نافعًا مَن للفوارس أحجمت * عَن فارس يعلو ذُرَى الأقران

فلو ٱستطعتُ جعلتُ منِّى نافعًا * بين اللَّهاةِ وبين عَكْدِ لسانى (٢)

قال : وكثرَ بكاؤه عليه ، فعُوتِب فى ذلك ، فقال : والله لا تسمحُ عينى بمائها فأضنُّ بهِ على نافع . فلمّا تطاولَ العهدُ انقطع ذلك من قوله ، فقيل له فيه ، فقال : « بَلِيَ نافع ، و بلى الجزع ، وفَنِى وفنيتِ الدموع ، واللَّحاق به قريب » .

صـــوت

ألا علِّلانى قبل نوح النوادب * وقبل بُكاء المُعْوِلاتِ القرائب

وقبلَ ثَوائى فى تُرابٍ وجندلٍ * وقبلَ نُشوزِ النفسِ فوق الترائب (٣)

فإنْ تأتنى الدُّنيا بيومى بخاءة * تجدْنى وقد قضَّيتُ منها مآربِى

الشعر لحاجز الأزدىّ، والغناء لنبيه هزج، بالبنصر، عن الهشامى .

---

(١) الوهن : نحو منتصف الليل أو بعده بساعة .

(٢) اللهاة : قطعة من اللحم مشرفة على الحلق . والعكد : وسط الشىء .

(٣) نشوز النفس : ارتفاعها؛ كناية عن الاحتضار . وفى الأصول : « نشور » بالراء المهملة؛ تحريف .

أخبار حاجز ونسبه

أخبار حاجز ونسبه

هو حاجزُ بنُ عوف بنِ الحارث بنِ الأخثم بنِ عبد الله بنِ ذُهل بنِ مالكِ بن سَلامان بنِ مُفَرِّج بنِ مالكِ بنِ زهران بنِ عوف بنِ مَيدَعان بنِ مالك بنِ نصر بنِ الأزدِ . وهو حليف لبنى مخـزوم بنِ يقظة بنِ مرة بن كعب بنِ لؤى ، وفى ذلك يقــول :

قومى سلامان إما كنتِ سائلةً * وفى قريش كريمُ الحِلف والحسَب
إنّى متَى أدعُ مخزوماً ترَ عُنُقًا[1] * لا يَرعَشون لضربِ القوم من كَثَب
يُدعى المغـيرةُ فى أولى عـديدِهم * أولادُ مَرْأَسـةٍ[2] ليسوا من الذنب

وهو شاعر جاهلىّ مقلّ ، ليس من مشهورى الشعراء ، وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائلِ العربِ ، وممن كان يعدو على رجليه عدوًا يسبق به الخيل .

أخبرنى محمـدُ بنُ الحسن بنِ دريد ، قال : حدثنى العباسُ بنُ هشامٍ ، عن أبيه ، عن عوف بن الحارثِ الأزدى ، أنه قال لابنه حاجز بن عوف : أخْبِرْنى يابُنَىَّ بأشَدّ عدْوِك . قال : نعم ، أفزَعَتْنى خثعمُ فنزوتُ نزواتٍ ، ثم استفزّتنى الخيل واصطفَّ لى ظبيانِ ، فجعلت أنهنهُما[3] بيدىَّ عن الطَّريق ، ومنعانى أن أتجاوزَهما فى العَـدْوِ لضيق الطريق حتى اتسع واتسعتْ بنا ، فسبقتهما . فقـال له : فهـل جاراك أحدٌ فى العَدْوِ ؟ قال : ما رأيت أحدا جارانى إلاّ أطَيلِس أغيبرُ من النُّقوم[4] ، فإنا عدونا معا فلم أقدِر على سبقِه .

ــ قال : النُّقوم[4] بطن من الأزدِ من ولدِ ناقمٍ ، واسمه عامر بن حوالةَ بن الهِنْو ابن الأزد ــ

(١) العنق : الجماعة الكثيرة من الناس .
(٢) مرأسة : رآسة .
(٣) النهنة : الرد والكف .
(٤) فى الأصل : « البقوم » .

نسخت أخبار حاجز من رواية أبي عمرو الشيباني

من كتاب بخط المرهبيّ الكوكبيّ ، قال : أغار عوفُ بنُ الحارث بن الأختم على بنى هلالِ بنِ عامر بن صعصعة فى يوم داجٍ مظلم ، فقال لأصحابه : انزلوا حتى أعتبر لكم . فانطلق حتى أتى صِرما من بنى هلال[1] ، وقد عصب على يد فرسه عِصابا ليظلَع[2] فيطمعوا فيه ، فلما أشرف عليهم استرابوا به ، فركبوا فى طلبه، وانهزَم من بين أيديهم، وطمِعوا فيه، فهجم بهم على أصحابه بنى سلامان، فأصيب يومئذ بنو هلال، وملأ القوم أيديهم من الغنائم[3] ، ففى ذلك يقول حاجزُ بن عوف :

صباحكِ واسلمى عنا أُماما * تحيّةَ وامِقٍ وعِمِى ظَلاما

بَرَهْرَهَةٌ[4] يحار الطرف فيها * كحُقّة تاجرٍ شُدّت ختاما

فإن تمس ابنةُ السهميّ منّا * بعيدا لا تكلّمنا كلاما

فإنّكِ لا محالةَ أن ترينى * ولو أمست حبالكم رماما

بناجيةِ القوائم عَيسَجُورٍ[5] * تَدارَكَ نِيُّها عاما فعاما

سلى عنّى إذا اغبرّتْ جمادى[6] * وكان طعام ضيفِهم الثُّماما

ألسنا عِصمةَ الأضياف حتى * يُضَحّى[7] مالُهم نَفَلا تؤاما

(١) الصرم ، بالكسر : الجماعة .

(٢) الظلع : غمز فى المشى شبيه بالعرج .

(٣) من الغنائم ، ساقطة من حـ .

(٤) برهرهة : بضة غضة . والحقة بضم القاف : وعاء من خشب أو من عاج .

(٥) الناجية : السريعة ، ولا يوصف بها البعير . والعيسجور : الناقة الصلبة السريعة . تدارك : تلاحق . والنى بكسر النون وفتحها : الشحم .

(٦) اغبرت جمادى : قل الخير وذلك فى الشتاء . والثمام : نبت ضعيف .

(٧) ضحى إبله : رعاها وقت الضحى . وفى الأصول : « يضحى » . والنفل : الهبة والعطية . والتوام : تسهيل تؤام ، وهو المزدوج .

أبى رَبَعَ الفوارِس يومَ داجٍ * وعمّى مالكٌ وضعَ السِّهاما (١)

فلو صاحبتِنا لرضيت منا * إذا لم تغبِق المائةُ الغلاما (٢)

يعنى بقوله : وضع السهام ، أن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر بن مبشّر بن صقعب بن دُهمان بن نصر بن زهران ، كان يأخذ من جميع الأزد إذا غنموا الربع ، لأنّ الرياسة فى الأزد كانت لقومه ، وكان يقال لهم : «الغطاريف» وهم أسكنوا الأسْدَ بلد السراة ، وكانوا يأخذون للقتول منهم دِيتين و يعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم ، فغزتهم بنو فُقَيْم بن عدى بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فظفرت بهم ، فاستغاثوا ببنى سلامان فأغاثوهم ، حتّى هزموا بنى فُقيم وأخذوا منهم الغنائمَ وسلبوهم ، فأراد الحارثُ أن يأخذ الرُّبع كما كان يفعل ، فمنعه مالكُ بن دُهل بن مالك بن سلامان ، وهو عم أبى حاجز ، وقال : «هيهاتَ ، ترك الرُّبع غدوة» (٣) فأرسلها مثلا ، فقال له الحارث : أتراك يا مالك تقدر أن تسود؟ فقال : هيهات ، الأزد أمنع من ذاك . فقال : أعطنى ولو جَعْبًا — والجَعْب : البعر فى لغتهم — لئلا تسمع العرب أنك منعتنى . فقال مالك : « فمن سماعها أفرّ » (٤) ، ومنعه الربيع ، فقال حاجز فى ذلك :

ألا زعمت أبناءُ يشكرَ أننا * بربعهم باءوا هنالك ناضل (٥)

---

(١) ربعهم : أخذ منهم المرباع ، وهو ربع الغنيمة . وفى الأصول : « عبر » .

(٢) تغبق : تسق الغبوق ، وهو الشرب بالعشى .

(٣) ترك الربع غدوة : مثل « الصيف ضيعت اللبن » .

(٤) فى حـ : « أقر » بالقاف .

(٥) باءوا : لخروا . الناضل : الغالب .

سئمنا منكم ومن سوءِ صُنعكم * صفائحُ بيضٌ أخلصتها الصياقلُ
وأسمرُ خطّىٌّ إذا هُزّ عاسلٌ[1] * بأيدى كُماةٍ جرّبتها القبائل

51/12

وقال أبو عمرو : جمع حاجزٌ ناسا من فَهم وعَدْوان، فدلّهم على خثعم، فأصابوا منهم غِرّة وغنِموا ما شاءوا، فبلغ حاجزًا أنهم يتوعّدونه و يرصُدونه، فقال :

وإنّى من إرعادكم وبروقكم * وإيعادكم[2] بالقتل صُمٌّ مسامعى
وإنى دَليل غيرُ مُخفٍ دَلالتى * على ألف بيتٍ جَدُّهم غيرُ خاشع
تَرى البيض يركُضْنَ المجاسدَ[3] بالضحى * كذا كلُّ مشبوح الذراعين نازع
على أىّ شىء لا أبًا لأبيكم * تشيرون نحوى نحوكم بالأصابع

عمرو بن معديكرب يطعن حاجزا

وقال أبو عمرو : أغارت خثعم على بنى سَلامان وفيهم عمرو بن معديكرب، وقد استنجدت به خثعم على بنى سلامان ، فالتقَوْا واقتتلوا ، فطعن عمرو بن معديكرب حاجزا فأنفذ فخذه، فصاح حاجز: يا آل الأزد ! فندم عمرو وقال : خرجت غازيا وفجعت أهلى. وانصرف، فقال عُزَيِّل الخثعمى يذكر طعنة عمرو حاجزا، فن

أعجز حاجزٌ منّا وفيه * مشلشلة[4] كحاشية الإزار
فعز علىّ ما أعجزت منّى[5] * وقد أقسمت لايضربْك ضارِ

فأجابه حاجز فقال :

إنْ تذكروا يومَ القَرِى[6] فإنه * بَواءٌ بأيام كثير عديدها

(١) العاسل : الرمح المهتز . (٢) الإيعاد : التهديد .
(٣) المجاسد : الثياب المصفرة بالزعفران . (٤) المشلشلة : الضربة التى تفيض دما .
(٥) فى الأصول : « ما أعجزت دمنى » .
(٦) القرى : واد . البواء : الكفء، والنظير .

فنحن أبحنا بالشخيصة واهنا[1] * جهارا بخيلنا بالنساء تقودها
ويوم كراء[2] قد تدارك ركضنا * بنى مالك والخيل صعر خدودها
ويوم الأراكات[3] اللواتى تأخرت * سراة بنى لهبان يدعو شريدها
ونحن صبحنا الحى يوم تنومة * بملمومة[4] يهوى الشجاع وئيدها
ويوم شروم[5] قد تركنا عصابة * لدى جانب الطرفاء حمرا جلودها
فما رغمت حلفا لأمر يصيبها * من الذل إلا نحن رغما نزيدها

خثعم تحيط بحاجز وعجوز تسحر سلاحه ثم ينجو

وقال أبو عمرو : بينما حاجز فى بعض غزواته إذ أحاطت به خثعم ، وكان معه بشير ابن أخيه ، فقال له : يا بشير ، ما تشير؟ قال[6] : دعهم حتى يشربوا و يقفلوا[7] ويمضوا ونمضى معهم فيظنونا بعضهم . ففعلا ، وكانت فى ساق حاجز شامة ، فنظرت إليها امرأة من خثعم ، فصاحت : يا آل خثعم ، هذا حاجز . فطاروا يتبعونه ، فقالت لهم عجوز كانت ساحرة : أكفيكم سلاحه أو عدوه . فقالوا : لا نريد أن تكفينا عدوه فإن معنا عوفا وهو يعدو مثله ، ولكن اكفينا سلاحه . فسحرت لهم سلاحه وتبعه عوف بن الأغر بن همام بن الأسر[8] بن عبد الحارث بن واهب بن مالك ابن صعب بن غنم بن الفزع الخثعمى ، حتى قاربه ، فصاحت به خثعم : يا عوف ارم حاجزا . فلم يقدم عليه ، وجبن ، فغضبوا وصاحوا : يا حاجز ، لك الذمام ، فاقتل عوفا فإنه قد فضحنا . فنزع فى قوسه ليرميه ، فانقطع وتره ، لأن المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه ، فأخذ قوس بشير ابن أخيه فنزع فيها فانكسرت ،

(١) الشخيصة : اسم مكان . (٢) كراء : ثنية بالطائف . (٣) الأراكات : أودية قرب مكة . (٤) الململومة : الكتيبة المجتمعة . وفى الأصول : «و بيدها» . (٥) شروم : قرية كبيرة باليمن بها عيون وكروم . والطرفاء : نخل لبنى عامر بن حنيفة باليمامة . (٦) فى ح : «فقال» نقط . (٧) يقفلوا فى ح : «ينقلوا» وهو تحريف . (٨) فى ح : «ابن الأعسر» .

وهربا من القوم ففاتاهم ووجد حاجز بعيرا فى طريقه فركبه فلم يسر فى الطريق الذى يريده ونحا به نحو خثعم ، فنزل حاجز عنه ، فمرّ فنجا وقال فى ذلك :

٥٢
١٢

فِدى لكما رِجْلىَّ أمى وخالتى * بسعيكما بين الصفا والأثائب(١)

أوانَ سمعتُ القوم خلفى كأنّهم * حريق أباءٍ فى الرّياح الشواقب

سيوفهم تغشى الجبان ونَبلُهم * يُضىء لدى الأقوامِ نار الحُباحب(٢)

فغير قتالى فى المضيقِ أغاثنى * ولكن صَريح العَدْو غير الأكاذب

نجوت نجاءً لا أبيك تبثه * وينجو بشسير نجَو أزعَر خاضب(٣)

وجدتُ بعيرا هاملا فركبته * فكادت تكون شرَّ رِكبة راكب(٤)

حاجز يغير على بنى هلال

وقال أبو عمرو : اجتاز قوم حُجّاجٌ من الأزدِ ببنى هلالِ بن عامرِ بنِ صعصعة ، فعرَفهم ضَمرة بنُ ماعِز سيدُ بنى هلال ، فقتلهم هو وقومه ، وبلغ ذلك حاجزا ، فجمع جمعا من قومه وأغار على بنى هلال فقتل فيهم وسبى منهم ، وقال فى ذلك يخاطب ضمرة بن ماعز :

يا ضمرُ هل نِلناكم بدمائنا * أم هل حذونا نَعْلكم بمثال(٥)

تبكى لِقتلى من فُقَيم قُتِّلوا * فاليوم تبْكى صادقا لهلال

---

(١) الأثائب : جمع أثأب ، وهو شجر ينبت فى بطون الأودية .

(٢) الحباحب : ذباب يطير بالليل له شعاع فى ذنبه كالسراج . وربما جعلوا الحباحب اسما لما يرى فى ذنبه كأنه نار . وقيل هو اسم رجل بخيل كان لا يوقد نارا إلا نارا ضعيفة مخافة الضيفان ، فضربوا بها المثل حتى قيل « نار الحباحب » لما تقدحه الخيل بحوافرها من حيث لا ينتفع به .

(٣) لا أبيك : لعله أراد : لا وأبيك . ويقال نجا ينجو نجوا : خلص . وفى الأصول : « نحو » ، تحريف . والأزعر : القليل الشعر . والخاضب : الظليم إذا أكل الربيع فاحمرت ساقاه وقوادمه ، وهو الذكر من النعام . (٤) الهامل : المتروك سدى ليلا ونهارا . (٥) فى الأصول : « نفلكم بمثال » .

ولقد شفانى أن رأيت نساءكم * يبكين مردفة على الأكفال[1]

يا ضمر إن الحرب أضحت بيننا * لقحت على الدكّاء بعد حيال[2]

أخت حاجز ترثيه حين انقطعت أخباره

قال أبو عمرو : خرج حاجز فى بعض أسفاره فلم يعُد، ولا عُرِف له خبر، فكانوا يَرون أنه مات عطشا أو ضلّ، فقالت أخته ترثيه :

٥ أحىٌّ حاجزٌ أم ليس حيًّا * فيسلك بين جَندَف والبهيم[3]

ويشربَ شربةً من ماء ترج * فيصدرَ مِشية السبع الكليم[4]

ما قيل من الشعر فى فرار حاجز

أخبرنى هاشم بن محمد، قال : حدّثنا دَماذُ عن أبى عبيدة، قال :

كان حاجز الأزدى مع غاراته كثيرَ الفِرار، لقِىَ عامرا فهرب منهم فنجا، وقال:

ألا هل أتَى ذاتَ القلائد فَرَّتى * عشيةَ بين الجُرف والبحر من بعر[5]

١٠ عشيةَ كادت عامرٌ يقتلوننى * لدى طَرف السلماء راغية البَكر[6]

فما الظبى أخطت خلفة الصقر رجلَه * وقد كاد يلقى الموتَ فى خلفة الصقر[7]

بمثلى غداةَ القومُ بين مُقنَّع * وآخرَ كالسكرانِ مرتكزٍ يفرى[8]

---

(١) المردفة : التى أركبت خلف الراكب . والأكفال جمع كفل : العجز .

(٢) الدكاء : رابية من طين . والحيال : العقم .

١٥ (٣) « جندف » بالجيم المفتوحة مع الدال تصحيح الشنقيطى : جبل باليمن . وفى بعض النسخ « خندف » . والبهيم : جبل أيضا .

(٤) ترج وبيشة : قريتان متقابلتان بين مكة واليمن .

(٥) فرّتى : فرارى . والجرف بضم الجيم : موضع باليمن . والبعر : مكان بين مكة واليمامة ، ماء لبنى ربيعة بن عبد الله بن كلاب .

٢٠ (٦) راغية البكر : صوته . والبكر : الفتى من الإبل ، يراد به بكر ناقة صالح ، وهو مثل فى الشؤم .

(٧) أخطت : أخطأت . وخلفة الصقر : اختلافه مرة بعد مرة . وفى الأصول : «خافه الصقر» ثم «حلقة الصقر» .

(٨) يفرى : يبالغ فى النكاية والقتل .

وفرّ من خثعم وتبعه المرقع الخثعمىّ ثم الأكلبىّ، ففاته حاجز، وقال فى ذلك :

وكأنما تبع الفوارسُ أرنبا * أو ظبىَ رابيةٍ خُفافا أشعبا (١)

وكأنّما طردوا بذى نمرانه * صَدَعا من الأروَى أحَسَّ مكلِّبا (٢)

أعجَزْتُ منهم والأكفُّ تنالنى * ومضت حياضهم وآبوا خُيَّبا

أدعو شَنوءةَ غثَّها وسمينَها * ودعا المرقِّع يوم ذلك أكلُبا (٣)

٥

وقال يخاطِب (٤) عوض أمسى :

أبلغ أميمةَ عوض أمسَى بزّنا * سلبا وما إن سَرَّها أن نُنْكَبا (٥)

لولا تقارب رأفة وعيونها * حمشا مصعدا ومصوّبا (٦)

٥٣/١٢

صوت

يا دارُ من ماوِيَّ بالسَّهب * بنيت على خطب من الخطب (٧)

١٠

إذ لا ترى إلا مُقاتلة * وعَجانسا يُرقِلن بالرَّكْب (٨)

(١) الرابية والرباة : كل ما ارتفع عن الأرض . والظبى الأشعب : البعيد ما بين القرنين .

(٢) الصدع بالعين المهملة تصحيح الشنقيطى : الفتى الشاب القوى من الأوعال وقيل هو الوسط منها . قال الأزهرى : هو الوعل بين الوعلين . وفى الأصل : «صدغا» . والأروى : أنثى الوعل ، أو هو تيس الجبل .

١٥

(٣) شنوءة بالشين : قبيلة ، وكذلك أكلب .

(٤) وقال يخاطب ، زيادة عن بعض الأصول .

(٥) فى الأصول : « سلبا ما إن سرها أن تسكبا » .

(٦) كذا ورد البيت محرفا منقوصا .

(٧) السهب : اسم موضع .

٢٠

(٨) العجانس : جمع عجنس : الشديد الضخم من الإبل .

ومُـدَجَّجًا يسعى بشِكَّتِه [1] * مُحْمَرَّةً عيناهُ كالكلبِ

ومعاشرا صدأُ الحديدِ بهم * عَبَقَ الهِناءِ [2] مَخاطِمَ الجُرْبِ

الشعر للحارث بن الطفيل الدَّوْسى، والغناءُ لمعبد، رمل بالبِنصِر، من رواية يحيى المكى، وفيه لابن سريج خفيفُ ثقيلٍ مطلقٌ فى مجرى البنصِر عن إسحاق، والله أعلم.

(١) الشكة: السلاح.

(٢) الهناء يقال هنأ الإبل يهنؤها مثلثة النون: طلاها بالهناء، ككتاب وهو القطران. عبق الهناء، أى يحكى عبق الهناء. والعبق: مصدر عبق به، أى لصق. والمخاطم: جمع مخطم كمجلس ومنبر: مقدم أنفها وفمها.

٥

أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه

هو الحارثُ بنُ الطفيل بن عمرِو بنِ عبدالله بن مالكِ بن فهم بن غَنْم بن دوس ابن عبد الله بن عُدْثان بن عبيد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالكِ بن نصر بن الأزد ، شاعرٌ فارسٌ ، من مخضرمى شعراء الجاهلية والإسلام ، وأبوه الطفيل بن عمرو شاعر أيضا ، وهو أوّل من وفد من دوس على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وعاد إلى قومه ، فدعاهم إلى الإسلام .

أخبرنى عمى قال : حدّثنا الحَزَنْبَلُ بن عمرو بن أبى عمرو عن أبيه ، واللفظ فى الخبر له ، والله أعلم .

وفود الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأخبرنى به محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال : حدّثنى عمى عن العباس بن هشام عن أبيه :

أنّ الطفيل بن عمرو بنِ عبد الله بن مالك الدوسىّ خرج حتى أتى مكة حاجًّا ، وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر إلى المدينة ، وكان رجلا يعصو — والعاصى البصير بالجراح ، ولذلك يقال لولده : بنو العاصى — فأرسلته قريشٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : انظر لنا ما هذا الرجل ، وما عنده ؟ فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام ، فقال له : إنّى رجلٌ شاعر ، فاسمعْ ما أقول . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هات . فقال :

لا وإله الناس نألَمُ حربَهم * ولو حاربَتْنا مُنهبٌ وبنو فهم

ولمّا يكن يومٌ تزول نجومُه (1) * تطير به الرُّكبانُ ذو نبأ ضخمِ

(1) حـ : « تطير نجومه » .

أسلمًا على خسف ولستُ بخالدٍ * ومالى من واقٍ إذاجاءنى حتمى
فلا سلمَ حتّى نحفزَ الناسَ خيفةً * ويصبحَ طيرٌ كانساتٍ[1] على لحم

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأنا أقول فاسمع، ثم قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد». ثم قرأ: «قل أعوذ برب الفلق»، ودعاه إلى الإسلام فأسلم، وعاد إلى قومه، فأتاهم فى ليلةٍ مطيرةٍ ظلماءَ، حتى نزل بَرُوق، وهى قرية عظيمةٌ لدوس فيهـا منبر، فلم يبصر أين يسلك، فأضاء له نور فى طرف سوطه، فبهر النـاسَ ذلك النور، وقالوا: نار أحدثت على القَدوم ثم على بَرُوق لا تطفأ. فجعلوا يأخذون بسوطه فيخرج النور من بين أصابعهم، فدعا أبويه إلى الإسـلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمّه، ودعا قومه فلم يجبه إلا أبو هريرة، وكان هو وأهله فى جبل يقال له ذو رِمع[2]، فلقيه بطريق يزحزح، وبلغنا أنه كان يزخف فى العقبة من الظلمة ويقول:

يا طولها من ليلةٍ وعناءها * على أنها من بلدة الكفر نجّت.

ثم أتى الطفيلُ بنُ عمـرو النبيّ صلى الله عليـه وسلم ومعه أبو هريرة، فقـال له: ما وراءك؟ فقال: بلادٌ حصينة وكفر شديد. فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: "اللهم اهد دوسا" ثلاث مراتٍ. قال أبوهريرة: فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم خفت أن يدعو على قومى فيهلكوا، فصحت: واقوماه! فلمـا دعا لهم سُرِّيَ عنى، ولم يحب الطفيل أن يدعو لهم لخلافهم عليه، فقال له: لم أحبَّ هذا منك يا رسول الله. فقال له: إن فيهم مثلك كثيرًا. وكان جندبُ بن عمرو بن حممة

النبي يدعو لدوس بالهداية

٥٤ / ١٢

(١) كانسات: مقيات. (٢) فى س، سـ: «ذو رمعا». وفى حـ: «ذو منعا»، صوابه ما أثبتنا. قال ياقوت: «موضع باليمن».

ابن عوف بن غويّة بن سعد بن الحارث بن ذبيان بن عوف بن مُنْهِب بن دوس يقول فى الجاهلية : إن للخلق خالقا لا أعلم ما هو . فخرج حينئذ فى خمسة وسبعين رجلا حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم وأسلموا . قال أبو هريرة : ما زلت ألوى الآجرة (١) بيدى، ثم لويت على وسطى حتى كأنى بجادٌ (٢) أسود، وكان جندب يقربهم إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا، فيسلمون .

سبب أبيات الغناء

وهذه الأبيات التى فيها الغناء من قصيدة للحارث بن الطفيل، قالها فى حرب كانت بين دوس و بين بنى الحارث بن عبدالله بن عامر بن الحرث بن يشكر بن مبشر ابن صعب بن دَهْمان بن نصر بن زهران .

وكان سبب ذلك فيما ذكر عن أبى عمرو الشيبانى أن ضماد بن مُسَرّح ابن النعمان بن الجبّار بن سعد بن الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث ابن يشكر، سيد آل الحارث، كان يقول لقومه : أحذركم جرائر أحمقين من آل الحارث ببطلان رياستكم . وكان ضمادٌ يتعيف (٣)، وكان آل الحارث يسودون العشيرة كلها، فكانت دوسٌ أتباعا لهم، وكان القتيلُ من آل الحارث تؤخذ له ديتان، ويعطون إذا لزمهم عقلُ قتيل من دوس ديةً واحدة، فقال غلامان من بنى الحارث يوما : ائتوا شيخ بنى دوس وزعيمَهم الذى ينتهون إلى أمره فلنقتله (٤) . فأتياه، فقالا : يا عم، إن لنا أمرا نريد أن تحكم بيننا فيه . فأخرجاه من منزله، فلما تنحيا به قال له أحدهما : يا عم، إن رحلى قد دخلت فيها شوكة، فأخرجها لى . فنكس الشيخ رأسه لينتزعها وضربه الآخر فقتله، فعمدت دوس إلى سيِّد بنى الحارث، وكان نازلا بِقَنَوْنَى (٥) فأقاموا له فى غيضة فى الوادى، وسرحت إبله فأخذوا

(١) الآجرة : واحدة الآجر، الطين المحروق . (٢) البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب يشتملون به . وفى الأصل : «كان بجاد» . (٣) يتعيف : يتكهن .
(٤) فلنقتله فى س، سـ . أما فى حـ فبالياء بدل النون وهو تحريف .
(٥) قنونى : من أودية السراة يصب إلى البحر فى أوائل أرض اليمن من جهة مكة .

منها ناقة فأدخلوها الغيضة وعقلوها، فجعلت الناقةُ ترغو وتحِنّ إلى الإبل، فنزل الشيخ إلى الغيضة ليعرف شأنَ الناقة، فوثبوا عليه فقتلوه، ثم أتَوا أهله، وعرفت بنو الحارث الخبر، فجمعوا لِدَوس وغَزَوْهُم فنَذِروا[1] بهم فقاتلوهم فتناصفوا، وظفرت بنو الحارث بِغِلمةٍ من دوس فقتلوهم، ثم إنّ دوسا اجتمع منهم تِسعةٌ وسبعون رجلا، فقالوا: مَن يكلّمنا، مَنْ يُمانينا[2] حتّى نغزوَ أهل ضِماد؟ فكان ضِماد قد أتى عُكاظ، فأرادوا أن يخالِفوه إلى أهله، فمرّوا برجل من دوسٍ وهو يتغنّى:

٥٥ / ١٢

فإنّ السِّلمَ زائدة نواها * وإنّ نوى المحارب لا تروب[3]

فقالوا: هذا لا يتبعُكم، ولا ينفعكم أن تبعكم، أما تسمعون غِناءه فى السِّلم. فأتوا حُمَمَة بن عمرو، فقالوا: أرسِل إلينا بعض ولدك. فقال: وأنا إن شئتم. وهو عاصب حاجبَيه من الكِبَر. فأخرج معهم ولَده جميعا، وخرج معهم، وقال لهم: تفرّقوا فرقتين، فإذا عرف بعضُكم وجوهَ بعض فأغيروا، وإياكم والغارةَ حتّى تتفارقوا لا يقتلْ بعضكم بعضا. ففعلوا، فلم يلتفتوا حتّى قتلوا ذلك الحىّ من آل الحارث، وقتلوا ابنا لضِماد، فلما قدِم قطع أذنى ناقته وذنبها، وصرخ فى آل الحارث، فلم يزل يجمَعُهم سبع سنين ودوسٌ تجتمع بإزائه، وهم مع ذلك يتغاورون[4] ويتطرّفُ[5] بعضهم بعضا، وكان ضِماد قد قال لابنِ أخٍ له يكنى أبا سفيان لما أراد أن يأتى عكاظ: إنْ كنتَ تحرِزُ[6] أهلى، وإلّا أقمتُ عليهم. فقال له: أنا أحرِزهم من مائة، فإنْ زادوا فلا. وكانت تحت ضِمادٍ امرأةٌ من دوس، وهى أخت مربان[7] بن سعد الدوسىّ الشاعر، فلما أغارت دوسٌ على بنى الحارث قصَدها

(١) يقال نذر بالعدوّ بكسر الذال نذرا: علم فحذره. (٢) ماناه: لزمه، وانتظره، وداراه. فى الأصول: «يمانين». (٣) تروب: تفتر. وفى حـ «ترود». (٤) يتغاورون بالغين المعجمة: يغير بعضهم على بعض. (٥) يقال: تطرف عليهم، أى أغار. اللسان (طرف). (٦) تحرز: تحصن. (٧) مربان فى س، سـ بالباء، أما فى حـ فبالنون بدل الباء.

أخوها ، فلاذت به ، وضمّت فخذَها على ابنها من ضِماد ، وقالت : يا أخى اصرف عنّى القوم ، فإنى حائض لا يكشفونى . فنكرَ سِيةَ القوس فى درعِها ، وقال : لست بحائض ، ولكن فى درعِك سَخْلةٌ بكذا من آل الحارث ، ثم أخرج الصبىَّ فقتله ، وقال فى ذلك :

ألا هل أتى أمّ الحُصَيْن ولو نأت * خلافَتُنا فى أهـله ابنُ مُسَرَّح

ونضرةُ تدعـو بالفِنَاءِ وَطَلْقُهـا * ترائبـه ينفحن من كلِّ مَنْفَـح (١)

وفرّ أبو سـفيانَ لمـا بدا لنـا * فـرارَ جبانٍ لأمّهِ الذلُّ مُقْـرِحِ (٢)

يوم حضرة الوادى

قال : فلم يزالوا يتغاورون حتّى كان يومُ حضرةِ الوادى ، فتحاشَدَ الحيّان ، ثم أتتهم بنو الحارث ونزلوا القتالَ لهم ، ووقف ضِماد بن مسرّح فى رأس الجبل ، وأتتهم دوس . وأنزل خالدُ بنُ ذى السبلة بناتِه هندا وجندلةَ وفطيمة ونضرة ، فبنين بيتا ، وجعلن يَستقِين المـاء ، ويحضِّضْنَ (٣) . وكان الرجل إذا رجـع فارًّا أعطينه مُكْحُلةً وَمِجْمـرا (٤) ، وقلن : معنا فانزل — أى إنك مِن النساء — وجعلت هنـدٌ بنت خالدٍ تحرّضهم وترتجز وتقول :

مَنْ رجلٌ ينـازِل الكتيبه * فذلكم تزنى به الجبيبـه

فلما آلتقَوا رمى رجلٌ من دوس رجلا من آلِ الحارث ، فقال : خُذْها وأنا أبو الزبن (٥) ، فقال ضِماد وهو فى رأسِ الجبل و بنو الحارث بحضرةِ الوادى : ياقوم زُبِنتم فارجعوا . ثم رجل آخر من دوس (٦) ، فقال : خذها وأنا أبو ذُكْر (٧) . فقال ضماد : ذهب القوم

(١) نضرة وردت فى ح بالصاد المهملة . والطلق ، أصل معناه الظبى ، و يقال أيضا : ناقة طلق : لا عقال عليها . والترائب : عظام الصدر . ينفحن : ينضحن بالدم . (٢) مقرح : مجروح .
(٣) التحضيض : الحث . (٤) المكحلة : وعاء الكحل . والمجمـر : ما يوضـع فيه الجمـر . (٥) الزبن : الدفع . وحرب زبون : يدفع بعضها بعضا . وزابنه : دافعه .
(٦) أى ثم رمى رجل آخر . (٧) أبو ذكر : أى أبو الصيت والثناء .

بذكرها، فاقبلوا رأيي وانصرفوا . فقال : قد جُبنت ياضماد، ثم ٱلتقوا ، فأبيدت بنو الحارث . هذه رواية أبي عمرو .

وأما الكلبي فإنه قال : كان عامر بن بكر بن يشكر يقال له الغطريف ويقال لبنيه الغطاريف ، وكان لهم ديتان ، ولسائر قومه دية، وكانت لهم على دوس إتاوةٌ يأخذونها كلَّ سنة ، حتى إنْ كان الرجل منهم ليأتى بيت الدَّوْسيّ فيضع سَهمه أو نعلَه على الباب، ثم يدخل ، فيجيءُ الدوسى ، فإذا أبصر ذلك انصرف ورجع عن بيته ، حتى أدرك عمرو بن حُمَمَة بن عمرو فقال لأبيه : ما هذا التطوّل[1] الذى يتطوّل به إخواننا علينا ؟ فقال : يا بُنَيَّ ، إن هذا شيءٌ قد مضى عليه أوائلنا ، فأعرِضْ عن ذكره . فأعرَضَ عن هذا الأمر ، وإنّ رجلا من دوس عرَّس بابنةِ عم له ، فدخل عليها رجل من بنى عامرِ بنِ يَشْكُر ، فجاء زوجُها فدخل على اليشكرىّ ، ثم أتى عمرو بنَ حممة فأخبره بذلك ، فجمع دوسًا وقام فيهم، فحرّضهم وقال : إلى كم تصبرون لهذا الذلّ، هذه بنو الحارث، تأتيكم الآن تقاتلكم، فاصبروا تعيشوا كِراما أو تموتوا كِراما . فاستجابوا له ، وأقبلت إليهم بنو الحارث فتنازلوا ، واقتتلوا ، فظفِرت بهم دوس ، وقتلتهم كيف شاءت ، فقال رجل من دوس يومئذ :

قد علمت صفراءُ حرشاءُ[2] الذيل * شرّابةُ المحض[3] تَروكٌ للقيل

ترخى فروعًا مِثلَ أذنابِ الخيلْ * أنّ بَرُوقا دونها كالويل

* ودونها خرطُ القتادِ[4] بالليلْ *

---

(١) التطول : وردت فى جـ : «الطول» . (٢) الحرشاء : الخشنة . (٣) المحض : الخالص ، وفى الأصول : « المخض » ، تحريف . والقيل بالياء : اللبن يشرب نصف النهار . ويقال هو شروب للقيل ، اذا كان مهيافا دقيق الخصر يحتاج إلى شرب نصف النهار .

(٤) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر .

وقال الحارث بن الطفيل بن عمرو الدوسى فى هذا اليوم، عن أبى عمرو :

يا دارُ من ماوِىّ بالسَّهب * بُنِيت على خَطْبٍ من الخطْب

إذ لا ترى إلا مقاتلةً * وعَجانِسا يُرقِلْن بالركب (١)

ومُدَجَّجًا يسعى بِشِكَّتِه * محمرَّةً عيناه كالكلب (٢)

ومعاشرًا صدأُ الحديد بهم * عبق الهِناء مخاطم الجُرْب (٣)

لما سمعت نَزَالِ قد دُعِيت * أيقنت أنَّهمُ بنو كعب (٤)

كعبِ بنِ عمرو لا لِكعبِ بنِي الـ * ـعنقاء والنَّبِيانِ فى النسب

فرميتُ كبشَ القوم مُعْتَمِدًا * فمضى وراشوه بذى كعب (٥)

شكوا بحَقْوَيْه القِداحَ كما * ناط المُعَرِّضُ أقدحَ القضْب (٦)

فكأنّ مُهرِى ظلّ مُنْغَمِسا * بشبا الأسنة مَغْرَةُ الجأب (٧)

يارُبَّ موضوعٍ رفعتُ ومر * فوعٍ وضعتُ بمنزل اللِّصب (٨)

وحَلِيل غانيةٍ هتكتُ قرارها * تحت الوغى بِشديدةِ العضب (٩)

كانت على حُبّ الحياة فقد * أحللتها فى منزلٍ غرب (١٠)

« جانيك مَنْ يَجْنِي عليك وقد * تُعْدِى الصِّحاحَ مبارِكُ الجرب » (١١)

---

(١) العجانس : ومفردها عجنس كعملس بتشديد اللام وحذفت النون الثقيلة فى الجمع لأنها زائدة : الجمال الضخمة الصلبة الشديدة مع ثقل وبطء. (٢) الشكة : السلاح. (٣) الهناء بالكسر: القطران. والمخاطم : ما يقاد منه البعير مكان الخطام. (٤) بنو كعب روى كاب فى جـ.

(٥) الكبش : الرئيس. راشوه حابوه من الرشوة، والكلام تهكم. وذى كعب : الرمح.

(٦) شكوا : يقال شكه بالرمح انتظمه وفى السلاح دخل. والحقو : الخصر. والقداح : السهام. ناط : علق. والمعرض : الرامى الذى يعرض القوس عرضا إذا أضجعها ثم رمى عنها. والأقدح جمع قدح بالكسر : السهم قبل أن يراش أو ينصل. والقضب جمع قضيب، وهو القوس عملت من قضيب أو من غصن غير مشقوق. (٧) المغرة بالفتح : لون إلى الحمرة. والجأب : موضع.

(٨) اللصب بالكسر : مضيق الوادى. واللواصب : الآبار البعيدة القعر.

(٩) العضب : الطعن والقطع. (١٠) الغرب : البعيد. (١١) تعدى بالتاء المثناة الفوقية فى س، ش أما فى جـ فبالباء الموحدة. والصحاح : الصحيحة من الإبل.

هـذا البيت فى الغناء فى لحنِ ابنِ سُرَيج؛ وليس هو فى هـذهِ القصيدةِ، ولا وُجِد فى الروايةِ، و إنما ألحقناه بالقصيدةِ لأنه فى الغِناء كما تُضيف المغنون شعرا إلى شعرٍ، و إن لم يكن قائلهما واحدا إذا آختلف الروىّ والقافية .

صـــوت

صرفتُ هـــواكَ فانصرفا * ولم تـــدع الذى ســـلفا

وبِنتَ فـــلم أمتْ كلفـا * عليـك ولم تَمُتْ أســـفا

كلانا واجـــد فى النـا * س مِمّن مـــلَّه خلفـا[1]

الشـعر لعبد الصمد بن المعذّل، والغناء للقاسم بن زُرْزُور، رملٌ بأوسـطى، وفيه لعمرَ الميدانى هزجٌ .

٥٧/١٢

(١) واجد فى ش، أما فى س، جـ فبالحاء المهملة وهو تحريف .

١٠

أخبار عبد الصمد بن المعذّل ونسبه

عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البَخْترىّ[1] بن المختار بن ذَرِيح ابن أوس بن هَمّام بن ربيعة بن بشير بن حُمْران بن حِدرجان بن عساس[2] بن ليث ابن حُدّاد بن ظالم بن ذُهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لُكَيز بن أفصى[3] بن عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِىّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وقيل: ربيعة بن ليث بن حمران.

وجدت فى كتاب بخطّ أحمد بن كامل: حدّثنى غيلانُ بن المعذل أخو عبد الصمد، قال: كان أبى يقول: أفصى أبو عبد القيس هو أفصى بنُ جديلة ابن أسد، وأفصى جدُّ بكر بن وائل هو أفصى بن دُعمىّ. والنسابون يغلطون فى قولهم عبدُ القيس بن أفصى بن دُعمىّ. ويكنى عبد الصمد أبا القاسم، وأمه أم ولد يقال لها: الزّرقاء. شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية، بصرىّ المولد والمنشأ. وكان هجاء خبيث اللسان[4]، شديد العارضة. وكان أخوه أحمد أيضا شاعرا، إلا أنه كان عفيفا، ذا مروءة ودين وتقدّم فى المعتزلة، وله جاه[5] واسع فى بلده وعند سلطانه، لا يقاربه عبد الصمد فيه، فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه، وعبد الصمد أشعرهما، وكان أبو عبد الصمد المعذل وجدّه غيلان شاعرين، وقد روى عنهما[6] شىء من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير، والمعذّل بن غيلان هو الذى يقول:

(١) س، ش: «البحترى».
(٢) عساس: فى س، شه. وفى جـ «غسان».
(٣) أفصى: بالصاد المهملة فى س، شه أما فى جـ فبالضاد المعجمة، وهو تحريف.
(٤) خبيث اللسان فى س، شه أما فى جـ فيسبقهما كلمة «خبيثا».
(٥) وله جاه: فى س، شه أما فى جـ فبإسقاط لفظ «له».
(٦) حـ: «شىء عنهما».

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني * أرى صالح الأعمال لا أستطيعها
أرى خـــلّةً فى إخوة وأقارِبٍ * وذى رحِم ما كان مِثلى يُضيعها
فلو سَاعدَتنى فى المكارم قــدرةٌ * لفاض عليهــم بالنوال ربيعهـا

أنشدنا ذلك له على بن سليمان الأخفش، عن المبرِّد، وأنشدناه محمدُ بنُ خلف
٥ ابنِ المرزُبانِ عن الزبعى أيضا . قالا : وهو القائل :

ولستُ بميّـالٍ إلى جانِب الغِنى * إذا كانت العلياءُ فى جانِبِ الفقرِ
وإنّى لصبّـار على ما ينــوبُنى * وحسبُكَ أنّ الله أثنَى على الصبر

تهاجى أبان والمعذل

أخبرنى محمد بن خلف، قال: حدّثنا النَّخَعِىّ وإسحاق، قال: هجا أبان اللاحقىّ المعذَّل بنَ غَيْلان، فقال :

١٠ كنتَ أمشى مع المعــذَّل يوماً * ففسا فَســوةً فكدتُ أطيرُ
فتلفتُّ هــل أرى ظَــرِبانا[1] * من ورائى والأرضُ بى تستدير
فإذا ليس غــيرُه وإذا إعــ * ـصارُ ذاك الفُساءِ منه يفــورُ
فتعجَّبت ثم قلتُ لقــد أعــ * ـرِفُ، هــذا فــيما أرى خنزيرُ

فأجابه المعذَّل فقال[2] :

١٥ صحّفتْ أمُّك إذ سمّـ * ـتك بالمهــد أبانا
قد عَلِمنا ما أرادت * لــم تُرِدْ إلا أتانا
صيّرتْ باءً مكان الـ * ـتاء، والله عِيـانا
قَطَـع الله وشيكا * مِن مُسمِّيك اللسـانا

(١) الظربان : دويبة صغيرة منتنة جدا، ويقال إنها إذا فست فى ثوب لم تذهب رائحته حتى يبلى .
٢٠ (٢) « فقال » ساقطة من ط .

المعذل وعبد الله ابن سوار

أخبرنى عمى قال : حدّثنا المبردُ قال : مرّ المعذلُ بنُ غيلان بعبد الله بنِ سوّار العنبرىّ القاضى ، فاستنزله عبدُ الله ، وكان من عادة المعذّل أن ينزل عنده ، فأبى ، وأنشده :

أمِن حق المودة أن نُقضِّى ٭ ذِمامَكُمُ ولا تَقضُوا ذماما (١)

وقد قال الأديبُ مقالَ صدقٍ ٭ رآه الآخَرون لهم إماما

إذا أكرمتُكم وأهنتمونى ٭ ولم أغضَب لذلكُمُ فذا ما (٢)

قال : وانصرف ، فبكّر إليه عبد الله بنُ سوار ، فقال له : رأيتك أبا عمرو مُغْضَباً . فقال : أجل ماتت بنتُ أختى ولم تأتِنى . قال : ما علمت ذلك . قال : ذَنْبُك أشد من عذرك ، ومالى أنا أعرف خَبَر حقوقك ، وأنت لا تعرف خبَر حقوقى ؟ ! فما زال عبد الله يعتذر إليه حتى رضىَ عنه .

هجاء عبد الصمد لشروين المغنى

حدّثنى الحسنُ بنُ على الخفّاف ، قال : حدّثنا ابن مهرويه عن الحَمْدونى ، قال : كان شروينُ حسنَ الغناء والضّرب ، وكان من أراد أن يغنّيه حتى يخرج من جلده جاء بجويرية سوداء فأمرها أن تطالعه ، وتُلوّح له بخرقه حمراء ، ليظنّها امرأةً تطالِعه ، فكان حينئذٍ يغنّى أحسنَ ما يقدر عليه تصنّعاً لذلك ، فغضب عليه عبد الصمد فى بعض الأمور ، فقال يهجوه :

مَن حلّ شروينُ له منزلا ٭ فلتنهِهُ الأولى عن الثانيه

فليس يدعوه إلى بيته ٭ إلّا فتًى فى بيته زانيهْ

هجاؤه لزان متزوج زانية

أخبرنى الحسن ، قال : حدّثنا ابنُ مَهرويه ، قال : حدّثنى أبوعمرو البصرى ، قال : قال عبدُ الصمد بن المعذّل فى رجلٍ زانٍ من أهلِ البصرة كانت له امرأةٌ تزنى ، فقال :

(١) حـ : « يقضى ذمامكم » . (٢) أى ماذا يسمى ذلك .

إن كنتِ قد صفَّرتِ أذْنَ الفتى * فطالما صَفَّرَ آذانا
لا تعجبي إن كنتِ كَشْخَنْتِهِ * فإنَّما كشخنتِ كشخانا (١)

أخبرني جعفرُ بن قدامةَ بنِ زيادٍ الكاتب، قال: حدّثنا سَوَّار بن أبي شُراعة، قال:

شعره في الفتى الكاتب الذي عشق جارية ابن الجوهري

٥ كان بالبصرة رجلٌ يعرف بابن الجوهري، وكانت له جاريةٌ مغنيةٌ حسنةُ الغناء، وكان ابنُ الجوهري شيخا همًّا قبيحَ الوجه، فتعشّقَتْ فتًى كاتبا كان يعاشره ويدعوه، وكان الفتى نظيفًا ظريفا، فاجتمعت معه مرارًا في منزله، وكان عبدُ الصمد يعاشره، فكان الفتى يكاتِمه أمرَه، ويحلِف له أنّه لا يهواها، فدخلتُ عليهما ذاتَ يومٍ بغتةً، فبقِيَ الفتى باهتًا لا يتكلّم، وتغير لونُه وتخلّج في كلامه،

١٠ فقال عبد الصمد:

لسانُ الهوى ينطقْ * ومَشْهَدُه يَصدقْ (٢)
لقد نَمّ هذا الهوى * عليك وما يُشْفِق (٣)
إذا لم تكن عاشقا * فقلبُك لِمْ يخفق (٤)
ومالَكَ إمَّا بدتْ * تَحارُ فلا تنطِقْ
١٥ أشمسٌ تجلّت لنا * أم القمرُ المشرق

٥٩/١٢

الغناءُ في هذه الأبياتِ لزُناذ، ويقال للقاسم بن زرزور، رملٌ مطلقٌ.

(١) كشخن الرجل: صار لا يغار واتهم بالديانة، وهي أن يرى الرجل العمل الفاحش في أهله ولا يغار.
(٢) مشهده، وفي كل الأصول: «مشاهده» ولا يستقيم الوزن
(٣) في كل الأصول: «تم» وهو تصحيف.
٢٠ (٤) لم يخفق: أي لماذا يخفق.

قال : ثم طال الأمر بينهما، فهربتْ إليه جملةً، فقال عبد الصمد فى ذلك :

إلى امرئٍ حازم رَكِبَتْ * أىَّ امرئٍ عاجزٍ تركَتْ(١)

فتنةُ ابن الجوهرىِّ لقد * أظهرَتْ نُصحا وقد أفكتْ

أكذبَتْهَا عزمةٌ ظهرت * لا تبالى نفسَ مَن سفكتْ

ظفِرتْ فيها بما هوِيَتْ * ونجَت من قُرب من فَرِكت(٢)

ثمّ خدودٌ بعدها لُطِمَتْ * وجيوبٌ بعدها هُتِكتْ

وعيون لا يُرقّأن على * حُسْنِ وجه فاتَهنّ بكت(٣)

خرجَتْ والليل مُعتَكِرٌ * لم يَهلْها أيّةً سلكتْ

وعيونُ النّاس قد هجعت * ودُجَى الظّلماء قد حلَكتْ

لم تخَفْ وجدًا بعاشقها * حُرمةَ الشّهرِ الذى انتهكتْ

ورأَتْ لمّا سَقَتْ كَمدًا * أنّها فى دينها نَسَكتْ

مُلِئَت كفٌّ بها ظَفِرت * دونَ هذا الخلق ما ملَكتْ

أىُّ ملك إذا خلا وخلَتْ * فشكا أشجانَه وشكَتْ

تجتلى من وجهه ذهبًا * وهو يجلو فضّةً فتكت(٤)

هكذا فعلُ الفتاة إذا * هى فى عشّاقها محكت(٥)

أخبرنى الحسنُ بن على ، قال : حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيه ، قال : حدّثنى بعض أصحابنا قال :

هجاؤه لجار له يمشى مشية منكرة

نظر عبد الصمد بن المعذّل إلى جارٍ له يخطِر فى مِشيته خَطرةً منكرة ، وكان فقيرا رثَّ الحال، فقال فيه :

(١) فى ب ، شـ : « إلى امرئ » . (٢) فركت : كرهت .
(٣) فاتهن بالتاء، وفى كل الأصول بالنون وهو تحريف . (٤) فى الأصول : « من وجهه » . (٥) محكت : لجت وأمعنت . ومن معانيه عسر الخلق .

يتمشّى فى ثوب عَصْبٍ من العزْ * ى على عظْم ساقِه مسدولِ (١)
دبّ فى رأسه نُمارٌ من الجو * ع سُرى نُمرةِ الرحيق الشمول (٢)
فبكى شَجْوَه وحنّ إلى الخُـ * ـبز ونادى بزفرةٍ وعويل
مَن لقلبٍ متيّمٍ برغيفيـ * ـن ونفسٍ تاقت إلى طِفْشيل (٣)
ليس تسمو إلى الولائم نفسى * جلّ قدرُ الأعراس عن تأميلى (٤)
٥ هاتِ لونًا وقُلْ لتلك تغنّى * لستُ أبكى لدارسات الطّلول (٥)

رثاؤه لأبى سلمة الطفيلى

أخبرنا سَوّارُ بنُ أبى شُراعة ، قال : كان بالبصرة طُفَيْلىٌّ يُكَنَّى أبا سلمة ، وكان إذا بلغه خبرُ وليمة لبس لِبْسَ القضاة ، وأخذ ابنَيْه معه وعليهما الفلانِس الطِّوال ، والطَّيالِسَةُ الرقاق ، فيقدّم ابنيه ، فيدقُّ البابَ أحدُهما ويقول : افتح يا غلام (٦)
١٠ لأبى سلمة . ثم لا يُلبِث البوابَ حتى يتقدّم الآخرُ فيقول : افتحْ ويلك فقد جاء أبو سلمة . ويتلوهم ، فيدقّون جميعا الباب ، ويقولون : بادرْ ويلك ، فإنّ أبا سلمة واقف . فإن لم يكن عَرَفهم فتح لهم ، وهابَ منظرهم ، وإن كانت معرفتُه إياهم قد (٧) سبَقتْ لم يلتفِت إليهم ، ومع كلّ واحدمنهم فِهْرٌ مدوَّر يسمونه "كَيسان" ، فينتظِرون (٨) حتّى يجىءَ بعضُ من دُعِىَ ، فيفتحُ له البابُ ، فإذا فُتح طرحوا الفِهرَ فى العتَبة حيث
١٥ يدور البابُ ، فلا يقدر البواب على غلقه ، ويهجُمون عليه فيدخلون . فأكل أبو سلمة

٦٠ / ١٢

(١) العصب : ضرب من البرود . (٢) الخمار بضم الخاء : ألم الخمر وصداعها ، ومثله الخمرة بالضم . والشمول : الباردة . (٣) الطفشيل : نوع من المرق ، أو ضرب من الطعام . انظر تحقيقه فى حواشى الحيوان (٣ : ٢٤) . سـ ، شـ : «التطفيل» . (٤) التأميل : التثبت فى الأمر والنظر . (٥) روى «طولا» بدل «لونا» . (٦) القلانس : ألبسة الرأس . والطيالسة : ملابس سود . والرقاق هى فى حـ : «الزرق» . (٧) فى سـ ، شـ :
٢٠ «وهاب منظرهم» أما فى حـ فيحذف هذه الجملة . (٨) الفهر : الحجر .

يومًا على بعض الموائد لُقمةً حارّة من فالوذج[1]، و بلعها لشدّة حرارتها ، فجمعت أحشاؤه فمات على المائدة، فقال عبدُ الصمد بنُ المعذل يرثيه :

أحزان نفسى عليها غير منصرمهْ * وأدمُعى من جفونى الدّهرَ منسجمهْ[2]

على صديقٍ ومولًى لى فُجعتُ به * ما إنْ لهُ فى جميع الصالحين لُمَهْ[3]

كم جفنةٍ مثلِ جَوفِ الحوض مُترَعةٍ * كوماءَ جاء بها طباخُها رذِمه[4]

قد كلّتها شحومٌ مِن قَليّتها * ومن سَنامِ جزورٍ عَبْطةٍ سنِمه[5]

غُيِّبتَ عنها فلم تَعرِف له خبرا * لهفى عليك وويلى يا أبا سلمه

ولو تكون لها حيًّا لما بَعُدت * يومًا عليك ولو فى جاحمٍ حُطَمه[6]

قد كنت أعلم أنّ الأكل يقتله * لكنّنى كنت أخشى ذاك من تُخَمه

إذا تعمّم فى شبليه ثم غدا * فإنّ حوزةَ من يأتيه مصطلَمه[7]

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزُبان، قال : حدّثنى أحمد بن يزيدَ المهلبى عن أبيه، قال :

شعره فى فتى عشقه

كان عبد الصمد بن المعذل يتعشّق فتًى من المغنين، يقال له : أحمد ، فغاضَبَه الفتى وهَجَره، فكتب إليه :

---

(١) الفالوذج : حلوى من الماء والدقيق والعسل . (٢) منسجمة : منصبة سائلة .
(٣) اللمة ، بالضم : المثل والشكل . (٤) الكوماء : المرتفعة . والرذمة : التى تسيل دسما . (٥) الجزور : الناقة المذبوحة . والعبطة : ما ذبحت من غير علة . والسنمة : العظيمة السنام . (٦) الجاحم الحطمة : النار الشديدة . (٧) الشبلان : عنى بهما الولدين . والمصطلمة : المستأصلة .

صــــوت

سَلْ جَزَعى مُذْ صددت عن حالى * هــل خَطَر الصــبرُ على بالى
لا غــيَّرَ الله ســوءَ فِعلِك بى * إن كنتُ أعتبتُ فيـك عُذَّالى
ولا ذممتُ البكا لى عليــك ولا * حَمِـدتُ حُسنَ السلُوِّ من سالِ
لو كنتُ أبغى سِواكَ ما جهِلَتْ * نفسىَ أنّ الصُّدود أعفى لى(١)

٥

لجحظةَ فى هذه الأبيات رملٌ مطلق .

أخبرنى الحسن بن على ، قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه ، قال : حدّثنى علىُّ بنُ محمدٍ النوفلى، فقال :

هجا عبدُ الصمد بنُ المعذَّل قينةً بالبصرة قال فيها :

هجاؤه لقينة بصرية

١٠

تفتَرُّ عن مَضحَك السَّذْرِىِّ إن ضحكت * كَرْفَ الأتان رأت إدلاءَ أعيـار(٢)
يَفوحُ ريحُ كنيف من ترائبها(٣) * ســوداءُ حالكةٌ دهماءُ كالقـار

قال : فكَسَدت والله تلك القينةُ بالبصرة ، فلم تُدْعَ ولم تُستَتبَع حتّى أخرِجَتْ عنها .

أخبرنى علىّ بن سليمانَ الأخفش ، قال : حدّثنا المبرد ، قال :

عتابه لبعض الأمراء

كتب عبد الصمد بن المعذل إلى بعض الأمراء رُقعــةً فلم يجبه عنها ، لشىء كان بلغه عنه ، فكتب إليه :

١٥

قد كتبتُ الكتّاب ثم مَضَى اليو * م ولم أدرِ ما جوابُ الكتّاب

---

(١) أعفى : أطيب وأحسن . (٢) السذرى ، عنى به أبا نبقة السذرى انظر ص ٢٥٠ . كرف الأتان : يقال كرف الحمار وغيره يكرف ، شم بول الأتان ثم رفع رأسه وقلب جحفلته . وربما قيل كرفت الأتان . وكل ما شممته فقد كرفته . الإدلاء : يقال أدلى الفرس أو البعير : أخرج ذكره ليبول . والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار . (٣) الترائب : عظام الصدر ، أو ما بين الثديين ، أو أربع أضلاع من جانبى الصدر ، أو موضع القلادة .

٢٠

٦١/١٢

ليتَ شِعرى عن الأمير لماذا * لا يرانى أهلًا لردّ الجواب
لا تدَعْنى وأنت رفّعْتَ حالى * ذا انخفاضٍ بهجرتى واجتنابى
إن أكنْ مذنبًا فعندى رجوعٌ * وبلاءٌ بالعذر والإعتاب
وأنا الصادقُ الوفاءِ وذو العهـ * ـدِ الوثيقِ المؤكَّد الأسباب

أخبرنى الحرمىّ بن علىّ، قال: حدّثنى أبو الشبل، قال: ٥

هجاؤه للهلبى الذى كان يخدع الفتيات

كان بالبصرة رجلٌ من ولدِ المهلَّب بن أبى صُفْرة، يقال له: صبيانة، وكان له بستان سِرىٌّ فى منزله، فكان يدعو الفتياتِ إليه، فلا يعطيهنَّ شيئا من الدراهم، ويُقْصِرُ بهن على مايحمِلنه مِن البستانِ معهنَّ، مثلَ الرُّطَب والبقول والرياحين، فقال فيه عبد الصمد قوله[1]:

قومٌ زناةٌ مالهم دراهمُ * جذرهم النَّمَّامُ والحَماحِم[2] ١٠
أنذلُ من تجمعُه المواسم * خَسُّوا وخسَّتْ منهم المطاعِمُ
* فعدلُهم إن قِسْتَه المظالِمُ[3] *

أخبرنى جعفر بن قدامة، قال: حدّثنى سَوّار بن أبى شُراعة، وأخبرنا به سوار أجازة، قال: حدّثنى أبى، قال:

جزع عبد الصمد من هجاء الجماز

لمّا هجا الجماز عبدَ الصمد بنَ المعذَّل جاءنى فقال لى: أنقذنى منه. فقلت له: أمثلك يَفْرَقُ[4] من الجماز؟ فقال: نعم، لأنه لا يبالى بالهجاء ولا يَفْرَقُ منه، ولا عِرضَ له، وشعره ينفُق[5] على من لا يدرى. فلم أزل حتّى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله فيه: ١٥

(١) قوله، ليست فى سـ، شـ. (٢) الجذر: الأصل. والنمام نبت طيب مدر. والحماحم: الحبق البستانى العريض الورق. (٣) حـ: «مظالم». (٤) يفرق: يخاف ويفزع. ٢٠
(٥) ينفق: يروج وينتشر.

ابن المعـذَّل مَنْ هُو * ومَنْ أبوه المعـذَّل
سالت وَهبانَ عنه * فقال بَيضٌ مُحَوَّلْ (١)

وهبان وعبد الصمد

قال : وكان وَهبان هـذا رجلا يبيع الحمام (٢)، فجمع جماعةً من أصحابه وجيرانه، وجعَلَ يغشَى المجالسَ، ويَحْلِفُ أنّه ما قال : إن عبدَ الصمد بيضٌ محوَّل، ويسألهم أن يعتذِروا إليه؛ فكان هذا منه قد صار بالبصرة طُرفةً ونادرة، فجاءنى عبد الصمد يستغيث منه، ويقول لى : ألم أقُل لك إنّ آفتى منه عظيمةٌ، والله لدَورانُ وهبانَ على النّاس يحلف لهم : إنه ما قال : إنى بيضٌ محوَّل، أشـدُّ علىَّ من هجائه لى . فبعثتُ إلى وهبانَ فأحضرته، وقلت له : يا هـذا، قد عَلِمْنا أنّ الحمازَ قد كَذَب عليك، وعَذَرناك فنحبُّ أن لا تتكَلَّفَ العـذرَ إلى الناس فى أمرنا، فإنّا قد عذرناك . فانصرَفَ وقد لقِىَ عبد الصمد بلاء .

تدخل الحمدوى بين عبد الصمد ومضرطان

أخبرنى محمد بن جعفر الصيدلانىّ النحوىّ صِهر المبرد، قال : حدّثنى إسحاق ابن محمّد النخعى قال : قال لى أبو شُرَاعةَ القيسىُّ :

بَلَـغَ أبا جعفر مَضْرَطان أنّ عبـد الصمد بن المعذَّل هجـاه، واجتمعا عنـد أبى واثـلةَ السّدوسىّ، فقـال له مضرطان : بلغنى أنك هجَـوْتَنِى . فقال له عبد الصمد : من أنت حتى أهْجُوَكَ؟ (٣) قال : هـذا شرٌّ من الهجاء. فوثب إلى عبدِ الصّمدِ يضربه، فقال الحَمْدَوِىّ، وهو إسماعيلُ بن إبراهيم بن حَمْدَوَيْه، وحمدويه جدُّه، وهو الذى كان يقتل الزنادقة :

(١) محول : أى حضنه غير أبويه . (٢) فى سـ، شـ : «يبيع الحام» . وفى حـ : «يتبع الحمار» وهو تحريف . (٣) الكلام بعده إلى «عبد الصمد» لا يوجد فى حـ، وزيدت كلمة «فجعل» قبل «يضربه» فى حـ .

ألذُّ مِن صُحبة القَنانى * أو اقتراحٍ على قِيانِ (١)
لَكْزُ فتًى من بنى لُكَيْزٍ * يُهْدَى له أهون الهوانِ (٢)
أهوَى له بازلٌ خِدَبٌّ * يطحَنُ قرنيه بالجِرانِ (٣)
فنال منه ثُؤورَ قوم * باليد طورًا وباللِّسانِ (٤)
وكان يفسُو فصار حقًّا * يضرِطُ من خوف مَضْرَطانِ

٦٢ / ١٢

٥

قال : وبلغ عبدَ الصَّمد شعرُ الحمدوىّ، فقال : أنا له . ففزع الحمدوىُّ منه، فقال :

تَرَحٌ طُعِنتُ به وهمٌّ واردُ * إذ قيل إنّ ابنَ المعذّل واجد (٥)
هيهاتَ أن أجدَ السَّبيلَ إلى الكرَى * وابنُ المعذّلِ من مزاحى حارِد (٦)

١٠

فرضى عنه عبد الصمد .

أخبرنى محمدُ بنُ عمران الصيرفىُّ قال : حدثنا العَنَزِىّ، قال : حدّثنى إبراهيم ابنُ عُقبةَ اليشكرىُّ، قال :

تهاجى الجماز وعبد الصمد

قال لى عبد الصمد بنُ المعذل ، هجانى الجمازُ ببيتَيْن سخيفين فسارا فى أفواه الناس، حتى لم يبق خاصٌّ ولا عامٌّ إلا رواهما، وهما :

١٥

ابنُ المعذل مَنْ هو * ومن أبوه المعذّل
سألتُ وهبانَ عنه * فقال بيضٌ مُحَوَّلْ

(١) فى الأصول : « من محنة » . القنانى : جمع قنينة . (٢) اللكز : الضرب . ولكيز كبير ابن أفصى بن عبد القيس . ويهدى بالياء فى سـ ، شـ أما فى حـ فبالنون . (٣) الخدب بتشديد الباء هو الجمل الشديد الصلب . والقرنان : الجانبان . (٤) الثؤور : جمع ثأر . (٥) الترح : الهم . (٦) الحارد : الغضبان المغتاظ .

٢٠

فقلت أنا فيه شعرا تركتُه يتحاجَى[(١)] فيه كلُّ أحدٍ ، فما رواه أحد ولا فكَّر فيه ، وذلك لضعتِه ، وهو قولي :

نسبُ الحمّاز مقصو * ر إليه مُنْتهاه

يتراءَى نسبُ النا * س فما يخفَى سِواهُ

يتحاجى في أبي الحـ * ـمّاز من هُو كاتباهُ

ليس يَدْري مَنْ أبو الحـ * ـمّاز إلا مَن يراه

شعره في بستان له

أخبرني الأخفش، قال : كان لعبدِ الصمدِ بستانٌ نظيف عامر، فأنشدَنا لنفسه فيه :

إذا لم يزرنِى[(٢)] نَدْمانيَهْ * خلوتُ فنادمتُ بستانيه

فنادمتُه خَضِرًا مُؤنقا * يُهيِّجُ لى ذكرَ أشجانيَه

يقرِّب مَفْرَحَةَ المُستَلَذِّ * ويُبعِد همِّى وأحزانيَه

أرى فيه مثلَ مدارِى الظِّباءِ * تظلُّ لأطلائها حانيه[(٣)]

ونَوْرَ أقَاح شتيتِ النباتِ * كما ابتسمَتْ عجبًا غانيه[(٤)]

ونرجسُه مثلُ عينِ الفتاةِ * إلى وجهِ عاشقها رانيه[(٥)]

(١) يتحاجى : يتفاطن ، من الأحجية ، وهى مثل اللغز فى الكلام .

(٢) فى الأصول : « إذا لم يزرنا » . والندمان ، بالفتح : النديم على الشراب ، والندماء أيضا .

(٣) المدارى : القرون . والطلا بالفتح : ولد الظبي ساعة يولد ، وهو أيضا الصغير من كل شىء .

(٤) النور : الزهر . والأقاحى : جمع أقحوانة ، نبت تشبه به الأسنان .

(٥) الرانية من رنا : إذا أدام النظر فى سكون .

شعره فى يزيد والجارية التى عشقها واشتراها

أخبرنى جعفرُ بنُ قُدامة بن زيادٍ الكاتبُ ، قال :

كان يزيد بن عبد الملك المسمعىُّ يهوَى جاريةً من جوارى القِيان، يقال لها: عُلَيْم ، وكان يعاشر عبدَ الصمد، ويزيدُ يومئذٍ شابٌّ حديثُ السن ، وكان عبدالصمد يسمِّيه ابنى ، ويسمِّى الجارية ابنتى ، فباع الفتى بستاناً له فى مَعْقِل ، وضيعةً بالقِندَل(١) ، فاشترى الجاريةَ بثمنها ، فقال عبد الصمد :

بُنَيَّتِى أصبحَتْ عَرُوسًا * تُهْدَى من ابنى إلى عروس
زُفَّتْ إليه لخيرِ وقتٍ * فاجتمعا ليلةَ الخميس
يا معشرَ العاشقين أنتم * بالمنزل الأرذلِ الخسيس
يزيدُ أضحى لكم رئيسًا * فاتَّبعوا مَنْهجَ الرئيس
مَن رام بَلّا لرأسِ أيرٍ * ذَلَّل نفسا بِحَلِّ كِيس(٢)

٦٣ / ١٢

هجاؤه لحماز وأبى قلابة

أخبرنى محمدُ بن خلفِ بن المرزبان ، قال : حدّثنى يزيد بن محمدٍ المهلبى ، قال :

بلغ عبدَ الصمد بنَ المعذل أنّ أبا قِلابةَ الجَرْمىَّ تدسَّس إلى الحماز لمّا بلغه تعرّضه له ، وهجاؤه إياه ، فحمله على الزيادة فى ذلك ، ويضمن له أن ينصرَه ويعاضدَه ، وقد كان عبد الصمد هجا أبا قِلابةَ حتّى أفحمَه ، فقال عبد الصمد فيهما :

يا مَن تركتُ بصخرة * صمّاءَ هامتَه أميمه(٣)
إن الذى عاضدتَه * أشبهتَه خُلُقاً وشيمه(٤)
وكفعل جدَّتك الحديـ * ـثة فعلُ جدّته القديمه
فتناصرا ، فابنُ اللئيـ * ـمة ناصرٌ لابنِ اللئيمه

(١) نهر معقل : نهر معروف بالبصرة ، منسوب إلى معقل بن يسار بن عبد الله المزنى . والقندل : موضع بالبصرة ذكر فى أخبار مكة . (٢) فى الأصول : « ذلك نفسا لحل » .
(٣) الأميم : المشجوج الرأس ، الذى بلغت الطعنة أم دماغه .
(٤) الشيمة : الطبع والسجية . س ، شم : « وسيمه » . والسيمة : العلامة .

عتابه لصديق ارتفعت حاله

حدّثنى جعفرُ بنُ قدامةَ، قال: حدّثنى أبو العيناء، قال: كان لعبد الصّمد بن المعذّل صديقٌ يعاشره ويأنَس به، فتزوّج إليه أمير البصرة، وكان من ولد سليمان بن على، فَنَبُلَ الرّجلُ وعلا قدرُه، وولّاه المتزوّج إليه عملا، فكتب إليه عبدُ الصمد:

أَحُلْتَ عمّا عهدتُ من أدبكْ * أم نلتَ مُلْكًا فتهتَ فى كُتُبِكْ (١)

أم هل ترى أنّ فى مناصفة الإخـ * ـوان نقصًا عليك فى حَسَبِكْ

أم كان ما كان منك عن غضبٍ * فأىُّ شىء أدناك من غضبك (٢)

إنّ جفاءً كتاب ذى ثقة * يكون فى صدره « وأمتعَ بك »

كيفَ بإنصافنا لديكَ وقد * شاركتَ آلَ النبىِّ فى نسبِك

قلْ للوفاء الذى تقدّره * نفسك عندى مَلِلت من طلبك

١٠ أتعبْتَ كفّيْكَ فى مواصلتى * حسبُك ماذا كفيت من تعبك

فأجابه صديقُه:

كيف يَحُول الإخاءُ يا أملى * وكلُّ خيرٍ أنال من نسبِك (٣)

إن يكُ جهلٌ أتاك من قِبَلِى * فامْنُنْ بفضلٍ علىّ من أدبك

أنكرتَ شيئا فلستُ فاعِلَهُ * ولا تراه يُخَطُّ فى كتبك

١٥ حدّثنى الأخفش، قال: حدّثنا المبرد، قال:

هجاؤه لصديق كذوب

كان لعبد الصمد بن المعذّل صديقٌ كثيرُ الكذب، كان معروفًا بذلك، فوعده وعدًا فأخلفه، ومَطَله به مَطْلًا طويلا، فقال عبد الصمد:

لى صاحبٌ فى حديثه البَرَكَهْ * يزيدُ عند السّكون والحركَهْ

لو قال « لا » فى قليلِ أحرُفِها * لردّها بالحروف مشتبِكَهْ (٤)

٢٠ (١) حلت: تغيرت. (٢) فى الأصول: « عن غضبك ».
(٣) فى الأصول: « كيف أحول ». (٤) مشتبكة، فى كل الأصول « سنكة » وهو تحريف.

أخبرنى جعفر بن قدامة قال : حدّثنى سوّار بن أبى شُراعة، قال :

شعره فى هجاء بنى المنجاب

كان يحيى بن عبد السميع الهاشمىّ يعاشِرُ عبدَ الصمد بن المعذل، ويجتمعان فى دارِ رجلٍ من بنى المنجاب له جاريةٌ مُغَنِّيَةٌ، وكان ينزِل رحبةَ المنجاب بالبصرة، ثم استبدّ بها الهاشمىّ دونَ عبدِ الصمد، فقال فيهم عبد الصمد :

قل ليحيى مَلِلتُ[1] من أحبابى * فلْيَنَكْهُمْ ما شاء من أصحابى

قد تركنا تَعَشُّقَ المُرْدِ لمَّا * أنْ بلَونا تنعُّم العزَّاب

٦٤/١٢

وشِنِئنا المؤاجِرِين فِلْنا[2] * بعد خُبْرٍ إلى وِصالِ القِحاب

حبّذا قينةٌ لأهل بنى المن * جابِ حلّتْ فى رحبة المِنجاب

صدَّقتْ إذ يقول لى خَلَقُ الأحـ * ـراح ليس الفِقاح للأَزْباب[3]

حبّذا تلك إذ تُغَنِّيك يا يحـ * ـيى وتَسْقيك من ثنايا عِذاب

«ذَكَرَ القلب ذِكْرَةً أُمَّ زيدٍ[4] * والمطايا بالسَّهْب سهْب الرِّكاب»

حبّذا إذ ركِبْتَها فتجافت * تتشكى إليكَ عند الضِّراب

وتَغَنَّتْ وأنت تدفَعُ فيها * غيرَ ذى خِيفةٍ لهم وارتقاب

«إن جَنْبِى عَنِ الفراش لنابٍ * كتجافى الأَسَرِّ فوقَ الظِّراب»[5]

ليت شعرى هل أَسْمعنَّ إذا ما * زاحَ عنى وساوسُ الكتّاب

مِنْ فتاةٍ كأنها خُوطُ بانٍ[6] * مَجَّ فيها النعيمُ ماءَ الشبابِ

(١) فى الأصول : « ملكت » تحريف . (٢) شنئنا : أبغضنا . حـ : «شنقنا» صواب هذه بالفاء . المؤاجر : الذى ينال الأجر لقاء الاستمتاع به . والخبر : الاختبار . وفى الأصول : «بعد خير» تحريف . (٣) الأحراح : الفروج . والفقحة : حلقة الدبر . (٤) البيت لعمر ابن أبى ربيعة فى ديوانه ص ٩٩ . والسهب : موضع . (٥) الأسر : البعير به ورم فى جوفه . والظراب : جمع ظرب ككتف، وهو ما نتأ من الحجارة وكان طرفه حادا . وهذا البيت لمعديكرب ، كما فى اللسان (سرر) (٦) الخوط، بالضم : الغصن الناعم .

إذْ تُغَنِّيك خلف سَجْفٍ رقيقٍ [1] * نَغَمَاتٍ تَخُبُّها بصواب

شفّ عنها محقّق جَنَدِيٌّ [2] * فهى كالشمس من خلال سَحاب

ربّ شِعرٍ قد قلتُه بتباهٍ [3] * ويُغَرَّى به ذوو الألباب

قد تركتُ الملحّنين إذا ما [4] * ذكروه قاموا على الأذناب

٥ قال : وشاعت الأبيات بالبصرة، فامتنع مولى الجارية مِنْ مُعاشرة الهاشميّ ، وقطعه بعد ذلك .

أخبرنى محمدُ بنُ عمران الصيرفىُّ وأحمدُ بن يحيى بن على بن يحيى، قال: حدّثنا الحسن بنُ عُلَيْلٍ العَنَزِىُّ، قال : حدّثنى أحمد بن صالح الهاشمىّ ، قال :

ما وقع بينه وبين ابنى هشام الكرنبانى وشعره فى ذلك

كان الحسين بن عبد الله بن العباس بن جعفر بن سليمانَ مائلًا إلى عبد الصمد بن ١٠ المعذّل، وكان عبدُالصّمد يهجو هشامًا الكرنبانى، فجرى بين ابنَىْ هشام الكرنبانى ـ وهما أبو واثلةَ وإبراهيم ـ وبين الحرّ بن عبد الله، لحاءٌ فى أمر عبد الصّمد، لأنّهما ذكراه وسبّاه، فامتعض له الحسين وسبّهما عنه، فرمَيَا الحسينَ بابن المعذّل، ونسباه إلى أنّ عبد الصمد يرتكبُ القبيح ، وبلغ الحسينَ ذلك ، فلقيهما فى سكة المِرْبَد ، فشدّ عليهما بسوطه وهو راكب ، فضربهما ضربا مُبَرِّحًا ، وأفلت أبو واثلة ، ووقع ١٥ سبيب [5] السّوط فى عين إبراهيم ، فأثر فيها أثرا قبيحا، فاستعان بمَشْيَخَةٍ مِنْ آل سليمان ابن على ، وهرب أبو واثلةَ إلى الأمير علىّ بن عيسى وهو والى البصرة ، فوجّه معه

(١) السجف : الستر . وفى الأصول : « سحق » . (٢) المحقق : المحكم النسج من الثياب ، أو الذى له وشى على صورة الحق . والجند : بلد من بلاد اليمن . (٣) فى الأصول : « يتساه » . يغرى : من التغرية، وهى بمعنى الإغراء . يقال أغراه بالشىء، وغراه به تغرية .

٢٠ (٤) فى الأصول : « الملتحين » . (٥) السبيب : ذؤابة السوط . حـ : « شيب » وفى سائر النسخ « سبب » صوبه ما أثبتنا .

بكاتبه ابن فراس إلى باب الحسين بن عبد الله، فطلبه وهرب حسين إلى المُحْدُثة[1]، فلما كان من الغد جاء حسينٌ إلى صالح بن إسحاق بن سليمان ، و إلى ابن يحيى ابن جعفر بن سليمان ، ومشيخةٍ من آل سليمان ، فصاروا معه إلى علىّ بن عيسى ، وأقبل عبدُ الصمد بن المعذَّل لما رآهم ، فدخل معهم لنُصرة حسين ، فكلَّموا علىَّ ابنَ عيسى فى أمره وقام عبد الصمد ، فقال : أصلح الله الأمير ، هؤلاء أهلُكَ ، وأَجِلَّةُ أهلِ مِصْرِكَ ، تصدَّوْا إليك فى ابنهم وابنِ أخيهم[2] ، و [هو و] إن كان حدثًا لا ينبسطُ للحجّة بحداثته[3] ، فإن هاهنا من يُعبِّر عنه ، وقد قلت أبياتا ، فإن رأى الأمير أن يأذن[4] فى إنشادها فعلَ . قال : قل . فأنشده عبد الصمد قوله :

يا ابنَ الخلائف وابنَ كلِّ مُبارَكٍ * رأسَ الدعائم سابقَ الأغصانِ
إنّ العلوج على ابنِ عمك أصفقُوا * فأتَوْك عنــه بأعظم البهتانِ[5]
قَرَفُوه عنــدَك بالتعدِّى ظالمـا * وهم ابتَدَوْه بأعظمِ العــدوانِ
شَتَمُوا له عِرضا أغرَّ مُهَــذَّبًا * أعراضُهم أولى بكلِّ هوانِ
وسَمَوْا بأجسامٍ إليــه مَهِينةٍ * وُصِلت بألأمِ أذرعٍ وبنـانِ
خُلِقت لمـدِّ القَلْس لا لتنـاوُلٍ * عِرضَ الشّريف ولا لمـدِّ عنانِ[6]
لم يحفَظُوا قرباه منــك فيتّهوا * إذْ لم يَهـابُوا حرمــةَ السُّلطانِ

---

(١) المحدثة بضم الميم : ماء ونخل فى بلاد العرب ، ولها جبل يسمى عمود . . ثة .

(٢) أجلة ، كذا وردت فى النسخ . وصوابها وقياسها « جلة » . ، شرح : « لا ينسبك للخبة » ، صوابه فى حـ .

(٤) يأذن ، وردت فى حـ : « يأذن لى » .

(٥) العلوج : جمع علج وهو كبير العجم . أصفقوا : اجتمعوا .

(٦) القلس : الحبل الضخم من ليف أو خوص أو غيرهما . عنى أنهم ملاحون ضعاف الشأن .

أيُذَلُّ مظلوما وجدُّك جَـده * كيما يعـزَّ بذُلِّه عِلجان
وينال أقلفُ، كَربلاءُ بلادُه، * ذلَّ ابنِ عمِّ خليفةِ الرحمن(1)
إنى أُعيذُك أن تُنالَ بك التى * تطغَى العلوجُ بها على عَدنان

فدعا علىُّ بن عيسى حُسَيْنًا، فضمّه إليه، فقال: انصرف مع مشايخك. ودعا بهشام الكرنبانى وابنَيه، فعذَلهم(2) فى أمره، ثمّ أصلح بينهم بعد ذلك.

عتبه لعبد الله بن المسيب

أخبرنى علىُّ بنُ سليمانَ، قال: حدّثنا محمدُ بنُ يزيد، قال: كان عبدُ الصمد ابنُ المعذَّل يعاشرُ عبدَ الله بنَ المُسَيَّب ويألفُه، فبلغه أنّه اغتابه يومًا وهو سكران، وعاب شيئًا أنشده من شعره، فقال فيه وكتب بها إليه:

عَتْبى عليك مُقارِنُ العُذرِ * قد زال عند حفيظتى صبرى(3)
لك شافعٌ منِّى إلىّ فما * يَقضى عليك بهفوةٍ فكرى
لمَّا أتانى ما نطقتَ به * فى السُّكر قلتُ جنايةُ السكر
حاشا لعبدِ الله يذكرنى * مُسْتَعْذِبًا بنقيصتى ذكرى
إنْ عابَ شعرى أو تَحَيَّفَهُ * فَلْيَهْنِه ما عاب من شعرى
يا ابنَ المسيب قد سبقتَ بما * أصبحتَ مرتَهنا به شكرى
فتى نُجِـرتَ فأنتَ فى سَعةٍ * ومتى هَفوت فأنت فى عذر
تَرْكُ العتاب إذا استحَقّ أخٌ * منك العتابَ ذريعةُ الهجر

(1) الأقلف: الذى لم يختن.
(2) عذلهم: لامهم.
(3) فى ح: «قد زاد عنك حفيظتى نصرى»

هجاؤه لشروين المغنى

أخبرنى الأخفش، قال: حدّثنا المبرّد، قال:

دعا عبدُ الصمد بن المعذّل شروينَ المغنّىَ، وكان مُحْسناً متقدّما فى صناعته، فتعالّل عليه ومضى إلى غيره، فقال عبدُ الصّمد: والله لأَسِمَنّه مِيسَمًا لا يدعوه بعده أحدٌ بالبصرة إلّا بعد أن يبذل عِرضَه وحريمَه. فقال فيه:

مَنْ حَلَّ شروينُ له منزلا * فلتنههُ الأولى عن الثانيهْ

فليس يدعوه إلى بيته * إلا فتًى فى بيته زانيهْ

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطرّ إلى أن خرج إلى بغداد وسُرَّ مَنْ رأى.

أخبرنى محمدُ بنُ عمران الصيرفىُّ وأحمدُ بنُ العباس العسكرىُّ، قالا: حدّثنا الحسن بن عليل العنزى، قال: حدّثنا الفضل بن أبى حرزة، قال:

٦٦/١٢

هجاء أبى قلابة لأبى رهم

كان أبو قِلابة الجَرْمىُّ وعبدُ الصمد بن المعذّل وعبد الله بن محمد بن أبى عيينة المهلبىّ أرادوا المسير[1] إلى بيت بَحرٍ البكراوىّ، وكانت له جاريةٌ مغنية، يقال لها: جبلةُ[2]، وكان أبورهم إليها مائلا يتعشّقها، ثم اشتراها بعد ذلك، فلما أرادوا الدُّخولَ إليها وافاهم أبورهم، فأدخلوه وحدَه وحجبوهم، فانصرفوا إلى بستان ابن أبى عيينة، فقال أبو قلابة: لا بدّ أن نهجوَ أبا رهم. فقالوا: قل. فقال:

ألا قل لأبى رهم * سيهوى نعتَك الوصفُ

كما حالفك الغىُّ * كذا جانَبَك الظَّرفُ

أتانا أنه أهدى * إلى بحرٍ من الشَّغفِ[3]

(١) فى حـ: «المصير».

(٢) جبلة هى فى حـ: «جبل».

(٣) الشغف، بالفتح والتحريك: أن يبلغ الحب شغاف القلب. وفى البيت إقواء.

حُزَيمات من الصِّير * فهلّا معه رُغُف (١)
فنادَوْا اقسمي فينا * فقد جاءكم اللُّطُف (٢)

سبب هجاء عبد الصمد أبارهم

فقال له عبد الصمد : سخنت عينك أيْش هذا الشعر، بمثل هذا يُهجى مَنْ يُرادُ به الفضيحة . فقال أبو قلابة : هذا الذى حضرنى ، فقل أنت ما يحضرك . فقال: أفعله وأجوِّد . فكان هذا سببَ هجاء عبدالصمد أبارهم ، وأوّلُ قصيدةٍ هجاهُ بها (٣) قوله :

دعُوا الإسلامَ وانْتحِلوا المجوسا * وألْقُوا الرَّبْطَ واشتملوا القُلوسا (٤)
بنى العبدِ المُقيم بنهر تيرَى * لقد أنهضتُ طيركم نحوسا (٥)
حرامٌ أن يبيت لكم نزيلٌ * فلا يُمسى بأمّكم عَروسا
إذا ركدَ الظلامُ رأت عُسَيْلًا (٦) * يحُثُّ على نَداماهُ الكؤوسا
ويُذْكِرُهم أبو رهم بهجو * فيستدعى إلى الحُرَمِ النُّفوسا
ويُخليهم هشامٌ بالغوانى * ويُحمِى الفضلُ بينهم الوطيسا (٧)
فتسمع فى البيوت لهم هبيبا * كما أهملتَ فى الزَّرب التيوسا (٨)
لقد كان الزناةُ بلا رئيس * فقد وجد الزناةُ بهم رئيسا
هم قَبَلُوا الزّناء وأنشؤوه (٩) * وهم وسموا بجبهته حبيسا
لئن لم تَنفِ دعوتَهم سَدُوسٌ * لقد أخزى الإلهُ بهم سَدوسا

(١) الحزيمات : جمع حزيمة . وفى كل الأصول بالخاء المعجمة . والصير : سميكات مملوحات .
(٢) اللطف ، بالضم والتحريك : البر والتكرمة والتحفى . (٣) فى الأصول : «هجاها» .
(٤) الريط جمع ريطة : كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة . والقلس : الحبل الضخم من حبال السفينة . (٥) نهر تيرى : بلد فى الأهواز حفره أردشير الأصغر .
(٦) عسيل : اسم علم . (٧) الوطيس : التنور . ويقال حمى الوطيس : اشتدت الحرب .
(٨) الهبيب : صوت التيس عند السفاد . والزرب بالزاى : موضع الغنم . وفى كل الأصول بالذال ، تحريف . والتيس : الذكر من الظباء والمعز والوعول أو إذا أتى عليه سنة .
(٩) قبلوا الزناء : كانوا له كالقابلة ، وهى التى تتلق المولود . وفى كل الأصول : «اقتتلوا الزناة» . والإنشاء والتنشئة : التربية . والحبيس : الموقوف ، أى وضعوا علامة على وجهه ليعلم أنه حبيس .

وقال فيه :

لو جادَ بالمال أبو رهم * بجُوده بالأخت والأمّ

أضحى وما يُعرف مِثلٌ له * وقيل أسخى العُرب والعُجم

من بَرّ بالحرمة إخوانَه * أحَقُّ أن يُشْكر بالشتم (١)

وله فيه من قصيدة طويلة : ٥

هو والله مُنْصِفٌ * زوجُه زوجُ زوجته

يقسِم الأَيْرَ عادلا * بين حِرْها وفقحته

حدّثنى أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال : حدّثنا العَنَزىّ، قال : حدّثنى أبو الفضل بن عبدان ، قال :

وصف عبد الصمد لنزهة

خرج عبد الصمد بن المعذَّل مع أهله إلى نزهة وقال : ١٠

قد نزلنا بروضة وغدير * وهجرنا القصر المنيف المشيدا (٢)

بعريش ترى من الزاد فيه * زُكرَتَىْ خمرة وصقرا صيودا (٣)

وغريرين يطربان الندامى * كلما قلتُ أبديا وأعيدا (٤)

غنّيانى ، فغنّيانى بلحن * سلس الزجْع يصدع الجلمودا

«لا ذَعَرتُ السَّوامَ فى فلق الـ * صُبح مغيرا ولا دُعيتُ يزيدا» (٥) ١٥

حىِّ ذا الزورَ وانْهَهُ أن يعودا * إنّ بالباب حارسين قعودا (٦)

(١) العبارة تهكم . وفى الأصول : « استحق أن يسكر » .

(٢) المنيف : المرتفع . والمشيد : ما طلى بالجص ونحوه .

(٣) الزُكرة، بالضم : زقيق للشراب . وفى الأصول : « ذكرتى » بالذال المعجمة، تحريف .

(٤) الغرير : من لا تجربة له . (٥) السوام : الإبل الراعية . ٢٠

(٦) الزور : الزائر ، ويطلق كذلك على الزوّار والزائرين .

من يَزُرْنا يجدْ شِـواءَ حُبارَى * وقـديرًا رخصا وخمرا عتيـدا (١)

وكراماً معـذَّلين وبيضًا * خلعوا العُذْر يسحبون البُرودا (٢)

لستُ عن ذا بمُقْصِرٍ ما جزائى * قـرَّبت لى كريمـةٌ عنقودا (٣)

شعره فى الأفشين وهو غلام أمرد

أخبرنى جعفر بن قدامة ، قال : حدّثنا محمدُ بنُ يزيد المبرد ، قال : نظر عبد الصمد بن المعذَّل إلى الأفشين بِسُرَّ من رأى وهو غلامٌ أمرد، وكان من أحسنِ النـاس، وهو واقفٌ على بابِ الخليفةِ مع أولادِ القوّاد ، فأنشدنا لنفسـه فيه، قال :

أيهـا اللاحِظى بطرفٍ كليـلِ * هـل إلى الوصل بيننا من سبيلِ

عِـلم الله أنـنى أتمـنى * زورةً منـك عند وقتِ المقيـلِ

بعد ما قد غدوتَ فى القُرْطُقِ الجَو * نِ تَهـادَى وفى الحسام الصقيل (٤)

وتكفَّيتَ فى المـواكب تختا * ل عليهـا تميـل كلَّ مَميـل (٥)

وأطلتَ الوقوف منـك ببا * بِ القصر تلهو بكلّ قال وقيـل

وتحدّثتَ فى مطـاردة الصَّـيـ * ـد بخُـبرٍ به ورأى أصـيـل (٦)

(١) الحبـارى : طائر للذكر والأنثى والواحد والجمع وألفه للتأنيث . والقدير بفتح القاف وكسر الدال : ما يطبخ فى القدر. والرخص : اللين .

(٢) المعذل : من يعذل كثيرا لإفراط جوده . وفى الأصول : « معدلين » . والعذر مع تسكين الذال للشعر : جمع العذار ، وهو من اللجام ما سال على خدّ الفرس . كناية عن عدم الحياء .

(٣) فى الأصل : « لما قربت » .

(٤) القرطق : القباء، معرب كرته . والجون بفتح الجيم : الأبيض والأسود، من الأضداد .

(٥) تكفيت، أى تكفأت وتمايلت .

(٦) الخبر ، بالضم والكسر : العلم بالشىء . وفى الأصول : « بخبرية » .

ثمّ نازعتَ في السـنان وفي الرمـ * ـح وعِـلم بمرهَفات النصـول (١)
وتكلّمتَ في الطِّراد وفي الطعـ * ـن ووثبٍ على صِعاب الخيولِ (٢)
فإذا ما تفـرّق القـومَ أقبلـ * ـتَ كريحانةٍ دنَتْ لذبول
قـد كساك الغبارُ منـه رِداءً * فوقَ صُـدغ وجَفنِ طرفٍ كحيل
وبدتْ وُردةُ القَسامة من خَـ * ـدّكَ في مُشرقٍ نقيّ أسـيل (٣)
ترشَح المسكَ منـه سالفـةُ الظبْـ * ـيِ وجيـدُ الأُدمانة العطبول (٤)
فأسـوف الغبـار ساعة ألقـا * ك برشف الخدّين والتقبيل (٥)
وأُحُلّ القَباء والسَّيفَ من خَصـ * ـرِكَ رِفقـا باللُّطف والتعليـل (٦)
ثم نُؤتى بمـا هويتَ من التَّشـ * ـريف عنـدي والبِرّ والتبجيـل
ثم أجلوكَ كالعـروس على الشَّـ * ـبِ تهـادَى في مُجْسَـد مصقول (٧)
ثم أَسـقيك بعـد شربيَ مِنْ رِيـ * ـقك كأسًا من الرحيـق الشمول (٨)
وأغنّيـك إنْ هَويتَ غِنـاءً * غـيرَ مسـتكرَهٍ ولا ممـلول
لا يزال الخَلخال فوق الحشـايا * مثـل أثنـاء حيـةٍ مقتـول
فإذا ارتاحت النفوسُ اشـتياقًا * وتمنّى الخَليـلُ قـربَ الخليـل
كان ما كانَ بيننـا، لا أسمّيـ * ـهِ ولكنّـه شـفاءُ الغليـل

(١) في ح : « في السنان وفي الدرع » . (٢) الطراد : مزاولة الصيد .
(٣) الوردة، بالضم : الحمرة . والقسامة : الحسن . وفي الأصول : « البشامة » .
(٤) السالفة : ما تقدّم من العنق . والأدمانة ، بالضم : الشديدة السمرة . والعطبول : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق . (٥) السوف : الشم .
(٦) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب ، وقيل يلبس فوق القميص ويتمنطق عليـه . والتعليل : يقال علله بطعام وغيره ، إذا شغله .
(٧) المجسد : الثوب المعصفر بالزعفران . (٨) الشمول : الباردة .

أخبرنى أحمدُ بن عبيدِ الله بنِ عمار، قال : حدثنى الحسن بن عُلَيل العنزى، والمبرّد وغيرهما ، قالوا :

شعره فى متيم وما جرى بينه وبين ابن أكثم بسبب ذلك

كانت مُتَيَّم جاريةً لبعض وجوه أهل البصرة، فعلقها عبد الصّمد بن المعذّل، وكانت لا تخرج إلا مُنْتَقِبةً ، فخرج عبد الصمد يوما إلى نزهة ، وقدمت متيّمُ إلى عبيدِ الله بنِ الحسنِ بنِ أبى الحرّ القاضى، فاحتاج إلى أن يُشهِد عليها، فأمرها بأن تُسفِر ، فلما قدم عبدُ الصمد قيل له : لو رأيتَ مُتَيَّمَ وقد أسفرها القاضى لرأيت شيئًا حسنا لم يُرَ مثله . فقال عبد الصمد قوله :

ولما سَرَت عنها القناعَ متيمٌ * تَرَوَّحَ منها العنبرىُّ متيَّما

رأى ابنُ عبيدِ الله وهو مُحَكَّمٌ * عليها لها طَرفا عليه محكَّما

وكان قديمًا كالحَ الوجهِ عابسًا * فلما رأى منها السفورَ تبسَّما

فإنْ يَصْبُ قلبُ العنبرىِّ فقبلَه * صبا باليتامى قلبُ يحيى بنِ أكثما

فبلغ قولُه يحيى بنَ أكثم ، فكتب إليه : عليك لعنة الله ، أىُّ شىء أردت منِّى حتى أتانى شِعرك مِن البصرة ؟ فقال لرسوله : قل له : متيَّمُ أقعدَتْكَ على طريق القافية!

أخبرنى عمى ، قال : حدثنى أحمد بن أبى طاهر ، قال : حدثنى عبد الله ابن أحمد العبدى، قال : حدثنى الأنيسى، قال :

هجاؤه لأخيه أحمد ابن المعذل

كنت عند إسحاق بن إبراهيم وزاره أحمدُ بن المعذّل ، وكان خرج مِن البصرة على أن يغزو ، فلما دخل على إسحاق بنِ إبراهيم أنشده :

أفضلتَ نُعمَى على قومٍ رعيت لهم * حقًّا قديمًا من الودّ الذى دَرَسا (١)

(١) درس : عفت آثاره وزالت معالمه لقدمه .

وحرمةَ القصدِ بالآمال إنّهمُ * أتَوْا سواكَ فما لاقَوْا به أَنَسا
لأنت أكرمُ منه عند رفعته * قولا وفعلا وأخلاقا ومُفْتَرسا (١)

فأمر له بخمسمائة دينار، فقبضها ورجع إلى البصرة، وكان خرج عنها ليجاور فى الثّغر، وبلغ عبدَ الصمد خبرُه، فقال فيه :

يُرِى الغزاةَ بأنّ الله هِمّتُه * وإنما كان يَغزو كيسَ إسحاق
فباع زُهداً ثوابا لا نَفادَ له * وآبتاعَ عاجل رِفدِ القوم بالباقى (٢)

صلة إسحاق بن إبراهيم لعبدالصمد

فبلغ إسحاق بن إبراهيم قوله، فقال : قد مسَّنا أبو السمّ عبدُ الصمد بشىء من هجائه. وبعث إليه بمائة دينار، فقال له موسى بن صالح : أبَى الأميرُ إلّا كرما وظَرْفا .

أخبرنى محمد بن عمران الصيرفىّ، قال : حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ، قال : حدّثنى الحسن الأسدى، قال :

هجاؤه لأبى نبقة

قدم أبو نبقةَ من البحرينِ وقد أهدى إلى قوم من أهلِ البصرة هداياه، ولم يُهدِ إلى عبد الصّمد شيئا فكتب إليه :

أما كان فى قَسْب اليمامةِ والتمر * وفى أَدَمِ البحرين والنَّبِق الصُّفر (٣)
ولا فى مناديل قَسَمْتَ طريفَها * وأهديتَها حَظٌّ لنا يا أبا بكر
سَرَتْ نحو أقوامٍ فلا هَنَأَتْهُمُ * ولم ينتصف منها المُقِلُّ ولا المثرى
أأنتَ إلى طالوتَ ذِى الوفرِ والغِنى * وآلِ أبى حرب ذوى النَّشَب الدثر (٤)

(١) المفترس : عنى به الأصل . (٢) الرفد : العطاء .
(٣) القسب : التمر اليابس . والأدم جمع أديم، وهو الجلد . والنبق : حمل شجر السدر، الواحدة نبقة .
(٤) أأنت بهمزة الاستفهام أى أتنتسب إلى طالوت ذى الوفر . والنشب : المال الأصيل من الناطق والصامت . والدثر بالفتح : المال الكثير، لا يثنى ولا يجمع، وقيل هو الكثير من كل شىء .

١٢
―
٢٦٩

ولم تأتِنى ولا الرياشىَّ تمرةٌ * غَصِصتَ بباقى ما ادّخرتَ من التمر (١)
ولم يُعطَ منها النهشلىُّ إداوةً * تكون له فى القَيظ ذُخرا مَدَى الدهر (٢)
أقول لفتيانٍ طويتُ لطيِّهم * عُرَى البيد، منشورَ المخافة والذعر (٣)
لئن حُكِّمَ السدرىُّ بالعدل فيكم * لما أنصف السدرىُّ فى تَمَر السدر
٥ لئن لم تكنْ عيناك عذرَك لم تكن * لدينا بمحمودٍ ولا ظاهرِ العذرِ

هجاؤه يزيد المهلبى ونسبه إلى الشؤم

أخبرنا الحسن بن عُليل، قال : حدثنا أحمد بن يزيدَ المهلبى، قال :
وقع بين أبى و بين عبدِ الصمد بنِ المعذل تباعُدٌ ، فهجاه ونسبه إلى الشؤم ،
وكان يقال ذلك فى عبد الصمد، فقال فيه :

يقول ذوو التَّشؤُّمِ ما لقينا * كما لقى ابن سهلٍ من يَزيدِ
١٠ أتتــه منيَّــةُ المأمونِ لمَّا * أتاه يزيدُ من بلدٍ بعيدِ
فصيّر منــه عسكرَه خلاءً * وفرّق عنه أفواجَ الجنودِ
فقلت لهم وكم مشؤومِ قومٍ * أبادَ لهم عَديدًا من عديدِ
رأيتَ ابنَ المعذَّلِ يالَ عمرو * بشُؤمٍ كان أسرعَ فى سعيدِ
فمنه موتُ جِلَّةِ آل سَلْمٍ * ومنه قضُ آجامِ البريدِ (٤)
١٥ ولم يَنزِل بدارٍ ثم يمسى * ولمَّا يستمعْ لَطْمَ الخدودِ
وكلُّ مديحِ قومٍ قال فيهم * فإنّ بعقْبه «ياعينُ جودى»
إذا رجلٌ تسمَّع منه مدحًا * تنسَّمَ منه رائحةَ الصعيدِ (٥)

---

(١) غص بالماء والطعام : اعترض فى حلقه شىء ومنعه من التنفس . (٢) الإداوة : إناء يتطهر به . وفى الأصول : « من الدهر » . (٣) طيهم : نيتهم التى انتووها .
٢٠ (٤) القض : الهدم . وفى جميع الأصول : «قبض» ولعل الصواب ما أثبتنا . والآجام : الحصون .
(٥) الصعيد : القبر .

فلو حصف الذين يُبيح فيهم * أثاروا منــه رائحــة الطريد (١)
فليس العــزّ يمنع منه شــؤمًا * ولا عتبا بأبواب الحــديد (٢)

هجاؤه لأخيه أحمد

حدّثنى الأخفش، قال : حدّثنا المبرد، قال :

مرّ أحمد بن المعذل بأخيه عبد الصمد وهو يَخطِر، فأنشأ يقول :

إن هذا يَرَى أَرَى * أنّه ابن المهلّبِ
أنت والله مُعْجَبٌ * ولنا غير مُعْجِب

٥

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم بنِ مهرويه، قال : حدّثنا أبى وغيره، وحدّثنى به بعض آل المعذّل، قال :

شعره فى غلام له يدعى المغيرة

مرّ عبد الصمد بن المعذل بغلام يقال له : المغيرةُ، حسنِ الصوتِ حسن الوجهِ، وهو يقرأ ويقول القصائد، فأعجب به، وقال فيه :

١٠

أيها الرافع فى المسـ * ـجد بالصّوتِ العقيره
قتلتنى عينُك النّجـ * ـلاءُ، والقتلُ كبيره
أيُّها الحكام أنتمْ * فاصِلُو حُكمِ العشيره
أحَلالٌ ما بقلبى * صنعت عينا مُغيره

قصيدة له فى صفة الحمى

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا ابن مهرويه، قال : حدّثنا زكريا بن مهران بنِ يحيى، قال :

١٥

(١) الحصف : الإقصاء والطرد. أثاروا : هيجوا. والطريد : ما يطرد.

(٢) العتب : جمع عتبة، وهى أسكفة الباب وما يدور عليه، وقد عنى عتب أبواب السجون.

جاءنا عبد الصمد بن المعذّل الى منزل محمد بن عمر الجرجرائيّ ، فأنشدنا قصيدةً له فى صفة الحُمّى ، فقال لى محمد بن عمر : آمض إلى منزل عبد الصمد حتى تكتبها . فمضيت إليه حتى كتبتها ، وهى :

٧٠ / ١٢

هجرتُ الصِّبا أيمّا هجْره * وعفت الغوانىَ والخمره
طوتْنى عن وصلها سكره * بكأس الضّنا أيّما سكره

٥

أخبرنى الحسنُ بن على ، قال : حدّثنا ابنُ مهرويه ، قال : حدّثنى عبد الله ابن يزيد الكاتب ، قال :

هجاؤه لأبى تمام

جَمَعَ بين أبى تمّام الطائىّ وبين عبد الصمد بن المعذّل مجلسٌ ، وكان عبدُ الصمد سريعًا فى قول الشعر ، وكان فى أبى تمام إبطاء ، فأخذ عبدُ الصمد القرطاسَ وكتبَ فيه :

١٠

أنت بين اثنتين تبرُز للنا * س ، وكلتاهما بوجهٍ مُذالِ[1]
لست تنفكّ طالبا لوصالٍ * من حبيبٍ او طالبا لنوال
أى ماء لحُرّ وجهك يبقى * بين ذُلّ الهوى وذل السؤال

هجاء أبى تمام له

قال : فأخذ أبو تمامٍ القرطاسَ وخلا طويلًا ، وجاء به وقد كتب فيه :

أفى تنظِمُ قولَ الزُّور والفَنَدِ[2] * وأنت أنْزَرُ من لا شىءَ فى العدد

١٥

أشرجْتَ قلبك من بُغضى على حُرَق[3] * كأنّها حَرَكاتُ الرُّوح فى الجسد

نقد عبد الصمد لأبى تمام

فقال له عبد الصمد : يا ماصّ بَظْرِ أمّه ، يا غثّ ، أخبرنى عن قولك « أنزر من لا شىء » ، واخبرنى عن قولك « اشرجتَ قلبك » ، قلبي مِفرشٌ ، أو عَيبةٌ[4] أو خُرج

(١) المذال : المهان ، أذاله : أهانه . (٢) الفند : الكذب . (٣) أشرجت العيبة : شددتها بخيط أو نحوه . وفى حـ بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . (٤) العيبة : الحقيبة من جلد ، وما يوضع فيه الثياب .

٢٠

فأُشيرجَه، عليك لعنة الله فما رأيت أغثَّ منك. فانقطع أبو تمامٍ انقطاعا ما يرى أقبحُ منه، وقام فانصرف، وما راجَعه بحرف .

قال أبو الفرج الأصبهانى : كان فى ابنِ مهرويه تحاملٌ على أبى تمّامٍ لا يضرُّ أبا تمامٍ هذا منه، وما أقلَّ ما يقدح مثلُ هذا فى مثل أبى تمام .

هجاء عبد الصمد لرجل من ولد جعفر

أخبرنى هاشم بن محمدٍ الخزاعى، قال : حدّثنى العَنَزى، قال :

كان عبد الصمدِ بن المعذَّل يستثقِل رجلًا من ولدِ جعفر بنِ سليمان بنِ علىّ يعرف بالفَرّاش، وكان له ابنٌ أثقلُ منه، وكانا يفطران عند المنذرِ بنِ عمرو — وكان يخلفُ بعضَ أمراءِ البصرة — وكان الفرّاش هذا يصلِّى به، ثم يجلس فيفطرُ هو وابنه عندَه ، فلما مَضَى شهرُ رمضان انقطع ذلك عنهما ، فقال عبد الصمد ابن المعذّل :

غَدَرَ الزمان وليتَه لم يَغْدر * وحَدَا بشهر الصوم فِطرُ المفطرِ
وثوتْ بقلبك يا محمّدُ لوعةٌ * تَمْرِى بوادرَ دمعِك المتحدِّرِ (١)
وتقسمتك صبابتان لبينِه * أسفُ المَشُوق وخَلّةُ المتفكِّر (٢)
فاستبقِ عينك واحشُ قلبَك يأسه * واقْرَ السلامَ على خُوان المنْذر
سَقيًا لدهرك إذ تَرَوَّحَ يومُه * والشمسُ فى عَلياءَ لم تتهوّر (٣)
حتّى تُنيخَ بكالكل متزاورٍ * وتمدّ بُلعوما قَمُوصَ الحنجر (٤)

(١) تمرى : تستدر . (٢) الخلة : الخصلة . وفى كل الأصول بالحاء المهملة .
(٣) تروح : راح وانقضى . لم تتهور : لم تسقط . (٤) المتزاور : المنحرف . القموص : السريع . وفى اللسان : « يقال للكذاب : إنه لقموص الحنجرة » .

وتَرُود منك على الخوان أناملٌ * تَدَع الخوانَ سرابَ قاعٍ مقفر[1]

وَنجِ الصِّحافِ من ابن فَرّاشٍ إذا * أنحَى عليها كالهزَبْر الهَبْصَر[2]

ذو دُرْبة طَبٌّ إذا لمعتْ له * بُشُرُ الخوان بَدَا بحَلِّ المئزر[3]

ودَّ ابنُ فَرّاش وفرّاشٌ معـا * لو أنَّ شهرَ الصوم مدّةُ أشهر

يُزرِى على الإسلامِ قِلّةَ صبره * وتراه يَحمَـد عِدّة المُتَنَصِّر

لا تَهلِكَنَّ على الصِّيام صبابةً * سيعود شهرُك قابلاً فاستبشر

لا درّ دَرُّك يا محمّـدُ من فتى * شَينِ المغيب وغيرِ زَيْنِ المحضَر

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان، قال : حدّثنى محمد البصرى -وكان جاراً لعبد الصمد بن المعذّل- قال :

هجاؤه ليزيد المهلبى

كان يزيد بن محمـد المهلبىّ يُعادى عبدَ الصمد ويهاجيه ويسابُّه، ويرمى كلُّ واحد منهما صاحبَه بالشّؤم، وكان يزيد بالبصرة وأبوه يتولّى نهر تِيرَى ونواحِيَها، فقال عبد الصمد يهجوه :

أبوك أميرُ قريةِ نهر تِيرَى * ولستَ على نسائك بالأمير

وأرزاقُ العبـاد على إلَه * لهم وعليـك أرزاقُ الأيور

فكم فى رزق ربك من فقيرٍ * وما فى أهل رزقك من فقير[4]

(١) السراب : ما تراه نصف النهار كأنه ماء .

(٢) الهبصر : الأسد يفترس ويكسر ويميل .

(٣) الطب : الخبير . بشر الخوان بضمتين ، جمع بشير ، أخذه من قول أعشى باهلة :

كأنه بعد صدق القوم أنفسهم * باليأس تلمع من قـدامه البشر

انظر الخزانة (١ : ٩٦) . وفى الأصول : « نشر الخوان » تحريف . وفى الأصول أيضا : « بدار بحل المئزر » ، والوجه ما أثبتناه .

(٤) فى الأصول : « فكم من رزق » .

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثنى محمد بن عبد الرحمن، قال: حدّثنى أحمد بن منصور، قال:

شعره فى على بن عيسى وقد شرب الدهن

شرب على بن عيسى بن جعفر وهو أمير البصرة الدُّهن، فدخل إليه عبدُ الصَّمَد ابن المعذّل بعد خروجه عنه، فأنشده قوله:

بأيمن طائرٍ وأسرِّ فالٍ * وأعلى رُتبةٍ وأجَلِّ[1] حالِ
شربتَ الدهنَ ثم خرجتَ عنه * خروجَ المشرفىِّ من الصقال
تكشَّفَ عنك ما عانَيْتَ[2] عنه * كما انكشف الغمامُ عن الهلال
وقد أهديتُ ريحانا طريفا * به حاجيتُ[3] مستمِعًا سؤالى
وما هو غيرَ ياءٍ بعد حاء * وقد سبقا بميم قبل دال[4]
وريحانُ الشباب يعيش يومًا * وليس يموت ريحانُ المقال
ولم يك مؤثرًا تُفَّاحَ شمٍّ * على تفّاح أسماع الرجال

أخبرنى[5] جحظة، قال: حدّثنى ميمون بن مهران[6]، قال: حدّثنى أحمد بن المغيرة العجلىّ، قال:

جوابه بالشعر عن رقعة رفعت إلى الإسكافى

كنت عند أبى سهل الإسكافىّ وعنده عبدُ الصمد بن المعذّل، فرفع إليه رجلٌ رقعة، فقرأها فإذا فيها:

هذا الرحيلُ فهل فى حاجتى نظرٌ * أو لا فأعْلَمَ ما آتى وما أَذَرُ

(١) أجل: أعظم. وفى الأصول: «أحل» بالمهملة.
(٢) فى الأصول: «ما عاينت». (٣) حاجيت، هى فى الأصول: «جائيت».
(٤) أراد «مدحى». وفى الأصول: «بعد دال».
(٥) أخبرنى ساقطة من حـ. (٦) فى حـ: «هارون».

فدفعها إلى عبد الصمد، وقال : الجواب عليك . فكتب فيها :

النفس تسخو ولكن يمنع العُسْر . والحر يعـــذر من بالعسر يعتذر (١)

ثم قال عبد الصمد لعليّ بن سهل: هذا الجوابُ قولاً ، وعليك أعزك الله الجوابُ فِعلا ، ونُجْحُ سَعْي الآمِلِ حقٌّ واجبٌ على مثلك . فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار .

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعلى بن سليمان الأخفش، قال : حدّثنا محمد ابن يزيد الأزدى، قال :

هجاؤه لابن أخيه

كان لابن المعذّل ابنٌ ثقيلٌ تيّـاهٌ (٢) شديدُ الذّهاب بنفسه ، وكان مُبغضا عند أهل البصرة ، فمرّ يوماً بعمّه عبد الصمد ، فلما رآه قال لمن معه :

إن هـذا يَرَى أَرَى * أنّهُ ابنُ المهلّبِ

أنت واللهِ مُعْجِبٌ * ولنـا غير معجب

قال : وقال فيه أيضا :

لو كان يُعطَى المُنَى الأعمامُ في ابن أخٍ * أصبحتَ في جوف قُرقورٍ إلى الصين (٣)

قد كان همًّا طويلا لا يقـامُ له * لو كان رؤيتُنا إياك في الحين

فكيف بالصّبر إذ أصبحتَ أكثرَ في * مجـال أعيننا من رملِ يَبرين (٤)

يا أبغضَ النّـاسِ في عُسْرٍ ومَيْسَرةٍ * وأقـذرَ الناس في دُنْيـا وفي دين

لو شاء ربّي لأضحَى واهبًـا لأخى * بمُرِّ ثُكلكَ أجرًا غـيرَ ممنون

---

(١) بالعسر هي في حـ : « بالصدق » .

(٢) القرقور : ضرب من السفن عظيم طويل .

(٣) يعني ابن أخيه أحمد بن المعذل . وقد مضى أن الهجاء في أحمد بن المعذل لا ابنه

(٤) يبرين : موضع من أصقاع البحرين ، رمله موصوف بالكثرة .

وكان خيرًا له لو كان مؤتزرا * فى السالفات على غُرْمول عِنِّين[1]

وقائلٍ لىَ ما أضناكَ قلتُ له * شخصٌ ترى وجهَه عينى فيُضنينى

إن القلوبَ لَتطوَى منك يا ابن أخى * إذا رأتك على مثل السّكاكين

صـــوت

أتتكَ العيسُ تنفُخ فى بُراها * تَكَشَّفُ عن مناكبها القطوع[2]

بأبيضَ من أميةَ مَضرحىٍّ * كأنّ جَبِينَه سيفٌ صَنيعُ[3]

الشعر لعبدِ الرحمن بنِ الحكم بنِ أبى العاص ، والغناء لابن المهربذ[4] ، رمل بالبنصر عن الهشامى . والله أعلم .

(١) الغرمول : الذكر أو الضخم الرخو . (٢) العيس : النوق البيض يخالط بياضها شقرة . والبرى : جمع برة بضم ففتح ، وهى حلقة من فضة أو صفر أو شعر تجعل فى أنف البعير . والقطوع بضم القاف : جمع قطع بالكسر ، وهو الطنفسة تكون تحت الرحل على كتفى البعير .

(٣) المضرحى : السيد الكريم ، والأبيض من كل شىء . والصنيع : السيف المجرب المجلو .

(٤) فى حـ : « الهربذ » .

أخبار عبد الرحمن ونسبه

هو عبد الرحمن بنِ الحكم بنِ أبي العاص بن أمية بنِ عبد شمس بن عبد منافٍ .
وأمه أم أخيه مروان ، آمنة بنت صفوان بنِ أميــة بنِ محرِّث بنِ شِق بنِ رقبة
ابن مخدج من بني كِنانة . ويكنى عبد الرحمن أبا مطرف . شاعر إسلامي متوسِّط
الحال في شعراءِ زمانه[1]، وكان يهاجي عبدَ الرحمن بنَ حسّان بنِ ثابت فيقاومُه وينتصِفُ
كلُّ واحدٍ منهما من صاحبه .

أخبرني محمد بن العبّاس العسكريُّ قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَـنَزيّ ،
عن العمريّ ، عن العتبيِّ والهيثم بنِ عديّ ، عن صالح بنِ حسان .

وأخبرني به عمي عن الكراني ، عن العمريّ ، عن الهيثم ، عن صالح بنِ
حسان قال :

خبر قدومه على معاوية معاتبا لعزله أخاه مروان

قدِمَ عبدُ الرحمن بن الحكم على معاوية بنِ أبي سفيان ، وقد عزل أخاه مروانَ
عن الحجاز وولّى سعيدَ بنَ العاص ، وكان مروانُ وجّه به وقال له : القَه أمامي
فعاتبْه لي واستصلِحْه . وقال عمّي[2] في خبره : كان عبد الرحمن بدمشق ، فلما بلغه خبرُ
أخيه خرج إليه فتلقّاه ، وقال له : أقِمْ حتى أدخل إلى الرجل ، فإن كانَ عزَلَك عن
موجِدة دخلتُ إليه منفردا ، وإن كان عن غير مَوجدة دخلت إليه مع الناس . قال :
فأقام مروانُ ومضى عبد الرحمن أمامَه ، فلما قدم عليه دخَلَ إليه وهو يعشّي الناس ،
فأنشأ يقول :

أتتْــكَ العِيسُ تنفُخ في بُرَاها * تَكشَّفُ عن مناكبها القُطوعُ
بأبيضَ من أميّــة مضرِحيٍّ * كأنّ جبينه سَيفٌ صنيعُ

(١) في حـ : « متوسط المحل » . (٢) في الأصول : « عمر » .

فقال معاوية : أزائرا جئت أم مُفاخرا أم مُكاثرا ؟ فقال : أىّ ذلك شئتَ .
فقال له : ما أشاء من ذلك شيئا(١) ، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذى عزّ
له ، فقال : على أىّ الظهر أتيتنَا ؟ قال : على فرسى . قال : وما صفته ؟ قال :
« أجشّ هزِيم » ، يعرّض بقول النّجاشى له :

ونجّى ابن حربٍ سابحٌ ذو عُلالة(٢) * أجشّ هــزيم والرماحُ دوانى
إذا خلّتَ أطرافَ الرِّماح تنـالُه(٣) * مَرَتْه به السّاقان والقــدمان

فغضبَ معاوية ، وقال: أمَا إنّه لا يركبُه صاحبُه فى الظُّلَم إلى الرِّيَب ، ولا هو
ممّن يتسوّر على جاراته ولا يتوثّب على كَنائنه(٤) بعد هجمة الناس — وكان عبد الرحمن يُتّهم
بذلك فى امرأة أخيه — فخجل عبدُ الرحمن وقال: يا أمير المؤمنين ، ما حَمَلك على عزل
ابنِ عمِّك ، ألِجناية أوجبَتْ سُخطا ، أم لرأيٍ رأيتَــه ، وتدبيرٍ استصلحتَه ؟ قال :
لتدبير استصلحتُه . قال : فلا بأس بذلك ، وخرج من عنــده فلقِىَ أخاه مروان ،
فأخبره بما جَرى بينه وبين معاوية ، فاستشاط غيظًا ، وقال لعبد الرحمن : قَبّحك الله ،
ما أضعَفَك ، أعَرّضتَ للرجل بمــا أغضَبَه حتّى إذا انتصف منك أحجمْتَ عنه؟
ثم لبِسَ حُلّته ، وركبَ فرسَه ، وتقلّدَ سيفَه ، ودخل على معاوية ، فقال له حين رآه
وتبيّنَ الغضبَ فى وجهه : مرحبا بأبى عبد الملك ، لقد زُرتَنا عند اشتياقٍ منّا إليك ،
قال : لاهَا(٥) اللهِ ما زرتُك لذلك ، ولا قدِمْتُ عليك فألفيتك إلّا عاقًّا قاطعـا ، والله

قدوم عبد الرحمن ابن الحكم على معاوية مغاضبا

(١) شيئا ، ساقطة فى حـ . (٢) السابح : الفرس السريع ، كأنه يسبح بيديه . والعلالة : البقية من السير ومن كل شىء . والأجش : الغليظ الصوت من الإنسان ومن الخيل ومن الرعد وغيره . والهزيم : الفرس الشديد الصوت . (٣) مرته : استدرت جريه . (٤) كنائن : جمع كنة بفتح الكاف : امرأة الابن أو الأخ ، وهو جمع نادر توهموا فيه « فعيلة » ونحوها ، ممـا يجمع على فعائل .
(٥) ها ، فى مثل هذا الأسلوب للتنبيه دخلت على حرف القسم المحذوف ، أو هى بدل من تاء القسم . انظر مغنى اللبيب وحاشية الأمير .

ما أنصفتنا ولا جَزَيتنا جزاءنا . لقد كانت السابقةُ من بنى عبد شمس لآلِ أبى العاص، والصِّهر برسول الله صلى الله عليه وسلم لهم، والخلافةُ فيهم، فوصلوكم يا بنى حرب وشَرَّفوكم، وولَّوكم فما عزَلوكم ولا آثَرُوا عليكم، حتّى إذا وُلِّيتم وأفضَى الأمرُ إليكم، أبيتم إلا أثَرَة وسوءَ صنيعة، وقُبْحَ قطيعة، فرُوَيدًا رُوَيدا، قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيِّفا وعشرين، وإنما هى أيّامٌ قلائل حتّى يُكملوا أربعين ويعلم امرُؤٌ أين يكون منهم حينئذٍ، ثم هم للجزاء بالحُسْنَى وبالسوء بالمرصاد .

قال عمِّى فى خبره: فقال له معاوية: عزلتُك لثلاثٍ لو لم يكنْ منهنّ إلّا واحدةٌ لأوجَبْت عزلَك: إحداهنّ إنِّى أمَّرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما، فلم تستطعْ أن تشتفىَ منه. والثانية كراهتُك لأمرِ زياد. والثالثة أن ابنتى رَملةَ استعدَتْك[1] على زوجها عمرو بن عثمان فلم تُعدِها[2]. فقال له مروان: أما ابنُ عامرٍ فإنِّى لا أنتصر فى سلطانى، ولكن إذا تساوت الأقدامُ علم أين موقعُه. وأمّا كراهتى أمرَ زياد فإنّ سائر بنى أمية كرهوه، ثم جعل الله لنا فى ذلك الكُرْه خيرًا كثيرا. وأما استعداء رملةَ على عمرو فوالله إنِّى لتأتى علىَّ سنةٌ أو أكثرُ وعندى بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا — يعرِّض بأن رملةَ إنما تستعدى عليه طلبًا للنكاح — فقال له معاوية: يا ابن الوزَغ[3]، لستَ هناك. فقال له مروان: هو ذاك الآن، والله إنى لأبو عَشَرة وأخو عشرة وعمُّ عشرة، وقد كاد ولدى أن يُكملوا العدّة — يعنى أربعين — ولو قد بلغوها لعلمتَ أين تقع منِّى! فانخزل معاوية ثم قال:

---

(١) استعدتك: استغاثت بك واستنصرتك.

(٢) أعداه عليه: نصره وأعانه.

(٣) الوزغ: جمع وزغة: سام أبرص، سميت بها لخفتها وسرعة حركتها.

فإن أك فى شرارِكُم قليــلًا * فإنّى فى خيــارِكُم كثيرُ
بُغاثُ الطّــير أكثرُها فِراخًا * وأمُّ الصّــقرِ مِقْــلاتٌ نزورُ[1]

قال : فما فَرغَ مروانُ من كلامه حتّى استخذى معاويةُ فى يده وخَضَع له ، وقال : لك العُتبى[2] ، وأنا رادُّك إلى عملك . فوثب مروان وقال له : كلّا والله وعيشك لا رأيتَنى عائدًا إليه أبدا . وخرج ، فقال الأحنف لمعاوية : ما رأيت لك قطُّ سَقطةً مِثلَها ، ما هــذا الخضوعُ لمروان ؟ وأىُّ شىء يكون منــه ومن بنى أبيــه إذا بلغوا أربعين ؟ وأىّ شىء تخشاه منهم ؟ فقال له : ادن منّى أخبرْك بذلك . فدنا منــه ، فقال له : إنّ الحكَمَ بنِ أبى العاص كان أحدَ مَن وفد مع أختى أمّ حبيبة[3] لمـا زُفَّت إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى تولّى نقلها إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحِدُّ النّظرَ إليه ، فلما خَرَج من عنده قيل له : يارسول الله ، لقد أحدَدْتَ النّظرَ إلى الحكم ! فقال : « ابن المخزومية ، ذلك رجلٌ إذا بلغ ولده ثلاثين — أو قال : أربعين — ملكوا الأمر بعدى » . فوالله لقد تلقّاها مَروانُ من عينٍ صافية . فقال له الأحنف : لا يسمعنّ هذا أحدٌ منك ، فإنّك تضع من قَدْرك وقدرِ ولدك بعدَك ، وإنْ يَقضِ الله عزّ وجل أمرًا يكنْ . فقال له معــاوية : فاكتُمْها علىّ يا أبا بحر إذًا ، فقد لعمرى صدقْتَ ونصحتَ .

أخبرنى إسماعيــل بن يونس الشيعى قال ، حدّثنا عُمر بن شبة قال : حدّثنى يعقوب بن القاسم الطلْحى قال : حدّثنى ثِمالٌ عن أيوب بن درْباس بن دَجاجة قال :

---

(١) بغاث الطير : أضعفها . والمقلات : الناقة التى تضع واحدا ثم لا تحمل ، والمرأة التى لا يعيش لها ولد . والنزور : القليلة النسل . (٢) العتبى بالضم : الرضا .

(٣) أم حبيبة ، هى رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب ، زوج الرسول صلى الله عليه وسلم .

شخص مروانُ بنِ الحكم ومعه أخوه عبدُ الرحمن، إلى معاوية. ثم ذكر نحوًا من الحديث الأوّل، ولم يَذكُرْ فيه مخاطبةَ معاويةَ فى أمرهم للأحنف، وزاد فيه:

فقال عبد الرحمن فى ذلك:

أتقطُــــر آفاقُ السماء له دمًا * إذا قيل هذا الطِّرْفُ أجردُ سابحُ [1]

فحتّى متى لا نَرفع الطَّرْفَ ذِلّةً * وحتّى متى تعيــا عليك المنادِحُ [2]

أخبرنى عمى قال: حدّثنا عبد الله بن أبى سعيد قال: حدّثنا علىّ بن الصباح عن ابن الكلبىّ عن أبيــه، قال:

بكاء عبد الرحمن حين رأى رأس الحسين وما قال فى ذلك

كان عبد الرحمن بنِ الحكم بن أبى العاصى عند يزيد بن معاوية، وقد بعث إليه عُبيدُ الله بن زياد برأس الحسين بن علىّ — عليهما السلام — فلمـا وضع بين يدى يزيدَ فى الطَّشت بكى عبدُ الرحمن ثم قال:

أبلغْ أميــرَ المؤمنــين فلا تكُنْ * كمُوتِرِ أقواسٍ وليس لها نَبْــلُ [3]

لَهَــامٌ بجنب الطَّفِّ أدنى قرابةً * من ابن زيادٍ الوغدِ ذى الحسبِ الرَّذْلِ [4]

سُميّــةُ أمسى نَسلُها عَدَدَ الحصى * وبنتُ رسولِ الله ليس لها نسلُ

(١) الطرف بالكسر: الكريم من الخيل كرم طرفاه، أى أبواه. والأجرد: القصير الشعر. والسابح: السريع الجرى، كأنه يسبح بيديه. (٢) تعيا عليك: أى تعييك وتعجزك. والمنادح: جمع مندوحة، وهو المتسع من الأرض. (٣) أوتر القوس: شد وترها. والنبل: السهام لا واحد لها، أو واحدها نبلة، جمعه أنبال ونبال. (٤) الهام: جمع هامة، عنى بهم القتلى من آل الرسول. والهامة: الرأس والشريف، أو هو انسياق مع ما كان يزعم العرب فى جاهليتهم أن روح القتيل الذى لم يدرك بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره تقول: اسقونى اسقونى! فإذا أدرك بثأره طارت. والطف: موضع قرب الكوفة كان به مقتل الحسين.

فصاح به يزيد : اسكتْ يا ٱبن الحمقاء، وما أنت وهذا ؟ !

بكاء ابن عباس لما حدث بين الأمويين والعباسيين

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعى قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنى هارون بن معروف قال : حدّثنا بشر بن السرى قال : حدّثنا عمر بن سعيد عن أبى مليكة قال : رأيتهم — يعنى بنى أميّة — يتتايعون[1] نحو ابنِ عبّاس حين نفى ابنُ الزبير بنى أمية عن الحجاز ، فذهبتُ معهم وأنا غلامٌ ، فلقينا رجلاً خارجا من عنده ، فدخلْنا عليه ، فقال له عُبيد بن عُمير ، مالى أراك تذرِف عيناك ؟ فقال له : إن هذا — يعنى عبد الرحمن بن الحكم — قال بيتًا أبكانى ، وهو :

وما كنت أخشَى أن تَرى الذلَّ نِسوتى * وعبدُ منافٍ لم تَغُلْها الغوائلُ

فذكر قرابةَ بيننا وبين بنى عمِّنا بنى أميــة ، وإنّا إنّمـا كنّا أهـلَ بيتٍ واحد فى الجاهلية ، حتّى جاء الإسلام فدخَلَ الشيطان بيننا أيّما دخل .

ولوع عبد الرحمن ابن الحكم بجارية مروان ، وما قال فى ذلك

أخبرنى عمى قال : حدّثنا الكرانى قال : حدّثنا العمرى عن الهيثم قال : حدّثنى أخى عباسٌ : أنّ عبدَ الرحمن بن الحكم كان يُولَع بجاريةٍ لأخيه مروان يقال لها "شنْباء" ويهيم بمحبّتها ، فبلغ ذلك مروانَ ، فشتَمه وتوعّده وتحفّظَ منه فى أمر الجارية ، وحجَبها ، فقال فيها عبد الرحمن :

لعمْرُ أبى شنباء إنّى بذكرها * وإن شَحَطَتْ دارٌ بها لحقيقُ[2]

وإنّى لها ، لا ينزِع الله ما لها * علىّ وإن لم ترعَه ، لصديقُ

ولمّا ذكَرتُ الوصلَ قالت وأعرَضَتْ * متى أنت عن هذا الحديث مُفيقُ

(١) يتتايعون : يتهافتون ويسرعون فى الحاجة . وفى حـ بالباء الموحدة قبل العين .

(٢) شحطت : بعدت .

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكُرَانى قال: حدّثنا الخليل بن أسد عن العمرى، ولم أسمعه من العُمرى، عن الهيثم بن عَدِى قال:

شعر عبد الرحمن في إدعاء معاوية لزياد وغضب معاوية عليه

لما ادّعى معاويةُ زيادًا قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك — والناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه إلى زياد، وذلك غلط — قال:

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حربٍ * مُغَلْغَلَةً[1] من الرجُل الهجانِ

أتغضبُ أن يقالَ أبوك عفٌّ * وترضَى أن يقالَ أبوك زانِ

فأشهدُ إن رِحْمَكَ من زيادٍ * كرِحْمِ الفيلِ من وَلَدِ الأتانِ

وأشهدُ أنّها ولدَتْ زيادًا * وصخرٌ من سُمَيَّةَ غيرُ داني

فبلغ ذلك معاويةَ بن حرب، فحلف ألا يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد، فخرج عبد الرحمن إلى زياد، فلما دخل عليه قال له: إيه[2] يا عبد الرحمن، أنت القائل:

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حربٍ * مُغَلْغَلَةً من الرجُل الهجانِ

قال: لا أيُّها الأمير، ما هكذا قلت، ولكنّي قلت:

ألا من مبلغٌ عنى زيادًا * مغلغلةً من الرجُلِ الهجانِ

من ابنِ القَرمِ قرمِ بنى قُصَىٍّ * أبى العاصى بنِ آمنةَ الحَصانِ[3]

حلفتُ بربِّ مكّةَ والمصلَّى * وبالتَّوراة أحلفُ والقُرآنِ

لأنت زيادةٌ فى آل حربٍ * أحبُّ إلىَّ من وُسْطَى بنانى

(١) المغلغلة: الرسالة تحمل من بلد إلى بلد. الهجان: الرجل الحسيب.

(٢) إيه بالكسر وتنون: كلمة استزادة.

(٣) القرم: السيد. الحصان، بالفتح: العفيفة المصونة.

سُررتُ بقُربه وفرِحْتُ لمَّا * أتانى الله منهُ بالبيانِ

وقلتُ له أخو ثقةٍ وعمٌّ * بعون الله فى هذا الزمانِ (١)

كذاك أراكَ والأهواءُ شتّى * فما أدرى بغَيبٍ ما ترانى

فرضىَ عنه زيادٌ، وكتب له بذلك إلى معاوية؛ فلما دخل عليه بالكتاب قال: أنشدْنى ما قلتَ لزياد. فأنشدَه، فتبسَّم ثم قال: قبَح الله زيادًا، ما أجهَلَه، والله لَمَا قلتَ له أخيرا حيث تقول: ٥

* لأنت زيادةٌ فى آل حربٍ *

شرٌّ من القول الأوّل، ولكنّك خدعتَه فجازت خديعتُك عليه.

هجاء عبد الرحمن لأخيه الحارث حين استعفى من الغزو

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال: حدّثنا عُمَر بن شبّة قال: استعمل معاويةُ بن أبى سفيان الحارثَ بن الحكم بن أبى العاصى على غُزَاة البحر، فنكَص واستعفى، فوجَّه مكانه ابنَ أخيه عبدَ الملك بن مروان، فمضى وأبلَى وحسُن بلاؤه، فقال عبد الرحمن بن الحكم لأخيه الحارث: ١٠

شَنِئتُك إذ رأيتك حَوْتَكيًّا (٢) * قريبَ الُحصيتين من التراب

كأنَّكَ قملةٌ لقِحت كِشافًا (٣) * لبُرغوثٍ ببعرة أوصُؤاب

كفاكَ الغزوَ إذ أحجَمْتَ عنه (٤) * حديثُ السنِّ مُقتَبَلُ الشَّباب ١٥

فليتك حيضةٌ ذهبَتْ ضلالًا (٥) * وليتَك عند مُنقَطع السَّحاب

(١) فى حـ: «إنى أخو ثقة» وفى شـ: «وقلت أخو ثقة» ولا يستقيم الوزن فيهما.

(٢) الحوتكى: القصير الضاوى، أو الشديد الأكل. (٣) الكشاف: أن تلقح الناقة حين تنتج أو أن تحمل عليها فى كل سنة، وذلك أردأ النتاج. والصؤاب: جمع صؤابة: بيض القمل.

(٤) يعنى بذلك عبد الملك بن مروان. (٥) منقطع السحاب: طرفه الذى ينقطع عنده. ٢٠

هجاؤه لمروان حين أعدى عليه الحناط

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: لطَم عبدُ الرحمن بن الحكم مولًى لأهل المدينة حَنَّاطا، وأخوه مروانُ يومئذٍ والٍ لأهل المدينة، فاستعداه الحنّاط عليه، فأجلسَهُ مروانُ بين يديه وقال له: الطمه — وهو أخو مروان لأبيه وأمه — فقال الحنّاط: والله ما أردتُ هذا، وإنَّما أردت أن أُعلِمه أنّ فوقَه سلطانًا ينصرُني عليه، وقد وهبتُها لك. قال: لستُ أقبلُها منك فخُذْ حقَّك. فقال: والله لا ألطمُه، ولكنِّي أهبها لك. فقال له مروان: إن كنتَ ترى أن ذلك يُسخِطني فوالله لا أسخَطُ، فخُذْ حقَّك. فقال: قد وهبتُها لك، ولست والله لاطِمَه. قال: لستُ والله قابِلَها، فإن وهبتَها فهَبْها لمن لطمك، أو لله عزَّ وعلا. فقال: قد وهبتُها لله تعالى. فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان:

كلُّ ابنِ أم زائدٌ غير ناقصٍ * وأنت ابنُ أمٍّ ناقصٌ غير زائدِ
وهبتَ نصيبي منك يامَرْوَ كلَّه * لعَمْرٍو وعثمانَ الطَّويلِ وخالدِ

أخبرني هاشم بن محمد أبودلف الخزاعي، قال: حدّثنا أبوغسان دماذ، عن أبي عبيدة قال:

رثاؤه لقتلى قريش يوم الجمل

نظر عبدُ الرحمن بن الحكَم إلى قتلَى قريش يومَ الجمل فبكى، وأنشأ يقول:

أيا عينُ جُودِي بدَمْعٍ سَرَبْ[1] * على فِتيةٍ من خِيار العرب
وما ضَرَّهم، غيرَ حَيْنِ النفوس، * أيُّ أميرَيْ قريشٍ غَلَبْ[2]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثني عمر بن شبّة قال: حدّثني المدائني عن شيخ من أهل مكة قال:

(١) السرب، بالتحريك: السائل المنسرب. وفي الأصول: «شرب» تحريف.
(٢) الحين: الهلاك، أي ما قدر لهم من ذلك. وفي الأصل: «جبن».

غضب معاوية على عبد الرحمن ثم عفوه عنه

عرَضَ معاويةُ على عبدِ الرحمن بنِ الحكم خيلَه، فمرَّ به فرسٌ فقال له : كيف تراه؟ فقال : هذا سابح . ثم عرض عليه آخر فقال: هذا ذو عُلالةٍ . ثم مرَّ به آخر فقال : وهذا أجشُّ هزيم . فقال له معاوية : قد علمتُ ما أردتَ، إنّما عرّضتَ بقول النجاشيّ فيَّ :

ونجّى ابنَ حرب سابحٌ ذو عُلالةٍ [1] * أجشُّ هَزيمٌ والرماحُ دوانِ

سَليمُ الشَّظَى عَبْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسا [2] * كسِيدِ الغَضَى باقٍ على النَّسلانِ

أخرِجْ عنّي فلا تساكِنّي فى بلدٍ . فلقي عبدُ الرحمن أخاه مروانَ فشكا إليه معاوية، وقال له عبدُ الرحمن : وحتّى متى نُستذَلّ ونُضام؟ فقال له مروان : هذا عملك بنفسك . فأنشأ يقول :

أتقطُر آفاقُ السَّماء لنا دماً * إذا قُلت هذا الطِّرفُ أجردُ سابحُ

فحتَّى متى لا نَرفع الطّرفَ ذِلّةً [3] * وحتَّى متى تَعيا عليك المنادح

فدخل مروانُ على معاويةَ، فقال له مروان : حتَّى متى هذا الاستخفاف بآل أبي العاصي؟ أمَا والله إنّك لتعلمُ قولَ النبي صلى الله عليه وسلم وآله فينا، ولقلَّ ما بقي من الأجل [4] . فضحِكَ معاوية وقال : لقد عفوتُ لك عنه [5] يا أبا عبدِ الملك . والله أعلم بالصواب [6] .

(١) العلالة : البقية . والأجش : غليظ الصوت. والهزيم : شديد الصوت .

(٢) الشظى : عظم لازق بالركبة أو بالذراع . العبل : الضخم من كل شيء . الشوى : اليدان والرجلان والأطراف وقحف الرأس وما كان غير مقتل . والشنج بكسر الشين : القبض فى الجلد . وفرس شنج النسا مدح، لأنه لم تسترخ رجلاه . والنسا بالفتح مقصور : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر، فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النسا بينهما واستبان . والسيد : الذئب . والغضا : ضرب من الشجر . و يقال ذئب الغضا لأنه لا يباشر الناس إلا إذا أراد أن يغير، ويزعمون أنه أخبث الشجر ذئابا . (٣) هو وسابقه سبق إنشادهما فى ص ٢٦٣ . (٤) فى حـ : «الأمل» بالميم . (٥) وفى حـ : «قد عفوت لك» فقط . (٦) كذا وردت هذه العبارة .

٧٧
١٢

صـــوت

قولَا لنائِل ما تَقضِــين فى رجُلٍ * يَهوى هــواكِ وما جَنّبته اجتَنَبا
يُمسِى معى جَسدِى والقلبُ عندكمُ * فـا يعيشُ إذا ما قلبُـــه ذَهبا (١)

الشعر لمسعدة بن البَختَرىّ، والغناء لعَبادل، ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتَر فى مُجرَى الوسطى عن إسحاق، وفيه لعَريبَ ثقيلٌ أوّلُ آخَرعن ابن المعتزّ، ولها فيه أيضًا خفيفُ رملٍ عنه. ٥

(١) فى الأصول : «إذا ماقلبه» .

أخبار مسعدة ونسبه

هو مَسعدةُ بن البَخترىّ بنِ المغيرةِ بنِ أبى صُفرة، بنِ أخى المهلَّب بن أبى صفرة. وقد مضَى نسبُه متقدِّما فى نسبِ يزيد بن محمدٍ المهلبى وابنِ أبى عُيَينة وغيرهما .

وهذا الشعر يقوله فى نائلة بنتِ عمرَ بنِ يزيد الأسَيْدىّ وكان يهواها .

أخبرنى بخبره فى ذلك أبو دلف هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال : حدّثنى عيسى ابن إسماعيل تِينة، عن القحذمىّ قال : ٥

تشبيب مسعدة بنائلة

كان مسعدةُ بنِ البَخترىّ بن المغيرةِ بنْ أبى صُفرة، يشبِّب بنائلةَ بنتِ عُمَر بنِ يزيد الأسَيْدى أحدِ بنى أُسَيِّدِ(١) بنِ عمرو بن تميم، وكان أبوها سيِّدًا شريفا، وكان على شُرَطِ العراقِ مِن قِبَلِ الحجّاج، وفيها يقول :

أنائلَ إنّنى سَــلْمٌ * لأهلِكِ فاقبلِى سَلْمِى ١٠

قال القَحذمىّ : وأمُّ نائلة هذه عاتكةُ بنت الفُراتِ بنِ معاويةَ البَكّائى، وأمُّها المُلاءة بنت زُرارةَ بن أوفَى الجُرَشيّة ، وكان أبوها فقيهًا محدِّثا من التابعين . وقد شبَّب الفرزدقُ بالملاءة وبعاتِكةَ ابنتها .

عاتكة بنت الفرات وما قيل فيها

قال عيسى : فحدّثنى محمّد بن سلامٍ قال : لا أعلم أنّ امرأةً شُبِّبَ بها وبأمِّها وجدّتها غير نائلة . فأمّا نائلة فقد ذكر ما قال فيها مسعدة ، وأمّا عاتكة فإنّ يزيد ابن المهلب تزوّجها ، فقُتِل عنها يوم العَقْر ، وفيها يقول الفرزدق : ١٥

---

(١) فى الاشتقاق ١٢٧ : « وأسيد تصغير أسود فى لغة تميم، وسائر العرب يقول : أسيود. فإذا نسبوا إليه قالوا أسَيْدىّ، كرهوا كثرة الكسرات، واستثقلوا أن يقولوا : أسيِّدى» .

إذا ما المَزُونيات أصبحن حُسَّرا * وبكّين أشلاءً على غير نائل (١)
فكم طالبٍ بنتَ المُلاءةِ إنّها * تذكّر ريعانَ الشّبابِ المزايلِ (٢)

ما قيل فى أمها الملاءة

وفى الملاءة أمّها يقول الفرزدق :

كم للُملاءةِ من طيفٍ يؤرّقنى * إذا تجرثمَ هادِى الليلِ واعتكرا (٣)

٥ أخبرنى الحرمى بن العلاء قال: حدّثنى الزُّبير بن بكّار قال: حدّثنى عبد الرحمن ابن عبد الله قال :

قصة عاتكة بنت الملاءة

خرجَتْ عاتكةُ بنت المُلاءةِ إلى بعض بَوادِي البَصْرة فلقيتْ بدوياً معه سمن فقالت له : أتبيعُ هذا السَّمن ؟ فقال : نعم . قالت : أرِنَاه . ففتح نِحْيًا (٤) فنظرَتْ إلى ما فيه ، ثم ناولَتْه إياه وقالت : افتحْ آخَر . ففتح آخَرَ فنظرتْ إلى مافيه ثم ناولته ١٠ إياه ، فلما شَغَلَتْ يديه أمرَتْ جوارِيَها فجعلْنَ يركُلْنَ فى استه وجعلت تنادى : يا لَثارات ذاتِ النِّحيين !

قصة ذات النحيين

قال الزُّبير : تعني ما صُنِـع بذاتِ النِّحيين فى الجاهلية ؛ فإنّ رجلاً يقال له : خَوّات بن جُبير رأى امرأةً معها نِحيَا سمنٍ فقال : أرِيني هـذا . ففتحت له أحَدَ النِّحيين ، فنظر إليه ثم قال : أرِيني الآخر . ففتحَتْه ، ثم دفَعه إليها ، فلما شَغَل يديها ١٥ وقَع عليهـا ، فلا تقدر على الامتناع خوفاً من أن يذهبَ السمن ، فضربت العربُ المثلَ بها ، وقالت : « أشغَلُ مِنْ ذاتِ النِّحيَين » . فأرادت عاتكةُ بنت الملاءة أنّ هذا لم يفعلْه أحدٌ من النساءِ برجلٍ كما يفعله الرّجلُ بالمرأة غيرها ، وأنّها ثارَتْ للنّساء ثأرَهنَّ من الرِّجال بما فعلَتْه .

٧٨ / ١٢

(١) الحسر : كاشفات الوجوه . الأشلاء : الأعضاء ، عنى بها القتلى .
٢٠ (٢) المزايل : المفارق . (٣) تجرثم : اجتمع . وهادى الليل : أوله . اعتكر : اشتد ظلامه . (٤) النحى ، بالكسر : الزق ، أو ما كان للسمن خاصة .

ما جرى بين الملاءة وعمر بن أبى ربيعة

أخبرنى على بن صالح بن الهيثم قال: حدّثنا أبو هِفّان عن إسحاق الموصلىّ عن الزبير والمسيّبى[1] ومحمّد بن سلام وغيرهم من رجاله: أنّ المُلاءة بنت زُرارة لقيت عمر ابن أبى ربيعة بمكة وحوله جماعةٌ ينشدهم، فقالت لجاريةٍ: من هذا؟ قالت: عمرُ بن أبى ربيعةَ، المنتقلُ من منزله من ذاتِ وِدادٍ إلى أُخرى، الذى لم يدُمْ على وصلٍ، ولا لقوله فرعٌ ولا أصل، أمَا والله لو كنتُ كبعض من يواصل لما رضيتُ منه بما تَرضَين، وما رأيت أدنَا من نساء أهلِ الحجاز ولا أقرّ منهنّ بخَسْفٍ، والله لأَمَةٌ من إمائنا آنَفُ منهنّ! فبلغ ذلك عمرَ عنها، فراسَلَها فراسلَتْه، فقال:

حَىِّ المنازل قد عَمِرن خَرابا * بين الجُرَين وبين رُكْنِ كُسابا[2]

بالثِّنْى من مَلْكانَ غيّر رَسْمَها * مَرُّ السحابِ المُعقِبات سحابا[3]

وذيولُ مُعصِفةِ الرّياح تجرُّها * دُقَقا فأصبحت العِراصُ يبابا[4]

ولقد أُراها مَرّةً مأهولةً * حَسَنًا جَنابُ مَحَلِّها معشابا[5]

دارُ التى قالتْ غداةَ لقيتُها * عند الجمار فما عييتُ جوابا

هذا الذى باعَ الصَّديقَ بغيره * ويريد أنْ أرضَى بذاك ثوابا

---

(١) المسيبى فى س، ش بدون واو بين العلمين، واعتمدنا ما فى حـ.

(٢) عمر: بقى زمانا. الجرين بهيئة التصغير: موضع بين سواج والنير باللعباء من أرض نجد. كساب بالضم: موضع، وقال عبد الله بن إبراهيم الجمحى: كساب، بالفتح على وزن قطام: جبل فى ديار هذيل قرب الحزم لبنى لحيان.

(٣) الثنى من كل نهر أو جبل: منعطفه. وملكان بكسر اللام: واد لهذيل على ليلة من مكة.

(٤) دقق التراب بضم ففتح: دقاقه، واحدها دقة بالضم. وفى الأصول: «وقفا» صوابه فى الديوان ١١٤. العراص جمع عرصة، بالفتح، وهى البقعة الواسعة بين الدور. واليباب: المقفرة. وهذا تصحيح ش. وفى سائر النسخ: «العرائس بابا».

(٥) الجناب: الناحية والفناء.

قلت اسمعي منّي المقالَ ومن يُطعْ * بصديقه المتملّقَ الكذّابا
[وتكنْ لديه حبالُه أنشوطةً * في غير شيءٍ يقطع الأسبابا][1]
إن كنت حاولتِ العتابَ لتعلمي * ما عندنا فلقد أطلتِ عتابا
أو كان ذلك للبِعاد فإنّه * يكفيك ضربُك دونك الجلبابا
وأرى بوجهك شَرَق نُورٍ بيّنٍ * وبوجه غيرك طَخْيةً وضبابا[2]

صوت

أسعداني يا نخلَتيْ حُلوانِ * وارثيا لي من ريب هذا الزمانِ
واعلما أنّ ريبَه لم يزل يفـ * ـرُقُ بين الأُلّافِ والجيرانِ
أسعداني وأيقنا أنّ نحسًا * سوف يلقاكما فتفترقانِ
ولعمري لو ذُقتما أَلَمَ الفُرْ * قةِ أبكاكما كما أبكاني
كم رمتْني به صروفُ الليالي * من فراق الأحبابِ والخُلّانِ

الشعر لمطيع بنِ إياس ، والغناء لحكيمٍ الواديّ ، هزج بالوسطى عن عمرو والهشامي .

(١) التكلة من ديوان عمر ١١٥ . (٢) الطخية بالفتح : الظلام .

أخبار مطيع بن إياس ونسبه

هو مطيع بن إياس الكنانى . ذكر الزّبير بن بكار أنه من بنى الدّيل بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة . وذكر إسحاق الموصلىّ عن سعيد بن سَلْم أنه من بنى ليث ابن بكر . والدّيل وليث أخوان لأب وأمّ ، أمّهما أمّ خارجة[1] ، واسمها عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قُراد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار بن أراش ابن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان . وهى التى يضرب بها المثل فيقال : « أسرع من نكاح أم خارجة » . وقد ولدت عدّة[2] بطون من العرب حتّى لو قال قائل : إنه لا يكاد يتخلّص من ولادتها كبير أحد منهم لكان مقاربا . فممّن ولدت الديل وليث والحارث وبنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وغاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دُودان ابن أسد بن خزيمة ، والعنبر وأُسيّد والهُجيم ، بنو عمرو بن تميم ، وخارجة ابن يشكر — وبه كانت تكنى — ابن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا ، وهو أبو المصطلق .

نكاح أم خارجة

قال النسابون : بلغ من سرعة نكاحها أنّ الخاطب كان يأتيها فيقول لها : خِطْبٌ ، فتقول له : نِكْحٌ .

وزعموا أنّ بعض أزواجها طلّقها فرحل بها ابنٌ لها عن حيّه إلى حيّها ، فلقيها راكبٌ فلما تبيّنته قالت لابنها : هذا خاطبٌ لى لا شكّ فيه ، أفتراه يُعجلنى أن أنزل عن بعيرى ؟[3] فجعل ابنُها يسبّها .

(١) أم ، تكملة من شـ . (٢) حـ : « فى عدة » .

(٣) ولفظ الميدانى : « كان يأتيها الخاطب فيقول : خطب فتقول : نكح . فيقول : أنزل . فتقول : أنخ . ذكر أنها كانت تسير يوما وابن لها يقود جملها فرفع لها شخص فقالت لابنها : من ترى ذلك الشخص ؟ فقال : أراه خاطبا . فقالت : يا بنى تراه يعجلنا أن نحل ، ماله غل وأل » .

ولا أعلم أنّى وجدتُ نسبَ مطيع متصلا إلى كنانة فى رواية أحدٍ إلّا فى حديث أنا ذاكُره ؛ فإن راويَه ذكر أن أبا قُرْعة الكنانىّ جدُّ مطيع ، فلا أعلمُ أهو جدُّه الأدنى فأصِلَ نسبَه به ، أم هو بعيدٌ منه ، فذكرتُ الخبرَ على حاله .

تشاحن ابن الزبير وجد مطيع

أخبرنى به عيسى بن الحسنِ الورّاق قال : حدّثنا أحمد بن الهيثم بنِ فراس قال : حدّثنى العُمرى وأبو فراس عمّى جميعًا ، عن شُراحيل بنِ فراس ، أنّ أبا قرعة الكنانى ، واسمه سلمى بن نوفلٍ — قال : وهو جدُّ مطيع بنِ اياس الشّاعرِ — كانت بينه وبين ابنِ الزُّبير قبل أن يلى مقارضة[1] ، فدخل سلمى وابنُ الزبير يخطُب الناس ، وكان منه وجِلًا ، فرماه ابنُ الزُّبير ببصره حتّى جلس ، فلما انصرفَ من المجلس دعا حَرَسيًّا فقال : امضِ إلى موضع كذا وكذا من المسجد ، فادْعُ لى سلمى بن نوفلٍ . فمضى فأتاه به ، فقال له الزبير : إيهًا أيُّها الضبّ . فقال : إنّى لستُ بالضبّ ولكنّ الضبّ بالضّمر[2] من صخر . قال : إيهًا أيُّها الذِّيخ[3] . قال : إن أحدًا لم يبلُغ سنّى وسنّك إلّا سمّى ذيخًا . قال : إنّك لها هنا يا عاضّ بظرِ أمّه . قال : أعيذك بالله أن يتحدّثَ العرب أنّ الشيطان نَطَقَ على فيك بما تنطقُ به الأَمَة الفَسْلة ، وايمُ الله ما هاهنا داد أريده على المجلس أحدٌ[4] إلّا قد كانت أمّه كذلك .

والد مطيع بن إياس

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا على بن محمد بنِ سليمان النوفلى عن أبيه قال : كان إياسُ بن مسلم ، أبو مطيع بن إياسٍ شاعرًا ، وكان قد وفد إلى نصر آبن سيّار بخراسان فقال فيه :

(١) المقارضة : تبادل الذم أو المدح .

(٢) الضمر : رملة بعينها . (٣) الذيخ : ذكر الضباع .

(٤) كذا وردت هذه العبارة وفى حـ « أحدا » .

إذا ما نعالى من خُراسانَ أقبلت * وجاوزتُ منها مَخرِما ثم مَخرِما[1]

ذكرتُ الذى أوليتَنى ونشرتُه * فإن شئتَ فاجعلنى لشكرك سُلَّما

جد مطيع بن إياس

فأما نسب أبى قُرعة هذا فإنه سلمى بن نوفل بن معاوية بن عُروة بن صخر بن يعمر ابن نُفاثة بن عدىّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة . ذكر ذلك المدائنى . وكان سلمى بن نوفل جوادًا . وفيه يقول الشاعر :

يسوَّدُ أقوامٌ وليسوا بسادةٍ * بل السيِّد الميمونُ سلمى بن نوفلِ[2]

٨٠/١٢

رجع الخبر إلى سياقة نسب مطيع بن إياس وأخباره

صفة مطيع وذكر نشأته

وهو شاعرٌ من مخضرمى الدولتين الأُمويّة والعباسية ، وليس من فحول الشعراء فى تلك ، ولكنه كان ظريفًا خليعا حُلو العِشرةِ ، مليحَ النّادرة ، ماجنًا متّهمًا فى دينه بالزّندقة ، ويكنى أبا سُلْمَى . ومولده ومنشؤه الكوفة ، وكان أبوه من أهل فلَسطينَ الذين أمَدَّ بهم عبدُ الملك بن مروان الحجاجَ بنَ يوسف فى وقت قتاله ابنَ الزبير وابنَ الأشعث ، فأقام بالكوفة وتزوّج بها ، فوُلد له مُطيع .

صلته بالولاة والخلفاء

أخبرنى بذلك الحسين بن يحيى ، عن حمّادٍ عن أبيه ، وكان منقطعًا إلى الوليد ابن يزيد بن عبد الملك ، ومتصرِّفا بعدَه فى دولتهم ، ومع أوليائهم وعُمّالهم وأقاربهم لا يَكْسُد عند أحدٍ منهم ، ثم انقطع فى الدولة العباسية إلى جعفر بن أبى جعفر المنصور ، فكان معه حتّى مات ، ولم أسمع له مع أحدٍ منهم خبراً إلا حكايةً بوفوده على سليمان بن على ، وأنّه ولّاه عملا . وأحسَبه ماتَ فى تلك الأيام .

(١) عنى بالنعال ذوات النعال ، وهى الإبل . أو لعلها : « بغالى » . مخرم الجبل والسيل : أنفه . والمخارم : الطرق فى غلظ .

(٢) وكذا فى الإصابة ٧ ٣٤٠ . وفى الكامل ٧٤ ، ٧٥ ليبسك : « سلم بن نوفل » .

حدّثنى عمى الحسن بن محمد، قال : حدّثنى محمد بن سعد الكرانىّ عن العمرى عن العُتبى عن أبيه قال :

رأى بعض الناس فيه

قدم البصرة علينا شيخٌ من أهل الكوفة لم أر قطُّ أظرفَ لسانا ولا أحلَى حديثًا منه، وكان يحدِّثنى عن مُطيع بن إياس، ويحيى بن زيادٍ، وحمادٍ الراويةِ، وظرفاء الكوفة، بأشياءَ من أعاجيبهم وطُرَفهم، فلم يكن يحـدِّث عن أحدٍ بأحسنَ مما كان يحدِّثنى عن مطيع بنِ إياس، فقلت له : كنتُ والله أشتهى أن أرى مُطيعا، فقال : والله لو رأيتَه للقيتَ منه بلاءً عظيما . قال : قلت : وأىُّ بلاءٍ ألقاه من رجل أراه . قلت : كنتَ ترىٰ رجلًا يصبر عنه العاقلُ إذا رآه، ولا يصحبه أحدٌ إلّا افتضح به .

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا أبو سـعيدٍ السكرى عن محمد بن حبيب قال : سألتُ رجلًا من أهل الكوفةِ كان يصحَب مطيعَ بنِ إياس عنه فقال : لا تُرِدْ أن تسألنىَ عنه . قلت : ولم ذاك ؟ قال : وما سؤالك إياىَ عن رجلٍ كان إذا حَضَر مَلَكك[(1)]، وإذا غابَ عنك شاقك، وإذا عُرِفتَ بصحبته فَضَحك .

إعجاب الوليد بن يزيد بمطيع

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال : حدّثنى محمـد بن القاسم بنِ مهرويه قال : حدّثنى عبـد الله بن عمرو قال : حدّثنى أبو توبةَ صالحُ بن محمدٍ عن محمدِ جبير، عن عبدِ الله بنِ العباس الربيعى قال : حدّثنى إبراهيم بن المهدى قال : قال لى جعفر بن يحيى : ذَكَرَكُمُ الوادىّ، أنه غَنَّى الوليدَ بن يزيدَ ذاتَ ليلةٍ وهو غلامٌ حديث السنّ، فقال :

إكليلُها ألوانُ * ووجهُها فتّانُ
وخالُها فـريدٌ * ليس لها جيرانُ
إذا مشَتْ تثنّت * كأنّها ثعبانُ

(١) كذا فى حـ وفى سائر النسخ : « ملك » .

فطرب حتّى زحف عن مجلسه إلىّ، وقال : أعِدْ فدَيتك بحياتى . فأعدتُه حتى صَحِل صوتى[1]، فقال لى : ويحك، من يقول هذا ؟ فقلت : عبدٌ لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك. فقال : ومن هو فديتك؟ فقلت : مطيع بن إياس الكنانى. فقال : وأين محله ؟ قلت : الكوفة . فأمر أن يُحمَل إليه على البريد، فحمِل إليه، فما أشعر يومًا إلا برسوله قد جاءنى ، فدخلتُ إليه ومطيعُ بن إياس واقفٌ بين يديه ، وفى يد الوليد طاسٌ من ذهب يشربُ به ، فقال له : غنّ هذا الصوت يا وادىّ . فغنّيتُه إياه، فشرِبَ عليه، ثم قال لمطيع : مَن يقول هذا الشعر ؟ قال : عبدك أنا يا أمير المؤمنين. فقال له : ادن منى. فدنا منه، فضمّه الوليد وقبّل فاه وبينَ عينْيه، وقبّل مطيعٌ رجلَه والأرض بين يديه، ثم أدناه منه حتّى جلس أقربَ المجالِس إليه، ثم تمّ يومُه[2] فاصطبح أسبوعًا متوالِىَ الأيام على هذا الصوت .

لحنُ هذا الصوتِ هزَجٌ مطلقٌ فى مُجرى البِنصر، والصنعة لحَكَمٍ . وقد حدّثنى بخبره هذا مع الوليد جماعةٌ على غيرهذه الرواية ، ولم يذكروا فيها حضورَ مطيع .

حدّثنى به أحمد بن عُبيد الله بن عمّارٍ قال : حدّثنا علىّ بن محمد النوفلى عن أبيه قال : بلغَنى عن حكمٍ الوادىّ ، وأخبرنى الحسين بن يحيى ، ومحمد بن مزيد ابن أبى الأزهر قالا : حدّثنا حماد بن إسحاق قال : حدّثنى أحمد بن يحيى المكى عن أمّه عن حكم الوادىّ قال :

وفدتُ على الوليدِ بن يزيد مع المغنّين، فخرج يومًا إلينا وهو راكبٌ على حمارٍ، وعليه دُرّاعة وشى[3]، وبيده عقد جوهرٍ، وبين يديه كِيسٌ فيه ألفُ دينارٍ، فقال :

---

(١) صحل صوته : بح . (٢) فى حـ : « تمم » برسم مبين .

(٣) س، ش «عليه» بدون واو . والدراعة كرمانة : جبة مشقوقة المقدم .

من غنّانى فأطربنى فله ما علىّ وما معى . فغنّوه فلم يطربْ ، فاندفعتُ وأنا يومئذٍ أصغرُهم سنًّا فغنّيتُه :

إكليلها ألوانُ * ووجهُها فتّانُ
وخالُها فـريدٌ * ليس له جيرانُ
إذا مشَتْ تثنّتْ * كأنّها ثعبانُ

٥

فرمَى إليه بما معه من المال والجوهر، ثم دخلَ فلم يلبث أنْ خرج إلىّ رسوله بما عليه من الثّياب والحمارِ الذى كان تحته .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنا عبد الله ابن أبى سعدٍ قال :

صحبته لجماعة من الزنادقة

١٠ كان مطيعُ بن إياسٍ، ويحيى بن زيادٍ الحارثىُّ، وابنُ المقفّع ووالبةُ بن الحُباب يتنادَمون ولا يفترقون ، ولا يستأثر أحدُهم على صاحبِه بمالٍ ولا مِلكٍ، وكانوا جميعاً يُرمَون بالزّندقة .

صلته بعبد الله ابن معاوية

حدّثنى أحمد بن عبيدِ الله بن عمارٍ قال : حدّثنى علىُّ بن محمدٍ النوفلىّ عن أبيه وعُمومته، أنّ مطيعَ بن إياسٍ وعُمارة بن حمزة من بنى هاشم، وكانا مرميّين بالزندقة، نزعا إلى عبدِ الله بنِ معاوية بن جعفر بنِ أبى طالبٍ لمّا خرج فى آخر دولة(١)

١٥ بنى أمية، وأوّلِ ظهورِ الدّولة العباسية بخراسان، وكان ظَهَرَ على نواحٍ من الجبل : منها أصبهان وقُمّ ونَهاوَند ، فكان مطيعٌ وعُمارة ينادمانِه ولا يفارقانه .

قال النوفلى : فحدّثنى إبراهيم بن يزيد بنِ الخشك قال :

(١) كلمة «دولة» زيادة فى ش .

دخل مطيعُ بن إياس على عبد الله بن معاوية يومًا وغلامٌ واقف على رأسه يذبّ عنه بمنديل — ولم يكن فى ذلك الوقت مَذابّ، إنّما المذابّ عباسية — قال: وكان الغلام الذى يذُبّ أمردَ حسنَ الصُّوره، يروقُ عينَ الناظر، فلما نظَرَ مطيعٌ إلى الغلام كادَ عقلُه يذهَب، وجعل يكلّم ابن معاوية ويُلجلج، فقال :

إنّى وما أعْمَلَ الحجيجُ له (١) * أخشى مُطيع الهوى على فرج

أخشَى عليه مغامسًا مَرِسا (٢) * ليس بذى رِقْبةٍ ولا حرج

٥

٨٢/١٢

أخبرنى أحمد بن عبيد الله قال : حدّثنا علىُّ بن محمد النوفلى قال : حدّثنى أبى عن عمه عيسى قال :

ما قاله هو وعمارة فى صاحب شرطة ابن معاوية

كان لابن معاوية صاحبُ شُرطة يقال له : قيس بن عيلان العنسىّ النوفلى [وعيلان] اسم أبيه، وكان شيخًا كبيرًا دُهريًّا لا يؤمن بالله، وكان إذا عَسّ لم يبقَ أحدٌ إلا قتَله، فأقبلَ يومًا فنظر إليه ابنُ معاوية ومعه عُمارة بن حمزة ومطيع ابن إياس، قال :

١٠

إنّ قيسًا وإنْ تَقَنّع شيبًا * لخبيثُ الهَوَى على شَمَطِه (٣)

أجز يا عُمارة . فقال :

ابنُ سبعين منظرًا ومَشِيبا * وابنُ عَشرٍ يُعَدُّ فى سقطه (٤)

١٥

فأقبل على مطيع فقال : أجزْ . فقال :

وله شُرطةٌ إذا جَنّه الليـ * ـلُ فعُوذوا بالله من شُرَطِه

(١) الحجيج : جماعة الحجاج . (٢) المغامس : الشديد الشجاع . والمرس : الشديد . الرقبة : التحفظ والخشية . والحرج : التهيب . وفى الأصول : «خرج» تحريف . (٣) الشمط : بياض الرأس يخالطه السواد . (٤) السقط : الفضيحة .

٢٠

احتجاجه للأبنة

قال النوفلىّ : وكان مطيعٌ فيما بلغنى مأبونًا ، فدخل عليه قومُه فلاموه على فعله ، وقالوا له : أنت فى أدبك وشرفك وسُؤددك وشَرفك تُرمَى بهذه الفاحشة القذرة ؟ فلو أقصرتَ عنها ! فقال : جَرِّبوه أنتم ثم دَعُوا إن كنتم صادقين . فانصرفوا عنه ، وقالوا : قَبَح الله فعلَك وعُذْرَك ، وما استقبلتَنا به .

٥ اخبرنى عيسى بن الحسين قال : حدّثنا حمّاد عن أخيه عن النضر بن حديد قال : أخبرنى أبو عبد الملك المروانى قال : حدّثنى مطيع بن إياس قال :

ماحدث بينه وبين ظبية الوادى

قال لى حمّاد عجرد: هل لك فى أن أُرِيَك خُشَّةَ صديقى[1] ، وهى المعروفة بظَبْية الوادى؟ قلت: نعم . قال : إنّك إن قَعدتَ عنها وخَبُثت عينُك فى النّظر أفسدتَها علىّ . فقلت : لا والله لا أتكلّمُ بكلمـة تسوءُك ، ولأسُرّنَّك . فمضى وقال : والله ١٠ لا أتكلّم ، لئن خالفتَ ما قلتُ لأخرجنّـك . قال : قلت : إنْ خالفتُ ما تكرهُ فاصنَعْ بى ما أحببت . قال : امض بنا . فأدخلنى على أظرف خَلْق الله وأحسنهم وجهًا ، فلما رأيتُها أخذنى الزّمع[2] وفطن لى : فقال : اسكنْ يا ابن الزانية . فسكنتُ قليلا ، فلحظتنى ولحظتُها أخرى ، فغضِبَ ووضع قُلَنسيتَه عن رأسه ، وكانت صَلَعَتُه حمراء كأنّها استُ قردٍ ، فلما وضعها وجدتُ للكلام موضعاً فقلت :

١٥ وَارِ السّـوأة السوآ * ءَ يا حمّادُ عن خُشّه[3]

عن الأُترجّة[4] الغـضّـ * ـةِ والتفاحةِ الهشّـه

(١) صديقى ؛ أى صاحبتى . وفى اللسان : « خش » : الطيب بالفارسية ، عربته العرب وقالوا فى المرأة : خُشّة . قال ابن سيده : « أنشدنى بعض من لقيته لمطيع بن إياس يهجو حمادا الراوية » وأنشد البيتين التاليين . (٢) الزمع : شبه الرعدة تأخذ الإنسان . (٣) سبق تفسير ٢٠ « الخشة » . وفى اللسان : « تح الـوأة » . (٤) الأترجة : فاكهة حامضها يسكن شهوة النساء ، ويجلو اللون والكلف ، وقشره فى الثياب يمنع السوس . وفى اللسان :

عن التفاحة الصفرا * والأترجـــة الهشه

إنساد مطيع لها على حماد

فالتفت إلىّ ، وقال : فعلتَها يا ابن الزّانية ؟ فقالت له : أحسن والله ، ما بلغ صفتَك بعد[1] ، فما تريد منه ؟ فقال لها : يا زانية! فقالت له : الزانية أمُّك ! وثاورته[2] وثاوَرَها ، فشقّت قميصَه ، وبَصَقت فى وجهه ، وقالت له : ما تصادِقُك وتدعُ مثلَ هذا إلّا زانية ! وخرجْنا وقد لقِىَ كُلَّ بلاء ، وقال لى : ألم أَقُل لك يا آبنَ الزانية : إنك ستفسِدُ علىَّ مجلسى . فأمسكتُ عن جوابه ، وجعل يهجونى و يسبُّنِى ، و يشكونى ٥

هجاؤه حمادا

إلى أصحابنا ، فقالوا لى : اهجُه ودعنا و إيّاه . فقلت فيه :

ألا يا ظبيــةَ الوادى * وذاتَ الجســد الرادِ[3]

وزينَ المصر والدّارِ * وزينَ الحىِّ والنـادى

وذاتَ المَبِسم العذب * وذات الميسَم[4] البـادى

أمَا باللهِ تستحْيِيـ * ـنَ من خُلَّة[5] حمّاد ١٠

فحمّـادٌ فـتًى ليس * بـذى عِزٍّ فتَنقـادى[6]

ولا مالٍ ولا عزٍّ[7] * ولا حَظٍّ لمــرتاد

فتُـوبِى واتّـقى اللهَ * وَبُتِّى[8] حَبْــلَ جَرّاد

فقد مُيِّزتِ بالحسنِ * عن الخَـلْق بإفـراد

وهـذا البينُ قـد حُمَّ * بجُودى منـك بالزّادِ ١٥

---

(١) كذا على الصواب فى حـ . وفى سائر النسخ : «صنعتك بعد» . (٢) ثاورته : واثبته .
(٣) الراد : سهل الرأد ، وهو الرخص اللين . (٤) الميسم : أثر الجمال والعتق ، و يقال : إنها لوسيمة قسيمة . (٥) الخلة : بالضم : الصداقة . (٦) فى الأصول : «فينقاد» .
(٧) كذا وردت هذه الكلمة . (٨) بتى : اقطعى . والجراد : جلاء آنية الصفر ، كما فى القاموس . ٢٠

— فى الأوّل والثانى والسابع والثامن من هذه الأبيات لحكم الوادىّ رمَلٌ .

قال : فأخذ أصحابُنا رقاعاً فكتبوا الأبيات فيها ، وألقوْها فى الطريق ، وخرجْتُ أنا فلم أدخلْ إليهم ذلك اليوم[1] ، فلما رآها وقرأها قال لهم : يا أولادَ الزِّنا ، فعلها ابنُ الزانية ، وساعدتموه علىّ !

حزع حماد من هجائه

قال : وأخذها حكمٌ الوادىُّ فغنَّى فيهـا ، فلم يبقَ بالكوفة سَقّاءٌ ولا طَحّان ولا مُكارٍ إلّا غنَّى فيهـا ، ثم غَنِيتُ مُدّةً وقدمتُ[2] ، فأتانى فما سلَّمَ علىّ حتّى قال لى : يا ٱبنَ الزانية ، ويلك أمَا رحِمتَنى من قولك لها :

أمَا باللهِ تستحيـ * ـنَ من خُلّة حمّادِ

بالله قتلتَنى قتَلك الله ! والله ما كلَّمتْنى حتّى الساعة . قال : قلت : اللهم أدِمْ هجرَها له وسوءَ آرائها فيه ، وآسِفْه[3] عليها ، وأغرِه بها ! فشتمنى ساعةً . قال مطيع : ثم قلت له : قم بنا حتّى أمضىَ بك فأريَك أختى . قال مطيع ، فمضينا فلمّا خرجتُ إلينا دعوت قَيِّمةً لها فأسررت إليها فى أنْ تصلحَ لنا طعاماً وشرابا ، وعرّفتُها أنّ الذى معى حمّاد . فضحِكَتْ ثم أخذَتْ صاحبتى فى الغناء ، وقد علمتُ بموضعه وعرَّفته ، فكان أوّلَ صوت غنت :

اجتماعهما بصاحبة مطيع وما كان فى ذلك

أما باللهِ تستحيـ * ـنَ من خُلّة حمّاد

فقال لها : يا زانية ! وأقبل علىَّ فقـال لى : وأنت يا زانى يا ابنَ الزانية . وشاتمته صاحبتى ساعةً ، ثم قامت فدخلت ، وجعل يتغيّظ علىّ فقلت : أنتَ ترى أنّى أمرتُها أن تغنّىَ بما غنّت ؟ قال : أرىٰ ذلك وأظنّه ظنّاً ، لا والله ، ولكنّى أتيقّنهُ ! فحلفتُ له

(١) « اليوم » ساقطة من حـ . (٢) غنيت : أقمت .

(٣) آسفه : أغضبه . وفى التنزيل : « فلما آسفونا انتقمنا منهم » .

بالطلاق على بُطلان ظنه ، فقالت : وكيف هـذا ؟ فقلت : أراد أن يفسد هذا المجلس مَنْ أفسد ذلك المجلس . فقالت : قد والله فَعَلَ . وانصرفنا .

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدّثنى حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجلٍ من أصحابه قال :

إفساده صديقة يحيى الحارثى عليه

قال يحيى بن زيادٍ الحارثىُّ لمطيع بن إياس : انطلِقْ بنا إلى فلانةَ صديقتى ؛ فإنّ بينى وبينها مُغاضَبة ، لتُصلِحَ بيننا ، وبئس المصلحُ أنت . فدخلا إليها فأقبلا يتعاتبان ، ومطيعٌ ساكت ، حتّى إذا أكْثَرَ قال يحيى لمطيع : ما يُسكتك ، أسكتَ الله نأمتك (١) ؟ فقال لها مطيع :

أنتِ مُعتَلّة عليـه وما زا * ل مُهينًا لنفسـه فى رضاك

فأعجَبَ يحيى ما سمع ، وهَشّ له مطيع :

فدَعيه وواصلى ابنَ إياسٍ * جُعِلَتْ نفسِىَ الغداةَ فِداكِ

فقام يحيى إليه بوسادة فى البيت ، فما زال يجلد بها رأسَه ويقول : ألهـذا جئتُ بك يا ابنَ الزانيـة ! ومطيع يُغوِّثُ (٢) حتّى ملَّ يحيى ، والجارية تضحكُ منهما ، ثم تركه وقد سَدِر (٣) .

حدّثنى الحسنُ بن علىٍّ الخفّاف قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدّثنى محمد بن عُمر الجُرجانى قال :

جاد على مطيع

مرِضَ حمّادُ عجرد ، فعاده أصدقاؤُه جميعا إلّا مطيعَ بنَ إياس ، وكان خاصّةً به ، فكتب إليه حمّاد :

(١) النأمة : الصوت . (٢) التغويث : أن يقول : واغوثاه !
(٣) السادر : المتحير .

كفاكَ عيادتى مَن كان يرجو * ثوابَ الله فى صِـلة المريض

فإن تُحـدِثْ لك الأيامُ سُقماً * يحول جريضُه دونَ القريض(١)

يكنْ طولُ التأوُّه منك عندى * بمنزلة الطَّنين من البعوض

ما حدث بينهما حين اجتماعهما بصديقتيهما

أخبرنى محمد بن أبى الأزهر عن حمّادٍ عن أبيه قال: قدِم مطيع بن إياس من سفر فقدِم بالرغائب، فاجتمع هو وحمّادُ عجرد بصديقته ظَبية الوادى، وكان عجرد على الخروج مع محمد بن أبى العباس إلى البصرة، وكان مطيعٌ قد أعطى صاحبتَه من طرائف ما أفاد، فلما جلسوا يشربون غَنَّتْ ظبيةَ الوادى فقالت(٢):

أظنُّ خليلى غُدوةً سيسير * وربِّى على أن لا يسيرَ قديرُ

فما فرَغت من الصوتِ حتّى غنَّت صاحبةُ مطيع:

ما أبالى إذا النَّـوى قربتهـمْ * ودنونا من حَلَّ منهم وساروا

فجعل مطيعٌ يضحك وحمادَ يشتمها.

نسبة هذا الصوت

صوت

أُظنُّ خليلى غـدوةً سيسير * وربِّى على أن لا يسيرَ قديرُ

عجبتُ لمن أمسى محباً ولم يكن * له كَفَنٌ فى بيتـه وسريرُ

غنّى فى هذين البيتين إبراهيمُ الموصلىُّ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة فى مجُرى البنصر، وفيهما لحنٌ يمانٍ قديمٌ خفيفُ رملٍ بالوسطى.

(١) الجريض: يقال جرض بريقه: ابتلعه على هم وحزن. ويقال: «حال الجريض دون القريض» مثل يضرب لأمر يعوق دونه عائق. قاله جوشن بن منقذ الكلابى حين منعه أبوه من الشعر فرض حزنا فرق له وقد أشرف فقال: انطق بما أحببت. انظر القاموس.

(٢) فى الأصول: «عتب ظبية الوادى فقال».

حدّثنى الحسن قال : حدثنى ابن مهرويه قال : حدثنى إبراهيم بن المدبّر عن محمد بن عمر الجرجانى قال :

معاتبة عمر بن سعيد له فى أمر مكنونة وما قال فى ذلك

كان لمطيع بن إياس صديقٌ يقال له : عُمَرُ بنُ سعيد، فعاتبَه فى أمر قينةٍ يقال لها "مكنونة" كان مطيعٌ يهواها حتى اشتُهر بها ، وقال له : إنّ قومك يشكونك ويقولون : إنّك تفضحهم بشُهرتك نفسَك بهذه المرأة، وقد لحقهم العيبُ والعارُ من أجلها ! فأنشأ مطيع يقول :

قد لامَنِى فى حبيبتى عُمَرُ * واللّومُ فى غيرِ كُنهِهِ ضَجَرُ[1]

قال أفِقْ ، قلتُ لا ، قال بلى * قد شاعَ فى الناس عنكما الخبرُ

قلتُ قد شاع فاعتذارِىَ ممّا * ليس لى فيه عندهم عُذُرُ

عَجزٌ لعمرى وليس ينفعُنى * فكُفَّ عنى العتابَ يا عمرُ

وارجعْ إليهم وقل لهُمْ قد أبَى * وقال لى لا أُفيقُ فانتحروا[2]

أعشق وحدى فيُؤخَذون به * كالتُّرك تَغزو فيُقتل الخَزَرُ[3]

رأى مطيع فى النساء

أخبرنى الحسن قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى ابن أبى أحمد عن أبى العبر الهاشمىّ قال : حدّثنى أبى أنّ مطيع بن إياس مرّ بيحيى بن زياد، وحماد الراوية وهما يتحدّثان ، فقال لهما : فيم أنتما ؟ قالا : فى قَذْف المحصَنات . قال : أوفى الأرض محصَنة فتقذفانها ؟ !

حدّثنى عيسى بن الحسن الورّاق قال : حدّثنى عُمَر بن محمد بن عبد الملك الزيات . وحدّثنيه الحسنُ بن علىّ عن ابن مهرويه عن عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات ، قال : حدّثنى محمد بن هارون قال :

(١) الكنه : الوجه والحقيقة . (٢) يقال انحروا : تشاحوا عليه فكاد بعضهم ينحر بعضا من شدة حرصهم . (٣) الخزر : اسم جيل من الناس خزر العيون ضيقوها .

ابتداعه حديثا مصنوعا وإحراجه للعباس بن محمد حين استشهد به

أخبرنى الفضل بن إياس الهذلىّ الكوفىّ أنّ المنصورَ كان يريد البيعةَ للمهدىّ ، وكان ابنه جعفرٌ يعترض عليه فى ذلك ، فأمَرَ بإحضار النـاس فحضَروا ، وقامت الخطباءُ فتكلّموا ، وقالت الشعراء فأكثَرُوا فى وصف المهدىّ وفضائله ، وفيهم مطيعُ بن إياسٍ ، فلما فرَغَ من كلامه فى الخطباءِ و إنشاده فى الشعراء قال للمنصور : يا أميرَ المؤمنين ، حدّثنا فلانٌ عن فلانٍ أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المهدىٌّ منا محمد بن عبد الله وأمّه من غيرنا ، يملؤها عدلاً كما مُلئت جَورا » وهذا العباسُ ابن محمدٍ أخوك[1] يشهد على ذلك . ثم أقبـل على العباس ، فقال له : أَنشُدُك اللهَ هل سمعتَ هذا ؟ فقال : نعم . مخافةً من المنصور . فأمر المنصورُ الناس بالبيعة للمهـدىّ .

قال : ولمّـا انقضى المجلسُ ، وكان العباس بن محمد لم يأنَسْ به ، قال : أرأيتم هذا الزنديقَ إذْ كذَبَ على الله عزّ وجلّ ورسولِه صلى الله عليه وسلم حتّى استشهدنى على كَذِبه ، فشهدتُ له خوفًا ، وشهِد كلُّ مَن حَضَر علىَّ بأنى كاذب ؟ ! و بلغ الخبرُ جعفرَ بن أبى جعفرٍ ، وكان مطيعٌ منقطعاً إليه يخدُمه ، نخافه ، وطرده عن خدمته . قال : وكان جعفرٌ ماجنا ، فلما بلغه قولُ مطيع هذا غاظه ، وشَقَّتْ عليه البيعةُ لمحمدٍ ، فأخرج أَيره ثم قال : إنْ كان أخى محمدٌ هو المهدىَّ فهذا القائمُ من آلِ محمدٍ .

خشية أبى جعفر على ابنه جعفر من مطيع

أخبرنى عيسى بن الحسين قال : حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنى قال : كان مطيعُ بن إياسٍ يخدُم جعفرَ بن أبى جعفر المنصور وينادمُه ، فكره أبو جعفرٍ ذلك ، لِمـا شُهِر به مطيعٌ فى الناس وخشِىَ أن يُفسِدَه ، فدعا بمطيع وقال له : عزمت علَى أن تفسِدَ ابنى علىَّ وتعلِّمَه زندقتَك ؟ فقال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من أن

(١) فى حـ : « وقال العباس بن محمد أخوك » .

تظنّ بى هذا، والله ما يسمع منّى إلا ما إذا وعاه جمّله وزيّنه ونبّله ! فقال: ما أرى ذلك ولا يسمع منك إلا ما يضُرّه ويغرّه. فلما رأى مطيعٌ إلحاحه فى أمره قال له: أتؤمّننى يا أميرَ المؤمنين عن غضبك حتّى أصدُقك؟ قال: أنت آمن. قال: وأىّ مُستصلَح فيه؟ وأىُّ نهايةٍ لم يبلُغها فى الفساد والضّلال؟ قال: ويلك، بأىّ شىء؟ قال: يزعم أنّه ليَعشَقُ امرأةً من الجنّ وهو مجتهدٌ فى خِطْبتها، وجَمْع أصحاب العزائم عليها، وهم يُغرونه ويَعِدُونه بها ويُمنّونه، فوالله ما فيه فضلٌ لغير ذلك من جِدّ ولا هزل ولا كفرٍ إيمان. فقال له المنصور: ويلك، أتدرى ما تقول؟ قال: الحق والله أقول. فسل عن ذلك، فقال له: عُد إلى صحبته واجتهدْ أن تُزيلَه عن هذا الأمر، ولا تعلمه أنّى علمت بذلك حتّى أجتهد فى إزالته عنه.

أخبرنى عمى قال: حدّثنى الكرّانى عن ابن عائشة قال:

كان مطيعُ بن إياسٍ منقطعًا إلى جعفرِ بن أبى جعفر المنصورُ، فدخل أبوه المنصور عليه يومًا، فقال لمطيع: قد أفسدتَ ابنى يا مطيع. فقال له مطيع: إنّما نحن رعيّتك فإذا أمرتَنا بشىءٍ فعلْنا.

إصابة جعفر بن المنصور بالصرع

قال: وخرج جعفرٌ من دار حَرَمه فقال لأبيه: ما حَملك على أن دخلتَ دارى بغير إذن؟ فقال له أبو جعفر: لعنَ الله من أشْبَهك، ولعنَك! فقال: والله لأنا أشبه بك منك بأبيك — قال: وكان خليعا — فقال: أريد أن أتزوّج امرأةً من الجنّ! فأصابه لمم، فكان يُصرَع بين يدىْ أبيه والربيعُ واقف، فيقول له: يا ربيع، هذه قدرةُ الله.

وقال المدائنىّ فى خبره الذى ذكره عن عيسى بن الحسين عن أحمد بن الحارث عنه: فأصاب جعفرًا من كثرة ولَعِه[1] بالمرأة التى ذكر أنه يتعشّقها من الجنّ صَرْعٌ،

(١) يقال ولع بالشىء ولعا وولوعا بفتح الواو: لهج به واشتد حبه له.

فكان يُصرَع فى اليوم مَرّاتٍ حتى مات ، فحزن عليه المنصورُ حُزنا شديدا ، ومشى فى جنازته ، فلما دُفِن وسوِّى عليه قبرُه قال للربيع : أنشِدْنى قول مُطيع بن إياس فى مرثِيَة يحيى بن زياد . فأنشده :

يا أهلِيَ ابكُوا لقلبِيَ القرِحِ * وللدُّموع الذَّوارِفِ السُّفُحِ[1]

راحُوا بيحيى ولو تطاوِعُنى الـ * أقدارُ لم يَبتكِر ولم يرُحِ[2]

يا خيرَ من يَحْسُن البكاءُ له الـ * يومَ ومَن كان أمسِ لِلمدَحِ

قال : فبكى المنصور ، وقال : صاحبُ هذا القبر أحقُّ بهذا الشعر .

أخبرنى به عمّى أيضا عن الخزاز عن المدائنى، فذكر مثله .

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال : حدثنى يعقوب بن إسرائيلَ قال : حدثنى المغيرةُ بن هشامٍ الرَّبَعِىّ قال : سمعت ابن عائشة يقول :

شعره فى جارية خرجت من قصر الرصافة

مرّ مطيعُ بن إياس بالرُّصافة ، فنظَرَ إلى جاريةٍ قد خرجَتْ من قصر الرُّصافة كأنها الشمسُ حسنًا ، وحوالَيْها وصائفُ يرفَعنَ أذيالَها ، فوقف ينظرُ إليها إلى أن غابتْ عنه ، ثم التفَتَ إلى رجلٍ كان معه وهو يقول :

لمّا خرجْنَ من الرُّصا * فة كالتَّماثيل الحِسانِ

يَحفُفْنَ أحورَ كالغزا * ل يميسُ فى جُدُل العِنانِ[3]

قطّعنَ قلبى حسرةً * وتقسَّمَا بين الأمانى

ويلى على تلك الشما * ئلِ واللطيفِ من المعانى

يا طُولَ حَرِّ صبابتى * بين الغوانى والقيانِ

(١) فى حـ : «يا أهل بكرا» . (٢) يبتكر : يخرج بكرة . ويروح : يرجع فى الرواح .

(٣) الجدل : جمع جديل، وهو الزمام المجدول . والعنان : سير اللجام، على بذلك دقة الخصر.

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى عبد الله ابن أبى سعيد، عن ابن توبة صالح بن محمد، قال: حدّثنى بعضُ ولدِ منصور بن زياد عن أبيه قال : قال محمّدُ بن الفضل بن السّكونىّ :

بكاء بنته حين عزم على الرحلة الى السند ، وما قال فى ذلك

رَحل[1] مطيعُ بن إياسٍ إلى هشام بن عمرو وهو بالسِّند مستميحاً له، فلما رأته بنتُه قد صَحّح العزم على الترحيل بَكت، فقال لها :

اسكُتى قد حَزَزْتِ بالدّمع قلبى * طالما حَزَّ دمعُكنّ القُلوبا

وَدَعِى أن تقطّعى الآنَ قلبى * وتُرِيني فى رِحلتى تعذيبا

فعسى اللهُ أن يُدافِعَ عنى * ريبَ ما تحذرين حَتّى أءوبا

ليس شيءٌ يشاؤه ذو المعالى * بعزيزٍ عليه فادعِى المُجيبا

أنا فى قبضةِ الإله إذا ما * كنت بُعدًا[2] أو كنت منك قريبا

وجدت هذه الأبيات فى شعر مطيعٍ بغير رواية ، فكانَ أوّلها :

ولقد قلتُ لابنتى وهى تَكوِى * بانسكابِ الدّموعِ قلبًا كئيبا

وبعده بقية الأبياتِ .

أخبرنى الحسن بن على الخفّاف قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدّثنى علىّ بن محمدٍ النوفلىّ ، عن صالح الأصمّ قال :

شعره فى قينة أومأ إليها بقبلة فصدته

كان مطيعُ بن إياسٍ مع إخوانٍ له على نبيذٍ ، وعندهم قينةٌ تغنيهم ، فأومأ إليها مُطيعٌ بقُبلةٍ ، فقالت له : تُراب ! فقال مطيع :

(١) فى الأصول : « دخل » .

(٢) البعد ، مصدر ، أراد به البعيد . وفى الأصول : « بعيدا » ولا يستقيم به الوزن .

صـــــوت

إنّ قلبي قد تصابَى * بعـد ما كان أنابا

ورَماه الحبُّ منـه * بسهـامٍ فأصـابا

قد دَهاه شادِنٌ يَلـ * ـبَس في الجِيد سِخابا(١)

فهو بدرٌ في نِقابٍ * فإذا ألقى النقـابا

قلتَ شمسٌ يوم دَجْنٍ * حَسَرت عنها السَّحابا

ليتني منه على كَشْـ * ـحَينِ(٢) قد لانا وطابا

أحضَرُ النّاس بما أكـ * ـرَهُـه منـهُ جوابا

فإذا قلتُ أنِلْـنِي * قبـلةً قال تُرابا

١٠ لحكم الواديّ في هذه الأبياتِ هزَجٌ بالبِنصر، من رواية الهشاميّ .

سرعة بديهته

أخبرنا أبو الحسن الأسدي قال : ذكر موسى بن صالح بن سـنج بن عميرة أنّ مطيعَ بنَ إياسٍ كان أحضَرَ النـاس جواباً ونادرة، وأنّه ذاتَ يوم كان جالسا يعدّد بطونَ قريش ويذكر مآثِرَها ومَفاخرَها، فقيل له : فأين بنو كنانة ؟ قال :

* بفِلَسْطين يُسرِعون الرُّكوبا *

١٥ أراد قول عبيدِ الله بنِ قيس الرقيات :

حَلَقٌ من بني كنانةَ حولي * بفِلَسطين يُسرعون الرُّكوبا

أخبرني عمي قال : حدّثنا الكُراني عن العُمَري عن العتبيّ قال :

---

(١) الشادن : الظبي الصغير . السخاب : القلادة من القرنفل .

(٢) الكشح : الخاصرة .

قصيدة لأبى دهمان

كان أبو دهمان صديقًا لمطيع ، وكان يُظهر للناس تألُّها(1) ومروءةً وسمتًا حسنا ، وكان ربّما دعا مُطيعًا ليلةً من الليالى أن يصير إليه ، ثم قطعه عنه شُغْل ، فاشتغل وجاء مطيع فلم يجده ؛ فلما كان من الغد جلس مطيع مع أصحابه ، فأنشدهم فيه :

ويلِى ممَّنْ جفانى * وحُبُّه قد برانى(2)
وطَيفُه يلقانى * وشخصُه غير دانِ
أغرُّ كالبدر يَعْشَى(3) * بحسنه العينانِ
جارىَّ لا تَعذلانى * فى حبّه ودعانى
فربَّ يومٍ قصيرٍ * فى جَوْسق وجِنان
بالراح فيه يُحيَّا * والقصف(4) والريحان
وعندنا قينتان * وجهاهما حَسَنان
عُوداهُما غَرِدان(5) * كأنَّما ينطقان
وعندنا صاحبان * للدّهر لا يخضعان
فكنتُ أوّل حامٍ * وأوّلَ السَّرَعان(6)
فى فتيةٍ غيرِ ميلٍ * عند اختلاف الطِّعان
من كلِّ خوفٍ مُخيفٍ * فى السرّ والإعلانِ

(1) التأله : التنسك والتعبد . (2) فى حـ : « عن من » وهو تحريف .

(3) العشا : ضوء البصر . فى الأصول : « يغشى » ، تحريف .

(4) القصف : الجلبة والإعلان باللهو ، و يقال إنها مولدة . وقصف علينا بالطعام قصفا أى تابع ، والمقصود هنا اللهو والغناء .

(5) فى الأصول : « عوداهما غيردان » ، والوجه ما أثبتنا .

(6) سرعان القوم ، بالتحريك : أوائلهم المستبقون .

حمّالِ كلِّ عظيمٍ * تضيق عنه اليدانِ
وإنْ ألحَّ زمانٌ * لم يستكِنْ للزمانِ
فـزالَ ذاك جميعًا * وكلُّ شيءٍ فانِ
مَن عاذرِى مِن خليلٍ * مُـوافقٍ مِلْدانِ (١)
مُـداهنٍ متوانٍ (٢) * يكنى أبى دهمانِ
متى يَعِـدْك لقاءً * فالنّجمُ والفرقدانِ
وليس يُعـتِمُ (٣) إلّا * سكرانَ مَعْ سكرانِ
يسقيه كلُّ غـلامٍ * كأنّه غُصنُ بانِ
مِن خَندريسٍ (٤) عُقـارٍ * كحُمْرة الأرجُوانِ

قال : فلقيه بعد ذلك أبو دُهمان ، فقال : عليك لعنةُ الله فضحتنى ، وهتكْتَ بى، وأذَعْتَ سرّى ، لا أكلّمُك أبدا ، ولا أُعاشرك ما بقيت ، فما تفرّق بين صديقك وعدوّك .

أخبرنى أحمد بن عيسى بن أبى موسى العِجلىّ العطّار بالكوفة ، قال : حدّثنى علىّ بن عُمْروس عن عمّه علىّ بن القاسم قال :

خبر مطيع مع علي بن القاسم

كنتُ آلَفُ مطيع بنَ إياس ، وكان جارى ، وعنّفنى فى عشرته جماعةٌ ، وقالوا لى : إنه زنديق . فأخبرتُه بذلك ، فقال : وهل سمعتَ منّى أو رأيتَ شيئا يدلُّ على ذلك ، أو هل وجدْتَنى أُخِلُّ بالفرائض فى صلاةٍ أو صومٍ؟ فقلت له : والله ما اتّهمتُك ولكنّى خبّرتك بما قالوا . واستحْيَيت منه . فعجل على السكرذاتَ يوم فى منزله ، فنمت عنده ومُطِرْنا (٥) فى جوف اللّيل وهو معى ، فصاح بى مرّتين أو ثلاثا ،

(١) الملدان : يعنى به اللين الناعم . (٢) المداهن : المنافق (٣) يعتم : يدخل فى العتمة ، وهى ثلث الليل الأوّل . وفى الأصول : « يغنم » . (٤) الخندريس : الخمرة القديمة . والعقار : التى تذهب الوعى . والأرجوان : الشديدة الحمرة . (٥) مطرنا : نزل علينا المطر .

فعلمتُ أنّه يريد أن يَصطَبِح ، فكَسِلت أن أجيبَه ، فلمّا تيقّن أنّى نائمٌ جعل يردِّد على نَفْسه بيتا قاله ، وهو قوله :

أصبحتُ جمٌّ بلابِلِ الصَّدرِ * عَصراً أكاتِمُه إلى عَصْرِ (١)

فقلت فى نفسى : هذا يَعمَل شعراً فى فنّ من الفُنون . فأضاف إليه بيتا ثانيا ، وهو قوله :

إن بُحْتُ طُلَّ دمى و إن تُرِكَتْ * وَقَدَتْ علىَّ توقُّدَ الجمْرِ (٢)

فقلت فى نفسى : ظفِرت بمطيع . فتنحنحتُ ، فقال لى : أما ترى هذا المطر وطِيبَه ، اقعدْ بنا حتّى نشربَ أقداحاً . فاغتنمتُ ذلك ، فلمّا شرِبْنا أقداحاً قلت له : زعمتُ أنّكَ زنديق . قال : وما الذى صَحّحَ (٣) عندك أنّى زنديق ؟ قلت : قولك : «إن بُحتُ طُلَّ دمى» ، وأنشدتُه البيتين ، فقال لى : كيف حفظتَ البيتين ولم تحفظ الثالث ؟ فقلت : والله ما سمعتُ منك ثالثا . فقال : بلى قد قلت ثالثا . قلت : فما هو ؟ قال :

ممّاً جنَاه علَى أبى حسنٍ * عُمَرٌ وصاحبُه أبو بكرِ (٤)

٨٩ / ١٢

من سرعة بديهته

وحدّثنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم بنِ مهرويه قال : حدّثنى إبراهيم بن المدبّر قال : حدّثنى محمد بن عمر الجرجانى قال :

جاء مطيع بن إياسٍ إلى إخوان له وكانوا على شَراب ، فدخَلَ الغلامُ يستأذِنُ له ، فلمّا سمع صاحبُ البيت بذِكره خرج مبادرًا ، فسمعه يقول :

(١) الجم : الكثير . والبلابل . وساوس الصدر وشدّة الهموم .

(٢) طل دمه ، بالبناء للجهول : أبيح ، وقيل لم يثأر به .

(٣) فى الأصول : «صح» .

(٤) هذا ما فى ش . وفى سائر النسخ : «ما جناه» . وأبو حسن : كنية على بن أبى طالب .

أمسيتُ جمَّ بلابلِ الصــدر * دهرًا أزجِّيــه إلى دهرِ[1]

إن فُهْتُ طُلَّ دمى وإن كُتِمَتْ * وقــدَت علىَّ توقُّــدَ الجمرِ

فلما أحسَّ مطيعٌ بأنَّ صاحبَ البيت قد فَتَح له استدرك البيتين بثالث فقال :

مما جناه عَلَى أبى حسن * عمرٌ وصاحبُه أبو بكر

وكان صاحبُ البيتِ يتشيّع ، فأكبَّ على رأســه يُقبِّله ويقول : جزاك الله يا أبا مسلم خيرا !

٥

وذكر أحمــدُ بنُ إبراهيم بنِ إسماعيل الكاتب :

بنت مطيع بن إياس ، وما رميت به من الزندقة

أنَّ الرشــيد أُتِىَ ببنت مطيع بن إياس فى الزّنادقة ، فقرأت كتابَهُمْ واعترفَتْ به ، وقالت : هذا دِينٌ علَّمَنيه أبى ، وتُبتُ منــه . فقبِل توبتَها وردّها إلى أهلها .

عقب مطيع بن إياس

قال أحمــد : ولها نسلٌ بجبلٍ فى قريةٍ يقال لها : "الفراشــيَّة" قد رأيتُهم ، ولا عقِب لمطيع إلّا منهم .

١٠

دعوته يحيى بن زياد للشراب

اخبرنى عمى قال : حدّثنا الكرانى عن ابن عائشة قال : كان مطيع بن إياس نازلًا بكرخ بغداد ، وكان بها رجلٌ يقال له : الفهمىّ ، مغنٍّ مُحسِّن ، فدعاه مطيعٌ ودعا بجماعةٍ من إخوانه وكتب إلى يحيى بن زيادٍ يدعوه بهذه الأبيات . قال :

عنــدنا الفهمىُّ مَسرو * رٌ وزَنّارٌ مُجيــد

ومُعــاذٌ وعِيــاذٌ * وعُمَــيرٌ وســعيد

ونَدامى يُعْملون الـ * قَلْزَ والقَــلْزُ شــديد

بعضُهم ريحانُ بعض * فهم مِســكٌ وعُــودُ

١٥

(١) أزجيه : أسوقه . وقد سبق برواية أخرى .

قال : فأتاه يحيى ، فأقام عنده وشرب معهم ، وبلغت الأبيات المهدىّ ، فضحك منها، وقال : تنايَكَ القومُ وربِّ الكعبة .

قال الكرانى : القَلْز[1] : المبادلة .

وجدتُ هذا الخبر بخطّ ابن مهرويه ، عن إبراهيم بن المدبّر عن محمد بن عمر الجرجانى . فذكر أنّ مطيعًا اصطبَح يومَ عَرفة وشرب يومَه وليلتَه، واصطبح يوم الأضحى، وكتب إلى يحيى من اللّيل بهذه الأبيات :

قد شربنا ليلةَ الأضـ * ـحَى وساقينا يزيدُ

عندنا الفهميُّ عمرو * ـرٌ وزَمّارٌ مُجيد

وسليمانُ قَنانا * فهو يُبدى ويُعيدُ

ومُعاذٌ وعِياذٌ * وعُمَير وسَعيد

وندامى كلُّهم يَقْـ * ـظانُ والقَلْزُ شديد

بعضهم يحتال بعضًا * فهمُ مُلْكٌ وعبيدُ

غابَت الأنحسُ عنهم * وتلقّتهم سُعودُ

فترى القومَ جُلوسًا * والخَنَا عنهمْ بعيدُ

ومطيعَ بنُ إياس * فهو بالقَصْف وليدُ

وعلى كرِّ الجديديـ * ـنِ وما حَلّ جليدُ

دعوة عوف بن زياد لمطيع وجوابه على ذلك

ووجدت فى كتاب بعقِب هذا : وذكر محمد بن عمر الجرجانى أنّ عوف بن زياد[2] كتب يومًا إلى مطيع : « أنا اليومَ نشيطٌ للشُّرب ، فإن كنتَ فارغًا فَسِرْ إلىّ ، وإن

---

(١) الذى تعرفه المعاجم أن القلز ضرب من الشرب ، أو الوثب ، فقد كنى بذلك عن هذا الفعل .

(٢) فى حـ : « أن عون » .

كان عنـدك نبيذٌ طيِّب ، وغناءٌ جيِّد جئتُك » . فجاءته رقعتُه[1] وعنده حمادٌ الراويةُ وحكمٌ الواديّ ، وقد دَعَوْا غلامًا أمرد ، فكتب إليه مطيع :

نَعَمْ لنـا نبيـذٌ * وعنـدنا حمّـادُ
وخـيرُنا كثيرٌ * والخير مُستزادُ
وكُلُّنا من طَرَبٍ * يطـيرُ أو يكاد
وعنـدنا وادِيُّنا * وهو لنا عِمـادُ
ولهـوُنا لذيذٌ * لم يَلْهُهُ العِبـادُ
إنْ تشته فسادا * فعنـدنا فسادُ
أو تشـتهِ غلامًا * فعنـدنا زيادُ
ما إنْ به التواءٌ * عنـا ولا بِعاد

قال : فلمّا قرأ الرقعة صار إليهم ، فأتم به يومه معهم .

أخبرنا محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال : حدثنى أبو بكرٍ العامرىُّ عن عنبسة القرشىُّ الكُرَيزىّ عن أبيه قال :

مدح مطيع للغمر ابن يزيد

مدح مطيعُ بن إياس الغمرَ بن يزيدَ بقصيدته التى يقول فيها :

لا تَلْحَ[2] قلبـك فى شَقائِه * ودَعِ المتيَّـمَ فى بلائه
كفكِف دموعَك أنْ يَفِضْـ * ـنَ بناظـرٍ غَرِقٍ بمـائه
ودع النسيبَ وذكـرَه * فبحَسب مِثلك من عنائه
كم لذّةٍ قـد نلتَهـا * ونعـيم عيشٍ فى بهـائه

(١) فى الأصول : « رقعة » . (٢) لا تلح : لا تلم .

بنواعم شبه الدُّمَى * والليل فى ثِنْيَىْ عمائه (١)

وآذكر فتًى بيمينه * حَتْفُ الزمان لدى التوائه

و إذا أُمَيَّةُ حُصِّلَتْ * كان المهذَّبَ فى انتمائه

و إذا الأمورُ تفاقمَتْ * عِظَمًا فمصدرُها برائه (٢)

و إذا أردتَ مديحه * لم يُكْدِ قولُك فى بنائه (٣)

فى وجهه عَلَمُ الهدى * والمجدُ فى عِطْفَىْ ردائه

وكأنّما البدر المنـ * ـير مُشَبَّهٌ به فى ضيائه (٤)

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أوّلَ قصيدة أخذ بها جائزة سنية ، وحرّكته ورَفَعَتْ من ذكره ، ثم وصلَه بأخيه الوليد فكان من نُدَمائه .

استعطافه ليحيى آبن زياد

أنشدنى محمدُ بن العباس اليزيدىُّ عن عمّه ، لمطيع بن إياس يستعطفُ يحيى ابنَ زياد فى هِجْرة (٥) كانت بينهما وتباعُد : ١٠

٩١ / ١٢

يا سمِىَّ النبىِّ الذى خـ * ـصَّ به الله عبدَه زكريا (٦)

فدعاه الإلهُ يحيى ولم يجْـ * ـعَلْ له الله قبلَ ذاك سَمِيّا

كنْ بصبٍّ أمسى يحبكَ برًّا * إنّ يحيى قد كان برًّا تقيا

رثاؤه له

وأنشدنى له يرثى يحيى بعد وفاته : ١٥

قد مضى يَحْيَى وغودِرْتُ فردا * نُصْبَ ما سرَّ عيونَ الأعادى (٧)

---

(١) ثنيى عمائه : كناية عن شدة الظلام وازدواجه . (٢) برائه : برأيه ، أى تصدر عن رأيه . (٣) لم يكد : لم يخب . يقال حفر فأكدى ، أى بلغ الصلابة . (٤) فى الأصول : « بسنة فى ضيائه » . (٥) الهجرة : الجفوة والهجران . (٦) فى الأصول : « باسم النبى » تحريف . (٧) النصب ، يقال هو نصب عينى ، للشىء الظاهر الذى لا يخفى . ٢٠

وأرى عينيَ مذ غابَ يحيى * بُدِّلت من نومها بالسُّهادِ

وسَّدتْهُ الكفُّ منِّي تراباً * ولقد أرثى له من وِساد

بين جيرانٍ أقاموا صُموتاً * لا يُحيرونَ جواب المنادِي

أيُّها المزن الذي جاد حتَّى * أعشبَتْ منه متونُ البوادي

٥ اسقِ قبراً فيه يحيى فإنِّي * لك بالشكرِ مُوَافٍ مُغادُ[1]

نسختُ من نسخةٍ بخط هارُونَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الملك قال:

شعره في جوهر حين بيعت

لما بيعت جوهرُ التي كان مطيع بن إياس يُشَبِّب بها قال فيها — وفيه غناء من خفيف الرملِ أظنه لحكَم —:

صاح غرابُ البينِ بالبين * فكدتُ أنقدُّ بنصفين

١٠ قدصار لي خدنانِ من بعدهم * همٌّ وغمٌّ شرُّ خدنين

أفدي التي لم ألقَ من بعدها * أُنساً وكانت قُرَّةَ العين

أصبحتَ أشكو فرقةَ البين * لمَّا رأت فرقتَهم عيني

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخزاعي قال: حدّثنا العباس بنُ ميمونِ [بن] طائع قال: حدّثني ابنُ خرداذبة قال: خرجَ مطيعُ بن إياس، ويحيى بن زيادٍ حاجّين، فقدّما ١٥ أثقالَهما وقال أحدُهما للآخر: هل لك في أن نمضيَ إلى زُرارةَ فنقصفَ ليلتنا عنده، ثم نَلْحَقَ أثقالنا؟ فما زال ذلك دأبَهم حتّى انصرف الناس من مكة. قال: فركبا بعيريهما وحلقا رؤسهما ودخلا مع الحجّاج المنصرفين. وقال مطيعٌ في ذلك:

---

(١) أوفى فلاناً حقه: أعطاه إياه، كوفاه ووافاه. والمغادي: الذي يغادي، أي يباكر. وفي الأصول: «مغادي» تحريف.

ألم ترنى وينـ قد حججنا * وكان الحجّ من خيرِ التجاره

خرجنا طالبىْ خـير بِرّ * فمال بنا الطريقُ إلى زُراره

فعادَ الناس قدغنموا وحَجّوا * وأبْنا موقَرين من الخساره

وقد رُوِى هذا الخبرُ لبشّارٍ وغيره .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا الفضل بن محمد اليزيدىّ عن إبراهيم الموصلىّ عن محمّد بن الفضل قال : ٥

شعره فى ريم

خرج جماعةٌ من الشّعراء فى أيام المنصور عن بغداد فى طلبِ المعاش ، فخرج يحيى بن زيادٍ إلى محمّد بن العباس وكنت فى صحابته ، فمضى إلى البصرة ، وخرج حمادُ عجردٍ إليها معه ، وعاد حمّادٌ الراويةُ إلى الكوفة ، وأقام مطيعٌ بن إياس ببغداد وكان يهوَى جاريةً يقال لها : "ريم" لبعض النخّاسين وقال فيها : ١٠

لولا مكانُكِ فى مدينتهم * لظعنتُ فى صَحْبِي الأُلى ظَعَنُوا (١)

أوطنتُ بغـدادًا بحبّـكمُ * وبغيرها لولاكمُ الوطن (٢)

٩٢ / ١٢

قال : وقال مطيعٌ فى صبوح اصطَبَحَه معها :

ويومٍ ببغـداد نعِمْنا صباحَه * على وجه حوراء المدامع تُطْرِبُ (٣)

ببيَت ترى فيه الزُّجاجَ كأنه * نجومُ الدُّجى بين النّدامى تَقَلّبُ ١٥

يُصَرِّف ساقينا ويقطب تارةً * فيا طيبَها مقطوبةً حين يَقْطِبُ (٤)

علينا سَحيقُ الزعفران وفوقَنا * أكاليلُ فيها الياسَمين المُذَهَّبُ

فما زِلتُ أُسقَى بين صَنْجٍ ومِزهَرٍ * من الرّاح حتّى كادت الشمس تغرب (٥)

(١) فى الأصول : «أطعت فى صحبى» ، تحريف . (٢) أوطن المكان : اتخذه وطنا .

(٣) الحور : شدّة بياض بياض العين وسواد سوادها . وفى الأصول : «حمراء» . ٢٠

(٤) يقطب : يمزج . (٥) الصنج : آلة بأوتار يضرب بها ، معرب .

وفيها يقول :

أمسى مطيع كلفا * صبّا حزينا دنفا (١)
حُرٌّ لمن يعشقه * برقّه معترفا
يا ريمُ فاشفى كبدًا * حرّى وقلبا شُغفا (٢)
ونوّليني قبلةً * واحدةً ثمّ كفى

قال وفيها يقول :

يا ريمُ قد أتلفتِ روحى فما * منها معى إلّا القليلُ الحقيرْ
فأذنبي إن كنتِ لم تُذْنبي * فىّ ذُنوبًا إنّ ربّى غفور
ماذا على أهلكِ لو جُدتِ لى * وزُرْتِني يا ريمُ فيمن يزورْ
هل لك فى أجرٍ تُجازَىْ به * فى عاشقٍ يرضيه منك اليسيرْ
يَقبَل ما جدتِ به طائعًا * وهو وإن قلَّ لديه الكثيرْ
لعمرىَ مَن أنتِ له صاحبٌ * ما غاب عنه فى الحياة السُّرورْ

قال وفيها يقول :

يا ريمُ يا قاتلتى * إن لم تجودى فَعِدى (٣)
بَغَّضْتِ بالمطل وإخلا * فِكِ وعدى كبدى
حالَفَ عينى سُهُدى * وما بها من رمدِ (٤)
يا ليتنى فى الأحد * أبليتِ منّى جسدى
لمن به من شِقوتى * أخذتُ حتفى بيدى

(١) الدنف : المريض . (٢) الحرى : العطشى . (٣) فى الأصول : « يا قاتل » .
(٤) فى الأصول : « حالفت » .

أنشدنى على بنُ سليمان الأخفشُ قال : أنشدنى محمدُ بن الحسن بن الحرون عن ابن النطّاح لمطيع بن إياس، يقوله فى جوهر جارية بربر :

من شعره فى جوهر

يا بأبى وجهُك من بينهمْ * فإنّه أحسنُ ما أبصرُ

يا بأبى وجهك من رائع * يشبهه البدرُ إذا يزهرُ

جاريةٌ أحسنُ من حَلْيها * والحَلْىُ فيه الدرُّ والجوهرُ ٥

وجِرمُها(١) أطيبُ من طيبها * والطِّيب فيه المسكُ والعنبرُ

جاءت بها بربرُ مكنونةً * يا حبّذا ما جلبتْ بربرُ

كأنّما ريقتُها(٢) قهوةٌ * صُبَّ عليها باردٌ أسمرُ

٩٣/١٢

أخبرنى الحسين بن القاسم قال : حدّثنا ابن أبى الدنيا قال : حدّثنى منصورُ ابن بشر العُمرى عن محمد بن الزبرقان قال : ١٠

عبث مطيع بأبى العمير

كان مطيعُ بن إياس كثيرَ العبث ، فوقَف على أبى العمير : رجلٍ من أصحاب المُعَلَّى الخادم ، فجعل يعبثُ به ويمازحُه إلى أن قال :

ألا أبلغْ لديك أبا العُميرِ * أرانى اللهُ فى استِكَ نصفَ أيرِ

فقال له أبو العُمير : يا أبا سلمى ، لو جدت لأحدٍ بالأيرِ كلّه لجدتَ به إلى ما بيننا من الصداقة ، ولكنك بخيلٌ لا تريدُه كلَّه إلا لك . فأفحمه ، ولم يُعاودِ العبثَ به . ١٥

قال : وكان مطيع يُرْمى بالأُبنة .

ما دار بينه وبين صديق له حين سقط له حائط

قال : وسقط لمطيع حائط ، فقال له بعضُ أصدقائه : احمَد اللهَ على السلامة ! قال : احمد الله أنت الذى لم ترُعك هَدّتُه ، ولم يُصبْكَ غبارُه ، ولم تَعدَم أجرةَ بنائه .

---

(١) الجرم : الجسم . (٢) يعنى العسل . وفى الأصول : « كأن ريقها » .

أخبرني إسماعيل بن يونس بن أبي اليسع الشّيعيّ قال : حدّثنا عُمَر بن شبّة قال :

مدحه جرير بن يزيد

وفد مطيعُ بن إياس إلى جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسريّ وقد مدحه بقصيدته :

أمِن آل ليلى عَزمتَ البُكورا * ولم تَلْقَ ليلى فتَشْفِي الضّميرا

وقد كنتَ دهرك فيما خلا * لليلَى وجاراتِ ليلى زَءُورا

ليالِي أنت بها معجَبٌ * تَهِيم إليها وتَعصِي الأميرا

وإذ هي حوراءُ شِبهُ الغزا * لِ تُبصِرُ في الطّرف منها فُتُورا(1)

تقول ٱبنتي إذ رأت حالتي * وقرّبتُ للبين عَنْسًا وكُورا(2)

إلى مَن أراكَ ، وقتك الحُتُو * فَ نفسي ، تجشّمتَ هذا المَسيرا

فقلتُ : إلى البَجَلِيّ الذي * يفُكُّ العُناةَ ويُغنِي الفقيرا(3)

أخي العُرف أشبهَ عند النّدَى * وحَمْلِ المِئينَ أباهُ جديرا(4)

عَشِيرِ النّدى ليس يرضى النّدى * يدَ الدّهرِ بعد جريرٍ عشيرا

إذا استكثر المجتدون القليـ * ـلَ للمُعتفِينَ ٱستقلّ الكثيرا

إذا عَسُر الخير في المجتدِيـ * ـن كان لديه عتيدًا يسيرا

وليس بمانع ذِي حاجةٍ * ولا خاذلٍ مَن أتى مستجيرا

فنفسي وَقَتْك أبا خالدٍ * إذا ما الكُماةُ أغاروا النُّمورا(5)

---

(1) الفتور : الضعف . (2) العنس : الناقة الصلبة . والكور : بالضم : الرحل أو هو بأداته . (3) العناة : جمع عان ، وهو الأسير . (4) في الأصول : « إياه جديرا » . (5) الكماة : جمع كمي ، وهو الرجل الشجاع المدجج بالسلاح . والنمور : جمع نمر ، أراد أنهم فاقوا النمور في شجاعتهم .

إلى ابن يزيدَ أبى خالدٍ * أخى العرف أعملتُها عيسجورا (١)

لِتَلْقَ فواضلَ من كفِّه * فصادفت منه نوالًا غزيرا

فإن يكنِ الشُّكرُ حُسْنَ الثّنا * ءِ بالعرف منِّى تجدْنى شكورا

بصيرًا بما يستلذُّ الرّوا * ةُ من مُحْكَمِ الشِّعر حتّى يسيرا

إجازة جرير له سرا

فلما بلغ يزيدَ خبرُ قدومه دعا به ليلا، ولم يعلمْ أحد بحضوره، ثم قال له: قد عرفت خبرَك، وإنِّى متعجِّل لك جائزتَك ساعتِى هذه، فإذا حضرتَ غدًا فإنى سأخاطبك مخاطبةً فيها جفاء، وأزوِّدُك نفقةَ طريقِك وأصرِفُك، لئلّا يبلغَ أبا جعفرٍ خبرى فيُهلكَنى. فأمر له بمائتى دينار، فلما أصبحَ أتاه، فاستأذنه فى الإنشاد، فقال له: ياهذا لقد رميتَ بآمالك غيرَ مرمًى، وفى أىِّ شىءٍ أنا حتّى ينتجعَنى الشعراء؟ لقد أساتَ إلىّ لأنى لا أستطيع تبليغك مَحَابَّك (٢)، ولا آمَن سُخطك وذمَّك. فقال له: تسمع ما قلتُ فإنِّى أقبل ميسورَك، وأبسطُ عُذْرَك. فاستمَع منه كالمتكلِّف المتكره، فلما فرَغ قال لغلامه: ياغلامُ كم مبلغُ مابقِى من نفقتنا؟ قال: ثلاثمائةِ درهم. قال: أعطه مائةَ درهمٍ لنفقةِ طريقِه، ومائةَ درهمٍ ينصرف بها إلى أهله، واحتبِس لنفقتنا مائةَ درهم. ففعل الغلام ذلك، وآنصرف مطيعٌ عنه شاكرا، ولم يعرف أبو جعفرٍ خبره.

٩٤ / ١٢

بعض ما غنى فيه من شعره

أنشدنى وكيع عن حمّادِ بن إسحاق عن أبيه، لمطيع بن إياس، وفيه غناء:

واهًا لشخصٍ رجوتُ نائلَه * حتّى أنثنى لى بودِّه صَلَفَا

لانَتْ حواشيه لى وأطمَعَنِى * حتّى إذا قلت نلتُه آنصرفا

قال: وأنشدَنى حمّاد أيضا عن أبيه، لمطيع بن إياس، وفيه غناءٌ أيضا:

خليلِى مخلفٌ أبدا * يمنِّينى غدًا فغدا

(١) العيسجور: الناقة الصلبة والسريعة. (٢) محابك: ما تحب وتتمنى.

وبعد غـدٍ وبعد غـدٍ * كذا لا ينقضى أبـدا
له جمـرٌ على كبـدى * إذا حرّكتُه وقـدا
وليس بلابثٍ جمـرُ الـ * ـغضَى أن يُحرق الكبِـدا[1]

وفى هذه الأبيات لعَريب هزج .

أطيب الأشياء عند مطيع

٥ أخبرنى أحمد بن العبّاس العسكرى قال : حدّثنا العنزى عن مسعود بن بشير قال :

قال الوليد بنُ يزيدَ لمطيع بنِ إياس : أىُّ الأشياء أطيبُ عندك ؟ قال : «صهباءُ صافية، تمزجها غانية، بماءِ غادية» .

قال : صدقت .

عربدة مطيع على يحيى بن زياد وذمه له ثم استرضاؤه

١٠ أخبرنى محمد بن خلف بنِ المرزُبانِ قال : حدّثنى أبو عبد الله التميمى قال : حدّثنا أحمدُ بنُ عبيد، وأخبرنى عمّى قال : حدّثنا الكُرانى عن العمَرى عن العُتْبى قال :

سكر مطيعُ بن إياسٍ ليلةً ، فعربد[2] على يحيى بنِ زيادٍ عربدة قبيحة وقال له وقد حلَف بالطلاق :

لا تحلِفـا بطـلاقِ مَنْ * أمسَتْ حوافرها رقيقـه
١٥ مهـلًا فقـد علم الأنا * مُ بأنّهـا كانت صـديقه

فهجره يحيى وحلَف ألّا يكلّمه أبدا، فكتب إليه مطيع :

إنْ تصـلْنى فمثـلُك اليـوم يُرْجَى * عفوُه الذّنبَ عن أخيـه ووَصْلُه
ولئن كنت قد هممتَ بهجـرى * للذى قـد فعلتُ إنّى لأَهـلُه

(١) اللابث : المتوقف . (٢) العربدة : أن يؤذى النديم النديم بما يكره .

وأحقُّ الرِّجال أن يَغفِر الذَّنْـ * ـبَ لإخوانه الموقَّرُ عقلُه
الكريمُ الذى له الحسَبُ الثا * قبُ فى قومه ومن طاب أصلُه
ولئن كنتَ لا تصاحب إلّا * صاحبا لا تَزِلّ ما عاش نعلُه[1]
لا تجدْه وإن جهدْتَ، وأنَّى * بالذى لا يكاد يُوجَد مثلُه
إنّما صاحبي الذى يغفر الذنـ * ـبَ ويكفيه من أخيه أقلُّه
الذى يَحفظُ القديمَ من العهـ * ـد وإنْ زَلَّ صاحبٌ قلَّ عذلُه
ورعَى مامضى مِن العهد منه * حين يؤذِى من الجهالة جهلُه[2]
ليس مَن يُظهِرُ المودّةَ إفْكاً * وإذا قال خالفَ القولَ فعلُه
وَصْلُه للصَّديق يوماً فإنْ طا * لَ فيومان ثم ينْبتُّ حبلُه

قال : فصالحه يحيى وعاوَدَ عِشرته .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا هارون بن محمدِ بنِ عبدِ الملك قال : حدّثنى أبو أَيُّوبَ المدنىّ قال : حدّثنى أحمدُ بنُ إبراهيمَ الكاتب قال : حدّثنى أبى عن رجلٍ من أهلِ الشأم قال :

نزوله بدير كعب وشعره فى جليس ثقيل

كنتُ يوماً نازلا بدَيرِ كعب ، قد قدمتُ من سفرٍ ، فإذا أنا برجلٍ قد نزل الدَّير معه ثَقَلٌ[3] وآلةٌ وعَيبة ، فكان قريباً من موضعى ، فدعا بطعام فأكل ، ودعا الراهبَ فوهَبَ له دينارين ، وإذا بينَه وبينه صداقةٌ ، فأخرج له شراباً فجلس يشربُ ويحدِّثُ[4] الراهب ، وأنا أراهما ، إذْ دخل الدَّير رجل فجلس معهما ، فقطع

(١) زلة النعل : كناية عن الخطأ . وهو من قول النابغة :
ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب
(٢) فى الأصول : « يؤدى » ، بالدال المهملة .
(٣) الثقل ، بالتحريك : متاع المسافر وحشمه . (٤) فى الأصول : « ويجذب » .

حديثهما وثقُل فى مجلسه، وكان غثَّ الحديث، فأطال . فجاءنى بعض غلمانِ الرجلِ النازلِ فسألتُه عنــه ، فقال : هــذا مطيعُ بن إياس . فلمّا قام الرجلُ وخرج كتب مطيعٌ على الحائط شيئًا، وجعل يشرب حتّى سكِر، فلما كان من غدٍ رَحَلَ، فجئت موضعَه فإذا فيه مكتوب :

٥ طَرْبةً ما طرِبْتُ فى دَيْرِ كعبٍ * كدتُ أقضى من طَرْبتى فيه نَحْبِى

وتذكّرتُ إخــوتى ونَــدَاما * ىَ فهاج البــكاءَ تَذْكارُ صَحْبِى [1]

حينَ غابوا شَتّى وأصبحتُ فردًا * ونأَوْا بينَ شرقِ أرضٍ وغربِ

وهمُ ما همُ ، فحســبِىَ لا أبْـ * ـغى بديلًا بهــم لعمرُكَ حســبى

طلحة الخــيرِ منهمُ وأبو المُنْـ * ـذرِ خِــلٌّ ومالكٌ ذاكَ تِرْبى [2]

١٠ أيُّهــا الداخلُ الثقيــلُ علينا * حينَ طاب الحديثُ لى ولِصَحْبِى

خِفَّ عنــا فأنت أثقــلُ واللّـ * ـهِ علينا من فَرسخَىْ دَيْرِ كعبِ

ومِن النّــاس مَن يَخِفُّ ومنهم * كَرَحَى الــبَزْرِ رُكِّبت فوقَ قلبى

أخبرنا الحسن بن على قال : حدّثنــا ابن مهرويه قال : حدّثنا عمر بن محمد قال : حدّثنا الحسين بن إياس [3] ، ويحيى بن زيادٍ، وزاد العمل [4] حتّى حلَفَ يحيى بن زياد على بُطلانِ شيءٍ كلّمه به مما دار بينهما، فقال مطيع :
١٥

(١) كذا على الصواب فى حـ ، وفى سـ : « ندماى » وفى شـ : « ندمائى » .

(٢) الترب بكسر التاء : ما ولد معك ، وأكثر ما يستعمل فى المؤنث يقال « هذه ترب فلانة » .

(٣) كذا فى الأصول . وظاهر أن هناك سقطا بين السند وأول الخبر .

(٤) تكملة الخبر الذى سبق فى ص ٣٠٥ . ولعلها : «وزاد فى العربدة » .

لا تحلفًا بطلاقِ مَنْ * أمستْ حوافرُها رقيقه
هيهاتَ قد علِمَ الأميـ * ـرُ بأنّها كانت صديقه

فغضب يحيى وحَلَفَ ألَّا يُكلِّمَ مطيعًا أبدا، وكانا لا يكادان يفترقان[1] فى فَرَحٍ ولا حُزْنٍ، ولا شِدّةٍ ولا رخاء، فتباعَد مابين يحيى و بينه، وتجافَيَا مدّة، فقال مطيعٌ فى ذلك، وندم على ما فَرَط منه إلى يحيى؛ فكتب إليه بهذا الشّعر، قال :

كنت ويحيى كيد واحدةٍ * نَرمى جميعًا وترانا معا
إن عضّنى الدّهرُ فقد عضَّه * يُوجِعُنا ما بعضَنا أوجعا
أو نامَ نامتْ أعين أربعٌ * منّا وإن أسهرْ فلن يَهْجَعا
يسرُّنى الدّهرُ إذا سَرَّه * وإنْ رماه فلَنَا فَجَّعا
حتّى إذا ماالشّيب فى مَفرِقى * لاحَ وفى عارضه أسرَعا
سَعى وُشاةٌ فمَشَوْا بيننا * وكاد حبلُ الودِّ أن يُقطَعا
فلم أَلُمْ يحيى على فعلِه * ولم أقُلْ مَلَّ ولا ضَيَّعا
لكنّ أعداءً لنا لم يكن * شيطانُهم يرى بنا مَطمَعا
بينا كذا غاش على غِرة[2] * فأوقَدَ النّيرانَ مستجمِعا
فلم يزل يُوقِدُها دائبا * حتّى إذا مااضطرمت أقلعا

أخبرنا الحسين بن يحيى المِرداسىّ، عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد ابن الفضل السّكونى . وأخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال : حدثنا عبدالرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عمِّه . قال إسحاق فى خبره : «دخل على إخوانٍ يشربون» ، وقال الأصمعى :

(١) فى حـ : « أن يفترقا » . (٢) فى حـ : «غاس» بالسين المهملة ، وكلاهما محرف .

دخل سُراعة بن الزندبور على مطيع بن إياس ويحيى بن زياد، وعندهما قينةٌ تغنّيهما، فسقَوه أقداحا وكان على الريق، فاشتدّ ذلك عليه، فقال مطيعٌ للقينة: غنّي سراعةَ. فقالت له: أيَّ شيءٍ تختار؟ فقال: غنّي:

طبيبيَّ داويتُما ظاهرًا * فمن ذا يداوي جَوًى باطنا

٥ ففطِن مطيعٌ لمعناه، فقال: أيك أكل؟ قال: نعم. فقدّم إليه طعامًا فأكل ثم شرب معهم. والله أعلم.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني محمد بن هارون الأزرَق مولى بني هاشم أخي أبي عشانة قال: حدّثني الفضل بن محمد بن الفضل الهاشمي عن أبيه قال:

قول مطيع لمحمد بن سالم وشعره فيه

١٠ كان مطيع بن إياس [يهوَى] ابنَ مولًى لنا يقال له محمد بن سالم، فأخرجتُ أباه إلى ضيعةٍ لي بالريّ لينظر فيها، فأخرجه أبوه معه، ولم أكن عرفت خبر مطيع معه حتّى أتاني، فأنشدني لنفسه:

أيا ويحَه لا الصّبر يملك قلبه * فيصبرَ لمّا قيل سار محمد
فلا الحزنُ يُفنيه ففي الموت راحةٌ * فحتَّى متى في جهده يتجلّد
١٥ قد أضحى صريعًا باديات عظامُه * سوى أنّ روحا بينها تتردّد
كئيبا يمنّي نفسَه بلقائه * على نأيه واللهُ بالحزن يشهد
يقول لها صبرًا عسى اليوم آئبٌ * بإلفك أو جاء بطلعته الغدُ
وكنتَ يدًا كانت بها الدهرَ قُوّتي * فأصبحتُ مُضنًى منذ فارقني يدي

في أخبار مطيع التي تقدّم ذكرها آنفا أغانٍ أغفلتُ عن نِسبتها حتى انتهيت إلى هذا
٢٠ الموضع فنسبتها فيه:

صـــــوت

طبيبىَّ داويتُما ظاهرا * فمن ذا يداوى جوًى باطنا
فقومًا اكويانى ولا ترحَما * من الكىِّ مستحصِفا راصنا (١)
ومُرّا على منزل بالغُمَيم * فإنّى عهدتُ به شادنا (٢)
فَتورَ القيام رخيمَ الكلا * م كانَ فؤادى به راهنا

٩٧/١٢

٥

الشعر فيما ذكر عبدُالله بن شبيبٍ عن الزبيرِ بن بكارٍ، لعمرِو بنِ سعيدِ بنِ زيدِ ابن عمرِو بنِ نُفيلٍ القرشىّ العدوىّ، والغناء لمعبدٍ، ولحنه ثقيلٌ أوّل بالوسطى فى مجراها عن إسحاق وعمرٍو، وفيه لأبى العبيس بنِ حمدون ثانى ثقيلٍ مطلق فى مجرى البنصر، وهو من صدور أغانيه ومختارِها وما تَشبَّه فيه بالأوائل. ولو قال قائل: إنه أحسَنُ صنعةٍ له صَدَق.

١٠

أخبرنى الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، أن غيلان بن خرشةَ الضّبّىّ دخل إلى قومٍ من إخوانه وعندهم قينة، فجلس معهم وهو لا يدرى فيم هُمْ، حتّى غنت القينة :

طبيبىَّ داويتُما ظاهرًا * فمن ذا يداوى جوًى باطنا

وكان أعرابيًّا جافيا به لُوثة (٣)، فغضب ووثَب وهو يقول: السوطُ وربِّ غيلانَ يُداوى ذلك الجوى! وخرج من عندهم.

١٥

وهذا الخبر مذكورٌ فى أخبار معبدٍ من كتابى هذا وغيره، ولكنّ ذكره هاهنا حسن فذكرته.

(١) المستحصف: الشديد. والراصن، كذا صحح فى مهذب الأغانى. ولعله وصف من رصن رصانة. وفى الأصول: «راضيا»، وهو تحريف. (٢) الشادن: الغزال الصغير.
(٣) اللوثة: الحمق ومس الجنون.

٢٠

ومما فيها من الأغانى قول مطيع

صـــوت

أمسيتُ جَمَّ بلابلِ الصدرِ * دهرا أزجّيه إلى دهرِ
إن فُهت طُلّ دمى وإن كُتِمتْ * وقَدَت علىّ توقّدَ الجمر(١)

٥ الغناء لحكم الوادىّ، هزج بالبنصر عن حَبَش الهشامى.

أخبرنى ابن الحسين قال حدثنا حماد بن إسحاق عن صباح بنِ خاقان قال:

مطيع وجوهر المغنية

دخلت علينا جوهر المغنية جاريةُ بربر(٢)، وكانت محسنةً جميلةً ظريفةً، وعندنا مطيع بنُ إياسٍ وهو يلعب بالشطرنج، وأقبل عليها بنظره وحديثه، ثم قال:

ولقد قلتُ مُعلنًا * لسعيدٍ وجعفرِ
١٠ إن أتتنى مَنيّتى(٣) * فدمى عند بربرِ
قتلتْنى بمنعها(٤) * [لِىَ] من وصْلِ جوهرِ

قال: وجوهر تضحك منه.

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنا عبد الله بن أبى سعيد عن أبى توبة قال:

هجاء مطيع لحماد عجرد

١٥ بلغ مطيعَ بن إياسٍ أن حمادَ عجردٍ عابَ شعرا ليحيى بن زيادٍ قاله فى مُنقذ بن بدرٍ الهلالى، فأجابه مُنقذٌ عنه بجوابٍ، فاستخفَّهما [حمّاد] عجرد، وطعن عليهما، فقال فيه مطيع:

(١) فى جـ: «إنى فهمت طل يدى». (٢) فى جـ: «جارية يزيد».
(٣) فى كل الأصول: «إن ابتى متيتى» وهو تصحيف

أيها الشاعرُ الذى * عاب يحيَى ومُنقِذا
أنتَ لو كنتَ شاعرا * لم تقل فيهما كذا
لستَ والله فاعلمنْ * لذىَ النقد جهبذا (١)
تعدِل الصبرَ بالرضَى * شائبَ الصَّفوِ بالقذَى (٢)

٩٨ / ١٢

أخبرنى عيسى بن الحسين قال حدثنا عبد الله بن أبى توبة عن ابن أبى منيع الأحدب قال : ٥

مطيع ومكنونة جارية المروانية

كنت جالسا مع مطيع بن إياس ، فمرّت بنا مكنونة جارية المروانية ، وكان مطيعٌ وأصحابنا يألفونها، فلم تسلّم، وعبِث بها مطيعُ بنُ إياس فشتمته، فالتفت إلىّ وأنشأ يقول :

فديتُ من مرّ بنا * يوما ولم يتكلمْ ١٠
وكان فيما خلا من * ه كلما مرّ سلّمْ
وإنْ رآنِىَ حيّا * بطرفه وتبسّم
لقد تبدّل — فيما * أظنّ — والله أعلم
فليت شعرىَ ماذا * علىّ فى الود ينقِم
يا ربِّ إنك تعلمْ * أنى بمكنونَ مغرَم ١٥
وأننى فى هواها * ألقَى الهوان وأعظَم
يالائمى فى هواها * احفظْ لسانك تَسْلم
واعلم بأنك مهما * أكرمت نفسَك تُكرَم

(١) الجهبذ : النقاد الخبير . (٢) فى كل الأصول : «من وصفوا لى القذى» .

إنّ الملولَ إذا ما * ملّ الوصالَ تجرّم[1]
أو لا فما لِيَ أُجفَى * من غير ذنب وأُحرَم

مطيع يشبب بجوهر ثم يهجوها

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان مطيع بن إياس يألف جوارى بربر، ويهوى منهنّ جاريتها المسماة جوهر .

٥ وفيها يقول ؛ ولحكم فيه غناء :

خافِ اللهَ يا بربرْ * لقد أفسدتِ ذا العسكرْ[2]
إذا ما أقبلت جوهرْ * يفوح المسكُ والعنبر
وجوهرُ دُرّة الغوّا * ص من يملكُها يُحبَر[3]
لها ثغرٌ حكى الدرّ * وعَيْنا رَشَإٍ أحور[4]

١٠ فى هذه الأبيات هزج لحكم الواديّ . قال وفيها يقول :

أنتِ يا جوهرُ عندى جوهرهْ * فى قياس الدرر المشتَهرهْ
أوكشمسٍ أشرقت فى بيتها * قذفتْ فى كل قلب شررَه
وكأنّى ذائقٌ من فيها * كلما قبّلتُ فاها سُكّره
وكأنّى حين أخلو معها * فائز بالجنّة المختضَرَه

١٥ قال : فجاءها يوما، فاحتجبت عنه فسأل عن خبرها، فعرف أن فتى من أهل الكوفة يقال له ابنُ الصّحّاف يهواها متخلٍّ معها[5]، فقال مطيع يهجوها :

ناك والله جوهرَ الصّحّافُ * وعليها قميصُها الأفوافُ[6]

(١) تجرم عليه : ادعى عليه ذنبا لم يفعله . (٢) فى التفعيلة الأولى من الشطر الأول «خرم» .
(٣) يحبر : يسر . وفى الأصول : « يجبر » . (٤) الرشأ : الظبي إذا قوى ومشى
٢٠ مع أمه . أحور : الحور شدة سواد سواد العين وبياض بياضها . (٥) متخل : متفرغ .
(٦) الأفواف : الرقيق . وفى حديث عثمان « خرج وعليه حلة أفواف » .

شامَ فيهـا أيرًا له ذا ضُلوعٍ * لم يشِنْه ضعفٌ ولا إخطافُ[1]
جَدَّ دفْعا فيهـا فقالت ترفَّقْ * ما كذا يافتى تُناك الظِّرافُ

٩٩ / ١٢

أخبرنى الحسن بن على قال حدثنـا هرونُ بن محمد بن عبد الملك قال، قال محمد بن صالح بن النطاح : أُنشِد المهدىُّ قولَ مطيع بنِ إياس :

المهدى يسمع شعر مطيع فى جوهر فيقول اجمعوا بينهما

خـافِ اللّـهَ يا بربـرْ * لقـد أفتنتَ ذا العسكرْ
بريح المسـك والعنـبر * وظبى شادنٍ أحـورْ[2]
وجـوهر درّة الغـوّا * ص من يَملكُها يُحْبَرْ[3]
أما واللّـه يا جـوهر * لقـد فُقتَ على الجـوهر
فـلا واللهِ ما المهـدىُّ أولَى منـك بالمنـبر
فإن شئتَ ففى كفيْـ * ـكَ خاتَمُ ابنِ أبى جعفـر

١٠

فقال المهدى: اللهم العنهما جميعاً، ويلكم! آجمعوا بين هذين قبل أن تخلعنا هذه القحبة. وجعل يضحك من قول مطيع. ووَجدتُ أبيـاتَ مطيع الثلاثة التى هجا بها جوهرَ فى رواية يحيى بن على أتمّ من رواية إسحاق وهى بعد البيتين الأوّلين :

زعموها قالت وقـد غاب فيهـا * قائمـا فى قيامـه استحصافُ
وهو فى جارة آستِها يتـلظّى * يا فـتى هـكذا تُنـاك الظِّـرافُ[4]
ناكها ضيفُها وقبّـل فاها * يا لقَومِى لقـد طغَى الأضيـاف
لم يـزَل يرهَز الشهيّـةَ حتى * زال عنهـا قميصُهـا والعِطاف[5]

١٥

(١) فى الأصول: «شام فيها إتزاله» وهو تصحيف. شام: أدخل. والإخطاف: الضمور.

(٢) الظبى الشادن: الذى قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه. (٣) فى الأصول: «يجبر». وانظر ما مضى فى الصفحة السابقة.

(٤) فى الأصول: «وهى فى» وفى س، ب «حارة استها تتلظى» وهو تصحيف.

(٥) يرهز: يحرك. العطاف: الرداء.

وقال هارون بن محمد فى خبره :

بيعت جوهرُ جارية بربر، فاشترتها امرأة هاشمية من ولد سليمانَ بن على كانت تغنى بالبصرة وأخرجتها، فقال مطيع فيها :

لا تبعدى يا جوهرُ * عنّا وإن شطّ المزارُ
ويلى لقد بعُدت ديا * رُك سُلّمت تلك الديار
يُشفى بريقتها السّقا * مُ كأنّ ريقتَها العُقار[1]
بيضاءُ واضحة الجبيـ * ـن كأن غُرّتها نهار
القلب قلبى وهو عنـ * ـد الهاشميّة مستعار

مطيع يهجو كلواذى

أخبرنى محمد بن عمران الصيرفىّ قال حدّثنا العنَزى قال : حدّثنا على بن منصور المؤدب أن صديقا لمطيع دعاه إلى بستان له بكَلواذى[2]، فمضى إليها، فلم يستطبها، فقال يهجوها :

بلدة تُمطر التراب[3] على النا * س كما يُمطر السماءُ الرذاذا
وإذا ما أعاذ ربى بلادًا * من خرابٍ كبعض ما قد أعاذا
خربت عاجلا ولا أُمهلَتْ[4] يو * ما ولا كان أهلُها كَلْواذى

أثر مطيع وأصحابه فى معامل من تجار الكوفة

أخبرنى محمد بن جعفر النحوى قال حدّثنا طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطلحى قال حدّثنى عافية بن شبيب بن خاقان التميمى أبو معمّر قال :

كان لمطيع بن إياس مُعامِل من تجار الكوفة، فطالت صحبته إياه وعشرته له

(١) فى حـ و ب : « ريقها » . العقار : الخمر .
(٢) كلواذى : مدينة قرب مدينة السلام .
(٣) فى سـ ، ب : « السحاب » ، وفى معجم البلدان : « التراب » ، وهو ما أثبتناه .
(٤) فى سـ ، ب ، حـ : « عاملا » وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه .

حتى شرب النبيذ، وعاشر تلك الطبقة، وأفسدوا دينه، فكان إذا شرب يعمل كما يعملون، وقال كما يقولون، وإذا صحا تهيّب ذلك وخافه، فمرّ يوما بمطيع بن إياس وهو جالس على باب داره، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: شيَّعتُ صديقا لى حجَّ، ورجعتُ كما ترى ميّتا من ألم الحرّ والجوع والعطش. فدعا مطيع بغلامه وقال له: أىّ شىء عندك؟ فقال له: عندى من الفاكهة كذا، ومن البوارد والحارّ كذا، ومن الأشربة والثلج والرياحين كذا، وقد رُشّ الخيشُ وفُرِغَ من الطعام. فقال له: كيف ترى هذا؟ فقال: هذا والله العيشُ وشِبْهُ الجنّة. قال: أنتَ الشريك فيه على شريطة إن وفيتَ بها وإلا انصرفتَ. قال: وما هى؟ قال: تشتِمُ الملائكة وتنزل. فنفَر التاجرُ وقال: قبّح الله عِشرتَكم قد فضحتمونى وهتكتمونى. ومضى فلم يبعُد حتى لقيه حمّادُ عجرد فقال له: ما لى أراك نافرا جزعا؟ فحدّثه حديثَه. فقال: أساء مطيعٌ — قبّحه الله — وأخطأ، وعندى والله ضِعفُ ما وصَفَ لك؛ فهل لك فيه؟ فقال: أجَلْ[1]، بى والله إليه أعظمُ فاقة. قال: أنت الشريك فيه على أن تشتمَ الأنبياء فإنّهم تعبّدونا بكل أمرٍ مُعنِتٍ متعِبٍ، ولا ذنب للملائكة فنشتمَهم. فنفر التاجر وقال: أنت أيضا فقبّحك الله، لا أدخلُ! ومضى فاجتاز بيحيى ابنِ زيادِ الحارثىّ فقال له: ما لى أراك يا أبا فلان مُرْتاعا؟ فحدّثه بقصّته. فقال: قبّحهما الله لقد كلّفاك شَطَطا، وأنت تعلم أن مروءتى فوق مروءتهما، وعندى والله أضعافُ ما عندهما، وأنت الشَّريكُ فيه على خصلة تنفعك ولا تضرُّك، وهى خلافُ ما كلّفاك إيّاهُ من الكفر. قال: وما هى؟ قال: تصلى ركعتين تُطيل ركوعَهما وسجودَهما، وتصليهما وتجلس، فنأخذ فى شأننا. فضجِر التاجرُ وتأفّف وقال: هذا شرٌّ من ذاك، أنا تعب ميّت، تُكلّفنى صلاةً طويلةً فى غير بِرٍّ

(١) فى الأصول: «أشد».

ولا لإطّاعة يكون ثمنُها أكلَ سُحتٍ(١) وشربَ خمرٍ وعشرةَ بَخرةٍ وسماعَ مغنياتٍ حِقابٍ .
وسبّه وسبّهما ومضى مغضَبا . فبعث خلفَه غلاما وأمره بردّه، فردّه كَرْها، وقال :
انزِلِ الآن على ألا تُصلِّيَ اليوم بتّةً . فشتمه أيضا وقال : ولا هذا . فقال : انزل
الآن كيف شئتَ وأنت ثقيل غيرُ مُساعِد . فنزل عِنده . ودعا يحيى مطيعا وحمادا،
٥ فعبثا بالتاجر ساعة وشتماه ، ثم قُدّم الطعام ، فأكلوا وشربوا وصلى التاجر الظهر
والعصر، فلما دبّت الكاس فيه قال له مطيع : أيّما أحب إليك: تشتم الملائكة
أو تنصرف؟ فشتمهم . فقال له حماد: أيما أحب إليك: تشتم الأنبياء أو تنصرف؟
فشتمهم . فقال له يحيى : أيما أحب إليك: تصلي ركعتين أو تنصرف ؟ فقام فصلّى
الركعتين،ثم جلس فقالوا له : أيما أحب إليك: تترك باقيَ صلاتك اليوم أو تنصرف ؟
١٠ قال : بل أتركها يا بَنِي الزانيةِ ولا أنصرف . ففعل كلَّ ما أرادوه منه .

رأى المهدى فى أخلاق مطيع

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السّكوني قال :

رفعَ صاحب الخبرِ إلى المنصور أنّ مطيع بن إياسٍ زِنديقٌ ، وأنه يعاشر ابنَه
جعفرا وجماعةً من أهلِ بيته ، ويوشك أن يفسِدوا أديانهم ويُنسَبوا إلى مذهبه .
١٥ فقال له المهدى : أنا به عارف ، أمّا الزندقةُ فليس من أهلها ، ولكنه خبيثُ
الدين فاسق مستَحِلّ للمحارم. قال : فأحضِره وانهَهُ عن صحبةِ جعفر وسائرِ أهله .
فأحضره المهدى وقال له : يا خبيثُ يا فاسق ، قد أفسدتَ أخي ومن تصحبه
من أهلي ، والله لقد بلغني أنهم يتقادَعون(٢) عليك ، ولا يتِمّ لهم سرورٌ إلا بك ، فقد
غرّرتَهم وشهّرتهم في الناس ، ولولا أني شَهِدت لك عند أميرِ المؤمنين بالبراءة مما
٢٠ نُسِبتَ إليه بالزندقة ، لقد كان أمَرَ بضربِ عنقِك . وقال للربيع : اضربه مائتى

١٠١/١٢

(١) السحت : ما خبث من المكاسب وحرم فلزم عنه العار .
(٢) التقادع : التهافت . وفى الأصول : « يتقارعون » تحريف .

سوط واحبسه . قال : ولِمَ يا سيدى ؟ قال : لأنك سِكّير خِمِّير[1] قد أفسدت أهلى كلّهم بصحبتك . فقال له : إن أذنتَ وسمعتَ احتججتُ . قال : قل . قال : أنا آمرؤ شاعر، وسُوقى إنما تنفُق مع الملوك، وقد كسدُت عندكم، وأنا فى أيامكم مُطَّرَح، وقد رضيتُ فيها مع سعتها للناس جميعا بالأكل على مائدة أخيك، لا يتبع ذلك عَشيرة، وأصفيتُه على ذلك شكرى وشعرى، فإن كان ذلك عائبا عندك تبتُ منه . فأطرق، ثم قال: قد رفع إلىّ صاحب الخبر أنك تماجَنُ على السُّؤّال وتضحك منهم . قال : لا، والله ما ذلك من فعلى ولا شأنى، ولا جرى منى قط إلا مرة ؛ فإنّ سائلا أعمى اعترضنى — وقد عبرتُ الجسرَ على بغلتى — وظنّنى من الجُند، فرفع عصاه فى وجهى ثم صاح : اللهم سخر الخليفة لأن يُعطىَ الجندَ أرزاقهم، فيشتروا من التجار الأمتعةَ، ويربَح التجار عليهم فتكثُرَ أموالهم، فتجبَ فيها الزكاة عليهم، فيصدّقوا علىّ منها . فنفرت بغلتى من صياحه ورفعه عصاه فى وجهى حتى كدت أسقط فى الماء، فقلت : يا هذا ما رأيتُ أكثرَ فضولا منك، سلِ الله أن يرزقَك ولا تجعل هذه الحَوَالاتِ والوسائطَ التى لا يُحتاج إليها، فإن هذه المسائلَ فضول، فضحك الناس منه، ورُفِعَ علىّ فى الخبر قولى له هذا . فضحك المهدى وقال : خلّوه ولا يُضرَب ولا يُحبَس . فقال له : أدخل عليك لِمَوْجِدة[2] وأخرج عن رضًى وتبرأ ساحتى من عَضِيهة[3] وأنصرف بلا جائزة ؟ قال : لا يجوز هذا، أعطوه مائتى دينار ولا يعلم بها الأمير، فيتجدّد عنده ذنوبُه . قال : وكان المهدى يشكر له قيامه فى الخطباء ووضعَه الحديثَ لأبيه فى أنه المهدىُّ . فقال له : اخرج عن بغداد ودَعْ صحبة جعفر حتى ينساك أمير المؤمنين غدا . فقال له : فأين أقصد ؟ قال :

(١) الخمير : الدائم الشرب للخمر . (٢) الموجدة : الغضب . وفى أ ، ب : «الموجدة» .
(٣) العضيهة : الإفك، والبهتان، والنميمة .

أكتبُ لك إلى سليمان بنِ على فيُولّيك عملا ويحسنُ إليك . قال : قد رضيتُ .

تولية مطيع صدقة البصرة

فوفد إلى سليمانَ بكتابِ المهدى ، فولّاه الصدقة بالبصرةِ وكان عليها داود بن أبى هندٍ ، فعزله به .

حدّثنى محمد بن هاشم بنِ محمد الخزاعى قال : حدّثنا عيسى بن إسماعيل تِينَة عن ابنِ عائشة أن مطيع بن إياسٍ قدِم على سليمان بنِ على بالبصرةِ — وواليها على الصدقة داود بن أبى هند — فعزله وولّى عليها مطيعا .

مطيع يهجو مالك ابن أبى سعدة

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدثنى أبو توبة عن بعض البصريين قال :

كان مالك بن أبى سَعدة عمّ جابرِ الشطرنجى جميلَ الوجه حسنَ الجسم ، وكان يعاشر حمادَ عجردٍ ومطيعَ بن إياس وشرب معهما فأفسد بينهما و بينه وتباعد . فقال حمادُ عجردٍ يهجوه :

أتوبُ الى الله من مالكٍ * صديقا ومن صُحبتى مالكا
فإن كنتُ صاحبتُهُ مرّةً * فقد تبتُ ياربِّ من ذلكا

قال : وأنشدها مطيعا ، فقال له مطيع : سخِنت عينُك! هكذا تَهجو الناس؟ قال: فكيف كنتُ أقول ؟ قال : كنتَ تقول :

نظرةً ما نظرتُها * يوم أبصرتُ مالكا
فى ثيابٍ مُعَصْفَرا * تِ على الوجه بارِكا
تركتْنِى ألُوط من * بعد ما كنتُ ناسكا
نظرة ما نظرتُها * أوردتْنى المهالكا

أخبرنى عيسى بنُ الحسين قال حدّثنا حماد عن أبيه عن الهيثم بنِ عدى قال :

مطيع يشكو الفقر أيام المنصور ويمدح أيام بنى أمية

كان مطيع بن إياس منقطعا إلى جعفر بنِ المنصورِ ، فطالت صحبتُه له بغير فائدة ، فاجتمع يوما مطيعٌ وحماد عجرد ويحيى بن زياد ، فتذاكروا أيام بنى أمية وسَعتَها ونَضرتَها وكثرةَ ما أفادوا فيها ، وحسْنَ مملكتِهم[1] وطيبَ دارهم بالشأم ، وما هم فيه ببغداد من القحط فى أيام المنصورِ ، وشدّة الحَرّ ، وخشونة العيش ، وشكوا الفقرَ فأكثروا ، فقال مطيع بن إياس : قد قلتُ فى ذلك شعرا فاسمعوا . قالوا : هات . فأنشدهم :

حبّذَا عيشُنا الذى زال عنا * حبذا ذاك حين لا حبّذا ذا[2]

أين هذا من ذاك سَقياً لهذا * ك ولسنا نقول سَقيا لهذا[3]

زاد هذا الزمانُ عُسرا وشرا * عندنا إذ أحلّنا بغْدَاذا

بلدة تُمطر التُرابَ على النا * س كما يمطر السماءُ الرّذاذا

خَربت عاجلًا وأخرب ذو العر * ش بأعمال أهلها كلْواذى[4]

أخبرنى عيسى بن الحسينِ عن حمادٍ عن أبيه قال :

لما خرج حماد بن العباس إلى البصرة ، عاشر جماعةً من أهلها وأدبائها وشعرائها ، فلم يحمدْهم كما يريد ، ولم يستطِبْ عِشرتَهم واستغلظ طبعَهم ، وكان هو ومطيعُ بن إياسٍ وحمادُ الراويةُ ويحيى بن زيادٍ كأنّهم نفْس واحدة ، وكان أشدَّهم أُنسًا به مطيع بن إياسٍ ، فقال حمادٌ يتشوّقه :

(١) فى سـ ، ب : « ملكتهم » وفى حـ « مملكتهم » .

(٢) فى سـ ، ب : « ذاك لا حبذا » ، وفى حـ : « ذاك حين لا حبذا » وهو الصحيح .

(٣) فى س ، ب : « لذا » وفى حـ : « لهذا » وهو الصواب .

(٤) كذا : فى سـ ، ب ، حـ . وفى معجم البلدان :

خربت عاجلا ولا أمهلت يو * ما ولا كان أهلها كلواذى

لستُ واللهِ بناسٍ * لِمطيع بن إياس
ذاك إنسانٌ له فضـ * ـلٌ على كلِّ أناس
غرَسَ الله له في * كبدى أحلَى غِراس
فإذا ما الكأسُ دارتْ * واحتساها مَن أُحاسِي
٥ كان ذِكرانا مُطيعا * عندها رَيحانَ كاسى

حدّثنا عيسى بن الحسين عن حمادٍ عن أبيه قال:

مطيع يصف ليالى قضاها فى بستان له بالكرخ ويتشوق إلى يحيى بن زياد

دعا مطيعُ بن إياسٍ صديقًا له من أهل بغداد إلى بستانٍ له بالكرخ، يقال له بستان صَبَّاح، فأقام معه ثلاثة أيام فى فتيانٍ من أهلِ الكرخ مُردٍ وشبّان، ومغنّين ومُغنّيات، فكتب مطيع إلى يحيى بنِ زيادٍ الحارثى يخبره بأمره ويتشوّقه، قال:

١٠ كم ليلةٍ بالكرخ قد بِتُّها * جذلانَ فى بستانِ صَبّاحِ
فى مجلسٍ تنفَحُ أرواحُه * ياطِيبَها مِن ريح أرْواحِ
يُدير كأسًا فإذا ما دَنت * حُفَّت بأكوابٍ وأقداحِ
فى فِتيةٍ بيضٍ بهاليلَ ما (١) * إن لهُمُ فى الناس من لاحِ
لم يَهْنِني ذاك لفقد امرئٍ * أبيضَ مثلِ البدر وضّاحِ
١٥ كأنما يُشرق من وجهه * إذا بدا لِى ضوءُ مِصْباحِ

١٠٣ / ١٢

قال: فلما قرأ يحيى هذه الأبيات قام من وقته، فركب إليهم، وحمل إليهم ما يُصلِحُهم من طعام وشراب وفاكهة، فأقاموا فيه أياما على قَصْفهم حتى ملّوا، ثم انصرفوا.

(١) بهاليل: جمع بُهلول وهو الضحّاك أو السيد الجامع لكل خير. لاح: لائم.

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدّثنى حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال : قال مطيع بن إياس :

روايته شعرا لفتى كوفى

جلستُ أنا ويحيى بن زياد إلى فتى من أهل الكوفة كان ينسب إلى الصَّبْوة[1] ويكتم ذاك، ففاوضناه وأخذنا فى أشعار العرب ووصفِها البيدَ وما أشبه ذلك، فقال :

لَأَحسنُ من بِيدٍ يحارُ بها القَطا[2] * ومن جَبَلَىْ طَيٍّ ووصفِكما سَلْعا

تَلاحُظُ عَيْنَىْ عاشِقَين كلاهما * له مُقْلةٌ فى وجه صاحِبِه ترعَى

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى أبو المَضَاء قال :

المهدى يعاتب مطيع بن إياس

عاتب المهدى مطيع بن إياس فى شىء بلغه عنه، فقال له : يا أمير المؤمنين، إن كان ما بلغك عنى حقا فما تُغنى المعاذير، وإن كان باطلا[3] فما تضر الأباطيل . فقبل عذره وقال : فإنّا ندعُك على حالتك ولا نكشفك . والله أعلم .

حدّثنى عمى الحسن بن محمد قال حدّثنا الكُرانى قال حدّثنا العُمرى عن الهيثم ابن عدى قال :

مطيع وأصحابه يشربون ومعهم جوهر المغنية

اجتمع حماد الراوية ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد وحكَمٌ الوادىُّ يوما على شراب لهم فى بستان بالكوفة، وذلك فى زمن الربيع، ودعَوْا جوهرَ المغنية، وهى التى يقول فيها مطيع :

أنتِ ياجوهرُ عندى جوهرٌ * فى قياس الدُّرِّ المشتهرَه

فشربوا تحت كَرْم معروش حتى سكِروا، فقال مطيع فى ذلك :

---

(١) الصبوة : جهلة الفتوّة واللهو من الغزل (٢) القطا : جمع قطاة وهى طائر فى حجم الحمام، وقد يطلق الحمام عليه للشابهة . سلع : موضع بقرب المدينة، وقيل جبل بالمدينة .

(٣) فى ب، حـ : «وإن باطلا» .

صـــوت

خرجنـا نمتطي الزهرا * ونجعـلُ سقفَنا الشجرا
ونشـربُهـا مُعتّقـةً * تخـالُ بكأسِها شـرَرا
وجوهرُ عنـدنا تحكى * بِدارةِ وجهِها القمـرا
يزيدك وجهُهـا حُسْنا * إذا ما زدتَه نظـرا
وجوهرُ قـد رأيناها * فـلم نَرَ مثلَهـا بَشَـر

غنى فيه حكم غناء خفيفا، فلم يزالوا يشربون عليه بقية يومهم . وقد رُوى أن بعض هذا الشعر للهدى وأنه قال منه واحدا، وأجازه بالباقى بعض الشعراء. وهذا أصح.

لحنُ حكمٍ فى هذا الشعر خفيفُ رملٍ بالوسطى .

١٠ حدثنا محمد بن خلف وكيعٌ قال حدّثنى حمادٌ عن أبيه قال :

مطيع يهجو أباه

كان مطيع بن إياس عاقا بأبيه شديدَ البغض له وكان يهجوه ، فأقبـل يوما من بُعْد ، ومطيع يشرب مع إخوان له ، فلما رآه أقبل على أصحابه فقال :

هـــذا إياسٌ مُقبـلًا * جاءت به إحدى الهَنَـاتْ[1]
هـوْزٌ فُـوه وأنفُـه * كَلَمَنٌ فى إحدى الصّفات
١٥ وكأنّ سعْفَصَ بطنُـه * والثغـرَ شـين قُرَيْشات[2]
لمـا رأيتُـك آتيـا * أيقنتُ أنـكَ شرُّ آتْ

حدّثنى جعفر بنُ قـدامة بن زيادٍ الكاتب قال حدّثنى حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضلِ السكونى قال :

مطيع يمدح معن ابن زائدة

مدح مطيع بن إياس معنَ بن زائدة بقصيدته التى أوّلها :

٢٠ (١) الهنات : الشرور والفساد . (٢) فى ب، جـ : «سين قريسات» . وقد تصرف الشاعر فى أخوات أبجد ، كما ترى ؛ فقريشات هى « قرشت » .

المنصور ونخلتا حلوان

أخبرنى عمى عن أحمد بن طاهر عن الخراز عن المدائنى أن المنصور اجتاز بنخلتى حلوان وكانت إحداهما على الطريق، فكانت تُضَيِّقه وتزحم الأثقال عليه، فأمر بقطعهما، فأُنشِد قولَ مطيع :

واعلما ما بقيتما أن نحسًا * سوف يلقاكما فتفترقان

قال: لا والله ما كنت ذلك النحس الذى يفرق بينهما، وتركهما .

وذكر أحمد بن إبراهيم عن أبيه عن جده إسماعيل بن داود أن المهدى قال : قد أكثر الشعراء فى نخلتى حلوان ولهممْت أن آمر بقطعهما . فبلغ قولُه المنصورَ، فكتب إليه :

«بلغنى أنك هممت بقطع نخلتى حلوان. ولا فائدة لك فى قطعهما، ولا ضرر عليك فى بقائهما، فأنا أعيذك بالله أن تكون النَّحْسَ الذى يلقاهما،فتفرق بينهما». يريد قول مطيع .

قول حماد عجرد فى نخلتى حلوان

ومما قالت الشعراء فى نخلتى حلوان قول حماد عجرد، وفيه غناء قد ذكرتُه فى أخبار حماد :

جعلَ اللهُ سِدرتَىْ قصرِشيرِين(١) * من فداءً لنخلتَىْ حلوان

جئت مستسعدًا(٢) فلم يُسعدانى * ومطيعٌ بكت له النخلتان

لشاعر آخر فيهما

وأنشدَنى جحظةُ ووكيعٌ عن حماد عن أبيه لبعض الشعراء ولم يُسَمِّه :

أيُّها العاذلان لا تعذلانى * ودعانى من الملام دَعانى

وابكيا لى فإنّى مستحق * [منكُما](٣) بالبكاء أن تسعدانى

إننى منكما بذلك أولَى * من مطيع بنخلتى حُلوان

فهما تجهلان ما كان يشكو * من هَواه وأنتما تعلمان

(١) شيرين : قصر شيرين بين حلوان وهمذان. وفى كل الأصول : « نخلتى قصر شيرين » . وما أثبتناه رواية معجم البلدان . (٢) فى كل الأصول: « مستعدبا » ، وهو تحريف .

(٣) [منكما] : زيادة يستقيم بها الوزن ولا يأباها المعنى .

ونعم ما ليلة الشتاء إذا اسـ * تنبح كلب القرى فلم يجب[١]
لا ونعم عنده مخالفة * مثل اختلاف الصعود والصبب
يحضر من لا فلا يهم بها * ومنه تضحى نعم على أرب[٢]
ترى له الحلم والنهى خلقا * فى صولة مثل جاحم اللهب
سيف الإمامين ذاك وذا إذا * قل بناة الوفاء والحسب
ذا هودة لا يخاف نبوتها * ودينه لا يشاب بالريب[٣]

فلما سمعها معن قال له: إن شئت مدحناك كما مدحتنا وإن شئت أثبناك. فاستحيا مطيع من اختيار الثواب على المديح وهو محتاج إلى الثواب، فأنشأ يقول لمعن:

ثناء من أمير خير كسب * لصاحب فاقة وأخى ثراء[٤]
ولكن الزمان برى عظامى * وما مثل الدراهم من دواء

فضحك معن حتى استلقى وقال: لقد لطفت حتى تخلصت منها، صدقت، لعمرى[٥] ما مثل الدراهم من دواء! وأمر له بثلاثين ألف درهم، وخلع عليه وحمله[٦].

١٠٥ / ١٢ — مطيع وصديق له عربى

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال حدثنى المهلبى عن أبيه عن إسحاق قال: كان لمطيع بن إياس صديق من العرب يجالسه، فضرط ذات يوم وهو عنده، فاستحيا وغاب عن المجلس. فتفقده مطيع وعرف سبب انقطاعه، فكتب إليه وقال:

أظهرت منك لنا هجرا ومقلية[٧] * وغبت عنا ثلاثا لست تغشانا
هون عليك فما فى الناس ذو إبل * إلا وأينقه يشردن أحيانا

(١) فى الأصل: «لانعم». (٢) فى ب، س «يحضر هزلا» وفى جـ «يحضر من لا» وما أثبتناه هو الأوفق. (٣) الهودة: التوبة والرجوع إلى الحق. (٤) فى ب، ج: «لصاحب معن». (٥) لطف: رفق. (٦) حمله: أعطاه دابة تحمله. (٧) مقلية: بغضاء.

أخبرنى أبو الحسن الأسدى قال حدثنى العباس بن ميمون طائع قال حدثنا بعض شيوخنا البصريين الظرفاء وقد ذكرنا مطيع بن إياس ، فحدثنا عنه قال :

مجون مطيع وأصحابه فى الصلاة

اجتمع يحيى بن زيادٍ ومطيع بن إياس وجميع أصحابهم ، فشربوا أياما تباعا ، فقال لهم يحيى ليلةً من الليالى وهم سُكارى : ويْحكم ! ما صلينا منذ ثلاثةِ أيامٍ فقوموا بنا حتى نصلى . فقالوا : نعم . فقام مطيع فأذّن وأقام ، ثم قالوا : من يتقدم ؟ فتدافعوا ذلك ، فقال مطيع لِلْمُغَنِّيَة : تقدّمى فصلى بنا . فتقدمت تصلى بهم عليها غلالةٌ رقيقـة مطيَّبة بلا سراويل ، فلمـا سجدت بان فرجها ، فوثب مطيع وهى ساجدة فكشف عنه وقبَّله وقطع صلاته ، ثم قال :

ولمـا بدا فـرجها جاثمًـا * كرأس حليقٍ ولم يَعتمِـدْ
سَجَـدتُ إليـه وقبّلتُـهُ * كما يفعـل الساجدُ المجتهـد

فقطعوا صلاتهم ، وضحكوا وعادوا إلى شربهم .

حدثنى عمى الحسن بن محمـد قال حدثنا عبـد الله بن أبى سعد قال حدثنى محمد بن القاسم مولى موسى الهادى قال :

إعجاب المهدى بتهنئة مطيع

كتب المهدى إلى أبى جعفر يسأله أن يُوَجّه إليه بابنه موسى ، فحمله إليه ، فلمـا قدم عليـه قامت الخطباء تهنئـه ، والشعراء تمـدحه ، فأكثروا حتى آذوه وأغضبوه ، فقام مطيع بن إياس فقال :

أحمَـدُ الله إلَهَ الـ * ـخلق ربَّ العـالمينا
الذى جاء بمـوسى * سالمـا فى سـالمينا
الأميرِ آبنِ الأمـيرِ آبـ * ـن أمـيرِ المؤمنينـا

فقال المهدى : لا حاجة بنا إلى قول بعد ما قاله مطيع . فأمسك الناس ، وأمر له بصـلة .

قال أبو الفرج :

ونسخت من كتاب لأبى سعيد السكرى بخطه . قال : حدثنى ابن أبى فنن .
حبرنى يحيى بن على بن يحيى بهذا الخبر فيما اجاز لنا أن نرويه عنه عن أبى أيوب
المدائنى عن ابن أبى الدواهى ، وخبر السكرى أتم واللفظ له ، قال :

مطيع ينصح يحيى ابن زياد

كان بالكوفة رجل يقال له أبو الأصبغ له قيانٌ ، وكان له ابن وضىء حسن
الصورة يقال له الأصبغ[1] ، لم يكن بالكوفة أحسنُ وجها منه ، وكان يحيى بن زياد
ومطيع بن إياس وحماد عجرد وضرباؤهم يألفونه ويعشقونه ويُطرِفونه[2] ، وكلهم
كان يعشق ابنه أصبغ ، حتى كان يوم نَوْروز[3] وعزم أبو الأصبغ على أن يصطبِحَ مع
يحيى بن زياد ، وكان يحيى قد أهدى له من الليل جِداء ودجاجا وفاكهة وشرابا ؛
فقال أبو الأصبغ لجواريه : إن يحيى بن زيادٍ يزورنا اليوم ، فأعدِدْن له كلَّ ما يصلح
لمثلِه . ووجَّه بغلمانٍ له ثلاثةٍ فى حوائجه ، ولم يبق بين يديه أحد ، فبعث بابنه أصبغ
إلى يحيى يدعوه ويسأله التعجيل ، فلما جاءه آستأذن له الغلام ، فقال له يحيى :
قل له يدخل ، وتنحّ أنت وأغلقْ الباب ولا تَدَعْ الأصبغ يخرج إلا بإذنى . ففعل
الغلام ودخل الأصبغ ، فأدّى إليه رسالةَ أبيه ، فلما فرغ راودَه يحيى عن نفسه ؛
فامتنع ، فشاوره[4] يحيى وعاركه حتى صرعه ، ثم رام حَلّ تِكّته ، فلم يقدر عليها ؛
فقطعها وناكه ، فلما فرغ أخرج من تحت مُصلّاه أربعين دينارا ، فأعطاه إياها ،
فأخذها ، وقال له يحيى : آمض فإنى بالأثر . فخرج أصبغُ من عنده ، فوافاه مطيعُ
ابن إياس ، فرآه يتبخّر ويتطيّب ويتزيّن ، فقال له : كيف أصبحت ؟ فلم يُجبه ،
وشَمَخَ بأنفه ، وقطّب حاجبيه ، وتفخّم ؛ فقال له : ويحك مالك ؟ نزل عليك

(١) فى الأصل : «الأصبع» فى جميع مواضعه من هذا الخبر . والمعروف فى أعلامهم : «الأصبغ» بالغين المعجمة ، وكذا «ذو الإصبع» . (٢) يطرفونه : يهدون إليه الطريف . (٣) نوروز : أول يوم من السنة الشمسية . وعند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل . (٤) شاوره : واثبه .

الوحى ؟ كلمتْك الملائكة ؟ بويع لك بالخلافة ؟ وهو يومئ برأسه : لا لا ، فى كل كلامه ، فقال له : كأنك قد نكت أصبغ بن أبى الأصبغ قال : إى والله الساعة نكته . وأنا اليوم فى دعوة أبيه . فقال مطيع : فآمرأته طالق إن فارقتك أو نقبّل متاعك . فأبداه له يحيى حتى قبّله ، ثم قال له : كيف قدرتَ عليه ؟ فقال يحيى ما جرى وحدّثه بالحديث ، وقام يمضى إلى منزل أبى الأصبغ ، فتبعه مطيع ، فقال له : ما تصنعُ معى والرجل لم يدْعُك ؟ و إنما يريد الخلوة . فقال : أشيّعُك إلى بابه ونتحدّث . فمضى معه ، فدخل يحيى وردّ الباب فى وجه مطيع ، فصبر ساعة ، ثم دقّ البابَ فاستأذنَ ، فخرج إليه الرسول ، وقال له : يقول لك أنا اليوم على شغل لا أتفرّغ معه لك . فتعذّر(1) . قال : فابعث إلىّ بدواةٍ وقرطاس ، فكتب إليه مطيع(2) :

يا أبا الأصبغ لا زلتَ على * كل حال ناعمـا مُتَّبعا
لا تصيِّرنِّى فى الودّ كمن * قَطعَ التِّكَّة قطعا شَنِعا
وأتى ما يشتهى لم يَثْنِه * خيفةٌ أو حفظُ حق ضَيّعا
لو ترى الأصبغَ مُلقًى تحتَه * مستكينا خجِلا قد خضعا
ولَهُ دفعٌ عليه عَجِل * شِبقٌ شاءَك(3) ما قد صنعا
فادعُ بالأصبغ واعلم حالَه * ستَرى أمرا قبيحا شنعا

قال فقال أبو الأصبغ ليحيى : فعلتَها يا بن الزانية ؟ قال : لا والله . فضرب بيده إلى تِكّة ابنه ، فرآها مقطوعة ، وأيقن يحيى بالفضيحة ، فتلكأ الغلام ، فقال له يحيى : قد كان الذى كان ، وسعى بى إليك مطيعٌ ابن الزانية ، وهذا ابنى وهو والله أفْرَه(4) من ابنك ، وأنا عربى ابن عربية وأنتَ نَبَطىٌّ ابن نَبَطية ، فنِك ابنى عشر مرات

(1) تعذر : اعتذر واحتج لنفسه . (2) فى الأصول « فكتب إليه الاصبع » .
(3) شاءك : حزنك . وفى الأصول « شاك » . (4) الفاره من الناس : المليح الحسن

مكان المرّة التي نكتَ ابنك، فتكونَ قد ربحتَ الدنانير، وللواحد عشرة . فضحك وضحك الجوارى ، وسكن غضبُ أبى الأصبغ ، وقال لابنه : هات الدنانير يابن الفاعلة . فرمى بها إليه ، وقام خجِلا ، وقال يحيى : والله لا أُدخِل مطيعٌ الساعى ابن الزانية . فقال أبو الأصبغ وجواريه : والله ليَدخلَنّ ، فقد نصحَنا وغشَشْتنا . فأدخلناه وجلس ٥ يشرب ومعهم يحيى يشتمهم بكل لسان، وهو يضحك، والله أعلم .

مطيع يغلب خمسة ممن يكايدونه

أخبرنى عمى الحسن بن محمد قال حدثنا الكُرَانى عن العُمَرى عن العتبي قال : حضر مطيع بن إياس وشُراعةُ بن الزندبوذ ويحيى بن زيادٍ ووالبة بن الحُباب وعبد الله بن العيّاش المنتوف وحماد عجرد، مجلسا لأميرٍ من أمراءِ الكوفة، فتكايدوا جميعا عنده ، ثم اجتمعوا على مطيع يكايدونه ويهجونه فغلبهم جميعا ، حتى قطعهم

$\frac{١٠٧}{١٢}$

١٠ ثم هجاهم بهذين البيتين وهما :

وخمسةٍ قد أبانوا لى كِيادَهُمُ * وقد تلظّى لهم مِقْلًى وطِنْجيرُ(١)
لو يقدرون على لحمى لمزّقه * قردٌ وكلبٌ وجِرْواهُ(٢) وخنزيرُ

احتجاج مطيع لفسقه

أخبرنى وكيعٌ عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمدِ بن الفضلِ قال : دخل صديق لمطيع بن إياس، فرأى غلاما تحته ينيكه، وفوق مطيع غلام له يفعل ١٥ كذلك، فهو كأنه فى تَخت(٣)، فقال له: ما هذا يا أبا سلمى؟ قال: هذه اللذة المضاعفة.

تعريض حماد بأبنة مطيع

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال : كان حمادٌ الراوية قد هجر مطيعا لشىء بلغه عنه ، وكان مطيع حَلَقيا، فأنشد شعرا ذات يوم وحماد حاضر، فقيل له : من(٤) يقول هذا يا أبا سلمى؟ قال: الحطيئة .

(١) المقلى والمقلاة : ما يقلى فيه الطعام . الطنجير : وعاء تعمل فيه الحلوى المخبوصة ، وهو معرب .
٢٠ (٢) فى الأصول . «جروات» ، والصواب ما أثبتناه . (٣) التخت : وعاء تصان فيه الثياب . وفى الأصول «تحت» . (٤) فى كل الأصول: «مرة» وهو تحريف .

قال حماد : نعم هذا شعر الحطيئة لمـا حضر الكوفة وصار بها حَلَقيا . يعرّض حماد بأنه كذاب ، وأنه حلق ، فأمسك مطيع عن الجواب وضحك .

حدّثنى محمد بن العباس اليزيدى قال حدّثنى محمد بن إسحاق البغوى قال حدّثنا ابن الأعرابى عن الفضل قال :

جاء رجل إلى مطيع بن إياس فقال : قد جئتك خاطبا . قال : لمن؟ قال : لمودّتك . قال : قد أنكحتكها وجعلت الصداق ألا تقبلَ فىّ قولَ قائلٍ . ويقال إن الأبيات التى فيها الغناء المذكور بذكرها أخبار مطيع بن إياس يقولها فى جارية له يقال لهـا جودانة[1] كان باعها فندم ، فذكر الجاحظ أن مطيعا حلف أنها كانت تستلقى على ظهرها فيشخص كتفاها ومأكمتاها ، فتدحرج تحتهـا الرمانَ فينفذ إلى الجانب الآخر . ويقال إنه قالها فى امرأة من أبناء الدّهاقين[2] كان يهواها ، وشعره يدل على صحة هذا القول، والقول الأوّل غلط .

مطيع يشتاق إلى جاريته جودانة

أخبرنى بخـبره مع هـذه الجارية أبو الحسن الأسـدى قال حدّثنـا حماد ابن إسحاق عن أبيه عن سعيد بن سالم قال :

أخبرنى مطيع بن إياس الليثى — وكان أبوه من أهل فلسطين من أصحاب الحجاج ابن يوسف — أنه كان مع سَلْم[3] بن قتيبة، فلما خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليهم السلام ، كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجلٍ على عمله والقدوم عليه فى خاصّته على البريد ، قال مطيع : وكانت لى[4] جارية يقال لها جودانة كنتُ أحبها ، فأمرنى سَلْم بالخروج معه ، فاضطررت إلى بيع الجارية ، فبعتُها وندمتُ على ذلك بعد خروجى وتمنيت أن أكون أقمتُ ، وتتبّعتْها نفسى ، ونزلنا

(١) فى معجم البلدان برسم حلوان : « جُوذَابة » . (٢) الدهقان : رئيس الإقليم ، فارسى معرب (٣) فى الأصول : « سالم » . والصواب ما أثبتناه .
(٤) فى الأصول : « وكانت له »

حلوان ، فجلست على العقبة أنتظر ثَقَلى وعنانُ دابتى فى يدى وأنا مستند إلى نخلة على العقبة و إلى جانبها نخلة أخرى ، فتذكرت الجارية واشتقتُها وقلت :

أسعدانى يا نخلتَىْ حُلْوانِ (١) * وابكيا لى من رَيْبِ هذا الزمانِ

واعلما أن رَيْبَه لم يزل يفْـ * ـرُق بين الأُلَّاف والجيران

ولَعمرى لو ذقتما ألَمَ الفُر * قة قد أبكاكما الذى أبكانى (٢)

أسعدانى وأيْقنا أن نحسًا * سوف يلقاكما فتفترقان

كم رمتنى صروفُ هذى الليالى * بفراق الأحباب والخُلَّانِ

غير أنى لم تلقَ نفسى كما لا * قيت من فُرقة ابنة الدُّهقان

جارة لى بالرَّى تُذهبُ همّى * ويُسَلِّى دنوُّها أحزانى (٣)

فجعتنى الأيامُ أغبطَ ما كنـ * ـت بصدعٍ للبَيْن غير مُدانِ

و برغمى أن أصبحتْ لا تراها الـ * ـعينُ منى وأصبحتْ لا تَرانى

إنْ تكنْ ودّعتْ فقد تركتْ بى * لَهَبًا فى الضمير ليس بوانِ

كحريق الضِّرام فى قصب الغا * ب زَفَتْه رِيحانِ تختلفانِ (٤)

فعليكِ السلام [منّى] (٥) ما سا * غ سلاما عقلى وفاض لسانى

هكذا ذكر أبو الحسن الأسدىُّ فى هذا الخبر وهو غلط .

نسخت خبر هذا من خط أبى أيوب المدائنى عن حماد ، ولم يقل عن أبيه عن سعيد بن سالم عن مطيع قال : كانت لى بالرى جارية أيام مُقامى بها مع سَلْم ابن قتيبة ، فكنتُ أتسترّ بها ، وكنتُ أتعشق امرأةً من بنات الدَّهاقين كنت نازلا

---

(١) حلوان : حلوان العراق فى آخر حدود السواد مما يلى الجبال من بغداد .

(٢) فى ب ، حـ : «الفرقة أبكاكما» . (٣) فى الأصول : «وتسلى ذنوبها» وهو تحريف .

(٤) زفته : طردته واستخفته . وفى الأصول « رمته » (٥) تكملة يستقيم بها الوزن .

إلى جنبها فى دار لها ، فلما خرجنا بعتُ الجارية وبقِيَتْ فى نفسى علاقةٌ من المرأة التى كنت أهواها، فلما نزلنا عَقَبة حُلوان جلست مستندا إلى إحدى النخلتين اللتين على العقبة فقلت :

أسعدانى يا نخلتى حُلوان * وارْثيا لى من ريب هذا الزمان

وذكر الأبيات ، فقال لى سَلْم : ويلك فيمن هذه الأبيات ؟ أفى جاريتك ؟ فاستحييتُ أن أصدُقَه فقلت : نعم . فكتب من وقته إلى خليفته أن يبتاعها لى ، فلم ألبَثْ أن ورد كتابه : إنى وجدتُها قد تداولها الرجال ، فقد عزفت نفسى عنها . فأمر لى بخمسة آلاف درهم، ولا والله ما كان فى نفسى منها شىء، ولو كنت أحبها لم أبالِ إذا رجعتُ إلىّ بمن تداولها، ولم أبالِ لو ناكها أهلُ مِنًى كلُّهم .

أخبرنى عمى عن الحسن عن أحمد بن أبى طاهر عن عبد الله بن أبى سعد عن محمد بن الفضل الهاشمى عن سلام الأبرش قال :

الرشيد يتداوى بالجمار ويقطع إحدى نخلتى حلوان

لما خرج الرشيد إلى طُوس هاج به الدم بحُلوان، فأشار عليه الطبيب أنْ يأكل جمّارا[1] ، فأحضر دُهقان حلوان وطلب منه جُمّارا ، فأعلمه أن بلده ليس بها نخل ، ولكن على العقبة نخلتان، فَأَمَرَ بقطع إحداهما . فقطعت ، فأُتِىَ الرشيدُ بجمارتها ، فأكل منها وراح[2] . فلما انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة والأخرى قائمة ، وإذا على القائمة مكتوب :

أسعدانى يا نخلتى حلوانِ * وابكيا لى من ريْب هذا الزمانِ

أسعدانى وأيقنا أنّ نحسًا * سوف يلقاكما فتفترقانِ

فاغتم الرشيد ، وقال : يعزُّ علىّ أن أكون نحستُكما ، ولو كنتُ سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلنى الدم .

(١) الجمار : شحم النخل . وفى حـ : « يأكل جمار » . (٢) راح : نشط وارتاح .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثني محمد ابن أبي محمد القيسيّ عن أبي سمير عبد الله بن أيوب قال :

لما خرج المهدي فصار بعقبة حُلوان استطاب الموضعَ فتغدّى ودعا بحسنةَ فقال لها : أما ترين طيبَ هذا الموضع؟ غنيني بحياتي حتى أشربَ هاهنا أقداحا، فأخذت مِحكّةً كانت في يده وأوقعت على مِخَدّة[1] وغنّته :

أيا نخلتَيْ وادي بُوانةَ حبّـذا * إذا نام حرّاسُ النخيل جَناكُما

فقال : أحسنت، ولقـد هَمَمْتُ بقطع هاتين النخلتين - يعني نخلتي حلوان - فمنعني منهما هـذا الصوتُ . وقالت له حسنة : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحسَ المفرق بينهما . فقال لها : وما ذاك ؟ فأنشدته أبيات مطيع هذه . فلما بلغت إلى قوله :

أسـعداني وأيقنـا أن نحسًا * سـوف يلقاكما فتفترقان

قال : أحسنتِ والله فيما قلتِ، إذ نبهتني على هذا، والله لا أقطعهما أبدا، ولأوكلنّ بهما من يحفظهما ويسقيهما ما حييتُ . ثم أمر بأن يُفعَلَ ، فلم يزل في حياته على ما رسمه إلى أن مات .

نسبة هذا الصوت الذي غنته حسنة

أيا نخلتي وادي بُوانة حبّـذا * إذا نام حُرّاسُ النخيل جَناكما
فطِيبُكما أربى على النخل بهجةً * وزاد على طُـول القَناء[2] قَناكما

يقال إن الشعر لعُمَرَ بن أبي ربيعة . والغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ابن بانة ، وفيه لعطرد رمل بالوسطى من روايته ورواية المشاميّ .

(١) في معجم البلدان : « على نخذه » (٢) القناء : الشباب .

أهْـلا وسهلًا بسـيّد العربِ * ذِى الغُرَرِ الواضحاتِ والنُّجُبِ

فـتى نِزارٍ وكهْلِهـا وأخِى الـ * ـجودِ حَوَى غَايَتَيْه من كَثَبِ (١)

قيـل أتاكم أبو الوَليـد فقـا * ل الناسُ طُرًّا فى السهلِ والرَّحَبِ

أبو العُفاةِ الذى يـلوذُ به * من كانَ ذا رغْبـةٍ وذا رهَبِ

جاء الذى تُفـرَجُ الهمومُ به * حين يُلَزُّ الوَضِينُ بالحَقَبِ (٢)

جاء وجاء المضـاءُ يقْـدُمه * رأىٌ إذا هـمَّ غيرُ مؤتَشِبِ (٣)

شَهْمٌ إذا الحربُ شبّ دائرُها * أعادهـا عَـوْدةً على القُطُبِ (٤)

يطـفِئ نيرانَهـا و يوقِـدُها * إذا خبَت نارُها بـلا حطبِ

إلّا بوقـع المُـذكَّراتِ يُشَبّهْـ * ـنَ إذا ما انتُضِينَ بالشُّهُبِ (٥)

لم أرَ قِـرْنا له يُبـارِزُه * إلا أراه كالصقْرِ والخَـرَبِ (٦)

ليثٌ بخَفَّانَ قـد حَمَى أَجَمًـا * فصار منهـا فى مـنزلٍ أشِبِ (٧)

شِـبْلاه قـد أُدِّبا به فهُمـا * شِبْهـاهُ فى جِدِّه وفى لعبِ (٨)

قـد ومِقا شـكلَه وسـيرتَه * وأحكما منـه أكرمَ الأدبِ (٩)

نعم الفتى تُقـرَنُ الصّعابُ به * عنـد تجاثِى الخصـومِ للرُّكَبِ (١٠)

---

(١) فى كل الأصول: «حوى غانيه» . (٢) يلز: يقرن . الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر . الحقب : الحزام الذى يلى حقو البعير . (٣) هذه رواية مهذب الاغانى . وفى الأصول :

جاء وجاء المضا بقـدومه * رأى إذا هـم غير مؤتشـب

مؤتشب : مختلط . يريد أنه غير متردّد .

(٤) فى كل الأصول : « الحب » . وفى س : « أعاد » وفى ب ، ج : « أعاده » وهو خطأ .

(٥) المذكرات : جمع مذكّر، وهو السيف ذو الماء . (٦) الخرب : ذكر الحُبارى ، وهى طائر .

(٧) خفان : موضع معروف قرب الكوفة ، وهو مأسدة فيه غياض وتروز . أشب : كثير الشجر .

(٨) فى الأصول : « أزيابه » ، « يشهاه » ، « جدة » .

(٩) ومقا : أحبا . (١٠) بجثا : جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها .

لأحمد بن ابراهيم فيهما

وقال فيهما أحمد بن إبراهيمَ الكاتبُ فى قصيدة :

وكذاك الزمانُ ليس وإنْ أَلَّـ(١)ـف يبقى عليه مُؤْتلفان

سلبت كفُّه الغَرِىَّ أخاه(٢) * ثم ثَنَّى بنخلتَىْ حُلوان

فكأن الغرِىَّ قد كان فرداً(٣) * وكأنْ لم تُجاور النخلتان

٥ أخبرنى الحسن بن على قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنى مصعب الزبيرى عن أبيه قال :

جلس مطيع بن إياس فى العلة التى مات فيها فى قبة خضراء وهو على فُرش خضر، فقال له الطبيب : أى شىء تشتهى اليوم؟ قال : أشتهى ألا أموت . قال : ومات فى علته هذه ، وذلك بعد ثلاثة أشهر مضت له من خلافة الهادى .

١٠ قال أبو الفرج : ما وجدت فيه غناء من شعر مطيع، قال :

صوت

أَمَزّ مدامةً صِرْفا * كأنّ صبيبها وَدَجُ(٤)

كأنّ المِسك نفحتُها * إذا بُزِلت لها أَرَجُ(٥)

فظلّ تخاله ملكا * يصرفها(٦) ويمتزج

١٥ (١) فى كل الأصول « ليس بوان » والصواب ما أثبتناه .

(٢) فى جميع الأصول : « العزيز أخاه » وجاء فى معجم البلدان : « الغرىّ » وهى من غرِى به غراة فهو غرى إذا لزق به ولزمه . والغرىّ : واحد الغريين ، وهما بناءان مشهوران كانا بالكوفة .

(٣) فى كل الأصول : « العزيز مذ» ، « يجاوز » وصوابه « الغرى قد » ، « تجاور » .

(٤) الودج : عرق فى العنق . (٥) بزل : يقال بزل الخمر وغيرها إذا ثقب إناءها .

٢٠ (٦) يصرفها : يجعلها صرفا ، أى خالصة . والمعروف فى امتزج أنه مطاوع « مزج » ولكن ورد نظيره فى شعر أبى محجن الثقفى شاهدا للامتزاج بمعنى جعلها ممزوجة ، وهو قوله :

فقد أباكرها ريّا وأشربها * صرفا وأطرب احيانا وامتزج

وسبق نظيره أيضا فى قول الأقيشر (الأغانى ١١ : ٢٧٣ طبعة الدار) :

فقد أباكرها صرفا وأشربها * أشفى بها غلّتى صرفا وأمتزج

الغناء لإبراهيم، ثانى ثقيل بالخنصر والوسطى عن ابن المكى . وفيه لحن آخر لابن جامع . وهذه الطريقةُ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

صـــوت

جُدِلَت بَكَدْل الخيزرا * ن وثُنِّيت فتثنَّتِ

وتيقّنتْ أن الفـؤا * د يُحِبها فأدلّتِ

الغناء لعبد الله بن عباس الربيعى خفيف رمل، وذكر حبش أنه لمقامة .

صـــوت

أيها المبتغِى بَلْوى رشادِى * اللهُ عَنّى فما عليك فسادى(1)

أنتَ خِلْو من الذى بى وما يعـ * ـلم ما بى إلا القريحُ الفؤاد(2)

الغناء ليونس رمل بالبنصر من كتابه ورواية الهشامى .

صـــوت

ألا إن أهـلَ الدارِ قد ودَّعوا الدارا * وقد كان أهلُ الدار فى الدار أجْوَارا(3)

يبكّى على إثر الجميع فلا يرى * سوى نفسه فيها من القوم دَيّارا(4)

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وذكر ابن المكى أن فيه لابن سُرَيج لحنا من الثقيل الأوّل بالبنصر .

انقضت أخبار مطيع ولله الحمد .

صـــوت

فىّ انقباضٌ وحشمةٌ فإذا * صادفتُ أهلَ الوَفاءِ والكرمِ

أرسلتُ نفسى على سجيّتها * وقلتُ ما قلتُ غيرَ محتشِمِ

الشعر لمحمد بن كُناسة الأسدى، والغناء لقلم الصالحية، ثقيل أوّل بالوسطى . وذكر ابن خرداذبة أن فيه لإسماعيل بن صالح لحنا .

(1) بلوى : اختبار وتجربة . (2) القريح : الجريح . وفى صبـ، ب : «الفراغ الفؤاد» .
(3) الأجوار : جمع جار، كالجيرة والجيران . (4) مابها ديار : أى مابها أحد .

أخبار محمد بن كناسة ونسبه

هو محمد بنُ كُناسةَ، واسم كناسة عبدُ الله بن عبد الأعلى بن عُبيد الله بن خليفة ابن زهير بن نضلة بن أُنَيف بن مازن بن صهبان ـ واسم صهبان كعب ـ بن دويبة[1] ابن أُسامة بن نصر بن قُعَين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة؛ ويكنى أبا يحيى. شاعرٌ من شعراء الدولة العباسية، كوفى المولد والمنشأ، قد حُمل عنه شيء من الحديث؛ وكان إبراهيمُ بن أدهم الزاهد خالَه، وكان امرأ صالحا لا يتصدّى لمدح ولا لهجاء؛ وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير؛ وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة فى الشعر.

ما قاله ابن كناسة فى إبراهيم بن أدهم

أخبرنى محمدُ بن خلف وكيعٌ قال حدثنى إبراهيمُ بن أبى عثمان قال حدثنى مصعب الزُّبيرى قال:

قلت لمحمد بن كناسة الأسدى ونحن بباب أمير المؤمنين: أأنت الذى تقول فى إبراهيم بن أدهم العابد:

رأيتُك ما يُغنيك ما دونه الغِنى * وقد كان يُغنى دون ذاك ابنَ أدهما
وكان يرى الدنيا صغيرا عظيمها * وكان لِحَقِّ الله فيها معظِّما
وأكثر ما تلقاه فى القوم صامتا * فإن قال بذّ القائلينَ وأحكما

فقال محمد بن كناسة: أنا قلتها وقد تركتَ أجودها، فقال:

أهان الهوَى حتى تجنّبه الهوَى * كما اجتنب الجانى الدّمَ الطالبَ الدّما

رأى ابن كناسة فى حديثه

أخبرنى محمدُ بن خلف بنِ المرزُبان قال حدثنى علىّ بن مسرور العَتَكى[2] قال حدثنى أبى قال قال ابن كناسة:

(١) كذا ورد فى الأصول. ولعلها «رويبة» بالراء. (٢) فى جـ: «العسكرى».

لقد كنتُ أتحدّثُ بالحديث فلو لم يجــد سامِعُه إلا القُطنَ الذى على وجهِ أمه فى القبر لتعلّل عليه حتى يستخرجَه ويهديَه إلىّ ، وأنا اليوم أتحدثُ بذلك الحديث فمـا أفرغُ منه حتى أهيّئَ له عذرا .

ابن كناسة يداعب جـويرية

أخبرنى محمــد بن خلف بن المـرزُبان إجازةً قال حدثنا ابن أبى ســعد قال حدثنى عبيــد الله بن يحيى بن فَرْقَدٍ قال سمعت محمد بن كناسة يقول :

كنتُ فى طريق الكوفة ، فإذا أنا بجُوَيْرِيةٍ تلعب بالكِعاب[1] كأنها قضيب بانٍ ، فقلت لهـا : أنتِ أيضا لو ضِعتِ لقالوا ضاعت جارية ، ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا أصدقَ . فقالت : و يلى عليك ياشيخ ! وأنت أيضا تتكلم بهذا الكلام؟ فكُسِفتُ والله إلى بالى ثم تراجعت فقلت :

وإنّى لحُـلوٌ مخـبَرى إن خبرتِنى * ولكنْ يُعَطّينِى ولا ريبَ بى شيخ[2]

فقالت لى وهى تلعب وتبسمت : فما أَصْنَعُ بك أنا إذا؟ فقلت : لا شىء . وانصرفت .

تفسير ابن كناسة لبيت فيــه ذكر الجـوزاء والثريا

أخبرنا ابن المرزُبان قال حدثنى حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

سألت محمد بن كناسة عن قول الشاعر[3] :

إذا الجوزاءُ أردفت الثريّا * ظننتُ بآل فاطمةَ الظنونا

فقال : يقول إذا صارت الجوزاء فى المَوضع الذى تُرى فيه الثريا خِفْت تفرّق الحىّ من مجمعهم ؛ والثريا تطلُع بالغــداة فى الصيف ، والجوزاء تطلُع بعــد ذلك فى أوّل القيــظ .

١١٢ / ١٢

أخبرنى ابن المرزبان قال حدثنى ابن أبى سعد قال حدثنى صالح بن أحمد بن عبــاد قال :

(١) الكعاب : فصوص النرد . (٢) فى الأصول : « تعطينى » . والشيخ : الشيخوخة .
(٣) هو خزيمة بن مالك بن نهد ، كما فى اللسان (ردف) .

تعريض ابن كناسة بامرأته التى كان يبغضها

مرّ محمد بن كناسة فى طريق بغدادَ، فنظر إلى مصلوب على جذع، وكانت عنده امرأة يبغضُها، وقد ثقل عليه مكانُها، فقال يَعْنيها :

أيا جِذعَ مَصْلُوبٍ أتى دون صَلْبه * ثلاثون حولا كاملا هــل تُبادِلُ

فمــا أنت بالحِمْل الذى قــد حَمَلْتَه * بأضجَــرَ منى بالذى أنا حامــل

قول ابن كناسة فيمن يخدم عياله

٥ أخبرنى ابن المرزبانِ قال حدثنا عبدالله بن محمد. وأخبرنى الحسن بن على عن ابن مَهْرويْه عن محمد بن عِمرانَ عن عُبيد بن حسن قال :

رأى رجل محمد بن كناسة يحمل بيده بطنَ شاة، فقــال : هاته أحمِله عنك . فقال : لا . ثم قال :

لا يَنقُصُ الكامِلَ من كمالِه * ما جرّ من نفــعٍ إلى عيالِه

ابن كناسة ينوه بذكاء جاريته دنانير

١٠ أخبرنى وكيعٌ قال أخبرنى ابن أبى الدّنيا قال حدثنى محمد بن على بن عثمان عن أبيه قال :

كنت يوما عند ابن كناسة، فقــال لنا : أعرَفُكم شيئا من فهم دنانير؟ يعنى جاريته. قلنا : نعم. فكتب إليها : "إنك أَمَــةٌ ضعيفةٌ لكعاءُ، فإذا جاءكِ كتابى هذا فعجِّلى بجوابى . والسلام". فكتبت إليه : "ساءنى تَهْجينُك[1] إياى عند أبى الحسين، وإنّ من أعيا العىّ الجوابَ عما لا جواب له . والسلام" .

١٥ أخبرنى وكيعٌ قال أخبرنى ابــن أبى الدنيــا قال كتب إلىّ الزبيرُ بن بَكّار أخبرنى علىّ بن عثمان الكلابىُّ قال :

(١) التهجين : التقبيح . وأبو الحسين : كنية على بن عثمان، راوى الخبر .

دنانير ترثى صديق أبى الحسين

جئت يوما إلى منزل محمد بن كناسة فلم أجده، ووجدتُ جاريتَه دنانيرَ جالسة، فقالت لى: مالك محزونا يا أبا الحسين؟ فقلت: رجعتُ من دفنِ أخ لى من قريش. فسكتتْ ساعة ثم قالت:

بكيتَ على أخٍ لكَ من قريشٍ * فأبكانا بكاؤُك يا علىُّ
فمـاتَ وما خَبَرْناهُ ولكنْ * طهارةُ مَخْبِـه الحـبرُ الجَلِىُّ

٥

أخبرنى الحسن بن على الخَفّاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مِهْرويه قال حدثنى محمد بن عِمران الضبّى قال:

ابن كناسة يحتفظ بكرامته فى إملاقه

أَمْلَقَ محمد بن كناسة فلامه قومُه فى القعود عن السلطان وانتجاعه الأشرافَ بأدبه وعلمه وشعره، فقال لهم مجيبا عن ذلك:

تُؤَنِّبنى أَنْ صُنتُ عِرْضِى عِصابةٌ * لها بين أطنابِ اللئام بَصِيصُ (١)
يقولون لو غَمَّضتَ لازددْتَ رِفعةً * فقلتُ لهم إنى إذنْ لَحرِيصُ (٢)
أتكلِمُ وجْهِى لا أبا لأبيكُمُ * مطامعُ عنها للكرام مَحِيصُ
مَعاشِى دُوينَ القوت والعِرْضُ وافرٌ * وبطْنِىَ عن جدوَى اللئام خَمِيصُ (٣)
سـألقَى المنايا لم أخالط دَنيّـةً * ولم تَسْرِ بى فى المخزيات قَلُوصُ (٤)

١٠

سرور ابن كناسة بلقاء الأوفياء والكرام

حدثنا الحسن بن على قال حدّثنى ابن مهرويه قال حدّثنى محمد بن عمرو الجرجانى قال حدّثنى إسحاق الموصلى قال:

١٥

---

(١) فى الأصول: «تؤنبنى إن نضب». الأطناب: جمع طنب، وهو حبل الخباء. بصيص: بريق.
(٢) الحريص: الجشع. (٣) الجدوى: العطية. خميص: ضامر. (٤) القلوص من النوق: الشابة.

أنشدنى محمد بن كناسة لنفسه قال :

فِيَّ انقباضٌ وحشمةٌ فإذا * صادفتُ أهلَ الوفاءِ والكرمِ
أرسلتُ نفسِى على سجيّتها * وقلتُ ما قلتُ غيرَ محتشِمِ

١١٣ / ١٢

قال إسحاق فقلت لابن كناسة : وددت أنه نقص من عمرى سنتان وأنى كنت سبقتُك إلى هذين البيتين فقلتُهما .

٥

حدثنى الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنى محمد بن عمران الضبّىّ قال حدثنى محمد بن المقدام العِجْلى قال :

ابن كناسة يرثى إبراهيم بن أدهم

كانت أم محمد بن كناسةَ امرأةً من بنى عجل، وكان إبراهيم بن أدهمَ خالَه أو ابنَ خالِه ، فحدثنى ابن كناسة أن إبراهيمَ بن أدهمَ قدم الكوفة فوجّهت أمُّه إليه بهديّة معه، فقبلها ووهب له ثوبا، ثم مات إبراهيم، فرثاه ابن كناسة فقال :

١٠

رأيتك ما يكفيك ما دونه الغنى * وقد كان يكفِى دون ذاك ابنَ أدهما[1]
وكان يرى الدنيا قليلا كثيرُها * فكان لأمرِ الله فيها معظّما
أمات الهوى حتى تجنّبه الهوَى * كما اجتنب الجانى الدمَ الطالبَ الدّما
وللحِلم سلطانٌ على الجهل عنده * فما يستطيعُ الجهلُ أن يترمرما[2]
وأكْثَرُ ما تلقاه فى القوم صامتا * وإن قال بذَّ القائلين وأحكما
يُرَى مستكينا خاضعا متواضعا * وليثًا إذا لاقَى الكتيبةَ ضيغمَا
على الجدَث الغربىّ من آل وائلٍ * سلامٌ وبِرٌّ ما أبرّ وأكرما

١٥

(١) فى ء : « من دونه الغنى » .
(٢) ترمرم : تحرك للكلام ولم يتكلم . وفى س : « يتزمزم » .

رد ابن كناسة على عتاب صديق

أخبرنى الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنى زكريا بن مهران قال : عاتب محمدَ بنَ كناسةَ صديقٌ له شريفٌ كان ابنُ كناسةَ يزوره ويألفُه على تأخره عنه، فقال ابن كناسة :

ضَعُفتُ عن الإخوان حتى جفوتُهم * على غير زهدٍ فى الوفاءِ ولا الودِّ
ولكنَّ أيامى تخرَّمْنَ مُنَّتِى (١) * فما أبلُغُ الحاجاتِ إلا على جَهْدِ

رأى ابن كناسة فى الدنيا

حدثنى الحسن بن على قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنى محمد بن عمران الضَّبِّىّ قال أنشدنى ابن كناسة — قال الضَّبِّىّ: وكان يحيى يستحسنها ويعجب بها — :

ومِنْ عَجَبِ الدنيا تَبَقِّيك للبِلَى * وأنّك فيها للبقاء مُرِيدُ
وأىّ بنى الأيامِ إلا وعندَه * من الدهر ذنبٌ طارفٌ وتَلِيدُ
ومن يأمن الأيامَ أما انبياعُها (٢) * فخطْرٌ وأما فَجْعُها فعتيدُ
إذا اعتادت النفسُ الرَّضاعَ من الهوى * فإنّ فِطَامَ النفسِ عنه شديدُ

ابن كناسة يصف الحيرة وما جاورها

حدثنى الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنى محمد بن عمران الضبى قال قال لى عُبَيد بنُ الحسن :

قال لى ابنُ كناسة ذات يوم فى زمن الربيع : اخرج بنا ننظر إلى الحيرةِ فإنها حسنة فى هذا الوقت . فخرجت معه حتى بلغنا الخورنق ، فلم يزل ينظر إلى البر وإلى رياض الحيرة وحمرة الشقائق، فأنشأ يقول :

الآن حين تزيَّن الظَّهرُ * مَيْثاؤُه وبِرَاقُه العُفْرُ (٣)
بسط الربيع بها الرياضَ كما * بُسطتْ قُطُوعُ اليَمْنَةِ الحُمْرُ (٤)

---

(١) تخرم : اقتطع . المنة : القوة . (٢) الانبياع : الوثوب بعد سكون . وفى الأصول : «اتساعها» . والخطر: مصدر خطر الفحل بذنبه يخطر: ضرب به يمينا وشمالا . العتيد: الحاضر المهيأ .
(٣) الميثاء : الأرض السهلة . براقه : جمع برقاء، وهى أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل .
(٤) قطوع اليمنة : بسط اليمن .

بَــرِّيَّةٌ فى البحــر نابتــة * يُجبى إليهـا البرُّ والبحــرُ
وجرى الفرات على مياسرها * وجرى على أيْمَـانِها الزهرُ
وبدا الخورنق فى مطالعها * فــردا يلوح كأنه الفجــرُ (١)
كانت منازلَ للــلوك ولم * يُعْــلمْ بهـا لمَـلْك قــبرُ

١١٤ / ١٢

٥ قال : ثم قال يصف تلك البلاد :

سَفُلَتْ عَنْ بَرْد أرضٍ * زادهـا الــبردُ عــذابا
وعَلَتْ عن حرِّ أخرى * تُلهِب النـارَ التهـابا
مُزِجَت حينـا بــبَرْدٍ * فصفَـا العيشُ وطـابا

ابن كناسة ينصح ابنه فى اختيار الصديق

أخبرنى محمــدُ بنُ عمران الصَّيْرَفىُّ قال حدثنـا الحسن بن عُلَيْــل العنزى قال
١٠ حدثنى إسحاق بن محمد الأسدى قال حدثنى عبد الأعلى بنُ محمد بن كناسة قال :
رآنى أبى مع أحداثٍ لم يرضَهم، فقال لى :

يُنْبِيــكَ عن عيب الفتَى * تركُ الصــلاة أو الخَدِينُ
فإذا تهاون بالصّــلا * ة فما لهُ فى الناس دينُ
ويُزَنُّ ذو الحـدث المريـ * ـب بمـا يُزَنُّ به القــرينُ (٢)
١٥ إن العفيفَ إذا تكنَّفه المــريبُ هو الظنينُ (٣)

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنى آبن مهرويه قال حدثنى أحمــد
ابن خَلّاد قال أخبرنا عباد بن الحسين بن عباد بن كناســة — قال : كان محمد
آبن كناسة عمّ أبيه — قال :

(١) الخورنق : قصر كان بظهر الحيرة . (٢) يزنّ : يتهم . (٣) الظنين : المتهم .

شعر ابن كناسة فى رجل يخالف ظاهره باطنه

كان يجىء إلى محمد بن كناسة رجل من عشيرته فيجالسه ، وكان يكتب الحديث و يتفقه و يظهر أدبا ونُسكا ؛ وظهر محمد بن كناسة منه على باطنٍ يخالف ظاهرَه ، فلما جاءه قال له :

مامَن روَى أدبا فلم يعملْ به * ويكفَّ عن دفع الهوى بأديبِ (١)

حتى يكونَ بما تعلّم عاملا * من صالح فيكونَ غيرَ معيب ٥

ولقلما يُغنى إصابةُ قائل * أفعالُه أفعالُ غيرِ مُصيبِ

أخبرنى محمد بن خلف بن المرْزُبان قال حدثنى حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن كناسة عن أبيه عن جده قال :

خبر جد ابن كناسة مع امرأة من بنى أود

أتيتُ امرأةً من بنى أَوْدٍ تكحلُنى من رمد كان أصابنى، فكحلتنى ثم قالت : اضطجع قليلا حتى يدور الدواء فى عينك . فاضطجعت، ثم تمثلت قول الشاعر : ١٠

أمُخْتَرِمى ريبُ المنونِ ولم أزُرْ * طبيبَ بنى أَوْدٍ على النَّأْىِ زينبا (٢)

فضحكت ثم قالت : أتدرى فيمن قيل هذا الشعر ؟ قلت : لا والله . فقالت : فىّ والله قِيلَ، وأنا زينبُ التى عناها ، وأنا طبيب أوْد ، أفتدرى من الشاعر ؟ قلت : لا . قالت : عمك أبو سماك الأسدى .

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاقُ قال حدثنا الزبيرُ بن بكّار قال أخبرنى علىّ بن عَثّام الكلابىُّ قال : ١٥

(١) فى الأصول : «يامن» . وفى حـ : «وقع الهوى تأديب» .

(٢) مخترم : من اخترمته المنية ، إذا أخذته . ريب المنون : حوادث الدهر . وفى الأصول : « اخترى » .

جارية ابن كناسة تقول شعرا فيمن يعرض لها بأنه يهواها

كانت لابن كناسة جارية شاعرة مغنية، يقال لها دنانير، وكان له صديق يكنى أبا الشَّعْثاء، وكان عفيفا مزّاحا، فكان يدخل إلى ابن كناسة يسمع غناء جاريته ويعرّض لها بأنه يهواها، فقالت فيه:

لأبى الشعثاء حبٌّ باطنٌ * ليس فيه تُهْمَةٌ للتهم

١١٥/١٢

٥ يا فؤادى فازدجر عنه ويا * عبث الحبّ به فاقعُد وقُمْ

زارنى منه كلامٌ صائبٌ * ووسيلاتُ المحبّين الكَلِم

صائدٌ تأمنه غِزْلانُه * مثلَ ما تأمنُ غِزْلانُ الحرم[1]

صلِّ إن أحببتَ أن تُعطَى المنى * يا أبا الشَّعْثاءِ لله وصُمْ

ثُمَّ ميعادُك يوم الحشرِ فى * جَنَّةِ الخلدِ إنِ اللهُ رَحِم

١٠ حيثُ ألقاك غلاما ناشئا * يافعًا[2] قد كَمُلت فيه النِّعم

ابن كناسة يرثى جاريته

أخبرنى أحمد بن العباس العسكرىّ المؤدّب قال حدثنا الحسن بن عُليل العنزىّ قال حدثنى أحمد بن محمد الأسدىّ قال حدثنى جدى موسى بن صالح قال:

ماتت دنانير جارية ابن كُناسة، وكانت أديبةً شاعرة، فقال يرثيها بقوله:

الحمدُ لله لا شريكَ له * ياليتَ ما كان منكِ لم يكنِ

١٥ إن يكن القولُ قلّ فيكِ فما * أفحمنى غيرُ شِدّةِ الحَزَنِ

رواية ابن كناسة الحديث

قال أبو الفرج: وقد روى ابن كناسة حديثا كثيرا، وروى عنه الثقاتُ من المحدّثين؛ فمن روى ابن كناسة عنه سليمانُ بنُ مهرانَ الأعمش، وإسماعيلُ بنُ أبى خالد، وهشام ابنُ عُروة بن الزبير، ومِسْعَر بن كِدام، وعبدُ العزيز بن أبى داود، وعُمر بن ذر الهَمْدانى[3]، وجعفر بن بُرْقان[4]، وسفيان الثّورى، وفِطْر بن خليفة ونظراؤهم.

٢٠ (١) فى ب، جـ: «صائدة منه». (٢) يافعا: راهق العشرين.
(٣) ترجم له فى تهذيب التهذيب. وفى الأصول: «عمرو»، تحريف.
(٤) فى ب، سـ «قطن» صوابه فى حـ. وقد ترجم له فى تهذيب التهذيب.

طائفة مما روى من الأحاديث

أخبرنى الحسنُ بنُ على قال حدثنا محمد بنُ سعد العوفى[1] قال حدثنا محمد ابن كناسة قال حدثنا الأعمشُ عن شقيق بن سَلَمة عن أبى موسى الأشعرى قال: قلت: يارسول الله إن الرجل يحب القوم ولم يَلحَق بهم . قال: «المرء مع من أحبّ»[2] .

أخبرنى الحسن قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثنا محمد بن كناسة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيرُ نسائها مريمُ بنتُ عمران، وخيرُ نسائنا خديجةُ»[3] . والله أعلم .

أخبرنى الحسن قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثنا ابن كناسة قال حدثنا إسماعيل بن أبى خالد، عن زِرّ بن حُبَيْش قال :

كانت فى أُبىّ بن كعب شراسةٌ، فقلت له : يا أبا المنذر ، اخفض جناحك يرحمك الله، وأخبرنا عن ليلة القدر . فقال : هى ليلة سبع وعشرين . وقد روى حديثا كثيرا ذكرت منه هذه الأحاديث فقط، ليعلم صحة ما حكيته عنه ، وليس استيعاب هذا الجنس مما يصلُح هاهنا .

(١) فى س، ب : «محمد بن سعد» فقط .

(٢) فى هامش س : وهذا الحديث رواه البخارى مكررا ، وطرقه مختلفة ، ولفظ طريق ابى موسى قال : «قيل للنبى صلى الله عليه وسلم : الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال : المرء مع من أحب » .

(٣) فى هامش س : وفى البخارى قال — يعنى عبد الله بن جعفر — سمعت عليا وذكر الحديث ولفظه «وخير نسائها خديجة» ، بضمير الغائبة . قال القسطلانى : قال القرطبى : الضمير عائد على غير مذكور لكنه يفسره الحال والمشاهدة ، يعنى به الدنيا . وقال الطيبى : الضمير الأول يعود على الأمة التى كانت فيها مريم ، والثانى على هذه الأمة . قال : ولهذا كرر الكلام ، تنبيها على أن حكم كل واحدة منهما غير حكم الأخرى .

أخبار قلم الصّالحيّة

كانتْ قلمُ الصالِحيَة جاريةً مولَّدة صفراءَ حُلوةً حسنةَ الغناء والضرب حاذقةً، قد أخذت عن إبراهيمَ وابنـه إسحاق، ويحيى المكيّ، وزُبَيْر بن دحمان. وكانت لصالح بن عبد الوهّاب أخى أحمد بن عبد الوهّاب كاتب صالح بن الرشيد؛ وقيل: بل كانت لأبيه. وكانت لهـا صَنْعةٌ يسيرة نحو عشرين صوتا، واشتراها الواثق بعشرة آلاف دينـار.

فأخبرنى محمد بن مَزْيد بن أبى الأزهر قال حدّثنى رذاذُ أبو الفضل المغنّى مولى المتوكل على الله، قال حدّثنى أحمد بن الحسين بن هشام، قال:

قلم الصالحية وإعجاب الواثق بها

كانت قلمُ الصالحية جاريةُ صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنّيات المحسنات المتقدمات، فغُنِّىَ بين يدى الواثق لَحْنٌ لهـا فى شعر محمد بن كناسة، قال:

فى انقباضٍ وَحِشْمةٍ فإذا * صادفْتُ أهلَ الوفاءِ والكرمِ
أرسلتُ نفسِى على سجيَّتِها * وقُلْتُ ما قلتُ غيرَ مُحْتَشِمِ

فسأل: لمن الصنعة فيه؟ فقيل: لقلم الصالحية جاريةِ صالح بن عبد الوهاب. فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيّات فأحضره. فقال: ويلك! من صالحُ بن عبدُ الوهاب هذا؟ فأخبره. قال: أين هو؟ قال: ابعث فأشخِصْه وأشخِص معه جاريتَه. فَقدِما على الواثق، فدخلت عليه قلم، فأمرها بالجلوس والغناء، فغنّت، فاستحسنَ غناءها وأمرَ بابتياعها. فقال صالح: أبيعها بمائة ألف دينار وولايةِ مصر. فغضب الواثق من ذلك، وردّ عليه[1]. ثم غنى بعد ذلك زُرْزُورٌ[2] الكبيرُ فى مجلس الواثق صوتا، الشعر فيه لأحمدَ بن عبد الوهاب أخى صالح، والغناء لقَلَم، وهو:

(١) كذا، وفى نهاية الأرب: «وردها اليه». (٢) فى ب، ح: «زرزر».

أبتْ دار الأحبّة أن تبينا * أجدَّك ما رأيتَ لهـا مُعينا[1]
تَقطّعُ نفسُـه من حبّ ليـلى * نفـوسا ما أُثِبْنَ ولا جُزينـا

فسأل : لمن الغناء؟ فقيل : لقلم جاريةِ صالح . فبعث إلى ابن الزيّات : أشخِصْ صالحا ومعه قلم . فلما أشخصهما دخلت على الواثق ، فأمرها أن تغنّيه هذا الصوت ، فغنته ، فقال لهـا : الصنعةُ فيـه لك؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : بارك الله عليـك . وبعث إلى صالح فأحضر ، فقال[2] : أما إذا وقعت الرغبةُ فيهـا من أمير المؤمنين فمـا يجوز أن أملك شيئا له فيه رغبة ، وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين ، فإنّ من حقّها علىّ إذا تناهيتُ فى قضائه أن أصيِّرَها ملكه ، فبارك الله له فيها . فقال له الواثق : قد قبلتها . وأمر ابنَ الزيات أن يدفَعَ إليه خمسةَ آلاف دينار ، وسمّاها احتياطا . فلم يعطه ابنُ الزيات المـالَ ومطَلَه به ، فوجّه صالح إلى قلم من أعلمها ذلك ، فغنّت الواثق وقد اصْطَبح صوتا ، فقال لها : بارك الله فيك وفيمن ربّاكِ . فقالت : يا سيدى وما نفع من ربّانى منّى إلا التعبُ والغرم علىّ والخروج منّى صِفرا؟ قال : أوَلم آمُرْ له بخمسةِ آلاف دينار؟ قالت : بلى! ولكنّ ابنَ الزيّاتِ لم يعطه شيئا . فدعا بخادم من خاصّة الخـدم ووقّع إلى ابن الزيات بحمل الخمسة آلاف الدينار إليه ، وخمسـة آلاف دينارٍ أخرى معها . قال صالح : فصرتُ مع الخادم إليـه بالكتاب ، فقربنى وقال : أما الخمسـة الآلاف الأولى فخـذها فقد حضرت ، والخمسة الآلاف الأخرى انا أدفعها إليك بعد جمعة . فقمت ، ثم تناسانى كأنه لم يعرفنى ، وكتبت أقتضيه ، فبعث إلىّ : اكتُبْ لى قبضًا[3] بها وخذها بعد جمعة . فكرِهت أن أكتب قبضا بها فلا يَحصُل لى شئ ، فاستترْتُ وهو فى منزل صديق

(١) أجدك ، أى أجدا منك ، أى أحقا ما تقول .

(٢) جاء فى نهاية الأرب جـ ٥ صفحة ٦٩ ما يأتى : «وبعث إلى صالح فأحضره وقال له : إنى قد رغبت فى هذه الجارية فاسمّ فى ثمنها سوما يجوز أن تعطاه . فقال ... » .

(٣) القبض : الملك .

لى ؛ فلما بلغه استتارى خاف أن أشكوه إلى الواثق ، فبعث إلىّ بالمال وأخذ كتابى بالقبض . ثم لقينى الخادمُ بعد ذلك فقال لى : أمرنى أميرُ المؤمنين أن أصيرَ إليك فأسألك ، هل قبضت المال ؟ قلت : نعم قد قبضته . قال صالح : وابتعت بالمال ضيعة وتعلّقت بها وجعلتها معاشى ، وقعدت عن عمل السلطان فما تعرضت منه لشىء بعدها .

١١٧ / ١٢

على بن الجهم يمدح الواثق

أخبرنى محمد بن يحيى قال أخبرنى ابن إسحاق الخراسانىّ ، قال : وحدثنى محمد ابن مُخارق قال :

لما بويع الواثق بالخلافة دخل عليه على بن الجهم فأنشده قوله :

قد فازَ ذو الدّنيا وذو الدّين * بدولةِ الواثقِ هارون
وعمّ بالإحسان من فعلِه * فالنّاسُ فى خفْضٍ وفى لِين
ما أكثرَ الداعى له بالبقَا * وأكثرَ التّالى بآمين

وأنشده أيضا قوله فيه :

وَثِقَت بالملكِ الـوا * ثِـقِ بالله النُّفوسُ
مَلِكٌ يشـقَى به المـا * لُ ولا يشقَى الجَليسُ
أَسد تضْحَك عن شَـ * ـدّاته الحـرْبُ العبوسُ
أَنِس السيفُ به واسـ * ـتوْحَش العِلقُ النفيسُ (١)
يا بَنِى العبّـاس يأبى اللهُ إلاّ أنْ تَسُوسُوا

(١) العلق : النفيس من كل شىء ، والثوب الكريم .

قال : فوصله الواثق صلة سنية .

شراء الواثق لقلم الصالحية

وتغنت قلم جارية صالح بن عبد الوهاب فى هذين الشعرين، فسمع الواثق الشعرين واللحنين من غيرها فأراد شراءها ، وأمر محمد بن عبد الملك الزيات بإحضار مولاها وإحضارها ، واشتراها منه بعشرة آلاف دينار .

صوت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فأنت على من مات قبلك شاغله

سقى جدثا أعراف غمرة دونه * ببيشة ديمات الربيع ووابله (١)

وما بى حب الأرض إلا جوارها * صداه وقول ظن أنى قائله

الشعر للشمردل بن شريك من قصيدة طويلة مشهورة يرثى بها أخاه ، والغناء لعبد الله بن العباس الربيعى ثقيل أول بالوسطى، ابتداؤه نشيد، ولمقاسة بن ناصح فيه خفيف رمل بالوسطى جميعا عن الهشامى، وذكر حبش أن خفيف الرمل لحزرج .

(١) الأعراف : ما ارتفع من الرمل ، الواحدة عرفة ، وفى بلاد العرب بلدان كثيرة تسمى الأعراف منها أعراف غمرة . غمرة : جبل . بيشة : من عمل مكة مما يلى اليمن . وفى س ، ب : « أعراق غمرة » . وفى معجم البلدان : « ديمات الربيع هواطله » .

أخبار الشَّمَرْدل ونسبه

نسبه

الشَّمردَل بن شَرِيك بن عبد الملك بن رؤبة بن سلمة بن مكرم بن ضِبارى[(١)] ابن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . وهو شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كان فى أيام جرير والفرزدق .

٥ أخبرنى أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعى، قال: حدّثنا أبوغسان دماذ واسمه رفيع بن سلمة عن أبى عبيدة معمر بن المثنى قال :

خروجه وإخوته إلى خراسان وهجاؤه وكيع بن أبى سود لإنفاذهم فى وجوه مختلفة

١١٨ / ١٢

كان الشمردل بن شَرِيك شاعرا من شعراء بنى تميم فى عهد جرير والفرزدق، وكان قد خرج هو وإخوته حكم ووائل وقُدامة إلى خراسان مع وكيع بن أبى سُود، فبعث وكيع أخاه وائلا فى بعث لحرب الترك، وبعث أخاه قدامة إلى فارس فى بعث

١٠ آخر، وبعث أخاه حكما فى بعث إلى سجستان، فقال له الشمردل : إن رأيت أيها الأمير أن تنفذنا معًا فى وجه واحد، فإنا إذا اجتمعنا تعاونًا وتناصرنا وتناسبنا[(٢)]. فلم يفعل ما سأله ، وأنفذهم إلى الوجوه التى أرادها ، فقال الشمردل يهجوه ، وكتب بها إلى أخيه حكم مع رجل من بنى جشم[(٣)] بن أُدّ بن طابخة :

إنى إليك إذا كتبتُ قصيدة * لم يأتنى لجوابها مَرجوعُ

١٥ أيُضيعُها الجُشَمِىّ فيما بيننا * أم هل إذا وصلتْ إليك تَضيعُ

ولقد علمتُ وأنت عنّى نازحٌ * فيما أتى كَبِدُ الحمار وكيعُ

وبنو غُدانةَ كان معروفا لهم * أن يُهضَموا ويَضيمَهم يَربوع

وعُمارة العبد المبيّن إنه * واللؤم فى بدن القميص جميع

(١) فى س، ب : «ضارى» . (٢) فى حـ : «تناسينا» .

٢٠ (٣) فى حـ : «بنى حيس» .

رثاؤه لأخويه قدامة ووائل

قال أبو عبيدة : ولم ينشب[(١)] أن جاءه نعىُ أخيه قدامةَ من فارس ؛ قتله جيش لقُوهم بها ، ثم تلاه نعى أخيه وائل بعده بثلاثة أيام ، فقال يرثيهما :

أعاذلُ كم من روعةٍ قد شهدتها * وغُصّةِ حزن فى فِراق أخ جزْلِ[(٢)]

إذا وقعت بين الحيازيم أسدفت * علىّ الضحى حتى تنسّينى أهلى[(٣)]

وما أنا إلا مثلُ من ضُرِبتْ له * أُسَى الدهر عن ابْنَىْ أبٍ فارقا مثلى[(٤)]

أقول إذا عزّيتُ نفسى بإخوة * مضوا لاضعافٍ فى الحياة ولا عُزْل

أبى الموتُ إلا فَجْعَ كلِّ بنى أب * سيُمسون شتّى غيرَ مجتمعى الشّمْل

سبيل حبيبىّ اللّذَيْن تبرّضا * دُموعى حتى أسرعَ الحُزْنُ فى عقلى[(٥)]

كأن لم نسِرْ يوما ونحنُ بغبطةٍ * جميعا وينزلْ عند رحلِهما رحلى

فعينىّ إنْ أفضلتُما بعد وائلٍ * وصاحبه دمعا فعُودَا على الفضْل

خليلىّ من دون الأخلّاء أصبحا * رهينَىْ وفَاءٍ من وفاةٍ ومن قتْل

فلا يبعدا للدّاعِيَيْن إليهما * إذا اغبر آفاقُ السماءِ من المحْل[(٦)]

فقد عَدِم الأضيافُ بعدهما القِرى * وأخمد نارَ الليل كلُّ فتًى وغْل[(٧)]

وكانا إذا أيدى الغضابِ تحطمت * لواغِرِ صدر أو ضغائنَ من تبل[(٨)]

(١) لم ينشب : لم يلبث . (٢) الروعة : الفزعة . والجزل : الكريم العطاء ، والعاقل الأصيل الرأى .

(٣) الحيازيم جمع الحيزوم هو ما استدار بالظهر والبطن أو ضليع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . أسدفت : أظلمت فى لغة تميم ، والشمردل تميمى . (٤) الأسى : بالكسر وتضم جمع أسوة . وهو ما يتأسى به الحزين ويتعزى . (٥) تبرضا دموعى : استنزفاها قليلا قليلا .

(٦) المحل : الجدب ، وانقطاع المطر . س ، ب : «فلا يبعدا للراعيين» . (٧) الوغل : النذل الساقط المقصر فى الأشياء . (٨) الوغر : التوقد من الغيظ . التبل : العداوة .

تَحاجزُ أيدى جُهَّـل القومِ عنهما * إذا أتعب الحلمَ التترّعُ بالجهـل[1]
كمستأسِدَى عرِّيسةٍ لهما بهـا * حِمًى هابه من بالحُزُونةِ والسَّهْلِ[2]

ومنها الصوت الذى ذكرت أخباره بذكره .

رثاؤه أخاه وائلا أيضا

قال أبو عبيدة : وقال يرثى أخاه وائلا، وهى من مختار المراثى وجيد شعره :

٥ لعمرى لئن غالت أخى دارُ فُرقةٍ * وآب إلينا سـيفُه ورواحـلُه[3]
وحلّت به أثقالَها الأرضُ وانتهى * بمثـواه منها وهـو عفٌّ مآكلُه[4]
لقـد ضُمِّنت جَلْدَ القُـوى كان يُتَّقَى * به جانبُ الثغـر المخـوفِ زلازلُه
وَصُـولٌ إذا استغنى وإن كان مُقترا * من المـال لم يُحْفِ الصديقَ مسائلُه[5]
محـلٌّ لأضـياف الشّتاء كأنما * هُـمُ عنـده أيتـامه وأرامـلُه[6]
١٠ رخيصُ نضيجِ اللحم مُغْلٍ بِنِيئِه * إذا بردت عنـد الصِّـلاءِ أناملُه[7]
أقولُ وقـد رَجّمتُ عنـه فأسرعت * إلىّ بأخبـارِ اليقين محاصـلُه[8]
إلى الله أشكو لا إلى النـاس فقـدَه * ولوعةَ حزنٍ أوجعَ القلبَ داخلُه
وتحقيـق رؤيا فى المنـام رأيتُها * فكان أخى رُمحا ترفَّضَ عامـلُه[9]

١١٩/١٢

(١) تحاجز : تحاجز . والتترع : التسرع . (٢) المستأسد : الجرىء ، عنى به الأسد .
١٥ والعريسة : مأوى الأسد . وفى الأصل : « كمشاسدى » . الحزونة : الأرض الغليظة .
(٣) فى أمالى اليزيدى ٣٢ : « رحاله » . (٤) فى أمالى اليزيدى : « حلت : زينت به موتاها ، من الحلى » . (٥) المقتر : القليل المال . أحفاه : برح به فى الإلحاح عليه ، أو سأله فأكثر عليه الطلب (٦) اليزيدى : «هضوم لأضياف الشتاء» . والهضوم ، والهضام : المنفق لماله . (٧) الصلاء : اسم للنار أو للوقود . (٨) الترجيم ، من الرجم ، وهو القذف
٢٠ بالغيب والظن . قال زهير :

وما الحـرب إلا ما علمتم وذقتم * وما هـو عنها بالحـديث المرجم

وفى الأصل : « زممت » ، صوابه من أمالى اليزيدى
(٩) عامل الرمح : صدره ، وهو ما يلى السنان . ترفض : تكسر وتحطم . فى الأصول : «ترقص» ، صوابه من أمالى اليزيدى .

سقَى جدثا أعرافُ غمرة دونه * ببيشةَ ديمَاتُ الربيع ووابِلُه (١)
بمثوَى غريبٍ ليس منا مزارُه * بدانٍ ولا ذُو الودّ منّا مواصِلُه (٢)
إذا ما أتى يومٌ من الدهر دونه * فحيّاك عنا شرقُه وأصائلُه (٣)
سَنا صبحِ إشراقٍ أضاء ومَغربٌ * من الشمس وافى جنحَ ليلٍ أوائلُه (٤)
تحيةَ من أدّى الرسالةَ حُبِّبت * إليه ولم ترجع بشيءٍ رسائلُه (٥)
أبَى الصبرَ أن العين بعدَك لم يزَلْ * يخالط جَفْنيها قذًى لا يزايلُه (٦)
وكنتُ أعير الدمع قبلَك مَن بكى * فأنت على من مات بعدك شاغلُه
يذكرنى هَيْفُ الجنوب ومُنتهى * مسيرِ الصَّبا رَمْسًا عليه جنادلُه (٧)
وهتّافةٌ فوق الغصون تفجّعت * لفقد حمامٍ أفردتها حبائلُه
من الوُرْق بالأصْياف نواحة الضحى * إذا الغرقد التفت عليه غياطله (٨)
وسَوْرةُ أيدى القوم إذ حُلّت الحُبا * حُبا الشّيب واستعوَى أخا الحلم جاهله (٩)
فعينىّ إذ أبكاكما الدهرُ فابكيا * لمن نصرُه قد بان منا ونائله (١٠)

(١) اليزيدى : « أكناف غمرة » و « بهضبة كتمان المديم » .
(٢) اليزيدى : * قريبا ولا ذو الودّ منا يواصله *
(٣) اليزيدى : « من الدهر بيننا * فحياك منا » .
(٤) اليزيدى : « وكل سنا برق أضاء » . (٥) اليزيدى : « حبيت إلينا » .
(٦) القذى : ما ترمى به العين من غمص ورمص . اليزيدى : « ما يزايله » .
(٧) الهيف : ريح حارّة تأتى من نحو اليمن . الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش . الرمس : القبر . الجنادل : الحجارة . وفى أمالى اليزيدى : « نسيم الصبا » .
(٨) فى أمالى اليزيدى : « غياطله : ما اجتمع عليه والتف . والغرقد : شجر » .
(٩) الحبا : جمع حبوة ، وهو الثوب يحتبى به . وحل الحبا كناية عن الاستعداد للحرب ونحوها . ويقال استعوى فلان جماعته ، إذا نعق بهم إلى الفتنة ، وفى الأصول : « واستغوى » ، صوابه بالعين المهملة كما فى أمالى اليزيدى . (١٠) بان : بعد وانفصل . والنائل : العطاء .

إذا استعبرت عُوذُ النساء وشمّرت * مآزر يوم ما توارَى خلاخله (١)

وأصبح بيت الهجرِ قد حال دونه * وغال امرأً ما كان يُخْشى غوائله

وثقن به عند الحفيظةِ فارعوَى * إلى صوته جاراته وحلائله (٢)

إلى ذائد فى الحرب لم يك خاملاً * إذا عاذ بالسيف المجرَّد حامله

كما ذاد عن عِرِّيسة الغيل مُخْدِر * يخافُ الردى ركبانُه ورواحله (٣)

فما كنت أُلفِى لامرئ عند موطنٍ * أخًا بأخى ، لو كان حيًّا أبادله

وكنت به أغشى القتال فعزَّنى * عليه من المقدار من لا أقاتله (٤)

لعمركَ إنّ الموتَ منا لمولَعٌ * بمن كان يُرجى نفعُه ونوافله

فما البعد إلا أننا بعد صحبة * كأن لم نُبايت وائلا ونقايله (٥)

سقى الضَّفِراتِ الغيثُ ما دام ثاويا * بهنّ وجادت أهلَ شُوكٍ مَخايله (٦)

وما بى حبُّ الأرض إلَّا جوارَها * صداه وقول ظُنَّ إنّى قائله

قال أبو عبيدة : ثم قتل أخوه حكم أيضا فى وجهه ، وبرز بعض عشيرته إلى قاتله فقتله ، وأتى أخاه الشمردل أيضا نعيُه فقال يرثيه : (٧)

رثاؤه لأخيه حكم

---

(١) استعبرت : جرت عبراتهن . وعوذ النساء : جمع عائذ ، والعائذ : كل أنثى إذا وضعت ، مدة سبعة أيام ، لأن ولدها يعوذ بها . (٢) الحلائل : جمع حليلة ، وهى الزوجة .

(٣) فى الأصول : « نخاف الردى ركّابه ورواحله » ، صوابه من أمالى اليزيدى . المخدر : الأسد فى خدره ، أى عرينه . (٤) عزنى : غلبنى . (٥) بايته : بات معه ؛ وكذا قايله : نام معه وقت القائلة ، وهى الظهيرة . وفى الأصول : « تبايت وائلا وتقاتله » ، وعند اليزيدى : « يبايت وائلا و يقايله » ، والوجه ما أثبتنا .

(٦) الضفرات : جمع الضفرة ، وهى أرض سهلة مستطيلة . وفى الأصول : « الصقرات » ، صوابه فى أمالى اليزيدى . وشوك ، بالضم : ناحية نجدية قريبة من الحجاز .

(٧) الأبيات فى أمالى اليزيدى ٤٥ — ٤٦ .

يقولون احتسب حَكَماً وراحوا * بأبيضَ لا أراهُ ولا يرانى

وقبلَ فراقه أيقنتُ أنّى * وكلّ ابنى أبٍ متفارقان (١)

أخٌ لِىَ لوْ دعوتُ أجابَ صوتى * وكنتُ مجيبَه أنّى دعانى

فقد أفنى البكاءُ عليه دمعى * ولوْ أنى الفقيدُ إذاً بكانى (٢)

مضى لسبيله لم يُعْطَ ضَيْماً * ولم تَرهبْ غَوائلَه الأدَانى

قَتلْنا عنه قاتلَه وكنّا * نصُولُ به لدى الحرْبِ العوَان (٣)

قتيلا ليس مثل أخى إذا ما * بدا الخَفِرات مِنْ هول الجَنَان (٤)

وكنتَ سِنانَ رمحى من قناتى * وليس الرّمحُ الا بالسّنان

وكنت بَنانَ كَفّى من يمينى * وكيف صلاحُها بعد البَنان

وكان يهابُكَ الأعداءُ فينا * ولا أخشَى وراءك من رَمانى

فقد أبدَوا ضغائنَهم وشدّوا * إلىّ الطّرفَ واغتمزوا لِيَانى (٥)

فذاك أخٌ نبا عنه غَناه * ومولًى لا تصولُ له يدان

ادعاء الفرزدق بيتا من شعر الشمردل بعد تهديده

حدثنى هاشم بن محمد الخزاعى ، قال حدثنا أبو غسان عن أبى عبيدة عن أبى عمرو وأبى سهيل قالا :

وقف الفرزدق على الشمردل وهو ينشد قصيدة له فمر فيها هذا البيت :

وما بين من لم يعط سمعا وطاعة * و بين تميم غير جز الحلاقم

(١) اليزيدى : « متفرقان » . (٢) اليزيدى : « ولو كنت المصاب » .

(٣) العوان من الحروب : التى قوتل فيها مرة بعد مرة . (٤) الخفرات : جمع خفرة وهى الشديدة الحياء . الجنان : القلب ، وفى الأصول : « مذهول » وصححه الشنقيطى بما أثبتناه .

(٥) الطرف : الكريم من الخيل . واغتمزوا ليانى : استضعفوا اللين منى .

فقال له الفرزدق : والله ياشمردل لتتركنّ لى هذا البيت ، أو لتتركن لى عِرضَك .
فقال : خذه لابارك الله لك فيه . فادّعاه وجعله فى قصيدة ذكر فيها قتيبة بن مسلم التى أوّلها :

تحِنُّ بزوراء المدينــــة ناقتى * حنينَ عجــــولٍ تبتغى البوَّ رائمِ (١)

٥ حدّثنا هاشم قال حدّثنـــا غسان عن أبى عبيدة قال :

تأويـل رؤيا الشمردل ينعى على إثرها أخوه وائل

رأى الشمردل فيما يرى النائم كأن سِنان رمحه سقط ، فعبرّه على بعض من يعبُر الرؤيا (٢) ، فأتاه نعى أخيه وائل ، فذلك قوله :

وتحقيقُ رؤيا فى المنام رأيتُها * فكانَ أخى رُمحًا ترفَّضَ عامِلُهْ (٣)

حدّثنا هاشم قال حدّثنـــا دماذ عن أبى عبيدة قال :

شعره حين سكر مع نديمين ونسى أحدهما نعله

١٠ كان الشمردل مغرمًا بالشَّراب ، وكان له نديمان يعاشرانه فى حانات الخمارين بخراسان ، أحدهما يقــال له دَيْكَل من قومه ، والآخر من بنى شيبان يقال له قَبيصة ، فاجتمعوا يوما على جَزورٍ ونحــروه وشربُوا حتّى سَكِروا ، وانصرف قبيصةُ حافيــا وترك نعلَه عندهم ، وأُنْسِيَها من السُّكر ، فقال الشمردل :

شربتُ ونادمت الملوك فلم أجد * على الكأس نَدمانًا (٤) لها مثلَ دَيكلِ

---

١٥ (١) زوراء : موضع عند سوق المدينة قرب المسجد . والعجول : الناقة الشديدة الحزن لفقد ولدها . البوّ : ولد الناقة ، وجلد الحوار يحشى تبنا فيقرب من أم الفصيل فتدرّ . رائم : عاطفة .

(٢) فى ج ، ب : « رأيت » وهو خطأ . (٣) ترفض : تكسر . وفى الأصول : « ترقص » . وانظر ما سبق من التحقيق فى ص ٣٥٣ . (٤) الندمان ، بالفتح : النديم .

أقلّ مِكاساً فى جَزور و إن غلت * وأسرعَ إنضاجا و إنزالَ مِرْجل (١)

ترى البازلَ الكَوْماء فوق خُوانه * مفصَّــلةً أعضاؤها لم تُفَصَّــل (٢)

سَقَيناه بعــد الرَّى حتى كأنّمــا * يرى حين أمسى أبرَقَىْ ذاتِ مأسَل (٣)

عشــية أنسينــا قَبِيصةَ نعــلَه * فَراحَ الفــتى البكرىُّ غيرَ مُنعَّــل

حدّثنا هاشم قال : حدّثنــا دَماذُ عن أبى عبيدة قال : ٥

هجاؤه هــلال بن أحوز حين لم يرض عطاءه

مدح الشمردل بن شريك هلال بنَ أحوز المــازنىَّ واستماحه ، فوعده الرفد، ثم ردّده زمانًا طويلا حتى ضجر ، ثم أمر له بعشرين درهما فدفعها إليه وكِلُّه غلّةٌ فردّها ، وقال يهجوه :

١٢١ / ١٢

يقول هــلالٌ كُلّمــا جئت زائرا * ولا خيرَ عنــد المــازنى أعاوده

ألا ليتنى أُمسى و بينى و بينـــه * بَعيـــدُ مناط المــاء غُبْرٌ فدافده (٤) ١٠

غدًا نصفُ حولٍ منه إن قال لى غدا * و بعد غد منـــه كحول أراصــده (٥)

ولــو أننى خُيِّرت بيــن غَداته * و بين بِرازى ديْلميًّــا أجالده

تعوّضت من ساقَىْ عشرين درهما * أتانى بهــا من غَلّة السُّوق ناقده (٦)

ولو قيــلَ مِثلاَ كنزِ قارونَ عنده * وقيــل التمسْ موعودَه لا أعاوده

ومثلك منقوص اليــدين رددتُه * الى مَحتِدٍ قــد كان حينا يُجَاحده (٧) ١٥

(١) المكاس : انتقاص الثمن فى البيع واستحطاطه . وفى الأصول : « بكاس » صــوابه فى ش ومعجم البــلدان . (٢) البازل : الناقة فى تاسع سنيها . الكوماء : العظيمة السنام .

(٣) الأبرقان : تثنية أبرق، وهو غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة . وفى الأصول : «ترى حرشا فى أبرق أم مرسل » ، وأثبتنا ما فى معجم البلدان (أبرق ذات مأسل) .

(٤) المناط : موضع التعليق، والمراد مكان المــاء . الفدفد : الفلاة والمكان الصلب . ٢٠

(٥) أراصده : أراقبه وانتظره . (٦) تعوّض : أخذ العوض .

(٧) فى الأصول : « مجاحده » .

حدّثنا هاشم قال :

هجاؤه الضبيّ حين شمت بمصرع إخوته

حدّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة أن رجلا من بني ضبّة كان عدُوًّا للشمردل، وكان نازلًا في بني دارم بن مالك، ثم خرج في البَعْث الذي بُعث مع وكيع، فلما قُتل إخوةُ الشّمردلِ وماتوا، بلغه عن الضبيّ سرورٌ بذلك، وشماتةٌ بمصيبته فقال :

يا أيُّها المبتغي شتمي لأشتُمَه * إن كان أعمى فأنِّى عنك غيرُ عمِ[1]

ما أرضعَتْ مرضعٌ سخْلا أعقَّ بها * في الناس لا عَرَبٍ منها ولا عجمِ[2]

من ابن حنكلةٍ كانت وإن عَرِبَت * مُذالة لقُدور الناس والحُرمِ[3]

عَوَى ليَكسِبَها شرًا فقلت له * منْ يكسب الشر ثدىَ أمّه يلَمِ

ومن تعرض شتمي يلْقَ معطِسَهُ * من النَّشُوق الذي يشفي من اللَّمَمِ[4]

متى أجئك وتسمعْ ما عُنيتَ به * تُطْرِق على قَذَع أو ترضَ بالسَّلَمِ[5]

أَوْلَا فحسبُك رهطًا أن يفيدهم * لا يغدرون ولا يوفون بالذمم

ليسوا كثعلبةَ المغبوطِ جارُهُم * كأنه في ذُرى ثهلانَ أو خِيَمِ[6]

يُشَبَّهون قريشًا من تكلّمهم * وطولِ أنْضِيةِ الأعناق والأُمَمِ[7]

إذا غدا المسْك يجرى في مفارقهم * راحوا كأنهم مَرضَى من الكرمِ

جزُّوا النواصيَ من عجْلٍ وقد وطئوا * بالخيل رهطَ أبي الصهباءِ والحُطَمِ

ويوم أفلتهن الحَوْفَزانُ وقد * شالت عليه أكفُّ القوم بالجِذَمِ[8]

(١) كذا جاءت الرواية بالالتفات . (٢) السخل : المولود ، وهو أيضا الضعيف الرذل .

(٣) الحنكلة : الدميمة السوداء من النساء . عربت المرأة : تحببت إلى زوجها ، أو حرصت على اللهو . المذالة : الأمة المهانة . (٤) المعطس : الأنف . اللم : الجنون . (٥) القذع : الخنا والفحش . والسلم : الاستسلام والإذعان . (٦) ثهلان، وخيم : جبلان .

(٧) من تكلمهم ، هي في الكامل ٣٥ وأمالي القالي (١ : ٣٢٨) : « في تجلتهم » . وفي الحيوان (٣ : ٩٢) : « من تجلتهم » . الأنضية : جمع نضيّ : وهو عظم العنق . الأمم : جمع أمة ، وهي القامة . (٨) الحوفزان : لقب الحارث بن شريك . شالت : ارتفعت . الجذم : السياط .

إنى وإن كنتُ لا أنسى مُصابَهمُ * لم أدفع الموت عن زِبْقٍ ولا حكم(١)

لا يَبْعدًا فتيا جودٍ ومكرمة * لدفع ضيمٍ وقتل الجوع والقَرَم(٢)

والبعد غالهما عنى بمنزلة * فيها تفرّقُ أحياءٍ ومُخْترَم(٣)

وما بناءٌ وإن سُدَّت دعائمُه * إلا سيصبح يوما خاوِىَ الدِّعَم(٤)

لئن نجوتَ من الأحداث أوسلمت * منهنّ نفسك لم تسلمْ من الهرَم ٥

حدّثنا هاشم قال: حدّثنا دَماذ عن أبى عبيدة قال:

رثاؤه لعمر بن يزيد الأسيدى

كان عمر بن يزيد الأسيدى صديقا للشمردل بن شَريك، ومحسنا إليه كثير البر به والرفد له، فأتاه نعيه وهو بخراسان، فقال يرثيه:

لبِس الصّباحَ وأسلمته ليلة * طالت كأنّ نجومها لا تبرحُ(٥)

من صولة يجتاح أخرى مثلها * حتى ترى السَّدَفَ القيامُ النُّوَّحُ(٦) ١٠

١٢٢/١٢

عُطّلن أيديَهنّ ثم تفجعت * ليلَ التِّمام بهنّ عَبْرى تَصدَحُ

وحليلةٍ رزئت وأُختٌ وآبنةٌ * كالبدر تنظره عيونٌ لُمَّحُ

لا يبعَدِ ابنُ يزيدَ سيِّدُ قومه * عند الحفاظ وحاجةٍ تُستنجَحُ

حامى الحقيقة لا تزال جيادُه * تغدو مسوَّمة به وتُرَوِّحُ(٧)

للحربِ محتسب القتال مشمِّرٌ * بالدرع مضطمرُ الحوامل سُرُحُ(٨) ١٥

(١) زبق بالزاى هو زبق بن بسطام بن قيس الشيبانى.
(٢) القرم: شدّة شهوة اللحم. فى ســ: «فتا». وفى ب: «فتتا» تحريف.
(٣) مخترم: يقال اخترمته المنية، إذا أخذته.
(٤) سدّت: صارت سديدة مستقيمة. الدعم: جمع دعمة، وهى الدعامة يعتمد عليها البيت.
(٥) لبس الصباح: دخل فيه. وفى الأصول: «لبث». ٢٠
(٦) فى الأصول: «يحتاج» وهو مقلوب. السدف: الضوء قيسية، والظلام تميمية.
(٧) المسوّمة: المعلمة. وتروح: من الرواح.
(٨) مضطمر: ضامر. الحوامل: الأرجل.

سـاد العـراق وكان أوّل وافـد * تأتى الملوكَ به المهـارى الطُّلَّـحُ[1]
يُعطى الغـلاء بكل مجد يشـترى * إن المُغـالِىَ بالمكارمِ أربحُ[2]

حدّثنا هاشم قال حدّثنـا دماذ عن أبى عبيدة قال :

أرجوزته فى وصف الصقر والقنص

كان الشمردل صاحب قنص وصيد بالجوارح، وله فى الصقر والكلب أراجيز كثيرة، وأنشدنا له قوله :

قد أغتـدى والصبحُ فى حجابه * والليـلُ لـم يأوِ إلى مآبِـه
وقـد بـدا أبلقَ من مُنْجَابِه * بتَـوَّجِىّ صادَ فى شـبابه[3]
مُعـاودٍ قـد ذلّ فى إصـعابه * قـد خَرَّق الضِّـفارَ من جِذَابه[4]
وعَرَف الصوتَ الذى يُدعى به * ولَمعـةَ المُلْمِـعِ فى أثوابه[5]
فقلتُ للقـانصِ إذ أتى بـه * قبـل طُـلوعِ الآل أو سَرابه
ويحـك ما أبصر إذ رأى به * من بَطنِ مَلحوبٍ إلى لُبابِه[6]
قَشْـعًا ترى التبّت من جنـابِه[7] * فانقضّ كالجلمـود إذ عـلا به
غضبانَ يوم قِنْيَـةٍ رمى به * فهنّ يلقين من اغتصابه
تحت جديد الأرض أو ترابـه * من كلِّ شَحّاجِ الضُّحى ضَـغّابه[8]
إذ لا يـزال حربه يشـق به * منـترع الفـؤاد من حجابه

(١) المهارى : إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان . الطلح : المتعبة .

(٢) الغلاء : المغالاة . (٣) الأبلق : الذى فيه سواد وبياض . منجابه ، المنجاب : اسم مكان من انجاب بمعنى انكشف . ويقال انجاب عنه الظلام : انشق . والتوجى : الصقر المنسوب إلى توج من قرى فارس . وبعض أبيات هذه الأرجوزة فى معجم البلدان (توج) .

(٤) فى كل الأصول : «قد حرق الصغار من حذائه» . (٥) الإلماع : الإشارة بالثوب ونحوه . فى الأصول : «فى ألوانه» . (٦) ملحوب : موضع .

(٧) القشع ، بالفتح : بيت من أدم . والتبت ، كذا وردت .

(٨) الشحاج : ذو الصوت الغليظ . والضغاب : المفزع بصوته .

جاد وقد أنشب فى إهابه * مخالبا ينشبن فى إنشابه

مثل مُدَى الجزار أو حِرابه * كأنما بالحلق من خضابه

عصفرة الفؤاد أو قضابه (١) * حوى ثمانين على حسابه

من خَرَبٍ (٢) وخُزَزٍ يعلى به * لفتيةٍ (٣) صيدهم يدعى به

واعَدَهم لمنزل يِثْنا به * يطهى به الخربان (٤) أو يشوى به ٥

فقام للطبخ ولاحتطابه * أروع يهتاج إذا هجنا به

أخبرنا هاشم قال حدّثنا دماذ عن أبى عبيدة قال :

أرجوزته فى الذئب الذى قتله بعد أن فتك بغنمه

كان ذئب قد لازم مرعى غنم للشمردل، فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة، فرصده ليلة حتى جاء لعادته، ثم رماه بسهم فقتله وقال فيه :

هل خُبِّر السِّرحان (٥) إذ يستخبر * عنى وقد نام الصِّحاب السُّمَّرُ ١٠

لما رأيت الضَّأنَ منه تنفر * نهضت وسْنانَ وطارَ المِئْزَرُ (٦)

وراع منها سرح مستبهر (٧) * كأنه إعصار ريح أغبرُ

فلم أزل أطرِدُه ويعكر (٨) * حتى إذا استيقنتُ ألا أعذرُ

وإنّ عَقْرَى (٩) غنمى ستكثر * طار بكفى وفؤادى أوجر (١٠)

ثُمّتَ أهويتُ له لا أزجَر * سهما فولّى عنه وهْوَ يعثرُ ١٥

* وبتُّ ليلى آمنا أُكبِّر *

(١) كذا ورد الشطر (٢) الخرب : ذكر الحبارى . والخزز : الذكر من الأرانب .

(٣) فى الأصول : «لقينة» . (٤) الخربان : جمع خرب وهو ذكر الحبارى .

(٥) السرحان : الذئب . (٦) المئزر : الملحفة . وفى الأصول : « طاب المئزر » .

(٧) وفى الأصول : « وراح » . والمستبهر : الذاهب العقل . وفى الأصول : « مستبهر » . ٢٠
والمستبهر : المتخايل . (٨) يعكر : يكر وينصرف . فى ب، سـ : « استيقنته لا أعذر » .

(٩) العقرى : الجرحى . (١٠) الأوجر : الخائف .

١٢٣
١٢

استجادة الأصمعي أبياتا للشمردل

أخبرنا أبو الحسن الأسدى قال حدّثنا الرياشي قال حدّثنا الأصمعي قال : قال الشمردل بن شريك — وكان يستجيد هذه الأبيات ويستحسنها ، ويقول : إنها لمن ظريف الكلام — :

ثم آستقلّ منعّماتٌ كالدُّمى * شُمُسُ العتاب قليلة الأحقادِ (١)

كُذُب المواعدِ ما يزال أخو الهوى * منهنّ بين مـودّة وبعادِ (٢)

حتى ينالَ حِبالَهنّ معلقا * عقلَ الشّريد وهنّ غيرُ شِرادِ (٣)

والحبُّ يصلح بعد هجرٍ بيننا * ويهيجُ معتَبةً بغير بعادِ

صوت

خليلىّ لا تستعجلا ان تَزَوّدا * وإن تجمعا شملى وتنتظرا غدا

وإن تنظُرانى اليوم أقْضِ لُبانةً * وتَستوجِبا منّا علىّ وتُحمَدَا

الشعر للحصين بن الحمام المرى ، والغناء لبذل الكبرى ثانى ثقيل بالبنصر، من روايتها ومن رواية الهشامى .

---

(١) الدمية : الصورة المنقشة . والشمس، بضمتين : جمع شموس بالفتح، وهى النافرة .

(٢) فى كل الأصول : « ما يقال » . (٣) فى ب، سـ « حبالهن » .

تراثنا



كتاب الأغانى

تأليف

أبى الفرج الأصبهانى على بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء الرابع عشر

مصور عن طبعة دار الكتب

طبعة كاملة الأجزاء معها فهرس
جامع وتصويبات واستدراكات

وزارة الثقافة والارشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بيان

رأت دار الكتب المصرية أن تستعين بنخبة من جهابذة العلماء المتضلعين فى فنون العربية وآدابها وتاريخها لإنجاز الكتب التى تقوم بتحقيقها وإخراجها من ذخائر التراث العربى القديم ، وعهدت بالجزء الرابع عشر من كتاب الأغانى إلى العلامة الجليل الأستاذ أحمد زكى صفوت وكيل كلّيّة دار العلوم سابقا ، فقام سيادته بهذا العمل ، وبذل أوسع الجهد فى تحقيقه ومراجعته على النُّسَخ التى رجعت إليها الدار فى تحقيق الأجزاء السابقة ، وهى :

ا ، ب ، ج ، س ؛ وقد سبق وصفها فى مقدّمة الجزء الأوّل .

ط ؛ وقد سبق وصفها فى مقدّمة الجزء الثانى .

ثم حصلت الدار أخيرا على أجزاء متفرقة من هذا الكتاب ، من مكتبتى ميونيخ وتوبنجن بألمانيا ، فقام موظفو قسم حماية التراث بمقابلتها على ما يوافق هذا الجزء منها ؛ وبيانها :

١ — جزء مصوّر فى مجلدين ، محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٦٥٨ ز ؛ مأخوذ عن أصله المحفوظ بمكتبة ميونيخ ، برقم ٤٧٠ ؛ مكتوب بخط نسخ جلىّ ؛ بقلم مسعود بن محمد بن غازى ، فى السابع عشر من شهر رجب سنة ثلاث عشرة وستمائة . وجميع الأبيات التى ترد فى أوّل الصفحة وآخرها ، وكذلك البيت الأوّل فى كل صوت ؛ مكتوبة بالخط الثلث الغليظ ؛ وبأوّل الجزء ثبت بأسماء التراجم التى تبدأ ببقية أخبار عبد الله بن الزَّبِير الأسدىّ (١) ، وينتهى بآخر أخبار مقتل ابنى عبيد الله بن العباس (٢) .

ويقع فى ٢٩٠ لوحة ، ومسطرته من ١٥ — ١٩ سطرا . وقد أعطى هذا الجزء رمز « مب » .

---

(١) طبعة الدار ١٤ : ٢٢٨

(٢) طبعة بولاق ١٥ : ٤٨

٢ — جزء مصوّر فى مجلد واحد، محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٦٦٤ ز، مأخوذ عن أصله المحفوظ بمكتبة ميونيخ برقم ٤٨٠ ، وهو بخط مغربى وليس به تاريخ . ويبتدئ ببقية أخبار عبد الله بن الزَّبِير الأسدى، وينتهى بوقفة قلم عند البيت :

أبَعْدَ نديمىّ اللّذَيْنِ بعاقِلٍ * بكيتُهما حولًا مَدَى أتوجُّسُ

فى أثناء خبر قس[1] بن ساعدة الإيادىّ .

وبأوله ثَبَت بأسماء المترجمين فى هذا الجزء، من بقية أخبار عبد الله بن الزَّبِير الأسدىّ، إلى أخبار قسّ بن ساعدة .

ويقع فى ١٦٥ لوحة ، ومسطرته ١٧ سطرا ، وقد أعطى هذا الجزء رمز « مط » .

٣ — جزء فى مجلد واحد ، مصوّر بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٠٦٣ ز، مأخوذ عن أصله المحفوظ بمكتبة توبنجن، برقم ٧٣٩٧ (أهلوارد)، يبدأ أوله ببقية أخبار عبد الله بن الزَّبِير الأسدىّ . وبه نقص من آخره عن نسخة «مب» مقداره صفحة . مكتوب بقلم تعليق . ويبدو من بعض التصويبات التى بحواشيه ، أنه مقابل على نسخة أخرى ؛ ويقع فى ٢١٠ لوحة ، ومسطرته ٢٤ سطرا . وقد أعطى هذا الجزء رمز « ها » .

---

(١) طبعة بولاق ١٤ : ٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار الحُصين بن الحُمام ونسبه

نسبه

هو الحُصَين بن الحُمام بن رَبيعة بن مُساب[1] بن حَرام بن وائلة[2] بن سَهم بن مُرَّة ابن عوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس ابن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار .

مكانته فى قومه

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبى عُبَيدة قال : كان الحصين بن الحمام سيِّد بنى سَهم بن مُرَّة . وكان خُصَيْلةُ بن مُرَّة وصِرْمةُ ابن مرّة وسهم بن مرّة أُمهم جميعا حَرْقَفَةُ[3] بنت مَعْنَم بن عَوف بن بَلِيّ بن عمرو بن

---

(١) مساب : جاء فى خزانة الأدب مضبوطا بالعبارة قال : « مساب بضم الميم وتخفيف السين » وجاء مضبوطا بالشكل بفتح الميم فى كتاب أشعار الحماسة شرح التبريزى طبع أوربة ص ١٨٧ ، ولم يرد فى المعجمات اللغوية التى بأيدينا . (٢) ورد هذا الاسم فى الأصول « واثلة » بالثاء؛ والتصويب من تاج العروس (مستدرك مادة وأل) .

(٣) فى ب ، س : « حرقة » وفى جـ : « حرقفة » وكذا فى مختار الأغانى الكبير لابن المكرم صاحب لسان العرب (نسخة مصوّرة بدار الكتب المصرية) ج ٣ ص ٤٠٣ . وفى أشعار الحماسة طبع أوربة ص ١٩٠ : « حرقفة البلوية » مضبوطا بهذا الضبط بالشكل — والبلوية نسبة إلى جدها بلىّ — ولم يرد فى المعجمات .

الحافِ[1] بن قضاعة ، فكانوا يدًا واحدة على مَنْ سـواهم ، وكان حصين ذا رأيهم وقائدَهم ورائدَهم . وكان يقال له : مانع الضَّيم[2] .

وفـود ابنـه على معاوية

وحدّثنى جماعة من أهل العلم أنّ ابنـه أتى بابَ معاوية بن أبى سُفيان فقال لآذِنه : استأذِنْ لى على أمير المـؤمنين وقل : ابن مانع الضيم ، فاستأذَنَ له ، فقال له معاوية : ويْحَك ! لا يكون هذا إلا ابن عُرْوة بن الوَرْد العَبْسىّ ، أو الحصين بن الحُمام المُرّىّ ، أدخِلْه . فلمّا دخل إليه قال له : ابنُ مَن أنت؟ قال : أنا ابن مانع الضيم الحصين بن الحمام ، فقال : صدقت ، ورفع مجلسه وقضى حوائجه .

حرب قـومه بنى سهم بن مرة مع بنى صرمة بن مرة

أخبرنى ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال :

كان ناس من بطنٍ من قُضاعة يقال لهم : بنو سَلامان بن سعد بن زيد بن الحافِ بن قضاعة . وبنو سَـلامان بن سعد إخوة عُذْرة بن سعد ، وكانوا حلفاء لبنى صِرْمة بن مُرّة ونزولًا فيهم . وكان الحُرَقَة[3] وهم بنو حُمَيْس بن عامر بن جُهَينة حلفاء لبنى سهم بن مرّة ، وكانوا قوما يرمون بالنَّبل رميًا سـديدا[4] ، فسُمُّوا الحرقة لشدّة قتالهم . وكانوا نزولًا فى حلفـائهم بنى سهم بن مُرّة . وكان فى بنى صِرْمـة يهودىٌّ من أهل تَيْمـاء يقال له جُهَينة بن أبى حَمَل . وكان فى بنى سهم يهودىّ من

(١) الحاف ؛ أصله الحافى ، وهو مما حذفت العـرب ياءه اجتزاء بالكسرة ، كما قالوا العاص ابن أمية بن عبد شمس ، والعاص بن وائل السهمى ، وحذيفة بن اليمـان ؛ والأصل العاصى واليمـانى .

(٢) كذا فى ب ، س . وفى ح : « وكان حصين ذا رأيهـم ورائدهم . قال أبو حاتم قال أبو عبيدة قال أبو عمرو : كان الحصين بن الحمام سيد بنى سهم بن مرة ، وكان يقال له مانع الضيم » .

(٣) اختلف اللغـويون فى ضـبطه : فضبط بضم فسكون ، وبضمتين ، وبضم ففتح . (انظر تاج العروس) .

(٤) فى الأصول « شديدا » ، والصواب « سديدا » ؛ كما فى مختار الأغانى الكبير ج ٣ ص ٤٠٣

أهل وادي القُرَى يقال له غُصين بن حَيّ[1]، وكانا تاجرين في الخمر.[2] وكان بنو جَوْشَن — أهلُ بيت من عبد الله بن غَطَفان — جيراناً لبني صِرمة، وكان يُتَشاءم بهم ففقدوا منهم رجلاً يقال له خُصَيْلة[3] كان يقطع الطريق وحده. وكانت أختُه وإخوته يسألون الناس عنه، ويَنْشُدونه في كل مجلس وموسم. فجلس ذات يوم أخ لذلك المفقود الجَوْشَنيّ في بيت غُصَين بن حَيّ جارِ بني سهم يبتاع خمرا، فبينما هو يشترى[4] إذ مَرّت أخت المفقود تسأل عن أخيها خُصَيلة، فقال غُصَين[5]:

تُسائل عن أخيها كلَّ ركبٍ * وعند جُهَينة الخبرُ اليقينُ

فأرسلها مثلاً،[6] يعني بجهينة نفسه. فحفظ الجوشنيّ هذا البيت، ثم أتاه من الغد فقال له: نَشَدْتُك اللهَ ودينَك هل تعلم لأخي عِلْما؟ فقال له: لا وديني لا أعلم. فلما مضى أخو المفقود تمثّل:

(١) في ب، س «حصين» والصواب غصين كما في جـ ومختار الأغاني الكبير ج ٣ : ص ٤٠٤ ولسان العرب مادة جفن، وقد تكرر هذا الاسم بعد محرفا. (٢) كذا في جـ. وفي ب، س: «وكان تاجرا في الخمر». (٣) في ب، س «حصين». (٤) في جـ ومختار الأغاني. «فبينا هما يشربان». (٥) في ب، س: «جهينة» وهو تحريف. (٦) ورد في مجمع الأمثال للميداني (١ : ٣٩٤) في شرح هذا المثل ما ملخصه: أن حصين بن سبيع الغطفاني خرج مع الأخنس بن كعب الجهني وتعاقدا على السلب والنهب، وكلاهما فاتك يحذر صاحبه. وكان من أمرهما أن طلبا رجلا من لخم ليسلباه، فوجداه نازلا في ظل شجرة وقدامه طعام وشراب فنزلا به وأكلا وشربا معه. ثم إن الجهني ذهب لبعض شأنه، فرجع فرأى الحصين قد فتك باللخمي. وأراد الحصين بعد ذلك أن يتغفل صاحبه الجهني ليقتله، ولكنه فطن لما يراد به، فبادره بقتله، واحتوى على متاعه ومتاع اللخمي، وانصرف راجعا إلى قومه، فإذا هو بامرأة تنشد الحصين بن سبيع، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا صخرة امرأة الحصين، قال: أنا قتلته. فقالت: كذبت، ما مثلك يقتل مثله، أما لو لم يكن الحي خلوا ما تكلمت بهذا. ثم قال في ذلك أبياتا منها:

تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبر اليقين

اقرأ هذا الخبر أيضا وشرح المثل المذكور في لسان العرب مادة جفن، وفيه أنه يروى «حفينة» بالحاء، ويروى «جفينة» بالجيم.

لَعَمْرُكَ ماضَلَّتْ ضَلالَ ابنِ جَوْشنٍ * حَصاةٌ بليلٍ أُلْقِيَتْ وَسْطَ جَنْدَلِ

— أراد أن تلك الحصاة يجوز أن توجد، وأن هذا لا يوجد أبدا — فلما سمع الجوشنى ذلك تركه، حتى إذا أمسى أتاه فقتله . وقال الجوشنى :

طَعَنتُ(١) وقد كاد الظلامُ يُجِنُّنى * غُصَيْنَ بنَ حَىٍّ فى جِوار بنى سهمِ

فَأُتِىَ حصين بن الحُمَام فقيل له(٢) : إنّ جارك غُصَيْنًا اليهودىّ قد قتله ابن(٣) جوشن جار بنى صِرْمة . فقال حصين : فاقتلوا اليهودىّ الذى فى جوار بنى صرمة، فأتَوْا جهينة بن أبى حَمَل فقتلوه . فشدّ بنو صرمة على ثلاثة من حُمَيس بن عامر جيرانِ بنى سهم فقتلوهم . فقال حصين : اقتلوا من جيرانهم بنى سَلامان ثلاثة نَفَر، ففعلوا . فاستعَرَ الشرُّ بينهم . قال : وكانت بنو صرمة أكثر من بنى سهم رَهْط الحصين بكثير . فقال لهم الحصين : يابنى صرمة ، قتلتم جارنا اليهودى فقتلنا به جاركم اليهودى ، فقتلتم من جيراننا من قُضاعة ثلاثة نَفَر وقتلنا من جيرانكم بنى سَلامان ثلاثة نَفَر ، وبيننا وبينكم رَحِم ماسّة قريبة ، فمُرُوا جيرانكم من بنى سلامان فيرتحلون عنكم ، ونأمر جيراننا من قُضاعة فيرتحلون عنا جميعا ، ثم هم أعلم . فأبَى ذلك بنو صِرْمة ، وقالوا : قد قتلتم جارَنا ابن جوشن ، فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلا من جيرانكم ؛ فإنك(٤) تعلم أنكم أقلُّ منا عددًا وأذلّ ، وإنّما بنا تعزّون وتُمْنعون . فناشدهم اللهَ والرّحِمَ فأبَوْا . وأقبلت الخُضْر(٥) من مُحارب ، وكانوا فى بنى ثعلبة بن سعد ، فقالوا : نشهد نَهْب

(١) فى الأصول ومختار الأغانى : « ظعنت » وهو تصحيف . وأجنه : ستره .

(٢) فى الأصول : « فقال له » والتصويب من مختار الأغانى الكبير . (٣) فى الأصول : « أبو جوشن » والتصحيح عن مختار الأغانى . (٤) كذا فى جـ . وفى ب ، سـ : « فإنا نعلم » .

(٥) فى الأصول « الحضر » بالحاء ؛ وهو تصحيف . والصواب الخضر ، وهم بطن من قيس عيلان سموا بذلك لخضرة ألوانهم . وقد رأيته بعد فى مختار الأغانى الكبير ج ٣ : ص ٤٠٥ قال : « وأقبلت الخضر خضر محارب » .

بنى سهم إذا انتهبوا فنصيب منهم . وخذلتْ غطفانُ كلُّها حصينا ، وكرهوا ما كان من منْعه جيرانَه من قضاعة . وصافَّهم حصينٌ الحربَ وقاتلهم ومعه جيرانه ، وأمرهم ألّا يزيدوهم على النَّبْل ، وهزمهم الحصين ، وكفَّ يدَه بعد ما أكثر فيهم القتل . وأبى ذلك البطنُ[1] من قضاعة أن يكُفُّوا عن القوم حتى أثخنوا فيهم . وكان سنان ابن أبى حارثة[2] خذّل الناسَ عنه لعداوته قضاعةَ ، وأحبَّ سنان أن يَهَبَ الحيَّان من قضاعة ، وكان عُيَينة بن حِصن وزَبّان بن سَيّار بن عمرو بن جابر ممن خذّل عنه أيضا . فأجلبتْ بنو ذبيان على بنى سهم مع بنى صرمة ، وأجلبتْ مُحارب بن خَصَفة معهم . فقال الحصين بن الحُمَام فى ذلك من أبيات :

شعره فى لوم بنى عمه على تجمعهم لقتاله

ألا تقبلون النِّصْفَ منّا وأنتمُ[3] * بنو عمّنا ! لا بَلَّ هامَكُمُ القَطْرُ

سنأبَى كما تأبَوْن حتى تُلينَكم * صفائحُ بُصْرَى والأسِنّةُ والأَصْرُ[4]

أيُؤكَل مولانا ومولَى ابنِ عمنا * مُقيمٌ[5] ومنصورٌ كما نُصِرت جَسْرُ

فتلك التى لم يعلَمِ الناسُ أننى * خنعتُ لها حتى يُغيِّبَنى القبرُ

فليتكُمُ قد حال دون لِقائكم * سِنُونَ ثمانٍ بعدها حِجَجٌ عَشْرُ[6]

---

(١) أى بنو حميس بن عامر . (٢) فى الأصول « أبى جارية » وهو تصحيف .

(٣) النصف : الإنصاف كالنصف محركة . والهام : جمع هامة ، وهى الرأس . يدعو عليهم بالا يمطروا . (٤) الصفائح : السيوف العريضة . بصرى : بلد بالشام من أعمال دمشق ، وتنسب إليها السيوف البصرية . الأصر : الكسر والحبس .

(٥) فى ب ، س « نميم » وهو تحريف ، وتصويبه عن حـ ومختار الأغانى . المولى : الحليف والجار . يعنى حلفاءهم من بنى حميس . ومولى ابن عمنا : يعنى بنى سلامان حلفاء بنى عمهم صرمة بن مرة . وجسر : هم جسر بن محارب بن خصفة بن قيس عيلان . وقد تقدم فى القصة : أن محارب ابن خصفة أجلبت مع بنى صرمة على بنى سهم قوم الحصين . (٦) حجج : جمع حجة بالكسر وهى السنة .

أجِدَّىَ لا ألقاكُمُ الدهرَ مَرّةً * على مَوْطِنٍ إلّا خدودُكُمُ صُعْرُ (١)

إذا مادُعُوا للبغى قاموا وأشرقَتْ * وجوهُهُم، والرُّشْدُ وِرْدٌ له نَفْرُ (٢)

فواعَجَبا حتّى خُصَيلةُ أصبحتْ * مَوالِىَ عِزٍّ لا تَحِلُّ لها الخمرُ !

— قوله : موالى عِزٍّ، يهزأ بهم . ولا تحلّ لهم الخمر، أراد حرّموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز، وليسوا هناك — :

أَلَمّا كشفنا لَأْمَـةَ الذُّلِّ عنكُمُ * تجرّدتَ لا بِرٌّ جميـلٌ ولا شكرُ (٣)

فإنْ يَكُ ظَنِّى صادقا تَجْزِ منكُمُ * جَوازِى الإلٰهِ والخيانةُ والغدرُ (٤)

قال : فأقاموا على الحرب والنزول على حكمهم، وغاظتهم بنو ذبيان ومحارب بن خَصَفة . وكان رئيس محارب حُمَيضة بن حَرْمَلة . ونكَصت عن حصين قبيلتان من بنى سهم وخانتاه، وهما عَدْوان وعبد عمرو بنا سهم، فسار حصين، وليس معه من بنى سهم إلا بنو وائلة بن سهم وحلفاؤهم وهم الحُرَقة، وكان فيهم العدد، فالتقَوْا بدارة موضوع، فظفر بهم الحصين وهزمهم وقتل منهم فأكثر . وقال الحصين بن الحُمام فى ذلك :

انتصاره عليهم وشعره فى ذلك وفخره بقومه

جَزَى الله أفناءَ العشيرةِ كلَّها * بِدارةِ موضوعٍ عُقوقًا ومأثَمَا (٥)

بنى عمِّنا الأدْنَيْنَ منهم ورَهْطَنا * فَزارةَ إذ رامت بنا الحربَ مُعْظَمَا (٦)

(١) تقول العرب : أجدّى وأجدك، بالنصب وبكسر الجيم وفتحها . فمن قال : أجدك بكسر الجيم فإنه يستحلفه بجده وحقيقته، ومن فتح الجيم استحلفه بجـده وهو بخته . ونصبه على المصدر، كأنه قال : أجدا منك، أو بطرح الباء، ومعناه أبجد هذا منك . ولا يستعمل إلا مضافا . وصعر : جمع أصعر، وصف من الصعر بالتحريك وهو ميل الخد ؛ يقال : صعر خده، إذا أماله عن النظر إلى الناس تهاونا .
(٢) النفر : الجماعة يتقدمون فى الأمر . (٣) اللأمة : الدرع . يريد لباس الذل . تجرد للأمر : جدّ فيه، أى جددت فى قتالنا . (٤) الجوازى : الجزاء، جمع جازية، مصدر على فاعلة .
(٥) الأفناء من الناس : الأخلاط، واحدها فنو بالكسر أو فنا كعصا . ودارة موضوع : موضع بين ديار بنى مرة وديار بنى شيبان .
(٦) أى جزى الله بنى عمنا معظما أى أمرا معظما .

ولمّا رأيت الودّ ليس بنافعى * وإن كان يوماً ذا كواكبَ مُظلما[1]

صبرنا وكان الصبرُ منا سَجيّةً * بأسيافنا يَقْطَعْنَ كفا ومعصَما

نُفَلِّق هاماً من رجالٍ أعِزّةٍ * علينا وهم كانوا أعقّ وأظلَما

نُطاردهم نستنقذُ الجُرْدَ بالقنا * ويستنقذون السَّمْهَرِيّ المُقَوّما[2]

٥ — نستنقذ الجرد ، أى نقتل الفارس فنأخذ فرسه . ويستنقذون السمهرىَّ وهو القنا الصلب ، أى نطعنهم فتجرُّهم الرماح —

لَدُنْ غُدْوةٍ[3] حتى أتى الليلُ ما ترى * من الخيلِ[4] إلاّ خارجياً مُسَوّما

وأَجْرَدَ كالسِّرحان يَضربُه النّدَى * ومحبوكةً كالسِّيد شَقّاءَ صِلْدِما[5]

يَطَأْن من القتلَى ومن قِصَدِ القنا * خَبَاراً فما يجرين إلا تقحّما[6]

---

١٠ (١) اسم كان ضمير اليوم ، أى وإن كان اليوم يوما ذا كواكب . ويوم ذو كواكب : ذو شدائد ، كأنه أظلم بما فيه من الشدائد حتى رئيت كواكب السماء . (٢) الجرد : جمع أجرد وجرداء . وفرس أجرد : قصير الشعر رقيقه ، وذلك من علامات العتق والكرم . والسمهرى : نسبة إلى سمهر ، وهو رجل كان يثقف الرماح . (٣) ورد نصب غدوة بعد لدن وهو نادر ، فلدن حينئذ منقطعة عن الإضافة لفظا ومعنى ، وغدوة بعدها منصوبة على التمييز للدن أو على أنها خبر لكان ١٥ محذوفة مع اسمها أى لدن كانت الساعة غدوة . ويجوز جر غدوة بالإضافة على الأصل ، ورفعها بكان تامة محذوفة . والغدوة : البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . (٤) فى الأصول : « من الليل » . والتصحيح عن مختار الأغانى والمفضليات ومنتهى الطلب . والخارجى هنا : كل ما فاق جنسه ونظائره . والخيل المسومة : التى عليها سمة أى علامة تعرف بها ، والمرسلة عليها ركبانها .

(٥) السرحان : الذئب ، وكذا السيد . والمحبوك : الفرس الشديد الخلق القوىّ . والأشق من ٢٠ الخيل : ما يشتق فى عدوه ويذهب يمينا وشمالا كأنه يميل فى أحد شقيه ، والطويل . يقال : فرس أشق ، والأنثى شقاء . وفى ب ، س : « نيقا » وهو تحريف ، والصلدم : الصلب ، والشديد الحافر .

(٦) انقصد الرمح : انكسر نصفين حتى يبين ، وكل قطعة قصدة بالكسر والجمع قصد . والخبار من الأرض : ما لان واسترخى وكانت فيه أحجار ، وفى ب ، س : « جيادا » ، وفى جـ « شريجا » وهو تحريف . وتقحم الأمر : رمى بنفسه فيه ، وفى المفضليات ومنتهى الطلب : « إلا تجشما » .

١٢٦
١٢

عليهنّ فتيانٌ كساهم مُحرِّقٌ[1] * وكان إذا يكسو اجاد وأكرما

صفائحَ بُصْرَى أخلَصَتْها قُيُونُها * ومُطَّرِدًا من نَسج دَاودَ مُبهَما[2]

جزى الله عنا عبدَ عمرٍو ملامةً * وعَدوانَ سَهْمٍ ما أذَلّ وألأما

فلستُ بمبتاعِ الحياةِ بِسُبَّةٍ * ولامُرتقٍ من خشيةِ الموت سُلَّما

رثاؤه نعيم بن الحارث

٥

وقال أبو عبيدة :

وقتل فى تلك الحرب نُعَيم بن الحارث بن عُبَاد بن حبيب بن وائلة بن سهل ، قتلته بنو صِرْمة يوم دارة موضوع ، وكان وادًّا للحصين فقال يرثيه :

قتَلْنا خمسةً ورمَوْا نُعيما * وكان القتلُ للفتيان زَيْنا

لعمرُ الباكيات على نعيمٍ * لقد جلّتْ رَزِيّتُه علينا

فلا تَبْعَدْ نُعَيمُ فكلُّ حَىٍّ * سيَلْقَى من صروف الدهر حِينا[3]

١٠

لومه بنى حميس حين فارقوا قومه

قال أبو عبيدة :

ثم إن بنى حميس كرِهوا مجاورة بنى سهم ففارقوهم ومضَوْا ، فلحق بهم الحصين ابن الحُمَام فردّهم ولامهم على كفرهم نعمته وقتاله عشيرتَه عنهم ، وقال فى ذلك :

إنّ امرأً بعدى تبدّلَ نصرَكم * بنصر بنى ذُبيانَ حقًّا لخاسرُ[4]

أولئك قومٌ لا يُهانُ ثَوِيُّهم[5] * إذا صرّحتْ كَحْلٌ وهبَّ الصّنابرُ

١٥

(١) محرق : لقب الحارث بن عمرو ملك الشام من آل جفنة . وإنما سمى بذلك لأنه أوّل من حرق العرب فى ديارهم . فهم يدعون آل محرق ؛ وهو أيضا لقب عمرو بن هند لأنه حرق مائة من بنى تميم .

(٢) فى ب ، س : « محكما » . والقيون : جمع قين بالفتح ، وهو الحداد . ومطردا : أى ودرعا مطردا (والدرع قد تذكر) واطرد الشىء : تبع بعضه بعضا ، واطرد الأمر : استقام . والمعنى تتابعت حلقاتها واتصلت ، ومبهما : لا مأتى له ولا ثلم فيه . (٣) فلا تبعد : فلا تهلك . والحين : الموت . (٤) فى البيت خرم . (٥) الثوى : الضيف . كحل : السنة المجدبة (تصرف ولا تصرف) ويقال : صرحت كحل ، إذا لم يكن فى السماء غيم . والصنابر : الرياح الباردة .

٢٠

وقال لهم أيضا :

ألَا أبلِـغْ لديك أبا حُمَيْس * وعاقبـةُ الملامـة للُمليم [1]

فهل لـكُمْ إلى مَوْلًى نَصُورٍ * ونَخْطُبكُم من الله العظيم

فإنّ ديارَكم بجَنُـوب بُسٍّ [2] * إلى ثَقْف إلى ذات العُظوم

٥ — بُسّ: بناء بنته غَطَفان شبّهوه بالكعبة، وكانوا يَحُجّونه ويعظّمونه ويسمّونه حَرَمًا، فغزاهم زُهَيْر بن جَناب الكلبيّ فهدمه —

غَذَتكم فى غَداة الناس حُجًّا [3] * غِذاءَ الجـائع الجَذِع اللئيم

فسيرُوا فى البلاد ودِّعونا * بقَحْط الغيث والكَلإ الوَخِيم

قال أبو عبيدة : قال عمرو :

قوله فى بنى حميس أيضا يلومهم ويذكر يده عليهم

١٠ زعموا أن المثلَّم بن رِيَاح قتـل رجلا يقال له حُبَاشة فى جِوار الحارث بن ظالم المُرّى، فلحق المثلَّم بالحصين بن الحمام، فأجاره. فبلغ ذلك الحارث بن ظالم، فطلب الحصينَ بدم حُباشة، فسأل فى قومه وسأل فى بنى حميس جيرانه فقالوا : إنّا لا نَعقل [4] بالإبل، ولكن إن شئت أعطيناك الغنم . فقال فى ذلك وفى كفرهم نعمته :

---

(١) ألام : أتى ما يلام عليه .

١٥ (٢) فى ب ، س : « لبس » والتصحيح عن حـ و معجم البلدان فى الكلام على « ثقف » ج ٣ : ١٩ — قال فى القاموس المحيط : « بس : بيت لغطفان بناه ظالم بن أسعد لما رأى قريشا يطوفون بالكعبة ، ويسعون بين الصفا والمروة ، فذرع البيت وأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ورجع إلى قومه وبنى بيتا على قدر البيت ووضع الحجرين فقال : هذان الصفا والمروة ، فاجتزءوا به عن الحج . فأغار زهير بن جناب الكلبي فقتل ظالما وهدم بناءه » . وثقف وذات

٢٠ العظوم : موضعان .

(٣) فى الأصول : « غذتكم فى غدا الناس حجنا : غداء » وهو تحريف ، وحجا بالضم (ويكسر أيضا) جمع حاج مثل بازل وبزل . والجذع : السيئ الغذاء .

(٤) عقل القتيل : دفع ديته .

خليلىّ لا تستعجلا أن تَزوَّدا * وأن تجمعا شَمْلى وتنتظرا غدَا

فما لَبثٌ يوماً بسائقِ مَغْنَم * ولا سرعةٌ يوماً بسابقةٍ غدا (١)

وإن تُنْظِرانى اليومَ أقضِ لُبانةً * وتستوجبا منّا علىّ وتُحْمَدا (٢)

لعمرُك إنّى يوم أغدو بصِرْمتى * تَناهَى حُمَيْسٌ بادئين وعوّدا (٣)

وقد ظهرتْ منهم بوائقُ جمّةٌ * وأَفْرَعَ مولاهم بنا ثم أَصْعَدا (٤)

وما كان ذنبى فيهمُ غيرَ أنّنى * بسطْتُ يدًا فيهم وأتبعتُها يدا

وأنّى أحامى من وراء حَريمهم * إذا ما المُنادِى بالمُغيرة نَدّدا (٥)

إذا الفوجُ لا يحميه إلّا مُحافظٌ * كريمُ المُحَيّا ماجدٌ غيرُ أجردا

فإن صَرّحت كَحْلٌ وهبّت عَرِيّةٌ * من الرّيح لم تترك لذى العَرْض مَرْفدا (٦)

صبرتُ على وَطْءِ الموالى وخَطْبِهم * إذا ضَنّ ذو القربى عليهم وأَجْمدا (٧)

الحصين والبرج ابن الجلاس

أخبرنى ابن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال:

كان البُرْج بن الجُلَاس الطائىّ خليلا للحصين بن الحمام ونديما له على الشراب، وفيه يقول البرج بن الجُلاس:

(١) اللبث بالتحريك: المكث والإبطاء كاللبث بفتح اللام وضمها. ويلاحظ أن هنا إيطاء.

(٢) أنظره: أخره وأمهله. واللبانة: الحاجة.

(٣) الصرمة: القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين؛ وقيل غير ذلك. تناهى: كف، أى كف بنو حميس عن معاونتنا فى إبل الدية؛ أو معناه: تناهى بنو حميس أى نهى بعضهم بعضا عن معاونتنا فى ذلك فكفوا.

(٤) بوائق: جمع بائقة، وهى الداهية. وأفرع بهم: نزل.

(٥) بالمغيرة: أى بالخيل المغيرة أى بركابها. وندّد: رفع صوته.

(٦) العرية: الريح الباردة. والعرض: السعة. والمرفد بفتح الميم وضمها: المعونة.

(٧) وطئه: داسه. وخطبهم: حالهم وشأنهم. المجمد: البخيل.

وندمانٍ يَزيد الكأسَ طِيباً * سَقَيتُ وقد تغوّرتِ النجوم[1]

رفعتُ برأسه فكشفتُ عنه * بمُعْرَقةٍ مَلامةَ مَن يلوم[2]

ونشرب ما شربنا ثم نصحو * وليس بجانبَيْ خَدّى كُلُومُ

ونجعل عِبْأها لبنى جُعَيْلٍ * وليس إذا انْتَشَوْا فيهم حليم[3]

كانت للبرج أخت يقال لها الفُغاطة[4]، وكان البرج يشرب مع الحصين ذات يوم ٥
فسكر وانصرف إلى أُخته فافتضّها ، وندِم على ما صنع لمّا أفاق، وقال لقومه :
أيُّ رجل أنا فيكم؟ قالوا : فارسُنا وأفضلنا وسيِّدنا . قال : فإنه إن علم بما صنعتُ أحد
من العرب أو أخبرتم به أحداً ركبتُ رأسى فلم تَرَوْنى أبدا ، فلم يسمع بذلك أحد
منهم . ثم إن أَمَةً لبعض طيئ وقعت إلى الحصين بن الحُمَام ، فرأت عنده البرجَ
الطائى يوما وهما يشربان . فلما خرج من عنده قالت للحصين : إنّ نديمك هذا ١٠
سكر عندك ففعل بأخته كَيْتَ وكيت، وأوشك أن يفعل ذلك بك كلّما أتاك فسكر
عندك . فزجرها الحصين وسبّها، فامسكَتْ . ثم إنّ البرج بعد ذلك أغار على جيران
الحصين بن الحمام من الحُرَقة فأخذ أموالهم ، وأتى الصّريخُ[5] الحصينَ بن الحمام، فتبع
القوم، فأدركهم، فقال للبرج : ما صَبّك على جيرانى يا برج ؟ فقال له : وما أنت
وهم هؤلاء من أهل اليمن وهم منّا . وأنشأ يقول : ١٥

---

(١) تغور النجم وغار : غاب .

(٢) بمعرقة : أى بخمر معرقة ؛ يقال : أعرق الشراب : جعل فيه عرقا من الماء : أى قليلا .

(٣) انتشى : سكر .

(٤) كذا فى ب ، س . وفى جـ « القفاطة » .

(٥) الصريخ هنا : المستغيث . ٢٠

أنّى لك الحُرُقاتُ فيما بيلنا ! * عَنَّ بعيدٌ منك يابنَ حُمام[1]

أقبلتَ تُزجى ناقة متباطئا * عُلُطًا تزجّيها بغير خِطام

— تزجى : تسوق . علطا : لا خطام عليها ولا زمام، أى أتيت هكذا من العجلة —

فأجابه الحصين بن الحمام :

بُرجُ يؤثّمنى ويكفر نعمتى * صَمّى لِما قال الكفيلُ صَمامِ[2] ٥

مَهْلًا أبا زيد فإنك إنْ تشأ * أُورِدْك عُرْضَ مَناهلٍ أسْدام[3]

أُورِدْك أَقْلِبَةً إذا حافلتَها * خَوْضَ القعودِ خَبيثةَ الأخصام[4]

أقبلتُ من أرض الحجاز بذَمّةٍ * عُطُلًا أسوّقها بغير خِطام[5]

فى إثْر إخوانٍ لنا من طيّئٍ * ليسوا بأكفاء ولا بكرام

لا تحسبنّ أخا المفاطة أنى * رَجلٌ يُخبّرك ليس بالعَلّام[6] ١٠

فاستنزلوك وقد بَلَلْتَ نِطاقها * عن بنتِ أمّك والذيولُ دوامى[7]

---

(١) أنى لك الحرقات : أى من أين لك قرابتهم . عنّ الشىء عننا : ظهر أمامك وعرض . أى إن ما عنّ لك فى هذا الشأن بعيد وباطل . (٢) أثمه تأثيما : قال له أثمت . الكفيل هنا : الذى لا يثبت على ظهر الدابة (انظر تاج العروس) ومن أمثال العرب : صمى صمام ، والخطاب للداهية . وصمام كقطام : الداهية الشديدة . وصمى صمام أى زيدى يا داهية . (٣) العرض من النهر ١٥ والبحر : وسطه . مياه أسدام : متغيرة . (٤) كذا فى الأصول . والأقلبة : جمع قليب وهى البئر . والأخصام : جمع خصم بالضم . وخصم كل شىء : طرفه وجانبه . ولعل صوابه : * أوردك أقلبة إذا ما خلتها الخ * والمعنى على ذلك : أوردك أقلبة خبيثة الأخصام إذا ما ظننتها سهلة الاستقاء غير شاقة كالمخاضة التى تخوضها القعود بسهولة ، أو لعل صوابه « أوردك أقلبة أجاجا ماؤها : خوص القعور ... » وخوص (بالضم) جمع خوصاء ، وبئر خوصاء : بعيدة القعر لا يروى ماؤها الأنعام . ٢٠
(٥) بذمة : أى بناقة ذمة أى مفرطة الهزال شبه الهالكة ، فهى مذمومة لأجل ذلك ؛ من قولهم : بئر ذمة أى قليلة الماء مذمومة . العطل فى الأصل : المرأة ليس عليها حلى ، يريد أن الناقة ليس عليها زمام ، أو هو « علطا » كما جاء فى بيت البرج ابن الجلاس السابق . (٦) الخبر : العلم بالشىء . وفى ب ، س : « كالعلام » وهو تحريف . (٧) كذا فى مختار الأغانى الكبير جـ ٣ : ص ٤٠٨ ؛ وفى الأصول : « من بيت أمك » وهو تصحيف . ٢٥

ثم ناصب الحصينُ بن الحُمَام البرجَ الحربَ، فقتل من أصحاب البرج عدّة وهزم سائرهم، واستنقذ ما في أيديهم، وأسر البرج، ثم عرف له حقّ ندامه وعشرته إياه فمنّ عليه وجزّ ناصيته وخلّى سبيله . فلما عاد البرج إلى قومه وقد سبّه الحصين بما فعل بأخته لامهم وقال : أشمتّم ما فعلتُ بأُختي وفضحتموني، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهرهم فلحق ببلاد الروم ، فلم يعرف له خبر إلى الآن .

١٢٨/١٢

وقال ابن الكلبيّ : بل شرب الخمر صرفا حتى قتلته .

غارته على بني عقيل وبني كعب وشعره في ذلك

أخبرني ابن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال :

جمع الحصين بن الحمام جمعًا من بني عَدِيّ ثم أغار على بني عُقَيل وبني كعب فأثخن فيهم واستاق نَعَمًا كثيرا ونساء ، فأصاب أسماء بنت عمرو سيّد بني كعب فأطلقها ومنّ عليها ، وقال في ذلك :

فِدًى لبني عديّ رَكْضُ ساقي * وما جمّعتُ من نَعَمٍ مُراحِ (١)

تركنا من نساء بني عُقَيلٍ * أيامَى تبتغي عَقْدَ النكاحِ (٢)

أرُعيانَ الشَّوِيّ وجدتمونا * أم اصحابَ الكريهة والنِّطاحِ؟ (٣)

لقد علمتْ هَوازِنُ أنّ خيلي * غداةَ النَّعْفِ صادقةُ الصَّباحِ (٤)

عليها كلُّ أَرْوَعَ هِبْرِزِيٍّ * شديدٍ حَدُّه شاكي السِّلاحِ (٥)

---

(١) النعم : الإبل والشاء ، أو خاص بالإبل . وأراح الإبل : ردها إلى المراح (بالضم) أي المأوى . (٢) أيامى : جمع أيم كسيد ، وهي من لا زوج لها بكرا أو ثيبا .
(٣) الشويّ : جمع شاة . (٤) النعف : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي ، وهو هنا موضع بعينه ، وصادقة الصباح أي الغارة في الصباح . وكانوا أكثر ما يغيرون عند الصباح ، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح . (٥) الأروع : من يعجبك بحسنه أو بشجاعته .
والهبرزي : المقدام . وحدّه : بأسه . وشاكي السلاح : ذو شوكة وحدّ في سلاحه .

فكرّ عليهم حتّى التقينا * بمصقول عوارضها صِباح (١)

فأُبْنا بالنِّهاب وبالسَّبايا * وبالبِيضِ الخرائدِ واللِّقاح (٢)

وأعتقنا ابنة العَشْرىّ عمرٍو * وقد خُضْنا عليها بالقِداح

إدراكه الإسلام وشعره الدال على ذلك

أخبرنا ابن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة أنّ الحصين بن الحمام أدرك الإسلام . قال : ويدلّ على ذلك قوله :

وقافيةٍ غيرِ إنسيّةٍ * قرضْتُ من الشّعر أمثالَها (٣)

شَرُودٍ تَلَمَّعُ بالخافقَيْنِ * إذا أُنْشِدَتْ قيل مَنْ قالَها (٤)

وحَيرانَ لا يهتدى بالنهار * من الظَّلْع يَتْبَعُ ضُلّالَها (٥)

وداعٍ دعا دعوةَ المستغيث * وكنتُ كمن كان لَبَّى لها

إذا الموتُ كان شَجًا بالحُلُوق * وبادرتِ النفسُ أشغالَها (٦)

صبرْتُ ولم أكُ رِعديدةً * ولَلصَّبرُ فى الرَّوع أنجى لها (٧)

(١) بمصقول عوارضها أى بنساء مصقول عوارضها . والعوارض : جمع عارضة ، وهى صفحة الخد . وصباح : جمع صبيحة ، أى جميلة وضيئة الوجه .

(٢) النهاب : جمع نهب ، وهو الغنيمة . والخريد والخريدة والخرود : البكر لم تمسس ، أو الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة ، والجمع خرائد . واللقاح : الإبل . واحدتها لقوح كصبور .

(٣) غير إنسية : يعنى أنه ألهمه إياها جنىّ . وكانت العرب تزعم أن لبعض الفحول من شعرائهم شياطين يلهمونهم الشعر . ذكر صاحب جمهرة أشعار العرب أنه كان لعبيد بن الأبرص صاحب منهم اسمه هبيد ، وللأعشى صاحب اسمه مسحل ، ولامرئ القيس صاحب اسمه لافظ بن لاحظ ، وللنابغة الذبيانى صاحب اسمه هاذر ... الخ .

(٤) قافية شرود : سائرة فى البلاد تشرد كما يشرد البعير . وتلمع : تبرق وأصله تتلمع لحذفت إحدى التاءين تخفيفا . والخافقان : المشرق والمغرب .

(٥) ظلع الرجل كمنع : عرج وغمز فى مشيه . (٦) الشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

(٧) فى جـ «ولا الصبر» وفى ب ، س «والصبر» وهما تحريف . رجل رعديد ورعديدة : جبان يرعد عند القتال جبنا . والروع : الفزع .

ويومٍ تَسَعَّرُ فيه الحروبُ * لَبِستُ إلى الرَّوْع سِرْبالَها [1]

مُضعَّفَةَ السَّرْدِ عاديَّةً * وعَضْبَ المَضارِب مِفْصالَها [2]

ومُطَّرِدًا من رُدَيْنيَّةٍ * أذودُ عن الوِرْد أبطالَها [3]

فلم يبقَ من ذاك إلا التُّقَى * ونفسٌ تُعالِج آجالَها

أمورٌ من الله فوق السماء * مقاديرُ تنزِلُ أنزالَها [4]

٥

أعوذ بربِّي من المُخْزِيا * تِ يوم ترى النفسُ أعمالَها

وخَفَّ الموازينُ بالكافرين * وزُلزِلتِ الأرضُ زِلزالَها

ونادى مُنادٍ بأهل القبور * فهبُّوا لتُبرِزَ أثقالَها

١٢٩/١٢

وسُعِّرت النارُ فيها العذابُ * وكان السلاسلُ أغلالَها

١٠ حدّثنا ابن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال :

موته ورثاء أخيه اياه .

مات حُصَيْن بن الحُمَام في بعض أسفاره، فسُمع صائح في الليل يصيح لا يُعرف في بلاد بني مُرّة :

ألا هَلَكَ الحُلْوُ الحَلالُ الحُلاحِلُ * ومَن عَقْدُه حَزْمٌ وعَزْمٌ ونائلُ [5]

ـــ الحلو : الجميل . والحلال : الذي ليس عليه في ماله عيب [6] . والحلاحل : الشريف

١٥ العاقل ـــ :

ومَن خَطْبُه فَصْلٌ إذا القومُ أُفحِموا * يُصيب مَرادِي قولِه مَن يُحاوِلُ

---

(١) تسعر أصله تتسعر ، أي تتقد . السربال : القميص ، وتطلق على الدرع كما في البيت .

(٢) السرد : نسج الدرع . ومضعفة : مضاعفة . وعادية : قديمة ، نسبة إلى عاد . وعضب المضارب : سيفا قاطعا . ومفصال : مبالغة في فاصل أي ماض .

(٣) من ردينية أي من رماح ردينية ، نسبة إلى ردينة زوجة سمهر، وكانا مثقفين للرماح . ورمح مطرد : الأنابيب والكعوب أي مستقيمها متتابعها .

(٤) أنزال جمع نزل كعنق وقفل ، وهو المنزل ، أي تقع مواقعها .

(٥) النائل : النوال والعطاء . (٦) في ب ، س « عين » وهو تحريف .

— المَرادِى : جمع مِرداة ، وهى صخرة تُرْدَى بها الصخور، أى تكسر — قال : فلما سمع أخوه مُعَيَّة بن الحُمام ذلك قال : هَلَك والله الحصين، ثم قال يرثيه :

إذا لاقيتُ جمعًا أو فِئامًا (١) * فإنّى لا أرى كأبى يزيدا

أشدَّ مهابةً وأعزَّ ركنًا * وأصلبَ ساعةَ الضَّرّاء عُودا

صَفِيِّى (٢) وابنُ أُمّى والمُواسِى * إذا ما النفسُ شارفتِ الوريدا

كأنّ مُصَدَّرًا يحبو ورائى * إلى أشباله يبغى الأسودا

المُصَدَّر : العظيم الصدر ، شبّه أخاه بالأسد .

صـــوت

لا أرّق الله عينَىْ مَن أرِقتُ له * ولا مَلا مِثلَ قلبى قلبَه تَرَحا

يَسُرُّنى سوءُ حالى فى (٣) مسرّته * فكلّما ازددت سُقْمًا زادنى فرحا

الشعر لمحمد بن يسير ، والغناء لأحمد بن صَدَقة ، رَمَلٌ بالوسطى .

---

(١) الفئام : الجماعة من الناس .

(٢) الصفى : الحبيب المصافى .

(٣) فى ب ، س : « من » .

أخبـار محمد بن يسير ونسبه

نسبه

محمد بن يسير الرِّياشيّ[١]: يقال إنه مولًى لبني رِياش الذين منهم العباس بن الفرج الرِّياشي الأخباري الأديب؛ ويقال إنه منهم صُلْبِيَّة. وبنو رِياش يذكرون أنهم من خَثْعَم، ولهم بالبصرة خِطَّة[٢] وهم معروفون بها. وكان محمد بن يسير هذا شاعرا ظريفا من شعراء المحدَثين، متقلِّلا، لم يفارق البَصْرة، ولا وفد إلى خليفة ولا شريف مُنْتَجِعا، ولا تجاوز بلده، وصُحْبتُه طبقتُه، وكان ماجِنًا هَجَّاء خبيثا.

٥

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثني عليُّ بن القاسم بن عليّ بن سليمان طارِمة[٣] قال:

قصته مع والي البصرة

بعث إليّ محمد بن أيُّوب بن سليمان بن جعفر بن سليمان — وهو يتولّى البصرة حينئذ — في ليلةٍ صبيحتُها يومَ سبتٍ، فدخلت إليه وقد بقي من الليل ثلثه

١٠

(١) ورد اسم هذا الشاعر في نسخ الأغاني المطبوعة والمخطوطة. وفي الأمالي، وفي أشعار الحماسة شرح التبريزي طبع أوربة ومصر «محمد بن بشير»؛ وهو تصحيف — وقد تكرر هذا الخطأ إلى آخر الترجمة — والتصويب عن «الشعر والشعراء ص ٦٠٠ طبع أوربة»، ويؤكد ذلك ما ورد في القاموس وتاج العروس، مادة يسر: «وأبو جعفر محمد بن يسير البصري شاعر، وهو القائل يرثي نفسه:

١٥

كأنه قد قيل في مجلس * قد كنت آتيه وأغشاه:

صار اليسيري إلى ربه * يرحمنا الله وإياه

وكذا أخوه عليّ شاعر أيضا ذكرهما الذهبي» وقد جاء هذان البيتان في ترجمته في الأغاني — وسيردان عليك بعد — فعلم أنه هو. وقال فيه ابن قتيبة في الشعر والشعراء: «وكان في عصر أبي نواس وعمر بعده حينا» وقد توفي أبو نواس سنة ١٩٨ هـ. (٢) خطة: أرض اختطوها واتخذوا فيها مساكنهم.

٢٠

(٣) جاء في تاج العروس (مستدرك مادة طرم): «الطارمة: بيت من خشب كالقبة، فارسي معرّب». والظاهر أنه لقب له.

أو أكثر (١) . فقلت له : أنِمتَ وانتبهتَ أم لم تنم بعدُ ؟ فقال : قد قضيتُ حاجتى من النوم، وأريد أن أصطبح (٢) وأبتدئَ الساعةَ بالشرب، وأصِلَ ليلتى بيومى (٣) محتجبا عن الناس، وعندى محمد بن رَباح، وقد وجّهتُ إلى إبراهيم بن رِياش، وحضرتَ أنت، فمن ترى أن يكون خامسَنا ؟ قلت : محمد بن يسير. فقال : والله ما عَدَوتَ ما فى نفسى . فقال لى ابن رباح : اكتُبْ إلى محمد بن يسير بيتين تدعوه فيهما وتصف له طِيبَ هذا الوقت، وكان يوم غَيم، والسماء تمطر مطرا غير شديد ولا متتابع ؛ فكتب إليه ابن رَباح :

١٣٠ / ١٢

صـــــوت

يـــومُ سَبتٍ وشَنْبَذٍ ورَذَاذٍ (٤) * فعلامَ الجُلُوسُ يا بنَ يسير؟

قم بنا نأخذ المُدامـةَ من كَـفِّ غَزالٍ مُضَمَّخٍ بالعَبِير (٥)

— فى هـذين البيتين لعباسٍ أخى بحرٍ ثقيل أوّل بالبِنصر — وبعث إليه بالرُّقعة، فإذا الغلمان قد جاءوا بالجواب . فقال لهم : بعثتكم لتجيئونى برجل فجئتمونى برقعة ! فقالوا : لم نَلْقَه، وإنما كتب جوابَها فى منزله، ولم تأمرنا بالهجوم عليه فنهجُم . فقرأها فإذا فيها :

---

(١) فى الأصول : « أو أكثره » . (٢) اصطبح : شرب الصبوح (كصبور)، وهو شرب الغداة . (٣) فى الأصول : « بنومى » وهو تصحيف .

(٤) شنبذ : كلمة فارسية . جاء فى معجم جونسون — وهو معجم فارسى عربى إنجليزى — «شنبذ = يوم السبت . جنبد = يتحرك، يحرك . جنبد = يثب، يقفز، يجرى» . وجاء فى معجم ستنجاس : « جنبد = التقفز، اللعب، تقريب عقب الرجل من الرأس » ويفهم من ذلك أن هذا اليوم يوم مرح ولعب ونشاط ونحو ذلك . والرذاذ : المطر الضعيف .

(٥) المدامة والمدام : الخمر . ومضمخ : مدّهن . والعبير : أخلاط من الطيب .

أَجِيءُ على شَرْطٍ فإن كنتَ فاعلا * وإلّا فإنّى راجعٌ لا أُناظِرُ
لِيُسْرَجَ لىَ البِرذَوْنُ فى حال دُلْجَتى * وأنت بدُلْجاتى مع الصبح خابِرُ[1]
لأقضىَ حاجاتى إليه وأنثنى * إليك، وحَجّامٌ إذا جئتُ حاضِرُ
فيأخذ من شَعرى ويُصلِحُ لِحْيَتى * ومن بعدُ حَمّامٌ وطِيبٌ وجامِرُ[2]
ودَسْتِيجَةٌ من طيِّب الراح ضخمةٌ * يُرَوِّدنيها طائعًا لا يُعاسِرُ[3]

فقال محمد بن أيوب : ما تقول ؟ فقلت : إنك لا تقوَى على مطاولته ، ولكن اضْمَنْ له ما طلب . فكتب إليه : قد أُعِدَّ لك — وحَياتِكَ — كلُّ ما طلبت فلا تُبْطِئْ؛ فإذا به قد طلع علينا . فأمر محمد بن أيوب بإحضار المائدة . فلما أُحضرت أَمَر بمحمد بن يسير فشُدّ بحبل إلى أسطوانة من أساطين المجلس، وجلسنا نأكل بحذائه . فقال لنا : أىُّ شئ يخلِّصنى ؟ قلنا : تُجيب نفسك عما كتبت به أقبح جواب . فقال : كُفّوا عن الأكل إذًا ولا تستبِقونى به فتَشْغَلوا خاطرى ، ففعلنا ذلك وتوقّفنا، فأنشأ يقول :

أيا عَجَبا مِنْ ذا التَّسَرِّى فإنّه * له نَخْوةٌ فى نفسه وتكابُرُ[4]

---

(١) البرذون من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب . والدلجة : سير السحر .

(٢) جاء فى لسان العرب : « أجمر الثوب وجمره : بخره بالطيب، والذى يتولى ذلك مجمر ومجمّر، والجامر : الذى يلى ذلك من غير فعل، إنما هو على النسب .

(٣) فى الأصول « طايعا » وهو تصحيف . والدستيج : آنية تحوّل باليد وتنقل، فارسى معرب . والراح : الخمر . يروّدنيها : رادت الإبل ترود : اختلفت فى المرعى مقبلة ومدبرة، ورِدتها أنا وأردتها ؛ أى جعلتها ترعى ؛ فمعنى يروّدنيها هنا على التشبيه بذلك أى يجعلنى أستق منها غاديا رائحا أى مرارا . ولا يعاسر : لايشاكس .

(٤) السرو : المروءة فى شرف، سرو، ككرم ودعا ورضى فهو سرىّ، وتسرى تسريا : تكلف السرو . وتكابر وتكبر واستكبر بمعنى .

يُشـاوِط لمّا زار حتّى كأنه * مُغَنٍّ مُجِيـدٌ أو غلام مُؤاجَرُ (١)

فلولا ذِمامٌ كان بيني وبينـه * لَلَطَّـمَ بَشّـارٌ قفـاه ويَاسِرُ (٢)

فقال محمد : حسبُك، لم تُرِدْ هذا كله، ثم حلّه وجلس يأكل معنا، وتممنا يومنا .

أخبرني عمى قال حدّثنا ابن مَهْرُويه قال : حدّثني عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفليّ قال :

قصة شاة منيع منه وهجاؤه إياها

كان محمد بن يسير من شعراء أهل البصرة وأدبائهم ، وهو من خَثْعَم وكان من بخلاء الناس ، وكان له فى داره بستانٌ قدره أربعة طوابيق (٣) قلَعها من داره، فغرَس فيه أصلَ رُمّان وفَسِيلةً (٤) لطيفة، وزرَع حواليه بَقْلا ، فأفلتت شاةٌ لجارٍ له يقال له : مَنِيع، فأكلت البقل ومَضَغت الخُوص، ودخلتْ إلى بيته فلم تجد فيه إلا القراطيسَ (٥) فيها شِعرُه وأشياءُ من سَماعاته، فأكلتْها وخرجَتْ ، فعدا إلى الجيران فى المسجد يشكو ما جرى عليه، وعاد فزرع البستان، وقال يهجو شاة منيع :

لىَ بستانٌ أَنيقٌ زاهرٌ * ناضرُ الخُضْرة رَيّانٌ تَرِفْ (٦)

---

(١) فى الأصول «يشابط» وهو تحريف . ومؤاجر : جاء فى المصباح المنير : « قال الأخفش : ومن العرب من يقول آجرته فأنا مؤجر (بسكون الهمز) — فى تقدير أفعلت فأنا مفعل — وبعضهم يقول فأنا مؤاجر — فى تقدير فاعلته ا ه . (٢) الذمام : الحق والحرمة . والمفهوم أنه يعنى بشار وياسر خادمين من خدم الوالى أو رجلين من أتباعه . وفى الأصول : « تلطم » ؛ وهو تحريف . (٣) الطابق كهاجر وصاحب والطاباق : الآجر الكبير . ويظهر من قوله « قلعها من داره » أن البستان كان يدور حول المنزل، وأن ذلك القدر المذكور قدر عرضه .

(٤) الفسيلة : النخلة الصغيرة . (٥) القراطيس : جمع قرطاس (وكسر القاف أشهر من ضمها) ، وهو ما يكتب فيه . (٦) أنيق : حسن معجب . وناضر : شديد الخضرة . ويبالغ به فى كل لون فيقال : أخضر ناضر، وأحمر ناضر، وأصفر ناضر . ترف : ترف النبات كفرح : تروّى، فهو ترف .

رائعُ الأعراقِ ريّانُ الثّرى * غَدِقٌ تربتُه ليست تجف[1]

لمجاري الماءِ فيه سُنَنٌ * كيفما صرّفته فيه انصرف[2]

مشرقُ الأنوارِ ميّادُ النّدى * مُؤتَنِقٌ في كلّ ريحٍ منعطف[3]

تملكُ الريحُ عليه أمرَه * فإذا لم يُؤنِسِ الريحَ وقف[4]

يكتسي في الشرقِ ثوبَيْ يُمْنَةٍ * ومع الليلِ عليها يلتحف[5]

ينطوي الليلُ عليه فإذا * واجهَ الشرقَ تجلّى وانكشف

صابرٌ ليس يُبالي كثرةً * جُزَّ بالمِنْجَلِ أو منه نُتِف

كلّما أُلحِفَ منه جانبٌ * لم يتلبّثْ منه تعجيلُ الخَلَف[6]

لا ترى للكفِّ فيه أثرًا * فيه بل يَنْمي على مسّ الأكُف[7]

فترى الأطباقَ لا تُمهِله * صادراتٍ وارداتٍ تختلف

فيه للخارِفِ من جيرانه * كلّما احتاجَ إليه مُخْتَرَف[8]

أُقْحُوانٌ وبَهارٌ مُونِقٌ * وسوى ذلك من كلّ الطُّرَف[9]

---

(١) أرض غدقة : في غاية الريّ ، وهي الندية المبتلة .

(٢) سنن : جمع سنة وهي الطريقة .

(٣) الأنوار : جمع نور (بالفتح) : وهو الزهر . و يقال للنبت ندى ، لأنه عن ندى المطر نبت .

(٤) آنس الشيء : أحس به . (٥) اليمنة : برد يمنى ، وهو موشى .

(٦) في الأصول « ألحق » بدل « ألحف » ؛ وهو تحريف . وألحفه : استأصله . ولم يتلبث : أي لم يتوقف ولم يبطئ .

(٧) نما ينمو نموا ، ونمى ينمى نميا ونماء : زاد . و « فيه » الثانية حشو .

(٨) خرف الثمار خرفا كنصر : جناها ، كاخترفها . ومخترف : مجتنى . أو هو برفع « كل » وفصلها من « ما » ، وكسر الراء من « مخترف » .

(٩) الأقحوان : نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر . والبهار : نبت أصفر طيب الريح . ومونق : معجب .

وهو زَهْرٌ للنَّدامَى أُصُلاً * يرضا قاطِفِهم ممّا قَطَف (١)

وهو فى الأيدى يُحَيُّون به * وعلى الآنافِ طَوْرا يُسْتَشَفّ (٢)

أَعْفِه يا ربِّ من واحدةٍ * ثم لا أَحْفِلُ أنواعَ التَّلَفْ (٣)

اِكْفِه شاةَ مَنِيعٍ وَحْدَها * يوم لا يُصْبِحُ فى البيت عَلَف

اِكْفِه ذاتَ سُعالٍ شَهْلَةً * مُتِّعت فى شَرّ عيش بالخَرَفْ (٤)

اِكْفِه يا ربِّ وَقْصاءَ الطُّلَى * أَلْحِمِ الكِتْفَين منها بالكَتِفْ (٥)

وكَلُوحٌ أبدا مُفْتَرَّةٌ * لك عن هُتْمٍ كَلِيلاتٍ رُجُفْ (٦)

وَنَئُوسُ الأنفِ لا يَرْقَا ولا * أبدًا تُبْصِرُه إلّا يَكِفْ (٧)

---

(١) أصلا : جمع أصيل ، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب . والندامى : جمع ندمان ، وهو المجالس على الشراب .

(٢) استشفه : تأمل ما فيه ، واستشف ما فى الإناء : شرب جميع ما فيه وتقصى شربه . والمعنى على هذا : يتقصى شمه كما يستشف الماء .

(٣) يقال : ما حفله (كضرب) وما حفل به ، وما احتفل به ، أى ما بالى .

(٤) الشهلة : العجوز . والخرف هنا : الشيص (أردأ التمر) .

(٥) الطلى : الأعناق أو أصولها جمع طلية أو طلاة . والوقص (بفتحتين) : قصر العنق . وقص (كفرح) فهو أوقص وهى وقصاء . والكتف ، بكسر التاء وسكونها مع فتح الكاف وكفرد . ولحمه (كنصر) وألحمه : لأمه ، يدعو عليها أن يلحم الله كتفيها حتى تصيرا كتفا واحدة .

(٦) الكالح : الذى قد قلصت شفته عن أسنانه نحو ما ترى من رءوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمرت الشفاه . وافترّ عن ثغره : أبدى أسنانه . وعن هتم ؛ أى عن أسنان مكسرة . ورجف : جمع رجوف ، من رجف الشىء (كنصر) إذا خفق واضطرب اضطرابا شديدا .

(٧) نئوس : وصف ، من ناس اللعاب : إذا سال فاضطرب . و يرقأ : يجف و يسكن و ينقطع ، سهلت همزته . يعنى أن رغامها (مخاطها) يسيل من منخريها لهزالها . ووكف الدمع والماء (كوعد) : سال .

لم تَــزَلْ أظلافُها عافِيَــةً * لم يُظَلِّف أهلُها منهـا ظَلَفْ (١)

فترى فى كل رِجْـــلٍ ويدٍ * من بقاياهنّ فوق الأرض خُفّ (٢)

تَنسِفُ الأرضَ إذا مرّت به * فلهـا إعْصارُ تُرْبٍ مُنتسِف (٣)

تُرْهِجُ الطُّرْقَ عــلى مُجْتـازِها * بيدٍ فى المشى والخَطْوِ القَطِفْ (٤)

فى يَدَيْهـا طَـرَقٌ ، مِشيَتُها * حَلْقةُ القوس ، وفى الرجل حَنَفْ (٥)

---

(١) أظلاف : جمع ظلف (بالكسر) ، وهو للشاة كالحافر للفرس والقدم للإنسان . يقال : عفا الشعر والنبت وغيرهما إذا كثر وطال . ولم يظلف ؛ اشتق من الظلف ؛ يظلف بمعنى يقلم . وقلم الظفر : قطع ما طال منه . وظلف : أصله ظلفا (بسكون اللام و بالألف ، مفعول يظلف) وقف عليه بنقل فتحة الفاء إلى اللام وحذف الألف وسكن الفاء ؛ لأن الروى مقيد ، متبعا فى ذلك مذهب نحاة الكوفة و بعض نحاة البصرة المعاصرين له . ولبيان ذلك نقول : ذكروا أن فى الوقف على المتحرك — غير هاء التأنيث — خمســة أوجه : الإسكان والروم والإشمام والتضعيف والنقل ، أى إنه يجوز نقل حركة الحرف الموقوف عليه إلى ما قبله بشروط ، منها : أن يكون ساكنا وألا تكون الحركة فتحة ، كقراءة بعضهم : (وتواصوا بالصبر) بكسر الباء وسكون الراء ، فأما الفتحة فقد منع البصريون نقلها إذا كان المنقول عنــه غير همزة ، فلا يجوز عنــدهم رأيت بكر (بفتح الكاف وسكون الراء) ولا ضربت الضرب ، لمـا يلزم على النقل حينئذ فى المنون من حذف ألف التنوين ، وحمل غير المنون عليه ، وأجاز ذلك الكوفيون . ونقل عن الجرمى — وهو نحوى بصرى توفى سنة ٢٢٥ — أنه أجازه . وعن الأخفش — وهو نحوى بصرى أيضا توفى سنة ٢١٥ — أنه أجازه فى المنون على لغة من قال رأيت بكر ، وهم ربيعة . فأما المهموز فيجوز نقل حركته وإن كانت فتحة ، فيقال رأيت الخبأ والردأ فى رأيت الخبء والردء (انظر شرح الأشمونى باب الوقف) .

(٢) فى الأصول كلها : « جف » بالجيم ؛ وهو تصحيف . والخف : ما يلبس فى الرجل .

(٣) فى الأصول : « تبدأ » بدل « بيد » ؛ وهو تحريف . و « به » بالخف . ونسفه وانتسفه : قلعه من أصله . والإعصار : الريح التى تهب من الأرض كالعمود نحو السماء ، أو التى فيها العصار (ككتاب) وهو الغبار الشديد . (٤) أرهج : أثار الغبار . والقطف ، أصله القطف (بسكون الطاء وكسر الفاء) فوقف عليه بالنقل كما تقدم . يقال : قطفت الدابة كضرب قطفا ، وكنصر قطافا وقطوفا ، وككرم فهى قطوف كصبور ، أى بطيئة متقاربة الخطو .

(٥) فى الأصول : « فى يدها طرف من مشيتها : خلقة ... » وهو تحريف وخطأ ، وقــد صححته كما ترى . والطرق : ضعف فى ركبتى البعير ويده ، أو اعوجاج فى ساقه ؛ يقال : بعير أطرق وناقة طرقاء ، أى فى يديها لين واسترخاء وتكمهر وضعف . مشيتها حلقة القــوس أى مشيتها معوجة كحلقة القوس غير مستقيمة . والحنف : الاعوجاج فى الرجل إلى داخل .

فإذا ما سَعَلَتْ واحْدَوْدَبَتْ * جاوبَ البَعْرُ عليها فخَصف[1]
وأُحِصّ الشعرُ منها، جِلدُها * شَنَّةٌ في جوف غارٍ مُنْخَسِف[2]
ذات قَرْنٍ وهي جَمّاء، أَلَا * إنّ ذا الوصفَ كوصفٍ مُخْتَلِف[3]
وإذا تدنو إلى مُسْتَعْسِبٍ * عافَها نَتْنًا إذا ما هُو كَرَف[4]
لا ترى تَيْسًا عليها مُقْدِمًا * رُمِيَتْ من كل تيس بالصَّلَف[5]
شُوهة الخِلقة، ما أبصَرَها * مِن جميع الناس إلّا وحَلَف[6]
ما رأى شاةً ولا يعلمُها * خُلِقَتْ خِلقتَها فيما سَلَف
عَجَبًا منها ومن تأليفها * عجبًا مِن خَلْقها كيف ائتلَف!
لو يُنادُون عليها عَجَبًا * كَسَبوا منها فُلوسًا ورُغُف

(١) فى الأصول : « جاوب البعر منها فخصف » وهو خطأ ؛ وقد صححته كما ترى . خصف الورق على بدنه : ألزقه وأطبقه عليه ورقة ورقة ؛ أى فخصف عليها ، فلصق بجسمها .

(٢) فى الأصول : « وأخنى الشعر » ؛ وهو تحريف . يقال : حص شعره وانحص إذا انجرد وتناثر . وذنب أحص : لا شعر عليه . وفى كتب اللغة أن الفعل يتعدى بنفسه بدون الهمز ، يقال : حص الشعر كنصر إذا حلقه . والشنة والشنّ : القربة الخلق الصغيرة .

(٣) فى الأصول : « وهى حما » وهو تصحيف . جمت الشاة كتعب ، إذا لم يكن لها قرن ، فهى جماء .

(٤) استعسب التيس : هاج واغتلم . وعافها : كرهها وأعرض عنها . وكرفها : شمها ؛ يقال كرف الفحل إذا شم طروقته ثم رفع رأسه نحو السماء وكشر حتى تقلص شفتاه .

(٥) صلفت المرأة كفرح صلفا : لم تحظ عند زوجها وأبغضها . والصلف أيضا : الكبر . أى صلف التيس وأدل عليها .

(٦) يقال : رجل أشوه وامرأة شوهاء ، إذا كانت قبيحة ، والاسم الشوهة بالضم . ولم ترد كلمة « شوهة » فى كتب اللغة وصفا ، فالتقدير فى البيت « شوهة الخلقة صفة ثابتة لها » أو شوهة خلقتها ليس لها نظير . أو أنه استعمل الاسم استعمال الوصف مجازا .

ليتها قد أفلتت في جفنة * من عجين أو دقيق مُخْتَرَف[1]

فتلقَّتْ شفرةً من أهله * قَدَرَ الإصبع شيئا أو أشف[2]

أحكمَتْ كفَّا حكيمٍ صُنعَها * فأتت مجدولةً[3] فيها رَهَف

أُدمِجَتْ من كلِّ وجه غيرَ ما * أَلَّلَ الأقيانُ من حَدِّ الطَّرَف[4]

قابِضُ الرونقِ فيها ماتِعٌ * يَخطَفُ الأبصارَ منها يُستَشَف[5]

لحَتْها فاستخفَّتْ نحوَها * [عَجِلًا] ثم أحالت، تنتسف[6]

فتناهَتْ بين أضعاف المِعَى * وتبوَّتْ بين أثناء الشَّغَف[7]

أو رمتْها قرحةٌ زادت لها * ذَوَبانًا كلَّ يومٍ ونَحَف

كلَّ يوم فيه يدنو يومُها * أو تُرَى واردةً حوضَ الدَّنَف

(١) في الأصول : « مخترف » بالخاء، وهو تصحيف والجفنة : القصعة .

(٢) في الأصول : « فتلقت شعرة » ؛ وهو تحريف .

(٣) لعل الأصل « مصقولة » ؛ إذ المناسب للسكين الصقل لا الجدل . ورهف (ككرم) رهافة ورهفا بالفتح وبالتحريك : دق ولطف .

(٤) ألل الشيء تأليلا : حدّد طرفه . والأقيان : جمع قين، وهو الحداد .

(٥) في الأصول « مانع » بالنون وهو تصحيف . والماتع من كل شيء : البالغ في الجودة الغاية في بابه . ورونق السيف : ماؤه وحسنه . وقابض الرونق : أي ما يمسكه ويحفظه . وخطف كسمع وضرب، أو هذه قليلة أو رديئة . واستشفه : رأى ما وراءه .

(٦) لحتها : أي الشفرة أسند اللحى إليها ويريد أصحابها . فاستخفت : يريد خفت إليها أي أسرعت لذبحها والقضاء عليها . وقد زدت كلمة «عجلا» ليستقيم الوزن . وأحالت : تحوّلت؛ أي هوت عليها تنسفها .

(٧) تناهت : انتهت أي بلغت ووصلت . وأضعاف المعى : أثناؤها جمع ضعف بالكسر . وتبوت مسهل تبوأت، أي حلت وأقامت . والشغف : غلاف القلب أو حبته كالشغاف .

بينا ذاك بها إذ أصبحتْ * كَحَمِيتٍ(١) مُفْعَمٍ أو مثلَ جُفْ

شاغِرًا عُرْقوبُها قد أُعقبَتْ * بِطْنةً من بعد إدمان الهَيَف(٢)

وغَدَا الصِّبيةُ من جيرانها * ليجرُّوها إلى مأوَى الجِيَف

فتراها بينهم مسحوبةً * تَجرُفُ التُّرْبَ بجَنْبٍ منحرِف(٣)

فإذا صاروا إلى المأوَى بها * أعمَلُوا الآجُرَّ(٤) فيها والخَزَف

ثم قالوا : ذا جَزاءٌ للتى(٥) * تأكلُ البستانَ منا والصُّحُف

لا تلومونى ، فلو أبصرتُ ذا * كلَّه فيها إذن لم أنتصف

شعره إلى امرأته وقد كتبت إليه تعاتبه

أخبرنى علىّ بن سليمان قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا عبد الله بن محمد ابن يسير، وحدّثنى سوار بن أبى شُرَاعة(٦) قال حدّثنى عبد الله بن محمد بن يسير قال :

هَوِىَ أبى قَينةً من قِيان أبى هاشم بالبصرة ، فكتبتْ إليه أمى تعاتبه ، فكتب إليها :

---

(١) فى الأصول « لحيت » باللام ؛ وهو تحريف . والحميت : الزقّ الذى يجعل فيه السمن والجف : الشن البالى يقطع من نصفه ويجعل كالدلو .

(٢) فى ب ، س « شاعرا عرفوا بها » وفى جـ شاعرا عرقوبها وهو تحريف . شاغرا عرقوبها أى مرفوعا ، من شغر الكلب برجله كفتح اذا رفعها ، والبطنة : عظم البطن . والهيف : ضمر البطن ورقة الخاصرة .   (٣) بجوفه كنصر : كسحه .

(٤) الآجرّ : الطوب . والخزف : الطين المعمول آنية قبل أن يطبخ ؛ وهو الصلصال ، فإذا شوى فهو الفخار .   (٥) فى الأصول : « للذى » ؛ وهو تحريف .

(٦) فى الأصول : « سراعة » ؛ وهو تصحيف . والتصحيح عن الأمالى والقاموس المحيط . ومن أسمائهم سوار ككتّاب وسوّار كشدّاد .

لا تذكُرِى لَوعةً إثْرِى ولا جَزَعا * ولا تُقاسِنَّ بعدى الهمَّ والهَلَعا(١)

بَل ائتسِى تجدى إن ائتسيتِ أُسًا(٢) * بمثلِ ما قد فُجِعْتِ اليوم قد فُجِعا

ما تصنَعين بعينٍ عنك قد طَمَحتْ * إلى سواكِ وقلبٍ عنكِ قد نَزَعا(٣)

إن قُلتِ قد كنتُ فى خَفضٍ وتكرِمَةٍ(٤) * فقد صدَقتِ، ولكنْ ذاكِ قد نُزِعا

وأىُّ شيءٍ من الدنيا سمعتِ به * إلا إذا صار فى غاياته انقطعا

ومَن يُطيقُ خَليعًا عند صَبْوته * أم مَن يقوم لِمستورٍ إذا خَلُعا

هجاؤه أبا النجم المغنى

أخبرنى عمى قال : حدّثنا ابن مَهْرُويه قال : حدّثنا عبد الله بن يسير أن أباه دُعى إلى وليمة وحضرها مغنٍّ يقال له أبو النجم ، فعبِث بأبى وباغضه وأساء أدبه ، فقال يهجوه :

نَشَتْ(٥) بأبى النَّجم المغنِّى سحابةٌ * عليه من الأيدى شآبيبُها القَفْدُ

(١) فى رواية الأمالى (جـ ١ : ص ٢٣) : «لا تتبعن لوعة إثرى ولا هلعا» بتأكيد الفعل بنون التوكيد الخفيفة . وفى الأصول : «ولا تقاسين» تحريف . والهلع : أفحش الجزع .

(٢) أسا (بالضم والكسر) : جمع أسوة (بالضم والكسر أيضا)، وهى القدوة وما يأتسى به الحزين أى يتعزى به . وائتسى به : اقتدى به، وجعله أسوة أى قدوة .

(٣) نزع عن الأمر كضرب نزوعا : كف وانتهى عنه وأباه .

(٤) الخفض : الدعة . وفى الأمالى : «فى ودّ» . وفيه أيضا : «قد منعا» .

(٥) نشت ، نشى بالشىء : عاوده مرة بعد أخرى ، أو هو مسهل عن «نشأت» ؛ يقال : نشأت السحابة اذا ارتفعت . وشآبيب : جمع شؤبوب كعصفور، وهو الدفعة من المطر . وقفده قفدا كضربه : صفع قفاه بباطن كفه . وفى الأصول : «الفقد» ؛ وهو تصحيف .

نَشَا نَوءُها[1] بالنَّحْس حتى تصرّمتْ * وغابت[2] فلم يَطلُع لها كَوكبُ سَعْدْ
سَقَتْه بجَادتْ فارتَوَى من سِجالها[3] * ذُرَا رأسه والوجهُ والجِيدُ والخَدّ
فلا زال يَسْقيه بها كلَّ مجلس * به فِتيةٌ أمثالُها الهَزْلُ والجِدّ

أراد به يسقيانه[4] .

١٣٣
١٢

قصته مع صديق له يدعى داود

أخبرنى عمى قال حدّثنا ابن مهرويه قال وحدّثنى عبد الله بن محمد ابن يسير قال :

كان لأبى صديق يقال له داود من أسمج الناس وجهًا وأقلّهم أدبًا ، إلا أنه كان وافر المتاع ، فكان القيان يواصلنه ويكثُرن عنده ، ويُهدين إليه الفواكه والنبيذ والطيب ، فيدعو بأبى فيعاشره . فهَوِيته قينةٌ من قِيان البصرة ، كانت من أحسن الناس وجها ، فبعثت إلى داود برقعة طويلة جدًا تعاتبه فيها وتستجفيه وتستزيره[5] . فسأل أبى أن يُجيبها عنه ، فقال أبى : اكْتُبْ يا بُنَيَّ قبل أن أجيب عنها :

وابلائى من طول هذا الكتاب * أَسْعِدُونى عليه يا أصحابى
أَسْعِدونى على قِرَاةِ[6] كتابٍ * طولُه مثل طولِ يوم الحساب

(١) فى ب وس : « فنشا نأها » ، وهو تحريف . والنوء : سقوط نجم فى المغرب وطلوع آخر فى المشرق . وكانت العرب فى الجاهلية تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها أو إلى الطالع ، فإذا سقط نجم وطلع آخر قالوا لا بد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح ، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم ، فيقولون : مطرنا بنوء الثريا ، والدبران ، والسماك .

(٢) فى الأصول : «وغاب» وهو تحريف . وفى البيت تهكم به وتعريض لأنه يدعى «أبا النجم» .

(٣) سجال : جمع سجل بالفتح ، وهو الدلو العظيمة مملوءة . (٤) أى فلا زال الهزل والجد يسقيانه أمثال هذه السحابة فى كل مجلس به فتية . (٥) فى الأصول « فبعث إلى داود برقعة طويلة جدا يعاتبه فيها ويستجفيه ويستزيده» وكله تحريف . وتستجفيه : تنسبه إلى الجفاء ، وتعدّه جافيا . وتستزيره : تسأله أن يزورها . (٦) قراة ، مسهل عن قراءة .

إنَّ فيه منِّى البَلاءَ مُلَقًّى * ولغيرى فيه الهوَى والتَّصابى

وله الودُّ والهوى ، وعلينا * فيه للكاتبين رَدُّ الجواب

ثم ممن يا سيِّدى ؟ وإلى من ؟ * مِن هَضيم الحَشَا لَعُوبٍ كَعَاب (١)

و إلى مَنْ إنْ قلتُ فيه بِعَيب * لم أُحِط فى مقالتى بالصواب (٢)

٥ لا يُساوى على التأمّل والتفـ * ـتيش يوماً فى الناس كفَّ تراب

فقال عبد الله : وكان أبى إذا انصرف من مجلس فيه داود هذا أخذه معه ، فيمشى قُدّامه ، فإن كان فى الطريق طين أو بئر أو أذًى لَقِيَ داود شرَّه وحَذِره أبى . فمات داود . وانصرف أبى ذات ليلة وهو سكران ، فعثر بدُكّان (٣) وتلوَّث بطين ودخل فى رجله عظم ولقِىَ عنَتاً ، فقال يرثى داود :

شعره فى رثاء داود

١٠ أقول والأرضُ قد غَشَّى وجَلَّلَها * ثوبُ الدُّجَى فَهْو فوق الأرض ممدود (٤)

وسَدَّ كلَّ فُروج الجوِّ مُنْطَبِقاً * وكلُّ فَرْجٍ به فى الجوِّ مسدود

وفى الوَداع و فى الإبداء لى عَنَتٌ * دون المسير وبابُ الدار مسدود (٥)

مَن لى بداودَ فى ذى الحال يُرْشِدنى؟ * مَن لى بداود ؟ لَهفى ! أين داودُ ؟

لَهْفى على رِجْله ألّا أُقَدِّمَها * قُدَّامَ رجلى فتلقاها الجلاميدُ

١٥ (١) امرأة هضيم : لطيفة الكشحين ضامرة البطن . ولعوب : حسنة الدل . وكعاب : كعب ثديها ؛ أى نهد . (٢) فى الأصول «بعيث» «لم أخط» وهو تصحيف وفى ب ، س «من مقالى» .

(٣) الدكان : بناء يسطح أعلاه للقعود = المصطبة .

(٤) غشاها : غطاها . وجلل المطر الأرض : عمها وطبقها فلم يدع شيئا إلا غطاه .

(٥) الابداء : الابتداء ، بدأ الشيء وأبدأه : فعله ابتداء .

إذ لا أزال إذا أقبلتُ ينكُبنى * حَرْفٌ وجُرْفٌ ودُكَّانٌ وأُخدود[١]

فإن تكن شوكةٌ كانت تحُل به * أونَكتةٌ فى سواد الليل أو عودُ[٢]

أبيات له فى شاة منيع

أخبرنى عمى قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنى القاسم بن الحسن مولى جعفر ابن سليمان الهاشمى قال :

هجمتْ شاة منيع البقّال على دار ابن يسير وهو غائب ، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة ، فأكلتها كلّها ، فقال فى ذلك :

قل لبُغاة الآداب ما صنعتْ * منها إليكم فلا تُضيعُوها

وضمّنوها صُحُفَ الدّفاتر بال * حبر وحُسْنَ الخُطوط أوعوها[٣]

فإن عجزتم ولم يكن عَلَفٌ * تُسيغُه عندكم فبيعُوها[٤]

قوله فى يوسف بن جعفر وقد عربد عليه وشجه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى ابن شِبْل البُرْجُمىّ قال :

١٣٤
١٢

كان محمد بن يسير يعاشر يوسف بن جعفر بن سليمان ، وكان يوسف أشدَّ خلق الله عربدةً ، وكان يخاف لسان ابن يسير فلا يُعربد عليه . ثم جرى بينهما ذات يوم كلام على النبيذ ولِحاءٌ[٥] ، فعربد يوسف عليه وشجّه ، فقال ابن يسير يهجوه :

لا تجلسَنّ مع يوسف فى مجلسٍ * أبداً ولم تحمل دَمَ الأخَوينِ[٦]

رَيْحانُه بدم الشباب مُلَطَّخٌ * وتحيّةُ النَّدْمان لَطْمُ العَينِ

(١) الجرف (بالضم وكعنق) : ماتجرفته السيول وأكلته من الأرض . والأخدود : الحفرة المستطيلة فى الأرض . (٢) نكتة ، من نكته أى ألقاه على رأسه . (٣) أوعى الشىء فى الوعاء ووعاه : جمعه فيه . (٤) فى الأصول « يسيغها » ؛ وهو تحريف . يقال : ساغ الشراب والطعام : سهل مدخله فى الحلق ، وأساغ هو الطعام والشراب يسيغه .

(٥) لاحاه لحاء وملاحاة : نازعه وخاصمه . (٦) فى الأصول « ولا تحملا » ومع الواو لا يستقيم الوزن . ودم الأخوين = العندم = البقم : صبغ أحمر .

شعر له فى غلام

أخبرنى جعفر بن قُدامةَ قال حدّثنى الحسين بن يحيى المنجّم قال حدّثنى أبو علىّ بن الخُراسانىّ قال :

كان لمحمد بن يسير البصرىّ بابانِ يدخل من أحدهما وهو الأكبر، ويدخل إليه إخوانه من الباب الآخر وهو الأصغر، ومَنْ يَسْتَشْرِط من المُرْدِ (١). فجاء يومًا غلامٌ قد خرجتْ لحيته، كانت عادته أن يدخل من الباب الأصغر، فمرّ من ذلك [الباب]، فجعل يُخاصم لدالّته (٢)، وبلغ ابن يسير فكتب إليه :

قُلْ لِمَنْ رامَ بجَهْلٍ * مَدْخَلَ الظَّبيِ الغَرِيرِ

بعد أن عَلِّق فى خَدْ * دَيْه غِلاةَ الشَّعيرِ

ليتَه يدخل إنْ جا * ء من البابِ الكبيرِ

شعر له فى عمرو القصافى وقد عان مغنية

وأخبرنى عمّى قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنى القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال :

كنّا فى مجلسٍ ومعنا محمد بن يسير وعمرو القِصافىّ (٣)، وعندنا مغنية حسنة الوجه شَهْلة (٤) تغنّى غناء حسنا، فكنّا معها فى أحسن يوم، وكان القِصافىّ يَعين (٥) فى كل شىء يستحسنه ويحبّه، فما برحنا من المجلس حتى عانها، فانصرفتْ محمومةً شاكيةَ العين.

فقال ابن يسير :

(١) من استشرط المال، أى فسد بعد صلاح. والمرد : جمع أمرد، وهو الشاب لم تنبت لحيته.

(٢) أدل عليه وتدلل : وثق بمحبته فأفرط عليه. والاسم الدالة.

(٣) القصافى : نسبة إلى بنى قصاف، وهم بطن من العرب.

(٤) الشهلة : النَّصَف العاقلة.

(٥) عانه كباع : أصابه بعينه.

إنّ عمراً جَنَى بعينيه ذنباً * قَلّ منّى فيه عليه الدُّعاءُ

عانَ عيناً[1]، فعينُه للتى عا * ن فِدًى، وقَلّ منه الفداءُ

شرُّ عينٍ تَعِينُ أحسنَ عينٍ * تَحمِلُ الأرضُ أو تُظِلُّ السماءُ[2]

استعار حماراً من جار له فأبى عليه فقال شعراً يشكوه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنا القاسم بن الحسن قال : استعار ابن يسير من بعض الهاشميين من جيرانه حماراً كان له ليمضى عليه فى حاجة أرادها [فأبى عليه][3]، فمضى إليها ماشياً، وكتب إلى عمرو القصّافىّ — وكان جاراً للهاشمىّ وصديقاً — يشكوه إليه ويخبره بخبره :

إن كنتُ لا عَيْرَ لى يوماً يُبلِّغنى * حاجِى وأَقضى عليه حقّ إخوانى[4]

وضَنَّ أهلُ العوارِى حين أسألُهم * من أهل ودّى وخُلْصانى وجيرانى[5]

فإنّ رِجْلَيّ عندى -لا عَدِمتُهما- * رِجلا أخى ثقةٍ مُذْ كان جَوْلانى[6]

تُبلِّغانِى حاجاتى وإن بَعُدتْ * وتُدنيانِى ممّا ليس بالدانى

كأنّ خَلْفِى إذا ما جدّ جِدُّهما * إعصارَ عاصفةٍ ممّا تُثيران

رِجلاىَ لم تَأْلَمَا نَكْبًا كأنّهما[7] * قطًّا وقَدًّا وإدماجاً مَدَاكانِ

(١) عيناء : واسعة العين؛ قصر للشعر . (٢) فى الأصول : « أو تقل السماء » .

(٣) زيادة يستقيم بها الكلام . (٤) العير : الحمار، وغلب على الوحشى . حاج : جمع حاجة .

(٥) العوارى : جمع عارية، وهى ما يستعار؛ وفى الجمع والمفرد التخفيف والتشديد . وفلان خلصى، بالكسر؛ وهو الخالص المودة؛ وهم خلصانى، بالضم، يستوى فيه الواحد والجماعة . وتقول : هؤلاء خلصانى وخلصانى (كظرفاء) . (٦) فى الأصول : « جولان » وهو تحريف . يقال : رجل جولانىّ (بتشديد الياء) أى عام المنفعة للقريب والبعيد يجول معروفه فى كل أحد .

(٧) لم تألما نكبا، أى من نكب، يقال : نكب الحجر رجله أو ظفره نكبا إذا أصابها . قطا، فى الأصول « فطا » وهو تصحيف؛ والقط : القطع عرضا أو عامة . والقدّ : القطع المستطيل أو الشق طولا . والمداك، كالمدوك، وزان مبرد : مدق الطيب .

كأن ما بهما أخطو إذا ارتهيا * في سكة من أي ذاك سما كان (١)

إن تبعثا في دهاس تبعثا رهجا * أوفي حزون ذكا فيها شهابان (٢)

فالحمد لله يا عمرو الذي بهما * عن العواري وعن ذا الناس أغناني

١٣٥
١٢

قصة جلة التمر وشعره إلى والي البصرة في ذلك

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال :

كنا في حلقة التوزي (٣)، فلما تقوضت أنشدنا محمد بن يسير لنفسه قوله :

جهد المقل إذا أعطاه مصطبرا * ومكثر من غنى سيان في الجود (٤)

لا يعدم السائلون الخير أفعله * إما نوالي وإما حسن مردود (٥)

فقلنا له : ما هذا التكارم (٦)! وقمنا إلى بيته فأكلنا من جلة (٧) تمر كانت عنده أكثرها وحملنا بقيتها . فكتب إلى والي البصرة عمر بن حفص :

يا أبا حفص بحرمتنا * عن نفسا حين تنتهك (٨)

خذ لنا ثأرا بجلتنا * فيك الأوتار تدرك (٩)

(١) كذا في الأصول !! (٢) الدهاس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب . والرهج : الغبار . والحزون : جمع حزن (بالفتح)، وهو ما غلظ من الأرض . وذكت النار تذكو : اشتد لهبها . والشهاب : شعلة من نار ساطعة . وفي ب ، س : « إن يبعثاني دهاسا يبعثا » وفي جـ : « إن يبعثاني دهاث يبعثا » وهو تحريف . (٣) التوزي : نسبة إلى توز بلد بفارس ؛ وهو عبد الله بن محمد ابن هرون التوزي ، من أئمة اللغة والنحو بالبصرة ، وقرأ على الجرمي كتاب سيبويه ، وتوفي سنة ٢٣٨ هـ .

(٤) قبل هذين البيتين في « الشعر والشعراء » :

ماذا علي إذا ضيف تأوبني * ما كان عندي إذا أعطيت مجهودي

(٥) في الشعر والشعراء : « نوالا » . (٦) التكارم : التظاهر بالكرم وادعاؤه .

(٧) الجلة : وعاء من خوص . (٨) عناه : جشمه العناء وأتعبه ، وعناه أيضا : حبسه حبسا طويلا . حين تنتهك ، أي تنتهك حرمتنا . (٩) الأوتار : جمع وتر (بالكسر) وهو الثأر . تدرك : تدرك .

كَهْفُ كَفِّى حين تَطْرَحُها * بين أيدى القوم تَبْتَرِك[١]

زارنا زَوْرٌ فــلا سَــلِموا * وأُصِيبــوا أَيَّــةً سَــلَكوا[٢]

أكلوا حــتَّى إذا شَــبِعوا * أخذوا الفضلَ الذى تَركوا

قال : فبعث إلينــا فأحضرَنا فأغرَمَنا مائة درهم ، وأخذ من كلّ واحدٍ منّا جُلَّةَ تمرٍ ، ودفع ذلك إليه .

٥

قصته مع أحمد بن يوسف

أخبرنى الأخفش قال حدّثنا أبو العَيْناء قال :

كان بين محمد بن يسير وأحمد بن يوسف الكاتب شرٌّ ، فزجّه[٣] أحمد يوماً بحماره تعرّضًا لشرّه وعَبَثا به ، فأخذ ابن يسير بأُذن الحمار وقال له : قُلْ لهذا الحمار الراكب فوقك لا يُؤذى الناس ، فضحك أحمد ونزل ، فعانقه وصالحه .

قصته مع أبى عمرو المدينى وشعره فى ذلك

١٠

أخبرنى عمى قال حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى محمد بن علىٍّ الشامىّ قال طلب محمد بن يسير من آبن أبى عمرو المدينىّ فراخًا من الحمام الهُدَّاء[٤] ، فوعده أن يأخذها له من المُثَنَّى بن زُهَيْر ، ثم نَوَّر[٥] عليه (أى أعطاه فراخًا غير منسوبة دَلَّسها عليه وأخذ المنسوبة لنفسه) . فقال محمد بن يسير :

يا ربِّ رَبَّ الرائحين عشيّةً * بالقوم بين مِــنًى و بين ثَبِــيرِ[٦]

١٥

(١) الكهف : الملجأ والوزر . وابترّكت السحابة : اشتد انهلالها وألحت بالمطر .

(٢) فى الأصول « فلا سلم » والصواب من الشعر والشعراء . والزور : الزائرون .

(٣) زجه : طعنه بالزج ورماه به . والمعنى هنا صدمه . (٤) فى ب ، س « المتدى » وهو تحريف . وفى جـ «الهدى» بألف مقصورة . والهداء : ضرب من الحمام وهو ما يعرف بالزاجل . الواحد الهادى ، جاء فى المخصص ٨ : ١٧٠ « وهنّ اللاتى يدرّبن و يرفعــن من مرحل الى مرحل حتى يجئن من البعد ؛ من بلاد الروم وعريش بمصر ودون ذلك من مواضــع كثيرة مسماة ، وهى محفوظة أنسابهن ... » . (٥) نوّر عليه : لبّس عليه أمره . وأصله أن امرأة كانت تسمى « نورة » بالضم ، وكانت ساحرة ، فقيل لمن فعل فعلها قد نوّر . (٦) ثبير : جبل بمكة .

٢٠

والواقفين على الجبـال عشيةً * والشمسُ جانحـةٌ إلى التغوير (١)

حتى إذا طَفَلَ العَشِيُّ ووجَّهت * شمسُ النهـار وآذنتْ بغـئور (٢)

رحلوا إلى خَيْف نَواحلَ ضَمَّها * طُولُ السِّفارِ وبُعْـدُ كلِّ مَسير (٣)

ابْعَثْ على طير المَـدِينيِّ الذى * قال المُحَـال وجاءنى بغُـرور (٤)

ابعث على عَجَلٍ إليها بعـد ما * يأخُذْنَ زينتَهنَّ فى التحسـير (٥)

فى كل ماوَصَفُوا المراحلَ وابتدَوْا * فى المُبْتَدِين بهنّ والتكسير (٦)

ومَضَيْنَ عن دُور الخُرَيْبة زُلْفةً * دونَ القصورِ وحَجْرَة المـاخور (٧)

مع كلِّ ريح تغتـدِى بهبوبها (٨) * فى الجوِّ بين شَـواهِنٍ وصُقور

---

(١) جانحة : مائلة . وغوّرت الشمس تغويرا : غارت وغربت .

(٢) طفلت الشمس كنصر : دنت للغروب . وجهت : توجهت ، أى ولت وذهبت . وغارت غيارا وغئورا : غابت .

(٣) خيف ، يريد خيف منى ، وهو ناحية منها . والخيف ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، ومنه سمى مسجد الخيف من منى ؛ قال مجنون ليلى :

ولم أر ليلى بعـد موقف ساعة * بخيف منى ترمى جمار المحصب

وفى ب ، س : « بجيف » وهو تصحيف . رحلوا نواحل ، أى إبلا نواحل مهزولة . ورحل البعير : حط عليه الرحل . (٤) أى ابعث عليها ما يؤذيها ويهلكها .

(٥) التحسير : سقوط ريش الطائر . وانحسرت الطير : خرجت من الريش العتيق إلى الحديث .

(٦) كذا فى الأصول !! ولعله « التكثير » .

(٧) الخريبة : موضع بالبصرة يسمى البصيرة الصغرى . والزلفة : الطائفة من أول الليل . وزلف الليل : ساعات من أوله . والحجرة : الناحية ؛ يقال : قعد حجرة وحجرا بالفتح ، أى ناحية . وفى الأصول « وحرة » بالميم وهو تحريف . الماخور : مجمع أهل الفسق والفساد ، وبيوت الخمارين .

(٨) فى الأصـول « يعترى » وهـو تحريف . والشاهين : من سباع الطير ، معرب . والجمع شواهين .

من كلِّ أكلَف بات يَدْجنُ ليلُه * فغدا بغُـدْوةِ[1] ساغبٍ ممطور
ضَرِمٍ يقلِّب طَـرْفَه متأنِّسـا[2] * شيئًا فكُنّ له من التقـــدير
يأتى لهنّ ميَـامِنًا ومَيَـاسرًا * صَـكًّا بـكل مُزَلَّقٍ مَمْكُـورِ[3]
من طائرٍ متحيِّرٍ عن قصـدِه * أو ساقطٍ خَلِجِ[4] الجَناح كَسير
لم ينجُ منه شرِيدُهن فإنْ نجا * شىءٌ[5] فصار بِجانبـات الدّور
لمُشَمَّرين[6] عن السواعد حُسَّرٍ * عنهـا بكل رَشيقة التَّوتـــير
سُدُدِ الأكُفِّ إلى المقاتِلِ صُيَّبٍ * سَمْتَ الحُتوفِ[7] بجُوجُؤٍ ونُحور

(١) فى الأصول « فغدا بعدوة » وهو تصحيف . والكلفة بالضم : لون بين السواد والحمرة . والدجن بالفتح : إلباس الغيم أقطار السماء ، يقال : دجن يومنا كنصر وأدجن إذا أضب فأظلم . والغدوة : البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . والساغب : الجائع . والممطور الذى أصابه المطر.

(٢) ضرم كفرح : اشتد جوعه ، وضرم فى الطعام : جدّ فى أكله لا يدفع شيئا منه . وفى الأصول « متناسيا » ؛ وهو تحريف ، وتأنس البازى نظر رافعا رأسه وطرفه . وفى الأصول أيضا : « فكان له » ؛ وهو تحريف ، والتصحيح عن الحيوان للجاحظ (٥ : ٢٣٤) .

(٣) فى الأصول : « يأتى بهن » والتصويب من الحيوان . وصكه : ضربه شديدا . وبكل مزلق ، أى بكل منقار أو مخلب مزلق ، من زلق الحـديدة : أدمن تحديدها . والممكور : المصبوغ بالمكر أى المغرة (بفتح الميم فيهما) وهى حمراء أى كأنه مصبوغ بها . وفى الحيوان « مذاق مطرور » وذلق السكين : حدّده ، والمطرور : المحدّد أيضا .

(٤) خلج كفرح : اشتكى لحمه وعظامه من عمل يعمله ، أو من طول مشى وتعب .

(٥) فى الأصول « شيئا » وهو تحريف . جانبات : جمع جانبة ، والجانب : الغريب .

(٦) لمشمرين ، أى هذه الشواهين والصقور لصيادين مشمرين ؛ وحسر : جمع حاسر ؛ يقال : حسره كنصر وضرب اذا كشفه ؛ وتر القوس توتيرا : شد وترها . والرشـيق من الغلمان والجوارى : الخفيف الحسن القد اللطيفه ، وناقة رشيقة : خفيفة سريعة . و يقال للقوس ما أرشقها أى ما أخفها وأسرع سهمها . والرشـق محركة : القوس السريعة السهم الرشيقة . وفى البيان والتبين (ج ٣ : ص ٣٦) : « دقيقة التوتير » .

(٧) فى الأصول « الجيوف » ، وهو تصحيف . سدد : جمع سديد ، وصاب يصيب (كيصوب) صيبا : أصاب ، فهو صائب ، والجمع صيب . وسهم صيوب كغيور والجمع صيب كعنق . والسمت : الطريق والمذهب والقصد : والجؤجؤ : الصدر .

ليس الذى تُخطِى يداه رَمِيَّةً * منهم بمعدودٍ ولا معذور[1]
يَتبوّعون وتمتطى أيديهم * فى كل مُعْطِية الجِذاب نَتُور[2]
عُطُفَ السِّيات دوائرًا فى عِطْفها * تُعزَى صِناعتُها إلى عُصفور[3]
يَنفُذْن عن جَذْب الأكُفّ ثواقبًا * مُتَشابهاتِ القَدّ والتدوير[4]
تجرى بها مُهَجُ النفوس وإنّها * لَنواصلٌ سُلْتٌ من التّحبير[5]
ما إن تَقصُر عن مَدًى مُتباعِدٍ * فى الجوّ يَحسُر طَرْفُ كلّ بصير[6]
حتّى تراه مُزَمَّلًا بدمائه * فكأنه مُتضمِّخٌ بِعَبير[7]
فيَظَلّ يومُهم بعيشٍ ناصبٍ * نُصُبَ المَراجِل مُعجِلِى التنوير[8]

---

(١) الرمية : الصيد الذى ترميه . وفى الحيوان والبيان والتبيين : «... تشوى ... * فيهم بمعتذر» يقال : رمى فأشوى : إذا أصاب الأطراف ولم يصب المقتل . (٢) تبوّع : مدّ باعه ومَلأ ما بين خطوه . وفى الأصول : «يتسرعون ... * فى كل طائفة الجدار بتور» وهو تحريف . والتصحيح عن الحيوان . وقوس معطية : لينة ليست بكزة ولا ممتنعة على من يمدّ وترها . والجذاب : المجاذبة . والنتور : الشديدة الجذب . (٣) سية القوس : ما عطف من طرفيها . وعطف : جمع عطوف . وقوس عطوف كصبور ومعطفة وعطفى ومعطوفة ، أى عطفت سيتها عليها عطفا شديدا . وعطف القوس بالكسر : سيتها . وعصفور : جاء فى الحيوان ٥ : ٢٣٣ «وعصفور القواس : إليه تضاف القسىّ العصفورية ، وقد ذكره ابن يسير حين دعا على حمام بالشواهين والصقور والسنانير والبنادق» .

(٤) فى الأصول : «عن حدب» وهو تصحيف . وثواقبا : فى جـ «ثواقبا» بالثاء ، وفى ب ، س «نواقبا» بالنون ، وكلاهما صحيح ، أى سهاما ثواقب تثقب الرمية وتنفذ فيها ، أو نواقب تنقب الهدف وتخرقه . (٥) فى ب ، س : «لنواضل» وهو تصحيف . ومهج : جمع مهجة ، وهى الدم . ونواصل جمع ناصل ، وسهم ناصل : ذو نصل ، وسهم ناصل أيضا . سقط منه نصله ، ضد . وحبرت الشىء تحبيرا : حسنته ، وسهم محبر : حسن البرى . وسلت : جمع أسلت ، وهو فى الأصل : الرجل الذى أوعب جدع أنفه . يريد به هنا السهم الذى أجيد بريه وأزيل ما فيه من نتوء .

(٦) مدى متباعد : أى مدى طائر متباعد . حسر البصر (لازما) كجلس : كل وانقطع من طول مدى ، وحسر العينَ بُعْدُ ما حدّقت إليه (متعديا كنصر) : أكلّها .

(٧) زمله : لفه . وتضمخ بالطيب : تلطخ . والعبير : الزعفران أو أخلاط من الطيب .

(٨) فيظل يومهم : إسناد مجازى ؛ أى فيظلون فى يومهم . عيش ناصب : فيه نصب وكد وجهد ؛ المراجل : جمع مرجل كمنبر ، وهو القدر يطبخ فيها . نصب المراجل : أى قد نصبوا المراجل وأقاموها لطبخ ما صادوه من الطيور . والتنوير : الإنارة ، ويريد إيقاد النار .

ويَشُوب ناجيهن بين مُضَرَّجٍ * بدمٍ ومخلوبٍ إلى مَنْسورِ (١)

عارِى الجَناحِ من القوادمِ، والقرا * كاسٍ، عليه مائرُ التأمورِ (٢)

فيئُوده متبهنسٌ فى مشيه * خَطِفُ المؤخَّرِ مُشبَعُ التصديرِ (٣)

ذو حُلْكةٍ مثلِ الدُّجى أو غُبْثةٍ * شَغِبٌ شديدُ الجِدِّ والتشميرِ (٤)

فيمرُّ منها فى البَرارِى والقُرى * من كلِّ أَعْصَلَ كالسِّنانِ هَصورِ (٥)

فى حينِ تُؤذيها المَبايتُ مَوْهِنًا * أو بعد ذلك آخرَ التسحيرِ (٦)

يختصُّ كلَّ سليلِ سابقِ غايةٍ * مَحْضِ النِّجار مُجرَّبٍ مَخْبورِ (٧)

---

(١) فى الأصول « بيسور » وهو تصحيف . ومضرج : ملطخ . خلبه بظفره كضرب ونصر : جرحه أو خدشه أو قطعه . منسور : النسر : نتف البازى اللحم بمنسره أى بمنقاره ، نسر اللحم كضرب ونصر : نتفه . (٢) فى الأصول : « ما يرى التامور » وهو تحريف . والقوادم : عشر ريشات فى مقدم كل جناح . القرا : الظهر . والتامور والتأمور : الدم؛ ومار الدم يمور : إذا جرى ، أى إن القرا ، قد كُسى بالدم المائر . وفى الحيوان « بصائر التامور » والبصائر جمع بصيرة وهى الدفعة من الدم . (٣) أخذ يدعو على ما بقى من الحمام أن يقع بين مخالب السنانير . جاء فى الحيوان للجاحظ فى « وصف السنور بصفة الأسد » ٥ : ٢٧١ « قال ابن يسير فى صفة السنور فوصفه بصفة الأسد . فى دعائه على حمام ذلك الجار حين انتهى إلى ذكر السنور :

وخبعثن فى مشيه متبهنس * خطف المؤخر كامل التصدير

الخبعثن (كقذ عمل) : الأسد ؛ أراد به السنور ، والمتبهنس : المتبختر . وفى الأصول : « متيقن » وهو تحريف . وآده يئوده : عطفه ، يعنى فيمسكه . والخطف (ككتف وعنق) : الضمر وخفة لحم الجنب . و إخطاف الحشا : انطواؤه ، والوصف منه : مخطف الحشا (بفتح الطاء) وأخطف الحشا ومخطوفه ، أى ضامره . أما الوصف « بخطف » كما فى البيت فلم يرد فى كتب اللغة . (٤) الحلكة : شدة السواد . والدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة . والغبثة (والبغثة) : لون إلى الغبرة . وشغبهم و بهم وعليهم كمنع وفرح : هيج الشر عليهم ، وهو شغب . وفى الأصول « شديد الحد والتيسير » وأراه « والتشمير » لأنه المناسب للجد . وفى الحيوان :

متسربل ثوب الدجى أو غبثة * شسيت على متنيه بالتنمير

(٥) ناب أعصل : معوج شديد . وفى ب ، س « أعبل » وفى جـ « أعضل » وهو تحريف . وهصور : كاسر . (٦) الموهن (والوهن) : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه .

(٧) سليل : ولد . والنجار بالكسر والضم : الأصل . والمحض من كل شىء : الخالص . ومخبور : مختبر .

عَجِّل عليه بما دعوتُ له به * أَرِه بذاك عقوبة التنوير
حتى يقولَ جميعُ مَنْ هو شامِتٌ * هٰذى إجابةُ دعوة آبنِ يسير
فَلأَلْقِيَنَّك عند حالَىْ حَسْرةٍ * وتأسُّفٍ وتَلَهُّفٍ وزَفير
وَلَتُلْفَيَنَّ إذا رَمَتْك بسهمها * أيدى المصائب منك غيرَ صبور

٥ أخبرنى عمّى قال حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال :

قوله فى قصر خرب

خرجنا مع بعض ولد النُّوشَجَانىّ[1] إلى قصرٍ له فى بستانهم بالجَعْفَرِيَّة[2] ، ومعنا محمد ابن يسير ، وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن ، فإذا هو قد خَرِب واختلّ ، فقال فيه محمد بن يسير :

١٠ ألا يا قصرَ قصرَ النُّوشَجَانِى * أرى بك بعد أهلِكَ ما شجانى[3]
فلَوْ أعفى البلاءُ ديارَ قومٍ * لفضلٍ منهمُ ولعُظْمِ شانِ
لَمَا كانت تُرَى بك بيِّناتٍ * تلوح عليك آثارُ الزمانِ

١٣٧/١٢

قوله فى رثاء نفسه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنا محمد بن أبى حرب قال أنشدنا يومًا محمد بن يسير فى مجلس أبى محمد الزاهد صاحب الفُضَيْل بن عِياض ١٥ لنفسه قال :

وَيْلٌ لِمَنْ لم يرحمِ اللهُ * ومَن تكونُ النارُ مَثواهُ
وَاغَفلَتَا فى كلّ يومٍ مضى * يُذْكِرُنى الموتَ وأنساه
مَن طال فى الدنيا به عمرُه * وعاشَ فالموتُ قُصَاراه[4]

(١) نسبة إلى نوشجان ، وهى مدينة بفارس . (٢) الجعفرية : محلة كبيرة فى الجانب الشرقى من بغداد . (٣) شجانى : أحزننى . (٤) قصاراه : غايته .

كأنّه قد قيل فى مجلسٍ * قد كنتُ آتيهِ وأغْشاه
محمــدٌ صــارَ إلى ربّهِ * يَــرْحَمُنــا الله وإيّاهُ

قال : فأبكى والله جميع مَنْ حضر .

قصته مع داود بن أحمد بن أبى دواد

أخبرنى الحسن بن علىّ وعمّى قالا حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنى أبو الشِّبْل قال :

كان محمــدُ بن يسير صديقًا لداود بن أحمد بن أبى دُوَاد[1] كثيرَ الغِشْيانِ له ففقــده أهلُه أيّامًا وطلبوه فلم يجدوه ، وكان مع أصحابٍ له قــد خرجوا يتنزّهــون فجاءوا إلى داود بن أحمد يسألونه عنه ، فقال لهم : اطلبوه فى منزل «حُسْن» المغنّيــة فإن وجدتموه وإلا فهو فى حبس أبى شُجَاع صاحب شُرْطة «خُمَار» التركى . فلما كان بعد أيامٍ جاءه ابن يسير فقال له : إيهٍ[2] أيها القاضى ، كيف دَلَلْتَ علىّ أهلى ؟ قال : كما بلَغَك ، وقد قلتُ فى ذلك أبياتا . قال : أَوَ فعلتَ ذلك أيضا ؟ زِدْنى من بِرّك ، هات ، أَيْش[3] قلتَ ؟ فأنشده :

ومُرسِلةٍ تُوجِّــهُ كلَّ يومٍ * إلىَّ وما دعا للصــبح داعى
تُسائلنى وقــد فَقَــدوه حتّى * أرادوا بعــده قَسْمَ المَتَاعِ

(١) لعله «دواد» اسم جده . (٢) إيه : كلمة استزادة واستنطاق . (٣) جاء فى كتاب « معانى القــرآن للفراء » (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية) : « ومما كثر فى كلام العرب فحــذفوا منه أكثر من ذا (يشير الى حذف الألف من بسم الله) قولهم : أيش عندك ، فحذفوا إعراب « أى » وإحدى ياءيه ، وحذفت الهمزة من « شىء » وكسرت الشين » . وجاء فى المصباح المنــير فى مادة شيأ : « وقالوا : أى شىء ، ثم خففت الياء وحذفت الهمزة تخفيفا وجعلا كلمة واحدة فقيل : أيش ، قاله الفارابى » وجاء فى شفاء الغليل ص ١٥ : « أيش : بمعنى أى شىء خفف منه ، نص عليه ابن السيد فى شرح أدب الكاتب ، وصرحوا بأنه سمع من العرب » وفيه أيضا : « قال السهيلى : وأيش فى معنى أى شىء كما يقال ويلمه فى معنى ويل لأمه ، على الحذف لكثرة الاستعمال » .

أقول : وقد جاء فى الأغانى (ج ٢ : ص ٣٦ من هذه الطبعة) قال مجنون ليلى :

قالت جننت على أيش فقلت لها * الحب أعظــم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وإنما يصرع المجنون فى الحين

إذا لم تَلْقَه فى بيت «حُسْنٍ» * مقيمًا للشراب وللسماع

ولم يُرَ فى طريق بنى سَدُوس * يَخُطُّ الأرضَ منه بالكُراعِ[1]

يدُقُّ[2] حُزونَها بالوجه طَوْرًا * وطَوْرًا باليدين و بالذِّراع

فقد أعياك مَطْلَبُه وأمسى * (فلا تَغْلَط) حَبِيسَ أبى شُجاعِ

٥ قال : فجعل ابن يسير يضحك و يقول : أيّها القاضى لو غيرُك يقول لى هذا لعرَف خبرَه. ثم لم يبرح ابن يسير حتى أعطاه داود مائتى درهم وخلَع عليه خِلْعةً من ثيابه .

أبيات له فى الحكم

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا ابن مَهْرُويه قال : حدّثنى علىُّ بن القاسم طارمةُ قال : كنت مع المعتصم لمّا غزا الروم ، فجاء بعض سَرَاياه[3] بخبر عمّه[4] ، فركب من فَوْره وسار أجَدَّ سيرٍ وأنا أُسايره ، فسمع مُنْشِدًا يتمثّل فى عسكره :

١٠ إنّ الأمور إذا انسدَّتْ مَسالكُها * فالصبرُ يَفْتح منها كلَّ ما ارْتُتِجا[5]

لا تيأسَنّ وإنْ طالتْ مُطالبَةٌ * إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترى فَرَجا

فسُرّ بذلك وطابت نفسه ، ثم التفتَ إلىّ وقال لى : يا علىُّ أتَروى هذا الشعر؟ قلت نعم . قال : من يقوله؟ قلت : محمد بن يسير . فتفاءل باسمه ونسبه ، وقال : أمر محمود وسير سريع يعقُب هذا الأمرَ . ثم قال : أنشِدْنى الأبيات ، فأنشدتُه قوله :

١٣٨ / ١٢

١٥ ماذا يكلِّفُكَ الرَّوْحاتِ والدُّلَجَا * البَرَّ طورًا وطورًا تركَبُ اللُّجَجا[6]

(١) الكراع من الإنسان : ما دون الركبة إلى الكعب . (٢) فى الأصول : « يدف » بالفاء ، تصحيف . (٣) سرايا : جمع سرية كقضية ، وهى قطعة من الجيش ، من خمسة أنفس إلى ثلثمائة أو أربعمائة . (٤) هو إبراهيم بن المهدى ، وخبره هو خروجه على المأمون .

(٥) رتج الباب وأرتجه : أغلقه إغلاقا وثيقا . وارتتج : استغلق .

٢٠ (٦) الروحات : جمع روحة وهى المرة من الرواح ؛ يقال راح رواحا إذا سار أو عمل فى الرواح وهو العشىّ . والدلج : جمع دلجة بالضم والفتح وهى : السير من أوّل الليل . وفى لسان العرب : « الدلجة بالضم : سير السحر ، والدلجة بالفتح : سير الليل كله . و يقال : خرجنا بدلجة ودلجة : إذا خرجوا فى آخر الليل » . واللجج : جمع لجة ، وهى معظم الماء .

كَمْ مِن فتًى قَصُرَتْ فى الرِّزق خُطْوتُه * ألفيتَه بسِهام الرزق قد فَلَجا (١)

لا تَيأَسَنَّ و إنْ طالَتْ مُطالبَةٌ * إذا استعنْتَ بصبرٍ أن ترى فَرَجا

إنّ الأمور إذا انسَدَّتْ مَسالِكُها * فالصبرُ يفتح منها كُلَّ ما ارتَتَجا

أَخْلِقْ بذى الصبرِ أن يَحْظَى بحاجته * ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبواب أن يَلِجا

فاطْلُبْ لرِجلك قبل الخَطْوِ مَوْضِعَها * فمَنْ عَلا زَلَقًا عن غِرَّةٍ زَلَجا (٢)

ولا يَغُرَّنْك صَفْوٌ أنت شارِبُه * فربّما كان بالتكدير مُمْتَزِجا

لا يُنتَجُ النّاسُ إلا من لِقاحِهِمُ * يبدو لِقاحُ الفتى يومًا إذا نُتِجا (٣)

أبيات له فى وصيفة بخرته وطيبته

أخبرنى عيسى بن الحسين والحسن بن علىّ وعمّى قالوا : حدّثنا محمد بن القاسم ابن مهرويه قال : حدّثنى أبو الشِّبْل قال :

كنّا عند قُثَم (٤) بن جعفر بن سليمان ذاتَ يومٍ ومعنا محمد بن يسير ونحن على شرابٍ ، فأمر أن نُبَخَّر ونُطَيَّب (٥) . فأقبلتْ وَصيفةٌ له حسنةُ الوجه ، فجعلتْ تبخِّرنا وتُغَلِّفنا بغالِيةٍ (٦) كانت معه . فلما غلَّفت ابنَ يسير وبخَّرته التفتَ إلىّ — وكان إلى جنبى — فأنشدنى :

يا باسطًا كفَّه نَحْوِى يُطَيِّبُنى * كفّاكَ أطيبُ يا حِبّى من الطِّيب

(١) فلج كنصر : ظفر وفاز . (٢) فى أشعار الخماسة « قدّر لرجلك » . علا زلقا : أى مكانا زلقا . وهى فى الأصل مصدر . وفى جـ « على زلقا » وفى ب ، س : « على زلق » وهو تحريف . الغرة : الغفلة . زلج : زل وزلق . (٣) يقال : نتجت الناقة (بالبناء للجهول) إذا ولدت ، فإذا وليها الإنسان حتى تضع قيل نتجها نتجا كضرب . واللقاح : اسم ماء الفحل من الإبل والخيل ، وهو فى اللسان والقاموس بالكسر . وفى النهاية بالفتح ، وفى المصباح : والاسم اللقاح بالفتح والكسر . (٤) فى جـ « قيم » وفى ب ، س : « قاسم » تحريف . (٥) فى الأصول : « يبخر و يطيب » تصحيف . (٦) الغالية : أخلاط من الطيب وغلف لحيته بالطيب والغالية والحناء : لطخها .

كفَّاكَ يجرى مكانَ الطيبِ طِيبُهما * فلا تَرُدَّنى عليها عند تطييبى

يا لائمى فى هواها أنتَ لم ترها * فأنتَ مُغْرًى بتأنيبى وتعذيبى

أُنْظُرْ إلى وجهها، هل مِثلُ صورتها * فى الناس وجهٌ مُجَلًّى غيرُ محجوب؟

فقلت له: اسكت ويلكَ! لا، تُصْفَعُ والله وتُخْرَجُ. فقال: والله لو وثقتُ بأنْ نُصْفَعَ جميعًا لأنشدتُه الأبيات، ولكنى أخشى أن أُفْرَدَ بالصَّفْع دونك.

٥

أبيات له فى أهل الجدل

أخبرنى عيسى بن الحسين قال: حدّثنا الكُرَانىُّ قال: حدّثنا الرِّياشى قال: كان محمد بن يسير جالسًا فى حَلْقتنا فى مسجد البَصْرة، وإلى جانبنا حَلْقةُ قومٍ من أهل الجَدَل يتصايحون فى المقالات والحجج فيها، فقال ابن يسير: اسمعوا ما قلت فى هؤلاء، فأنشدَنا قوله:

١٠

يا سائلى عن مقالة الشِّيَعِ * وعن صنوف الأهواء والبِدَعِ

دَعْ عنك ذِكْرَ الأهواء ناحيةً * فليس ممن شَهِدتُ ذو وَرَعِ

كلُّ أُناسٍ بَدْءُهم حَسَنٌ * ثم يصيرون بعدُ للشَّنَع

أكثرُ ما فيه أن يقالَ لهم: * لم يك فى قوله بمُنْقَطِعِ

قوله فى استغنائه عن تدوين ما يسمعه

أخبرنى عيسى بن الحسين قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثنى محمد بن علىّ الشامىُّ قال:

١٥

كان محمد بن يسير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شىء يسمعه؛ من ذلك قوله:

إذا ما غدا الطُّلَّابُ للعلم ما لهم * من الحظّ إلا ما يُدَوَّن فى الكُتُبِ

١٣٩
١٢

غَدَوْتُ بتشمير وجِدٍّ عليهمُ * فمَحْبَرَتى أُذْنى ودفترُها قلبى (١)

بيتان من الشعر الحكمى

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى إبراهيم بن المدبِّر (٢) قال :

كان إبراهيم بن رِيَاح إذا حَزَبه (٣) الأمر يقطعه بمثل قول محمد بن يسير :

تُخْطِى النفوسُ مع العِيا * نِ وقد تُصيب مع المَظِنَّهْ

كم من مَضِيقٍ فى الفضا * ءِ ومَخْرَجٍ بين الأسِنَّهْ

وله فى نعل خلق له

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى الحسن بن أبى السَّرِىّ قال :

مرّ ابن يسير بأبى عثمان المازنىّ فجلس إليه ساعة، فرأى مَنْ فى مجلسه يتعجّبون من نعل كانت فى رجله خَلَقٍ (٤) وَسِخةٍ مقطّعة، فأخذ ورقةً وكتب فيها :

كم أرى ذا تعجُّبٍ من نِعالى * ورضائى منها بلُبْسِ البَوَالى

كلُّ جَرْداء قد تكنّفها * من أقطارها بسود النِّقال (٥)

لا تُدانِى، وليس تُشْبِه فى الخِلْـ * ـقة إن أُبرزَتْ، نِعالَ المَوالى

(١) جاء فى المصباح المنير : «فى المحبرة لغات : أجودها محبرة بفتح الميم والباء ، والثانية محبرة بضم الباء ، مثل مأدبة ومأدبة ، والثالثة محبرة بكسر الميم وفتح الباء لأنها آلة» .

(٢) المدبر بفتح الباء ، والضبط عن كتاب المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى ص ٤٧٢ طبع أوربة .

(٣) حزبه الأمر ، نابه واشتدّ عليه وضغطه .

(٤) فى الأصول « خلقة » ؛ وهو تحريف . جاء فى لسان العرب : « شىء خلق : بال ، الذكر والأنثى فيه سواء ، لأنه فى الأصل مصدر الأخلق وهو الأملس . يقال : ثوب خلق ، وملحفة خلق ، ودار خلق ، و يقال : جبة خلق بغير هاء ، ولا يجوز : جبة خلقة . قال اللحيانى : قال الكسائى : لم نسمعهم قالوا : خلقة فى شىء من الكلام » .

(٥) هكذا ورد البيت فى الأصول ! !

مَن يُغالِ من الرجال بنَعْلٍ * فسِواىَ إذًا بهنّ يُغالى (1)

لو حَذاهنّ للجَمالِ فإنّى * فى سواهنّ زينتى وجَمالى (2)

فى إخائى وفى وفائى ورأيى * ولسانى ومَنطِقى وفَعالى (3)

ما وقانى الحَفا وبلّغنى الحا * جةَ منها فإننى لا أُبالى

قوله وقد أخذ منه قثم بن جعفر ألواح آبنوس بعد أن أسكره

٥ أخبرنى عمّى قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى عبد الله بن محمد بن يسير قال : (4)

دعا قُثَم بن جعفر بن سليمان أبى فشرب عنده، فلما [سَكِر] سرَق منه ألواح آبنُوس كانت تكون فى كمّه، فقال فى ذلك : (5) (6)

عينُ بَكّى بعَبْرةٍ تَسْفاحِ * وأقيمى مآتِمَ الألواحِ (7)

١٠ أوحشتْ حُجْزتى ورُدْناىَ منها * فى بُكُورى وعند كلّ رَواحِ (8)

واذكُريها إذا ذَكَرتِ بما قد * كان فيها من مَرْفِقٍ وصَلاحِ (9)

---

(1) فى الأصول « يغالى » وهو فعل الشرط ، وحذف الياء لا يخل بالوزن ، وفيه كف كما فى أوّل الشطر الثانى .

(2) فى الأصول « حداهن » تصحيف . وحذا النعل : قدّرها وقطعها . يريد : لو فصلهن واقتناهن للتجمل والزينة .

١٥ (3) فى الأصول « فى إخاء وفى وفاء » والفعال : اسم الفعل الحسن، والكرم .

(4) فى الأصول « محمد بن عبد الله بن بشير » .

(5) فى الأصول « إلىّ » تحريف .

(6) تكملة يقتضيها السياق .

(7) فى الأصول « عين بلى » ... ... « مآتم الأنواح » وهو تحريف .

(8) ورد هذا البيت فى ب ، س هكذا :

٢٠ أوحشت جحرتى وردّ أناتى * منها فى بكور وعنه كل رواح

وكله تحريف . وفى جـ بأقل من هذا التحريف . وقد صححته كما ترى . والحجزة : معقد الإزار . والردن : أصل الكم .

(9) المرفق من الأمر (كمجلس ومنبر) : ما ارتفقت وانتفعت به .

آبنُوسٌ دَهْماءُ حالِكةُ اللَّوْ * ن لُبَابٌ من اللِّطاف المِلاحِ (١)

ذاتُ نفع خفيفةُ القَدْرِ والمَحْ * مِلِ حُلْكُوكَةُ الذُّرَا والنواحى (٢)

وسريعٌ جُفُوفُها إنْ محاها * عند مُمْلٍ مُستعجِلُ القوم ماحِى (٣)

هى كانت على [عُلومِىَ] والآ * دابِ والفقهِ عُدَّتى وسِلاحى (٤)

كنت أغدو بها على طلب العلـ * ـم إذا ما غَدوتُ كلَّ صباح

هى كانت غِذاءَ زَوْرِى إذا زا * رَ، ورِىَّ النديم يومَ اصطباحى (٥)

— يعنى أنه يعمل فيها الشعر ويطلب لزوّاره المأكول والمشروب —

آبَ عُسْرِى وغابَ يُسْرِى وجُودِى * حين غابتْ وغاب عنِّى سَماحِى

هجاؤه أحمد بن يوسف

أخبرنى محمد بن خَلَف وكِيعٌ قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثنا عبد الله ابن أحمد قال:

كان محمد بن يسير يُعادى أحمد بن يوسف، فبلغه أنه يتعشّق جاريةً سوداء مغنِّية، فقال ابن يسير يهجوه:

١٤٠ / ١٢

أقولُ لمّا رأيتُه كَلِفًا * بكلِّ سوداءَ نَزْرةٍ قَذِرَهْ (٦)

أهْلًا لعمرى لِمَا كَلِفتَ به * عند الخنازيرِ تَنْفُق العَذِرَهْ (٧)

---

(١) فى الأصول: «وهما»؛ تحريف. والدهماء: السوداء. ولباب كل شىء ولبه: خالصه وخياره.

(٢) الحلكة بالضم: شدّة السواد، وهو حالك وحلكوك كعصفور.

(٣) فى ب، س: «جفونها» وفى جـ «خفوتها» تحريف.

(٤) زيادة يقتضيها المقام. (٥) الزور: الزائرون.

(٦) كلفا: مولعا، وامرأة نزور ونزرة (بكسر الزاى وسكن هنا للشعر): قليلة الولد أو قليلة اللبن.

(٧) تنفق: تروج. والعذرة: الغائط.

أخبرني وكيع قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنا أبو العواذل قال : عُوتِبَ محمدُ بن يسير على حضور المجالس بغير ورق ولا مَحْبَرة ، وأنه لا يكتب ما يسمعه ، فقال :

ما دخلَ الحَمَّامَ من عِلْمِى * فذاكَ ما فازَ به سَهْمِى (١)

والعِلْمُ لا ينفعُنى جَمْعُه * إذا جَرَى الوهمُ على فهمى

قوله فى ألواح الآبنوس أيضا

أخبرني علىّ بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : كان محمدُ بن يسير يُعاشر ولدَ جعفر بن سُلَيمان ، فأخذ منه قُثَمُ بن جعفرٍ ألواحَ آبَنُوس كان يكتب فيها بالليل ؛ فقال ابن يسير فى ذلك :

أبقتِ الألواحُ إذْ أُخِذَتْ * حُرْقةً فى القلب تَضْطَرِمُ

زانَها قَصّانِ من صَدَفٍ * واحْمِرارُ السَّيْرِ (٢) والقَلَمُ

وتَولَّى أخذَها قُثَمٌ * لا تَولَّى نفعَها قُثَمُ

شعره إلى بعض الهاشميين وقد جفاه

أخبرني الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : كان محمد بن يسير يُعاشر بعض الهاشميين ، ثم جفاه الهاشمىّ لِمَلالٍ كان فيه فكتب إليه ابن يسير قوله :

قدكنتُ مُنْقبِضًا وأنتَ بَسَطْتَنى * حتى انبسطتُ إليك ثم قَبَضْتَنى

أَذْكَرْتَنى خُلُقَ النِّفاق وكان لى * خُلُقًا فقد أحسنتَ إذ أذْكَرْتَنى

لودَامَ وِدّك وانبسطتُ إلى امرئٍ * فى الودّ بعدكَ كنتَ أنتَ غَرَرْتَنى

فَهلُمَّ نَجْتَنِبِ التَّذاكُرَ بيننا * ونعودُ بعدُ كأنّنا لم نَفْطَنِ (٣)

(١) أى ما دخل معى الحمام من علمى ؛ وذلك أن المرء إذا دخل الحمام تجرّد من ثيابه وكتبه وغيرها ولكنه لا يتجرّد من علمه ، يريد أن علمه محفوظ فى صدره . (٢) السير : ما قدّ من الجلد طولا .
(٣) فطن إليه وله ، كفرح ونصر وكرم : فهم .

شعره وقد أفاق من سكر

أخبرنى أحمد بن العبّاس العسكرىّ قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِىّ قال : حدّثنا مسعود بن يسير قال :

شَرِب محمد بن يسير نبيذًا مع قومٍ فأسكروه، حتى خرج من عندهم وهو لا يعقِل فأخذ رداءه وعثَر فى طريقه وأصاب وجهَه آثار؛ فلما أفاق أنشأ يقول :

شاربتُ قومًا لم أُطِقْ شُرْبَهمْ * يَغْرَقُ فى بَحْرِهمُ بَحْرى
لمّا تَجارَيْنا إلى غايةٍ * قصّر عن صَبْرِهمُ صبرى
خرجتُ من عندهمُ مُثْخَنًا[1] * تَدْفعُنى الجُدْرُ إلى الجُدْرِ
مُقَبَّحَ المَشْى كَبيرَ الخُطَا * تَقْصُر عند الجدّ عن سَيْرى[2]
فلستُ أنسَى ما تجشّمت مِنْ[3] * كَدْحٍ ومن جُرْحٍ ومن أَثْرِ[4]
وشَقِّ ثوبٍ وتَوَى آخرٍ[5] * وسَقْطةٍ بانَ بها ظُفْرى

حدّثنى عمّى وجَحْظة عن أحمد بن الطيب قال : حدّثنا بعضُ أصحابنا عن مسعود بن يسير، ثم ساق الخبر مثلَه سواءً .

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال : حدثنى أبو العَيْناء قال :

اجتمع جُعَيفرانُ المُوَسْوِس ومحمد بن يسير فى بُسْتان، فنظر إلى محمد بن يسير وقد انفرد ناحيةً للغائط، ثم قام عن شىء عظيم خرج منه، فقال جعيفران :

قد قلتُ لابن يَسيرٍ * لمّا رَمى من عِجانه[6]

(١) أثخنه : أوهنه بالجراحة وأضعفه . (٢) فى الأصول :
« مقبح المشى كثير الخطا * يقصر عند الجدّ عن مرى »
(٣) فى الأصول « ما نحبى : من » وهو تحريف والوزن غير مستقيم؛ وقد صححته كما ترى .
(٤) الكدح : كل أثر من خدش أو عض . وقيل : الكدح أكبر من الخدش . والأثر : أثر الجرح يبقى بعد البرء . (٥) توى كفرح توى : هلك . وفى ب، س «وثور وأخذ» وفى ج : «وثوى أخذ» وهو تحريف . (٦) العجان : الاست .

١٤١
١٢

في الأرض تَـلٌّ سَمادٍ * عَـلَا عـلى كُثْبانه(١)
طُوبَى لصاحب أرض * خَـرِئْتَ في بُسـتانه

قال : فجعل ابن يسير يشتُم جعيفران ويقول : أيَّ شيء أردتَ مني يا مجنونُ يابن الزانية حتى صيَّرتني شُهرةً(٢) بشعرك ! !

٥ أخبرني جحظة قال : حدّثني سوار بن أبي شُراعة قال : حدّثني عبدالله بن محمد ابن يسير قال :

شعره إلى والى البصرة يستسقيه نبيذا

كان أبي مشغوفًا بالنبيذ مشتهرًا بالشُّرْب ، وما بات قـطُّ إلّا وهو سكران ، وما نَبَذَ قَطُّ نبيذًا ، وإنمـا كان يشرَبه عنـد إخوانه ويستسقيه منهـم ، فأصبحنا بالبَصْرة يومًا على مطرٍ هادٍّ(٣) ، ولم تُمكِنْه معه الحركة إلى قريبٍ من إخوانه ولا بعيد

١٠ وكاد يُجَنُّ(٤) لمـا فقـد النبيذَ . فكتب إلى والى البَصْرة وكان هاشميًّا ، وهو محمد بن أيُّوب بن جعفر بن سُلَيْمان قال :

كَمْ في عِـلاجِ نَبيذِ التمرِ لى تَعَبٌ * الطبـخُ والدَّلْكُ والمِعْصارُ والعَكَرُ(٥)
وإنْ عَدَلْتُ إلى المطبوخ مُعْتَمِدًا * رأيْتَنى منـه عنـد الناسِ أشتَهِرُ(٦)
نَقْلُ الدِّنانِ إلى الجيران يَفْضَحُنى * والقِدْرُ تتركنى في القوم أعتـذِرُ

١٥ فصِرْتُ في البيت أستسقِي وأطلبه * من الصَّـديقِ ورُسْلِى فيه تَبْتَدِر(٧)
فمنهـم باذلٌ سَمْـحٌ بحاجتنا * ومنهـم كاذبٌ بالزُّورِ يعتـذِر

(١) كثبان : جمع كثيب ، وهو التـل من الرمل . (٢) الشهرة : ظهور الشيء في شنعة .
(٣) هادّ ، من الهدّ وهو الصوت ، يقال هدّ يهدّ (مثل فر) ، وما سمعنا العام هادة . أى رعدا .
(٤) في الأصول : «وكان» . (٥) المعصار : الذى يجعل فيه الشيء فيعصر . العكر : دردى
٢٠ كل شيء . (٦) أشتهر : أظهر في شنعة . شهره كمنعه وشهره واشتهره فاشتهر .
(٧) تبتدر : تستبق .

فَسقِّنى رِىَّ أيّامٍ تمتّعنى * عمّنْ سِواكَ وتُغنينى فقد خَسِرُوا
إن كانَ زِقٌّ فَزِقٌّ أو فوافِرَةٌ * من الدَّساتيجِ لا يُزْرِى بها الصَّفَرُ (١)
وإنْ تَكُنْ حاجتى ليستْ بحاضرةٍ * وليس فى البَيْتِ من آثارها أثَرُ
فاسْتَسْقِ غيرَكَ أو فاذْكُرْه خَبَرى * إن اعْتَراكَ حَياءٌ منه أو حَصَرُ (٢)
ما كان من ذلكم فليأتنى عَجِلًا * فإنَّنى واقفٌ بالبابِ أنتظرُ
لا لِى نبيذٌ ولا خُبزٌ فيدعونى * وقد حَمانِىَ من تَطفيلِىَ المَطَرُ (٣)

قال: فضحك لمّا قرأها، وبعث إليه بزِقِّ نبيذٍ ومائتى درهم، وكتب إليه: اشرب النبيذ وأنفق الدراهم إلى أن يُمسك المطر ويتّسع لك التطفيل، ومتى أعوزك مكانٌ فاجعلنى فَيئةً لك (٤)، والسلام.

صوت

أنت حَديثى فى النومِ واليقَظَهْ * أتعبتُ ممّا أهذى بك الحفَظَهْ
كم واعظٍ فيك لى وواعظةٍ * لو كنتُ ممن تنهاه عنك عِظَةْ

الشعر لديك الجنّ الحمصىّ. والغناء لعَريب، هَزَج، ذكر ذلك ذُكاء وَجْهِ الرُّزّة وقُمْرِىّ جميعًا، والله أعلم.

(١) الصفر: الفراغ والخلو، على أنها مثلثة، وفى ب، س «السفر»، تحريف.
(٢) فى الأصول: «منك» وهو تحريف. والحصر: العى وضيق الصدر.
(٣) طفّل: تطفل.
(٤) الفيئة بالفتح والكسر: الرجوع، أى فاجعلنى مرجعا لك.

أخبار ديك الجنّ ونسبه

١٤٢/١٢ نسبه ونبذة فى ترجمته

دِيكُ الجِنِّ لَقَبٌ غَلَبَ عليه[1]، واسمه عبد السّلام بن رَغْبان[2] بن عبد السلام بن حَبِيب بن عبد الله بن رَغْبان بن يزيد بن تميم.[3] وكان جَدّه تميم ممن أنعم الله — عزّ وجلّ — عليه بالإسلام من أهل مُؤْتَةَ[4] على يَدَىْ حَبِيبِ بن مَسْلَمَةَ الفِهْرِىّ[5]، وكان شديد التشعّب[6] والعصبيّة على العرب، يقول: ما للعرب علينا فضل، جمعتنا و إيّاهم ولادةُ إبراهيم صلّى الله عليه وسلم، وأسلمنا كما أسلموا، ومَنْ قَتَل منهم رجلًا منّا قُتِل به، ولم نَجِد الله عزّ وجلّ فضّلهم علينا، إذ جَمَعنا الدين.[7]

وهو شاعرٌ مُجِيدٌ يذهب مذهبَ أبى تمّام والشاميّين فى شعره. من شعراء الدّوْلة العبّاسيّة. وكان من ساكنى حِمْص، ولم يبرح نواحىَ الشأم، ولا وَفَد إلى العراق ولا إلى غيره مُنتجعًا بشعره ولا مُتَصَدِّيًا لأحد. وكان يتشيّع تشيُّعا حسنا، وله مَراثٍ كثيرةٌ فى الحسين بن علىّ — عليهما السلام —، منها قوله:

يا عينُ لا لِلقَضَا ولا الكُتُبِ * بُكَا الرَّزَايَا سِوَى بُكَا الطَّرَبِ

(١) أصله دويبة توجد فى البساتين (انظر حياة الحيوان الكبرى للدميرى ج ١ : ص ٥١٩).

(٢) ترجم له ابن خلكان (ج ١ : ٤١٥) وقد جاء فيه: «ومولده سنة ١٦١ هـ وتوفى فى أيام المتوكل سنة ٢٣٥ أو سنة ٢٣٦».

(٣) كذا فى جـ، وتاريخ ابن عساكر (نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٤١ تاريخ جـ ٢٤ ص ١١٢). وفى ب، س، ووفيات الأعيان «زيد».

(٤) مؤتة: قرية من قرى البلقاء بمشارف الشام.

(٥) كان من خواص معاوية وله معه فى وقعة صفين آثار شكرها له.

(٦) الشعوبية (بضم الشين): الذين يحتقرون أمر العرب و يصغرون شأنهم ولا يرون لهم فضلا على غيرهم، والواحد شعوبى، نسبة إلى شعوب. وشعوب: جمع شعب (بالفتح)؛ وهو ما تشعب من قبائل العرب أو العجم. ولكن الشعوب بلفظ الجمع غلب على العجم ونسبوا إليه فقالوا شعوبى، كما قالوا أنصارى نسبة إلى الأنصار.

(٧) يحتجون بقوله تعالى: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» وقوله: «إنما المؤمنون إخوة» وبقوله صلى الله عليه وسلم فى خطبته فى حجة الوداع: "ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى، كلكم لآدم وآدم من تراب".

وهى مشهورة عند الخاص والعام ، وينَاح بها . وله عدّة أشعار فى هذا المعنى ، وكانت له جاريةٌ يهواها ، فاتّهمها بغلامٍ له فقتلها ، واستنفد شعره بعد ذلك فى مَراثيها .

قصيدته فى هجاء ابن عمه

قال أبو الفرج : ونسختُ خبره فى ذلك من كتاب محمد بن طاهر ، أخبره بما فيه ابن أخ لديك الجنّ يقال له أبو وَهْب الحِمْصىّ ، قال :

كان عمّى خليعًا ماجنًا معتكفا[1] على القَصْف واللهو ، متلافًا لما وَرِثَ عن آبائه ، واكتسبَ بشعره من أحمد وجعفر ابنَىْ علىٍّ الهاشميَّين ، وكان له ابنُ عم يُكْنَى أبا الطَّيِّب يَعِظُه وينهاه عما يفعله ، ويحول بينه وبين ما يُؤثِره ويركبه من لذّاته وربما هجم عليه وعنده قومٌ من السفهاء والمُجّان وأهلِ الخَلاعة ، فيستخفّ بهم وبه . فلما كَثُر ذلك على عبد السلام قال فيه :

مَولاتُنا يا غلامُ مُبتَكِرَهْ * فباكِرِ الكأسَ لى بلا نَظِرَهْ[2]

غَدَتْ على اللهو والمُجونِ ، على * أن الفتاةَ الحَيِيَّةَ الخَفِرَه[3]

لِحُبِّها — لاعَدِمتُها — حُرَقٌ * مطويّةٌ فى الحشا ومنتَشِرَه[4]

ما ذُقْتُ منها سوى مُقَبَّلِها * وضَمِّ تلك الفُروعِ منحدِرَه[5]

وانتَهَرَتْنى فَمِتُّ من فَرَقٍ * يا حُسْنَها فى الرِّضا ومُنتَهِرَه![6]

(١) فى ب ، س : « منعكفا » وهو تحريف ، يقال : اعتكف وتعكف . قال فى القاموس المحيط : « ولاتقل انعكف » . والقصف : اللهو واللعب ، ويقال إنها مولدة . قال ابن دريد : لا أحسبه عربيا . (٢) باكره : بكر إليه ، يريد : أسرع إلىّ بالكأس . النظرة : التأخير فى الأمر .

(٣) غدت : فى الأصول « عدت » وهو تصحيف ، الحيية : فى الأصول « الخبيثة » وهو تحريف . الخفرة : وصف من الخفر بالتحريك وهو شدّة الحياء . (٤) فى ب ، س : « يحبها لاعج منها وبى حرق » وهو تحريف . وفى جـ : « يحبها ... خرق » . (٥) الفروع : جمع فرع ، وهو الشعر التام . (٦) انتهره ونهره : زجره . وفى الأصول «وابتهرتنى» « ومبتهرة » ؛ وهو تصحيف ، والصواب بالنون لأنه فى مقابلة « الرضا » . والفرق : الخوف والفزع .

ثم انثنتْ سَوْرةُ الخُمار بنا * خِلالَ تلك الغَدائرِ الخَمِره (١)

وليلةٍ أشرفتْ بِكَلْكَلِها * علىَّ كالطَّيْلَسان مُعْتَجِره (٢)

فتقتُ ديجُورَها إلى قمرٍ * أثوابُهُ بالعفافِ مُسْتَتِرَه (٣)

عُجْ عَبَراتِ المُدام نحوِىَ مِن * عَشْرٍ وعِشْرِين وآثنتىْ عَشَره (٤)

قد ذُكِّرَ الناسُ عن قِيامِهِمُ * ذِكْرَى بعقلى ما أصبحتْ نَكِرَه (٥)

مَعْرِفتى بالصوابِ مَعْرِفَةٌ * غَرّاءُ إمّا عَرَفتمُ النَّكِره (٦)

يا عجبا من أبى الخبيثِ ومنْ * سُروحِه فى البَقائرِ الدَّثِره (٧)

يَحْمِلُ رأسًا تنبو المَعاوِلُ عن * صَفْحتِه والجَلامِدُ الوَعِره (٨)

(١) انثنت ، فى الأصول « انثبت » وهو تصحيف . سورة الخمر : حدتها . وخمار الخمر : ما أصاب الشارب من ألمها وصداعها وأذاها . الغدائر : جمع غديرة ، وهى الخصلة من الشعر . الخمر بالتحريك : كل ما واراك من شجر وغيره . ومكان خمر (بفتح فكسر) : كثير الخمر (بالتحريك) . والغدائر الخمرة على التشبيه بذلك . (٢) الكلكل : الصدر . وفى ب ، س : « بعد كلكلها » وهو خطأ . الطيلسان : كساء من أكسية العجم أسود ، فارسى معرب . والاعتجار : ولبسة كالالتحاف .

(٣) الديجور : الظلام . (٤) عاجه يعوجه : أماله وعطفه ، وأراد بعبرات المدام ما يصب منها فى الكأس . وفى الأصول « فوى » وهو تحريف . (٥) قيامهم : أى بعثهم يوم القيامة . نكرة : اسم من الإنكار كنفقة من الإنفاق ، بمعنى اسم المفعول أى منكرة . وفى ب و س « نفرة » وفى جـ « طفرة » وأراه تحريفا . (٦) غراء : معروفة مشهورة . إما : أصله إن ما ، وما زائدة بعد إن . (٧) « من أبى الخبيث » يريد « من أبى الطيب » قلب كنيتــه إلى الضــد تهكما به وزراية عليــه . وفى الأصول « سروجه فى البكائر » وهو تحريف . سروحه ، من سرحت الماشية سروحا ، والبقير والبقيرة : برد يشق ثم تلقيه المرأة فى عنقها من غير كمين ولا جيب ، والجمع بقائر . الدثرة : الوسخة ؛ وصف من الدثر (بالتحريك) وهو الوسخ .

(٨) تنبو : تكل . المعاول : جمع معول ، وهو الفأس العظيمة التى ينقر بها الصخر . والجلامد : جمع جلمد بجعفر وهو الصخر كالجلمود . والوعرة (بكسر العين) : ضد السهلة كالوعرة (بسكونها) .

١٤٣ / ١٢

لَوِ البغالُ الكُمْتُ ارتقتْ سَنَدًا * فِيـهِ لَمَدَّتْ قَوائمًا خَـدِرَهْ (١)

ولا المجَـانيقُ فِيهِ مُغْنِيَـةً * أَلْفَ تَسَامَى وَأَلْفُ مُنكَدِرَهْ (٢)

أُنظر إلى موضع المِقَصِّ من الـ * هامَةِ تلك الصَّفيحةُ العَجِرَهْ (٣)

فَلَوْ أخذتم لهـا المَطَارِقَ حَـ * رَّانيةً صَنْعَةَ اليَـدِ الخَـبِرَهْ (٤)

إذَا لَراحتْ أَكُفُّ جِلَّتِهِـمْ * كَلِيـلةً والأداةُ مُنْكَسِرَهْ (٥)

كَمْ طَرَباتٍ أَفْسَـدْتَهُنَّ وكَمْ * صَفْـوةِ عَيْشٍ غادرتَها كَدِرَهْ

وكَمْ إذَا ما رَأَوْكَ يا مَلَكَ الْـ * ـمَوْتِ لهم مِنْ أَنَامِلٍ خَصِرَهْ (٦)

وكَمْ لهـم دَعْوة عليـكَ وكَمْ * قَـذْفة أُمٍّ شَنْعاءَ مُشْتَهِـرَهْ

كريمةٍ لؤمُكَ استخَفَّ بها * ونالهـا بالمَثَـالِبِ الأَشِرَهْ (٧)

قِفُوا على رَحْـلِه تَرَوْا عَجَبًا * فِي الجَهْلِ يحكِى طَرائِفَ البِصرَهْ (٨)

---

(١) فى الأصول: «اولا البغال» تحريف . وكلمة «الكمت» ساقطة من ب ، س . والكمت : جمع كميت ، كسروه على مكبره المتوهم ، وصف من الكمتة : وهى لون بين السواد والحمرة . والسند : ما قابلك من الجبـل وعلا عن السفح . وخدرت رجله كفرح : غشيها ثقل وفتور فلم تقو على المشى .

(٢) فى الأصول « معنية » وهو تصحيف . والمجانيق : جمع منجنيق (بفتح الميم وتكسر) : آلة ترمى بها الحجارة ، معرّبة . ومنكدرة ، من انكدرت النجوم أى تناثرت ، وانكدر أيضا : أسرع وانقض . وانكدر عليه القوم : انصبوا . (٣) فى الأصول « الصبيحة » تحريف . والصفيحة : الحجر العريض . والعجرة : الضخمة الصلبة . (٤) فى الأصول «المطارف» بالفاء ؛ وهو تصحيف . وحرانية : نسبة إلى حران ، وهى مدينة على طريق الموصل والشام والروم ، وقرية من قرى حلب ، وقرية بغوطة دمشـق . وخبر بالشىء : عالم به . مثـل خبير وخابر . (٥) جلتهم : كبارهم .

(٦) خصرة : باردة . وتبرد أطراف المرء عند نزول الموت به . (٧) المثالب : العيوب جمع مثلبة (بفتح اللام وتضم)» . وفى ب ، س « دنا لها » تحريف . وفى جميع الأصول : «الأشرة» ولعلها محرفة عن «الدفرة» بالدال أو الذال ، وصف من الدفر (بالتحريك) . والذفر كذلك ، وهو النتن .

(٨) الرحل : المـنزل والمسكن . والبصرة : بلد معروف بالعراق وهـو بفتح الباء ، وكسرها ، ويحرك ، وتكسر الصاد .

يا كُلَّ مَـنْيٍ وكلَّ طَالعـةٍ * نَحْسٍ ويا كُلَّ ساعةٍ عَسِره[1]
سبحانَ مَنْ يُمْسِكُ السماءَ على الـ * أرض وفيها أخلاقُك القَذِرَهْ

قصته مع زوجه ورد

قال : وكان عبد السلام قد اشتهر بجارية نَصْرانية من أهل حِمْص هَوِيها وتمادَى به الأمرُ حتى غلبتْ عليه وذهبتْ به . فلمّا اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوّج بها ، فأجابته لعلمها برغبته فيها ، وأسلمتْ على يده ، فتزوّجها ، وكان اسمها وَرْدًا ؛ ففى ذلك يقول :

انظر إلى شمسِ القُصورِ وبَدْرِها * وإلى خُزَامَاها وبَهْجةِ زَهْـرِها[2]
لم تَبْلُ عينُك أبيضًا فى أسوَدٍ * جَمَعَ الجمالَ كَوَجْهِها فى شَعْرِها[3]
وَرْديَّةُ الوَجَنات يَخْتَبِر اسمَها * من رِيقِها مَنْ لا يُحيط بخُبْرِها
وتمايلتْ فضَحِكتُ من أردافها * عَجَبًا ولكنّى بَكَيْتُ لخَصْرِها
تَسْقيك كأسَ مُدَامةٍ من كَفِّها * وَرْديَّةً ومُدامةً من ثَغْـرِها

قال : وكان قد أعسر واختلّت حالُه ، فرَحَل إلى سَلَمْيَةَ[4] قاصدًا لأحمد بن علىّ الهاشمىّ ، فأقام عنده مُدّةً طويلة ، وحَمَل ابنَ عمِّه بُغْضُه[5] إيّاه بعد مودّته له وإشفاقه عليه بسبب هجائه له على أنْ أذاع على تلك المرأة التى تزوّجها عبدُ السلام أنها تهوَى غلامًا له ، وقرّر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه ، وشاع ذلك الخبرُ حتى أتى عبدَالسلام ، فكتب إلى أحمد بن علىّ شعرًا يستأذنه فى الرجوع إلى حِمْص ويُعْلِمه ما بلَغه من خبر المرأة من قصيدة أوّلها :

إنَّ رَيْبَ الزمان طال انتكاثُه[6] * كَمْ رمَتْنى بحادثٍ أحداثُه

(١) منى : يقال : مناه به يمنيه منيا ، ومناه يمنوه منوا : اذا ابتلاه ؛ ومنى ببلية : ابتلى بها .
(٢) الخزامى : نبت زهره أطيب الأزهار نفحة . (٣) لم تبل : لم تختبر ولم تر . وفى ب ، س : « لم تبك » وهو تحريف . (٤) سلمية : بليدة بالشام من أعمال حمص .
(٥) فى ب ، س « على بغضه » . بزيادة « على » وهو خطأ . (٦) انتكاثه : انتقاضه .

يقول فيها :

ظَبْىُ إنسٍ قلبى مَقِيلُ ضُحَاهُ * وفُـؤادى بَرِيرُهُ وكَبَاثُهْ (١)

وفيها يقول :

خِيفَةً أن يخونَ عَهْدى وأن يُضْـــ * ـحِى لغيرى حُجُولُه ورِعَاثُهْ (٢)

ومدح أحمد بعد هذا، وهى طويلة . فأذن له فعاد إلى حمص، وقدّر ابن عمّه (٣) وقت قدومه، فأرصد له قومًا يُعْلمونه بمُوافاته بابَ حِمْص . فلمّا وافاه خرج إليـه مستقبلًا ومعنِّفًا على تمسُّكه بهذه المرأة بعد ما شاع من ذكرها بالفساد، وأشار عليه بطلاقها، وأعلمه أنّها قد أحدثتْ فى مَغيبه حادثةً لا يجمُل به معها المُقامُ عليها، ودسّ الرجل الذى رماها به، وقال له : إذا قدم عبدُ السلام ودخل منزله فقفْ على بابه كأنّك لم تعلَم بقدومه، ونادِ باسم وَرْد، فإذا قال : مَنْ أنت؟ فقل : أنا فُلان . فلمّا نزل عبد السلام منزلَه وألقى ثيابه، سألها عن الخبر وأغلظ عليهـا، فأجابتْه جوابَ مَنْ لم يعرف من القِصّة شيئا . فبينما هو فى ذلك إذ قَرَع الرجلُ البـابَ فقال : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا فلان . فقال لها عبد السلام : يا زانية، زعمتِ أنّك لا تعرفين من هذا الأمر شيئا ! ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتَلَها، وقال فى ذلك :

لَيتَنى لم أكُنْ لِعَطْفِكِ نِلْتُ * وإلى ذلكِ الوِصالِ وصلتُ

فالذى مِنِّىَ اشتملت عليـــه * ألِعَارٍ ما قَدْ عليـــه اشتملتُ

قال ذو الجهل قد حَلُمْتَ ولا أعْـ * ـلَمُ أَنِّى حَلُمْتُ حتى جَهِلتُ

لائمٌ لى بجهـــله ولمـاذا * أنا وَحْدى أحببتُ ثم قتلتُ !

(١) البرير : الأول من ثمر الأراك . والكباث : النضيج منه .

(٢) حجول : جمع حِجْل (بالفتح والكسر) وهو الخلخال . ورعاث : جمع رعثة كوردة ورقبة ، وهى القرط .   (٣) فى ب، س « وفر » وهو تحريف .

سوف آسى طولَ الحياة وأبكيـ * ـك على ما فعلت لا ما فعلتُ

وقال فيها أيضا :

لكِ نفسٌ مُواتيـهْ * والمنـايا مُعـاديهْ[1]

أيّها القلب لا تَعُدْ * لِهوَى البِيضِ ثانيهْ

ليس بَرْقٌ يكون أخـ * ـلبَ من بَرْقِ غانيه[2]

خُنْتِ سِرِّى ولم أخُنْـ * ـكِ فَمُوتِى علانيه

قال : و بلغ السلطانَ الخبرُ فطلبه ، فخرج إلى دِمَشْق فأقام بها أياماً . وكتب أحمد ابن علىّ إلى أمير دمشق أن يُؤَمِّنه ، وتحمَّل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته[3] . فقَدِم حِمْص و بلغه الخبرُ على حقيقته وصحّته ، واستيقنه فندم ، ومكث شهرا لا يستفيق من البكاء ولا يَطْعَم من الطعام إلا ما يُقيم رَمَقَه . وقال فى نَدَمه على قتلها :

يا طلعـةً طَلَع الحِمامُ عَلَيْهـا * وَجَنَى لهـا ثَمَـرَ الرَّدَى بِيَدَيْها

رَوَّيْتُ من دَمِها الثَّرَى ولَطَالَمـا * رَوَّى الهوى شَفَتَىَّ من شَفَتَيْها

قدبات سَيْفى فى مَجال وِشاحِها[4] * وَمَدامعى تجرى على خَدَّيْهـا

فوَحَقِّ نَعْلَيْها وما وطِئ الحَصَى * شىءٌ أعزُّ علىَّ من نَعْلَيْهـا

ما كان قَتْلِيها لأنّى لم أكُنْ * أبكى إذا سَقَط الذُّبابُ عليها

لكنْ ضَنِنْتُ على العيون بحُسْنِها[5] * وأنِفْتُ من نَظَر الحسودِ إليها

وهذه الأبيات تروى لغير ديك الجن .

---

(١) مواتية : موافقة مطاوعة . (٢) أخلب : أخدع ، من خلبه كنصره : خدعه ؛ و يقال : برق خلب (كسكر) : أى مطمع مخلف . والغانية : المرأة التى تطلب ولا تطلب ، أو الغنية بحسنها عن الزينة . (٣) فى الأصول : « خيانته » تصحيف . (٤) الوشاح : أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها . وفى تاريخ ابن عساكر « فى مجال بخناقها » .

(٥) فى وفيات الأعيان وابن عساكر :

لكن بخلت على سواى بحبها * وأنفت من نظر الغلام إليها

أخبرنى بها محمد بن زكريا الصحّاف قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى محمد بن منصور قال :

كان من غَطَفانَ رجلٌ يقـال له السُّلَيْك بن مُجَمَّع ، وكان من الفُرْسان ، وكان مطلوبا فى سائر القبـائل بدماء قومٍ قتلهم ، وكان يهوَى ابنة عمٍّ له ، وكان خَطَبها مُدّةً فمنعها أبوها ، ثم زوّجه إياها خوفًا منه ، فدخلَ بها فى دار أبيهـا ثم نقلها بعد أُسبوع إلى عشيرته ، فلقيه من بنى فَزارَة ثلاثون فارسًا كلُّهم يطلُبه بذَحْلٍ[1] ، فحلَقوا[2] عليـه ، وقاتلهم وقتل منهم عددا ، وأُثخن بالجراح آخرين ، وأُثخِن هو حتى أيقن بالموت ، فعاد إليها فقال : ما أَسمح بك نفسًا لهؤلاء ، وإنى أُحبّ أن أُقَدِّمك قبلى . قالت : افعل ؛ ولو لم تفعله أنت لفعلته أنا بعـدَك . فضربها بسيفه حتى قتلها ، وأنشأ يقول : * يا طلعة طلع الحِمام عليها *

وذكر الأبيات المنسوبة إلى ديك الجن ، ثم نزل إليها فتمرَّغ فى دمها وتخضَّب به ، ثم تقدّم فقاتل حتى قُتِـل . وبلغ قومَه خبرُه ، فحملوه وابنة عمِّـه فدفنوهما . قال : وحفظتْ فَزارة عنه هذه الأبيات فنقلوها . قال : وبلغنى أنّ قومَه أدركوه وبه رمق ، فسمعوه يردّد هذه الأبيات ، فنقلوها وحفظوها عنه ، وبقى عندهم يوما ثم مات .

وقال ديك الجن فى هذه المقتولة[3] :

أشفقتُ أن يَرِدَ الزمانُ بغَدْرِهِ * أو أُبْتَلَى بعـد الوِصالِ بهَجْرِهِ

(١) الذحل : الثأر . وفى ب ، س « بدم » .
(٢) فى الأصول : « فخنقوا » وأراه محرفا .
(٣) فى وفيات الأعيان : « ويروى أن المتهم بالجارية غلام كان يهواه فقتله أيضا ، وصنع فيه أبياتا وهى ... وأورد الأبيات » . وفى ابن عساكر : « وكان له غلام كالشمس وجارية كالقمر ، وكان يهواهما جميعا ، فدخل يوما منزله ، فوجد الجارية معانقة للغلام تقبله ، فشدّ عليهما فقتلهما ، ثم جلس عنـد رأس الجارية فبكاها طويلا ، ثم قال : يا طلعة طلع الحمام ... ... الأبيات ، ثم جلس عند رأس الغلام فبكاه وأنشأ يقول : أشفقت أن يرد الزمان ... الأبيات » .

قَمَرٌ أنا استخرجته من دَجْنِه * لِبَلِيَّتِي وجَلَوْتُه من خِدْرِه
فقتلته وله علىّ كرامةٌ * مِلْءَ الحَشَى وله الفؤادُ بأَسْرِه
عَهْدِي به مَيْتًا كأحسنِ نائمٍ * والحُزْنُ يَسْفَحُ عَبْرَتِي في نَحْرِه
لو كان يَدْرِي المَيْتُ ماذا بعدَه * بالحَيّ حَلَّ بَكَى له في قَبْرِه
٥ غُصَصٌ تكادُ تَفِيظُ منها نَفْسُه (١) * وتكادُ تُخْرِجُ قَلْبَه مِنْ صَدْرِه

وقال فيها أيضا :

أساكنَ حُفْرةٍ وقرارِ لَحْدٍ * مُفَارِقَ خُلَّةٍ (٢) من بعد عهدِ
أَجِبْنِي إن قَدَرْتَ على جوابي * بحقِّ الوُدّ كيف ظَلِلْتَ بَعْدِي
وأين حَلَلْتَ بعدَ حلولِ قلبي * وأحشائي وأضلاعي وكَبْدِي؟
١٠ أمَا والله لو عاينتَ وَجْدِي * إذًا استعبرتَ (٣) في الظُّلُماتِ وحدي
وجِدَّ تَنَفُّسِي وعلا زَفِيرِي * وفاضتْ عَبْرَتِي في صَحْنِ خَدِّي
إذًا لعلمتَ أنِّي عن قريبٍ * ستُحْفَرُ حُفْرَتِي ويُشَقُّ لَحْدِي
ويَعْذُلُنِي السفيهُ على بُكَائي * كأنّي مبتَلًى بالحزن وحدي
يقول قتلتَها سَفَهًا وجهلًا * وتَبْكِيها بكاءً ليس يُجْدِي
١٥ كصيّادِ الطيورِ له انتحابٌ * عليها وَهْوَ يذبحُها بحَدِّ

وقال فيها أيضا :

ما لامرئٍ بِيَدِ الدَّهْرِ الخَئُونِ يَدُ * ولا على جَلَدِ الدُّنيا له جَلَدُ
طُوبَى لأحبابِ أقوامٍ أصابَهُمُ * من قَبْلِ أن عَشِقوا موتٌ فقد سَعِدوا

---

(١) فاظت نفسه تفيظ : خرجت روحه ، مثل فاضت تفيض ؛ وكرهها بعضهم ، وزعم أبو عبيدة
٢٠ أنها لغة لبعض تميم . (٢) الخلة : الصديق للذكر والأنثى والواحد والجمع .
(٣) استعبر : جرت عبرته .

وحقّهم أنّه حقّ أضنّ به * لَأُنفِدَنّ[1] لهم دمعى كما نَفِدوا
يا دهرُ إنّك مَسْقِىٌّ بكأسهمُ * ووارِدٌ ذلك الحوضَ الذى وَرَدُوا
الخَلْق ماضُونَ والأيامُ تَتْبَعهُمْ * نَفْنَى [جميعاً][2] ويبقَى الواحدُ الصَّمَدُ

١٤٦ / ١٢

وقال فيها :

أمَا آن للطَّيف أن يأتيا * وأن يَطْرُقَ الوَطَنَ الدّانيا ٥
وإنّى لأحْسَبُ رَيبَ الزَّما * نِ يتركُنى جَسَدًا باليا
سأشكر ذلكَ لا ناسياً * جميلَ الصَّفاء ولا قاليا[3]
وقد كنتُ أنشُره ضاحكًا * فقد صِرْتُ أنشره باكيا

وقال أيضا :

قُلْ لِمَنْ كانَ[4] وجهُه كضياء الشَّمْس فى حُسْنه وبَدْرٍ مُنِيرِ ١٠
كنتَ زَيْنَ الأحياءِ إذ كنتَ فيهمْ * ثم [قدْ][5] صِرْتَ زَيْنَ أهلِ القُبورِ
بأبى أنت فى الحياة وفى المَوْ * تِ وتحتَ الثرى ويوم النُّشور
خُنْتَنِى فى المَغِيب والخَوْنُ نُكْرٌ * وذَمِيمٌ فى سالفاتِ الدُّهورِ
فشفانِى[6] سَيْفِى وأسرعَ فى حَـ * زِّ التَّراقى قَطْعًا وحَزِّ النُّحورِ

شعره فى غلامه بكر

قال أبو الفرج : ونسخت من هذا الكتاب قال : ١٥

كان ديكُ الجنّ يهوَى غلاما من أهل حِمْص يقال له بَكْر، وفيه يقول وقد جلسا يومًا يتحدّثان إلى أن غاب القمر :

دَعِ البَدْرَ فَلْيَغْرُبْ فأنتَ لنا بَدْرُ * إذا ما تجلَّى منْ مَحاسنِكَ الفجرُ

(١) فى الأصول « لا ينفذن » وهو تحريف . (٢) زيادة يستقيم بها الكلام . وقد جاء هذا الشطر فى س : « تفنى ولم يبق إلا الواحد الصمد » . (٣) قاليا : مبغضا كارها . ٢٠
(٤) فى ب ، جـ : « لمن قال » . (٥) زيادة يستقيم بها الشعر . وقد جاء هذا الشطر فى س : « ولقد صرت ... » . (٦) فى الأصول : « فسقانى » وهو تصحيف .

إذا ما انقضَى سِحْــرُ الذين ببابِلٍ[1] * فطرْفُكَ لى سِحْرٌ و رِيقُك لى خَمرُ

ولو قيلَ لى قُمْ فادْعُ أحسنَ من ترى * لصِحتُ بأعلى الصوت يا بَكْرُ يا بَكْرُ

قال : وكان هذا الغلام يُعْرَف ببكر بن دهْمرْد . قال : وكان شديد التمنّع والتصوُّن ، فاحتال قومٌ من أهل حِمْصَ فأخرجوه إلى مُتَنَزَّهٍ[2] لهم يعرف بميماس ، فأسكروه وفَسَقوا به جميعا ، و بلغ ديكَ الجنّ الخبرُ فقال فيه :

قُلْ لِهَضِيم الكَشْحِ مَيَّاسِ * انْتَقَضَ العهدُ من النَّاسِ[3]

يا طلعــةَ الآسِ التى لم تَمَدْ * إلَّا أَذَلَّتْ قُضُبَ الآسِ[4]

وَثِقْتَ بالكأسِ وشُرَّابِهــا * وحَتْفُ أمثالك فى الكاسِ[5]

وحالَ ميماسُ و يا بعــدما * بين مغيثيك وميمــاسِ[6]

تَقْطِيعُ أنْفَاسِك فى أَثْرِهِمْ * ومَلْكِهِــمْ قَطَّــعَ أنفاسى[7]

لا بأسَ مولاىَ ، على أنها * نِهــايةُ المكروه والبـاسِ

هى اللَّيــالِى ولهـا دولةٌ * ووحشة من بعــد إيناسِ

بَيْنَــا أنافتْ وعَلَتْ بالفَتَى * إذْ قيل حَطَّتْه على الرَّاسِ .

---

(١) بابل : مدينة بالعراق ينسب إليها السحر والخمر . (٢) فى الأصول « منتزه » وهو تصحيف . جاء فى المصباح المنير وقال ابن قتيبة : « ذهب بعض أهل العــلم فى قول الناس : خرجوا يتنزهون إلى البساتين أنه غلط وهو عنــدى ليس بغلط ؛ لأن البساتين فى كل بلد إنما تكون خارج البلد ، فإذا أراد أحد أن يأتيها فقد أراد البعد عن المنازل والبيوت ، ثم كثر هذا حتى استعملت النزهة فى الخضر والجنان » . (٣) هضيم الكشح : ضامر الخصر . ومياس : متبختر . (٤) الآس : شجر عطر الرائحة . وماد يميــد : تحرك وتبختر . (٥) فى الأصول « وحيف » تصحيف . (٦) كذا فى الأصول ، ولا معنى له . ولعل صوابه : « ... و يا بعده * بين مغيثيك ومعاس » ومعاس : جمع ماعس ، من معس المرأة : وطئها . أى حال ابتعادك فى هــذا المتنزه بين المغيثين لك و بين الفاتكين بك . (٧) الأثر : إكثار الفــحل من ضراب الناقة ؛ وقــد أثرها كنصر . وملكهم : من ملك العجين كضرب ملكا : أنعم عجنه . كملكه وأملكه .

فالهُ ودَعْ عنكَ أحاديثَهم * سَيُصْبِحُ الذّاكِرُ كالنّاسِى

وقال فيه أيضا :

يا بكرُ ما فعلتْ بك الأرطالُ * يا دارُ ما فعلتْ بك الأيامُ (١)

فى الدارِ بعدُ بقيّةٌ نستامُها * إذ ليس فيك بقيّةٌ تُستامُ (٢)

عَرِمَ الزّمانُ على الدّيار برَغْمِهم * وعليكَ أيضًا للزّمان عُرامُ (٣)

شَغَلَ الزمانُ كَراكَ فى ديوانه * فتفرّغتْ لِدَواتِكَ الأقلامُ (٤)

وقال فيه أيضا :

قُولا لبكرِ بن دهمردٍ إذا اعتكرتْ * عساكرُ الليلِ بين الطّاسِ والجامِ (٥)

ألم أقُلْ لك إنّ البغىَ مَهْلَكةٌ * والبغىُ والعُجْبُ إفسادٌ لأقوامِ

قد كنتَ تَفْرَقُ من سَهمٍ بغانيةٍ * فصرتَ غيرَ رَميمٍ رُقْعَةَ الرامى (٦)

وكنتَ تَفزَعُ من لَمْسٍ ومن قُبَلٍ * فقد ذَلَلْتَ لإسراجٍ و إلجامِ

إنْ تَدْمَ خَذّاكَ من رَكْضٍ فرُبّتَما * أُمسِى وقلبى عليكَ المُوجَعُ الدامى

(١) فى جـ، ب : « بل يا دار » ولا يستقيم به الوزن . الأرطال : يعنى بها أرطال الخمر . ومن تعبيرهم المألوف فى هذا الصدد قولهم فى الشارب : «شرب رطلا» . قال أحمد بن يوسف من أبيات :

فمن الرأى أن تأتى برطل * فتشربه وتدعو لى برطل

(٢) السوم : عرض السلعة على البيع ، واستامه إياها : غالى .

(٣) عرم (كنصر وضرب وعلم وكرم عرامة وعراما) : اشتد . وفى الأصول «غرم ... غرم... غرام » وهو تصحيف .

(٤) فى س « فتفرقت » وهو تحريف ، وكنى بالدواة والأقلام عما يستقبح ذكره .

(٥) اعتكر الليل : اشتد سواده والتبس ، واعتكروا : اختلطوا فى الحرب ، واعتكر العسكر : رجع بعضهم على بعض فلم يقدر على عدهم . والجام : إناء من فضة .

(٦) تفرق : تفزع . وأراد بسهم الغانية : عينها . غير رميم : غير بال ، من رم العظم (كضرب) إذا بلى وربما كان غير ذميم » أو « غير «دميم » .

أخبرنى أبو المعتصم عاصم بن محمد الشاعر بأنطاكِيَة، وبها أنشدنى قصيدة البُحْتُرِىّ:

مَلاَمَكَ إنّه عهــدٌ قــريبُ * ورُزْءٌ ما انقضتْ منه النُّدوبُ[1]

وأنشدنى لديك الجنّ يُعزّى جعفرَ بن علىٍّ الهاشمىّ:

تَغفُــلُ والأيّامُ لا تَغفُــلُ * ولا لَنَا من زَمنٍ مَوْئِلُ ٥

والدّهْرُ لا يَسْــلَمُ من صَرْفِـهِ * أعصمُ فى القُنّـةِ مُستوعِــلُ[2]

يَتّخِــذُ الشِّعْرَى شِــعارًا له * كأنّمـا الأُفْــقُ له مَــنْزِلُ[3]

كأنّه بــين شَــنَاظيرهـا * بارقـةٌ تَكْمُنُ أو تَمْثُــلُ[4]

ولا حَبَــابٌ صَلَتَــانُ السُّرَى * أرقمُ لا يعــرِف ما يَجْهَــلُ[5]

نَضْناضُ قَيْفـاءَ يرى أنّــه * بالرمــلِ غانٍ وهُــوَ المُرْمِلُ[6] ١٠

يَطْلُبُ من فاجِئـةٍ مَعْقِــلًا * وَهْــوَ لمـا يطلُب لا يَعقِــلُ

والدهرُ لا يسـلَمُ من صَرْفِه * مُسَرْبَـلٌ بالسَّرْدِ مستبِســلُ[7]

---

(١) البيت مطلع قصيدة للبحترى يرثى غلامه قيصر. ملامك: أى دع ملامك واكفف. وفى الديوان «ما عفت منه الندوب» وعفا الأثر: درس وامحى. (٢) صرف الدهر: حدثانه ونوائبه. والأعصم من الوعول: ما فى ذراعيه أوفى إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر. والقنة: أعلى الجبل كالقلة. واستوعل الوعل: إذا ذهب فى قلة الجبل. (٣) الشعرى: كوكب نير يطلع بعد الجوزاء، وهما شعريان: الشعرى العبور، والشعرى الغميصاء وفى ت، حـ «الشعر» وهو تحريف. وأصل الشعار: ما ولى شعر الجسد من الثياب. (٤) شناظير الجبل: أطرافه وحروفه، الواحد شنظير كخنزير. (٥) الحباب: الحية، وهو معطوف على أعصم. والصلتان: النشيط الحديد الفؤاد من الخيل. والسرى: سير عامة الليل. والأرقم: أخبث الحيات وأطلبها للناس. (٦) حية نضناض ونضناضة: لا تستقر فى مكان، أو إذا نهشت قتلت من ساعتها. والقيفاء والقيفاة: المفازة. غان: غنى. وفى الأصول: «عان» تصحيف. مرمل: من أرمل إذا نفد زاده. (٧) السرد هنا: الدرع المسرودة أى المنسوجة. ومسربله: ألبسه السربال، وهو الدرع أو كل ما لبس. ١٥ ٢٠

ولا عَقَنْبَاةُ السُّلاَمَى لها [١] * فى كُلِّ أُفْقٍ عَلَقٌ مُهْمَلُ

فَتْخاءُ فى الجَوِّ خُدارِيَّةٌ * كالغَيْمِ والغَيْمُ لها مُثْقَلُ [٢]

آمنُ مَنْ كان لِصَرْفِ الرَّدَى * أنزلَها مِن جَوِّها مُنْزِلُ

والدَّهْرُ لا يَحْجُبُه مانِعٌ * يَحْجُبُه العامِلُ والمُنْصُلُ [٣]

يُصْغِى جَدِيدَاهُ إلى حُكْمِه * ويَفْعَلُ الدهرُ بما يَفْعَلُ [٤]

كأنّه مِن فَرْطِ عِزٍّ به * أشْوَسُ إذ أقبلَ أو أقْبَلُ [٥]

الأقبل : الذى فى عينه قَبَلٌ ، وهو دون الحَوَل .

فى حَسَبٍ أوْفَى ، له جَحْفَلٌ * يَقْدُمُه مِن رَأْيِه جَحْفَلُ [٦]

بينا على ذلك إذ عَرَّشَتْ * فى عَرْشِه داهيةٌ ضِئْبِلُ [٧]

إنْ يَكُ فى العِزِّ له مِشْقَصٌ * ماضٍ فقد تاحَ له مَقْتَلُ [٨]

---

(١) فى معجم البلدان السلامى : اسم موضع مضافا إليه « ذو » . والمعروف فى كلامهم « عقاب ملاع » (كسحاب وكتاب) ، وعقاب عقنباة وعبنقاة و بعنقاة : ذات مخالب حداد ، و يقال : عقاب ملاع بالإضافة ، وعقاب ملاع وملوع كصبور على النعت ، أى خفيفة الضرب والاختطاف ، وملاع قيل هو من نعت العقاب ، وقيل اسم هضبة عقبانها أخبث العقبان ، وقيل أرض أضيفت إليها عقاب فى قولهم : أودت بهم عقاب ملاع ، وقيل المفازة لا نبات بها . والعرب تقول فى أمثالها : « أبصر من عقاب ملاع » ؛ لأن عقاب الصحراء أبصر وأسرع من عقاب الجبال . والعلق : الدم عامة أو الشديد الحمرة أو الغليظ أو الجامد ، يريد به دم الفرائس التى تصرعها العقاب .

(٢) الفتخاء من العقبان : اللينة الجناح . وخدارية : سوداء . (٣) مانع : أى سيد مسلط مانع لحوزته حام لذماره . وعامل الرمح وعاملته : صدره . والمنصل : السيف .

(٤) الجديدان : الليل والنهار . والضمير فى « جديداه » للدهر ، وفى « حكمه » للمانع وكذا فى « يفعل » الثانى . (٥) الأشوس : الذى ينظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا . (٦) فى ب وس . « فى حب » وفى كل الأصول : « فله جحفل » : وهو تحريف . (٧) عرشت : بنت عريشا . والضئبل : الداهية . (٨) المشقص : النصل العريض أو الطويل . وتاح له الشىء يتيح و يتوح : تهيأ .

٥

١٠

١٥

٢٠

١٤٨ / ١٢

جادَ على قبرك من ميّتٍ * بالرَّوْح ربٌّ لك لا يَبْخَلُ (١)

وحَنَّت المُزْنُ على قبره * بعارِضٍ نَجْوَتُه مَحْفِلُ (٢)

غيثٌ ترى الأرضَ على وَبْله * تضحكُ إلا أنّه يَهْمِلُ (٣)

يَصِلُ والأرضُ تُصَلِّي له * مِن صلواتٍ معَه تَسْأَلُ (٤)

٥ أنت أبا العبّاسِ عبّاسُها * إذا استطار الحَدَثُ المُعْضِلُ (٥)

وأنت يَنْبوعُ أفانينِها * إذا هُمُ في سَنَةٍ أمحَلوا

وأنتَ علّامُ غيوبِ النَّثَا * يوماً إذا نَسْأَلُ أو نُسْأَلُ (٦)

نحن نُعزِّيكَ ومنك الهُدَى * مُسْتَخْرَجٌ والنورُ مُسْتَقْبَلُ (٧)

نقول بالعقلِ وأنت الّذي * نأوِى إليه وبِهِ نَعْقِلُ

١٠ نحن فِداءٌ لك من أُمّةٍ * والأرضُ والآخِرُ والأوّلُ

إذا غفا عنكَ وأَوْدَى بها * ذا الدهرُ فَهْوَ المُحْسِنُ المُجْمِلُ (٨)

رثاؤه جعفر بن علي الهاشمي

قال أبو المعتصم : ثم مات جعفر بن عليٍّ الهاشمي ، فرثاه ديكُ الجنّ فقال :

على هذه كانتْ تدور النوائبُ * وفى كلِّ جمعٍ للذهابِ مَذاهبُ

---

(١) الروح : الرحمة . (٢) المزن : السحاب . والعارض : السحاب الذى يعترض فى أفق السماء . والنجوة : ما ارتفع من الأرض فلم يعله السيل . والمحفل : مجتمع الماء حيث يحفل أى يجتمع .

١٥ (٣) الوبل : المطر الشديد الضخم القطر . وتضحك : يتفتح فيها الزهر ، وهملت السماء : دام مطرها فى سكون . (٤) فى الأصول « يصلى » وهو تحريف . ويصل : يصوّت . وتصلى له ، أى تصلى لأجله شكرا لله . «معه تسأل» كذا فى الأصول ، ولعله « دمعه تسأل » أى تسأل انهلاله وانصبابه . (٥) استطار : انتشر وتفرق . (٦) فى ب ، س : « غيوب

٢٠ الثناء » وفى حـ « عيوب الثناء » وهو تصحيف . ونثا الحديث والخبر نثوا : حدّث به وأشاعه وأظهره ، والاسم منه النثا . وفى الأصول « إذا تسأل أو تسأل » وهو تصحيف . (٧) فى الأصول : « نحن نجزيك » تحريف ، وفى المثل السائر — باب السرقات ص ٤٩٨ — « والصبر » بدل « والنور » . (٨) فى ب ، س : « عفا » وهو تصحيف . وغفا : نام نومة خفيفة .

نزلنا على حكم الزمان وأمره * وهل يقبل النصف الألدّ المشاغب؟[1]
وتضحك سنّ المرء والقلب موجع * ويرضى الفتى عن دهره وهو عاتب
ألا أيها[2] الركبان والرد واجب * قفوا حدّثونا ما تقول النوادب
إلى أىّ فتيان الندى قصد الردى * وأيهم نابت حماه النوائب؟
فيا لأبى العباس كم ردّ راغب * لفقدك ملهوفا وكم جبّ غارب[3]
ويا لأبى العباس إن مناكبا * تنوء بما حمّلتها لنواكب
فيا قبره جُد كلّ قبر بجوده * ففيك سماء ثرة وسحائب[4]
فإنك لو تدرى بما فيك من علا * علوت وباتت فى ذراك الكواكب[5]
أخا كنت أبكيه دما وهو نائم * حذارا وتعمى مقلتى وهو غائب
فمات ولا صبرى على الأجر واقف * ولا أنا فى عمر إلى الله راغب
أأسعى لأحظى فيك بالأجر إنه * لسعى إذن منّى لدى الله خائب
وما الإثم إلا الصبر عنك وإنما * عواقب حمد أن تذمّ العواقب
يقولون: مقدار على المرء واجب * فقلت: وإعوال على المرء واجب
هو القلب لما حمّ يوم ابن أمه * وهى جانب منه وأسقم جانب
ترشفت أيامى وهن كوالح * عليك، وغالبت الردى وهو غالب
ودافعت فى صدر الزمان ونحره * وأىّ يد لى والزمان محارب؟
وقلت له: خلّ الجواد لقومه * وهأنذا فازدد فإنا عصائب[6]

(١) النصف (بفتح النون وضمها وكسرها): الإنصاف. والألد: الخصم الشحيح الذى لا يرجع إلى الحق. (٢) فى الأصول: «إنها»، وهو تصحيف. (٣) فى الأصول: «حب عارب» تصحيف. والغارب: الكاهل. (٤) ثرة: غزيرة. والجود: المطر الغزير. (٥) ذراك: كنفك وظلك. (٦) كذا فى جـ. وفى ب، س: «وهل ند فاردده» وهو تحريف.

فوالله إخلاصًا من القول صادقًا * وإلّا فحُبّي آلَ أحمدَ كاذب
لَوَ انّ يدى كانت شِفاءَك أودَمى * دمَ القلبِ حتّى يَقْضِبَ القلبَ قاضبُ (١)
لَسلَّمتُ تسليمَ الرِّضا وتَخِذْتُها * يدًا للرَّدَى ما حَجَّ لله راكبُ
فتًى كان مثلَ السيفِ مِن حيثُ جِئْتَه * لنائبةٍ نابتْكَ فَهْوَ مُضاربُ
فتًى هَمُّه حمدٌ على الدَّهرِ رابحٌ * وإن غاب عنه مالُه فهو عازبُ
شمائلُ إن يَشْهَدْ فهُنَّ مَشاهِدٌ * عِظامٌ وإن يَرْحَلْ فهُنَّ كتائبُ
بكاكَ أخٌ لم تَحْوِه بقَرابةٍ * بَلَى إنَّ إخوانَ الصَّفاءِ أقاربُ
وأظلمتِ الدُّنيا التى كنتَ جارَها * كأنَّك للدُّنيا أخٌ ومُناسِبُ
يُبَرِّدُ نيرانَ المصائبِ أنّنى * أرى زمنًا لم تَبْقَ فيه مَصائبُ

١٤٩ / ١٢

أبيات له فى أهل حمص وقد عزلوا إمام مسجدهم

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب محمد بن طاهر عن أبي طاهر :
إنّ خطيب أهل حِمْص كان يصلِّي على النبيّ صلى الله عليه وسلم على المِنْبَر ثلاث مرات فى خطبته ، وكان أهل حمص كلُّهم من اليمن ، لم يكن فيهم من مُضَر إلّا ثلاثةُ أبيات ، فتعصّبوا على الإمام وعزلوه ؛ فقال ديك الجنّ :

سَمِعُوا الصَّلاةَ على النبيِّ تَوالَى * فتَفَرَّقُوا شِيَعًا وقالوا : لَا لَا
ثم استمرَّ على الصلاةِ إمامُهم * فتحزَّبوا ورَمَى الرِّجالُ رِجالَا
يا آلَ حِمْصَ تَوقَّعُوا مِنْ عارِها * خِزْيًا يَحُلُّ عليكُمُ ووَبالَا
شاهتْ وجوهُكُمُ وجوهًا طالمَا * رَغِمَتْ مَعاطِسُها وساءتْ حالَا (٢)

(١) فى الأصول : « لو أن دمى كانت شفاؤك » وهو تحريف . قضبه : قطعه .
(٢) شاهت : قبحت . ورغم أنفه (مثلثة الغين) : ذل عن كره . والمعطس ، وزان مجلس ومقعد : الأنف .

صـــــوت

أيابنـةَ عبـدِ الله وابنـةَ مالكٍ * ويابْنَةَ ذى البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ
إذَا ما صـنعتِ الزادَ فالتمسى له * أَكِيلًا فإنّى لستُ آكِلَهُ وَحْدِى

عَرُوضه من الطويل . الشعر لقيس بن عاصم المِنْقَرِىّ ، والغناء لَعلُّويَه ، ثقيلٌ أوّل بالوُسْطَى .

٥

أخبار قيس بن عاصم ونسبه

نسبه

هو قَيْسُ بن عاصِم بن سِنَان بن خالد بن مِنْقَر بن عُبَيْد بن مُقَاعِس . واسم مقاعس الحارثُ بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَنَاةَ بن تميم . ويُكْنَى أبا علىّ . وأُمُّه أُمّ أَصْعَر بنتُ خَلِيفَة بن جَرْوَل بن مِنقر .

بعض صفاته

٥ وهو شاعرٌ فارسٌ شُجاعٌ حليمٌ كثير الغارات، مُظَفَّرٌ في غَزَوَاته . أدرك الجاهليّة والإسلام فساد فيهما . وهو أحَدُ مَنْ وَأَد بناته[1] في الجاهليّة، وأسلم وحسُن إسلامه، وأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم، وصَحِبه في حياته، وعُمِّر بعده زمانا، ورَوَى عنه عِدّةَ أحاديث .

وأده بناته في الجاهلية

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدّثني

١٠ عليّ بن الصَّبّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال :

وَفَدَ قَيْسُ بن عاصِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فسأله بعضُ الأنصار عما يُتَحَدَّثُ به عنه من الموءودات التي وَأَدهنّ من بناته ؛ فأخبر أنه ماوُلِدتْ له بنتٌ قَطُّ إلّا وَأَدها . ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّثه فقال له : كنت أخاف سوء الأُحدوثة والفضيحةَ في البنات ، فما وُلِدتْ لى بنتٌ قطُّ إلا

١٥٠ / ١٢

١٥ وَأَدْتُها، وما رَحِمتُ منهن موءودةً قطُّ إلّا بُنَيَّةً لى ولدتْها أُمُّها وأنا في سَفَر، فدفعتْها أُمُّها إلى أخوالها فكانت فيهم ؛ وقَدِمتُ فسألت عن الحَمْل ، فأخبرتني المرأة أنها ولدتْ ولدًا مَيِّتًا . ومضت على ذلك سنونَ حتى كَبِرت الصبيّة ويَفَعتْ ، فزارتْ أُمَّها ذاتَ يوم ، فدخلتُ فرأيتُها وقد ضَفَرتْ شَعَرها وجعلتْ في قُرونها شيئا من خَلُوق[2] ونظمتْ عليها وَدَعًا، وألبستْها قِلَادةَ جَزْعٍ[3]، وجعلتْ في عُنُقها مِخْنَقة[4]

٢٠ (١) وأدبنته : دفنها حية . (٢) الخلوق : ضرب من الطيب . (٣) الجزع بالفتح (ويكسر) : الخرز اليماني الصيني، فيه سواد وبياض، تشبه به الأعين . (٤) المخنقة : القلادة .

بَلَح : فقلتُ ، مَنْ هذه الصبيّة فقد أعجبنى جمالُها وكَيْسُها[1] ؟ فبكتْ ثم قالت : هذه ابنتُك ، كنتُ خبّرتك أنّى ولدتُ ولدًا ميّتا ، وجعلتُها عند أخوالها حتى بلغتْ هذا المبلغ . فأمسكتُ عنها حتى اشتغلَتْ عنها ، ثم أخرجتها يومًا فحفرتُ لهـا حَفيرةً فجعلتُها فيها وهى تقول : يا أبتِ[2] ما تصنع بى ؟ ! وجعلتُ أقذف عليها التُّراب وهى تقول : يا أبت أمُغَطِّىَّ أنتَ بالتُّراب ؟ ! أتاركى أنت وحدى ومنصرفٌ عنى ؟ ! وجعلتُ أقذف عليها التراب ذلك حتى واريتُها وانقطع صوتها ، فما رَحِمتُ أحدًا ممن واريتُه غيرها . فدمعتْ عَيْنَا النبىِّ صلّى الله عليه وسلم ثم قال : "إنّ هذه لَقَسْوةٌ ، و إنّ مَنْ لا يَرْحَم لا يُرْحَم"[3] أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم .

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال : حدّثنى عمّى أبو فِراس محمد بن فِراس عن عمر بن أبى بَكّار عن شيخ من بنى تميم عن أبى هُرَيْرَة :

أن قَيْس بن عاصم دخل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفى حِجْره بعضُ بَناته يَشَمُّها ، فقال له : ما هذه السَّخْلة[4] تَشَمُّها ؟ فقال : هذه ابنتى . فقال : والله لقد وُلِدَ لى بَنُونَ ووأدتُ بُنَيّات ما شَمِمْتُ منهنّ أنثى ولا ذَكَرًا قطُّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فهَلْ إلا أن يَنْزِعَ الله الرحمةَ من قَلْبِك"[5] !

(١) الكيس : العقل . (٢) يا أبت : التاء فيه عوض من ياء المتكلم ، ويجوز فيها الفتح والكسر ، وسمع فيها الضم أيضا . قال فى التسهيل : « وجعلها هاء فى الخط والوقف جائز » ، ورسمت فى المصحف بالتاء ؛ قال الدمامينى : «فرسمها بالتاء أولى» . (٣) روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن على وعنده الأقرع بن حابس التميمى جالسا ، فقال الأقرع : إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا . فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « من لا يرحم لا يرحم » . إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى (٩ : ٢٠) . (٤) السخلة : ولد الشاة . (٥) روى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : تقبلون الصبيان ! فما نقبلهم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة » ! إرشاد السارى (٩ : ٢١) .

سبب وأده لبناته

قال أحمد بن الهيثم قال عمّى فحدّثنى عبد الله بن الأهتم :

أن سَبَبَ وأْد قيس بناته أن المُشَمْرَج اليَشْكُرِىّ أغار على بنى سَعْد فسَبى منهم نساءً واستاق أموالًا ، وكان فى النساء امرأةٌ ، خالُها قيس بن عاصم ، وهى رَمِيمُ بنتُ أحمر[1] بن جَنْدَلٍ السَّعْدِىّ ، وأُمُّها أخت قيس . فرحل قيسٌ إليهم يسألُهم أن يَهَبُوها له أو يَفْدُوها ، فوجد عمرو بن المُشَمْرَج قد اصطفاها لنفسه . فسأله فيها ، فقال : قد جعلتُ أمْرها إليها فإن اختارتك فخذها . فخُيِّرتْ ، فاختارت عمرو بن المُشَمْرَج . فانصرف قيس فوأَدَ كلَّ بنت ، وجعل ذلك سُنّةً فى كلّ بنتٍ تُولَد له ، واقتدت به العرب فى ذلك ؛ فكان كلُّ سيِّد يُولَد له بنتٌ يئدُها خوفًا من الفضيحة .

خبره مع زوجه منفوسة بنت زيد الفوارس

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنى عمّى عن العبّاس بن هشام عن أبيه عن جدّه قال :

تزوّج قيس بن عاصم المِنْقَرِىّ مَنْفوسةَ بنتَ زيد الفَوارِس الضَّبِّىّ ، وأتته فى الليلة الثانية من بنائه بها بطعام ، فقال : فأين أكِيلى ؟ فلم تعلم ما يريد ؛ فأنشأ يقول :

أيا ٱبْنَةَ عبدِ الله وٱبنةَ مالكٍ * ويا ٱبنةَ ذى البُرْدَيْنِ[2] والفَرَسِ الوَرْدِ

إذا ما صَنَعتِ الزّادَ فالتمِسى له * أكِيلًا فإنّى لستُ آكِلَهُ وَحْدِى

---

(١) فى الأصول : « بنت أحمد » ، وهو تحريف .

(٢) ذو البردين : هو عامر بن أحيمر بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ؛ لقب بذلك لأن الوفود اجتمعوا عند عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، فأخرج بردين وقال : ليقم أعز العرب فليلبسهما ، فقام عامر ؛ فقال له : أنت أعز العرب ؟ قال : نعم ؛ لأن العز كله فى معدّ ثم نزار ثم مضر ثم تميم ثم سعد ثم كعب ؛ فمن أنكر ذلك فليناظر ، فسكتوا . فقال : هذه قبيلتك ، فكيف أنت فى نفسك وأهل بيتك ؟ فقال : أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة ، ثم وضع قدمه على الأرض وقال : من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل ، فلم يقم إليه أحد ؛ فأخذ البردين وانصرف . تاج العروس (مادة برد) . والفرس الورد : الذى بين الكميت والأشقر .

أخًا طارقًا أو جارَ بيتٍ فإنّنى * أخافُ مَلاماتِ الأحاديثِ من بعْدى
وإنّى لعبدُ الضَّيْفِ من غير ذِلّةٍ * وما بِىَ إلّا تلك من شِيَم العَبْدِ [1]

قال : فأرسلتْ جاريةً لها مليحة فطلبت له أكِيلا، وأنشأت تقول له :

١٥١
١٢

أبَى المَرْءُ قيسٌ أن يذوقَ طَعامَهُ * بغيرِ أكيلٍ إنّه لَكريمُ
فبُورِكْتَ حيًّا يا أخَا الجُودِ والنَّدى * وبُورِكْتَ مَيْتًا قد حوَتْكَ رُجومُ [2]

٥

أبيات للعباس بن مرداس يمدح فيها قيسا ويهجو جوينا الطائى

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا دَمَاذ عن أبى عُبَيدةَ قال :

جاورَ رجلٌ من بنى القَيْنِ من قُضَاعَةَ قيسَ بن عاصم ، فأحسن جِوارَه ولم يَرَ منه إلّا خيرا حتى فارقه ، ثم نزل عند جُوَيْن الطائىّ أبى عامر بن جُوَيْن ، فوثب عليه رجال من طيئ فقتلوه وأخذوا ماله ، فقال العبّاس بن مِرْدَاس يهجوهم ويمدح قيسًا :

١٠

لَعَمْرِى لقد أوفَى الجوادُ ابنُ عاصم * وأحْصَنَ جارًا يومَ يَحْدِجُ بَكْرَهْ [3]
أقامَ عزيزًا مُنْتَدَى القومِ عندَه * فلم يَرَ سَوْءاتٍ ولم يَخْشَ غَدْرَهْ [4]

---

(١) وردت هذه الأبيات فى الكامل للبرد ١ : ٢٧٩ ببعض تغيير فى الرواية وكذا فى أشعار الحماسة ج ٢ : ٢٤٤ فانظرها هناك .

١٥

(٢) رجوم : تعنى حجارة القبر . والذى فى كتب اللغة : « الرجمة بالضم والفتح : القبر ، والجمع رجام ، ككتاب ، وهو الرجم ، كسبب ، والجمع أرجام ، والرجم والرجام : الحجارة المجموعة على القبر ، والرجم ، كشمس : اسم لما يرجم به الشىء المرجوم والجمع رجوم » وليس فيها «رجوم» بمعنى حجارة القبر .

(٣) فى الأصول : « وأحسن جدا » وهو تحريف ، وأحصنه : منعه وحفظه . وحدج البعير كضرب : شدّ عليه الحدج والأداة ووسقه . والحدج : الحمل ، وزنا ومعنى . والبكر : الفتى من الإبل .

٢٠

(٤) المنتدى : مجلس القوم ومتحدثهم . وغدره : يجوز أن يكون بالتاء وبالهاء .

أقام بِسَعْدٍ يشرب الماءَ آمنًا (١) * ويأكل وُسْطَاهَا ويَرْبِضُ حَجْرَهْ
فإنك إذ بادلتَ قيسَ بنَ عاصمٍ (٢) * جُوَيْنًا لمُخْتارَ المنازلِ شَرَّهْ
فأصبح يحدو رَحْلَهُ بمَفَازةٍ (٣) * وماذا عَدَا جارًا كريمًا وأُسْرَهْ
يَظَلُّ بأرض الغَدْرِ يأكُلُ عَهْدَهُ (٤) * جُوَيْنٌ وشَمْخٌ خَاوِبَيْنِ بوَجْرَهْ
يُذَمّان بالأزواد والزادُ مُحْرَمٌ (٥) * سَرُوقان من عِرق شرورا وفَجْرَهْ ٥

حلمه وعفوه عن ابن أخيه وقد قتل ابنه

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزي قال حدّثني دَماذ عن أبي عبيدة قال ، قال الأحنف :

---

(١) بسعد : أي بني سعد وهم قوم قيس بن عاصم . ويأكل وسطاها ، من أمثال العرب : « يرتعي وسطا ويربض حجرة » والوسط من المرعى : خياره ، أي يرتعي أوسط المرعى وخياره ما دام القوم في خير ، فإذا أصابهم شر اعتزلهم . وربض حجرة أي ناحية . انظر لسان العرب (وسط وحجر) . ويروى هذا المثل أيضا : « يأكل خضرة ويربض حجرة » أي يأكل من الروضة ويربض ناحية . انظر مجمع الأمثال للميداني ٢ : ١٥٠ — وقد ضمن الشاعر البيت المثل فقال : ويأكل وسطاها أي وسطى مآكلها ، ووسطى مؤنث أوسط ، وأوسط الشيء ووسطه (بالتحريك) : أعدله وخياره ، أي يأكل خير مآكلها وأطيبها . ١٠

(٢) شرة : مفعول مختار ، وشرة وشرى أيضا كفضلى مؤنث شر . ١٥

(٣) حدا البعير : ساقه ، والمفازة : الفلاة لا ماء بها . وأسرة الرجل : عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم .

(٤) يأكل عهده : يريد « ينكث » من قولهم أكل فلان عمره : أفناه . وشمخ : اسم رجل . والخاوب : اللص ، وجرة : اسم موضع .

(٥) أذم به : تهاون ، والأزواد جمع زاد . المحرم : الحرمة التي لا يحل انتهاكها ، والعرق : الأصل . والفجرة : الفجور ، ويقال : حلف فلان على فجرة ، واشتمل على فجرة : إذا ركب أمرا قبيحا من يمين كاذبة أو زنا أو كذب ، وفي سه « من مرق سروق ونجره » وفي ب ، حـ « من عرق سرق ونفرة » وهو تحريف . ٢٠

ما تعلّمت الحلم إلّا من قيس بن عاصم المِنْقرىّ، فقيل له : وكيف ذلك يا أبا بحر؟ فقال : قتل ابن أخ له ابنا له فأُتى بابن أخيه مكتوفا يقاد إليه، فقال: ذَعَرتم الفتى . ثم أقبل عليه فقال : يا بُنىّ، نقصتَ عددك، وأوهيت ركنك[1]، وفَتَتَّ فى عضدك، وأشمتَّ عدوّك، وأسأت بقومك . خَلّوا سبيله، واحملوا إلى أم المقتول ديته، قال : فانصرف القاتل وما حلّ قيس حِبوته[2]، ولا تغير وجهه[3] .

وفوده على الرسول عليه السلام

أخبرنى عبيد الله الرازىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنىّ عن ابن جُعْدُبَة وأبى اليقظان قالا :

وفد قيس بن عاصم على رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فقال النبىّ عليه الصلاةُ والسلام : " هذا سيِّد أهل الوَبَر " .

---

(١) وهى الحائط : ضعف وهم بالسقوط، وأوهاه هو . فت فى عضده : أضعفه .

(٢) احتبى : جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها، والاسم الحبوة (بفتح و بضم) .

(٣) الخبر فى أمالى السيد المرتضى ١ : ٧٦ . وجاء فى مجمع الأمثال للميدانى ١ : ١٤٨ والعقد الفريد ١ : ١٧٧ «قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم؟ قال : من قيس بن عاصم المنقرى، حضرته يوما قاعدا بفناء داره، محتبيا بحمائل سيفه يحدثنا، إذ جاءوا بابن له قتيل وابن عم له كتيف، فقالوا : هـذا ابن أخيك قتل ابنك، فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه، حتى إذا فرغ من الحديث التفت إلى ابن أخيه وقال له : يابن أخى، أثمت بربك، ورميت نفسك بسهمك، وقتلت ابن عمك . ثم قال لابن له آخر : يا بنى قم إلى ابن عمك فأطلقه، و إلى أخيك فادفنه، و إلى أم القتيل فأعطها مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة لعلها تسلو عنه، ثم أنشأ يقول :

إنى امرؤ لا يعترى خلق * دنس يهجّنه ولا أفن

من منقر من بيت مكرمة * والغصن ينبت حوله الغصن

خطباء حين يقوم قائلهم * بيض الوجوه مصاقع لسن

لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جواره فطن

قصته مع تاجر خمار

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي حاتم قال : جاور داريٌّ[1] كان يَتَّجِر في أرض العرب قيس بن عاصم، فشرب قيْس ليلةً حتى سَكر، فرَبط الداريَّ وأخذ مَاله، وشرب من شرابه فازداد سُكْرًا، وجعل من السكر يتطاول ويُثَاوِرَ[2] النجومَ ليَبْلُغَها وليتناولَ القمر، وقال :

وتاجرٍ فاجرٍ جاء الإلهُ به * كأن عُثْنونَه أذنابُ أجمالِ[3]

٥

ثم قَسَمَ صَدَقة النبيّ صلى الله عليه وسلم في قومه وقال :

أَلَا أَبْلِغا عنِّي قُـرَيْشًا رسـالةً * إذا ما أتتهم مُهْدَيَاتُ الوَدائـع

حَبَوْتُ بما صدَّقتُ في العامِ مِنْقَرًا * وأيأستُ منها كلَّ أطلسَ طامِـع[4]

قال : فلمّا فعَل بالداريّ ما فعـل وسكر، جعـل مالَه نُهْبَى[5]، فلم تزل امرأته تُسكِّنه حتّى نام . فلما أصبح أُخبر بما كان منه، فآلى ألّا يُدْخل الخمـرَ بين أضلاعه أبدا .

١٠

---

(١) داريّ : من الداريين، وهم بنو الدار بن هانىء بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عدى، ينتهى نسبهم إلى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

(٢) ثاوره مثاورة وثوارا : واثبـه .

(٣) العثنون من اللحيـة : ما نبت على الذقن وتحته سفلا . وأجمال : جمـع جمل . جاء في الكامل للمبرد ١ : ٢٨٠ « قال ذلك لأن ذنب البعير يضرب إلى الصهبة وفيه استواء وهو يشبه اللحية » .

١٥

(٤) حباه : أعطاه بلا جزاء ولا منّ، أوهو عام . والمصدق : آخذ الصدقات، والمتصـدق : معطيها . والأطلس هنا : اللص الخبيث .

(٥) النهبى : اسم للنهوب، كالنهبة بالضم .

١٥٢
١٢

خدعه الزبرقان بن بدر حتى فرّق الصدقات فى قومه

أخبرنى وكيعٌ قال حدّثنا المدائنىّ قال :

وَلِى قيسُ بن عاصم على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صَدَقات بنى مُقَاعِس والبُطونِ كلِّها، وكان الزِّبْرقان بن بَدْرٍ قد وَلِى صَدَقات عوف والأبناء (١) . فلما تُوُفِّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم وقد جَمع كلُّ واحد من قيسٍ والزِّبْرِقان صَدَقاتِ مَنْ وَلِىَ صدقَتَه دسّ إليه الزِّبْرقانُ مَنْ زَيّن له المَنْع لِما فى يده وخَدَعه بذلك، وقال له : إنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قد تُوُفِّىَ، فهَلُمَّ نجمع هذه الصدقةَ ونجعلها فى قومنا؛ فإن استقام الأمرُ لأبى بكر وأدّتِ العربُ إليه الزكاة جمعنا له الثانيةَ . ففرّق قيس الإبلَ فى قَوْمه؛ فانطلق الزِّبرقان إلى أبى بكر بسبعمائة بعير فأدّاها إليه، وقال فى ذلك :

وَفَيْتُ بأذوادِ النبىِّ محمدٍ (٢) * وكنتُ امرأً لا أُفْسِدُ الدِّينَ بالغَدْرِ

فلمّا عرف قيسٌ ما كادَه به الزبرقان قال : لو عاهد الزِّبرقانُ أُمَّه لَغَدَر بها .

أسباب سيادته

أخبرنى عبد الله بن محمد الرازىّ قال حدّثنا الحارث بن أسامة قال حدّثنا المدائنىّ، وأخبرنى الحسن بن علىٍّ قال حدّثنا ثعلبٌ عن ابن الأعرابىّ قال :

قيل لقيس بن عاصم : بماذا سُدْتَ ؟ قال : بِبَذْلِ النَّدَى، وكَفِّ الأَذَى، ونَصْر المَوَالِى (٣) .

(١) الأبناء، هم خمسة من ولد سعد بن زيد مناة بن تميم، وهم عبد شمس ومالك وعوف وعوانة وجشم .

(٢) الذود : ثلاثة أبعرة إلى العشرة، وقيل غير ذلك، والجمع أذواد .

(٣) فى أمالى السيد المرتضى ١ : ٧٦ « ونصر الولى »

نصيحته لبنيه

أخبرنى وكيعٌ قال حدّثنا العُمَرى عن الهيثم قال :

كان قيسُ بن عاصم يقول لبنيه : إيّاكم والبَغْىَ، فما بَغَى قومٌ قطُّ إلا قَلُّوا وذَلُّوا.
فكان بعضُ بَنِيه يَلْطِمُهُ[1] قومُه أوغيرُهم فينهى إخوتَه عن أن ينصروه .

حديث له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المال

أخبرنى عبيد الله بن محمد الرازى قال حدّثنا الحارث عن المدائنى عن
٥ ابن جُعْدُبة : أنّ قيس بن عاصم قال :

أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرحّب بى وأدنانى؛ فقلت : يارسول الله،
المالُ الذى لا يكون علىَّ فيه تَبِعةٌ ما ترى فى إمساكه لِضَيْفٍ إن طَرَقنى، وعِيالٍ
إنْ كَثُروا علىّ؟ فقال : "نِعْمَ المالُ[2] الأربعون، والأكثرُ الستّون، وويلٌ لأصحاب
المِئين — ثلاثا — إلا مَنْ أَعطى من رِسْلها[3] وأطرقَ فَحْلَها[4]، وأفقر ظَهْرَها[5]، ومَنَح
١٠ غَزِيرَتَها[6]، وأطعم القانعَ والمُعْتَرَّ[7]" . فقلت له : يا رسولَ الله، ما أكرمَ هذه
الأخلاقَ ! إنه لا يُحَلُّ بالوادى الذى أنا فيه من كَثْرتها . قال : "فكيف تصنع
فى الإطراق ؟" قلت : يغدو الناس، فمَنْ شاء أن يأخُذَ برأس بَعِيرذَهَب به، قال :
"فكيف تصنع فى الإفقار ؟" فقلت إنّى لأُفْقِرُ النابَ[8] المُدبِرةَ والضَّرَعَ[9] الصغيرة.
قال : "فكيف تَصْنَع فى المَنِيحة[10]؟" قلت : إنى لأمنح فى السَّنَة المائة . قال :
١٥ "إنما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيت، أو لبِسْتَ فأبْلَيْتَ، أو تصدّقْتَ فأبْقَيْتَ".

(١) فى أمالى السيد المرتضى : «يظلمه» . (٢) أكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها كانت أكثر أموالهم . (٣) الرسل : اللبن . (٤) أطرقه فحله : أعاره إياه ليضرب فى إبله . (٥) الظهر : الإبل التى يحمل عليها و يركب . وأفقره بعيره : أعاره إياه يركب ظهره فى سفر أو يحمل عليه ثم يرده . (٦) منح غزيرتها : أعطاها من يحلبها و يردّها .
٢٠ (٧) القانع هنا : الذى يسأل، والمعترّ : المتعرض للعروف من غير أن يسأل .
(٨) الناب : الناقة المسنة . والمدبرة : الهرمة، التى هرمت فأدبر خيرها .
(٩) الضرع : الصغير من كل شىء، أو الصغير السن الضعيف الضاوى النحيف . وككتف : الضعيف .
(١٠) فى ب، س : «المليحة» وهو تحريف .

خبره مع الحوفزان

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ حدّثنا أبو غسّان دَماذ عن أبى عُبَيْدَة قال :

قيسُ بن عاصم هو الّذى حَفَز الحَوْفَزَانَ بن شَرِيك الشَّيْبانى، طَعَنه فى اسْتِه فى يوم جَدُود (١) .

أبياته التى قالها فى يوم جدود

وكان من حديث ذلك اليوم أنّ الحارث بن شَرِيك بن عمرو الصُّلْب ابن قَيْس بن شَرَاحِيل بن مُرَّة بن هَمَّام كانت بينه وبين بنى يَرْبُوع مُوَادعةٌ ، ثم هَمَّ بالغدر بهم ، فجمع بنى شَيْبانَ (٢) وبنى ذُهْلٍ واللَّهازِمَ : قَيْسَ بن ثَعْلبةَ وتَيْمَ الله بن ثَعْلبةَ وغيرهم ، ثم غزا بنى يربوع ، فَنَذِرَ (٣) به عُتَيْبةُ بن الحارث بن شِهَاب بن شَرِيك ، فنادى فى قومه بنى جعفر بن ثَعْلبةَ من بنى يَرْبُوع فوادَعه (٤) . وأغار الحارثُ بن شريك على بنى مُقَاعِس وإخوتِهم بنى رُبَيْع (٥) فلم يُجيبوهم ، فاستصرخوا بنى مِنْقَرٍ فركبوا حتّى

(١) جدود : اسم موضع فى أرض بنى تميم قريب من حزن بنى يربوع على سمت اليمامة ، فيه الماء الذى يقال له الكلاب ، وكان فيه وقعتان مشهورتان عظيمتان من أعرف أيام العرب . اقرأ حديث يوم جدود أيضا فى العقد الفريد (٣ : ٧٢) .

(٢) شيبان : حى من بكر بن وائل ، وهما شيبانان : أحدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، والآخر شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة . واللهازم ، هم قيس بن ثعلبة بن عكابة ، وتيم الله — أو تيم اللات — بن ثعلبة بن عكابة ، وعجل بن لجيم ، وعنزة بن أسد بن ربيعة — انظر العقد الفريد (٣ : ٦٨) ، ولسان العرب . وفى الأصول « واللهازم وقيس بن ثعلبة » بزيادة الواو وهو خطأ .

(٣) نذر به كفرح : علمه فحذره . وفى ب ، سـ « عتبة بن الحارث » .

(٤) وذلك أن الحوفزان لما انتهى إلى جدود منعتهم بنو يربوع أن يردوا الماء — ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب — فقاتلوهم ، فلم يكن لبنى بكر بهم يد ، فصالحوهم على أن يعطوا بنى يربوع بعض غنائمهم ، وعلى أن يخلوهم يردون الماء ، فقبلوا ذلك وأجازوهم ، فبلغ ذلك بنى سعد ، فقال قيس بن عاصم فى ذلك : جزى الله يربوعا ... الأبيات الآتية (انظر العقد الفريد (يوم جدود) .

(٥) كذا فى الأصول ، والظاهر أن فى الكلام نقصا . وبنو ربيع (كزبير) هم بنو ربيع بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، وجاء فى النقائض ص ١٤٥ طبع أوربة (بعد أن أورد خبر موادعته بنى يربوع) : « فمضى إلى بنى سعد فأغار على ربيع بن الحارث فأصاب نسوة وهم خلوف وأصاب إبلا ، فأتى الصريخ بنى سعد ، فركب قيس بن عاصم فى بنى سعد ... » .

لَحِقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يوم شديد الحَرّ (١) . فما شَعَر الحَوْفَزانُ إلا بالأهتم بن سُمَيّ بن سِنان بن خالد بن مِنْقَر — واسم الأهتم سنان — وهو واقف على رأسه ، فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه وقال للأهتم : مَنْ أنت؟ فانتسب له ، وقال : هذه مِنقر قد أتتك . فقال الحوفزان : فأنا الحارث بن شريك ! فنادى الأهتم : يا آل سعد ! ونادى الحوفزان : يا آل وائل ! وحمل كلٌّ واحد منهما على صاحبه ، ولحقت بنو مِنْقَر ، فاقتتلوا أشدّ قتال وأبرحه (٢) ، ونادت نساء بني رُبَيْع : يا آل سعد ! فاشتدّ قتال بني منقر لصياحهن ، فهُزِمتْ بكر بن وائل ، وخلَّوْا مَنْ (٣) كان في أيديهم من بني مُقَاعِس ، وما كان في أيديهم من أموالهم ، وتبِعتهم بنو مِنْقَر بين قَتْلٍ وأَسْرٍ ، فأسر الأهتمُ حُمْرَان بن عَبْد عمرو (٤) ، وقصد قيسُ بن عاصم الحوفزانَ ، ولم يكن له همّة غيره ، والحارث على فرس له قارِحٍ (٥) يُدْعَى الزَّبِد ، وقيس على مُهْرٍ ، فخاف قيس أن يسبقه الحارث ، فحفزه بالرُّمح في أسته ، فتحفّز به الفرسُ فنجا ، فسُمّي الحَوْفَزَان . وأطلق قيس أموالَ بني مُقَاعِس وبني رُبَيْع وسَبَاياهم ، وأخذ أموالَ بكر بن وائل وأَسَاراهم . وانتقضت طعنة قيس على الحَوْفزان بعد سَنة فمات . وفي هذا اليوم يقول قيس بن عاصم :

جَزَى الله يَرْبوعًا بأسوأ فِعْلِها (٦) * إذا ذُكِرتْ في النائباتِ أمورُها

---

(١) القائلة : نصف النهار ، وقال : نام في القائلة ، فهو قائل .

(٢) أبرحه : أشدّه وأشقّه .

(٣) في الأصول : « ما كان » تحريف .

(٤) في العقد الفريد : « حمران بن بشر بن عمرو بن مرثد » . وفي لسان العرب مادة (حفز) : « حمران بن عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد » .

(٥) قرح الفرس قروحا : إذا ألقى أقصى أسنانه ، وذلك إذا استتم الخامسة ودخل في السادسة . والزبد ككتف (كما في القاموس المحيط)

(٦) في النقائض والعقد « سعيها » .

ويومَ جَدُودٍ قد فضحتم ذِمارَكم * وسالَمْتُمُ والخيلُ تَدْمَى نُحورُها[1]
سَتَخطِمُ سعدٌ والرِّبابُ أُنوفَكم * كما حُزَّ في أنفِ القَضيبِ جَرِيرُها[2]

وقال سَوّار[3] بن حَيّان المِنْقَرِيّ :

ونحن حَفَزنا الحوفزانَ بطَعْنةٍ * سَقَتْه نَجِيعًا[4] من دَمِ الجَوْفِ أشْكَلا[5]
وحُمْرانُ قَسْرًا أنزلتْه رِماحُنا * فعالَجَ غُلًّا في ذِراعَيْه مُقْفَلا

إغارته على اللهازم يوم النباج وثيتل وما قال ابنه عن فى ذلك اليوم

قال: وأغار قيس بن عاصم أيضا على اللهازم، فتَبِعه بنو كَعْب بن سعد بالنِّباجِ وثَيْتَل[6]، فتخوَّف أن يَكْرَه أصحابُه لقاءَ بكر بن وائل، وقد كانوا يَتَناجَوْن[7] فى ذلك، فقام ليلًا فشقَّ مَزادَهم[8]، لئلا يَجِدُوا بُدًّا من لقاء العدوّ، فلما فعل ذلك أذعنوا بلقائهم وصَبَروا له، فأغار عليهم، فكان أشهرَ يوم يومَ ثَيْتَل لبنى سعد، وظَفِر قيسٌ بما شاء، وملأ يديه من أموالهم وغنائمهم. وفى ذلك يقول ابنه علىّ[9] بن قيس ابن عاصم :

(١) الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته. وفى معجم البلدان والعقد الفريد والنقائض: «قد فضحتم أباكم»؛ يعنى ما كان منهم من موادعة الحوفزان، وقد تقدّم خبرها.
(٢) خطمه : ضرب أنفه. والرباب : خمس قبائل تجمعوا فصاروا يدا واحدة، وهم ضبة وثور وعكل (كقفل) وتيم وعدىّ. والقضيب : الناقة التى لم ترض. والجرير : الزمام.
(٣) كذا فى الأصول وأمالى السيد المرتضى ١ : ٧٧ والنقائض. وفى العقد الفريد : «سويد».
(٤) فى العقد الفريد والنقائض : «تمج نجيعا».
(٥) حفزه بالرمح طعنه. والنجيع من الدم : ما كان الى السواد، أو دم الجوف. والأشكل : ما يخلط سواده حمرة.
(٦) فى ب وس. «نبتل» وفى جـ : «ثبتل» تصحيف. والنباج : موضع من البصرة على عشر مراحل. وثيتل : ماء قرب النباج، وبهما يوم من أيام العرب مشهور لتميم على بكر بن وائل كما رأيت.
(٧) يتناجون : يتسارّون. (٨) المزادة : الراوية التى يحمل فيها الماء. قال أبو عبيد : لا تكون إلا من جلدين تفأم بجلد ثالث بينهما لتتسع، سميت بذلك لمكان الزيادة.
(٩) وبه يكنى «أبا على». وفى معجم البلدان : «قال قرة بن قيس بن عاصم». وفى العقد الفريد : «مرة».

أنا ابنُ الذى شقَّ المَزادَ وقد رأى * بثَيْتَلَ أحياءَ اللَّهازم حُضَّرَا
فصَبَّحهم بالجيش قيسُ بنُ عاصمٍ * وكان إذا ما أورد الأمرَ أصْدَرا[1]

قتاله عبد القيس

قال : وأغار قيسٌ أيضا ببنى سعد على عبد القَيْس ، وكان رئيس بنى سَعْد يومئذ سِنَان بن خالد ، وذلك بأرض البَحْرَيْن ، فأصابوا ما أرادوا ، واحتالت عبد القيس فى أن يفعل ببنى تميم كما فُعِل بهم بالمُشَقَّر[2] حين أُغلق عليهم بابه فامتنعوا ، فقال فى ذلك سوّار بن حيان :

فيالَك من أيّامِ صِدْقٍ أَعُدُّها * كيومِ جُؤَاثَى والنِّباجِ وثَيْتَلا[3]

كان رئيس بنى سعد يوم الكلاب الثانى

قال : وكان قيسُ بن عاصم رئيسَ بنى سعد يوم الكُلَابِ[4] الثانى ، فوقع بينه وبين الأهتم اختلاف فى أمر عبد يَغُوثَ بن وَقَّاص بن صَلَاءَةَ الحارثىّ حين أَسَره عِصْمَةُ بن أُبَيْر التَّيْمىّ ودَفَعه إلى الأهتم ، فرفع قيسٌ قَوْسَه فضرَب فَمَ الأهتم بها فهتَّم أسنانه ؛ فيومئذ سُمِّى الأهتم .

١٥٤ / ١٢

ما قاله لأولاده حين حضرته الوفاة

أخبرنا هشام بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا دَمَاذ عن أبى عُبَيْدَةَ ، وأخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدّثنا أحمد بن الهيثم بن عَدِىّ قال :

(١) رواية معجم البلدان والعقد الفريد :

فصبحهم بالجيش قيس بن عاصم * فلم يجدوا إلا الأسنة مصدرا
سقاهم بها الذيفان قيس بن عاصم * وكان إذا ما أورد الأمر أصدرا

والذيفان ، بالفتح و يكسر : السم القاتل . (٢) المشقر : حصن عظيم بالبحرين لعبد قيس ، يلى حصنا لهم آخر يقال له الصفا قبل مدينة هجر ، وفيه يقول يزيد بن مفرغ الحميرى :

* وجاورت عبد القيس أهل المشقر *

وفيه حبس كسرى بنى تميم ، وقد أوقع بهم فأخذ الأموال وسبى الذرارى بمدينة هجر . لأنهم أغاروا على لطيمة (أى عير) ، له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير . (٣) جؤاثى و يقال له (جواثى وجواثا) : حصن لعبد القيس بالبحرين . (٤) الكلاب : اسم ماء بين جبلة وشمام على سبع ليال من اليمامة . وللعرب فيه يومان مشهوران : هما الكلاب الأوّل ، والكلاب الثانى .

جمع قيس بن عاصم وَلَدَه حين حضرته الوفاة وقال : يا بَنِىَّ ، إذا مُتُّ فسَوِّدوا كِبارَكم ، ولا تُسَوِّدوا صِغارَكم فيُسَفِّهَ الناسُ كبارَكم . وعليكم بإصلاح المال فإنه مَنْبَهةٌ للكريم ، ويُستَغْنَى به عن اللئيم . وإذا مُتُّ فادْفِنونى فى ثيابى التى كنت أصلّى فيها وأصوم . وإياكم والمسألةَ فإنها آخِرُ[1] مكاسبِ العبد ؛ وإنَّ امرأً لم يسأل إلّا ترك مكسبه . وإذا دفنتمونى فأخْفُوا قبرى عن هذا الحىّ من بكرِ بن وائل ؛ فقد كان بيننا خُمَاشاتٌ[2] فى الجاهلية . ثم جمع ثمانين سهمًا فربطها بوَتَرٍ ، ثم قال : اكسِروها فلم يستطيعوا ، ثم قال : فرِّقوا . ففرّقوا ، فقال : اكسِروها سهما سهما ، فكسروها . فقال : هكذا أنتم فى الاجتماع وفى الفُرْقة . ثم قال :

إنما المجدُ ما بَنَى والدُ الصِّدْ * قِ وأحيا فَعالَه المولودُ

وتمامُ الفضلِ الشجاعةُ والحِلْـ * ـمُ إذا زانَه عَفَافٌ وجُودُ

وثلاثون يا بَنِىَّ إذا ما * جَمَعتْهم فى النائباتِ العُهودُ

كثلاثين من قِدَاحٍ إذا ما * شَدَّها للزمان قِدْحٌ شديد

لم تَكَسَّرْ وإن تفرّقتِ الأسْـ * ـهُمُ أَوْدَى بجمعِها التبديد

وذوو الحلمِ والأكابرُ أولَى * أن يُرَى منكُمُ لهم تسويدُ

وعليكمْ حِفْظَ الأصاغرِ حتّى * يَبْلُغَ الحِنْثَ الأصغرُ المجهودُ[3]

(١) جاء فى الكامل للمبرد : «أَخِر بقصر الهمزة لا غير ، ومن رواه بالمد أخطأ . ومعنى أخر : أدنى وأرذل» . وجاء فى لسان العرب : «وفى الحديث : المسألة أخِرُ كسب المرء ، أى أرذله وأدناه . ويروى بالمد ؛ أى إن السؤال آخر ما يكتسب به المرء عند العجز عن الكسب» .

(٢) خماشات : جراحات وجنايات .

(٣) بلغ الغلام الحنث : أى الإدراك والبلوغ ، أى بلغ مبلغ الرجال وجرى عليه القلم فكتب عليه الحنث (أى المعصية والإثم) والطاعة .

رثاء عبدة بن الطبيب له

ثم مات؛ فقال عَبْدَةُ بن الطَّبِيبِ يرثيه :

عليكَ سلامُ الله قَيْسَ بن عاصمٍ * ورحمتُه ما شاء أن يَتَرَحَّما
تحيّةَ من أوليته منك نعمةً * إذا زار عن شَحْطٍ بلادَكَ سَلَّما
فما كان قَيْسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحدٍ * ولكنّه بُنْيانُ قومٍ تَهَدَّما

تمثل هشام بن عبد الملك ببيت من أبيات عبدة فى رثائه

٥ أخبرنى عُبَيدالله بن محمد الرازىّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنى قال: لمّا مات عبد الملك بن مَرْوان اجتمع وَلَدُه حولَه، فبكى هشامٌ حتى اختلفت[1] أضلاعه، ثم قال: رَحِمك الله يا أميرَ المؤمنين! فأنت والله كما قال عَبْدة بن الطبيب:

وما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحدٍ * ولكنه بُنْيانُ قومٍ تهدّما

فقال له الوليد: كذبتَ يا أحولُ يا مشئوم، لسنا كذلك، ولكنّا كما قال الآخر:

١٠ إذا مُقْرَمٌ منّا ذَرَا حدُّ نابِه * تَخَمَّطَ فينا نابُ آخَرَ مُقْرَمِ[2]

هو وعبدة بن الطبيب

أخبرنى حبيبُ بن نَصْرٍ المُهَلَّبى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا علىّ بن الصبّاح عن ابن الكلبىّ عن أبيه قال:

كان بين قيس بن عاصم وعَبَدة بن الطَّبيب لِحاءٌ، فهجره قيسُ بن عاصم، ثم حَمَل عَبْدةُ دمًا فى قومه، فخرج يسأل فيما تَحَمَّله، فجمع إبلًا، ومرّ به قيس ١٥ ابن عاصم وهو يسأل فى تمام الدِّيَة، فقال: فيمَ يسأل عَبْدة؟ فأُخبر؛ فساق إليه الديةَ كاملةً من ماله، وقال: قولوا له لِيَسْتَمْتِعْ[3] بما صار إليه، ولْيَسُقْ هذه

١٥٥
――
١٢

(١) اختلفت: اضطربت. (٢) البيت لأوس بن حجر (اللسان مادة خمط، وقرم). ومقرم: سيد، وهو فى الأصل: البعير المكرم الذى لا يحمل عليه ولا يذلل ولكن يكون للفحلة والضراب؛ سمى به السيد الرئيس من الرجال تشبيها بالمقرم من الإبل لعظم شأنه وكرمه عندهم. وذرا نابه ذروا: انكسر ٢٠ حدّه أو سقط ووقع. والتخمط: الأخذ والقهر بغلبة. أراد: إذا هلك منا سيد خلفه آخر. وفى ب، س: «تحمط» وهو تصحيف. (٣) فى الأصول: «ليستنفع» وهو تحريف.

إلى القوم . فقال عَبْدةُ : أمَا والله لولا أنْ يكون صُلْحِى إيّاه بعَقِب هـذا الفِعْل عارًا علىّ لصالحتُه، ولكنى أنصرف إلى قـومى ثم أعود فأصالحه . ومضى بالإبل ثم عاد، فوجد قيسا قد مات ، فوقف على قبره وأنشأ يقول :

عليكَ سلامُ الله قَيْسَ بن عاصمٍ * ورحمتُه ما شاء أنْ يترحَّما

الأبيـات . ٥

سبب تحريمه الخمر على نفسه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأَزْهَر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر عاصم بن الحَدَثان وهشامُ بن الكلبىّ عن أشياخهما :

أنّ قيسَ بن عاصم المِنْقَرِىَّ سَكِر من الخمر ليلةً قبل أن يُسْلم ، فغَمَز عُكْنَةَ[1] ابنته — أو قال أُختـه — فهربتْ منـه . فلمّا صحا منْهـا ، فقيل له : أوَ مَا علمتَ ما صنعتَ البـارحة ؟ قال : لا . فأخبروه بصُنْعه ، فحرَّم الخمـر على نفسه ، وقال فى ذلك : ١٠

وجدتُ الخمـرَ جامحةً وفيهـا * خِصَالٌ تَفْضَحُ الرَّجُلَ الكريما

فـلَا واللهِ أشْرَبُهـا حَيـاتِى * ولا أدعـو لهـا أبدًا نَديمـا

ولا أُعْطِى بهـا ثمنًا حياتى * ولا أَشْـفى بهـا أبدًا سـقيما

فإنّ الخمـر تَفْضَحُ شَارِبِيهـا * وتُجْشِمُهُـم بهـا أمرًا عظيما[2] ١٥

إذا دارتْ حُمَيَّاها[3] تَعَلَّتْ * طَوَالِـعُ تُسْـفِهُ الرَّجُلَ الحليما

(١) العكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا .

(٢) جشم (كسمع) الأمر وتجشمه : تكلفه على مشقة ، وأجشمه إياه .

(٣) حياها : سورتها وشدتها و إسكارها . تعلى : علا فى مهلة .

أخبرنى محمد بن مَزْيَد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال :

قال الزِّبْرقان : إنّ تاجرًا دِيافيًّا[1] مرّ بحِمْل خمرٍ على قَيْس بن عاصم فنزل به ، فقال قيس : اصْبَحْنى قَدَحًا، ففعل . ثم قال له : زدنى، فقال له : أنا رجلٌ تاجرٌ طالبُ رِبح وخير ، ولا أستطيع أن أَسْقِيك بغير ثمن . فقام إليه قيس فَرَبطه إلى دَوْحةٍ فى داره حتى أصبح ، فكلَّمته أُخته فى أمره، فلَطَمها وخَمَش وَجْهَها — وزعموا أنّه أرادها على نفسها — وجعل يقول :

وتاجرٍ فاجرٍ جاء الإلهُ به * كأَنّ لِحْيَتَه أذنابُ أجمالِ

فلما أصبح قال : مَنْ فَعَل هذا بضَيْفِى؟ قالت له أُخته : الذى صنَع هذا بوجهى ، أنت والله صنعتَه، وأخبرته بما فعل . فأعطى الله عهدًا ألّا يشربَ الخمر أبدًا . فهو أوّل عربىّ حَرَّمها على نفسه فى الجاهليّة، وهو الذى يقول :

فوالله لا أحسو يَدَ الدَّهرِ[2] خمرةً * ولا شَرْبةً تُزْرِى بذى اللُّبِّ والفخرِ

فكيف أذوق الخمر والخمرُ لم تَزَلْ * بصاحبها حتى تَكَسَّعَ[3] فى الغَدْرِ

وصارتْ به الأمثالُ تُضْرَبُ بَعْدَما * يكونُ عميدَ القومِ فى السِّرِّ والجَهْرِ

ويُبْدِرُهُم فى كلِّ أمرٍ ينُوبُهم * ويَعْصِمُهم ما نابَهم حادثُ الدَّهْرِ

فياشاربَ الصَّهْباء دَعْهَا لأهلها الـ * غُواةِ وسَلِّمْ للجسيمِ من الأمرِ

فإنّك لا تَدْرِى إذا ما شَرِبْتَها * وأكثرتَ منها ما تَرِيشُ وماتَبْرِى[4]

(١) ديافى : نسبة إلى دياف ، وهى قرية بالشام وأهلها نبط الشام ، تنسب إليها الإبل والسيوف ، وإذا عرّضوا برجل أنه نبطى نسبوه إليها . (٢) يد الدهر : مدّ زمانه . وفى الأصول : «بذا الدهر» وهو تحريف . (٣) تكسع فى ضلاله : تمادى ، كتسكع . (٤) راش السهم يريشه : ألزق عليه الريش . وقولهم : فلان لا يريش ولا يبرى ، أى لا يضر ولا ينفع .

نعت مع امرأته وقد فارقته لإسلامه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أحمد بن منصور قال أخبرنى أبو جعفر المُبَاركىّ قال أخبرنى المدائنى عن مَسْلَمَة بن مُحارِب قال :

قال الأحنف بن قيس : ذكرتُ بلاغةَ النساء عند زِيَاد ، فحدّثته أنّ قيس ابن عاصم أسلم وعنده امرأةٌ من بنى حنيفَة ، فأبى أهلها وأبوها أن يُسْلِمُوا وخافوا إسلامَها ، فاجتمعوا إليها وأقسموا إنّها إن أسلمتْ لم يكونوا معها فى شىء ما بقيت ، فطالبتْ قيسًا بالْفُرقة ، ففارقها ، فلما احتملت لتلحق بأهلها قال لها قيسٌ : أمَا والله لقد صَحِبْتِنِى سَارَّة ، ولقد فارقْتِنِى غيرَ عارَّة[1] ، لا صُحْبَتُك مملولة ، ولا أخلاقُك مذمومة ، ولولا ما اخترتِ ما فرّق بيننا إلّا الموتُ ، ولكنّ أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أحقُّ أن يُطاع . فقالت له : أُنبئتُ بحَسَبِك وفضلك ، وأنت والله إن كنتَ لَلدّائمَ المحبة ، الكثيرَ المودّة ، القليلَ اللائمة ، المُعْجِبَ الخلوة ، البعيدَ النَّبْوة . ولَتعلمنَّ أنّى لا أسكن بعدك إلى زوج . فقال قيس : ما فارقتْ نفسى شيئًا قطُّ فتبِعْته كما تَبِعَتْها .

كان يكنى أبا علىّ

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال حدّثنى أبو فِراس قال :

كان قيس بن عاصم يُكْنَى أبا علىّ ، وكان خاقان بن الأهْتَم إذا ذكره قال : بَخٍ ! مَنْ مِثْلُ أبى علىّ !

تُطِيفُ به كَعْبُ بن سعد كأنّما * يُطِيفون عُمّارًا ببيتٍ مُحَرَّمِ[2]

(١) عرّه بمكروه : أصابه به ، وعرّه : ساءه .

(٢) فى الأصول : « ببيت عرعرم » وهو تحريف . وعمارا : أى معتمرين ، من العمرة ، وهى الحج الأصغر . والفرق بينها و بين الحج أن العمرة الطواف بالبيت الحرام والسعى بين الصفا والمروة فقط ، والحج لا يكون إلا مع الوقوف بعرفة يوم عرفة ، وأن العمرة تكون فى السنة كلها ، والحج لا يكون إلا فى أشهر الحج : شوّال وذى القعدة وعشر من ذى الحجة .

بعض صفات قومه بنى منقر

وقال عَلّان بن الحسن الشُّعوبى : بنو مِنْقَرٍ قومٌ غُدُرٌ، يقال لهم الكَوَادن[1]، ويُلَقَّبون أيضا أعراف البِغال، وهم أسوأ خَلْق الله جِوارا، يسمُّون الغدر كَيْسانَ[2]، وفيهم بخلٌ شديد .

وصيته لبنيه بحفظ المال

وأوصى قيس بن عاصم بنيه ، فكان أكثر وصيّته إيّاهم أن يحفظوا المالَ ، والعرب لا تفعل ذلك وتراه قبيحا . وفيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النَّمِر بن تَوْلَب :

يا مِنْقَرَ بنَ عُبَيْدٍ إنَّ لُؤْمَكُمُ * مُذْ عَهْدِ آدَمَ فى الدِّيوانِ مكتوبُ
للضَّيْفِ حَقٌّ على مَنْ كانَ ذا كَرَمٍ * والضَّيْفُ فى مِنْقَرٍ عُرْيانُ مسلوبُ

وقال النمر بن تولب يذكر تسميتهم الغَدْرَ كَيْسانَ فى قصيدة هجاهم بها :

إذا ما دَعَوْا كَيْسَانَ كانتْ كُهُولُهُمْ * إلى الغَـدْرِ أَدْنَى من شَبَابِهِمُ المُرْدِ

قال : وهذا شائع فى جميع بنى سَعْد[3]، إلا أنهم يتدافعونه إلى بنى مِنْقَر، وبنو منقر يتدافعونه إلى بنى سِنَان بن خالد بن مِنْقَر، وهو جَدُّ قيس بن عاصم .

وفوده على النبى مع عمرو بن الأهتم وتهاترهما أمامه

وحكى ابن الكلبى أنّ النبى صلّى الله عليه وسلّم لمّا افتتح مكّة قَدِمتْ عليه وفودُ العرب ، فكان فيمن قَدِم عليه قيسُ بن عاصم وعمرو بن الأهتم ابن عمّه ، فلمّا صارا عنـد النبى صلّى الله عليه وسـلّم تَسابَّا وتَهاتَرا[4] ؛ فقال قيس لعمرو بن الأهتم : والله يا رسولَ الله ماهُمْ منّا ، وإنهم لمن أهل الحيرة . فقال عمرو بن الأهتم : بل هو والله يا رسولَ الله من الروم وليس منا . ثم قال له :

---

(١) الكوادن : جمع كودن ، وهو البغل والبرذون والفيل ، ويشبه به البليد .

(٢) فى ب ، س : « وكيسان » بالواو ؛ وهو خطأ .

(٣) بنو سعد أخو النمر بن تولب . والبيت فى اللسان (كيس) ، وقبله :

إذا كنت فى سعد وأمك منهم * غريبا فلا يغررك خالك من سعد

(٤) تهاترا : تسابا بالباطل .

ظَلِلْتَ مُفْـتَرِشَ الهَلْباءِ تَشْتُمُنى * عند الرَّسول فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ

الهَلْباء يعنى استه، يعيره بذلك، وبأن عانته وافية .

إن تُبْغِضُـونا فإنّ الرُّوم أصلُكُمُ * والرُّوم لا تملك البغضاءَ للعَـرَبِ

سُـدْنا فسُودَدُنا عَوْدٌ وسُودَدُكُمْ * مُؤَخَّرٌ عند أصل العَجْبِ والذَّنَبِ (1)

قال : وإنما نسبه إلى الرُّوم لأنه كان أحمرَ . فيقال : إنّ النبي صلى الله عليه وسلم ٥

نهاه عن هذا القول فى قَيْس ، وقال : إن إسمعيل بن إبراهيم — صلّى الله عليهما

وسلم — كان أحمرَ . فأجابه قيس بن عاصم فقال : ١٥٧ ١٢

ما فى بَنى الأَهْـتَمِ من طائلٍ * يُرْجَى ولا خَيْرٍ لَهُ يَصْلُحونْ

قُلْ لبنى الحِـيرِىِّ مَخصوصةً * تُظْهِرُ منهم بعضَ ما يَكْتُمونْ

لولا دِفاعى كنتُمُ أَعْبُـدًا * مَسْكَنُها الحِـيرةُ فالسَّيْلَحونْ (2) ١٠

جاءت بكم عَفْرةُ من أرضِها * حِيرِيّةً ليست كما تزعُمُـونْ

فى ظاهرِ الكَفِّ وفى بَطنِها * وَسْمٌ (3) من الدّاء الذى تكتُمون

وذكر عَلّان أنّ قيسًا ارتدّ بعد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم عن الإسلام، وآمن ارتداده

بسَجَاحِ ، وكان مُؤَذِّنَها ، وقال فى ذلك :

أضحتْ نَبِيَّتُنا أُنْثَى نُطِيفُ بها * وأصبحتْ أنبياءُ الله ذُكْرانَا ١٥

قال : ثم لمّا تزوّجت سَجاحِ بمُسَيْلِمَةَ الكذّاب الحَنفىِّ وآمنت به آمن به قيسٌ

معها . فلمّا غزا خالد بن الوليد اليمامةَ وقتل اللهُ مسيلمةَ أخذ قيْسَ بن عاصمٍ أسيراً،

فادّعى عنده أنّ مُسَيْلِمَة أخذ ابناً له ، فجاء يطلُبه . فأحلفه خالد على ذلك ، فحلف

فخلّى سبيله ، ونجا منه بذلك .

---

(1) العجب : أصل الذنب ومؤخر كل شىء . (2) السيلحون : بلد قرب الحيرة بين الكوفة ٢٠
والقادسية . (3) فى معجم البلدان : « وشم » .

قصته مع عبادة ابن مرثد

قال : ومما يعيّرون به أنّ عُبادة بن مَرْثَد بن عمرو بن مَرْثَد أسَرَ قيْس بن عاصم وسَبَى أمّه وأختيه يوم أُبْرَقِ الكِبريت(١) ، ثم مَنّ عليهم فأطلقهم بغير فِداء ، فلم يُثِبْه قيسٌ ولم يَشْكُرْه على فِعْله بقَوْلٍ يبلُغه . فقال عبادة فى ذلك :

على أُبْرَقِ الكِبْرِيتِ قيسَ بنَ عاصمٍ * أسَرْتُ وأطرافُ القَنَا قِصَدٌ حُمْرُ(٢)

٥ مَتَى يَعْلَقِ السَّعْدِىُّ منكَ بذِمّةٍ * تَجِدْهُ إذا يَلْقَى وشِيمَتُه الغَدْرُ

قال : وكان قيس بن عاصم يسمّى فى الجاهلية الكَوْدَنَ .

قصته مع زيد الخيل

وكان زيدُ الخيل الطائىّ خَرَج عن قَوْمه وجاوَرَ بنى مِنْقَرٍ ، فأغارت عليهم بنو عِجْلٍ وزيدٌ فيهم ، فأعانهم وقاتل بنى عِجْلٍ قتالًا شديدًا ، وأبلى بلاء حسنا ، حتى انهزمتْ عجل ؛ فكَفَر قيس فِعْلَه وقال : ما هَزَمهم غَيْرِى . فقال زيد الخيل يعيّره ويكذّبه

١٠ فى قصيدة طويلة :

ولستُ بوَقّافٍ إذا الخيلُ أَجْحمتْ(٣) * ولستُ بكَذّابٍ كقَيْسِ بنِ عاصمِ

إسلامه

ومما روى قيس بن عاصم عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : حدّثنا حامد بن محمد ابن شعيب البَلْخِىّ قال : حدّثنا أبو خَيْثَمَة زُهَيْر بن حَرْب قال : حدّثنا وكيع قال : حدّثنا سُفيان الثَّوْرِىّ عن الأَغَرّ المِنْقَرِىّ عن خَلِيفةَ بن حُصَيْن بن قَيْس بن عاصم

١٥ عن أبيه عن جَدّه أنّه أسلَم على عهد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأمره النبىّ عليه السلام أن يغتسل بماء وسِدْرٍ .

---

(١) أبرق الكبريت : موضع كان به يوم من أيام العرب .

(٢) قصد : قطع ، جمع قصدة كقطعة .

(٣) أجحم عنه : كف ، كأحجم ، وفى الأصول « أجمحت » وهو تحريف — انظر هذا الخبر

٢٠ فى الأغانى ١٦ : ٥٦ ساسى — .

حديثه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحدّثنا حامد قال حدّثنا أبو خيثمة قال حدّثنا جرير عن المُغيرة عن أبيه شُعْبَةَ عن التَّوْءَم قال :

سأل قيسُ بن عاصم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف، فقال: "لا حِلْفَ[1] فى الإسلام، ولكن تَمَسَّكُوا بحِلْفِ الجاهلية".

٥ أخبرنى عمّى قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سَعد قال : حدّثنا ابن عائشة قال : حدّثنى رجلٌ من الرِّباب قال :

ذكر رجلٌ قَيْسَ بن عاصم عند النبي صلى الله عليه وسلّم فقال : لقد هممتُ أنْ آتِيَه فأفعلَ به وأَصْنَعَ به، كأنه تَوَعَّده . فقال له النبي صلّى الله عليه وسلم «إذًا تَحُولُ سَعْدٌ دونَه بِكَرَاكِرِها[2]» .

١٥٨ / ١٢

١٠ قال : ولما مات قيسٌ رثاه مِرْداس[3] بن عَبْدَة بن مُنَبِّه فقال :

وما كان قَيْسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحدٍ * ولكنّه بُنْيَانُ قومٍ تَهَدَّمَا

---

(١) جاء فى النهاية فى غريب الحديث والأثر ج ١ : ص ٢٤٩ : « لا حلف فى الإسلام : أصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق . فما كان منه فى الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات فذلك الذى ورد النهى عنه فى الإسلام بقوله صلى الله عليه وسلم : "لا حلف فى الإسلام" ، وما كان منه فى الجاهلية على نصر المظلوم وصلة الأرحام كحلف المطيبين وما جرى مجراه ١٥ فذلك الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم ؛ "وأيما حلف كان فى الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة" يريد : من المعاقدة على الخير ونصرة الحق . وبذلك يجتمع الحديثان . وهذا هو الحلف الذى يقتضيه الإسلام ، والممنوع منه ما خالف حكم الإسلام . وقيل : المحالفة كانت قبل الفتح، وقوله "لا حلف فى الإسلام" قاله زمن الفتح فكان ناسخا » .

٢٠ (٢) كراكر : جمع كِركِرة ، بكسر الكافين ؛ وهى الجماعة من الناس .

(٣) تقدم أن هذا الشعر لعبدة بن الطبيب .

صـــوت

خُذْ من العَيْشِ ما كَفَى * ومنَ الدَّهر ما صَفَا
حَسَنَ الغَدْرُ فى الأنَا * مِ كما اسْتُقْبِحَ الوَفَا
صِلْ أخا الوَصْلِ إنَّه * ليس بالهَجْرِ مِنْ خَفَا
عَيْنُ مَنْ لا يُرِيدُ وَصْـ * ـلَكَ تُبْدِى لَكَ الجَفَا(١)

الشعر لمحمد بن حازم الباهلىّ، والغناء لابن القَصَّار الطُّنْبُورىّ ، رَمَلٌ بالبِنْصَر . أخبرنى بذلك جحظة .

(١) فى ب : « من حفا » . وفى س : « من جفا » .

أخبار محمد بن حازم ونسبه

نسبه وشىء من أخباره

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهلىّ. ويكنى أبا جعفر. وهو من ساكنى بَغْداد مولدُه ومَنْشَؤه البَصْرة . أخبرنى بذلك ابن عَمّار أبو العبّاس عن محمد بن داوُد بن الجَرّاح عن حسن بن فَهْم .

وهو من شعراء الدولة العبّاسيّة ، شاعر مطبوع ، إلا أنه كان كثيرَ الهجاء للناس ، فاطُّرح، ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون، ولا اتصل[1] بواحد منهم ، فيكونَ له نباهةُ طَبَقته . وكان ساقط الهمّة ، مُتَقلِّلا جدّا ، يُرْضيه اليسير ، ولا يتصدّى لمدح ولا طلب .

قصته مع الطاهرىّ

حدثنا محمد بن العبّاس اليزيدى قال حدّثنا الخليل بن أسَد قال :

سمعت محمد بن حازم الباهلىّ فى منزلنا يقول : بعث إلىّ فلانٌ الطّاهرىّ — وكنت قد هجوته فأفرطتُ[2] — بألف دينار وثياب، وقال : أمّا ما قد مضَى فلا سبيلَ إلى رَدّه، ولكن أُحبُّ ألا تزيدَ عليه شيئا . فبعثت إليه بالألف الدينار[3] والثياب، وكتبتُ :

لا أَلْبَسُ النعماءَ مِن رجلٍ * ألبستُه عارًا على الدّهْرِ

(١) فى الأصول : « واتصل » وهو خطأ .

(٢) كذا فى جـ . وفى ب ، س « فأفرطنى » وهو تحريف .

(٣) فى الأصول : «بالألف الدرهم» وهو لا يلائم ما قبله ، والأظهر أنه « بألف الدينار » لأن قائله وهو محمد بن حازم بصرى — مولده ومنشؤه البصرة كما تقدم — والبصريون اذا أرادوا تعريف العدد المضاف عرّفوا المضاف اليه . والكوفيون هم الذين يجيزون تعريف المتضايفين . قال الزمخشرى : وذلك بمعزل عند أصحابنا — أى البصريين — عن القياس واستعمال الفصحاء .

خبره مع أحمد بن سعيد بن سالم

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثنا أبو علي — وسقط اسمه من كتابي — قال قرأتُ في كتاب عمّي :

قال لي محمد بن حازم الباهلي : مرّ بي أحمد بن سعيد بن سالم وأنا على بابي فلم يسلّم عليّ سلاماً أرضاه، فكتبتُ رُقْعَةً وأتبعته بها، وهي :

٥ وباهليٍّ من بني وائلٍ * أفادَ مالًا بعد إفلاسِ
قطَّبَ في وجهي خوفَ القِرَى * تقطيبَ ضِرْغامٍ لدى البأسِ
وأظهرَ التِّيهَ فتايَهْتُهُ * تِيهَ امرئٍ لم يَشْقَ بالنّاسِ[1]
أعرتُه إعراضَ مُستكبِرٍ * في موكبٍ مرَّ بكنّاسِ

خبره مع سعد ابن مسعود

أخبرني ابن عمار قال حدثني أبو عليّ قال :

١٥٩ / ١٢

١٠ لقيت محمد بن حازم في الطريق فقلتُ له : يا أبا جعفر، كيف ما بينك وبين صديقك سعد بن مسعود اليومَ[2] — وهو أبو إسحاق بن سعد، وكان يكتب للنّوشجاني — فأنشدني :

راجع بالعُتْبَى فأعتبتُه * ورُبما أعتبكَ المُذْنِبُ[3]
وإنّ في الدهر، على صَرْفه * بين الصّديقين، لمُستَعْتَبُ[4]

١٥ (١) في الأصول : « بالباس » . (٢) في الأصول بعد هذه الكلمة : « والرادي علي » . ولا أرى لها معنى ولا موضعا في الكلام . (٣) العتبى : الرضا ، أعتبه : أعطاه العتبى ورجع إلى مسرته . (٤) مستعتب : استرضاء ، تقول : استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني وكان الأولى أن يقول : « لمستعتبا » بالنصب لأنه اسم « إن » ، ولكن على النصب يكون في البيت إقواء أو يخرج الرفع على أن اسم « إن » ضمير الشأن وجملة « في الدهر لمستعتب » خبرها .

قصيدته فى مديح الشباب وذم الشيب

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ وابن الوشّاء جميعاً قالا حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال :

قال ابن الأعرابىّ : أحسنُ ما قال المُحْدَثون من شُعَراء هذا الزّمان فى مديح الشّباب وذَمّ الشَّيْب :

لا حِينَ صَبْرٍ فخَلِّ الدَّمْعَ يَنْهَمِلُ * فَقْدُ الشَّبابِ بيوم المرءِ مُتَّصِلُ

سَقْيًا ورَعْيًا لأيّام الشَّبابِ وإنْ * لم يَبْقَ منه له رسمٌ ولا طَلَلُ

جَرَّ الزّمانُ ذُيولًا فى مَفارِقِهِ * وللزّمانِ على إحسانِه عِلَلُ

ورُبّما جَرَّ أذيالَ الصِّبا مَرَحًا * وبين بُرْدَيْهِ غُصْنٌ ناعِمٌ خَضِلُ(١)

يُصْبِي الغَوانِي ويَزْهاه بِشِرَّتِهِ * شَرْخُ الشَّبابِ وثوبٌ حالِكٌ رَجِلُ(٢)

لا تَكْذِبَنَّ فما الدُّنيا بأجمعِها * من الشَّبابِ بيَومٍ واحدٍ بَدَلُ

كَفاكَ بالشَّيْب عيبًا عند غانيةٍ * وبالشَّبابِ شَفيعًا أيُّها الرَّجُلُ(٣)

بانَ الشَّبابُ ووَلَّى عنكَ باطِلُهُ * فليس يَحْسُنُ منك اللَّهْو والغَزَلُ

أمّا الغَوانى فقد أعرَضْنَ عنك قِلًى * وكان إعراضَهُنّ الدَّلُّ والخَجَلُ

أعَرْنَكَ الهَجْرَ ما لاحتْ مُطَوَّقةٌ * فلا وِصالٌ ولا عَهْدٌ ولا رُسُلُ(٤)

ليتَ المَنايا أصابَتْنِي بأسْهُمِها * فكُنّ يَبْكِينَ عَهْدِى قبلَ أكْتَهِلُ(٥)

---

(١) خضل : ند ، يترشف نداء .

(٢) شرة الشباب : نشاطه . وشرخ الشباب : أوّله . يزهاه : يستخفه ويحمله على الزهو وهو الكبر والتيه والعظمة . وثوب حالك : يريد به شعر الشباب . وشعر رجل : بين السبوطة والجعودة .

(٣) فى ب ، س : « عيب عند عائبه » وهو تحريف .

(٤) فى ب ، س : « أعرتك » ؛ وهو تصحيف .

(٥) فى الأصول : « تبكين » ، تصحيف .

عهدَ الشَّبابِ لقد أبقيتَ لى حَزَنًا * ماجَـدَّ ذِكْرُك إلّا جَدَّ لى ثَـكَلُ(١)

إنّ الشـبابَ إذا ما حلَّ رائـدُه * فى مَنْهَـلٍ رادَ يقفـو إثْرَه أَجَـلُ(٢)

قال ابن الوَشَّاء خاصّةً : وما أساء(٣) ولا قصَّر عن الأُولى ، حيث يقول فى هذا المعنى :

بكاؤه الشيب أيضا

أبكى الشَّـبابَ لِنَـدْمانٍ وغانيـةٍ * ولِلمَغَـانِى ولِلأَطْـلالِ والكُتُبِ(٤)

ولِلصَّـريخِ ولِلآجامِ فى غَلَسٍ * ولِلقَنَـا السُّمْرِ والهِنْدِيّةِ القُضُبِ(٥)

ولِلخَيَـالِ الذى قـد كان يَطْرُقُنى * ولِلنَّـدَامَى ولِلَّذَّاتِ والطَّـرَبِ(٦)

يا صاحباً لم يَدَعْ فَقْـدى له جَلَدًا * أُضِعتُ بَعدك إنَّ الدهرَ ذو عُقَبِ(٧)

وقد أكونُ، وشَعْبَانَا معًا، رَجُلًا * يومَ الكريهـةِ فَرّاجًا عَنِ الكُرَبِ(٨)

هجاؤه ابن حميد

أخبرنى ابن عمّار عن العَنَزِىّ قال :

كان محمد بن حازم الباهلىّ مدح بعض بنى حُمَيد فلم يُثِبْه ، وجعل يفتش شعرَه فيعيب فيه الشىءَ بعد الشىء ، وبلغه ذلك فهجاه هجاء كثيرا شنيعا ، منه قوله :

---

(١) فى الأصول : « نكل » بالنون وهو تصحيف .

(٢) الرائد : المرسل فى طلب الكلأ . ورادت الدابة تَرود : رعت .

(٣) فى الأصول : «ولا قصد» وهو تحريف . وقوله «عن الأولى» أى عن القصيدة الأولى السابقة .

(٤) المغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل . (٥) الصريخ : المستغيث . والآجام : جمع أجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف ، أى والصيد والقنص . والغلس : ظلمة آخر الليل ، والقنا : الرماح . والهندية : أى السيوف الهندية . والقضب : القاطعة . (٦) عدد فى الأبيات الثلاثة الأسباب التى من أجلها يبكى الشباب ، وهى مظاهر الحياة والنشاط والقوة والمتعة . (٧) عقب : جمع عقبة بالضم ، وهى النوبة . (٨) الكريهة : الحرب أو الشدة فى الحرب ، والنازلة .

عَدُوَّاكَ المَكَارِمُ والكِرَامُ * وخِلُّكَ دونَ خُلَّتِكَ اللِّئَامُ (١)

ونَفْسُكَ نَفْسُ كلبٍ عند زَوْرٍ * وعُقْبَى زائرِ الكلبِ الْتِدَامُ (٢)

تَهِرُّ على الجليسِ بلا احترامٍ * لِتَحْشِمَه إذا حَضَرَ الطَّعامُ (٣)

إذا ما كانت الهِمَمُ المَعَالِى * فهَمُّك ما يكون به المَلامُ

قَبُحْتَ ولا سَقَاكَ اللهُ غيثًا * وجانَبَكَ التحيّةُ والسلامُ

هجاؤه ابن حميد أيضا

قال : فبعث إليه ابن حُمَيْد بمالٍ واعتذر اليه وسأله الكفَّ، فلم يفعل، وردَّ المال عليه، وقال فيه :

موضعُ أسرارِكَ المُرِيبُ * وحَشْوُ أثوابِكَ العُيوبُ

وتمنع الضيفَ فضلَ زادٍ * ورَحْلُكَ الواسعُ الخَصِيبُ (٤)

يا جامعًا مانعًا بخيلًا * ليس له فى العُلَا نَصِيبُ

أبِالرُّشَا يُسْتَمَالُ مِثْلِى ؟ * كَلَّا ! ومَنْ عنده الغُيوبُ (٥)

---

(١) الخلة : الصديق للذكر والأنثى والواحد والجمع . (٢) الزور : الزائر . الالتدام فى الأصل : ضرب النساء صدورهنّ ووجوههنّ فى النياحة . (٣) هرير الكلب : صوته ، وهو دون النباح . والحشمة بالكسر والضم : أن يجلس اليك الرجل فتؤذيه وتسمعه ما يكره ، حشمه كضرب ونصر وأحشمه . وحشمه وأحشمه أيضا : أخجله ؛ يقال للتقبض عن الطعام : ما الذى حشمك أو أحشمك ، من الحشمة بالكسر وهى الاستحياء والانقباض ؛ وحشمه وأحشمه كذلك : أغضبه . وفى جـ « لتجمشه » بالجيم وهو خطأ ، ويصح أن يكون « لتحشمه » بالحاء ، يقال حشه وأحشه إذا أغضبه .

(٤) الفضل : البقية . والرحل هنا : منزل الرجل ومسكنه وبيته .

(٥) الرشوة ، مثلثة الراء : الجعل ، والجمع رشا ، بالكسر والضم .

لا أرتدى حُلّةً لمُثْنٍ * بوجهه من يَدى نُدوبُ (١)

وبين جنبيه لى كُلومٌ * داميةٌ ما لَها طَبيبُ

ما كنتُ فى موضِع الهَدايا * منكَ، ولا شَعْبُنا قَرِيبُ

أنّى وقد نَشّت المَكاوِى * عن سِمَةٍ شأنُها عجيبُ (٢)

٥ وسار بالذّمّ فيك شِعْرى * وقيل لى مُحسنٌ مُصيبُ

مالُكَ مالُ اليتيم عندى * ولا أرى أكْلَه يَطيبُ

حَسْبُك من مُوجِزٍ بليغ * يَبْلُغُ ما يبلُغُ الخَطيبُ

خانه محمد بن حميد فهجاه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيه قال: حدّثنى علىّ بن الحسين الشيبانىّ قال:

١٠ بعث الحسن بن سَهْلٍ محمدَ بن حُمَيْد فى وِجْهةٍ، وأمره بجباية مالٍ، وبحَرْب قوم من الشُّراة (٣)، فخان فى المال وهَرَب من الحرب، فقال فيه محمد بن حازم الباهلىّ:

تَشَبَّه بالأسَد الثعلبُ * فغادَرَه مُعنَقًا يُجْنَبُ (٤)

وحاولَ ما ليس فى طَبْعه * فأسْلَمه النابُ والمِخْلَبُ

١٥ فلم تُغْنِ عنه أباطيلُه * وحاص فأحْرَزَه المَهْرَبُ (٥)

(١) الندبة كشجرة: أثر الجرح الباقى على الجلد، والجمع ندب كشجر، وجمع الجمع أنداب وندوب، وقيل: الندب واحد والجمع أنداب وندوب.

(٢) نشت: سمع لها صوت عند الكى.

(٣) الشراة: الخوارج. (٤) أعنق الكلب: جعل فى عنقه قلادة وفى جـ «مفنقا» وهو تحريف، وجنبه كنصر: قاده إلى جنبه.

٢٠

(٥) حاص: حاد وعدل.

وكان مَضِيًّا على غَدْره * فعُيِّبَ، والغادرُ الأَخْيَبُ (١)

أيابْنَ حُمَيْدٍ كفرتَ النَّعيـ * ـمَ جهلًا ووَسْوَسَكَ المَذْهَبُ (٢)

ومَنَّتْك نفسُك مالا يَكُونُ * وبعضُ المُنَى خُلَّبٌ يَكْذِبُ

وما زلتَ تسعَى على مُنْعِمٍ * ببَغْيٍ وتُنْهَى فَلا تُعتِبُ

فأصبحتَ بالبَغْيِ مستبدلًا * رَشادًا وقد فات مُسْتَعْتَبُ ٥

قال: وقال فيه لمّا شخص إلى حيث وجّهه الحسن بن سَهْل:

إذا استقلَّتْ بك الرِّكابُ * فحيثُ لادَرّتِ السحابُ

زالتْ سِراعًا وزُلْتَ يَجْرِى * ببَيْنِكَ الظَّبْىُ والغُرابُ

بحيثُ لا يُرْتَجَى إيابٌ * وحيثُ لايبلُغ الكتابُ

فَقَبْلَ معروفِك امتنانٌ * ودُونَ معروفِك العذابُ ١٠

وخيرُ أخلاقِك اللَّواتى * تعافُ أمثالَها الكلابُ

١٦١
١٢

ردّه على من عابه بقصر شعره

حدّثنى أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار قال: حدّثنى أبى قال: قال يحيى بن أكْثَم لمحمد بن حازم الباهلىّ: ما يَعيبُ شعرَك إلّا أنّك لا تطيل؛ فأنشأ يقول:

أبى لِىَ أن أُطيل الشعرَ قَصْدِى * إلى المَعْنَى وعِلْمِى بالصَّوابِ

وإيجازِى بمُخْتَصَرٍ قريبٍ * حذفتُ به الفضولَ من الجوابِ ١٥

فأبْعَثُهُنّ أربعةً وخَمْسًا * مُثَقَّفةً بألفاظٍ عِذابِ (٣)

---

(١) مضيا: مبالغة فى ماض. (٢) وسوس المذهب الرجل: كلمه كلاما خفيا؛ أى ناجاك مذهبك الخبيث الدنىء فسوّل لك أن تفعل مافعلت. (٣) أى فأبعثهن أربعة أبيات وخمسة أبيات. وقد أنث العدد الأول وذكر الثانى؛ وهو جائز. وذلك أنه إذا حذف المعدود مع قصده فى المعنى؛ فالفصيح أن يكون كما لو ذكر؛ تقول: صمت خمسة تريد أياما؛ وسهرت خمسا تريد ليالى. ويجوز أن تحذف التاء من المذكر كحديث: «من صام رمضان وأتبعه بست من شوّال». ٢٠

خَوَالِدَ ما حَدَا ليلٌ نهاراً * وما حَسُنَ الصِّبَا بأخى الشَّبَابِ
وهُنَّ إذا وَسَمْتُ بهنّ قوماً * كأطواقِ الحمائمِ فى الرِّقَابِ
وهُنَّ إذا أقمتُ مُسافراتٌ * تَهَادَتْها الرُّواةُ مع الرِّكابِ

حدّثنى حبيب بن نصر المهلّبى قال: حدثنا علىّ بن محمد بن سليمان النَّوْفلىّ قال :

خبره مع أبى ذؤيب

٥ كان بالأهواز[1] رجلٌ يعرف بأبى ذُؤَيب من التُّجّار ، وكان مَقْصِدَ الشعراء وأهل الأدب ، فقصده محمد بن حازم ، فدخل عليه يوماً وعليه ثيابٌ بَذّة[2]، وهيئة رَثّة ، ولم يعرّفه نَفْسَه، وصادفهم يتكلمون فى شىء من معانى الشعر، وأبو ذؤيب يتكلّم متحققا بالعلم بذلك . فسأله محمد بن حازم — وقد دخل عليه يوماً — عن بيتٍ من شعر الطِّرِمّاح جَهِله ، فردّ عليه جواباً مُحالاً[3] كالمستصغر له وازدراه، فوثب ١٠ عن مجلسه مُغْضَباً . فلمّا خرج قيل له : ماذا صنعتَ بنَفْسِك وفتحتَ عليها من الشرّ ؟ أتدرى لمن تعرّضتَ ؟ قال : ومَنْ ذاك ؟ قيل : محمد بن حازم الباهلىّ، أخبث الناس لساناً وأهجاهم . فوثب إليه حافياً حتى لَحِقه، فحلف له أنه لم يَعْرِفه، واستقاله فأقاله ، وحلف أنه لا يقبَل له رِفْداً ولا يذكره بسوء مع ذلك أبداً ، وكتب إليه بعد أن افترقا :

١٥ أخْطَا وردَّ علىَّ غيرَ جَوابِى * وزَرَى علىّ وقال غيرَ صوابِ
وسكنتُ من عَجَبٍ لذاك فزادنى * فيما كَرِهتُ بِظَنّه المُرتابِ
وقضى علىَّ بظاهرٍ من كُسْوةٍ * لم يَدْرِ ما اشتملتْ عليه ثيابى

(١) الأهواز : إقليم فى الجنوب الغربى من فارس . (٢) أى رث اللبسة .
(٣) المحال من الكلام : ما عدل به عن وجهه ؛ يقال : أحال الكلام إحالة إذا أفسده .

مِنْ عِفَّةٍ وتَكَرُّمٍ وتَحَمُّلٍ * وتَجَلُّدٍ لمصيبةٍ وعِقابِ
وإذا الزمان جَنَى علىَّ وجدتَنى * عُودًا لبعض صفائحِ الأقتابِ (١)
ولئن سألت لَيُخْبِرَنَّكَ عالِمٌ * أنِّى بحيثُ أحبُّ من آدابِ
وإذا نَبَا بِى منزلٌ خَلَّيْتُه * قَفْرًا مجالَ ثعالبٍ وذِئابِ (٢)
وأكون مُشْتَرَكَ الغِنَى مُتَبَذِّلًا (٣) * فإذا افتقرتُ قعدتُ عن أصحابى
لكنّه رجعتْ عليه ندامةٌ * لمّا نُسِبْتُ وخاف مَضَّ عتابى (٤)
فأقلْتُه لمّا أقرَّ بذنبه * ليس الكريمُ على الكريم بنابِ

أخبرنى حبيب بن نصر قال: حدّثنا النوفلىّ قال:

ترضاه صديق له فقال شعرا

كان سعد بن مسعود القُطْرُبُلِّىُّ (٥): أبو إسحاق بن سعد صديقًا لمحمد بن حازم الباهلىّ، فسأله حاجةً فردّه عنها، فغضب محمد وانقطع عنه، فبعث إليه بألف درهم وترضّاه، فردّها وكتب إليه:

مُتَّسِعُ الصدرِ مُطِيقٌ لِمَا (٦) * يَحارُ فيه الحُوَّلُ القُلَّبُ
راجَعَ بالعُتْبَى فأعتبتُه * وربّما أعتبَك المُذْنِبُ
أجَلْ وفى الدَّهرِ — على أنه * موكّلٌ بالبينِ — مُسْتَعْتَبُ

(١) الأقتاب: جمع قتب بالتحريك، وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير. وصفائح الأقتاب: ألواحها.
(٢) نبا به منزله: لم يوافقه.
(٣) فى الأصول «متبدلا». وقد سبقه إلى هذا المعنى جرير فقال:
وإنى لعف الفقر مشترك الغنى * سريع إذا لم أرض دارى احتماليا
(٤) مض عتابى: أى حرقته وإيلامه.
(٥) قطربل: قرية شمالىّ بغداد تنسب إليها الخمر، وفى جـ «القطربى».
(٦) فى ب، س: «منطيق». وفى جـ «مطبق» وهو تحريف.

سَقْيًا ورَعْيًا لزمانٍ مضَى * عنِّى، وسَهْمُ الشّامتِ الأخيبُ
قد جاءنى منكَ مُوَيْلٌ فلم * أُعرِضْ له والحُرُّ لا يَكْذِبُ[1]
أَخْذِىَ مالاً منكَ بعد الذى * أُودِعْتَنِيه مَرْكَبٌ يَصْعُبُ
أَبَيْتُ أن أشربَ عند الرضا * والسُّخْطِ إلّا مَشْرَبًا يَعْذُبُ
أعزّنى اليأسُ وأغنَى فما * أرجو سوَى اللهِ ولا أَهْرُبُ[2]
قارونُ عندى فى الغِنَى مُعْدِمٌ * وهمّتى ما فوقَها مَذْهَبُ
فأىّ هاتينِ ترانى بها * أَصبو إلى مالكَ أو أرغَبُ ؟

خبره مع أحمد ابن يحيى

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدى وعيسى بن الحسين الورّاق ، واللفظ له ، قالا : حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشجانى قال ، حدّثنا حمّاد بن يحيى قال : حدّثنا أحمد بن يحيى قال : آخر ما فارقتُ عليه محمدَ بن حازم أنه قال : لم يَبْقَ شىءٌ من اللّذّاتِ إلا بَيْعُ السَّنانير . فقلت له : سَخِنَتْ عينُك[3] ! أَيْشٍ لكَ[4] فى بيع السنانير من اللذّات ؟ قال : يُعجبنى أن تجيئنى العجوزُ الرَّعْناء تُخاصِمنى وتقول: هذا سِنّورى سُرِق منّى، وأُخاصِمها وأُشَمِّهُا وتشتمنى ، وأُغيظها وأباغضها ؛ ثم أنشدنى :

صِلْ خمرةً بخُمارٍ[5] * وصِلْ خُمارًا بخمرِ
وخُذْ بحظّكَ منها * زادًا إلى حيث تدرى

قال : قلتُ : إلى أين ويحك ؟ قال : إلى النار يا أحمق .

(١) فى ب ، سـ : « ذو موئل » وهو تحريف ، ومويل : تصغير مال .
(٢) فى الأصول : «أعزنى البأس» وهو تصحيف ، وكان الأنسب به أن يقول: «ولا أرهب» .
(٣) يقولون فى شتم المرء والدعاء عليه : «سخنت عينه» أى من حرارة البكاء، و «أسخن الله عينه» أى أبكاه ، وهو نقيض قولهم فى الدعاء له : « قرّت عينه » أى بردت وانقطع بكاؤها ، أو رأت ما كانت متشوّقة إليه ، و « أقر الله عينه » .
(٤) فى الأصول : « أليس » وهو تحريف .
(٥) خمار الخمر : ما خالط من سكرها .

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدّثنى الحسن بن أبى السّرى قال :

ردّه على كتاب أحمد بن أبى نهيك

كان إسحاق بن أحمد بن أبى نَهيك آنسًا بمحمد بن حازم الباهلىّ يدعوه ويُعاشره مُدّة . فكتب إليه يَستزيرُه ويُعاتبه عتاباً أغضبه ، وبلغه أنه غضب ، فكتب إليه :

٥

ما مُسْتَزِيرُكَ فى وُدٍّ رأى خَلَلاً * فى موضع الأُنْس أهلاً منك للغضب(١)

قد كنتَ تُوجِبُ لى حَقًّا وتَعرِف لى * قَدْرِى وتَحفظ منّى حُرمةَ الأدبِ

ثم انحرفتَ إلى الأُخرى فأَحْشَمَنى * ما كان منكَ بلا جُرْمٍ ولا سَبَبِ(٢)

وإنّ أدنَى الذى عندى مُسَامحةٌ * فى حاجتى بعد أن أعذرتُ فى الطلب(٣)

فاختَرْ فعندىَ من ثِنْتَين واحدةٌ * عُذْرٌ جميلٌ وشُكْرٌ ليس باللَّعِبِ ١٠

فإن تُجَدِّد كما قد كنتَ تفعلُه(٤) * ... ...

خبره مع الحسن ابن سهل

حدّثنى محمد بن يونس الأنبارىّ المعروف بحصنة قال : حدّثنى ميمون بن هارون قال :

قال محمد بن حازم الباهلىّ : عرضتْ لى حاجةٌ فى عسكر أبى محمد الحسن بن سَهْل ، فأتيتُه ، وقد كنتُ قلت فى السفينة شعراً ، فلمّا دخلت على محمد بن سعيد بن ١٥ سالم انتسبتُ له ، فعرفنى ، فقال : ما قلتَ فيه شيئا ؟ فقال له رجل كان معى : بلى ، قد قال أبياتاً وهو فى السفينة ، فسألنى أن أُنشِدَه ، فأنشدته قولى :

١٦٣ / ١٢

(١) فى الأصول : « عنك » وهو تحريف . (٢) أحشمنى : أغضبنى .

(٣) أعذر : أبدى عذرا وبالغ فيه . (٤) الشطر الثانى من هذا البيت ساقط فى الأصول . وهذه الأبيات كتبت فى النسخة المخطوطة شطرا تحت شطر . ٢٠

وقالوا لو مدحتَ فَــتًى كريمًا * فقلتُ وكيف لى بفَــتًى كريمِ؟
بَلَوْتُ النــاسَ مُذْ خمسين عامًا * وحَسْبُك بالمُجَــرِّبِ من علــيمِ
فمــا أحدٌ يُعَــدُّ ليــومِ خــيرٍ * ولا أحــدٌ يعــود ولا حمــيمِ[1]
ويعجبنى الفــتى وأظنّ خيرا * فأكشف منه عن رجل لئــيمِ
تَقَيَّــلَ بعضُهم بعضًــا فأضْحَــوْا * بنى أَبَوَيْنِ قُــدًّا[2] من أَديــمِ
فطاف النــاسُ بالحَسَن بن سَهْلٍ * طَوَافَهُــمُ بزَمْزَمَ والحَطِــيمِ[3]
وقالوا سَــيِّدٌ يُعْطِى جزيــلًا * ويَكْشِف كُرْبَةَ الرجلِ الكظيمِ[4]
فقلتُ مضى بذَمِّ القــوم شِــعْرى * وقد يُؤْتَى البَرِىءُ من السَّــقيمِ
وما خَــبَرٌ تُرَجِّمُــه ظُنُــونى * بأشْــفَى من مُعَاينــةِ الحَلِــيمِ[5]
فجئتُ وللأُمُــورِ مُبَشِّــراتٌ * ولن يخــفَى الأغَرُّ من البَهِــيمِ[6]
فإنْ يَــكُ ماتَنَشَّرَ عنــه حَقًّــا * رجعت بأُهْبــةِ الرجــلِ المُقِــيمِ
وإن يَكُ غيرُ ذاكَ حَمِــدتُ ربّى * وزال الشكُّ عن رجلٍ حكيمِ[7]
وما الآمال تَعْطِفُــنى عليــه * ولكنّ الكريمَ أخــو الكريمِ

قال : فلمّا أنشدتُه هذا الشعر ، قال لى : بمثل هذا الشعر تلقَى الأمير! والله لو كان نظــيرَكَ لَمَــا جاز أن تُخاطبه بمثل هذا ! فقلت : صدقت، فكذلك قلت ، إنى لم أمدحه بعدُ ، ولكننى سأمدحه مدحًا يُشْبِه مثله . قال : فأفعل ، وأنزلنى عنده

(١) يلاحظ أن فى البيت إقــواء . (٢) فى الأصــول : « فــذا » وهو تصحيف . وتقيل : أشــبه . (٣) زمزم : بئر عنــد الكعبة . والحطيم : حجــر الكعبة (بكسر الحاء) أو جداره ، أو مابين الركن وزمزم . (٤) الكظيم : المكروب . (٥) كلام مرجم : أى عن غير يقين . (٦) الأغر : ذو الغرة ، وهى بياض فى الجبهة . والبهيم : الأسود .
(٧) فى الأصول : « جهدت » وهو تصحيف . وفيها أيضا « حليم » وهو تصحيف .

ودخل إلى الحسن فأخبره بخبرى وعَجّبه من جَوْدة البيت الأخير فأعجبه ، فأمر بإدخالى إليه بغير مدح ، فأُدخلت إليه . فأمرنى أن أُنشد هذا الشعر ، فآستعفيته فلم يُعْفِنى ، وقال : قد قَنِعْنا منك بهذا القدر إذ لم تُدخِلْنا فى جملة من ذممت ، وأرضيناك بالمكافأة الجميلة . فأنشدته إيّاه ؛ فضحك وقال : ويحك ! مالَكَ وللناس تَعُمُّهم بالهجاء ؟ حَسْبُك الآن من هذا النمط وأَبْقِ عليهم . فقلت : وقد وهبتهم للأمير . قال : قد قَبِلْتُ ، وأنا أطالبك بالوفاء مطالبة من أُهديتْ إليه هديةٌ فقبلها وأثاب عليها . ثم وصلنى فأجزل وكسانى . فقلت فى ذلك وأنشدته :

وهبتُ القومَ للحَسَن بن سَهْلٍ * فعوّضَنى الجزيلَ من الثّوابِ
وقال دَعِ الهجاءَ وقُلْ جميلًا * فإنّ القصدَ أقربُ للصّواب (١)
فقلت له : برِئتُ إليكَ منهمْ * فليتَهُمُ بمُنْقَطَعِ التّرابِ (٢)
ولولا نعمةُ الحَسَنِ بن سهلٍ * علىّ لَسُمْتُهُمْ سُوءَ العذابِ (٣)
بشعرٍ يَعْجَبُ الشعراءُ منه * يُشَبَّهُ بالهجاء وبالعِتابِ
أُكايِدُهُمْ مُكايَدةَ الأعادِى * وأَخْتِلُهُمْ مُخاتلةَ الذِّئابِ (٤)
بَلَوْتُ خيارَهم فبَلَوْتُ قومًا * كُهولُهُمُ أخسُّ من الشّبابِ
وما مُسِخُوا كلابًا غيرَ أنّى * رأيتُ القومَ أشباهَ الكلابِ

قال : فضحك وقال : ويحك ! الساعةَ ابتدأتَ بهجائهم وما أفلتوا منك بعدُ . فقلت : هذه بُغْيَةٌ طَفَحتْ على قلبى ، وأنا كافٌّ عنهم ما أبقى الله الأمير .

(١) القصد : استقامة الطريق .
(٢) بمنقطع التراب : أى بالمكان النائى الموحش الذى انقطع وطء ترابه واجتيازه ، أو القبر .
(٣) فى الأصول : «سوم العذاب» تحريف .
(٤) ختله كضرب ونصر : خدعه .

شعره فى صديق تغير عليه

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثنى علىّ بن الحسن الشَّيْبانىّ قال :

كان لمحمد بن حازم الباهلىّ صديقٌ على طُول الأيام، فنال مرتبةً من السُّلْطان وعَلاَ قَدْرُه، فجفا محمدًا وتغيَّر له؛ فقال فى ذلك محمد بن حازم :

وَصْلُ المُلوكِ إلى التَّعالِى * . ووَفَا المُلوكِ من المُحَالِ

مالِى رأيتُكَ لاتَدُو * مُ على المَوَدَّةِ للرجال

إنْ كان ذَا أَدَبٍ وظَرْ * فٍ قلتَ ذاك أخو ضَلال[1]

أو كان ذا نُسُكٍ ودِيـ * ـنٍ قلتَ ذاك من الثِّقال[2]

أو كان فى وَسَطٍ من الـ * أمْرَيْنِ قلتَ يُرِيغُ مالى[3]

فبِمِثْلِ ذا ــ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ــ تبتغى رُتَبَ المعالى ؟

خبره مع إبراهيم ابن المهدى

حدّثنى الحسن قال حدّثنى ابن مهرويه قال : حدّثنى الحسن بن علىّ الشيبانىّ قال :

كان محمد بن حازم الباهلىّ قد نَسَك وترك شُرْبَ النبيذ ، فدخل يومًا على إبراهيم بن المهدىّ، فحادثه وناشده وأكل معه لمّا حضر الطعام، ثم جلسوا للشَّراب؛ فسأله إبراهيم أن يشرب، فأبى وأنشأ يقول :

أبعد خمسين أَصبو ؟ * والشَّيْبُ للجهل حَرْبُ

سِنٌّ وشَيْبٌ وجَهْلٌ ! * أمرٌ لَعَمْرُكَ صَعْبُ

يابنَ الإمامِ فهَلَّا * أيّامَ عُودِىَ رَطْبُ !

(١) أى إن كان الرجل ذا أدب .

(٢) النسك مثلثة و بضمتين : العبادة .   (٣) فى الأصول « يريع » وهو تصحيف ويريغ : يريد و يطلب .

وشَيْبُ رأسى قليلٌ * ومَنْهَلُ الحُبِّ عَذْبُ
وإذ سِهامِى صِيَابٌ * ونَصْلُ سَيْفِى عَضْبُ (١)
وإذ شِفاءُ الغَوانى * مِنِّى حَدِيثٌ وقُرْبُ
فالآن لمّا رأى بى الـ * ـعُذّالُ لى ما أحَبُّوا
وأقْصَرَ الجهلُ مِنِّى * وساعدَ الشَّيْبَ لُبُّ
وآنَسَ الرُّشْدَ مِنِّى * قومٌ أعابُ وأصبو
آليتُ أشربُ كأسًا * ما حَجَّ لله رَكْبُ

خبره مع النوشجانى

حدّثنى الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنى الحسن بن أبى السَّرِىّ قال:
وعد النُّوشَجانىّ محمد بن حازم شيئا سأله إيّاه ثم مطله، وعاتبه فلم ينتفع بذلك، واقتضاه (٢)، فأقام على مَطْله، فكتب إليه:

أبا بِشْرٍ تطاوَلَ بى العِتَابُ * وطال بِىَ التّردُّدُ والطِّلابُ
ولم أترك من الأعذارِ شيئًا * ألام به وإن كَثُرَ الخِطابُ
سألتُكَ حاجةً فطويتَ كَشْحًا (٣) * على رَغْمٍ، وللدهرِ انقلابُ
وسُمْتَنِىَ الدّنِيَّةَ مُسْتَخِفًّا * كما خُزِمتْ بآنُفِها الصِّعابُ (٤)
كأنّك [كنتَ] (٥) تطلُبنى بثأرٍ * وفى هذا لك العَجَبُ العُجَابُ
فإن تَكُ حاجتى غَلَبَتْ وأعيتْ (٦) * فمعذورٌ، وقد وَجَبَ الثوابُ

(١) صياب: جمع صائب كصاحب وصحاب. وصائب، يجوز أن يكون من صاب السهم يصوب، أو صاب يصيب، لغة فى أصاب. (٢) اقتضى دينه وتقاضاه بمعنى. (٣) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع من الخلف. وطوى كشحه عنه: أعرض عنه وقطعه. وطوى كشحه على الأمر: أضمره وستره. (٤) سامه الذل: كلفه إياه وأراده عليه. وآنف: جمع أنف. والصعاب: جمع صعب، وهو من الإبل ضدّ الذلول. (٥) ساقطة من ب. (٦) أعياه الأمر وأعيا عليه: عجز عنه.

وإن يك وَقتُها شَيبَ الغُراب * فلا قُضِيتْ ولا شابَ الغُرابُ
رجوتُك حين قِيل لى ٱبنُ كِسْرَى * وإنك سِرُّ مُلْكِهِمُ اللُّبَابُ
فقد عَجَّلْتَ لى من ذاك وَعْدًا * وأقربُ من تَنَاوُلِهِ السَّحابُ
وكلٌّ سوف يُنْشَرُ غيرَ شكٍّ * ويَحْمِلُه لِطِيَّتِهِ[1] الكتابُ

خبره مع بعض ولد سعيد بن سالم

أخبرنى الحسن قال: حدّثنى ابن مهرويه قال: حدّثنى الحسن بن أبى السَّرِىّ قال: قصد محمد بن حازم بعضَ وَلَدِ سَعِيدِ بن سالم وقد وَلِىَ عملًا، واسترفده[2]؛ فأطال مُدّته ولم يُعْطِه شيئا؛ وانصرف عنه وقال:

أَلِلدُّنيا أُعِدُّكَ يا بْنَ عَمِّى * فأَعْلَمَ أم أُعِدُّك للحسابِ
إلى كَمْ لا أراكَ تُنِيلُ حتَّى * أَهُزَّكَ! قد بَرِئْتُ من العتابِ
وما تنفكُّ من جَمْعٍ ووضعٍ * كأنّك لستَ تُوقِنُ بالإيابِ
فشَرُّكَ عن صديقك غيرُ ناءٍ * وخَيْرُك عند مُنْقَطَعِ الترابِ
أتيتُك زائرًا فأتيتُ كلبًا * لحَظِّى من إخائك للكلابِ
فبئس أخو العشيرةِ ما عَلِمْنا * وأخبثُ صاحبٍ لأخٍ اغترابِ
أَيَرْحَلُ عنك ضَيْفُك غيرَ راضٍ * ورَحْلُك واسعٌ خِصْبُ الجنابِ
فقد أصبحتَ من كرمٍ بعيدًا * ومن ضِدِّ المكارم فى اللُّبابِ
وما بِىَ حاجةٌ بجَدَاك[3] لكن * أَرُدُّك عن قبيحك للصَّوابِ

(١) فى الأصول «لطيتها» وهو تحريف. يقال: مضى لطيته، أى لوجهه الذى يريده، ولنيته التى انتواها.
(٢) استرفده: طلب رفده، أى صلته وعطاءه.
(٣) الجدا والجدوى: العطية.

تمثل المتوكل بشعره حينا غاضبته قبيحة

حدّثنى عمّى قال : حدّثنى يزيد بن محمد المهلّبى قال :

كنّا عند المتوكل يومًا وقد غاضبته قَبيحةُ ، فخرج إلينا فقال : مَنْ يُنشِدُنى منكم شعرًا فى معنى غَضَب قبيحة علىّ ، وحاجتى أن أخْضَع لها حتى ترضى ؟ فقلت له : لقد أحسنَ محمد بن حازم الباهلىُّ يا أمير المؤمنين حيث يقول :

صفحتُ برَغْمى عنكَ صَفْحَ ضرورةٍ * إليك وفى قلبى نُدوبٌ من العَتْبِ (١)

خضعتُ وما ذَنْبِى إنِ الحُبّ عزّنى (٢) * فأغضيتُ صفحًا عن معالجة الحبّ

وما زال بى فقرٌ إليك مُنَازِعٌ * يُذَلِّل منّى كلّ مُمْتَنِع صَعْبِ

إلى الله أشكو أنّ وُدّى مُحَصَّلٌ (٣) * وقلبى جميعًا عند مُقْتَسِم القَلْبِ

— الغناء لعُبَيْدَة الطُّنبوريّة رملٌ بالوسطى — قال : أحسنتَ وحياتى يا يزيد ! وأمر بأن يُغَنَّى فيه، وأمر لى بألف دينار .

هجاؤه بنى نمير

حدّثنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنى ابن مهرويه قال : حدّثنا علىّ بن خالد البرمكىّ قال :

سافر محمد بن حازم الباهلىّ سفرًا ، فمرّ بقومٍ من بنى نُمَيْر ، فسلّوا منه بعيرًا له عليه ثَقَلُه (٤) ؛ فقال يهجوهم :

١٦٦ / ١٢

نُمَيْرُ : أَجُبْنًا حيث يختلف القَنَا * ولُؤْمًا وبُخْلًا عند زادٍ ومِزْوَدِ (٥)؟

ومَنْعَ قِرَى الأضيافِ من غير عِلّةٍ * ولا عَدَمٍ ، إلا حِذَارَ التّعَوُّدِ

وبَغْيًا على الجارِ الغريبِ إذا طَرَا * عليكم وخَتْلَ الراكب المُتَفَرِّدِ (٦)

(١) فى جـ «يذوب من العقب» وهو تحريف . (٢) عزنى : غلبنى . (٣) محصل : مجمع ثابت . (٤) فى الأصول : « فسلوا عليه بعيرا ... » ، وسلوا : استلوا . والثقل : متاع المسافر . (٥) المزود : وعاء الزاد . (٦) طرأ على القوم : أتاهم من غير أن يعلموا . وفى الأصول «طرأ إليكم» . والختل : الخدع .

على أنكم تَرْضَوْنَ بالذُّلِّ صاحبًا * وتُعْطُون مَنْ لاحاكُمُ الضَّيمَ عن يَدِ (١)

أمَا وأبى إنّا لَنَعْفُو وإنّنا * على ذاك أحيانًا نجُورُ ونعتدى

نَكِيدُ العِدَا بالحِلْمِ من غير ذِلّةٍ * ونَغْشَى الوَغَى بالصِّدْقِ لا بالتَّوعُّدِ

نَفَى الضَّيمَ عنّا أنفسٌ مُضَرِيّةٌ * صِرَاحٌ (٢) وطَعْنُ الباسِلِ المُتَمَرِّدِ

٥ وإنّا لمن قَيْسِ بن عَيْلانَ فى التى * هى الغايةُ القُصْوَى بعِزٍّ وسُودَدِ

وإنّ لنا (٣) بالتُّرْكِ قَبْرًا مُبارَكًا * وبالصِّينِ قبرًا عِزَّ كلِّ مُوَحِّدِ

وما نَابَنَا (٤) صَرْفُ الزمانِ بِسَيِّدٍ * بَكَيْنا عليه أو يُوافِى بسَيِّدِ

ولو أنَّ قوما يَسْلَمُونَ من الرَّدَى * سَلِمْنا ولكنّ المنايا بِمَرْصَدِ (٥)

أبَى اللهُ أنْ يَهْدِى نُمَيْرًا لِرُشْدِها * ولا يَرْشُدُ الإنسانُ إلا بمُرْشِدِ

هجاؤه عاملا لمحمد ابن حامد على الأهواز

١٠ حدّثنى الحسن بن علىّ قال: حدّثنى محمد بن القاسم ورجلٌ من وَلَد البَخْتَكان (٦) من الأهواز بين. أنّ محمد بن حامد ولِى بعضَ كُوَر الأهواز فى أيّام المأمون، وأنّ محمد بن

---

(١) لاحاه: نازعه. وعن يد: عن ذلة. (٢) فى الأصول: «صراخ بالخاء المعجمة» وهو تصحيف. (٣) فى الأصول «وإنا» تحريف. يفتخر فى هذا البيت بمآثر قتيبة بن مسلم الباهلى — وهو باهلى مثله — ويتمدّح بفتوحه التى كان فيها عز الإسلام والمسلمين. وذلك أن الحجاج ولاه خراسان فغزا بلاد ما وراء النهر، وافتتح بخارى وسمرقند وخوارزم؛ ووصل فى فتوحه إلى كشغر من

١٥ بلاد الصين، وقتل سنة ٩٦ هـ. (٤) فى الأصول: «وما فاتنا» وهو تحريف، وفى جـ «فبينا علها» وفى ب، س «يثبنا عليها» وهو تحريف. (٥) أخذه من قول عدىّ: «وإن المنايا للرجال بمرصد». رصده كنصر: قعد له على طريقه. والمرصد والمرصاد: الطريق.

(٦) البختكان: هو والد بزرجمهر الوزير العادل لأنوشروان ملك الفرس. وقد اشتهر هذا الوزير

٢٠ برجاحة عقله وحكمته، وأثر عنه كثير من الحكم البليغة، وأحضر جملة كتب من الهند، وترجمها إلى اللسان البهلوى، وعمر طويلا، وتوفى زمن هرمز الثالث بن أنوشروان بين سنة ٥٨٠، وسنة ٥٩٠ م. انظر قاموس الأعلام لشمس الدين سامى.

حازم الباهلىّ قدِم عليه زائرًا ومدَحه ، فوَصله وأحسن إليه ، وكتب له إلى تُسْتَر(١) بحِنْطة وشعير ، فمضى بكتابه ، وأخذ ما كُتِب له به ؛ وتزوّج هناك امرأة من الدَّهاقين(٢) ، فزرَع الحِنْطة والشعير فى ضَيْعتها ؛ وولّى محمد بن حامد رجلًا من أهل الكوفة الخَراج بِتُسْتَر ، فوكل بِغَلّة محمد بن حازم ، وطالبه بالخراج فأدّاه ، فقال يهجوه :

زَرَعنا فلمّا سلّم الله زَرْعَنا * وأوفى عليه مِنْجَلٌ بحَصَادِ(٣)
بُلِينا بكُوفىّ حَليف مجاعةٍ * أضَرّ علينا من دَبًا وجَرادِ(٤)
أتى مُسْتَعِدًّا ما يُكَذِّبُ دونه * ولَجّ بإرغامٍ له وبِعَادِ(٥)
فَطَوْرًا بإلحاحٍ علىّ وغِلْظةٍ * وطورًا بخَبْطٍ دائم وفَسادِ
ولولا أبو العبّاس أعنى ابنَ حامدٍ * لرَحّلتُه عن تُسْتَرٍ بسَوادِ
فكُفُّوا الأذى عن جارِكم وتعلّموا * بأنّى لكم فى العالمين مُنادِى

فبعث محمد بن حامد إلى عامله فصرفه عن الناحية ، وقال له : عَرّضتَنى لِمَا أكره ، واحتمل خراج محمد بن حازم .

أخبرنى محمد بن الحسين بن الكِنْدىّ المؤدّب قال : حدّثنا الرِّياشى قال : سمعتُ الأصمعىّ يقول :

---

(١) تستر : مدينة كبيرة بالأهواز .

(٢) الدهاقين : جمع دهقان بالكسر والضم : وهو زعيم فلاحى العجم ، ورئيس الإقليم .

(٣) أوفى عليه : أشرف . (٤) الدبا : أصغر الجراد والنمل . (٥) ما يكذب دونه ، أى ما يثنى عن الزرع حتى يستولى على حصة الخراج منه ؛ من قولهم : حمل عليه فما كذب (بالتشديد) : أى ما انثنى وما جبن وما رجع .

وصفه الشيب

قال هذا الباهليُّ محمد بن حازم في وصف الشَّيْب شيئاً حَسَناً، فقال له أبو محمد الباهليّ : تعنى قولَه :

كفاك بالشيب ذنبًا عند غانيةٍ * وبالشَّبَابِ شـفيعًا أيُّهـا الرَّجُلُ

فقال : إيَّاهَ عنَيتُ . فقال له الباهليّ : ما سمعتُ لأحدٍ من المُحْدَثِين أحسنَ منه .

خبره مع محمد ابن زبيدة

٥ حدّثني عمّي قال : حدّثنا حسـين بن فَهْم قال : حدّثني أبي قال :

١٦٧ / ١٢ دخل محمد بن حازم على محمد بن زبيدة وهو أمير، فدعاه إلى أن يشرَب معه، فامتنع وقال :

أبعـد خمسـين أصبو * والشَّيْبُ للجهل حَرْبُ

سِنٌّ وشَيْبٌ وجهلٌ ! * أمرٌ لعَمْرُك صَعْبُ

١٠ يا بنَ الإمام فهلّا * أيَّامَ عُـودِيَ رَطْبُ!

وشيبُ رأسي قليـلٌ * ومَنْهَلُ الحُبّ عَذْبُ

وإذْ شِـفَاهُ الغَـوَاني * مـنّي حديثٌ وشُرْبُ

الآنَ حين رأى بي * عَـوَاذلي ما أحَبُّـوا!

آليتُ أشرَبُ كأساً * ما حـجَّ لله رَكْـبُ

١٥ قال : فأعطاه محمد بن زبيدة ووَصله .

أخبار ابن القَصّار ونسبه

نسبه

اسمه فيما أخبرنى به أبو الفضل بن بُرْد الخِيَار[(١)]، سليمان بن علىّ . وذكره جحظة فى كتاب الطُّنْبُورِيّين[(٢)]، فتَلَّه[(٣)] فى نفسه وأخلاقه ومَدَح صَنْعَتَه، وقال : مما أَحْسَنَ فيه قوله :

أرِقْتُ لِبَرْقٍ لاحَ فى فَحْمةِ الدُّجَى * فأذكرنى الأحبابَ والمنزلَ الرَّحْبا

قال : وهذا خفيف رمل مطلق . ومما أحسن فيه أيضًا :

تعالَىْ نُجَدِّدُ عهدَ الصِّبَا * ونَصْفَحُ للحُبِّ عمّا مَضَى

ثلبه جحظة وتنادر عليه

وهو خفيف رمل مطلق أيضا . وذكر أنه كان مع أبيه قَصّارا[(٤)]، وتعلّم الغناء فبَرَع فيه . ومن طَيِّب ما ثَلَبه به جَحْظة وتَنَادَر عليه[(٥)] به — وأراها مصنوعةً — أنّه مرّ

(١) كذا فى الأصول، ويؤيد هذا ما ورد فى معجم البلدان (فى «ناحية» ج ٤ : ٧٢٧ طبع أوربة) : «قرأت بخط بعض الفضلاء الأئمة وهو أبو الفضل العباس بن على المعروف بابن برد الخيار» بالراء أيضا . وجاء فى معجم الأدباء (ج ١ : ص ٢٦٩ طبع هندية فى ترجمة إبراهيم بن عباس الصولى) : «واجتمع هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات وابن برد الخباز» بالزاى .

(٢) أى الضاربين بالطنبور، وهو من آلات الطرب ذو عنق طويل وستة أوتار . فارسىّ معرّب .

(٣) فى الأصول «قبله» وهو تصحيف ؛ يقال : ثل فلانا بثلة سوء (بكسر الثاء) : أى رماه بأمر قبيح .

(٤) القصار والمقصر : محوّر الثياب ومبيضها ؛ لأنه يدقها بالقصرة وهى القطعة من الخشب . وحرفته القصارة بالكسر .

(٥) ثلبه : عابه . وجاء فى أساس البلاغة «وفلان يتنادر علينا» . ومعناه يحدّثنا بالنوادر والملح ؛ وفى الأصول : «وتبادر» وهو تصحيف .

يومًا على أبيه ، ومعه غلامٌ يحمل قاطرميز(١) نبيذ ، وجوامرجة(٢) مذبوحة مسموطة(٣) ، فقال : الحمد لله الذى أرانى ابنى قبل موتى يأكُلُ لحم الجواميرات ، ويَشْرَب نبيذ القاطرميزات(٤) .

وحدّث عن بعض جيرانه أن ابن القصّار غنّى له يوما بحبل ودَلْو ، وأن إسماعيل بن المتوكّل وَهَب له مائتى أُتْرُجّة(٥) كانت بين يديه ، فباعها بثلاثة دنانير ، وأنه يَحْمل بلبكيذه(٦) إلى دار السلطان ، وله فيه خُبْزٌ وجبنٌ فيأكله ، ويحمل فى البلبكيذ ما يُوضَع بين يديه فى دار السلطان ، فيدعو إخوانه عليه . وأكْثَرَ من ثَلْب الرجل مما لا فائدةَ فيه . ولو أراد قائلٌ [أنْ](٧) يقول فيه ما لا يَبْعُد من هذه الأخلاق لَوَجَد مقالًا واسعا ، ولكنه مما يَقْبُح ذكره ، سيّما وقد لَقِيناه وعاشرناه . عفا الله عنا وعنه .

---

(١) كلمة فارسية ، جاء فى شفاء الغليل ص ١٦٥ : « قطرميز : قلة كبيرة من الزجاج معروفة ؛ قال الشاعر :

أنا لا أرتوى بطاس وكاس * فاسقنيها بالزق والقطرميز

وكذلك جاء فى معجم دوزى : « قطرميز : إناء زجاجى برقبة قصيرة وفوهة واسعة » . أقول : ومن البيت المذكور يرى أن الطاء ساكنة والراء محركة .

(٢) هكذا فى الأصول . وفى الفارسية : « الجوجة : الفروجة » . . وأكبر ظنى أن تلك الكلمة هى المرادة ؛ بدليل قوله « مذبوحة مسموطة » .

(٣) سمط : نتف شعرها بالماء الحار .

(٤) فى حـ : « لحم الجوانيرات ... نبيذ القامرطيرات » .

(٥) الأترج : فارسية وعربيته « متك » كقفل انظر كتب اللغة .

(٦) المفهوم من السياق أن تلك الكلمة معناها : حقيبة كان يضع فيها حاجاته . ولعلها كانت من جلد النمر . فالظاهر أن صوابها « پلنكينة » .

(٧) زيادة يقتضيها المقام .

كان مفضلا بحضرة السلطان

أخبرنا ذُكَاء وجه الرُّزَّة قال : كنا نجتمع مع جماعةٍ فى الطُّنبُور بيّن، ونشاهدهم فى دُور الملوك وبحضرة السلطان ، فما شاهدت منهم أفضلَ من المسرور وعمر المَيْدانى وابنِ القصّار .

خبره مع زوج البلورى

وحدّثتنى قُمْرِيّة البَكْتَمُرِيّة قالت : كنت لرجلٍ من الكُتّاب يُعْرَفُ بالبَلُّورىّ، وكان شيخًا ، وكانت سِتّى[1] التى ربّتنى مولاته[2]، وكانت مُغَنّيةً شجيّةَ الصَّوْتِ حَسَنة الغناء ، وكانت تَعْشَق ابن القصّار ، وكانت علامةُ مصيره إليها أن يجتاز فى دِجْلَةَ وهو يُغَنّى، فإنْ قَدَرتُ على لِقائه أوصلتُه إليها ، وإلّا مضى . فأذكره وقد اجتاز بنا فى ليلةٍ مُقمِرةٍ وهو يُغنّى خفيفَ رَمَلٍ قال :

١٦٨ / ١٢

أنا فى يُمْنَى يَدَيْها * وهى فى يُسْرَى يَدَيْه
إنّ هذا لَقَضاءٌ * فيه جَوْرٌ يا أُخَيّه

ويُغَنّى فى آخره رَدّه :

* وَيْلٌ وَيْلِى[3] يا أُبَيّه *

وكانت سِتّى واقفةً بين يَدَىْ مولاها، فما ملكتْ نفسَها أن صاحتْ : أحسنت

---

(١) فى القاموس : « وستى للمرأة أى يا ست جهاتى ، أو لحن والصواب سيدتى » . وفى شرح القاموس : « قوله : والصواب سيدتى : ويحتمل أن الأصل سيدتى لحذف بعض حروف الكلمة ، وله نظائر، قاله الشهاب القاسمى . ونقل شيخنا عن السيد عيسى الصفوى مانصه : ينبغى ألا يقيد بالنداء لأنه قد لا يكون نداء . قال : والظاهر أن الحذف سماعى، وأن النداء على التمثيل لا أنه قيد كما توهموه اهـ . ويروى المعرى فى رسالة الغفران :

ست إن أعياك أمرى * فاحمليني زقفونه

(٢) فى جـ محل هذه الكلمة « له » .

(٣) فى الأصول « ويلى ويلى » ولا يستقيم به الوزن .

والله يارجلُ! فتفضَّلْ وأعِد، ففعل وشَرِب رطلا وانصرف، وعَلِم أنه لايَقْدِر على الوصول إليها . وكان مولاها يعرف الخبر ، فتغافلَ عنها لمَوْضعها من قلبه ؛ فلا أذكُر أنّى سمعت قطُّ أحسنَ من غنائه .

صوت

باح بالوجدِ قلبُك المُسْتَهامُ * وجرتْ فى عِظامك الأسقامُ
يوم لا يملك البكاءَ أخو الشَّوْ * قِ فيشْفَى ولا يُرَدُّ سلامُ

٥

لم يقع إلىّ قائلُ هذا الشعر . والغناء لمعبد اليَقْطِينىّ ثانى ثقيل بالبِنْصَر عن أحمد بن المكىّ .

أخبار معبد

نسب

كان مَعْبَدٌ اليَقْطِينىّ غلاماً مُوَلَّدا خِلَاسِيّاً[1] من مُوَلَّدى المدينة ، اشتراه بعض وَلَد علىّ بن يَقْطِين . وقد شَدَا[2] بالمدينة ، وأخذ الغناء عن جماعةٍ من أهلها ، وعن[3] جماعة أخرى من عِلْيَة المُغَنِّين بالعراق فى ذلك الوقت ، مثل إسحاق وابن جامع وَطَبقتهما ، ولم يكن فيما ذُكِر بطيّب المسموع ، ولا خَدَم أحدًا من الخلفاء إلا الرشيدَ ، ومات فى أيامه ، وكان أكثرُ انقطاعه إلى البرامكة .

أخبرنى عمّى الحسن بن محمد قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال : حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعىّ قال : حدّثنى مَعْبَدٌ الصغير المُغَنِّى مولى علىّ بن يقطين قال :

خبره مع غلام من المدينة

كنت منقطعاً إلى البرامكة ، آخذ منهم وألازمهم . فبينا أنا ذاتَ يومٍ فى منزلى إذا بابى يُدَقّ ، فخرج غلامى ثم رجع إلىَّ فقال : على البابِ فتًى ظاهرُ المرُوءة يستأذن عليك ؛ فأذنتُ له . فدخل علىّ شاب ما رأيتُ أحسنَ وجهاً منه ، ولا أنظف ثوباً ، ولا أجملَ زِيّاً منه ، من رجلٍ دَنِفٍ عليه آثارُ السَّقَمِ ظاهرة ، فقال لى : إنّى أرجو لُقَاكَ[4] منذ مُدّةٍ فلا أجِدُ إليه سبيلا ، وإنّ لى حاجة . قلت : ماهى ؟ فأخرجَ ثلثمائة دينار فوضعها بين يَدَىَّ ، ثم قال : أسألك أن تَقْبَلَها وتَصْنَع فى بيتين قلتُهما لحنًا تُغَنِّينى به . فقلت : هاتهما ، فأنشدهما ، وقال :

(١) الخلاسى : الولد بين أبوين أبيض وأسود .

(٢) فى الأصول « شذا » وهو تصحيف .

(٣) فى الأصول : « من جماعة » .

(٤) فى جـ : « أخاف » وهو خطأ .

صوت

والله ياطَرْفِيَ الجاني على بَدَني * لَتُطْفِئَنَّ بدَمْعِي لوعةَ الحَزَنِ
أو لأَبُوحَنَّ حتّى يَحْجُبوا سَكَني[1] * فلا أراه ولو أُدْرِجْتُ في كَفَنِي

ـ الغناء فيه لمعبد اليقطيني ثقيل أوّل مطلقٌ في مجرى الوُسْطَى ـ قال: فصنعت فيهما لحنًا ثم غَنَّيته إيّاه، فأُغْمِيَ عليه حتى ظننته قد مات. ثم أفاق فقال: أَعِدْ فديتك! فناشدته اللهَ في نفسه وقلت: أخشَى أن تموت. فقال: هيهات! أنا أشْقَى من ذاك. ومازال يخضع لي ويتضرّع حتى أعدتُه، فصَعِق صعقةً أشدَّ من الأولى، حتى ظننت أنّ نفسَه قد فاظت. فلما أفاق رددت الدنانير عليه ووضعتُها بين يديه، وقلت: ياهذا خذ دنانيرك وانصرف عنّي؛ فقد قضيتَ حاجتك، وبلغتَ وطَرًا[2] ممّا أردته، ولستُ أُحبُّ أن أَشْرَكَ في دَمِك. فقال: ياهذا! لا حاجةَ لي في الدنانير. فقلت: لا والله ولا بعشَرَة أضعافها إلا على ثلاث شرائط. قال: وماهنّ؟ قلت: أولها أن تُقيم عندي وتحترم بطعامي، والثانية أن تَشربَ أقداحًا من النَّبيذ تَشُدُّ قلبَك وتُسكِّن مابك، والثالثة أن تُحدِّثني بقصّتك. فقال: أفعل ماتريد. فأخذتُ الدنانير، ودعوتُ بطعامٍ فأصاب منه إصابةَ مُعذِرٍ[3]، ثم دعوتُ بالنبيذ فشرب أقداحًا، وغنّيته بشعرٍ غيره في معناه، وهو يشرب ويبكي. ثم قال: الشرط أعزّك الله، فغنّيته، فجعل يبكي أحرَّ بكاء ويَنْشِج[4] أشدَّ نَشيج

(١) سكني: محبوبي الذي أسكن إليه. (٢) في الأصول: «نظرا» وهو تحريف، والوطر: الحاجة. (٣) أعذر: أبدى عذرا، وثبت له عذر.
(٤) نشج الباكي كضرب نشيجا: وهو مثل بكاء الصبي إذا ضرب فلم يخرج بكاءه، وردّد صوته في صدره.

و ينتحب . فلما رأيت مابه قد خفّ عما كان يلحقه ، ورأيتُ النّبيذ قد شدّ من قلبه ، كررت عليه صوتَه مرارًا ، ثم قلتُ : حدّثنى حديثَك . فقال : أنا رجلٌ من أهل المدينة خرجتُ مُتنزِّهًا فى ظاهرها وقد سال العقيق[(١)]، فى فتية من أقرانى وأخدانى[(٢)]، فبصُرْنا بقَيْنَاتٍ قد خرجن لمثل ما خرجنا له ، فجلسنَ حَجْرةً[(٣)] منّا ، و بصُرتُ فيهنّ بفتاة كأنها قضيبٌ قد طَلّه النـدى ، تنظر بعينين ما ارتدّ طرْفُهما إلاّ بنَفْس مَن يُلاحظهما . فأطلنا وأطَلْن ، حتى تفرّق الناس ، وانصرفن وانصرفنا ، وقد أبقتْ بقلبى جُرْحا بطيئا اندمالُه[(٤)] . فعُدْتُ إلى منزلى وأنا وَقيذٌ[(٥)] . وخرجتُ من الغد إلى العقيق ، وليس به أحدٌ ، فلم أر لها ولا لصواحباتها أثرا . ثم جعلتُ أتتبّعها فى طُرُق المدينة وأسواقها ؛ فكأنّ الأرض أضمرتْها ، فلم أحِسّ لها بعين ولا أثر ، وسَقِمْتُ حتى أيِس منّى أهلى . ودخلتْ ظِئْرى[(٦)] فاستعلمتْنى حالى ، وضَمِنَتْ لى حالَها والسعى فيما أُحبّه منها ؛ فأخبرتُها بقصّتى ، فقالت : لا بأسَ عليك! هذه أيام الربيع ، وهى سَنَة خِصْبٍ وأنواء ، وليس يَبْعُدُ عنك المطَر ، وهذا العقيق ، فتخرُج حينئذٍ وأخرج معـك ؛ فإن النسوة سيجئن . فإذا فعلن ورأيتَها تبِعتُهـا حتى أعرف موضعها ، ثم أصل بينك و بينها ، وأسعى لك فى تزويجها . فكأنّ نفسى اطمأنت إلى ذلك ، ووثقتُ به وسكَنَتْ إليه ؛ فقَويتُ وطَمِعْتُ وتراجعتْ نفسى ، وجاء مطر بعَقِب ذلك ، فأسالَ الوادىَ ، وخرج النـاسُ وخرجتُ مع إخوانى إليه ، فجلسنا مجلسَنا الأوّل بعَيْنه ، فمـا كنّا والنسوة إلا كفَرَسَىْ رِهانٍ . وأومأتُ إلى ظـئْرى فجلستْ حَجْرةً منّا ومنهنّ ، وأقبلتُ على إخوانى فقلت : لقد أحسن القائلُ حيث قال :

(١) العقيق : موضع بالمدينة مما يلى الحرة إلى منتهى البقيع . (٢) أخدان : جمع خدن بالكسر ، وهو الصديق . (٣) حجرة : ناحية . (٤) اندمل الجرح : برئ . (٥) وقيذ : صريع . (٦) الظئر : العاطفة على ولد غيرها المرضعة له .

رَمَتْنى بسهمٍ أَقْصَدَ[1] القلبَ وانثنتْ * وقــد غادرتْ جُرْحًا به ونُدُوبَا

فأقبلتْ على صواحباتِهــا فقالت : أحسنَ والله القــائل ، وأحسنَ مَن أجابه حيث يقول :

بِنَــا مثــلُ ما تَشْكُو ، فصَبْرًا لعلَّنا * نرى فَرَجًا يَشْــفِى السَّقامَ قَــرِيبَا

فأمسكتُ عن الجواب خوفًا من أن يظهر منِّى ما يَفْضَحُنى وإيَّاها ، وعرفتُ ما أرادتْ . ثم تفــرّق الناس وانصرفنا ، وتَبِعْتُها طَــرْفى حتّى عرفتُ منزلَهــا ، وصارت إلىّ فأخذتْ بيدى ومَضَيْنَا إليها . فلم تَزَلْ تتلطَّف حتّى وصلتُ إليها . فتَلاقَيْنَا وتَدَاوَرْنا على حالِ مُخَالسةٍ ومُرَاقَبة . وشاع حديثى وحديثُها ، وظَهَر ما بينى وبينها ، فحجبها أهلُها ، وتشدّد عليها أبوها . فمــا زِلْتُ أجتهد فى لِقائها فلا أقدِر عليه . وشكوتُ إلى أبى — لشدّة ما نالنى — حالى ، وسألته خِطْبَتَها لى . فمضى أبى ومَشْــيَخَةُ أهلى إلى أبيها فخطبوها . فقــال : لو كان بَدَأ بهــذا قبل أن يَفْضَحَها ويَشْهَرَها لأسعفتُه بمــا التمس ، ولكنّه قد فَضَحها ، فلم أَكُنْ لأُحَقِّقَ قولَ الناس فيها بتزويجــه إياها ؛ فانصرفتُ على يأسٍ منها ومن نَفْسِى . قال معبــد : فسألته أن ينزلَ ، فخَــبَرَنى[2] وصارت بيننا عِشْرةٌ . ثم جلس جعفر بن يحيى للشُّرْب فأتيتُه ؛ فكان أوّلَ صوتٍ غنَّيته صوتى فى شعر الفتى ، فطرِب عليه طَرَبًا شديدًا ، وقال : ويحك ! إنّ لهذا الصوت حديثًا ، فما هو ؟ فحدثته ، فأمر بإحضار الفتى ، فأُحضر من وقته ، واستعاده الحديثَ ، فأعاده عليــه . فقال : هى فى ذِمَّتى حتّى أُزَوِّجك إيّاها ، فطابت نفسه ، وأقام معنا ليلَتنا حتى أصبح . وغدا جعفرٌ إلى الرشيد فحدَّثه الحديثَ ، فعجب منه ، وأمر بإحضارنا جميعًا ، فأُحضرنا ، وأمر بأن أُغَنِّيَه الصوتَ

(١) أقصده : طعنه فلم يخطئه .

(٢) فى الأصول : « نخبرنى » تصحيف . وخبرنى الأمر (كنصر) وأخبرنى : عرفنى .

فغنّته، وشرب عليه، وسمع حديثَ الفتى، فأمر من وقته بالكتّاب إلى عامل الحجاز بإشخاص الرّجل وابنته وجميع أهله إلى حضرته، فلم يمض إلّا مسافة الطريق حتّى أحضر. فأمر الرشيد بإيصاله إليه فأُوصِل، وخطب إليه الجارية للفتى، وأقسم عليه ألا يُخالف أمره، فأجابه وزوّجه إيّاها، وحمل إليه الرشيدُ ألفَ دينار لجهازها، وألفَ دينار لنفقة طريقه، وأمر للفتى بألف دينار، وأمر جعفرٌ لى وللفتى بألف دينار. وكان المدنىّ بعد ذلك فى جملة نُدَماء جعفر بن يحيى.

صـــوت

هل نَفْسُك المستهامة السَّدِمَهْ * سَالِيــةٌ مَرّةً ومعْـــتَزِمهْ[1]

عن ذِكرِ خَوْدٍ قَضَى لها المَلِكُ الْـ * ـخالِقُ ألّا تُكنَّها ظُلَمَـــهْ[2]

الشعر لابن أبى الزوائد، والغناء لحَكَم رملٌ بالوُسْطَى عن الهِشَامىّ.

(١) فى الأصول: «ومعترمة». والسدمة: وصف من السدم: وهو الهم، وقيل: غيظ مع حزن.

(٢) الخود: الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة. والظلمة (بضمة وبضمتين) والظلماء والظلام واحد.

أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه

نسبه

اسمه سُلَيمان بن يحيى بن زَيْد بن مَعْبَد بن أيُّوب بن هِلَال بن عَوْف بن نضلَة ابن عُصَيَّة بن نَصْر بن سَعْد بن بَكْر بن هوازن بن مَنْصُور . ويقال له ابن أبي الزوائد أيضا . شاعرٌ مُقِلٌّ، من مُخَضْرَمِي الدَّوْلَتين، وكان يَؤُمُّ النَّاسَ في مسجد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . ٥

أخبرني بذلك محمد بن خَلَف وكِيعٌ قال : حدّثنا ابن أبي خَيْثَمَةَ عن بعض رجاله عن الأصمعيّ، وأخبرني وكِيعٌ قال : حدّثني طَلْحة بن عبد الله الطَّلْحِيّ قال : أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال :

شعره في جارية كان يتعشقها

كان ابن أبي الزوائد يَتَعَشَّق جاريةً سوداء مولاةَ الصُّهَيْبِيِّين[1]، وكان يَخْتَلِف إليها وهي في النَّخْل بحاجزة . فلمّا حان الجَدَادُ قال : ١٠

جُبَيْبُ أمسَى جَدَادُ حاجِزةٍ * فليتَ أنَّ الجَدَادَ لم يَحِنِ[2]

وشَتَّ بَيْنٌ وكُنْتِ لِي سَكَناً * فيما مَضَى كان ليس بالسَّكَنِ[3]

---

(١) نسبة إلى صهيب بن سنان الرومي، وهو من النمر بن قاسط، سبته الروم وهو غلام صغير، فنشأ بالروم، ثم ابتاعته كلب منهم وقدمت به مكة، فاشتراه منهم عبد الله بن جدعان وأعتقه . وقد أسلم وهاجر إلى المدينة وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات بالمدينة سنة ٣٨ هـ ودفن بالبقيع . ١٥

(٢) جد النخل كنصر جدا وجدادا، كسحاب وكتاب : صرمه وقطعه . وأمسى هنا تامة . والمفهوم من السياق أنه ينادي معشوقته فيقول : ياجبيب حان قطع وحاجزة اسم البقعة التي كان فيها النخل .

(٣) شت كضرب : فرّق . والبين هنا : البعد والفراق .

١٧١
١٢

قد كان لِى مِنْكِ ما أُسَرُّ به * وليتَ ما كان مِنْكِ لم يَكُن[1]

نَعِفُّ فى لَهْونا ويَجْمَعُنا الـ * ـمَجْلِسُ بين العريش والجُرُن[2]

يُعْجِبُنا اللَّهْوُ والحديثُ ولا * نَخْلِطُ فى لَهْونا هَنًا بِهَن[3]

لَوْ قَدْ رحلتُ الحمارَ منكشفًا * لم أَرَها بَعْدَها ولم تَرَنِى[4]

فقال له أبو محمد الجُمَحِىُّ : إنّ الشعراء يذكرون فى شِعْرِهم أنّهم رَحَلوا الإبلَ والنَّجائب، وأنت تذكر أنّك رَحَلْتَ حمارًا . فقال : ما قلتُ إلّا حقًّا، والله ما كان لى شىء أُرَحِّلُه غيره . قال : وقال فيها أيضا :

ياليتَ أنَّ العَرَبَ استَلْحَقُوا * رِيمَ الصُّهَيْبِيِّينَ ذاكَ الأَجَمّ[5]

وكان منهم فتزوّجتُه * أوكنتُ من بعض رجال العَجَمْ

مجازه لأبى عبيدة ابن عبد الله

أخبرنى وكيع قال: حدّثنى طلحة بن عبد الله بن الزُّبَيْر بن بَكّار عن عمّه قال :

كان أبو عبيدة بن عبد الله بن ربيعة صديقًا لابن أبى الزوائد، ثم تباعد ما بينهما لشىء بلغ أبا عُبَيدةَ عنه، فهجره من أجله، فهجاه؛ فقال :

قطعَ الصفاء — ولم أكن * أهلا لذاك — أبو عُبَيْدَهْ

لا تحْسَبَنَّكَ عاقلًا * فَلأنتَ أحمقُ من حُمَيْدَه[6]

حميدة : امرأة كانت بالمدينة رعناء يُضْرَب بها المَثَلُ فى الحمق .

(١) فى ب، س : « وكان ما كان » . (٢) الجرن كقفل، والجرين : موضع تجفيف التمر وهو له كالبيدر للحنطة . وجمع جرين : أجرنة وجرن ككتق . (٣) الهن : كناية عما يستفحش ذكره من الرجل والمرأة . (٤) رحل البعير كمنع : حط عليه الرحل .

(٥) ريم : مخفف رئم، وهو الظبى الخالص البياض ، أجم : ليس له قرنان .

(٦) فى جـ : « من عبيدة » وهو خطأ .

حدّثنى عَمّى ووكيع قالا : حدّثنا الكُرَانى عن أبى غَسَّان دَمَاذ عن أبى عُبَيْدَةَ قال :

شعره فى قيان حماد بن عمران

دخل ابن أبى الزوائد إلى حَمَّاد بن عِمْران الطَّلْحى ، وكان يُلَقَّبُ بعُطْعُط ، وكان له قِيانٌ يسمعهنّ الناسُ عنده ، فرآهن ابن أبى الزوائد فقال فيهنّ :

أقولُ وقد صُفِّقَتِ البُظْرِ لى : * أَلِلْبُظْرِ أدخلنى عُطْعُطُ؟
فإنّى امرؤٌ لا أُحِبُّ الزِّنَا * ولا يَسْتَفِزُّنِى البَرْبَطُ[1]
ولو بعضُهنّ ابتغى صَبْوَتى * لخَالَطَ هَامَتَها المِخْبَطُ[2]
لبئس فِعالُ امرىءٍ قد قَرَا * وهَمَّتْ عَوَارِضُه تَشْمَطُ[3]
وما كنتُ مفترشًا جارتى * وسَيِّدُها نائمٌ يَضْرِطُ
أأُفْرِغُ فى جارتى نُطْفَةً * حرامًا كما يُفْرَغُ المُسْعُطُ[4]

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدّثنى أبو هَفَّان قال : حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال : حدّثنى المُسَيَّبى :

هجاؤه لامرأته الأنصارية

أنّ ابن ابى الزوائد كانت عنده امرأةٌ أنصاريّة ، فطال لُبْثُها عنده حتى مَلَّها وأبغضها ، فقال يهجوها :

(١) البربط : العود ؛ معرب .
(٢) المخبط كمنبر : العصا يخبط بها الورق .
(٣) فى الأصول : « لبئس فعل من قد قرى » وهو تحريف لايستقيم به الوزن . وقرا : مسهل عن « قرأ » أى الذى قد قرأ القرآن ، وقد كان يؤم الناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر فى أوّل الترجمة ، والشمط بالتحريك : بياض الرأس يخالط سواده ، والعارضة : صفحة الخد .
(٤) المسعط (بضم الميم والعين وكنبر) : ما يجعل فيه السعوط و يصب منه فى الأنف .

يا رَمْلُ أنتِ الغُولُ بين رِمَالِ * لم تَظْفَرِى بتُقًى ولا بِجَمَالِ (١)
يا رَمْلُ لو حُدِّثْتُ أنّكِ سَلْفَعٌ * شَوْهاءُ كالسِّعْلاةِ بين سَعَالِى (٢)
ما جاء يطلُبُكِ الرسولُ بِخِطْبَةٍ * مِنّى ولا ضُمّت عليكِ حِبالى
ولقد نَهى عنكِ النّصيحُ وقال لى: * لا تَقْرَبَنَّ بَذِيّةً بِعِيَالِ
لمّا هَزَزْتُ مُهَنّدِى وقذفتُهُ * فيها وقد أرهفتُهُ بِصِقالِ
رَجَع المُهَنَّدُ ما لَه من حِيلةٍ * وهناكَ تَضعُفُ حِيلةُ المحتالِ
وكأنّما أولجتُهُ فى قُلّةٍ * قد بُرِّدَتْ للصومِ أو بوقالِ (٣)
ورأيتُ وجهًا كاسفًا مُتغيِّرًا * وحِرًا أشقَّ كمِرْكَنِ الغسّالِ (٤)
ما كان أيْرُ الفيلِ بالِغَ قَعْرِهِ * بتحامُلٍ عَنْهُ ولا إدخالِ
ولقد طعنتُ مَبالَها بِسُلاحِها * فوجدتُ أخبثَ مَسْلَحٍ ومَبَالِ

قال : وقال لها وقد نُخِرتْ :

هلّا سألتِ مَنَازِلًا بِغُرارِ * عَمَّنْ عَهِدْتُ به من الأحرارِ (٥)
أين انتأَوْا ونحاهُمُ صَرْفُ النوَى * عنّا وصَرْفُ مُقَحِّمٍ مِغْيارِ (٦)

(١) فى الأصول : « ببقا » وهو تحريف .

(٢) والسلفع : الصخابة البذيئة السيئة الخلق ، والسعلاة . أخبث الغيلان .

(٣) البوقال : كوز بلا عروة (القاموس) .

(٤) والمركن : الآنية التى تغسل فيها الثياب .

(٥) فى الأصول «بغزار» . وغرار : جبل بتهامة .

(٦) انتأى : نأى وبعد ، والنوى : البعد . فى جـ : « ملحم » وفى ب ، س : « مفحم » وأراه « مقحم » بالقاف ، وتقحيم النفس فى الشىء : إدخالها فيه من غير روية .

كَرِهَ المُقامَ وظَنّ بى وبأهلها * ظَنًّا فكان بنا على إضْرارِ

عُدّى رِجالَكِ واسْمَعِى يا هَذِهِ * عَنِّى مَقَالَةَ عالِمٍ مِفْخارِ

سأعُدُّ سادات لنا ومَكارِمًا * وأُبُوَّةً ليستْ علىَّ بعارِ (١)

قَيْسٌ وخِنْدِفُ والداىَ كِلاهُما * والعَمُّ بَعْدُ ربيعةُ بنُ نِزارِ (٢)

مَنْ مِثْلُ فارِسنا دُرَيْدٍ فارِسًا * فى كلّ يومِ تَعانُقٍ وكِرارِ (٣)

٥

وبنو زيادٍ مَنْ لِقَوْمِكِ مِثْلُهُمْ * أو مِثْلُ عنترةَ الهِزَبْرِ الضّارى (٤)

والحىُّ من سعدٍ ذُؤابةُ قَوْمِهِمْ * والفَخْرُ منهم والسَّنامُ الوارى (٥)

والمانِعونَ من العَدُوّ ذِمارَهُمْ * والمُدْرِكُونَ عَدُوَّهم بالثّارِ

والناكحون بناتِ كلِّ مُتَوَّجٍ * يومَ الوَغَى غَصْبًا بلا إمهارِ

وبنو سُلَيْمٍ نَكْلُ مَنْ عاداهُمُ * وحَيَا العُفاةِ ومَعْقِلُ الفُرّارِ (٦)

١٠

ليسوا بأنكاسٍ إذا حامَسْتَهم الـ * ـمَوْتَ العُداةُ وصَمَّمُوا لِمُغارِ (٧)

---

(١) فى س: «سأعده». وفى ب «سأعد سودات» وفى جـ: «سأعده سوادات»، وكله تحريف.

(٢) قيس، هو قيس بن الياس وهو عيلان بن مضر بن نزار. وخندف هى ليلى بنت حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة زوجة الياس بن مضر بن نزار.

١٥

(٣) دريد: هو دريد بن الصمة فارس العرب، من بنى جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. وكرار: مصدر، كارّه مكارّة وكرارا.

(٤) هو زياد بن الربيع من بنى عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان. وعنترة الفوارس من بنى عبس. والهزبر: الأسد.

(٥) سعد: هم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن عيلان بن مضر، أوهم بنو سعد بن بكر بن هوزان ... وذؤابة كل شىء: أعلاه. الوارى: الشحم السمين.

٢٠

(٦) بنو سليم: هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة. والنكل: الموت والهلاك. فى جـ، ب، س: «فكل»؛ وهو تحريف. والحيا: الخصب والمطر. والعفاة: جمع عاف، وهو كل طالب فضل أو رزق.

(٧) أنكاس: جمع نكس بالكسر، وهو الضعيف والمقصر عن غاية النجدة والكرم. وحامى: مفاعلة من الحسو، والمغار: الإغارة.

٢٥

أخبرنى عيسى بن الحسين قال : حدّثنا الزبير بن بكّار عن عمّه قال :

قدومه بغداد وتشوقه إلى المدينة وشعره

كان ابن أبى الزوائد وفَدَ إلى بغداد فى أيّام المهدىّ، فاستوخمها، فقال يتشوق إلى المدينة ويخاطب أبا غسّان محمد بن يحيى وكان معه نازلاً :

يا ابْنَ يحيى ماذا بَدَا لك مَاذَا * أَمُقَامٌ أم قد عَزَمْتَ الخِيَاذَا (١)

فالبراغيثُ قد تَنَوَّرَ منها * ساهرٌ ما تَلُوذُ منها مَلاذَا (٢)

تَنْحَكُّ الجُلُودَ طورًا فتَدْمَى * وتُحُكُّ الصّدُورَ والأفخاذا

فسَقَى الله طَيْبَةَ الوَبْلَ سَحًّا * وسقى الكَرْخَ والصَّرَاةَ الرَّذَاذَا (٣)

بلدةٌ لا ترى بها العَيْنُ يومًا * شاربًا للنّبيذ أو نَبَّاذَا (٤)

أو فتًى ماجنًا يرى اللَّهْوَ والبا * طِلَ مجدًا أو صاحبًا لَوَّاذَا (٥)

هذه الذال فاسمعوها وهاتُوا * شاعِرًا قال فى الرَّوِىّ على ذا

قالها شاعرٌ لَوَ اَنَّ القوافى * كُنّ صخرًا أطارَهُن جُذَاذَا (٦)

(١) كذا فى الأصول والذى فى لسان العرب وتاج العروس : الخواذ والمخاوذة : الفراق . وجاء أيضا فى القاموس : الحواذ بالحاء : البعد .

(٢) تنور : ثار وهاج ، وسهر كنصر : لم ينم .

(٣) طيبة : المدينة المنورة . جاء فى النهاية لابن الأثير : « وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أمر أن تسمى المدينة طيبة وطابة ، وهما من الطيب لأن المدينة كان اسمها يثرب ، والثرب : الفساد ، فنهى أن تسمى به وسماها طيبة وطابة وهما تأنيث طيب وطاب بمعنى الطيب ، وقيل هو من الطيب بمعنى الطاهر لخلوصها من الشرك وتطهيرها منه » . والوبل : المطر الشديد الضخم القطر . والكرخ : محلة ببغداد . والصراة : نهر ببغداد . والرذاذ : المطر الضعيف .

(٤) نبذ نبيذا : اتخذه ، والنباذ : بائع النبيذ ، كالخمار بائع الخمر .

(٥) يحتمل أن يكون « صاخبا » من الصخب وهو كثرة اللغط والجلبة . ولواذ مبالغة فى لائذ ، من لاذ به أى لجأ إليه وعاذ به .

(٦) الجذاذ : قطع ما كسر ، القطعة جذاذة . وقال الفراء فى قوله تعالى : « فجعلهم جذاذا » هو مثل الحطام والرفات ، ومن قرأها جذاذا بالكسر فهو جمع جذيذ مثل خفيف وخفاف .

شعره حين شرب خمرا

قال الزبير : وأنشدنى له أبو غسّان محمد بن يحيى ، وكان قد دخل إلى رجلين من أهل الحجاز يقال لأحدهما أبو الجوّاب ، والآخر أبو أيّوب ، فسقياه نبيذًا على أنه طِرىّ لا يُسْكِر ، فأسكره ، فقال :

سَقَانى شربةً فسَكِرْتُ منها * أبو الجوّابِ صاحِبىَ الخبيث

وعاونَه أبو أيُّوبَ فيها * ومِنْ عاداته الخُلُقُ الخَبِيثُ

فلمّا أن تَمَشَّتْ فى عِظامى * وهَمَّتْ وَثْبَتِى منها تَرِيثُ (١)

علمتُ بأنّنى قد جئتُ أمرًا * تسوءُ به المقالةُ والحديثُ

فدَعهمْ ـ لا أبالك ـ واجْتَنِبْهُمْ * فإنّ خَلِيطَهُمْ لَهُوَ اللّوِيثُ (٢)

وتمام الأبيات التى فيها الغناء بعد البيتين المذكورين :

كالشمس فى شَرْقِها إذا سَفَرتْ * عنها ومِثْلُ المَهَاةِ مُلْتَثِمَهْ (٣)

ما صَوّرَ الله حين صَوّرها * فى سائر الناس مثلَها نَسَمَهْ

كلَّ بلادِ الإله جئتُ فما * أبصرتُ شِبْهًا لها ـ وقد عَلِمَهْ ـ

أنْثَى (٤) من العالمين تُشْبِهُها * عابسةً هكذا ومُبْتَسِمَهْ

فتّانةُ المُقْلَتَيْنِ مُخْطَفَةُ ال * أحشاءِ (٥) منها البَنَانُ كالعَنَمَهْ

إذا تعاطتْ شيئًا لتأخذَه * قلتَ غَزالٌ يَعْطُو إلى بَرِمَهْ (٦)

---

(١) راث يريث : أبطأ . (٢) الخليط : المخالط ، واللويث ، الذى فى كتب اللغة : الألوث : الأحمق ، فالوصف على أفعل ، وقد صاغه الشاعر على فعيل ، أو هو بمعنى ملوّث ملطخ ، فعيل بمعنى اسم المفعول . (٣) سفرت المرأة : كشفت عن وجهها . والمهاة : البقرة الوحشية . (٤) فى س : « أنى العالمين » وهو تحريف . (٥) إخطاف الحشا : انطواؤه وضمره . والعنم : شجر له ثمر أحمر تشبه به بنان الجوارى . (٦) فى س : « تعاطت شىء » وهو تحريف ، والعطو : التناول ورفع الرأس واليدين . والبرمة : واحدة البرم ، وهو ثمر الطلح أو ثمر الأراك .

يا طِيبَ فيها وطِيبَ قُبْلتها * والقُرْبِ مِنْها فى اللّيلة الشَّبِمَهْ(١)

إنّ من اللذّة التى بَقِيتْ * غِشْيانَكَ الخَوْدَ من بنى سَلِمَهْ

لَا تَهْجُرِ الخَوْدَ إن تُغَالِ بها * بعد سُلُوٍّ، وقبلَ ذاك فَمَهْ(٢)

آتِى مُعِدًّا لها الكلامَ فما * أَنطِقُ من هيبةٍ ولا كَلِمَهْ

أُحِبُّ واللهِ أن أزورَكُمُ * وَحْدِى كذا أو أزورَكم بِلُمَهْ(٣)

هذا الجمالُ الذى سمعتَ به * سبحانَ ذى الكِبْرِياء والعَظَمَهْ

مَنْ أبصرتْ عَيْنُه لها شَبَهًا * حَلّ عليه العذابُ والنَّقِمَهْ(٤)

صوت

يا هِنْدُ يا هِنْدُ نَوِّلِى رَجُلَا * وكيف تنويلُ مَنْ سَفَكْتِ دَمَهْ

أو تُدْرِكِى نَفْسه فقد هَلَكَتْ * أو تَرْحَمِيه فمِثْلُكم رَحِمَهْ

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال: حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال: حدّثنى محمد بن جعفر بن قادم(٥) مولى بنى هاشم قال: حدّثنى عمّى أحمدُ بن جعفر عن ابن دَأْب قال:

---

(١) الشبمة: الباردة.

(٢) غالى به: اشتراه بثمن غال. ومه: كف. والمعنى: إن تغال بالحبيبة فلا تهجرها بعد سلوها إياك، وكف عن هجرها قبل السلو — وذاك أولى بك — أى لا تهجرها ولا تقطع وصلها سالية لك أو غير سالية.

(٣) اللمة: الجماعة من الرجال ما بين الثلاثة إلى العشرة.

(٤) النقمة بفتح النون وكسر القاف، كالنقمة بكسر النون وفتحها مع سكون القاف.

(٥) فى ب، س: «قاسم».

أمر المنصور بزواج بني عبد مناف بالمنافيات

خرجت أنا وأخي يحيى و[1]ابن أبي السَّعْلاء ومعنا مُصْعَبُ بن عبد الله النَّوْفَلِيُّ[2]
وثابت والزُّبَير ابنا خُبَيب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبَيْر وابنُ أبي الزوائد
السعدي وابنُ أبي ذئب مُتَنَزِّهين إلى العَقيق. وقد سال يومئذ، إذ أتانا آتٍ ونحن
جُلوس، فسألناه عن الخبر بالمدينة؟ فقال: وَرَد كتابُ أمير المؤمنين المنصور أن
٥ لا تَزوَّج مَنافِيَّةٌ[3] إلا مَنافِيًّا. قال ابن أبي ذِئْب[4]: إذن والله لا يَخْطُبها قرشيٌّ إلَّا مَنْ
لا يُحبُّها، ولا يَرْغَب فيمن لا يَرْغَب فيها ممن لا فضلَ له عليها؛ وكان غيرَ حسن
الرأي في بني هاشم. وتكلم ابنا خُبَيْب بمثل ذلك، وقال أحدُهما: إن نَسَبَنا من بني
عبد مناف قد طال، فأدالنا[5] الله منهم. قال: فغَضِب مُصْعَبٌ النَّوْفَليُّ وكان أحْوَلَ
فازدادت عيناه انقلابا، فقال: أمّا أنت يا بن أبي ذِئْب فوالله ما شرَّفَتْك جاهليَّةٌ ولا رفَعك
١٠ إسلام، فيقَع في بال أحد أنك عُنِيتَ بما جَرَى. وأما أنتما يا بني خُبَيْب فبُغْضُكما لبني
عبد مناف تالدٌ موروث، ولا يزال يتجدَّد كلَّما ذكرتم قَتْلَ الزُّبَيْر[6]، وإنكم لمن طِينتين
مختلفتين: أما إحداهما فمن صَفِيَّة[7]، وهي الطِّينة الأَبْطَحِيَّة السَّنِيَّة، تَنْزِعان إليها إذا نافرتما،
وتَفْخَران بها إذا افتخرتما؛ والأخرى الطِّينة العَوَّامِيَّة التي تَعْرِفانها، ولو شئتُ أن
أقول لقلتُ، ولكنّ صفيَّة تَحْجُزُني، فأحْسِنا الشُّكْرَ لمَنْ رَفَعكما، ولا تَميلا عليه بمن

١٧٤/١٢

---

١٥ (١) ساقطة من جـ. (٢) النوفلي: نسبة إلى نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.
(٣) منافية: نسبة إلى عبد مناف المذكور، وهو الجد الثالث للنبي صلى الله عليه وسلم.
(٤) كذا في ب، س؛ ويؤيده ما ورد بعد. وفي جـ: «أبي الزوائد». (٥) أداله الله
من عدوه: نصره عليه. (٦) قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع في وقعة الجمل، وأتى عليا بسيفه
فقال علي: سيف طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنه الحين ومصارع السوء،
٢٠ وقاتل ابن صفية في النار. والخبر مشهور. (٧) هي السيدة صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وأم الزبير بن العوام. والأبطحية: نسبة إلى الأبطح وهو أبطح مكة: مسيل واديها.
والمنافرة: المفاخرة والمحاكمة في الحسب.

وضعكما. فقالا له : مَهْلاً، فوالله لَقَدِيمُنا فى الإسلام أفضلُ من قديمك، ولَحَظُّنا فيه بالزُّبَيْر أفضلُ من حَظِّك . فقال مُصْعَبٌ : والله ما تَفْخَرانِ فى نَسَبِكما إلاّ بعَمَّتى ، ولا تَفْضُلان فى دِينكما إلّا بابن عمّى صلّى الله عليه وسلم، فَمَفاخِرُه لى دونكما. ثم تفرقوا؛ فقال ابن أبى الزوائد :

لَعَمْرُكُما يا بَنِى خُبَيْبِ بن ثابتٍ * تجاوزتُما فى الفَخْرِ جَهْلاً مَدَاكُما
وأنكرْتُما فضلَ الّذين بِفَضْلِهِمْ * سَمَتْ بين أيدى الأكْرَمِين يَدَاكُمَا
فإنّكما لم تَعْرِفَا إذ سَمَوْتُمَا * إلى العِزِّ مِنْ آلِ النبىِّ أباكما
ولم تَعْرِفا الفضلَ الذى قد نَفَرْتُما * فليس من العَوّامِ حقّاً أبَاكما
فلولا الكِرامُ الغُرُّ من آل هاشمٍ * فلا تجهلا لم تدفعا مَنْ رَمَاكما

صـــوت

مُحِبٌّ صَدَّ آلِفُهُ * فليس لِلَيْلِه صُبْحُ
يُقَلَّبُه على مَضَضٍ * مَوَاعِدُ مالَها نُجْحُ
لـه فى عَيْنِه غَرْبٌ[(1)] * وفى أحشائه جُرْحُ
صَحَا عنه الّذى يرجو * زِيَارَتَه وما يَصْحُو

الشعر لأبى الأَسَدِ، والغناء لِعَلُّويَةَ، هَزَجٌ بالوُسْطَى وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى .

(١) الغرب هنا : الدمع .

أخبار أبى الأسد ونسبه

نسبه

اسمه، فيما ذكر لنا عيسى بن الحسين الورّاق عن عيسى بن إسماعيل تِينَة[1] عن القَحْذَمىّ، نُبَاتَةُ بن عبد الله الحِمّانِىّ[2] . وذكر أبو هَفّانَ المِهْزَمىّ[3] أنه من بنى شَيْبَان . وهو شاعر مطبوع متوسِّط الشِّعْر، من شعراء الدولة العبّاسية من أهل الدِّينَوَر[4] .

٥ وكان طَبًّا[5] مليحَ النّوادِر مزّاحًا خبيث الهجاء، وكان صديقًا لعَلُّوَيه المُغَنِّى الأعسر، يُنادمه و يُواصل عِشْرَته و يَصِلُه عَلُّويه بالأكابر، و يُعَرِّضُه للنافع، وله صنعةٌ فى كثير من شعره .

فأخبرنى عمّى قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى محمد بن محمد الأَبْزارِىّ[6] قال :

شعره فى جارية ترقبها فأخلفت

١٠ كان أبو الأَسَد الشاعر صديقًا لعلويه، وكان كثيراً ما يغنّى فى شعره . فدعانا عَلُّويه ليلةً، ووعدته جارية لآل يحيى بن مُعَاذ — وكانت تأخذ عنه الغناء — أن تزورَه تلك الليلةَ، وكانت من أحسن النساس وجهًا وغناءً، وكان عَلُّويه يَهِيم بها، فانتظرناها حتى أَيِسْنا منها احتباسًا . فقال علويه لأبى الأَسَد : قُلْ فى هذا شعراً؛ فقـال :

١٧٥ / ١٢

١٥ (١) تِينة : لقب عيسى (كما فى القاموس المحيط) .

(٢) الحمانى : نسبة إلى حمان : وهو حى من تميم، أحد حيى بنى سعد بن زيد مناة .

(٣) نسبة إلى مهزم كمنبر، ومن أسمائهم أيضا مهزم كمعظم .

(٤) دينور : مدينة من أعمال الجبل بفارس .

(٥) الطب : الحاذق الماهر . وفى الأصول « طيبا » وهو تحريف .

٢٠ (٦) الأبزارى : نسبة إلى أبزار وهى قرية بنيسابور .

مُحِبٌّ صدَّ آنفُه * فليس يَأْتيه صُبْحُ
محا عنه الذى يرجو * زيارتَه وما يصحو

قال : فصنع علويه فيه لحنًا من خفيف الثقيل هو الآن مشهورٌ فى أيدى الناس، وغنّانا فيه ؛ فلم نَزَلْ نشرب عليه حتى أصبحنا . وصنع فى تلك الليلة بحضرتنا فيه الرَّمَل فى شعر أبى وَجْزَة السَّعْدىّ :

قَتَلَتْنى بغير ذنبٍ قَتُولُ * وَحَلالٌ لها دَمى المطلولُ
ما على قاتلٍ أصابَ قَتِيلًا * بدَلالٍ ومُقْلَتَيْنِ سَبِيلُ

طلب من موسى ابن الضحاك غلاما فشاطره غلمانه

أخبرنى الحسن بن علىٍّ الخفّاف قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى أبو هفّان قال :

كتب أبو الأَسَد وهو من بنى حِمّان إلى موسى بن الضحّاك :

لِموسى أَعْبُدٌ وأنا أخوه * وصاحِبُه، ومالِى غيرُ عَبْدِ
فلو شاء الإلهُ وشاء موسى * لآنَسَ جانبى فَرَجٌ بسَعْدِ

سبب هجائه أحمد ابن أبى دؤاد

قال : و «فَرَجٌ» غلامٌ كان لأبى الأَسَد ، و «سَعْدٌ» غلام كان لموسى فبعث إليه موسى بسعد ، وقاسمه بعدَه بقيّةَ غِلْمانه، فأخذ شَطْرَهم وأعطاه شَطْرَهم .

أخبرنى محمد الخزاعىّ قال : حدّثنى العبّاس بن ميمون طائع قال :

هجا أبو الأسد أحمد بن أبى دوادٍ فقال :

أنت امرؤٌ غَثُّ الصَّنِيعةِ رَثُّها * لا تُحسِنُ النُّعْمَى إلى أمثالى
نُعْماك لا تَعْدُوكَ إلّا فى امرئٍ * فى مَسْكِ[1] مِثْلِك من ذَوِى الأَشْكالِ

(١) المسك : الجلد .

وإذا نظرتَ إلى صَنيعك لم تَجِدْ * أحَدًا سَمَوْتَ به إلى الإفْضَالِ
فاسْلَمْ بغير سَلامةٍ تُرْجَى لها * إلَّا لِسَدِّكَ خَلَّةَ الأَنْذالِ (١)

قال : فأدّى إليه سَلَامةُ وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشةَ هذه الأبياتَ عن أبي الأَسَد، فبعث إليه بِبُرْد واستَكَفَّه(٢)، وبعث بابن عائشة إلى مَظالِمِ ماسَبَذَانَ(٣)، وقال له : قد شرِكْتَه في التوبيخ لنا فَشَرِكْناك في الصَّفْقَة(٤)، فإنْ كنتما صادقَيْنِ في دَعْوَا كما كنتما من الأنذال، وإن كنتُما كاذبين فقد جُزِيتُما بالقبيح حَسَنًا .

سبب الهجاء

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن الحسن بن الحَرُون قال : كان سَبَبُ هجاء أبي الأَسَد أحمدَ بن أبي دُوَادٍ أنّه مَدَحه فلم يُثِبْه، ووعَده بالثواب ومَطَلَه؛ فكتب إليه :

ليتَكَ إذ تُبْتَني بواحدةٍ * تُقْنِعُني منك آخرَ الأبَدِ
تَحْلِفُ ألّا تَبَرَّني أبدًا * فإنَّ فيها بَرْدًا على كَبِدي
اِشْفِ فؤادي مِنّي فإنّ به * مِنّي جُرْحًا نَكَأْتَه بِيَدي(٥)
إنْ كان رِزْقِي إليكَ فارْمِ به * في نَاظِرَيْ حَيَّةٍ على رَصَدِ(٦)
قد عشتُ دهرًا وما أقدِّر أنْ * أرضَى بما قد رَضِيتُ من أحَدِ
فكيف أخطأتُ لا أصبتُ ولا * نَهَضْتُ من عَثْرةٍ إلى سَدَدِ(٧)
لو كنتُ حُرًّا كما زعمتُ وقد * كَدَدْتَني بالمِطَالِ لم أَعُدِ

(١) الخلة هنا : الحاجة والفقر .
(٢) استكفه : طلب إليه أن يكف عنه .
(٣) ماسبذان : كورة ببلاد فارس .
(٤) في ب، س : « الصنعة » وهو تحريف .
(٥) نكأ القرحة كنع : قشرها قبل أن تبرأ فنديت .
(٦) الرصد والمرصد : موضع الرصد . ومرصد الحية : مكنها .
(٧) السدد والسداد : الاستقامة .

صَبَرْتُ لمَّا أساتَ بى، فإذا * عُدْتُ إلى مِثْلِها فعُـدْ وعُد
فإنَّنى أهـلُ ذاكَ فى طَمَـعِى * وفى خَطَائى سـبيلَ مُعْتَمِـد[1]
أَبْعَـدَنى اللهُ حيـن يَحْمِلُـنى * حِرْصِى على مِثْلِ ذَا من الأَوَد[2]
الآنَ أيقنتُ بعد فِعْـلِكَ بى * أَنِّى عَبْـدٌ لأَعْبُـدٍ قُفُـد[3]
فصِرْتُ من سُوءِ مارُمِيتُ به * أُكْنَى أبا الكَلْبِ لا أبا الأَسَد

أخبرنى علىّ بن الحسين بن عبـد السميع المَرْوَزِىّ[4] الورّاق قال : حدّثنى عيسى بن إسماعيل تِينةُ عن القَحْذَمِىّ قال :

مدحه الفيض ابن صالح

كان أبو الأسد الشاعر — واسمه نُبَـاتة بن عبد الله الحِمّانى — منقطعاً إلى الفَيْض بن صالح وزير المَهْدِىّ، وفيه يقول :

ولائمـــةٍ لامَتْكَ يافَيْضُ فى النَّـدَى * فقلتُ لهـا لن يَقْـدَحَ اللَّوْمُ فى البَحْرِ
أرادتْ لِتَنْهَى الفَيْضَ عن عادةِ النَّدَى * ومَنْ ذا الذى يَثْنِى السَّحَابَ عن القَطْرِ؟
مَوَاقِـعُ جُودِ الفَيْضِ فى كلِّ بلدةٍ * مَوَاقِـعُ ماءِ المُزْنِ فى البَلَدِ القَفْرِ
كأنّ وُفودَ الفَيْضِ لمـا تَحَمَّـلُوا * إلى الفيض لاقَوْا عندَه ليـلةَ القَدْرِ

وكان أبو الأسد قَبْـلَه منقطعاً إلى أبى دُلَف مُدّة، فلمّا قَدِم عليه علىُّ بن جَبَـلةَ العَكَوَّكُ غَلَب عليـه، وسقطتْ منزلةُ أبى الأَسَد عنده، فانقطع إلى الفيض بعـد عَزْلِه عن الوزارة ولزومه منزلَه، وذلك فى أيام الرشيد . وفيه يقول :

(١) فى الأصول : « فانى » « وفى خطاى » وهو تحريف ، والخطاء والخطأ : ضد الصواب . وهو هنا بمعنى إخطاء . (٢) الأود : الاعوجاج .
(٣) قفد جمع أقفد : وهو المسترخى العنق أو الغليظه . وفى الأصول « فقد » وهو تصحيف .
(٤) المروزى : نسبة إلى مرو ، وهى بلد بفارس ، وكانت قصبة خراسان ، نسـبة على غير قياس ، وينسب إليها أيضا فيقال مروى بسكون الراء وفتحها .

أتيتُ الفَيْضَ مُشْتَكِيًا زَمانِي * فأَعْدانِي[1] عليـــه جُودُ فَيْض

وفاضتْ كَفُّــه بالبَذْلِ منــه * كما كَفُّ ابنِ عيسى ذاتُ غَيْض[2]

أخبرني عيسى بن الحُسَين قال : حدّثني آبن مَهْرُويه قال : حدّثني عليُّ آبن الحسن بن الأعرابيّ قال :

مدحه حمدون بن إسماعيل وهجاؤه على بن المنجم

٥ سأل أبو الأَسَد بعضَ الكُتّاب، وهو عليُّ بن يحيى المنجِّم، حاجةً يسأل فيها بعضَ الوزراء، فلم يفعل . وبلغ حَمْدُونَ بن إسماعيل الخبرُ، فسأل له فيها مبتدئا ونَجزها وأنفذها إليــه . فقال أبو الأســد يهجو الرجلَ الذي كان ساله الحاجةَ ، ويمدَح حمدونَ بن إسماعيل :

صُنْعٌ من الله ! أَنِّي كنتُ أَعرفكم * قبــلَ اليَسَارِ وأنتم في التَّبَابِين[3]

١٠ فما مضتْ ســـنَةٌ حتّى رأيتكُمُ * تَمْشُون في القَــزِّ والقُوهِيّ واللِّين[4]

وفي المَشَارِيق ما زالتْ نســاؤُكُمُ * يَصحَنْ تحت الدَّوالِي بالوَرَاشِين[5]

---

(١) أعداه عليــه : نصره وأعانه وقواه . (٢) غاض الماء غيضا : قل ونقص .

(٣) التبابين : جمع تبان كرمان ، وهو سراويل صغار مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين .

(٤) القز : الحرير . والقوهيّ : ضرب من الثياب بيض ، نسبة إلى قوهستان (بضم القاف وكسر ١٥ الهاء) وهي كورة بين نيسابور وهراة ، ومدينــة بكرمان . واللين أي لين العيش وخفضه ونعومتــه ، واللين أيضا اسم قــرية بمرو ، وقرية بين الموصـــل ونصيبين ، ولعلها كانت مشهورة بضرب من الثياب ينسب إليها فيقال اللينى ، كالقوهيّ المنسوب إلى قوهستان ، وعليه يكون صواب الكلمة « واللينى » .

(٥) المشاريق : جمع مشراق كمحراب ، أو مشريق كمنديل ، وهو موضع القعود في الشمس بالشتاء كالمشرقة مثلثة الراء . والدوالي جمع دالية ، وهي الدولاب يستق عليه ، والناعورة . والوراشين : جمع ورشان ٢٠ محركة ، وهو طائر شبه الحمامة . ومن أمثال أهل العراق : « بعلة الورشان ، تأكل الرطب المشان » — وفي الصحاح : تأكل رطب المشان بالإضافة ، قال : ولا تقــل الرطب المشان — والمشان (كغراب وكتاب) من أطيب الرطب . يضرب لمن يظهر شيئا والمراد منه شيء آخر .

فصِرْنَ يَرْفُلْنَ فى وَشْيِ العِرَاقِ وفى * طَرائِفِ الخَزِّ من دُكْنٍ وطَارُونِى (١)
أُنْسِينَ قَطْعَ الحُلَاوَى من مَعادِنِها * وَحَمْلَهُنَّ كَشُوثًا فى الشَّقابِينِ (٢)
حتى إذا أيسروا قالوا ـ وقد كذبوا ـ : * نحن الشَّهاريجُ أولادُ الدَّهاقِينِ (٣)
فى آسْتِ أمِّ ساسانَ أيْرِى إنْ أقرّ بكم * وأيْرُ بَغْلٍ مُشِظٌّ فى آسْتِ شِيرِينِ (٤)

(١) رفلت : جرت ذيلها وتبخترت أو خطرت بيدها . والوشى : نقش الثوب . والخز : الحرير ، وفى الأصـول « طوائف » وهو تحريف . ودكن : جمع أدكن ودكناء . والدكنة : لون إلى السواد . والطاروني : ضرب من الطرن (بالضم) وهو الخز . وفى الأصول « وطارون » وهو تحريف .

(٢) فى الأصول « الحلانى » ولم أعثر عليه ، وأرى صوابه « الحلاوى » وهى : نبتة زهرتها صفراء ولها شـوك كثير وورق صغير مستدير ، والجمع الحلاوى أيضا والحلاويات ، وروى عن الأصمعى فى باب فعالى (بالضم والقصر) خزامى ورخامى وحلاوى ، كلهن نبت . ومن معادنها : من منابتها ، والكشوث (بالفتح و يضم) : نبات أصفر يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق فى الأرض ، ويجعل فى النبيذ ، وفى الأصول « كثوثا » وهو تحريف ، ويقال فى مولد الأمثال لمن كان ذليلا : « هو كشوث الشجر » ؛ قال الشاعر :

هو الكشوث فلا أصل ولا ورق * ولا نسيم ولا ظـــل ولا ثمر

(انظر اللسان ومجمع الأمثال للميدانى فى المثل : « أذل من فقع بقرقرة ») ، والشقبان بالضم : شباك يسويها الحشاشون (الذين يقطعون الحشيش) من الليف والخوص ، تجعل لها عرى واسعة يتقلدها الحشاش ويضع فيها الحشيش . ويقال فيه « شكبان » أيضا .

(٣) الشهاريج : وجوه القوم وأعيانهم ، جمع شهرج ، وأصلها بالفارسية چهره ومعناها : الوجه . والدهاقين : جمع دهقان بالكسر والضم ، وهو رئيس الإقليم ، معرب .

(٤) ساسان ، هو ساسان الأكبر أبو أردشير بابك رأس الدولة الساسانية التى حكمت فارس من سنة ٢٠٢ م إلى سنة ٦٣٦ م ، وكان آخرَ أكاسرتها يزدجرد الثالث الذى فتح العرب فى عهده بلاد فارس . وشيرين ، زوجة پرويز ملك الفرس الذى حكم من سنة ٥٩١ إلى سنة ٦٢٧ م وكانت زوجته المحبوبة المقربة إليه ، وكان حبه لها مضرب الأمثال فى الوفاء والإخلاص ، ومادة دسمـة لأدباء الفرس وشعرائهم الروائيين ، وشظ وأشظ : إذا أنعظ حتى يصـير متاعه كالشظاظ (والشظاظ ككتاب : خشبة محددة الطرف تدخل عروتى الجوالقين لتجمع بينهما عند حملهما على البعير) . وفى الأصول : « مشط » وهو تصحيف .

لو سِيلَ أوضَعُهم قَدْرًا وأنذَلُهم * لقال من فَخْرِه إنّى ابنُ شُوبِينِ [1]

وقال أقطعنى كِسْرَى وورّثنى * فمن يُفاخرُنى أم مَن يُناوِينى [2]

من ذا يُخبِّر كِسْرَى وهو فى سَقَر * دعوى النَّبيط وهم بَيْضُ الشياطين [3]

وأنهم زعموا أنْ قد ولدتَهُمُ * كما ادّعى الضب إنى نُطفةُ النُّونِ [4]

فكان يَنْخَزُ جَوْفَ النار واحدةً * تَفْرِى وتَصْدَعُ خوفًا قلبَ قارونِ [5]

أمَا تراهم وقد حَطُّوا بَرادِعَهُمْ * عن أُتْنِهِمْ وآستبدُّوا بالبَرَاذِينِ [6]

(١) سال يسال بخاف لغة فى سأل . وشوبين : هو بهرام جوبين ، وكان صاحب الجيش لدى هرمز بن أنو شروان العادل ، وقد سعى بينهما سعاة السوء حتى أفسدوا ذات بينهما ، واعتدى هرمز على قائده وظل يوبخه ويستهزئ به حتى اضطره إلى الخروج عليه . وقد جرت بين جوبين وبين هرمز ثم ابنه خسرو برويز حروب انتهت بانهزام جوبين وفراره إلى الترك وقتله هناك .

(٢) أقطعه قطيعة من الأرض : أعطاه إياها يملكها ويستبد بها وينفرد . يناوينى مسهل يناوئنى ، أى يعادينى .

(٣) فى الأصول « صفر » وهو تصحيف وسقر : جهنم . والنبط والنبيط والأنباط : جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين . وبيض الشياطين ، يعنى أولادهم وسلالتهم .

(٤) الضب : دويبة من الحشرات تشبه الورل . قال عبد اللطيف البغدادى : « الورل والضب والحرباء وشحمة الأرض والوزغ كلها متناسبة فى الخلق » . والنون : الحوت ، ومن أمثال العرب : « حتى يؤلف بين الضب والنون » وهما لا يأتلفان أبدا ؛ إذ أن مسكن الأول الرمال ، ومقر الثانى المياه . وهمزة « إنّ » مكسورة لأنه ضمن « ادّعى » معنى قال ، أو التقدير : كما ادّعى الضب قائلا إنى .

(٥) قارون : كان من قوم موسى ، وهو ابن عمه وابن خالته ؛ وفيه يقول الله تعالى « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » ونخزه : ضربه ودفعه ونخسه ودفه ، ونخزه فى صدره : ضربه بجمع كفه ، تفرى ، تشق ، وكذا تصدع . وفى ب ، س « ينخر » وفيهما أيضا يفرى ويصدع » وهو تصحيف .

(٦) البرادع : جمع بردعة . وهى بالدال وبالذال ، والأتن (بسكون التاء وبضمها) جمع أتان وهى الحمارة . والبراذين من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب .

وأفرجوا عن مَشارات البُقول إلى * دُورِ المُلوك وأبواب السَّلاطِينِ[1]

تَغْلِي على العُرْب من غَيْظٍ مَرَاجِلُهُمْ * عداوةً لرسول الله في الدِّينِ

فقل لهم وهمُ أهلٌ لتَزْنِيَةٍ * شَرَّ الخَلِيقة يا بُخْرَ العَثَانِينِ[2]

ما النَّاسُ إلا نِزَارٌ في أُرُومَتِها * وهاشمٌ سُرْجُها الشُّمُّ العَرَانِينِ[3]

والحَيُّ من سَلَفَيْ قَحْطَانَ إنَّهُمُ * يُزْرُونَ بالنَّبَطِ اللُّكْنِ المَلاعِينِ[4]

فما على ظهرها خَلْقٌ له حَسَبٌ * مما يُناسب كِسْرَى غيرُ حَمْدُونِ

قَرْمٌ عليه شَهَنْشَاهِيَّةٌ ونَبًا * يُنْبِيكَ عن كِسْرَوِيِّ الجَدِّ مَيْمُونِ[5]

وإنْ شَكَكْتَ ففي الإيوانِ صُورتُه * فانْظُرْ إلى حَسَبٍ بادٍ ومخزونِ

---

(١) أفرجوا عن المكان : تركوه . مشارات المزرعة : مجارى مائها وسواقيها ، جمع مشارة ، أو هو « مشاراة » بمعنى مبايعة .

(٢) فى ب ، س « لتربية » . وفى جـ « لترنية » . تصحيف ، والتزنية : القذف . وبخر : جمع أبخر وصف من البخر بالتحريك ، وهو النتن فى الفم وغيره . والعثانين : جمع عثنون كعصفور : وهو اللحية أو ما نبت على الذقن وتحته سفلا . ويريد بها هنا الأفواه .

(٣) الأرومة (بفتح الهمزة وتضم) : الأصل . وسرج : جمع سراج . والشم : جمع أشم وصف من الشمم بالتحريك : وهو ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها . والعرانين : جمع عرنين بالكسر وهو الأنف . وشم العرانين : كناية عن الرفعة والعلو وشرف الأنفس .

(٤) قحطان : هو أصل عرب اليمن ومنه تناسلوا . وقوله : سلفى قحطان لأن مرجع العرب القحطانية إلى قبيلتين : حمير بن سبأ ، وكهلان بن سبأ . واللكن : جمع ألكن وصف من اللكنة بالضم ، وهى عجمة فى اللسان وعى .

(٥) القرم : السيد . وشهنشاهية : نسبة إلى شهنشاه ، وشاه بالفارسية : معناه الملك ، وشهنشاه : معناه ملك الملوك ، قال الأعشى : * وكسرى شهنشاه الذى سار ملكه * وأصله شاهان شاه ، حذف منه الألفان فبقى شهنشاه ، ونبا سهل نبأ ، وهو الخبر .

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا أحمد بن أبى طاهر .

عتابه لأبى دلف لحجبه إياه

أن أبا الأسَد زار أبا دُلَف فى الكَرَج[(١)] ، فحُجب عنه أياما ، فقال يعاتبه وكتب بها إليـه :

ليت شعرى أضاقتِ الأرضُ عَنِّى * أم بِفَجٍّ أنا الغـداةَ طَـرِيدُ ؟[(٢)]

٥ أم أنـا قانـعٌ بأدنَى مَعَـاشٍ * هِمَّتِى القُـوتُ والقليلُ الزَّهيـدُ

مِقْـوَلِى قاطعٌ وسـيفى حُسَامٌ * ويَدِى حُرَّةٌ وقلـبى شَـديدُ

رُبَّ بابٍ أعزَّ من بابك اليَوْ * مَ عليـه عَسَاكرٌ وجُنـودُ

قـد ولجْنـاهُ داخـلينَ غُدُوًّا * ورَوَاحًا وأنت عنـه مَـذُودُ[(٣)]

فاكْفُفِ اليومَ من حِجَابِكَ إذ لسـ * ـتَ أمـيرًا ولا خميسًا تَقُـودُ[(٤)]

١٠ واغْتَرِبْ فى قَدافِد الصـدِّ إذ لسـ * ـتُ أسـيرًا ولا علىّ قُيـودُ[(٥)]

لا يُقِيمُ العـزيزُ فى بلد الهُـو * نِ ولا يُكْبَتُ الأَرِيبُ الجَلِيدُ[(٦)]

---

(١) الكرج : مدينة بفارس بين همذان وأصبهان ؛ وأوّل من مصرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلى وجعلها وطنه ، و إليها قصده الشعراء وذكروها فى أشعارهم . وفى الأصول « إلى الكرج » .

(٢) الفج : الطريق الواسع بين جبلين .

١٥ (٣) مذود : مدفوع مطرود .

(٤) الخميس : الجيش ، لأنه خمس فرق : المقدّمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة .

(٥) فى الأصول « واعترف » وهو تحريف . وقدافد : جمع قدفد كجعفر ، وهى الفلاة . وفى ج « قدافى » وهو تحريف .

(٦) فى الأصول « يكسب » وهو تحريف ، وكبته كضرب : أذله .

شعره فى صديقه بسطام

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهيثم قال: أنشدنى أبو هَفَّانَ لأبى الأَسَد فى صديق له يقال له بِسْطام كان بَرًّا به — قال: وهذا من جيِّد شعره، وقد سرق البُحْتُرِىُّ معناه منه فى شعر مدح به علىَّ بن يحيى المنجِّم[1] — :

أَغْـدُو على مال بِسْطامٍ فأَنْهَبُهُ * كما أشاءُ فـلا تُثْنَى إلىّ يَـدِى
حتى كأنِّى بِسْطامٌ بمـا احتكمتُ * فيـه يَداىَ و بِسْطامٌ أبو الأَسَـدِ

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهيثم قال: حدّثنى أبو هَفّان، وأخبرنى به يحيى آبن علىّ بن يحيى قال: حدّثنى أبو أيوب المَـدِينى قال: حدّثنا أبو هَفَّـانَ قال: حدّثنى أبو دِعامةَ قال:

رثاؤه إبراهيم الموصلى

لـمّا مات إبراهيم المَوْصِلىُّ قِيـل لأبى الأَسَد — وكان صديقَه — ألاَ ترثيه؟ فقال يرثيه:

تَوَلّى المَوْصِــلِىُّ فقــد تَوَلَّتْ * بَشَاشَـاتُ المَزَاهِرِ والقِيَا نِ[2]
وأىُّ مَلاَحِــةٍ بَقِيَتْ فتَبْــقَى * حيـاةُ المَوْصِـلىِّ على الزَّمانِ![3]
سَتَبْكِيهِ المَــزَاهِرُ والمَــلاَهِى * وتُسْعِـدُهُنَّ عاتقـةُ الدِّنانِ[4]
وتَبْكِيـهِ الغَــوِيَّةُ إذ تَــوَلّى * ولا تَبْكِيـهِ تاليــةُ القُرانِ[5]

(١) فى الأصول «على بن صالح يحيى المنجم». وأكبر ظنى أن الناسخ أقحم كلمة «صالح» فى الكلام إقحاما. وقد تقدّم فى الأغانى أنه من رجال السند، وورد فى ديوان البحترى مدائح فيه. وورد فى تاريخ بغداد ١٢ : ١٢٢ «على بن يحيى بن أبى منصور المنجم، كان راوية للأخبار والأشعار، شاعرا محسنا، أخذ عن إسحاق الموصلى الأدب وصنعة الغناء، ونادم المتوكل وكان من خاصة ندمائه عنده وعند من بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد، وتوفى آخر أيام المعتمد».

(٢) المزاهر: جمع مزهر كمنبر، وهو العود يضرب به.

(٣) فى الأصول «فلاحة» وهو تحريف.

(٤) خمر معتقة وعتيق وعتيقة وعاتق: لم يفض أحد ختامها أو قديمة حبست زمانا فى ظرفها.

(٥) الغوية: المرأة الضالة. والقران: مسهل القرآن.

فقيل له : ويحك فضحته وقد كان صديقك. فقال: هذه فضيحة عند من لا يعقل، أما من يعقل فلا . وبأى شىء كنت أذكره وأرثيه به ؟ أبالفقه أم بالزهد أم بالقراءة ؟ وهل يرثى إلا بهذا وشبهه !

قال أبو الفرج : نسخت من كتاب لأحمد بن على بن يحيى، أخبرنى أبو الفضل الكاتب وهو ابن خالة أبى عمرو الطوسىّ قال:

جائزة شاهين بن أخى أبى دلف

كنت مقيما بالجبل[1] فمرّ بى أبو الأسد الشاعر الشيبانىّ، فأنزلته عندى أياما، وسألته عن خبره فقال : صادفت شاهين بن عيسى ابن أخى أبى دلف ، فما احتبسنى ولا برّنى ولا عرض علىّ المقام عنده، وقد حضرنى فيه أبيات فاكتبها، ثم أنشدنى :

إنّى مررت بشاهين وقد نفحت[2] * ريح العشىّ وبرد الثلج يؤذينى

فما وقى عرضه منى بكسوته * لا بل ولا حسب دان ولا دين

إن لم يكن لبن الدايات[3] غيّره * عن طبع آبائه الشمّ العرانين

فربّما غاب بعل عن حليلته[4] * فناكها بعض سوّاس البراذين

وما تحرّك أير فامتلا شبقا[5] * إلا تحرّك عرق فى است شاهين

(١) بلاد الجبل : بأرض فارس .

(٢) فى الأصول « لفحت » واللفح لكل حار من الرياح ، والنفح لكل بارد .

(٣) الدايات : جمع داية ، جاء فى اللسان : الداية : الظئر حكاه ابن جنى، قال : كلاهما عربى فصيح وأنشد للفرزدق :

ربيبة دايات ثلاث ربينها * يلقمنها من كل سخن ومبرد

(٤) البعل : الزوج . والحليلة : الزوجة .

(٥) الشبق : شدة الغلمة وطلب النكاح .

ثم قال : لأُمَزِّقَنَّه كلَّ مُمَزَّق ، ولأصيرنّ إلى أبى دُلَف فلا أُنشِدُنّه . ومضى من فَوْره يريد أبا دُلَف، فلم يصل إليه، حتى بلغ أبا دلف الشعرُ ، فشَقّ عليه وغَمّه . وأتاه أبو الأسَد فدخل عليه ، فسأله عن قِصّته مع شاهين، فأخبره بها ؛ فقال : هَبْه لى . قال: قد فعلت . وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأمسك عنه .

قال أبو الفرج : هذا البيت الأخير لبَشّار كان عَرَض له فقال :

وما تحـــرّك أَيْرٌ فآمتلا شَبَقًا * إلا تحرّك عِرْقٌ فى آست.... ...

ثم قال : فى آست من ؟ ومرّ به تسنيم بن الحَوارى[1] فسلّم عليه ، فقـال : فى آست تسنيم والله . فقـال له : أىُّ شىء ويلك ؟ فقـال : لا تَسَل . فقال : قد سمعتُ ما أكره، فاذكر لى سَبَبَه . فأنشده البيت ، فقال : ويلك ! أىُّ شىء حَمَلك على هذا ؟ قال : سَلامُك علىّ . لا سَلَّم الله عليك ولا علىّ إن سلّمت عليك بعدها، وبَشّار يضحك . وقد مضى هذا الخبر بإسناده فى أخبار بشار[2] .

صـــوت

وقد جُمِع معه كل ما يُغَنَّى فى هذه القصيدة :

أجِـدَّكَ إنْ نُعْمٌ نأتْ أنت جازعُ * قَـدِ اقتربتْ لَـوْ أنَّ ذلك نافـعُ

وحَسْـبُكَ مِن نأْيٍ[3] ثلاثةُ أشْهُـر * ومن حَزَنٍ أنْ شاقَ قلبَـك رابعُ

(١) سموا : الحوارى بفتح أوله وثانيه وفى آخره ياء مشددة ، والحوارى بضم أوله وبواو مشددة مفتوحة وراء مفتوحة ، انظر تاج العروس .

(٢) انظر الجزء الثالث ١٧٣ طبع دار الكتب ، وفى تلك الرواية : ما قام أير حمار ... ...

(٣) فى الأصول « من ثانى » وفى ب ، س ، « رائع » وهو تحريف .

بكتْ عينُ مَنْ أبكاك ليس لك البُكى * ولا تتخالجْك الأمورُ النَّوازعُ (١)

فلا يَسْمعَنْ سرِّى وسِرَّك ثالثٌ * ألا كلُّ سِرٍّ جاوزَ اثنينِ شائعُ

وكيف يَشيعُ السِّرُّ منِّى ودُونَه * حجابٌ ومن فوقِ الحجابِ الأضالعُ

كأنَّ فؤادى بين شِقَّينِ من عَصًا * حِذارَ وُقوعِ البَيْنِ والبَيْنُ واقعُ

وقالت وعيناها تَفيضانِ عَبْرةً * بأهلِىَ، بَيِّنْ لى مَتَى أنت راجعُ؟

فقلتُ لها باللهِ يَدْرِى مُسافرٌ * إذا أضمرتْه الأرضُ ما اللهُ صانعُ؟

فشَدَّت على فيها اللِّثَامَ وأعرضتْ * وأقبلْنَ بالكُحْلِ السَّحيقِ المدامعُ (٢)

عَرُوضه من الطويل. الشعر لقَيْس بن الحُدَادِية، والغناء لإسحاق فى الأوّل والثانى من الأبيات خفيفُ رملٍ بالوُسْطَى، وفى الثالث وما بعده أربعة.

(١) تخالجته الهموم: نازعته؛ يقال: تخالجته الهموم: إذا كان له هم فى ناحية وهم فى ناحية كأنه يجذبه اليه. والنوازع: التى تنزع النفوس من صدورها.

(٢) السحيق: المسحوق. وأقبلن باثبات النون، على لغة طيء، وأزد شنوءة أو هو وأقبل وسيرد بعد فى القصيدة «وأمعن».

أخبار قيس بن الحُدادِيّة ونسبه

هو قيس بن مُنقِذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر[1] بن صالح بن حَبَشِيّة[2] بن سَلول ابن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو خُزاعة بن عمرو وهو مُزَيقِياء[3] بن عامر

---

(١) في ب وس « ضياطر » وقد تكرر فيهما ، والصواب في جـ . جاء في كتاب الاشتقاق لابن دريد طبع أوربة ص ٢٧٦ : « رجال خزاعة وبطونها ... ومنهم بنو ضاطر، والضاطر اشتقاقه من قوم ضياطر . وهو الضخم الذي لا منفعة فيه ولا غناء، والجمع ضياطر وضيطرون » وجاء في ص ٢٧٧ : « ومن بني ضاطر : قيس بن عمرو بن منقذ (بتقديم عمرو على منقذ) الشاعر الذي يقال له ابن الحدادية ، جاهلي ، وبنو حداد من بني كنانة » — وقد ضبط فيه بالشكل بضم الحاء وفتح الدال مخففة — .

وجاء في كتاب مختلف القبائل ومؤتلفها لأبي جعفر محمد بن حبيب طبع أوربة ص ٣٥ : « وفي كنانة ابن خزيمة : حداد بن مالك بن كنانة » مضبوطا بالشكل بضم الحاء .

وجاء في هذا الكتاب أيضا : «وفي طيئ : حداد بن نصر بن سعد بن نبهان» مضبوطا بضم الحاء وفتح الدال مخففة ، وفي لسان العرب : « وبنو حداد : بطن من طيء » مضبوطا بضم الحاء وتشديد الدال ولكن صاحب الأغاني [جـ ١ ص ١٧ ؛ والسمعاني مادة حدد] ضبطاه بكسر الحاء وتخفيف الدال .

(٢) حبشية : جاء في القاموس : « وحبشية بن سلول بالضم » أي بضم الحاء، وفي تاج العروس : « وضبطه بعضهم بفتح الحاء وسكون الموحدة ، نقله الحافظ » وجاء في كتاب مختلف القبائل ومؤتلفها ص ٤ : « في خزاعة : حبشية (بفتح الحاء والباء) بن سلول بن كعب ... ... وفي مزينة : حبشية (بضم الحاء وسكون الباء) بن كعب بن عبد بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو وهو مزينة » .

(٣) كان من ملوك اليمن ، وإنما لقب بذلك لأنه كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب ، فإذا أمسى خلعهما ومزقهما ، وكان يكره أن يعود فيهما ويأنف أن يلبسهما غيره ، وهو جد الأنصار ، ولذلك فخر أوس بن الصامت (أخو عبادة بن الصامت) بقوله :

أنا ابن مزيقيا عمرو، وجدّي : * أبـــوه عامر مـاء السماء

ولقب أبوه عامر بماء السماء لجوده وكثرة نفعه فشبه بالغيث ، وأما المنذر بن ماء السماء اللخمي أحد ملوك الحيرة فإن أباه امرؤ القيس عمرو بن عدي ، وماء السماء أمه وهي بنت عوف بن جشم بن النمر بن قاسط ، وإنما قيل لها ماء السماء لحسنها وجمالها — انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ١٤٨ ترجمة المهلب ابن أبي صفرة .

وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف[1] بن امرئ القيس البطريق[2] بن ثعلبة بن مازن ابن الأزد، وهو «وداء»، ويقال: ردىّ»[3]، وقد مضى نسبه متقدماً، والحدادية أمه، وهى امرأة من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، ثم من قبيلة منهم يقال لهم بنو حداد. شاعر من شعراء الجاهلية، وكان فاتكا شجاعا صعلوكا خليعا، خلعته خزاعة بسوق عكاظ، وأشهدت على أنفسها بخلعها إياه، فلا تحتمل جريرة له، ولا تطالب بجريرة يجزها أحد عليه.

أغار على بنى قمير وقتل ابن عش وقال شعرا

قال أبو الفرج: نسخت خبره من كتاب أبى عمرو الشيبانى: لما خلعت خزاعة بن عمرو — وهو مزيقياء بن عامر، وهو ماء السماء بن الحارث — قيس ابن الحدادية، كان أكثرهم قولا فى ذلك وسعيا قوم منهم يقال لهم: بنو قمير ابن حبشية بن سلول، فجمع لهم قيس شذاذا[4] من العرب وفتاكا من قومه، وأغار عليهم بهم، وقتل منهم رجلا يقال له ابن عش، واستاق أموالهم، فلحقه رجل من قومه كان سيدا، وكان ضلعه[5] مع قيس فيما جرى عليه من الخلع، يقال له ابن محرق، فأقسم عليه أن يرد ما استاقه، فقال: أما ما كان لى ولقومى فقد أبررت قسمك فيه، وأما ما اعتورته[6] أيدى هذه الصعاليك فلا حيلة لى فيه، فرد سهمه وسهم عشيرته، وقال فى ذلك:

---

(١) الغطريف: السيد الشريف السخى السرى.

(٢) البطريق: الرجل الوضىء المختال المزهو، والبطريق بلغة الروم: القائد الحاذق بالحرب وأمورها، ويقال: إن البطريق عربى وافق العجمى، وهو لغة أهل الحجاز، وقال أمية بن أبى الصلت:

من كل بطريق لبطريق * نقى الوجه واضح

(٣) كذا فى الأصول. وفى طرفه الأصحاب ص ٢٠: «ابن درة» ويقال: دراء.

(٤) الشذاذ: الذين ليسوا فى حيهم ومنازلهم.

(٥) ضلعك معه بفتح الضاد، أى ميلك وهواك.

(٦) اعتوروا الشىء وتعاوروه: تداولوه.

فاقسم لولا أَسْهَم ابنُ محـرِّقٍ (١) * معَ اللهِ ما أكثرتُ عَدَّ الأقارب
تركت ابن عُشٍّ يرفعون برأسه * يَنوءُ بسـاقٍ كعبُها غيرُ راتب (٢)
وأنهـاهمُ خلعى على غير مِيرةٍ (٣) * من اللحم حتى غُيِّبوا فى الغوائب

وقال أبو عمـرو : أغار أبو بردة بنُ هلال بنِ عُوَيْمر، أخو بنى مالك بن أفصَى ابن حارثة بن عمرو بن عامر بن امرئ القيس على هَوازِنَ فى بلادها ، فلقى عمـرو ابن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمتْ بنو عامر (٤) وبنو نصر، وقَتَل أبو بردة قيسَ بنَ زهير أخا خِدَاش بن زهير الشاعر ، وسَبَى نسوةً من بنى عامر: منهن صخرةُ بنتُ أسماءَ بن الضَّريبة النَّصرى، وامرأتين منهم يقال لها: بَيْقر وَ ريّا ، ثم انصرفوا راجعين ، فلما انتهوا إلى هَرْشَى (٥) خَنَقتْ صخرة نفسَها فماتت، وقَسَم أبو بُرْدة السبىَ والنَّعَم والأموال فى كلّ من كان معه ، وجعل فيه نصيبا لمن غاب عنها من قومه وفرّقه فيهم .

ثم أغارت هوازنُ على بنى ليث، فأصابوا حيًّا منهم يقال لهم: بنو الملوح بن يَعْمَر ابن عوف، ورِعاءً لبنى ضاطر بن حبشية ، فقتلوا منهم رَجلا وسَبَوْا منهم سبيا كثيرا واستاقوا أموالَهم ، فقال فى ذلك مالك بن عوف النَّصرى (٦) :

(١) لولا أسهم : أى لولا أن أسهم بتقدير أن كقوله :

أنت المبـارك والميمون سـيرته * لولا تقوّم درء القوم لاختلفوا

وأسهم له : أعطاه سهما والمعنى : لولا أن ابن محرق جعل لله سهما فى هؤلاء القسـوم أى لولا أنه أقسم علىّ بالله أن أرد إليهم ما غنمته منهم، ما أكثرت عد الأقارب : أى لقللت عدد أقاربى فلم أبق على هؤلاء الذين نالونى بالأذى منهم . (٢) غير راتب : أى غير منتصب .

(٣) نهى من اللحم كفرح وأنهى : شبع منـه واكتفى . الميرة : الطعام يمتاره الإنسان أى يجلبه ، وفى جـ «وأنهاهم خلعى غير ميرة» بإسقاط « على » وفى ب ، س « على غير مرة عن » .

(٤) هم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

(٥) هرشى : ثنية فى طريق مكة قريبة من الجحفة .

(٦) كان قائد المشركين فى غزوة حنين .

نحن جلبنا الخيلَ من بطن لِيّةٍ * وجلدانَ جُرْدًا مُنْعَلات ووُقَّحًا[(١)]

فأصبحن قد جاوزن مَرًّا وجُحفةً * وجاوزن من أكناف نخلةَ أبطحا[(٢)]

تلقَّطن ضَيطارِى خُزاعة بعد ما * أَبَرْنَ بصحراء الغميم المُلوَّحا[(٣)]

قتلناهمُ حتى تركنا شريدهمْ * نساء وأيتاما ورَجْلا مُسَدَّحا[(٤)]

فإنك لو طالعتهم لحسبتهم * بمنعرَج الصَّفراء عِتْرًا مُذَبَّحا[(٥)]

أغار على هوازن وقتل أبو زيد وعروة وقال شعرا

فلما صنعتْ هوازنُ ببني ضاطر ما صنعتْ، جمع قيس بنُ الحدادية قومَه، فأغار على جُموع هوازنَ[(٦)]، فأصاب سَبْيا ومالا، وقتل يومئذ من بنى قشير: أبا زيد وعُروة وعامرا ومُرَوِّحا، وأصاب أبياتا من كلاب خُلوفا[(٧)]، واستاق أموالهم وسَبْيا، ثم انصرف وهو يقول :

(١) لية : من نواحى الطائف ، مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرافه من حنين يريد الطائف وأمر وهو بلية بهدم حصن مالك بن عوف . جلدان : ويروى بالدال وبالذال ، موضع قرب الطائف بين لية وسبل ، يسكنه بنو نصر بن معاوية من هوازن ، جردا جمع أجرد : وهو القصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم ، وفرس منعل : شديد الحافر ، ووقح الحافر : صلب فهو واقح والجمع وقح ، ووقاح كسحاب ، والجمع وقح كسحب أى صلب باق على الحجارة . وفى البيت خرم .

(٢) بطن مر ، ويقال له : مر الظهران : موضع بينه وبين مكة خمسة أميال ، والجحفة : على ثلاث مراحل من مكة فى طريق المدينة ، ونخلة الشامية واليمانية : واديان على ليلتين من مكة يجتمعان ببطن مر ، والأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

(٣) الضيطار : الضخم اللئيم الذى لا غناء عنده ، أبارهم : أهلكهم ، الغميم : موضع بين مكة والمدينة قرب المدينة بين رابغ والجحفة .

(٤) السدح : ذبحك الشىء وبسطكه على الأرض ، أو هو الصرع بطحا على الوجه أو إلقاء على الظهر كالتسديح .

(٥) طالعه طلاعا ومطالعة : اطلع عليه ، الصفراء : قرية كثيرة النخل والمزارع ، وهى فوق ينبع مما يلى المدينة ، والعتر والعتيرة كذبح وذبيحة : الرجبية ، وهى شاة كانوا يذبحونها فى الجاهلية فى رجب يتقربون بها إلى آلهتهم ويصب دمها على رأسها ، وفى ب ، س « عنزا » .

(٦) فى الأصول « مصنوع » وهو تحريف .

(٧) الخلوف : الحى إذا خرج الرجال وبقى النساء .

نحن جَلَبْنَا الخيلَ قُبًّا بطونُها[1] * تراها إلى الداعى المثوِّب جُنَّحا
بكلِّ خُزاعىٍّ إذا الحربُ شمَّرتْ * تسربلَ فيها بُرْدَه وتوشَّحا
قرعْنا قُشَيرا فى المحلّ عشيَّةً * فلم يجدوا فى واسع الأرض مَسْرَحا
قتلنا أبا زيد وزيدا وعامرا * وعروةَ أقصدْنا[2] بها ومُرَوَّحا
وأُبْنا بإبْل القوم تُحدَى[3]، ونسوةٍ * يبكِّين شِلْواً أو أسيرا مُجرَّحا
غداةَ سقَينا أرضَهم من دمائهم * وأُبْنا بأُدْمٍ[4] كنّ بالأمس وُضَّحا
ورُعْنا[5] كلابا قبل ذلك بغارة * فسُقْنا جِلاداً فى المبارك قُرَّحا
لقد علمتْ أفناءُ[6] بكرِ بنِ عامرٍ * بأنّا نَذود الكاشحَ المتزحزِحا
وأنا بلا مَهرٍ سوى البيض والقنا * نُصيب بأفناء القبائل مَنكَحا

وقال أبو عمرو: وزعموا أن قيسَ بن عيلانَ رغِبتْ فى البيت، وخُزاعة يومئذ ١٠
تليه، وطمِعوا أن ينزِعوه منهم، فساروا ومعهم قبائلُ من العرَب ورأسوا عليهم

---

(١) القبب كسبب: دقة الخصر وضمور البطن، قب بطن الفرس يقب كيعض فهو أقب وهى قباء والجمع قب بالضم، التثويب تثنية الدعاء، جنح جمع جانحة: أى مائلة إليه مقبلة عليه. وفى البيت خرم.
(٢) أقصده: طعنه فلم يخطئه.
(٣) تحدى: تساق. والشلو: كل مسلوخ أكل منه شىء وبقيت منه بقية. ١٥
(٤) بأدم: أى بسبايا من النساء أدم، جمع أدماء، وصف من الأدمة بالضم وهى فى الناس: السمرة، وضحا: أى بيضا جمع واضحة، صرن أدما لشدة ما قاسين من ذل السبى والغلبة.
(٥) رعنا: أفزعنا، والجلاد من الإبل: الغزيرات اللبن، أو التى لا لبن لها ولا نتاج، والقرح والقوارح: جمع قارح وهى الناقة أول ما تحمل.
(٦) الأفناء: الأخلاط، والكاشح: مضمر العداوة، والمتزحزح: المتباعد، يريد المتباعد عن محبتنا المتجافى عن مودتنا. ٢٠

٤/١٣

عامرَ بنَ الظَّرِب العَدْوانى ، فساروا إلى مكّة فى جمعٍ لُهَام[١]، فخرجتْ إليهم خُزاعة فاقتتلوا، فهُزِمتْ قيس ، ونجا عامرٌ على فرس له جَواد[٢] . فقال قيس بن الحُدادية فى ذلك :

شعره فى حرب خزاعة وعامر بن الظرب

لقد سُمْتَ نفسَك يا بنَ الظَّرِبْ * وجشَّمتَهمْ منزلا قد صَعُبْ[٣]

٥ وحمَّلتهمْ مركبا باهظا * من العِبء إذ سُقتَهم للشَّغَبْ[٤]

بحربِ خُزاعة أهلِ العُلا * وأهلِ الثَّناء وأهلِ الحسبْ

هم المانعو البيت والذائدون * عن الحُرُمات جميعَ العربْ

نَفَوا جُرْهُمًا ونَفَوا بعدهم * كِنانةَ غَضْبا ببِيضِ القُضُبْ[٥]

وسُمْرِ الرماح وجُرْدِ الجياد * عليها فوارسُ صِدقٍ نُجُبْ

١٠ وهمْ ألحقوا أسدًا عَنوةً * بأحياء طيٍّ وحازُوا السلَبْ[٦]

خُزاعةُ قومى فإن أفتخر * بهمْ يزْكُ مُعتَصَرى والنَّسبْ[٧]

هم الرأس والناس من بعدهم * ذُنابَى، وما الرأس مثلُ الذَّنَبْ[٨]

يُواسَى لدى المَحْل مولاهمُ * وتُكشَف عنه غُموم الكُرَبْ[٩]

فجارُهمُ آمنٌ دهرَه * بهمْ أن يُضامَ وأن يُغتصَبْ

١٥ يلبُّون فى الحرب خوفَ الهِجاء * ويَبرُون أعداءَهم بالحُروبْ[١٠]

(١) لهام : كثير عظيم . (٢) فرس جواد : رائع .
(٣) يريد لقد سمت نفسك خسفا ، أى أوليتها إياه .
(٤) بهظه الأمر : غلبه وثقل عليه .
(٥) فى جـ « تبيد القضب » وفى ب وش « بيبد » .
٢٠ (٦) عنوة : قهرا ، والسلب : ما يسلب .
(٧) زكا يزكو : نما ، ويقال : رجل كريم المعتصر : جواد عند المسألة كريم .
(٨) الذنابى : الذنب . (٩) المحل : الجدب ، والمولى : الجار والحليف .
(١٠) فى جـ ، ب : «يكبون» .

ولو لم ينجك من كيدهم * أمينُ الفُصوص شديدُ العَصَب[1]
لزرتَ المنايا، فلا تكفُرَنْ * جوادَك نُعْماه يآبن الظَّرِب
فإنْ يلتقِرك يزُرْك الحِما * م أو تنجُ ثانيةً بالهرب

قال أبو الفرج : هذه القصيدة مصنوعة، والشعر بيّن التوليد .

شعر لابن الأحب فى غارة هوازن على خزاعة

وقال أبو عمرو : أغارت هوازنُ على خزاعة وهم بالمحصَّب[2] من مِنى، فأوقعوا ببطن مِنهم يقال لهم بنو العَنْقاء، وبقوم من بنى ضاطر، فقتلوا منهم عَبْدا وعوفا وأقرم وغبشان ، فقال ابن الأحبّ العَدْوانى يفخر بذلك :

غداةَ التقينا بالمحصَّب من مِنًى * فلاقت بنو العنقاء إحدى العظائم
تَرَكْنا بها عَوفا وعَبْدا وأقرمًا * وغبشانَ سُؤرا للنُّسور القشاعم[3]

أجاب قيس على ابن الأحب وغيره بأنه فخر بيوم لم يكن لهم

فأجابه قيس بن الحدادية، فقال يعيّره أن فخر بيوم ليس لقومه :

فخرْتَ بيوم لم يكن لك فخرُه * أحاديثُ طَسْمٍ إنما أنت حالم[4]
تفاخر قوما أطردتْك رماحُهمْ * أكعبُ بنَ عمرو: هل يُجاب البهائم[5]
فلو شهِدت أمُّ الصبيَّين حَمْلنَا * وركْضَهمُ لأبيضّ منها المقادم
غداةَ تولَّيتمْ وأدبَر جمعُكمْ * وأُبنا بأَسْراكم كأنّا ضراغم[6]

(١) الفصوص : جمع فص، وهو ملتقى كل عظمين ، والأمين : القوى .
(٢) المحصب : موضع رمى الجمار بمنى .
(٣) السؤر : البقية والفضلة ، والقشاعم : جمع قشعم كجعفر، وهو من النسور : المسن الضخم .
(٤) طسم : قبيلة من عاد انقرضوا . ومن أمثال العرب : " أحاديث طسم وأحلامها " يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له .
(٥) أطارده : صيره طريدا .
(٦) ضراغم : جمع ضرغم كجعفر وهو الأسد .

قال أبو عمرو : وكان ابن الحدادية أصاب دما فى قوم من خُزاعة هو وناس من أهل بيته، فهربوا فنزلوا فى فِراس بن غَنْم، ثم لم يَلبَثوا أن أصابوا أيضا منهم رجلا، فهربوا فنزلوا فى بَجِيلةَ على أسَد بن كُرْز، فآواهم وأحسن إلى قيس وتحمّل عنهم ما أصابوا فى خُزاعة وفى فِراس، فقال قيس بن الحدادية يمدح أسد بن كرز :

مدح أسد بن كرز لحمايته له، وقال شعرا فى ذلك

لا تعذلينيَ سلمى اليومَ وانتظرى * أَن يجمع الله شَملا طالما افترقا
إن شتّت الدهرُ شَملا بين جيرتكم * فطالَ فى نعمةٍ يا سَلْمِ ما آتفقا
وقد حللنا بقَسْرِيٍّ أخى ثقة * كالبدر يجلو دُجى الظلماء والأفقا
لا يَجبُرُ الناسُ شيئا هاضَه أسدٌ * يوما ولا يَرتُقون الدهرَ ما فَتَقا(1)
كم من ثناءٍ عظيم قد تدارَكه * وقد تفاقَمَ فيه الأمرُ وانخرقا

قال أبو عمرو: وهذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيّين، وغيرُهم يزعم أنها مصنوعة، صنعها حمّاد الراوية لخالد القسريّ(2) فى أيام ولايته، وأنشده إيّاها فوصَله، والتوليد بيّن فيها جدّا .

شعره فى غارة ضريس على بنى ضاطر

وقال أبو عمرو : غزا الضَّرِيس القشيريّ بنى ضاطر فى جماعة من قومه، فثبتوا(3) له وقاتَلوه حتى هزموه، وانصرف ولم يفز بشىء من أموالهم، فقال قيس بن الحُدادية فى ذلك :

فِدًى لبنى قيس وأفناءِ مالكٍ * لدى الشِّسْع من رجلى إلى الفَرْق صاعدا(4)
غداة أتى قوم الضريس كأنهم * قَطا الكُدْر من وذّان أَصبَح واردا(5)

(1) هاض الشىء : كسره . (2) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلى ثم القسرى، ولاه الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٨٩، وولى العراقين فى عهد هشام بن عبد الملك، وتوفى سنة ١٢٦ هـ .
(3) فى الأصول « فثنوا » وهو تحريف .
(4) فى الأصول « وأقباء » وفى س « إلى الفراق » وهو تحريف . والشسع : أحد سيور النعل . والفرق : موضع المفرق من الرأس أى وسطه الذى يفرق فيه الشعر . (5) الكدر : موضع قرب المدينة ؛ والكدرى : ضرب من القطا . وذّان : قرية بين مكة والمدينة قريبة من الجحفة .

فلم أر جمعا كان أكرَمَ غالبًا * وأحمى غلاما يوم ذلك أطردا (١)

رميناهمُ بالحُوِّ والكُمْتِ والقنا * وبيضٍ خِفافٍ يختلين السواعدا (٢)

مدحه بنى عدى ابن عمرو من خزاعة

قال أبو عمرو : ولما خلعتْ خُزاعةُ قيسا، تحوّل عن قومه، ونزل عند بطنٍ من خزاعة، يقال لهم بنوعدى بن عمرو بن خالد، فآووه وأحسنوا إليه، وقال يمدحهم :

جزى الله خيرا عن خليع مطرَّدٍ * رجالا حَمَوْه آل عمرو بن خالد

فليس كمن يغزو الصديق بنَوْكه * وهمّته فى الغزو كسبُ المَزاود (٣)

عليكم بعرْصات الديار فإننى * سواكم عديدٌ حين تُبلَى مَشاهدى (٤)

ألاوَذْتُمُ حتى إذا ما أمنتُمُ * تعاوَرْتمُ سَجْعا كسجع الهداهد (٥)

تجنَّى علىَّ المازنان كلاهما * فلا أنا بالمغصى ولا بالمساعد (٦)

وقد حدِبت عمرو علىَّ بعزّها * وأبناؤها من كل أروعَ ماجد (٧)

---

(١) كذا فى الأصول وفى البيت سناد التأسيس، وهو عيب من عيوب القافية، ولعلها «طاردا» .

(٢) الحو جمع أحوى وحواء، وصف من الحوّة : وهى حمرة إلى السواد، والكميت من الخيل يستوى فيه المذكر والمؤنث، وصف من الكمتة، وهى لون بين السواد والحمرة، وجمعه كمت . يختلين السواعد : يقطعن و يذهبن بسواعد المضرو بين بها .

(٣) فليس كمن يغزو : أى فليس هذا الحى كمن يغزو . والنوك بالفتح والضم : الحمق، والمزاود : جمع مزود كمنبر، وهو وعاء الزاد .

(٤) يخاطب فى هذا البيت وما بعده قومه . والعرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، والجمع عرصات بفتح الراء، وسكنت فى البيت للضرورة . عديد : معدود . تبلى : تختبر . مشاهد جمع مشهد، أى شهودى القتال وخوضى غماره، وفى الأصول « يبلى مساهد » وهو تحريف .

(٥) لاوذ : استتر، وتعاوروه : تداولوه، وسجعت الحمامة : طرّبت فى صوتها ووالته على طريق واحد .

(٦) فى جـ « تحنى » أى عطف، وفى ب، وس « تجنى »، وتجنى عليه : ادعى ذنبا لم يفعله .

(٧) حدب عليه كفرح : عطف . والأروع : من يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته .

مَصاليتُ يومَ الرَّوعِ كَسْبُهم العُلا * عِظامُ مَقيلِ الهام شُعْرُ السواعد (١)

أولئك إخوانى وجُلُّ عشـيرتى * وثروتُهـم والنصرُ غيرُ المحـارِد (٢)

أخبرنى أحمد بن سليمان الطوسى، والحرمى بن أبى العلاء قالا: حدّثنا الزبير ابن بكار قال: أخبرنى عمّى أنّ خُزاعةَ أغارت على اليمامة، (٣) فلم يظفَروا منها بشىء، فهزموا وأسر منهم أسرى، فلمـا كان أوان الحج، أخرجهـم من أسرهم إلى مكة فى الأشهر الحـرم ليبتاعهم قومهـم، فغدَوا جميعا إلى الخَلْصاء (٤)، وفيهـم قيس ابن الحُدادية، (٥) فأخرجوهم وحملوهم، وجعلوهم فى حَظيرة ليحرقوهم، فمرّ بهم عدىّ ابن نوفل، فاستجاروا به، فابتاعهم وأعتقهم، فقال قيس يمدحه:

مدحه عـدىّ بن نوفـل ٦ / ١٣

دعوت عـديًّا والكُبولُ تَكُبنى * ألا يا عدىُّ يا عدىّ بن نوفـل (٦)

دعوت عديا والمنـايا شـوارعٌ * ألا يا عـدىّ للاسـير المكبّل (٧)

فمـا البحر يجرى بالسُّفْنِ إذا غدا * بأجودَ سَيْبا منـه فى كل محفـل (٨)

تداركت أصحاب الحظيرة بعدما * أصابهمُ منّـا حريقُ المحـلّل (٩)

وأتبعت بين المَشْـعَرين سِـقايةً * لحجّـاج بيت الله أكرم مَنْهـل

(١) مصاليت: جمع مصلات، وهو الماضى فى الأمور. والهـام: الرءوس، جمع هامة. ومقيل الهامة: مسـتقر الرأس أى العنق، يقول: إنهـم غلاظ الأعناق وهو كناية عن قوة البأس. شعر: جمع أشعر، وهو كثير الشعر طويله.

(٢) الثروة: كثرة العدد بين الناس. والمـال غير المحارد، أى غير المنقطع، وأصله من حاردت الإبل حرادا: انقطعت ألبانها أو قلت.

(٣) اليمامة: صقع شرقى الحجاز و بعد بن نجد.

(٤) فى ب، س «الحلقاء» وفى جـ «الخلفا» وهو تحريف. والخلصاء: بلد بالدهناء، والدهناء من ديار بنى تميم بنجد.

(٥) هو عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة.

(٦) الكبول: جمع كبل بالفتح، وهو أعظم ما يكون من الأقياد. وكبه: قلبه وصرعه.

(٧) شوارع: جمع شارعة، أى مسددة، من شرعت الرماح أى تسددت.

(٨) السيب: العطاء.

(٩) المحلل: أى من حلل إحراقنا فى الأشهر الحرم.

هجرة خزاعة لجدب أصابهم وشعره فى ذلك

قال أبو عمرو: وكان قيس بنُ الحُدادية يَهوَى أمَّ مالك بنت ذؤيب الخزاعى، وكانت بطون من خزاعة خرجوا جالِين إلى مصر والشام لأنهم أُجدِبوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، رأوا البوارق خلفهم، وأدركهم من ذكر لهم كثرةَ الغيث والمطر وغزارتَه، فرجع عمرو بن عبد مَناة فى ناس كثير إلى أوطانهم، وتقدّم قَبِيصة بن ذؤيب ومعه أخته أم مالك، واسمها نُعم بنت ذؤيب، فمضى، فقال قيس بن الحدادية هذه القصيدةَ التى فيها الغناء المذكور:

أجِدَّك إنْ نُعْمٌ نأت أنت جازِعُ * قد اقتربَتْ لو أن ذلك نافعُ

قد اقتربت لو أن فى قُرب دارها * نوالا، ولكن كلُّ من ضَنَّ مانع

وقد جاورَتْنا فى شهور كثيرة * فما نوَّلَتْ، واللهُ راءٍ وسامع

فإنْ تَلقَيَنْ نعمى هُديتَ فحيِّها (١) * وسل كيف تُرعَى بالمَغيب الودائع

وظنِّى بها حفظٌ لِغَيبى، ورِعيةٌ (٢) * لما استُرعِيَتْ، والظن بالغيب واسع

وقلت لها فى السرّ بينى وبينها * على عَجَلٍ: أيّان مَن سار راجع؟

فقالت: لقاءٌ بعد حَول وحِجّة (٣) * وشَحْطُ النوى إلا لذى العهد قاطع

وقد يلتقِى بعد الشَّتات أولو النَّوى (٤) * ويسترجع الحىَّ السحابُ اللوامع

وما إنْ خَذولٌ نازعَتْ حبلَ حابلٍ (٥) * لتنجوَ إلا استسلَمتْ وهى ظالِع

(١) فإن تلقين: مؤكد بنون التوكيد الخفيفة. وفى الأصول «فإن تلقيا».

(٢) فى الأصول «حفظ بعينى» وهو تحريف. والرعية: اسم من الرعاية.

(٣) الحجة: السنة. والشحط: البعد.

(٤) النوى: البعد. يسترجع الحى، أى يرجعهم ويردّهم.

(٥) الخذول من الظباء والبقر: التى تخذل صواحباتها وتتخلف عن القطيع وتنفرد مع ولدها؛ ويقال هو مقلوب لأنها هى المتروكة. ظلع كمنع: غمز فى مشيه.

بأحسنَ منها ذاتَ يوم لقيتُها * لها نظرٌ نحوى كذى البَثّ خاشع (١)

رأيت لها نارا تُشَبّ ، ودونها * طويلُ القرا من رأس ذروةَ فارع (٢)

فقلت لأصحابى : اصطَلُوا النار إنها * قريبٌ ، فقالوا : بل مكانك نافع (٣)

فيا لك من حادٍ حَبوت مقيَّدا * وأنحى على عِرنينِ أنفك جادِع (٤)

أغيظًا أرادَتْ أن تَخُبَّ جمالُها * لتفجَعَ بالإظعانِ مَن أنت فاجع (٥)

فما نُطفةٌ بالطَّود أو بضَريَّة * بقية سيلٍ أحرزَتْها الوقائع (٦)

يطيف بها حَرّانُ صادٍ ولا يرى * إليها سبيلا غيرَ أن سيطالع (٧)

بأطيبَ مِن فِيها إذا جئت طارقا * من الليل واخضلَّتْ عليك المَضاجع (٨)

---

(١) البث : أشد الحزن . وفى جـ « نجوى كذا الشب خاسع » وهو تحريف .

(٢) تشب : توقد . القرا : الظهر . ذروة : اسم جبل . الفارع : العالى .

(٣) اصطلوا النار : يريد جدوا فى السير لنصطلى النار إنها قريب ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع ، أو تأويله : فى مكان قريب .

(٤) فى الأصول « فمالك » ولعله محرف . وأنحى : فى الأصول « وألحى » وهو تحريف . والمعنى : فقالوا عجبا لك ! إنك تسير سيرا بطيئا كحبو الصبى مقيدا ، وقد جدع عرنين أنفك أى ليس لديك العدة الكافية للحاق بها فكيف تدركها ؟ أو لعله يدعو على قائد القافلة بالأسر وجدع الأنف لأنه أبطأ طلبته .

(٥) فى جـ « أغيظى » وفى ب ، س « أعيطا » وهو تصحيف ، خبت : أسرعت ، وقد أخبها صاحبها . ظعن كمنع : سار ، وأظعنه إظعانا : سيره . من أنت فاجع : أى أصحابك ، والمعنى : أأرادت أن تخب جمالها غيظا لك فيحملك ذلك على أن تشق على أصحابك وتجهدهم فى السير ، ويصح أن يكون « بالأظعان » بفتح الهمزة ، جمع ظعينة : وهى المرأة ما دامت فى الهودج ، أى لتفجع أصحابك بهذه الظعائن المرتحلة — وفيهن محبوبته نعم — فتكدهم فى السير لإدراكها .

(٦) النطفة : الماء الصافى قل أو كثر ، والجمع نطاف . والطود : الجبل . وضرية : بئر ، وفى الأصول « صرية » وهو تصحيف ، والوقائع جمع وقيعة ، وهى النقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء .

(٧) أطاف به : ألم به وقاربه . حران صاد : عطشان . طالعه : اطلع عليه أى أشرف .

(٨) الطارق : الآتى ليلا . اخضلت : نديت .

وحَسْبُك من نأيٍ ثلاثةُ أشهر * ومن حَزَنٍ أن زادَ شوقَك رابعُ
سعى بينهم واشٍ بأفلاق بِرمةٍ (١) * ليفجَع بالأظعان مَن هو جازعُ
بكت من حديث بَثّه وأشاعه * ورصَّفه (٢) واشٍ من القوم راصعُ
بكت عينُ من أبكاك لا يعرف البكا (٣) * ولا تتخالجك الأمور النوازعُ
فلا يَسمَعَنْ سرّى وسرّك ثالثٌ * ألَا كلُّ سرّ جاوز اثنين شائعُ
وكيف يَشيع السرُّ منّى ودُونَه * حِجاب ومِن دونِ الحجاب الأضالعُ!
وحبٌّ لهذا الرَّبع (٤) يمضى أمامه * قليلُ القِلَى منه جليلٌ ورادعُ
لهوتُ به حتى إذا خِفتُ أهلَه * وبيَّن منه للحبيب المخادعُ
نزعتُ فما سِرّى لأوّل سائل * وذو السر ما لم يَحفظ السرَّ ماذع (٥)
وقد يحمَد اللهُ العزاءَ من الفتى * وقد يَجمع الأمرَ الشتيتَ الجوامعُ
ألا قد يُسلِّى ذو الهوى عن حبيبه * فيَسْلَى، وقد تُردِى المطىَّ المطامعُ

---

(١) برمة: عرض من أعراض المدينة قرب «بلاكث» بين خيبر ووادى القرى، وهى عيون ونخل لقريش. وأفلاق جمع فلق كسبب، وهو المطمئن من الأرض بين ربوتين، وقد ورد جمعه فى كتب اللغة على فلقان بالضم، وفى الأصول «لتفجع» وهو تصحيف.

(٢) بث الخبر: نشره، ورصف الشىء كقتل: ضم بعضه إلى بعض ونظمه (وقد ضعف الفعل هنا) ورصعه بالرمح: طعنه طعنا شديدا غيب السنان كله فيه، ورصع الشىء: عقده عقدا مثلثا متداخلا كعقد التيمة ونحوها.

(٣) تقدم هذا البيت فى أبيات الصوت، وصدره: «بكت عين من أبكاك ليس لك البكا» وروى هنا فى الأصول «بكت عين من أبكاك، لا يعرف البكا» ولعل صوابه «لا يعدم البكا» أى لازمه وصاحبه، وهى جملة دعائية ثانية، دعا على الواشى فى الجملة الأولى بأن تبكى عينه، وفى الثانية بأن يلازمه البكاء.

(٤) الربع: المنزل. فى الأصول «قليل» مكان «جليل»، ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٥) فى جـ «وادع» وفى ب، س «وازع» وأورى صوابه «ماذع» جاء فى كتب اللغة: المذاع كشداد: من لا وفاء له ولا يحفظ أحدا بالغيب ومن لا يكتم السر.

وما راعنى إلا المنادى ألَا اظعَنوا * وإلا الرواغِى غُـدوةً والقعاقع (١)

فجئت كأنى مستضيفٌ وسـائل * لأُخـبرها كلَّ الذى أنا صـانعُ

فقالت : تزحزحْ ما بنا كُبْرُ حاجةٍ * إليـك ولا منّـا لفقرك راقـعُ

فمـا زلتُ تحت السِّترِ حتى كأننى * من الحَرِّ ذو طِمْرَيْن فى البحر كارعُ (٢)

٥ فهزّت إلىّ الرأس ســنى تعجُّبا * وعُضِّض ممـا قد فعلتُ الأصابعُ

فأيهمـــا ما أتبعَنَّ فإننى * حزين عــلى إثر الذى أنا وادع (٣)

بكى من فراق الحىّ قيسُ بنُ مُنقذ * وإذراءُ عينى مثــلَه الدمعَ شائع (٤)

بأربعــة تنهـــلّ لمّـا تقــدّمتْ * بهم طُرُق شــتّى وهنّ جــوامع (٥)

وما خلَتْ بينَ الحىّ حتى رأيتهم * ببَينونةَ السفلَى وهبّت سَــوافع (٦)

١٠ (١) رغت الناقة رغاء : صوتت فهى راغيــة والجمع الرواغى ، وفى الأصول « الرواعى » وهـــو تصحيف ، والقعاقع : تتابع أصوات الرعد فى شدة ، جمع قعقعة ، والمراد هنا أصوات تقويض الأخبية وما إلى ذلك تأهبا للرحيل . وقد قالوا : تقعقعت عمدهم وتقعقعت ، أى ارتحلوا ، أو هو « القعاقع » بالضم ، رجل قعاقع : كثير الصوت .

(٢) الطمر : الثوب الخلق . كرع فى المـاء كنع ومنع : تناوله بفيه من موضــعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء ، وكل خائض ماء كارع ، شرب أو لم يشرب .

١٥

(٣) يستشهد بهذا البيت على استعمال وادع بمعنى تارك ، اسم فاعل من ودع بمعنى ترك ، ورد فى لسان العرب : « ولا يقولون ودعتك ولا وذرتك استغنوا عنهما بتركتك والمصدر فيهما تركا ، ولا يقال ودعا ولا وذرا وحكاهما بعضهم ، ولا وادع ، وقد جاء فى بيت أنشده الفارسى فى البصريات :

فأيهمـــا ما أتبـــعنّ فإننى * حزين على ترك الذى أنا وادع»

٢٠ وهكذا روى الشطر الأول فى نسخة جـ ، وفى ب ، س « فأيهما منها اتبعت » .

(٤) هذا البيت من قول حبيبته بدليل « وإذراء عينى مثله » والظاهر أنه قد سقط قبله من الرواية بيت أو أكثر . أذرت العين الدمع إذراء : صبته .

(٥) بأربعة ، أى بأربع أعين وهى عيناه وعيناها . وانهلت العين : سالت بالدمع .

(٦) البين : الفراق . وبينونة : موضع بين عمان والبحرين ، وهما بينونتان : بينونة الدنيا وبينونة القصوى ، وكلتاهما فى شق بنى سعد بين عمان و بحرين ، وفى الأصـــول « وهن » ومكان « وهبت » ؟ وهو تحريف . السوافع : لوافـــح السموم ، سفعته الشمس والسموم : لفحته لفحا يســيرا فغيرت لون بشرته وسوّدته .

٢٥

كأن فؤادى بين شِقَّين من عَصًا * حِذار وقوعِ البين والبينُ واقعُ
يُحُثُّ بهم حادٍ سريعٌ نَجاؤه (١) * ومُعْرًى عن الساقين والثوب واسع
فقلت لها يا نُعم حُلِّى محلّنا (٢) * فإن الهوى يا نُعم والعيش جامع
فقالت وعيناها تَفيضان عَبرةً * بأهلِىَ بَيِّنْ لى متى أنت راجع؟
فقلت لها تالله يدرى مسافر * إذا أضمرتْه الأرضُ ما الله صانعُ
فشدَّت على فِيها اللثامَ وأعرضتْ * وأمعن بالكُحل السَّحيقِ المدامع (٣)
وإنى لعهد الودّ راعٍ، وإننى * بوصلك مالم يطونى الموتُ طامع

قال أبو عمرو: فأنشدتُ عائشةَ بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة، فاستحسنتْها وبحضرتها جماعة من الشعراء. فقالت: من قدر منكم أن يزيد فيها بيتا واحدا يشبهها ويَدخل فى معناها فله حُلّتى هذه، فلم يقدر أحد منهم على ذلك.

شعره فى شوقه لنعم

قال أبو عمرو: وقال قيس أيضا يذكُر بين الحىّ وتفرّقهم ويَنسُب بنعم:

سقى الله أطلالا بنعمٍ تَرادفت (٤) * بهن النَّوى حتى حلَلْن المَطاليا
فإن كانت الأيام يا أمَّ مالك * تسلّيكُم عنّى وتُرضى الأعاديا
فلا يأمَنَنْ بعدى امرؤ فَجْعَ لذّةٍ * من العيش أو فَجْعَ الخطوبِ العَوافيا (٥)
وبُدِّلت من جَدواكِ يا أمَّ مالكٍ (٦) * طَوارقَ همٍّ يحتضِرْن وِساديا

(١) النجاء: السرعة فى السير.
(٢) فى جـ «خلى» وهو تصحيف.
(٣) أمعن الماء: سال وجرى.
(٤) المطالى: الأرض السهلة اللينة تنبت العضاه، واحدتها مطلاء على وزن مفعال. وهى مؤنثة لا غير. أطلالا جمع طلل، وطلل كل شىء شخصه. ترادفت: تتابعت عليها الرحلة.
(٥) العوافى: جمع عافية وهى الطامسة.
(٦) الجدوى: العطية، وفى الأصول «يحضرون» وهو خطأ صوابه ما أثبتنا لأن مرجع الضمير غير عاقل.

وأصبحت بعد الأنس لابسَ جُبَّةٍ * أُساقِي الكماةَ الدارعين العواليا (١)

فيوماىَ يومٌ فى الحديد مُسربَلا * ويوم مع البِيض الأوانس لاهيا

فلا مدركًا حظًّا لدى أمّ مالك * ولا مستريحا فى الحياة فقاضيا (٢)

خليلىّ إن دارت على أمّ مالك * صُروفُ الليالى فابعثا لِىَ ناعيا

ولا تتركانى لا لخير معجّل * ولا لبقاءٍ تنظران بقائيا

وإن الذى أمّلتُ من أمّ مالك * أشابَ قَذالى واستهامَ فؤاديا (٣)

فليت المنايا صبّحتنى غُدَيّةً * بذَبحٍ ولم أسمع لبَيْنٍ مناديا (٤)

نظرتُ ودونى يذبُلٌ وعَمايةٌ * إلى آل نُعمٍ منظرًا متنائيا (٥)

شكوت إلى الرحمن بُعْدَ مَزارها * وما حمّلتنى وانقطاعَ رجائيا

وقلتُ ولم أملكْ أعمرو بن عامر * لحتفٍ بذات الرَّقمتين يرى ليا (٦)

وقد أيقنتْ نفسى عشيّةَ فارقوا * بأسفل وادى الدَّوحِ أن لا تلاقيا (٧)

إذا ما طواكِ الدهرُ يا أمّ مالكٍ * فشأنُ المنايا القاضياتِ وشانيا (٨)

---

(١) الجبة : الدرع . والكماة : جمع كمىّ : وهو الشجاع المتكمى فى سلاحه أى المتغطى المتستر بالدرع والبيضة . ورجل دارع : عليه درع . والعوالى جمع عالية ، وهى أعلى الرمح ورأسه .

(٢) قاضيا : ميتا ، من قضى ، أى مات .

(٣) القذال : جماع مؤخر الرأس ، واستهام فؤاده : أذهبه .

(٤) غدية مثل عشية : لغة فى غدوة ، كضحية لغة فى ضحوة ، والجمع غدايا كعشية وعشايا . والبين : الفراق .

(٥) يذبل وعماية : جبلان فى بلاد نجد .

(٦) الرقمتان : روضتان إحداهما قريب من البصرة ، والأخرى بنجد . وفى جـ « أبزى ليا » وهو تحريف .

(٧) فى ب ، س « وادى الروح » وهو تحريف .

(٨) فى الأصول « القاصيات » وهو تصحيف .

قال أبو عمرو : وقد أدخل الناس أبياتا من هذه القصيدة فى شعر المجنون .

أراد قوم من مزينة أسره فقاتلهم حتى قتل وهو يرتجز

قال أبو عمرو : وكان من خبر مقتل قيس بن الحُدادية أنه لقى جمعا من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غِرّة، فقالوا له : استأسر، فقال : وما ينفعكم منّى إذا استأسرتُ وأنا خليع؟ والله لو أسرتمونى ثم طلبتم بى من قومى عنزا جَرْباء جذْماء[1] ما أُعطيتموها، فقالوا له : استأسر لا أُمَّ لك[2] ! فقال : نفسى علىّ أكرم من ذاك، وقاتلهم حتى قُتل . وهو يرتجز ويقول :

أنا الذى تَخلَعه مواليهْ * وكلّهم بعد الصّفاء قاليهْ[3]

وكلّهم يُقسم لا يباليهْ[4] * أنا إذا الموت ينوب غاليه

مختلطٌ أسفلهُ بعاليه * قد يعلم الفتيان أنّى صاليه

* إذا الحديد رفعتْ عواليه *

وقيل : إنه كان يتحدّث إلى امرأة من بنى سُليم، فأغاروا عليه وفيهم زوجُها، فأفلت فنام فى ظلّ وهو لا يخشى الطلب، فاتبعوه فوجدوه، فقاتلهم، فلم يزل يرتجز وهو يقاتلهم حتى قُتِل .

---

(١) الجذماء : المقطوعة اليد .

(٢) يقول الرجل للرجل : « لا أم لك » وهو شتم وسب ، ومعناه ليس لك أم حرّة ، وذلك أن بنى الإماء عند العرب مذمومون ليسوا بمرضيين ولا لاحقين ببنى الحرائر . وقيل : معناه أنت لقيط لا تعرف لك أم ، وربما وضع موضع المدح بمعنى التعجب منه .

(٣) قاليه : مبغضه .

(٤) فى ب ، س « لا يناليه » . يقال لا يباليه ولا يبالى به ، والغالى فى أمر : المبالغ فيه .

صــــوت

شعر لابن قنبر في التشبيب

صَرمْتِنِي ثم لا كلَّمتِنِي أبـدًا * إن كنت خنتُك في حال من الحال[1]

ولا اجترمت الذى فيـه خيانتُكم * ولا جَرَتْ خَطرةٌ منـــه على بالى[2]

فسوِّغينى المُـنى كيما أعيشَ بهـا * وأمسكِى البذلَ ما أطلعتِ آمالى[3]

أو عجِّــل تَلَفِى إن كنتِ قاتلتى * أو نوِّليـــنى بإحسان وإجمـال

الشعر لابن قُنْبُر، والغناء ليزيد بن حـوراء خفيف رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة، وذكر إسحاق أنه لسليم ولم يذكر طريقته .

(١) فى الأصول «إن كنت جئتك» ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما سيرد فى الترجمة .

(٢) اجترم : أجرم وأذنب ، وفى ب ، جـ « خطرة منى » .

(٣) فى الأصول : « أعيش به » وهو تحريف .

أخبار ابن قُنْبُر ونسبه

نسبه

٩/١٣

هو الحكم بن محمد بن قُنْبُر المازنى مازن بنى عمرو بن تميم ، بصرىّ شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشميّة ، وكان يهاجى مسلمَ بنَ الوليد الأنصارى مدّة ، ثم غلبه مسلم .

هجاؤه مسلم ابن الوليد

قال أبو الفرج : نسختُ من كتاب جدّى يحيى بن محمد بن ثوابة بخطّه : حدّثنى الحسن بن سعيد قال : حدّثنى منصور بن جهْوَر قال : لمّا تهاجى مسلم بن الوليد وابن قنبر ، أمسك عنه مسلم بعد أن بسط عليه لسانَه ، فجاء مسلما ٱبن عم له فقال : أيها الرجل ، إنك عند الناس فوق هذا الرجل فى عمود الشعر ، وقد بعثتَ عليه لسانَك ثم أمسكتَ عنه ، فإما أن قاذعتَه ، و إما أن سالمتَه ؛ فقال له مسلم : إن لنا شيخا وله مسجد يتهجد(١) فيه ، وله دعوات يدعوها ، ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته فى كفايتنا إياه ، فأطرق الرجلُ ساعةً ثم قال :

غَلَبَ ٱبن قُنْبر واللئيم مغلّب(٢) * لما ٱتّقيْتُ هجاءه بدعاء

ما زال يقذف بالهجاء ولذعه * حتى اتقوه بدعوة الآباء

قال : فقال له مسلم : والله ما كان ابن قنبر لِيبلغَ منّى هذا ، فأمسِك عنى لسانك وتعرّف خبره بعد ، قال : فبعث الرجل والله عليه من لسانِ مسلِم ما أسكتَه .

أخبرنى الحسن بنُ على قال : حدّثنا ٱبنُ مَهْرُويَه قال : حدّثنى محمد بن عبد الله العبدى القَسْرى قال : رأيت مسلم بنَ الوليد والحكم بنَ قنبر فى مسجد الرُّصافة(٣)

(١) التهجد : صلاة الليل . (٢) المغلب : المحكوم له بالغلبة .

(٣) يعنى رصافة بغداد ، وهى فى الجانب الشرقى .

فى يوم جمعة ، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه ، وكانا يتهاجيان ، فبدأ مسلمٌ فأنشد قصيدته :

أنا النار فى أحجارها مستكنّة * فإن كنتَ ممّن يقدح النار فاقدح (١)

وتلاه ابن قنبرٍ فأنشد قوله :

٥ قد كدتَ تهوى وما قوسى بموتَرةٍ * فكيف ظنُّك بى والقوسُ فى الوتَرِ (٢)

فوثب مسلم وتواخزا (٣) وتواثبا حتى حجز الناسُ بينهما فتفرّقا ، فقال رجل لمسلم — وكان يتعصب له — : وَيْحك ! أعجزتَ عن الرجل حتى واثبتَه ؟ قال : أنا وإيّاه لكما قال الشاعر :

* هنيئا مريئا أنت بالفُحْش أبصرُ *

١٠ وكان ابن قنبر مستعليا عليه مدّة ، ثم غلبه مسلم بعد ذلك ، فمن مُناقضتهما قولُ ابنِ قنبر :

ومن عَجَب الأشياء أنّ لمسلم * إلىّ نزاعا (٤) فى الهجاء وما يدرى

ووالله ما قيستْ علىّ جُدودُه (٥) * لدى مَفخَرٍ فى الناس قوسا ولا شبرِ

ولابن قُنبُرٍ قولُه :

١٥ كيف أهجوكَ يالئيم بشعرى * أنت عندى فاعلمْ هِجاءُ هجائى

يادعىَّ الأنصار بل عبدَها النذ * لَ تعرضتَ لى لدَرْك الشقاء

(١) فى الأصول : « إذا النار » ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) أوتر القوس : جعل لها وترا .

(٣) تواخزا : تطاعنا طعنا غير نافذ ، وقيل فيه غير ذلك . وفى الأصول : « وتواخذا » بالذال ؛ ٢٠ وهو تصحيف .

(٤) نزع إليه نزاعا : اشتاق ، كنازع .

(٥) علىّ : على جدودى وأصول . قوسا : مقدار قوس .

أنشد المأمون بيتين له وأمر ابن محرز بتلحينها

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال: حدّثنى أبو توبة، عن محمد بن جُبير(١) عن الحسين بن محرز المغنّى المدينى قال: دخلت يوماً على المأمون فى يوم نوبتى وهو ينشد:

صــــوت

١٠/١٣

فما أقصرَ اسمَ الحبِّ ياوَيْحَ ذى الحبِّ * وأعظمَ بلواه على العاشق الصبِّ

يمــرّ به لفظُ اللّسـان مشــمّرا * ويغـرَق من ساقاه فى لُجَج الكربِ

فلما بصُر بى قال: تعـال يا حسين، فجئت، فأنشدنى البيتين، ثم أعادهما علىّ حتى حفِظتُهما، ثم قال: اِصنَع فيهما لحناً، فإن أجدتَ سررتُك، فخلوت وصنعتُ فيهما لحنى المشهور، وعُدتُ فغنيّته إيّاه، فقال: أحسنت، وشرب عليــه بقيّةَ يومه، وأمر لى بألف دينار، والشعر لحكم بن قنبر.

شعره فى النسيب

أخبرنى محمد بن الأزهر قال: حدّثنى حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمد بن سلّام قال: أنشدنى ابن قنبر لنفسه:

وَيْلى على من أطارَ النـومَ وامتَنعا * وزاد قلبى على أوجاعِه وَجَعـا

ظبىٌ أغرُّ ترى فى وجهــه سُرُجا * تُعشِى العيونَ إذا ما نورُه سطعا(٢)

كأنمـا الشمس فى أثوابه بزَغَتْ * حُسنا، أو البدرُ فى أردانِه طلعا(٣)

فقدنسيتُ الكرى من طُول ما عطِلتْ * منه الجفونُ وطارت مهجتى قِطَعا

(١) فى الأصول: «حبر» بالحاء المهملة؛ والتصويب عن الأغانى جـ ١٣: ٢٧٧ سطر ١٤

(٢) سرجا: جمع سراج. تعشى العيـون: أعشاه فعشى (كفرح) عشا، والعشا سوء البصر، وفى الأصول «يغشى».

(٣) أردان: جمع ردن بالضم، وهو أصل الكم.

قصته مع جوار تعرضن له

قال ابن سلّام: ثم قال ابن قنبر: لقيتني جوارٍ من جوارى سليمانَ بن علىّ فى الطريق الذى بين المِرْبَد وقَصْر أوس، فقلن لى: أنت الذى تقول:

* ويلى على من أطار النومَ وامتنعا *

فقلتُ: نعم. فقلن: أمع هذا الوجه السَّمِج تقول هذا؟ ثم جعلن يجذبْنَنى ٥ ويَلْهون بى حتى أخرجننى من ثيابى، فرجعتُ عاريا الى منزلى. قال: وكان حسنَ اللّبـاس.

حفظ علىّ بن محمد النوفلى من شعره

أخبرنى محمد بن الحسين الكِنْدىّ مؤدّبى قال: حدّثنى على بن محمد النُّوفلى قال: حدّثنى عمى قال: دخل الحكم بن قنبر على عمّى — وكان صديقا له — فبَشّ به ورفع مجلسه، وأظهر له الأنس والسرور، ثم قال: أنشِدنى أبياتَك التى أقسمتَ ١٠ فيها بما فى قلبك. فأنشده:

وحقِّ الذى فى القلب منك فإنه * عظيمٌ لقد حصّنت سرّك فى صدرى

ولكنّما أفشاه دمعى، وربّما * أتى المرءَ مايخشاه من حيث لايدرى

فهب لى ذنوب الدمع، إنى أظنّه * بما منه يبدو إنّما يَبتغى ضرّى

ولو يَبتغى نفعى لخلَّى ضمائرى * يردّ على أسرار مكنونها سترى

١٥ فقال لى: يا بنىّ اكتبها واحفظها، ففعلتُ وحفظتُها يومئذ وأنا غلام.

رواية محمد بن سلام لشعره واعتراضه عليه

أخبرنى اليزيدىّ قال: أخبرنى عمّى عن ابن سلّام، وأخبرنى به أحمد عن ابن عباس العسكرى عن القنبرى عن محمد بن سلام قال: أنشدنى ابن قُنْبُر لنفسه قوله:

صرمْتِنِى ثم لا كلّمتِنِى أبدا * إن كنت خنتك فى حالٍ من الحالِ

٢٠ ولا اجترمت الذى فيه خيانتكم * ولا جرتْ خَطرة منه على بالى

قال : فقلت له وأنا أضحك : يا هذا لقد بالغتَ فى اليمين . فقال : هى عندى كذاك ، وإن لم تكن عندك كما هى عندى .

قال اليزيدى : قال عمّى وهو الذى يقول (وفيه غناء) :

صــــوت

١١/١٣

ليس فيهــا ما يقال له * كَمَلتْ لو أنّ ذا كَمَــلا ٥

كلّ جزء من محاسنهــا * كائنٌ فى فضــله مَثَلَا

لو تمنّت فى مَلاحتهــا * لم تجد من نفسها بَدَلا

فيه لحنٌ لابن القصّار رَمَل .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنى ابن مهـرُويَه قال : قال لى إبراهيم بن المدبِّر (١) : أتعرف الذى يقول : ١٠

شعر منسوب إليه أو للعنابى

إن كنتَ لا تَرهَبُ ذَمّى لمــا * تَعرف من صفحى عن الجاهلِ

فاخشَ سُـكوتى فَطِنا مُنصِتا * فيـك لتحسين خنا (٢) القــائل

مقــالةُ السّـــوء إلى أهلهــا * أسهلُ من منحدرٍ سائل

ومن دعا النــاسَ إلى ذمّه * ذمُّـوه بالحـقّ وبالبــاطل

---

(١) أورد صاحب زهر الآداب « ج ٢ : ص ١١٠ » ثمانية أبيات منها الأربعة المذكورة هنا ، ونسبها لمحمد بن حازم الباهلىّ . ١٥

(٢) الخنا من الكلام : أفحشه ، وفى جـ « حنى » وفى ب ، س « جنى » وهو تصحيف ، ورواية زهر الآداب :

فاخش سكوتى إذ أنا منصت * فيـك لمسموع خنـا القائل

فقلت : هــذه للعتّابى ، فقال : ما أنشــدتُها إلّا لابن قُنــبُر ، فقلت له : من شاء منهما فليقُلْها ، فإنّه سرقه من قول عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة :

و إن أنا لم آمر ولم أنهَ عنكما * سكتّ له حتى يلجّ ويستشرى[1]

ذم كل قرشىّ لم يتخلق بأخلاق قريش

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنى أبو مسلم يعنى محمد بن الجهم قال : أطعَم رجل من وَلَد عبد الله بن كُرَيز صديقا له ضيعة ، فمكثتْ فى يده مدة ، ثم مات الكُرَيزى ، فطالب ابنُه الرجلَ بالضيعة ، فمنعه إياها ، فاختصما إلى عبيــد الله بن الحسن ، فقيل له : ألا تستحى ! تطالب بشىء إن كنت فيــه كاذبا أثمت ، و إن كنتَ صادقا فإنمــا تريد أن تنقض مكرُمةً لأبيك ، فقال له ابن الكريزى ــ وكان ساقطا ــ : الشحيح أعظم من الظالم أعزك الله ، فقال له عبيد الله ابن الحسن : هذا الجواب والله أعزّ من الخصومة ويحك ، وهذا موضع هذا القول ، اللهــم اُردُدْ على قريش أخطارَها[2] ، ثم أقبَــلَ علينا فقــال : لله دَرّ الحكم بن قُنــبُر حيث يقول :

إذا القُرَشىّ لم يُشْــبِه قريشا * بفعلهــم الّذى بَذَّ الفعــالا

فجَــرْمِىٌّ له خُلُقٌ جميــلٌ[3] * لدى الأقوام أحسنُ منه حالا

تمثل الرشيد بشعره للعباس بن محمد

أخبرنى محمــد بن الحسين الكندى قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيــل العَنزِىّ قال : حدّثنا مسعود بن بشر قال : شكا العبّاس بن محمد إلى الرشيد أن ربيعة الرَّقِّىّ

---

(١) فى ح ، ب ، س « يلج ويشــترى » . والتصويب عن مختار الأغانى الكبير ٣ : ٤١٣ ، استشرى الفرس فى سيره : لج ومضى وجد فيــه بلا فتور ولا انكسار ، ومن هــذا يقال للرجل إذا لج فى الأمر : قد شرى فيه كفرح واستشرى .

(٢) أخطارها : أقدارها .

(٣) جرمىّ : نسبة إلى جرم بن زبان ، بطن من قضاعة .

هجاه فقال له : قد سمعتُ ما كان مدَحَك به ، وعرفتُ ثوابَك إياه ، وما قال فى ذمّك بعد ذلك ، فما وجدتُه ظلمك به ، ولله درّ ابن قنبر حيث قال :

ومن دعا النـاس إلى ذمّه * ذمّوه بالحـقّ و بالباطل

و بعد ، فقد اشتريتُ عِرضَك منه ، وأمرتُه بأن لا يعود لذمّك تعريضا ولا تصريحا .

شعره فى مرض موته

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال : حدّثنا أحمد بن أبى خيثمة قال : حدّثنا محمد بن سلّام قال : مرض ابن قنبر فأتوه بخصيب الطبيب يعالجه ، فقال فيه :

ولقد قلتُ لأهلى * إذ أتَوْنى بخَصيبِ
ليس والله خصيبٌ * للّذى بى بطبيبِ
إنّما يَعـرِف دائى * من به مِثل الّذى بى

قال : وكان خصيب عالما بمرضه ، فنظر إلى مائه فقال : زعم جالينوس أن صاحب هذه العلّة إذا صار ماؤه هكذا لم يعِش ، فقيل له : إن جالينوس ربما أخطأ ، فقال : ما كنت إلى خطئه أحوَج منّى إليه فى هذا الوقت . قال : ومات من علته .

صـــوت

شعر للأسود ابن عمارة

خليلىّ من سعد ألمّا فسلّما * على مريمٍ ، لا يبعد الله مريما
وقولا لها هذا الفراق عزمتِه * فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

الشعر للأسود بن عمارة النوفلى ، والغناء لدهمانَ ثانى ثقيل بالوسطى .

أخبـار الأسود ونسبه

نسبه وأخباره

هو — فيما أخبرنى به الحَرَمىّ بن أبى العلاء والطُّوسى، عن الزبير بن بكّار، عن عمّه — الأسود بن عمـارة بن الوليـد بن عدىّ بن الخيـار بن عدى بن نوفل ابن عبـد مناف بن قصى بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤى بن غالب ، وكان الأسود شاعرا أيضا .

٥

قال الزبير — فيما حدّثنا به شيخانا المذكوران عنه[1] — : وحدّثنى عمّى قال : كان عمارة بن الوليد النوفلى أبو الأسود بن عمارة شاعرا ، وهو الذى يقول :

شعره فى معشوقته هند

صـــوت

تلك هنـدٌ تَصُدُّ للبَيْن صـدّا * أدلالًا أم هنـدُ تهجُـرُ جِدّا[2]

١٠ أم لِتَنْكا به قُـروحَ فـؤادى[3] * أم أرادت قتلى ضِرارا وعمدا

قـد برانى وشفّنى الوجدُ حتى * صرتُ مما أَلْقَى عظاما وجِلدا

أيهـا الناصح الأمين رسـولا * قل لهند عنّى إذا جئتَ هندا

عَلِم الله أن قد أُوتيتِ منى * غيرَ منٍّ بذاكِ نصحا وودّا

ما تقـرّبتُ بالصـفاء لأدنو * منكِ إلّا نأيتِ وازددتِ بعدا

١٥ الغناء لعَبادل خفيف رمل بالبنصر فى مجراها عن إسحاق، وفى كتاب حَكَم : الغناء له خفيف رمل، وفى كتاب يونس : فيه لحن ليونس غير مجنّس، وفيه ليحيى المكى أو لابنه أحمد بن يحيى ثقيل أوّل :

(١) فى ب، س « شيخنا المذكور عن عنه » .

(٢) كذا فى ب، س . والذى فى جـ : « أم هجر هند أجدا » .

٢٠ (٣) نكأ القرحة كمنع : قشرها قبل أن تبرأ فنديت .

ولايته بيت المال

قال الزبير : قال عمّى ومن لا يعلم : يروى هذا الشعر لعمارة بن الوليد النوفلى، قال : وكان الأسود يتولى بيت المال بالمدينة ، وهو القائل :

خليلىّ من سعدٍ ألمّا فسلّما * على مريم، لا يبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمته * فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

شعره فى محمد بن عبد الله بن كثير

قال : وهو الذى يقول لمحمد بن عبيد الله بن كُثَيِّر بن الصَّلْت :

ذكرناك شُرْطيا فأصبحت قاضيا * وصرت أميرا ، أبشرى قحطانُ

أرى نَزَواتٍ بينهن تفاوت * وللدهر أحداث وذا حَدَثانُ (١)

أقيمى بنى عمرو بن عوف أوآربَعى (٢) * لكل أناس دولة وزمانُ

١٣/١٣

قال : وإنما خاطب بنى عمرو بن عوف ها هنا لأن الكثيرىّ كان تزوج إليهم، وإنما قال : «أبشرى قحطان» لأن كثير بن الصلت من كندة حليف لقريش .

١٠

قصته مع محبوبته مريم

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنى على بن سليمان النوفلى أحد بنى نوفل بن عبد مناف قال : كان أبى يتعشّق جارية مولَّدة مغنّية لامرأة من أهل المدينة ، ويقال للجارية مريم، فغاب غَيبة إلى الشأم، ثم قدم فنزل فى طرف المدينة، وحمل متاعه على حمّالين، وأقبل يريد منزلَه ، وليس شىء أحبّ إليه من لقاء مريم ، فبينا هو يمشى إذ هو بمولاة مريم قائمة على قارعتها (٣) ، وعيناها تدمعان، فساءلها وساءلته ، فقال للعجوز : ما هذه المصيبة التى أُصبتِ بها ؟ قالت : لم أُصَب بشىء إلّا مَبيعى مريم ، قال : وممّن بعتها ؟ قالت : من رجل من أهل

١٥

(١) نزوات : جمع نزوة من نزا ينزو نزوا إذا وثب ، قال ابن الأثير : وقد يكون فى الأجسام والمعانى، وحدثان الدهر وأحداثه : حوادثه ونوبه .

(٢) ربع كمنع : انتظر وتحبس .

٢٠

(٣) قارعتها ، أى قارعة المدينة ، وقارعة الطريق : أعلاه .

العراق ، وهو على الخروج ، و إنما ذهبتُ بها حتى ودّعَتْ أهلّها ، فهى تبكى من أجل ذلك ، وأنا أبكى من أجل فراقها ، قال : الساعة تخرج ؟ قالت : نعم الساعة تخرج ، فبقى متبلّدا[1] حائرا ، ثم أرسل عينيه يبكى ، وودّع مريمَ وانصرف ، وقال قصيدته التى أوّلها :

خليلىّ من سعد ألمّا فسلّما * على مريمٍ ، لا يُبعِد الله مريمَا

وقُولا لها هذا الفراق عزمتِه * فهل من نوال قبل ذاك فنعلَما

قال : وهى طويلة ؛ وقد غنّى بعضُ أهل الحجاز فى هذين البيتين غناء زَيانبيا[2] . هكذا قال ابن عمّار فى خبره .

قصته فى بيتين من شعره

اخبرنى الحسن بن على الخفّاف قال : حدّثنى ابن مهرُويه قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى أبو العباس أحمد بن مالك اليمامىّ ، عن عبد الله ابن محمد البواب قال : سألت الخيزُرانُ[3] موسى الهادى أن يولى خاله الغطريف اليَمَن ، فوعدها بذلك ودافَعها[4] به ، ثم كتبتْ إليه يوما رُقعةً تتنجّزه فيها أمره ، فوجه إليها برسولها يقول : خيِّريه بين اليمن وطلاق ابنته ، أو مُقامى عليها ولا أولّيه اليمن ، فأيّهما آختار فعلته ، فدخل الرسول إليها — ولم يكن فهم عنه ما قال — فأخبرها بغيره ، ثم خرج إليه فقال : تقول لك : ولاية اليمن ، فغضب وطلّق آبنته وولّاه اليمن ، ودخل الرسول فأعلمه بذلك ، فارتفع الصياح

(١) فى الأصول « متلبدا » وهو تحريف .

(٢) نسبة إلى الزيانب ، وهى اسم لسبعة أصوات ليونس الكاتب ، والشعر فيها كلها لابن رهيمة المدنى فى زينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (انظر أخبار يونس الكاتب فى الجزء الرابع من الأغانى ص ٤٠٢ طبع دار الكتب) .

(٣) الخيزران : أم موسى الهادى الخليفة العباسى .

(٤) ويقال : دافع فلان فلانا فى حاجته إذا مطله فيها فلم يقضها له . وفى الأصول : « ودفعها » .

من داره، فقال: ماهذا؟ فقالوا: من دار بنت خالك، قال: أولم تختر ذلك! قالوا: لا، ولكن الرسول لم يفهم ماقات فأدّى غيره، وعجلت بطلاقها، ثم ندم ودعا صالحا صاحب المصلّى وقال له: أقمْ على رأس كل رجل بحضرتى من النّدماء رجلا بسيف، فمن لم يطلّق آمرأته منهم فلتضرب عنقه، ففعل ذلك، ولم يبرح من حضرته أحد إلّا وقد طلّق آمرأته، قال ابن البواب: وخرج الخدم إلىّ فأخبرونى بذلك وعلى الباب رجل واقف متلفّع بطَيْلسانه يراوح[1] بين رجليه، فخطر ببالى:

خليلىّ من سعد ألمّا فسلّما * على مريم، لا يُبعِد اللهُ مَرْيَما
وقُولَا لها: هذا الفراق عزمتِه * فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

فأنشدته فيعلما بالياء، فقال لى: فنعلما بالنون، فقلت له: فما الفرق بينهما؟ فقال: إن المعانى تُحسّن الشعر وتفسده، وإنما قال: «فنعلما» ليعلم هو القصة، وليس به حاجة إلى أن يعلم الناس سره، فقلت: أنا أعلم بالشعر منك، قال: فلمن هو؟ قلت: للأسود بن عمارة، قال: أو تعرفه؟ قلت: لا، قال: فأنا هو، فاعتذرتُ إليه من مراجعتى إياه، ثم عرّفته خبرَ الخليفة فيما فعله، فقال: أحسن الله عزاءك، وانصرف وهو يقول: «هذا أحقّ منزل بِتَرْك[2]»

شعره فى تولية أبى جعفر المدينة

أخبرنى الحرمىّ بنُ أبى العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: كان محمد ابن عبيد الله بن كثير بن الصّلت على شُرْطة المدينة، ثم ولى القضاء، ثم ولاه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصمد بن على، فقال الأسود بن عمارة:

(١) فى س «يروح»؛ وهو تحريف. والمراوحة بين الرجلين: أن يقوم على كل مرة.
(٢) فى ب، وس «ينزل»؛ وهو تحريف.

ذكرتك شُرطيّا، فأصبحتَ قاضيا * فصرتَ أميرا ، أَبشرى قَحْطانُ[(١)]

أرى نَزَواتٍ بينهنّ تَفاوُتٌ * وللدهر أحداث وذا حَدَثانُ

أرى حَدَثًا مِيطانُ منقطِعٌ له * ومنقطع مِن بعده وَرِقانُ[(٢)]

أقيمى بنى عمرو بن عوف أو آربَعى * لكلّ أناس دولةٌ وزمان

صوت

شعر لعلى بن الخليل

هل لدهر قد مضى من مَعادِ * أو لهمٍّ داخلٍ من نَفادِ

أذكرتْنى عِيشةً قد تولّت * هاتفاتٌ نُحْنَ[(٣)] فى بطن وادى

هِجْنَ لى شوقا وأَلهبْنَ نارا * للهوى فى مستقَرِّ الفؤاد

بان أحبابى وغُودرتُ فَردًا * نُصْبَ ماسَرَّ عيونَ الأعادى

١٠ الشعر لعلى بن الخليل ، والغناء لمحمد الرف ، ولحنه خفيف رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة .

---

(١) فى جـ « خفرتك » وفى ب و س « جفوتك » . ولعل صوابه ما أثبتنا . وقد ذكر البيت قريبا وروايته « ذكرناك » .

(٢) ميطان : من جبال المدينة ، ضبطه صاحب القاموس فقال : كميزان ، وكذا ضبط فى اللسان

١٥ بكسر الميم ، وفى معجم البلدان بفتح أوّله ، وفى ب ، س « مبطان » بالباء وهو تصحيف . ورقان : جبل أسود على يمين المصعد من المدينة إلى مكة ، ونسبه معجم البلدان إلى نوفل بن عمارة بن الوليد قال :

أرى حدثا ميطان منقلع به * ومنقطع من دونه ورقان

(٣) هاتفات : نائحات .

أخبار علىّ بن الخليل

نسبه وأخباره

كان مولى معن بن زائدة الشيبانى

هو رجل من أهل الكوفة مولًى لمعن بن زائدة الشيبانى، و يكنى أبا الحسن، وكان يعاشر صالح بن عبد القدّوس لا يكاد يفارقه، فاتُّهم بالزّندقة ، وأُخذ مع صالح ثم أُطلِق لمّا انكشف أمره .

قال محمد بن داود بن الجراح : حدّثنى محمد بن الأزهر عن زياد بن الخطاب عن الرشيد، أنه جالس بالرافقة(١) للظالم، فدخل عليه على بن الخليل وهو متوكئ على عصا، وعليه ثياب نظاف، وهو جميل الوجه حسن الثياب ، فى يده قصة(٢) ، فلما رآه أمر بأخذ قصته(٢) ، فقال له يا أمير المؤمنين : أنا أحسن عبارة(٣) لها، فإن رأيت أن تأذن لى فى قراءتها فعلت . قال : اقرأها، فاندفع ينشده [فيها](٤) قصيدته :

يا خير من وَخَـدَت بأرحُلِه * نُجُبُ الرِّكاب بمَهْمَهٍ جَلْسِ(٥)

فاستحسنها الرشيد وقال له : من أنت ؟ قال : أنا على بن الخليل الذى يقال فيه إنه زنديق ، فضحك وقال له : أنت آمن ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، وخُص به بعد ذلك وأكثر مدحه .

---

(١) الرافقة : بلد متصل البناء بالرقة وهما على ضفة الفرات، من أعمال الجزيرة ، بناه المنصور سنة ١٥٥ هـ على بناء مدينة بغداد و رتّب به جندا من أهل خراسان وجرى ذلك على يد المهدى وهو ولى عهده ثم بنى الرشيد قصور هذا البلد .

(٢) فى أمالى السيد المرتضى ١ : ١٠١ « قصيدة » .

(٣) فى أمالى المرتضى « أنا أحسن قراءة لها من غيرى » . (٤) عن ج .

(٥) فى جـ «وخذت بأرحله» فى ب ، س : «وخزت بأرجله» وهو تحريف . ووخد البعير كوعد وخدا : أسرع ووسع الخطو، أو رمى بقوائمه كمشى النعام ، وأرحل جمع رحل ، وهو مركب للبعير . نجب جمع نجيب ، والنجيب من الإبل : القوى الخفيف السريع . والمهمه : المفازة البعيدة . والجلس : الغليظ من الأرض .

١٥/١٣

حبسه الرشيد مع صالح بن عبد القدوس ثم مدحه فأطلقه

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال : كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة — وكان علي بن الخليل استأذن أبا نواس في الشعر — فأنشده علي بن الخليل :

يا خير من وخدت[1] بأرحله * نُجُبٌ تَخُبُّ بمَهْمَهٍ جَلْس[1]

تطوي السباسبَ في أزمّتها * طَيَّ التِّجار عمائمَ البُرْس[2]

٥

لما رأتك الشمسُ إذ طلعتْ * كسفتْ بوجهك طلعةُ الشمس[3]

خيرِ البرية أنت كلِّهمُ * في يومك الغادي وفي أمس

وكذاك لن تنفكّ خيرَهُمُ * تُمسي وتُصبح فوق ما تُمسي

لله ما هرون من مَلِكٍ * بَرِّ السريرة طاهرِ النفس

ملك عليه لربّه نِعَمٌ * تزداد جِدّتُها على اللُّبس

١٠

تحكي خلائقُه ببهجتها * أُنُقَ السرور صبيحةَ العُرْس[4]

من عترةٍ طابت أرومتُهم * أهلِ العفاف ومنتهى القُدس[5]

نُطُقٍ إذا احتُضرت مجالسُهم * وعن السفاهة والخنا خُرْس

إني إليك لجأتُ من هربٍ * قد كان شرّدني ومن لَبْس[6]

١٥

(١) في جـ « وجدت » ، ويقال : خبت الناقة خبا وخببا : أسرعت .

(٢) السباسب : جمع سبسب وهي المفازة . والبرس بالكسر والضم : القطن .

(٣) في أمالي السيد المرتضى « سجدت لوجهك » .

(٤) الأنق : الفرح والسرور .

(٥) عترة الرجل : نسله ورهطه الأدنون . وفي أمالي المرتضى « من عصبة » . والأرومة وتضم : الأصل .

٢٠

(٦) اللبس : الالتباس والاشتباه .

واخترتُ حكمَك لا أجاوزه * حتى أوسَّد فى ثرى رَمْسى (١)

لما استخرتُ الله فى مَهَــلٍ * يممتُ نحوك رحلةَ العَنْس (٢)

كم قد قطعتُ إليك مُدَّرِعاً * ليلا بهيمَ اللون كالنِّقْس (٣)

إن هاجنى من هاجسٍ جزعٌ * كان التوكّل عنده تُرسى

ما ذاك إلا أننى رجل * أصبو إلى بَقَرٍ من الإنس

بقرٍ أوانسَ لا قُرونَ لها * نُجْلِ العيون نواعمٍ لُعْس (٤)

رَدْعُ العبير على ترائبها * يُقبلْن بالترحيب والخلْس (٥)

وأشاهد الفتيان بينهم * صفراءُ عند المزْج كالوَرْس (٦)

للماء فى حافاتها حَبَبٌ * نُظُمٌ كرَقْمِ صحائف الفُرْس (٧)

والله يعلم فى بقيته * ما إن أضعْتُ إقامةَ الخَمْس (٨)

---

(١) الرمس : القبر ، والثرى : التراب .

(٢) العنس : الناقة الصلبة .

(٣) فى س « كم قطعت » . وادّرع : لبس الدرع ، والمعنى : لابسا الليل كأنه درع . والبهيم : الأسود . والنقس : المداد .

(٤) نجل : جمع ، نجلاء وصف من النجل بالتحريك ، وهو سعة العين . لعس جمع لعساء : وصف من اللعس ، وهو سواد يعلو شفة المرأة البيضاء ؛ وقيل : هو سواد فى حمرة .

(٥) العبير : أخلاط من الطيب . والردع : أثر الطيب فى الجسد . والترائب : ما ولى الترقوتين ، واحدتها تريبة . الخلس : النظر خلسة . وفى أمالى المرتضى : « يقتلن بالتطويل والحبس » .

(٦) الورس : صبغ أصفر ، وفى أمالى المرتضى :

وأجاذب الفتيان بينهم * صهباء مثل مجاجة الورس .

(٧) الحبب : النفاخات والفقاقيع التى تطفو فوق الخمر كأنها القوارير .

(٨) بقية الله : طاعته وانتظار ثوابه . وفى أمالى المرتضى « فى بريته »

فأطلقه الرشيد ، وقتل صالح بن عبد القدوس ، واحتج عليه فى أنه لا يقبل له توبة بقوله :

والشـيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارَى فى ثرى رَمْسِه

وقال : إنما زعمت ألّا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبدا .

شعره فى يعقوب ابن داود وابن علاثة

أخبرنى محمد بن خلف وكيع ، قال : حدّثنى أحمد بن زهير بن حرب ، قال : كان عافيةُ بنُ يزيدَ يَصحب آبنَ عُلاثة[1] ، فأدخله على المهدى ، فاستقضاه معه بعسكر المهدىّ وكانت قصة يعقوب مع أبى عبيد الله[2] كذلك ، أدخله إلى المهدىّ ليعرض عليه ، فغلب عليه ، فقال على بن الخليل فى ذلك :

---

(١) عافية بن يزيد الأودى ، ومحمد بن عبد الله بن علاثة الكلابى ، استقضاهما المهدى سنة ١٦١ فكانا يقضيان فى عسكره ، وقد شرك بينهما فى القضاء . فكانا يقضيان جميعا فى المسجد الجامع فى الرصافة ، هذا فى أدناه ، وذاك فى أقصاه ، وكان عافية أكثرهما دخولا على المهدى (تاريخ بغداد ١٢ : ٣٠٧) .

(٢) هو أبو عبيد الله معاوية بن يسار من موالى الأشعريين ، كان كاتب المهدى ونائبه قبل الخلافة ، فلما ولى الخلافة فوض إليـه تدبير المملكة ، وسلم إليه الدواوين ، وكان من أبرع الكتاب وأوسعهم حذقا وعلما وخبرة ، ثم إن الربيع بن يونس ما زال يسعى به إلى المهدى حتى عزله من الوزارة ، وأفرده فى ديوان الرسائل ، واستوزر يعقوب بن داود سـنة ١٦٣ ثم عزل أبا عبيد الله عن ديوان الرسائل سنة ١٦٧ ورتب فيه الربيع بن يونس ، ومات أبو عبيد الله سنة ١٧٠ هـ ، وكان يعقوب بن داود من الموالى أيضا وقد فوض المهدى إليه الأمور كلها وسلم إليه الدواوين وقدمه على جميع الناس حتى قال بشار ابن برد يهجوه :

بنى أميـة هبّوا طال نومكم * إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا * خليفة الله بين الزقّ والعود

ثم إن الساعين ما زالوا يسعون بيعقوب إلى المهدى حتى نكبه وحبسه ، فلم يزل كذلك أيام المهدى ومدة الهادى حتى أخرجه الرشـيد ، ومات سنة ١٨٧ — اقرأ أخبار الأول فى تاريخ الطـبرى ٩ : ٤٣٩ و ١٠ : ٩ والفخرى ص ١٦٣ . وأخبار الثانى فى وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ٣٣١ والفخرى

عجبًا لتصريف الأمو * ر مسرّة وكراهية[1]

دَبَّتْ ليعقوبَ بن دا * ودٍ حبالُ معاوية[2]

وعدت على ابن عُلاثة ال * قاضى بوائقُ عافية[3]

أدخلته فعلا علي * ك كذاك شؤمُ الناصية

وأخذتَ حتفكَ جاهدًا * بيمينك المتراخية[4]

يعقوبُ ينظر فى الأمو * ر وأنت تنظرُ ناحية

٥

ولاية ابن الجهم السوس لإنشاده شعره

أخبرنى عمى الحسن بن محمد قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى محمد بن عمرو بن فِراس الذُّهْلى عن أبيه قال : قال لى محمد بن الجَهْم البرمكى : قال لى المأمون يوما : يا محمد : أنشدنى بيتا من المديح جيّدا فاخرا عربيا لمحدَث حتى أولّيك كُورةً تختارها . قال قلت : قول على بن الخليل :

١٠

فى السماء فروعُ نَبْعتهم * ومع الحضيض مَنابتُ الغَرْس[5]

متهلّلين على أسرّتهم * ولدى الهِياج مَصاعبٍ شُمْس[6]

(١) فى وفيات الأعيان : فقال فى ذلك على بن الخليل الكوفى من جملة أبيات :

قل للوزير أبى عبيـ * ـد الله هل من باقيه

ثم أورد البيت السادس فالرابع فالخامس مما ورد هنا .

١٥

(٢) فى الأصول « دبب » وهو تصحيف . ومعاوية : اسم الوزير أبى عبيد الله .

(٣) بوائق جمع بائقة ، وهى الداهية .

(٤) فى الأصول « ضيفك » وهو تحريف ؛ والتصويب من وفيات الأعيان .

(٥) النبعة : واحدة النبع ، وهو شجر للقسى والسهام . والحضيض : القرار فى الأرض .

(٦) تهلل الوجه : تلألأ . ومصاعب : جمع مصعب (بضم الميم وفتح العين) ، وهو الفحل الذى لم يمسسه حبل ولم يركب . ورجل مصعب : مسوّد . وشمس : جمع شموس كصبور من شمس الفرس : إذا منع ظهره . « ومتهللين » و « مصاعب شمس » نعوت لعترة فى قوله « من عترة طابت أرومتهم » . والبيتان من قصيدته السينية السابقة ، وقد ورد البيت الأول ضمن أبياتها فى أمالى المرتضى ، وأوله : « فوق النجوم » .

٢٠

فقال : أحسنت ، وقد وليتك الدِّينَوَر، فأنشِدنى بيت هجاء على هـذه الصفة حتى أولِّيك كورةً أخرى، فقلت : قول الذى يقول :

قُبِحتْ مناظرُهم لحين خَبَرتهم * حَسُنت مناظرُهم لقُبح المَخْبَرِ(١)

فقال : قد أحسنت ، قد ولّيتك هَمَذَان ، فأنشِدنى مَرثيةً على هذا حتى أزيدك

٥ كورة أخرى ، فقلت : قول الذى يقول :

أرادوا ليُخفـــوا قبرَه عن عدوّه * فطِيبُ تراب القبر دل على القبر

فقال : قد أحسنت، قد ولّيتك نَهاوَنْد ، فأنشِدنى بيتا من الغزل على هذا الشرط حتى أولّيك كورة أخرى، فقلت : قول الذى يقول :

تعالَىْ نجــدِّد دارس العِــلم بيننا(٢) * كلانا على طـــول الجفـاء مَلُوم

١٠ فقال : قد أحسنت، قد جعلت الخيار إليك فاختر، فاخترت السُّوس من كُوَر الأهواز ، فولانى ذلك أجمع ، ووجّهت إلى السوس بعض أهلى .

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد، عن التَّوَّزىّ قال: نزل أبو دُلامة بدهقانٍ(٣) يكنَى أبا بِشْر، فسقاه شرابا أعجبه، فقال فى ذلك :

سقانى أبو بشر من الراح شَربةً * لهـــا لذّةٌ ما ذُقتهـا لشراب

١٥ وما طبخوها غير أنّ غلامهمْ * سعى فى نواحى كَرْمها بشِهاب(٤)

قال : فأنشد على بن الخليل هذين البيتين فقال : أحرقه العبد أحرقه الله .

(١) هذا البيت والذى يليه لمسلم بن الوليد الأنصارى .

(٢) كذا فى الأصول : ولعله « الوصل » أو « العهد » كما يرشد إليه ما يأتى بعـد من قوله : « على طول الجفاء » .

٢٠ (٣) الدهقان : رئيس الإقليم ، فارسىّ معرّب .

(٤) الشهاب : شعلة من نار ساطعة ، شبه به الخمر .

تهنئة يزيد بن مزيد بمولوده

أخبرنى الحسن بن على، وعمى الحسن بن محمد، قالا : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى محمد بن عمران الضبىّ عن علىّ بن يزيد قال ، ولد ليزيد بن مَزْيَد[1] ابن ، فأتاه علىّ بن الخليل فقال : اسمع أيها الأمير تهنئةً بالفارس الوارد، فتبسّم وقال : هات، فأنشده :

يزيدُ يا بن الصِّيد من وائلٍ * أهلِ الرياسات وأهلِ المعالْ[2]

يا خير من أنجبَه[3] والد * ليَهنِك الفارسُ ليث النزالْ

جاءت به غرّاءُ ميمونة * والسعد يبدو فى طلوع الهلالْ

عليه من معْن ومن وائلٍ * سيمَا[4] تباشير وسيمَا جلال

والله يُبقيه لنا سيّدا * مدافعا عنّا صُروفَ الليالْ

حتى نراه قد علا منبرا * وفاض فى سُؤّاله بالنوال

وسدَّ ثغرًا[5] فكفى شرّه * وقارعَ الأبطالَ تحت العَوالْ

كما كفانا ذاك آباؤه * فيحتذى أفعالَهم عن مِثال

فأمر له عن كل بيت بألف دينار .

---

(١) ابن أخى معن بن زائدة الشيبانى . وكان يزيد بن مزيد أميرا شجاعا، وكان واليا لأرمينية ثم عزله عنها الرشيد سنة ١٧٢ ، ثم ولاه إياها وضم إليه أذربيجان سنة ١٨٣ ، وتولى محاربة الوليد بن طريف الشيبانى الخارجى وقتله سنة ١٧٩ ، وتوفى سنة ١٨٥ هـ (وفيات الأعيان ٢ : ٢٨٣) .

(٢) الصيد : جمع أصيد، وهو الملك ، ورافع رأسه كبرا ، والأسد .

(٣) الذى فى كتب اللغة : أنجب الرجل والمرأة إذا ولدا ولدا نجيبا أى كريما ، ولم يرد فيها أنجب متعديا .

(٤) السيما : العلامة .

(٥) الثغر : موضع المخافة من البلدان . والعوالى : رءوس الرماح .

المهدي يذكره بشعره في الخمر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني ابن الأعرابي المنجم الشيباني، عن علي بن عمرو الأنصاري، قال: دخل علي بن الخليل على المهدي فقال له: يا علي، أنت على معاقرتك الخمر وشربك لها؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: وكيف ذاك؟ قال: تبت منها. قال: فأين قولك؟:

أولعتْ نفسي بلذّتها * ما ترى عن ذاك إقصارا

٥

وأين قولك؟:

إذا ما كنتَ شاربَها فسرًّا * ودع قولَ العواذلِ واللّواحي[1]

قال: هذا شيء قلته في شبابي، وأنا القائل بعد ذلك:

على اللّذات والراح السلامُ * تقضّى العهدُ وانقطع الذّمامُ

مضى عهد الصّبا وخرجتُ منه * كما من غمده خرج الحسامُ

١٠

وقُرتُ على المَشيب فليس منّي * وصالُ الغانيات ولا المُدام[2]

ووَلّى اللهوُ والقَيْناتُ عنّي * كما ولّى عن الصبح الظلامُ

حلبْتُ الدهرَ أشطُرَه فعندي * لصَرف الدهرِ محمودٌ وذامُ[3]

مدحه معن ابن زائدة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون، عن علي بن عبيدة الشيباني، قال: دخل علي بن الخليل ذات يوم إلى معن بن زائدة

١٥

(١) اللواحي: جمع لاحية: وهي اللائمة.

(٢) وقر ككرم ووعد: رزن.

(٣) أشطره: أي أشطر الدهر. والمعنى أنه اختبر حالات الدهر: خيره وشره فعرف ما فيه، وهو مثل يضرب فيمن جرب الدهر. والذام: الذم.

فحادثه وناشده ، ثم قال له معن : هل لك فى الطعام ؟ قال : إذا نشط الأمير ، فأُتيا بالطعام ، فأكلا ، ثم قال : هل لك فى الشراب ؟ قال : إن سقيتنى ما أريد شربتُ ، و إن سقيتنى من شرابك فلا حاجة لى فيه ، فضحك ثم قال : قد عرفت الذى تريد ، وأنا أسقيك منه ، فأُتى بشراب عتيق ، فلما شرب منه وطابت نفسُه أنشأ يقول : ٥

يا صاحِ قد أنعمتَ إصباحى * ببارد السَّلسال والراح (١)

قد دارت الكأسُ برَقراقةٍ * حياةِ أبدانٍ وأرواح (٢)

تجرى على أغيدَ ذى رَونقٍ * مهذَّب الأخلاق جَحْجاح (٣)

ليس بفحّاش على صاحب * ولا على الراح بفضّاح

تسرّه الكأسُ إذا أقبلت * بريح أُترُجٍّ وتُفّاح (٤) ١٠

يَسعَى بها أزهرُ فى قُرطَقٍ * مقلَّد الجيد بأوضاح (٥)

كأنها الزّهرة فى كفّه * أو شُعلة فى ضوء مصباح

هجاؤه لدهقان — حدّثنا علىّ بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : كان لعلى بن الخليل الكوفى صديق من الدّهاقين يعاشره و يبرّه ، فغاب عنه مدّةً طويلة

---

(١) خمر سلسال : لينة . ١٥

(٢) كل شىء له بصيص وتلألؤ فهو رقراق ، وأراد بالرقراقة هنا الخمر .

(٣) غيد كفرح فهو أغيد : مالت عنقه ولانت أعطافه ، والجحجح والجحجاح : السيد .

(٤) فى الأصول : « فسره » وهو تحريف .

(٥) القرطق (بضم القاف وفتح الطاء وقد تضم) : لباس من ملابس العجم يشبه القباء ، معرب كرته . والأوضاح : جمع وضح كسبب ، وهو حلىّ من الفضة . ٢٠

وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالا ورفعة، وقويتْ حالُه ، فآدعى أنه من بنى تميم،
فجاءه علىّ بن الخليل فلم يأذن له ، ولقيه فلم يسلِّم عليه ، فقال يهجوه :

يَرُوح بِنِسبة المَوْلَى * ويصبح يَدَّعى العَرَبا
فلا هذا ولا هذا * ك يدركه إذا طَلَبا
أتيناه بشَبُّوطٍ[(١)] * ترى فى ظهره حَدَبا
فقال : أمّا لبخلك من * طعامٍ يُذهب السُّغُبا[(٢)]
فصد لأخيك يَرْبُوعا[(٣)] * وضَبًّا واترك اللعبا
فَرشتُ له قَريح المسـ[(٤)] * ـك والنَّسرينَ والغَرَبا
فأمسَكَ أنفَه عنها * وقام مولِّيًا هَرَبا
يَشَمُّ الشِّيحَ والقَيْصو[(٥)] * مَ كى يستوجبَ النسبا
وقام إليه ساقينا[(٦)] * بكأسٍ تَنظِم الحببا
معتَّقة مروَّقة * تسلِّى همَّ من شربا
فآلَى لا يُسلسلها[(٧)] * وقال آصبُبْ لنا حلبا

---

(١) الشبوط بالفتح ويضم : سمك دقيق الذنب، عريض الوسط، صغير الرأس .

(٢) السغب : الجوع .

(٣) اليربوع : دويبة نحو الفأر لكن ذنبه وأذناه أطول من ذنب وأذنى الفأر، ورجلاه أطول من يديه . والضب : دويبة من تشبه التمساح الصغير وذنبها كذنبه وتتلون كالحرباء .

(٤) القريح : الخالص، كالقراح . والنسرين : ورد، فارسى معرّب . والغرب : ضرب من الشجر .

(٥) القيصوم : من نبات البادية .

(٦) هذا البيت فى الأصول مقدم على سابقه ، وهو خطأ . يدل على ذلك سياق المعنى .

(٧) آلى : أقسم . وتسلسل الماء فى الحلق : جرى، وسلسله : صبه فيه . والحلب : اللبن المحلوب . وفى الأصول « زقا أصبب لنا حببا » وهو تحريف .

وقـد أبصرتُه دهـرا * طويلا يشتهى الأدبا
فصـار تشـبُّها بالقـو * م جِلفا جافيا جَشِبا (١)
إذا ذُكـر البَرِيرُ بكى * وأبدَى الشوقَ والطربا (٢)
وليس ضميرُه فى القـو * م إلّا التِّينَ والعنبا
تَجحـدتَ أباكَ نسـبتَه * وأرجو أن تفيـد أبا

قال علىّ بن سليمان : وأنشدنى محمد بن يزيد وأحمد بن يحيى جميعا لعلى بن الخليل فى هذا الذكر، وذكر ثعلب أن إسحاق بن إبراهيم أنشد هذه الأبيات لعلىّ، قال :

يأيّهـا الراغب عن أصله * ماكنتَ فى موضع تهجين (٣)
متى تعرَّبتَ وكنت امرأً * من الموالى صالحَ الدِّين
لوكنتَ إذ صرتَ إلى دِعوة * فزتَ من القـوم بتمكين (٤)
لكَفَّ من وجدى، ولكننى * أراك بين الضَّبِّ والنُّون (٥)
فلو تراه صـارفا أنفَـه * من ريح خِيرِىٍّ ونِسرين (٦)
لقلتَ : جِلفٌ من بنى دارمٍ * حَنَّ إلى الشِّـيح بِيَبْرِين (٧)
دُعْموصُ رملٍ زَلَّ عن صخرةٍ * يعـاف أرواحَ البساتين (٨)
تنبو عن الناعم أعطافُه * والخَزِّ والسِّنجابِ واللِّين (٩)

(١) الجلف : الجافى ، والجشب : الخشن الغليظ . (٢) البرير : ثمر الأراك .
(٣) التهجين : التقبيح . (٤) الدعوة فى النسب «بالكسر» : أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته . (٥) الوجد : الحـزَن . (٦) الخيرى بالكسر : المنثور الأصفر .
(٧) يبرين : رمل لا تدرك أطرافه ، من أصـقاع البحرين . (٨) الدعموص : دويبة صغيرة تكون فى مستنقع الماء . وسياق البيت يدل على أنه يريد به دويبة صحراوية لا مائية . يعاف : يكره . أرواح : جمع ريح . (٩) فى جـ «تنبو عن القاقم» وهو تحريف . والسنجاب : حيوان شعره فى غاية النعومة ، يتخذ من جلده الفراء ، يلبسه المتنعمون . انظر حياة الحيوان الكبرى للدميرى .

شعره في تعلق أحد أولاد المنصور بجارية

أخبرني جحظة ومحمد بن مزيد جميعا، قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه قال : كان عليّ بن الخليل جالسا مع بعض ولد المنصور، وكان الفتى يهوى جارية لعُتبة مَوْلاة المهدى، فمرّت به عُتبة في موكبها والجارية معها، فوقفتْ عليه وسلّمتْ، وسألت عن خبره، فلم يوفّها حقَّ الجواب، لشغل قلبه بالجارية، فلما ٥ آنصرفتْ أقبل عليه عليّ بن الخليل، فقال له :

راقِب بطَرْفك مَن تخا * ف إذا نظرت إلى الخليل
فإذا أمِنتَ لِحَاظَهم(١) * فعليك بالنظر الجميل
إن العيون تَدُلّ بالنّـ * ـظر المليح على الدَّخيل(٢)
إمّا على حبٍّ شديـ * ـدٍ أو على بُغض أصيل

١٠ أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعى قال : حدّثنا عيسى بن إسمعيل تينة قال : كان عليّ بن الخليل يَصحَب بعضَ ولد جعفر بن المنصور، فكتب إليه والبةُ آبنُ الحُباب يدعوه، ويسأله ألا يشتغل بالهاشمي يومَه ذلك عنه، ويصف له طِيبَ مجلسه وغناءً حصّله وغلاما دناه، فكتب إليه علي بن الخليل :

أمّا ولَحَاظِ جارية * تُذيب حُشاشة المُهَجِ(٣)
١٥ وسِحرِ جفونها المُضْنِيـ(٤) * ـك بين الفَتْر والدَّعَجِ

(١) لحاظهم، أي لحاظ من تخافهم، واللحاظ بالكسر : مصدر لاحظه أي راعاه. واللحاظ بالفتح : مؤخر العين مما يلي الصدغ .

(٢) في جـ « تذل » وفي جـ، ب، س « الرحيل » وهو تحريف .

(٣) الحشاشة : بقية الروح في المريض والجريح .

٢ (٤) الدعج : سواد العين مع سعتها، وأراد بالفتر هنا : الفتور قال الشاعر :

وقاصرة الطرف مكفوحة * بفتر الجفون وخون النظر

مليحــةُ كلِّ شيء ما * خلا من خُلْقها السَّمِج

وحُرْمــةِ دَنِّك المــبزو * لِ والصهباءُ منه تَجى[(١)]

كأنّ حَبيبَهــا فى الكأ * سِ حين تُصَبُّ من وَدَجِ[(٢)]

لو انعــرج الأنام إلى * بشاشــة مجلسٍ بَهِــج

وكنت بجانب جدْبٍ * لكان إليك مُنعرَجى

وصار إليه فى إثر الرقعة .

---

(١) بزل الخمر : ثقب إناءها ، و يقال للحديدة التى تفتح مَبزل الدن و بزال ومبزل لأنه يفتح بها ، وفى ب ، س « المبذول » ، والصهباء : الخمر .

(٢) الودج : عرق فى العنق .

أخبار محمد الزَّفّ (١)

نسبه وبعض أخباره

هو محمد بن عمرو مولى بنى تميم، كوفى الأصل والمولد والمنشأ، والزّف : لقب غلب عليه، وكان مغنّيا ضاربا طيّب المسموع، صالح الصنعة، مليح النادرة، أسرع خلق الله أخذا للغناء، وأصحهم أداء له، وأذكاهم، إذا سمع الصوت مرتين أو ثلاثا أدّاه لا يكون بينه وبين من أخذه عنه فرق، وكان يتعصب على ابن جامع، ويميل إلى إبراهيم الموصلى وابنه إسحاق، فكانا يرفعان منه، يقدّمانه ويجتلبان له الرفد والصلات من الخلفاء، وكانت فيه عربدة إذا سكر، فعربد بحضرة الرشيد مرّة فأمر بإخراجه، ومنعه من الوصول إليه، وجفاه وتناساه، وأحسبه مات فى خلافته أو فى خلافة الأمين .

أخبرنى بذلك ذكاء وجه الرزة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكّى المرتجِل .

أخبرنى ابن جعفر جحظة قال : حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : غنى ابن جامع يوما بحضرة الرشيد :

٢٠ / ١٣

ادّعاؤه غناء لابن جامع

صوت

جَسورٌ على هجرى، جبانٌ على وصلى * كَذوب غدا يستتبع الوعد بالمطلِ (٢)

مقدِّم رِجل فى الوصال مؤخِّر * لأخرى (٣)، يشوب الجدّ فى ذاك بالهزل

(١) فى الأصول « الرف » بالراء، وورد فى الجزء الخامس من الأغانى فى نسب إبراهيم الموصلى وأخباره « محمد الزف » بالزاى ، وقد رجح هذا أن الزف والزفيف معناه الإسراع ، وهو الملائم لما عرف عنه من أنه كان أسرع خلق الله أخذا للغناء. وانظر الأغانى جـ ١ ح ٢ من صفحة ٢٠٦ طبع دار الكتب المصرية .

(٢) فى جـ « كذوب غدا يبيع الوعد بالمطل » .

(٣) ساقطة من نسخة جـ .

يهـمّ بنـا حتى إذا قلتُ قـد دنا * وجاد ثَنى عِطفًا ومال إلى البخلِ (١)

يزيد امتناعا كلّمـا زدت صبوةً * وأزداد حرصا كلّمـا ضنّ بالبذل

فأحسن فيـه ما شاء وأجمـل ، فغمزت عليه محمـدا الزّفّ ، وفطن لمـا أردت ، واستحسنه الرشيد ، وشرب عليه ، واستعاده مرتين أو ثلاثا ، ثم قمت للصلاة وغمزت الزف وجاءنى ، وأومأت إلى مخارق وعلّويه وعقيد فجاءونى ، فأمرته بإعادة الصّوت ، فأعاده وأدّاه كأنه لم يزل يرويه ، فلم يزل يكرره على الجمـاعة حتى غنّوه ودار لهم ، ثم عدت إلى المجلس ، فلمـا انتهى الدّور إلىّ بدأت فغنّيته قبل كلّ شىء غنّيته ، فنظر إلىّ ابن جامع محدّدا نظره ، وأقبل علىّ الرشيد فقال : أكنت تروى هـذا الصـوت ؟ فقلت : نعم يا سـيدى . فقـال ابن جامع : كذب والله ، ما أخذه إلا منى الساعة . فقلت : هذا صوت أرويه قديما ، وما فيمن حضر أحد إلا وقد (٢) أخذه منى ، وأقبلت عليه ، فغناه علويه ثم عقيد ثم مخارق ، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه وحلف بحياته وبطلاق امرأته أن اللحن صنعه منذ ثلاث ليال ، ما سُمع منه قبل ذلك الوقت ، فأقبل علىّ فقال : بحياتى اصدقْنى عن القصة ، فصدّقتُه ، فجعل يضحك ويصفّق ويقول : لكل شىء آفة ، وآفة ابن جامعٍ الزّفّ .

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل أول بالبنصر ، والصنعة لابن جامع من رواية الهشامىّ وغيره .

قـوة حفظه وبراعته فى الغناء

قال أبو الفرج : وقد أخبرنى بهذا الخبر محمد بن مزيد ، عن حماد عن أبيه بخلاف هذه الرواية ، فقال فيه قال : محمـد الزّفّ أَروَى خلق الله للغناء ، وأسرعُهم أخذا لمـا سمعه منـه ، ليست عليـه فى ذلك كلفة ، وإنمـا يسمع الصوت مرّة واحدة

---

(١) ثنى عطفه : لوى عنقه معرضا . وفى الأصـول « غطفا » وفى جـ « وحادبنى » وهو تصحيف .

وقد أخذه ، وكنّا معــه فى بلاء إذا حضر ، فكان من غنّى منا صوتا فسأله عدوٌّ له أو صديق أن يلقيه عليه ، فبخل ومنعه إياه ، سأل محمدا الزّفّ أن يأخذه ، فما هو إلا أن يســمعه مرة واحدة حتى قــد أخذه وألقاه على من سأله ، فكان أبى يبرّه ويصله ويُجديه[1] من كل جائزة وفائدة تصل اليــه ، فكان غناؤه عنده حِمى مصونا لا يقربه ، ولم يكن طيّبَ المسموع ، ولكنّه كان أطيب الناس نادرةً ، وأملحَهم مجلسا ، وكان مغرى بابن جامع حاصة من بين المغنّين لبخله ، فكان لا يفتح ابن جامع فاه بصوت إلا وضع عينه عليه ، وأصغى سمعَه[2] إليه ، حتى يحكيه ، وكان فى ابن جامع بخل شديد لا يقدر معه على أن يسعفه ببرّ ورفد ، فغنّى يوما بحضرة الرشيد :

صـــــوت

أرسلت تُقرئُ السلامَ الرَّبابُ[3] * فى كتابٍ وقــد أتانا الكتابُ
فيه : لو زُرتَنا لزرناك ليــلا * بِمِنًى حيث تســتقلّ[4] الركاب
فأجبتُ الرَّباب : قدزرتُ لكن * لىَ منكم دون الحجاب حجاب
إنمــا دهرك العتــاب وذمّى * ليس يبــقى على المحبّ عتابُ

غناء لابن جامع بحضرة الرشيد

١٢/١٣

ولحنه من الثقيل الأول ، فأحسن فيــه ما شاء ، ونظرتُ إلى الزّفّ فغمزتُه وقمت إلى الخلاء ، فإذا هو قد جاءنى ، فقلت له : أى شىء عملت ؟ فقال : قد فرغت لك منــه ، قلت : هاته ، فرده علىّ ثلاثَ مرات ، وأخذتُه وعدت إلى مجلسى ، وغمزتِ عليه عقيدا ومخارقا ، فقاما ، وتبعَهما فألقاه عليهما ، وابن جامع لا يعرف الخبر ، فلما عاد إلى المجلس أومأت إليهما أسألها عنه ، فعرّفانى أنهما قد أخذاه ، فلما بلغ

(١) أجداه : أعطاه الجدوى وهى العطية . (٢) أصغى : أمال .
(٣) فى جـ « أقرنا » . (٤) استقلوا : مضوا وارتحلوا .

الدّور إلىّ كان الصوت أوّل شىء غنّيته، فحدّد الرشيد نظره إلىّ، ومات ابن جامع وسُقط فى يده (١)، فقال لى الرشيد : من أين لك هذا ؟ قلت : أنا أرويه قديما، وقد أخذه عنى مخارق وعقيد، فقال : غنّياه . فغنّياه، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه ثم حلف بالطلاق ثلاثا بأنه صنعه فى ليلته الماضية، ما سبق إليه ابن جامع أحد، فنظر الرشيد إلىّ، فغمزته بعينى أنه صدق، وجدّ الرشيد فى العبث به بقيّة يومه، ثم سألنى بعد ذلك عن الخبر، فصدّقته عنه وعن الزّفّ، فجعل يضحك ويقول : لكل شىء آفة، وآفة ابن جامع الزّفّ، قال حماد : وللزّفّ صنعة يسيرة جيّدة منها فى الرمل الثانى :

صــــوت

لمن الظعـائن سيرُهنّ تزحُّفُ * عَوْمَ السَّفِينِ إذا تقاذَفَ مِجذَفُ (٢)

مرّت بذى حُسُمٍ كأنّ حُمولَهـا * نخل بيـثرِبَ طلعُهـا متزحِّفُ (٣)

فلئن أصابتْنى الحـروب لربّمـا * أُدعَى إذا مُنِع الرِّدافُ فأردِفُ (٤)

فأثـير غاراتٍ وأشهد مَشْهَدا * قلبُ الجبان به يَطيش فيرجُفُ

قال : ومن مشهور صنعته فى هذه الطريقة :

---

(١) سقط فى يده وأسقط «مضمومتين» : تحيّر .

(٢) تزحف : من تزحف الصبى على الأرض أو على بطنه، قبل أن يمشى . والسفين : جمع سفينة، ومجداف السفينة ومجذافها بالدال و بالذال : لغتان فصيحتان . وفى جـ « يحذف » .

(٣) ذو حسم : موضع بالبادية، وجاء فى شعر المهلهل :

أليلتنا بذى حسم أنيرى * إذا أنت انقضيت فلا تحورى

والحمول : الهوادج، أو الإبل عليها الهوادج، واحدها حمل بالكسر ويفتح، يثرب : المدينة المنورة .

(٤) أردفه معه : أركبه؛ وردفه بالكسر وأردفه : ركب خلفه .

صـــوت

إذا شئت غنّتنى بأجراع بِيشةٍ * أو النخل من تَثْليثَ أو من يَلَمْلَما [(١)]

مطوّقــةٌ طَـوْقا وليس بِحِلْيَــةٍ * ولا ضربَ صوّاغٍ بكفّيه دِرهما

تُبكّى على فرخٍ لهــا ثم تغتــدى * مدلّهــةً تَبـغى له الدهرَ مَطعما [(٢)]

٥ تؤمل منــه مؤنسا لانفــرادها * وتبكى عليــه إن زَقَا أو ترنّمــا [(٣)]

ومن صنعته فى هذه الطريقة :

صـــوت

يا زائرَيْنــا من الخيامِ * حيّــاكما الله بالسلامِ

يَحـزُنُنى أن أطعتُمانى * ولَمْ تَنالا سوى الكلام

١٠ بُورِكَ هارونُ من إمامٍ * بطاعة الله ذى اعتصامِ

له إلى ذى الجلال قُربَى * ليست لعدل ولا إمام

وله فى هذه الطريقة :

صـــوت

٢٢/١٣ بان الحبيبُ فلاحَ الشّيبُ فى راسى * وبتُّ منفردا وحدى بِوَسْواسِ

١٥ ما ذا لقيتُ فدتكِ النفسُ بعدَكم * من التـبرم بالدنيــا وبالنــاس

لو كان شىء يسلى النفسَ عن شَجَنٍ * سلّت فؤادىَ عنكم لذةُ الكاس [(٤)]

---

(١) بِيشة : من عمل مكّة مما يلى اليمن ، وهى من مكّة على خمس مراحل ، بها من النخل شىء كثير. وفى جـ ، وب «شبية» . والأجراع : جمع جرع بالتحريك ، وهو الرملة الطيبة المنبتة السهلة المستوية . تثليث : موضع بالحجاز قرب مكّة . يلملم : موضع على ليلتين من مكّة ، وهو ميقات أهل اليمن .

٢٠ (٢) المدله : الساهى القلب ، الذاهب العقل .

(٣) زقا الطائر يزقو : صاح . (٤) الشجن : الهمّ والحزن .

شعر لأبى الشبل البرجمىّ

صــــوت

بأبى رِيمٌ رَمَى قلـ * ـبى بألحاظ مِراضِ[1]

وحَمى عينىَ أن تلـ * ـتذَّ طِيبَ الإغتماض

كلّما رُمْتُ انبساطا * كفَّ بَسْطِى بانقباض

أو تعالَى أملى فيـ * ـه رَمَاهُ انخفاض

فمتى ينتصفُ المظـ * ـلُومُ والظالمُ قاضى

الشعر لأبى الشِّبْل البُرْجُمِىّ ، والغناء لعَثعث الأسود ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، وفيه لكثير رمل ، ولُبنان خفيف رمل .

---

(١) الرئم : الظبى الخالص البياض .

أخبار أبى الشِّبل ونسبه

نسبه

أبو الشبل اسمه عاصم بن وهب من البراجم ، مولده الكوفة ، ونشأ وتأدّب بالبصـــرة .

مجونه واتصاله بالمتوكل

أخبرنى بذلك الحسن بن على ، عن ابن مهرويه ، عن على بن الحسن الأعرابى . وقدِم إلى سُرَّ مَن رأى فى أيّام المتوكّل ومدحه ، وكان طَيِّبًا[1] نادرا ، كثير الغزل ماجنـا ، فنفَق[2] عند المتوكّل بإيثاره العَبَث ، وخَدَمَه ، وخُصَّ به ، فأثرَى وأفاد ، فذكر لى عمّى عن محمـد بن المرزُبان بن الفيرزان عن أبيه أنّه لمـا مدحه بقوله :

أقبِـلى فالخيرُ مقبـلْ * واتركى قـولَ المعلِّلْ
وثِقِى بالنُّجح إذ أبـ * ـصرت وجه المتوكِّل
ملِكٌ يُنصِـف ياظا * لمتى فيـك ويَعـدلْ
فهُـو الغـايةُ والمـأ * مـول يرجوه المؤمِّـلْ

أمر له بألف درهم لكل بيت ، وكانت ثلاثين بيتا ، فانصرف بثلاثين ألفَ درهم .

الغناء فى هذه الأبيات لأحمد المكّى رمل بالبنصر .

أخبرنى يحيى بن على ، عن أبى أيوب المدينى ، عن أحمد بن المكّى قال : غنّيتُ المتوكّل صوتا شعرُه لأبى الشبل البُرْجُمِىّ وهو :

أقبِـلى فالخيرُ مقبلْ * ودعى قـول المعلِّل

(١) فى الأصول : « طيبا » وهو تحريف .
(٢) نفق : راج .

فأمر لى(١) بعشرين ألف درهم ، فقلت : ياسيدى أسأل الله أن يبلّغك الهُنَيدة . فسأل عنها الفتح فقال : يعنى مائة سنة ، فأمر لى بعشرة آلاف أخرى .

وحدّثنيه الحسن بن على عن هارون بن محمد الزيات ، عن أحمد بن المكى مثله .

دعته جاريته فقال شعرا

حدّثنى الحسن بن على قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى أبو الشبل عاصم ابن وهب الشاعر ، وهو القائل :

أَقبِلى فالخير مقبلْ * ودعى قولَ المعلِّلْ

٢٣/١٣

قال : كانت لى جارية اسمها سُكْر ، فدخلتُ يوما منزلى ولبستُ ثيابى لأمضى إلى دعوة دُعيتُ إليها ، فقالت : أقِم اليومَ فى دعوتى أنا ، فأقمتُ وقلت :

أنا فى دعوةِ سُكْرٍ * والهوى ليس بمنكَرْ

كيف صبرى عن غزالٍ * وجهُه دلو مُقَيَّرْ(٢)

فلما سَمِعَت الأوّل ضحكتْ وسُرّت ، فلما أنشدتُها البيتَ الثانىَ قامت إلىّ تضربنى(٣) وتقول لى : هذا البيت الأخير الذى فيه «دلوٌ» لِمالكٍ(٤) ، لولا الفضول ، فما زالت — يعلم الله — تضربنى حتى غُشى علىّ .

مدحه مالك ابن طوق ثم ذمه

وذكر ابن المعتز أن أبا الأغر الأسَدىّ حدّثه قال : مدح أبو الشبل مالكَ ابنَ طَوْق بمدح عجيب ، وقدّرَ منه ألفَ درهم ، فبعث إليه صُرّةً مختومة فيها مائة دينار ، فظنّها دراهمَ ، فردّها وكتب معها قوله :

فليت الذى جادت به كفُّ مالكٍ * ومالكُ مَدسوسان فى آستِ آمِّ مالكِ

فكان إلى يوم القيامة فى آستها * فأيسَرُ مفقودٍ وأيسَرُ هالك

(١) فى س « فأمر له » وهو تحريف . (٢) مقير : مطلى بالقار أو القير : وهو الزفت .

(٣) فى الأصول « لتضربنى » .

(٤) كذا فى الأصول .

وكان مالك يومئذ أميرا على الأهواز ، فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره، فأحضر ، فقال له : ياهذا ظلمتنا واعتديت علينا ، فقال : قد قدّرتُ عندك ألف درهم فوصلتني بمائة درهم ، فقال : افتحها ، ففتحتُها فإذا فيها مائة دينار ، فقال : أقلني أيها الأمير . قال : قد أقلتُك، ولك[1] عندى كلّ ما تحب أبدا ما بقيتُ وقصدتني .

رثاؤه لطبيب

٥ حدّثنا الحسن بن على قال . حدّثنا ابن مهرويه قال : قال لى أبو الشبل البُرْجُميّ : كان في جيراني طبيب أحمق ، فمات فرثيته فقلت :

قد بكاه بولُ المريضِ بدمعٍ * واكِفٍ فوق مُقلتيه ذَرُوفِ[2]

ثم شقّت جيوبَهن القوارير * رُ عليه ونُحْنَ نوحَ اللَّهيفِ[3]

ياكسادَ الخيارِ شَنْبَرَ والأقـ * ـراصِ طرًّا ويا كسادَ السُّفوفِ

١٠ كنتَ تمشي مع القويّ فإن جا * ء ضعيفٌ لم تكترثْ بالضّعيفِ

لهفَ نفسي على صُنوفٍ رَقَاعا * تٍ تولّت منه وعقلٍ سخيفِ[4]

عبثه بخالد بن الوليد

حدّثنا الحسن قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنا أبو الشبل قال : إنّ[5] خالد ابن يزيد بن هُبَيرة كان يشرب النبيذ، فكان يغشانا ، وكانت له جارية صفراء مغنّية يقال لها لَهَب، فكانت تغشانا معه، فكنت أعبث بهما كثيرا ويشتُمانى،

١٥ فقام مولاها يوما إلى الخابية يَستقى نبيذا، فإذا قميصه قد انشقّ، فقلت فيه:

قالت له لهبٌ يوما وجادَلَها * بالشعر في باب فَعْلانٍ ومفعولِ

أمّا القميص فقد أودى الزمان به * فليت شعري ما حال السراويلِ؟

(١) في الأصول : « ولكن » ؛ وهو تحريف .

(٢) وكف الدمع : سال . وذرف الدمع : سال أيضا . والذي في كتب اللغة : « دمع ذريف أي مذروف ، قال الشاعر : ما بال عيني دمعها ذريف » .

٢٠ (٣) اللهيف : الملهوف . (٤) الرقاعة : الحمق . وفي س « رفاعات » وهو تصحيف .

(٥) في جـ « حدثنا خالد بن يزيد بن هبيرة ، وكان » .

فبلغ الشعرُ أبا الجَهْم أحمد بن يوسف فقال :

حالُ السراويل حالٌ غيرُ صالحة * تحكى طرائقُه نَسجَ الغرابيل

وتحته حفرة قَوْراء واسعة * تسيل فيها مَيازيبُ الأحاليل (١)

قال أبو الشبل : وكانت أمّ خالد هذا ضَرّاطة، تضرط على صوت العيدان وغيرها

في الإيقاع، فقلت فيه :

في الحَيّ مَن لا عدِمتُ خُلّتَه * فتًى إذا ما قطعتُه وَصَلا (٢)

له عجوز بالحَبْق أبصرُ مَنْ * أبصرتَه ضارِبًا ومرتجِلا (٣)

نادمتُهَا مَرّةً وكنت فتًى * ما زلتُ أهوَى وأشتهى الغزَلا

حتى إذا ما أمالَهَا سَكَرٌ * يَبعث في قلبها لها مَثَلا

اتّكأتْ يَسرةً وقد حَرَقتْ * أشراجَها كى تقوِّم الرَّمَلا (٤)

فلَمْ تزل بآستها تُطارِحنى * اسمَعْ إلى مَن يَسومُنى العِللا (٥)

عرض شعره على المازنى فذمه

حدّثنى الحسن قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى أبو الشبل قال : لما عَرَض لى الشعرُ أتيتُ جارا لى نحويًّا، وأنا يومئذ حديث السنّ — أظنه قال إنه المازنىّ — فقلت له : إن رجلا لم يكن من أهل الشعر ولا من أهل الرواية قد جاش صدرُه بشىء من الشعر، فكره أن يُظهِرَه حتى تسمعَه . قال : هاته،

(١) قوراء : واسعة . الأحاليل : جمع إحليل بالكسر، وهو مخرج البول من ذكر الإنسان .

(٢) الخلة : الصداقة المختصة لا خلل فيها . (٣) الحبق : الضراط .

(٤) حرق الشىء : حك بعضه ببعض، وفى ب، س « حرفت » وهو تصحيف . أشراج : جمع شرج، جاء فى اللسان : الشرج كشمس وسبب والأول أفصح : أعلى ثقب الأست . وفى القاموس : الشرج كسبب : فرج المرأة .

(٥) فى س «استها» وفى ب « استهام » وهو تحريف وفى جـ، ب، س «يزل ...... يطارحنى» وهو تصحيف .

وكنتُ قد قلت شعرا ليس بجيّد، إنما هو قول مبتدئ، فأنشدته إياه، فقال : مَن العاضّ بَظْرَ أمّه القائلُ لهذا؟ فقمت خجِلا، فقلت لأبى الشبل: فأى شىء قلت له أنت؟ قال : قلت فى نفسى : أعضّك الله بَظْر أمّك وَبَهَضَك[1].

بعض نوادره

أخبرنى عمّى عن محمد بن المَرْزُبان بن الفيرزان قال : كنت أرى أبا الشبل كثيرا عند أبى، وكان إذا حضر أضحك الثُّكْلَى بنوادره، فقال له أبى يوما : حدِّثنا ببعض نوادرك وطرائفك؛ قال : نعم، من طرائف أمورى أن آبنى زَنَى بجارية سِنْدية لبعض جيرانى ، فحبِلتْ وولَدتْ ، وكانت قيمةُ الجارية عشرين دينارا، فقال : يا أبت، الصبىُّ والله آبنى ، فساومتُ به ، فقيل لى : خمسون دينارا، فقلت له : ويلك ! كنت تخبرنى الخبر وهى حُبلى فأشتريها بعشرين دينارا، ونربح الفضل بين الثَّمَنَين ، وأمسكتُ عن المساومة بالصبىّ حتى آشتريتُه من القوم بما أرادوا . ثم أحبلها ثانيا فولدتْ له آبنا آخر، فجاءنى يسألنى أن أبتاعه، فقلت له : عليك لعنة الله، ما يحملك على أن تُحبِل هذه ؟ فقال : يا أبت لا أستحبّ العَزْل[2]، وأقبل على جماعة عندى يعجّبهم منّى، ويقول : شيخ كبير يأمرنى بالعَزْل ويستحلّه ! فقلت له : يآبن الزانية، تستحلّ الزنا وتتحرّج من العَزْل ! فضحكنا منه .

خبره مع خمار يهودى

وقلت له : وأىّ شىء أيضا ؟ قال : دخلت أنا ومحمود الورّاق إلى حانة يهودىّ خَمّار، فأخرج إلينا منها شيئا عجيبا، فظننّاه خمرا بنتَ عشر، قد أنضجَها الهَجير[3]، فأخرج إلينا منها شيئا عجيبا وشربنا، فقلت له : آشرب معنا، قال : لا أستحلّ

(١) فى ج « ونهضتك » ، وفى ، س « وبهضتك » وهو تحريف . والصواب ما أثبتنا ، يقال : بهضنى الأمر وأبهضنى ، أى فدحنى . وبالظاء أكثر .

(٢) هو من عزل المجامع عن المرأة عزلا ، إذا قارب الإنزال نزع وأمنى خارج الفرج .

(٣) الهجير : نصف النهار عند اشتداد الحر .

شُربَ الخمر، فقال لى محمود: وَيْحك! رأيت أعجب ممّا نحن فيه. يهودىّ يتحرّج من شرب الخمر، ونشربها ونحن مسلمون! فقلت له: أجَلْ، والله لا نُفلح أبدا، ولا يَعبأ الله بنا، ثم شربْنا حتى سَكِرنا، وقمنا فى الليل فنكنا بنتــه وآمرأتَه وأختَه، وسرقْنا ثيابَه، وخَرِينا فى نقِيرات (١) نبيذٍ له وآنصرفْنا.

هجاؤه هبة الله ابن ابراهيم

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولى قال: أخبرنا عون بن محمد الكِنْدىّ، قال: وقعتْ لأبى الشبل البُرْجُمىّ إلى هبة الله بن إبراهيم بن المهدىّ حاجة فلم يقضِها فهجاه، فقال:

صَلَفٌ تندقُّ منــه الرقبــهْ * وَمسـاوٍ لم تُطقْها الكَتَبَهْ
كلّمـا بادَرَه رَكْبٌ بمـا * يشتهيه منــه نادَى يا أبَهْ (٢)
ليتــه كان آلتوى الفُرْجُ به * لم يزد فى هاشمٍ هذى هِبَهْ

يعنى غلاما لهبة الله كان يسمّى بدرا، وكان غالبا على أمره.

حدّثنى الصُّولى قال: حدّثنى القاسم بن إسماعيل قال: قال رأى أبو الشبل إبراهيمَ بنَ العبّاس يكتب، فأنشأ يقول:

ينظِّم اللؤلؤَ المنثورَ مَنطقُـه * وينظِمُ الدرَّ بالأقلام فى الكُتُبِ

حدّثنا الحسن بن علىّ قال: حدّثنا آبن مهرويه قال: حدّثنى أبو الشبل البرجمى قال: حضرتُ مجلس عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وكان إلىّ محسنا، وعلىّ مُفْضِلا،

---

(١) فى ب، س «نقارات» وفى جـ «بقارات» وهو تحريف والصواب ما أثبتنا جاء فى كتب اللغة: «والنقير أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيــه التمر ويلق عليه المـاء فيصير نبيذا مسكرا» ثم جمع نقير على نقيرات على تقدير أنه مؤنث معنى، إذ هو فى معنى باطية.

(٢) نادى يا أبه: يريد نادى غلامه «بدرا» مستعينا به على قضاء حاجة ذلك الركب، إذ كان غلامه صاحب أمره ومسيطرا عليه كأنه أبوه.

فجرى ذكرُ البرامكة، فوصَفهم الناس بالجود، وقالوا فى كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثروا، فقمتُ فى وسط المجلس. فقلت لعبيد الله : أيها الوزير، إنى قد حكمتُ فى هذا الخطب حكما نظمته فى بيتَىْ شعرٍ لا يقدر أحد أن يرّده علىّ، وإنما جعلته شعرا ليدور ويَبقَى، فيأذن الوزير فى إنشادهما قال : قل، فرُبّ صوابٍ قد قلتَه،

٥ فقلت :

رأيتُ عبيــدَ الله أفضلَ سُــودَدًا * وأكرمَ من فضلٍ ويحيى بنِ خالدِ

أولئــك جادوا والزّمانُ مُســاعِدٌ * وقد جاد ذا والدّهرُ غيرُ مُســاعِدِ

فتهلّل وجهُ عبيد الله وظهر السرور فيه، وقال : أفرطتَ أبا الشِّبْل، ولا كلّ هذا، فقلت : والله ما حَابيْتُك أيهــا الوزير، ولا قلت إلّا حقّا، واتبعنى القوم فى وصفه

١٠ وتقريظه، فما خرجت من مجلسه إلا وعلىّ الخِلَع، وتحتى دابّة[1] بسَرجه ولجامه، وبين يدىّ خمسةُ آلافِ درهم .

قصته مع جاريتين

حدّثنى الحسن قال : حدّثنا ٱبن مهرويه قال : حدّثنى على بن الحسن الشيبانى قال : حدّثنى أبو الشِّبْل الشاعر قال : كنت أختلف إلى جاريتين من جوارى النخّاسين[2] كانتــا تقولان الشعر، فأتيت إحداهما فتحدّثتُ إليهــا، ثم أنشدتُها بيتا

١٥ لأبى المستهِلّ شاعرِ منصور بن المهدىّ فى المعتصم :

أَقام الإمامُ منَــارَ الهُــدَى * وأخرَسَ ناقوسَ عَمُّورِيه[3]

(١) تطلق الدابة على الذكر والأنثى .

(٢) النخّاس : بيّاع الرقيق .

(٣) عمّورية : بلد من بلاد الروم (الأناضول) فتحها المعتصم سنة ٢٢٣ هـ .

ثم قلت لها : أجيزى؛ فقالت :

كسانى المليكُ جلابيبَه * ثيابٌ عَلاها بسَمُّورِيه[(١)]

ثم دَعتْ بطعام فأكلْنا، وخرجتُ من عندها، فمضيت إلى الأخرى، فقالت : من أين يا أبا الشبل ؟ فقلت : مِن عنـد فلانة ، قالت : قد علمتُ أنّك تبدأ بهـا — وصدقتْ، كانت أجملَهما فكنْتُ أبدأ بها — ثم قالت : أما الطعام فأعلم أنه لا حيلة لى فى أن تأكله، لعلمى بأنّ تلك لا تدَعُك تنصرف أو تأكل . فقلت : أجل . قالت : فهل لك فى الشراب؟ قلت : نعم، فأحضرتْه وأخذْنا فى الحديث، ثم قالت : فأخبِرنى مادار بينكما؟ فأخبرتُها ، فقالت : هذه المسكينة كانت تجد البرد، وبيتُها أيضا هذا الذى جاءت به يحتاج إلى سمّورية، أفلا قالت :

فأضحَى به الدِّين مستبشرا * وأضحت زِنادُهـا وارِيه[(٢)]

فقلت : أنت والله أشعَرُ منها فى شِعرِها ، وأنت والله فى شعرك فوق أهل عصرك. والله أعلم .

شعره فى الشيب

أخبرنا الحسن قال : حدّثنا آبن مهرويه قال : أنشدنى أبو الشبل لنفسه :

عَذِيرى مِن جَـوارى الحـ ـى إذ يَرغبن عن وصـلى[(٣)]

رأين الشيبَ قـد ألبـ * ـسنى أُبَّهـةَ الكَهْــل

فأعرضْنَ وقــد كنّ * إذا قيـل أبو الشــبل

تَســاقَين فرقَّعن الـ * ـكُوَى بالأعيُن النُّجل[(٤)]

(١) سمّورية : نسـبة إلى سمور (وياء النسب هنا مخففة) وسمّور : دابة تتخـذ من جلدها فراء غالية الأثمان .

(٢) ورى الزند كوعى وولى : خرجت ناره .

(٣) العذير : العاذر .

(٤) الكوى : جمع كوّة بالفتح وبضم ، وهى الخرق فى الحائط .

قال : وهذا سرقه من قول العُتْبىّ :

رأين الغوانى الشيب لاح بمَفرِقى * فاعرضْن عنّى بالخدود النواضِر

وكنّ إذا أبصرننى أو سمعننى * سَعَيْن فرقّعن الكُوَى بالمحَاجر (١)

خبره مع حاتم ابن الفرج

حدّثنى الحسن قال : حدّثنى آبن مهرويه قال: حدّثنى أبو الشبل قال : كان حاتم بن الفرج يعاشرنى و يدعونى، وكان أهتم، قال أبو الشبل : وأنا أهتم، وهكذا كان أبى وأهل بيتى، لا تكاد تَبقَى فى أفواههم حاكّة (٢)، فقال أبو عمر أحمد بن المنجّم :

لِحاتِمٍ فى بُخْـله فِطنـةٌ * أدقُّ حِسّا من خُطا النمْلِ

قد جعل الهُتْمانَ (٣) ضَيْفا له * فصار فى أمنٍ من الأكْل

ليس على خبز آمرئ ضَيعةٌ * أكِلُه عُصْمُ (٤) أبو الشبل

ما قدرُ ما يحمله كفُّه * إلى فـمٍ من سِنّه عُطْلِ (٥)

فحاتمُ الجُـود أخو طيءٍ * مضى وهـذا حاتمُ البخل

شعره فى جارية سوداء يحبها

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حدّثنى أبو العَيْناء قال : كانت لأبى الشبل البُرْجُمى جارية سوداء، وكان يحبّها حبّا شديدا، فعوتب فيها، فقال :

---

(١) المحاجر : جمع محجر كمجلس ومنبر وهو من العين ما دار بها و بدا من البرقع .

(٢) الحاكّة : السنّ . (٣) هتمان : جمع أهتم — ولم يرد فى كتب اللغة — وقد جاء فعلان فى كلام العرب جمعا لأفعل كأسود وسودان وأبيض و بيضان وأحمر وحمران . وضيف هنا للجمع، جاء فى كتب اللغة : «الضيف للواحد والجميع، وقد يجمع على أضياف وضيوف وضيفان، وهي ضيف وضيفة» وقد ورد فى القرآن الكريم للجمع، قال تعالى : «هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين» وقال : «إن هؤلاء ضيفى فلا تفضحون» .

وقد سقطت كلمة «له» من جـ، وفيها أيضا «فى أمر» وهو تحريف .

(٤) عصم : سمت العرب عاصما وعصما .

(٥) استفهام يراد به النفى؛ أى لا قدر له .

غدتْ بطولِ الملام عاذلةٌ * تلومُنى فى السواد والدَّعَجِ[1]

ويحكِ كيف السلوّ عن غُرَرٍ * مفترِقات الأرجاءِ، كالسَّبَجِ[2]

يحملن بين الأفخاذ أسْنِمَةً * تحرق أوبارها من الوَهَجِ[3]

لا عذّب الله مسلما بهمُ * غيرى ولا حان منهمُ فرَجى[4]

فإنّنى بالسواد مبتهِجٌ * وكنتُ بالبيض غيرَ مبتهِجِ

هجاؤه جارية لهاشم النحوى

حدّثنى عمى قال: حدّثنى أحمد بن الطيّب قال: حدّثنى أبو هريرة البصرى النحوىّ الضرير قال: كان أبو الشبل الشاعر البرجمى يعابث قَينة لهاشم النحوى يقال لها خَنْساء، وكانت تقول الشعر، فعبِث بها يوما فأفرط حتى أغضبها، فقالت له: ليت شعرى، بأىّ شىء تُدِلّ؟ أنا والله أشعرُ منك، لئن شئت لأهجونّك حتى أفضحك، فأقبل عليها وقال:

حسناءُ قد أفرطتْ علينا * فليس منها لنا مجيرُ

تاهت بأشعارها علينا * كأنّما ناكَها جريرُ

قال: فخجلتْ حتى بان ذلك عليها وأمسكتْ عن جوابه.

شعره فى ذم المطر

٢٧ / ١٣

قال عمى: قال أحمد بن الطيّب: حدّثنى أبو هريرة هذا قال: حدّثنى أبو الشبل أنها وعدتْه أن تزوره فى يوم بعينه كان مولاها غائبا فيه، فلما حضر ذلك اليوم جاء مطرٌ منعَها من الوفاء بالموعد، قال: فقلتُ أذمّ المطر:

(١) فى الأصول «عذرت»، «وهو تحريف لا يستقيم به الوزن والمعنى. ولعل صوابه ما أثبتنا. والدعج: سواد العين مع سعتها.

(٢) الأرجاء: النواحى. مفترقات الأرجاء: أى لكل منهن ناحية من الحسن خاصة. السبج: خرز أسود، معرب.

(٣) الوهج: اتقاد النار.

(٤) يلاحظ أنه استعمل هنا ضمير جماعة الذكور موضع ضمير جماعة الإناث.

دع المواعيدَ لا تَعرِض لوجْهتها * إن المواعيد مقرونٌ بها المطَرَ
إن المواعيد والأعيادَ قد مُنِيَتْ * منه بأنكدِ ما يُمنَى به بَشَرُ [١]
أمّا الشباب فلا يغررْك إن غسلتْ * صَحوٌ شديد ولا شمس ولا قمر
وفى الشخوص له نوءٌ وبارقةٌ * وإن تبيّت فذاك الفالجُ الذكَر [٢]
٥ وإن هممتَ بأن تدعو مغنّيةً * فالغيث لاشكّ مقرونٌ به السَّحَر

هجاؤه مولى عبيد الله ابن يحيى

حدّثنى عمى قال : حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال : كان لعبيد الله بن يحيى ابن خاقانَ غلام يقال له نسيم ، فأمره عبيدالله بقضاء حاجة كان أبو الشبل البُرْجُمىّ سأله إيّاها ، فأخّرها نسيم ، فشكاه إلى عبيد الله ، فأمر عبيدالله غلاما له آخرَ فقضاها بين يديه ، فقال أبو الشّبل يهجو نسيما :

١٠ قل لنسيمٍ أنت فى صورة * خُلقتَ من كلبٍ وخنزيرَه
رَعَيت دهرا بعد أعفاجها [٣] * فى سَلْح مخمورٍ ومخموره
حتى بدا رأسك من صَدْعها [٤] * زانية بالفسق مشهوره
لا تقرب الماء إذا أجنَبَتْ [٥] * ولا تَرَى أن تقربَ النُّوره
ترى نباتَ الشَّعر حولَ استها * دَرابزينًا [٦] حول مقصُوره

١٥ (١) منيت : ابتليت .
(٢) شخص شخوصا : خرج من موضع إلى غيره . تبيته عن حاجته : حبسه عنها . والفالج : الشلل . والذكر : يعنى القـوىّ الشديد ، من قولهم : مطر ذكر أى شديد وابل ، وقول ذكر أى صلب متين ، وشعر ذكر أى فحل . (٣) الأعفاج : الأمعاء .
(٤) الصدع : الشق ، أراد به فرجها . وفى الأصول « من صدغها » وهو تصحيف .
٢٠ (٥) أجنبت : من الجنابة أى كانت جنبا . والنـورة : حجر يحرق ويسوى منه الكلس ويضاف إليه أخلاط ويحلق به شعر العانة .
(٦) الدرابزين : قوائم مصفوفة تعمل من خشب أو حديد تحاط بها السلالم وغيرها . فارسية ، وهى الجلفق (كجعفر) .

هجاؤه محمد ابن حماد

حدّثنى عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدّثنى ابن مهرويه قال : كان أبو الشبل يعاشر محمد بن حماد بن دلقيش ، ثم تهاجرا بشىء أنكره عليه ، فقال أبو الشبل فيه :

لابن حمّاد أيادٍ * عندنا ليست بدون
عنده جارية تشـ * ـفى من الداء الدفين
ولها فى رأس مولا * ها أكاليلُ قُرون
ذات صَدْعٍ(١) حاتمىّ الـ * ـفعل فى كِنٍّ مَكين
لا يَرى مَنْعَ الذى يحـ * ـوى ولو أمّ البنين

شعره فى كبش كسر قنديله

حدّثنى عمى قال : حدّثنى أحمد بن الطيب قال : حدّثنى أبو هريرة النحوىّ قال : كان أبو الشبل البرجمى قد اشترى كبشا للأضحى ، فجعل يعلفه و يسمّنه ، فأفلت يوما على قنديل له كان يُسرجه بين يديه ، وسراجٍ وقارورةٍ للزيت ، فنطحه فكسره ، وانصبّ الزيت على ثيابه وكتبه وفراشه ، فلما عاين ذلك ذبح الكبشَ قبلَ الأضحى ، وقال يرثى سراجَه :

يا عين بكّى(٢) لفقد مسْرَجةٍ * كانت عمود الضياء والنور
كانت إذا ما الظلام ألبسنى * من حِندِس(٣) الليل ثوبَ ديْجور
شقّت بنيرانها غياطلَه(٤) * شقّا دعَا الليلَ بالدّياجير
صينية الصين حين أبدعها * مصوِّر الحسن بالتصاوير

(١) صدع : أراد به الفرج كما تقدم ، وفى س « صدغ » وهو تصحيف .
(٢) فى ب ، س « ياعين أبكى » وهو تحريف .
(٣) الحندس : والديجور : الظلمة . وفى جـ « إذا أمال الظلام » وهو تحريف .
(٤) غيطلة الليل : التجاج سواده والتباس ظلامه وتراكمه .

وقبل ذا بدعةً أتيح لها * من قبَل الدهر قرنُ يعفورِ [(١)]

وصكّها صكّةً فما لبثت * أنْ وردت عسكر المكاسير [(٢)]

وإن تولّت فقد لها تركت * ذِكراً سيبقى على الأعاصير [(٣)]

مَن ذا رأيتَ الزمانَ ياسَره * فلم يَشُب يُسرَه بتعسير [(٤)]

ومن أباح الزمانُ صفوتَه * فلم يشُب صفوَه بتكدير

مسرجتي لو فديتِ ما بخلت * عنك يدُ الجود بالدنانير

ليس لنا فيك ما نقدّره * لكنما الأمر بالمقادير

مسرجتي كم كشفتِ من ظُلَمٍ * جلّيتِ ظلماءها بتنوير

وكم غزال على يديك نجا * من دقّ خُصييه بالطوامير [(٥)]

مَن لي إذا ماالنديمُ دبَّ إلى الـ * ـندمان في ظُلمة الدياجير

وقام هذا يبوس ذاك، وذا * يُعنِق هذا بغير تقدير [(٦)]

وآزدوج القومُ في الظلام فما * تسمعُ إلّا الرِّشاءَ في البير [(٧)]

فما يُصلُّون عند خلوتهم * إلّا صلاةً بغير تطهير

---

(١) اليعفور : ظبي بلون التراب، يعنى قرن كبش شبيه باليعفور .

(٢) صكها : ضربها ضربا شديدا . المكاسير جمع مكسور، وفى جـ « المساكين » وهو تحريف، يعنى : نطحها بقرنه فما لبثت أن صارت فى عداد الأشياء المكسورة المهشمة . (٣) العصر : الدهر، وجمعه أعصار . (٤) ياسره : لاينه . (٥) الطومار والطامور : الصحيفة .

(٦) البوس : التقبيل، فارسي معرّب باسه يبوسه : وفى جـ « يعنف » وهو تحريف . وفى كتب اللغة : « عانقه : جعل يديه على عنقه وضمه إلى نفسه » وهذا هو المعنى المراد فى البيت، وليس فيها بهذا المعنى إلا صيغة « عانق » وقد استعمل الشاعر أعنق بمعنى عانق .

(٧) الرشاء : الحبل، وقد كنى بذلك عما يستقبح ذكره .

أوحشتِ الدارُ من ضيائك وال * بيت إلى مطبخ وتنُّور (١)
إلى الرواقين فالمجالس فال * ـمربَد مذ غبتِ غيرُ معمور (٢)
قلبي حزين عليك إذ بخلت * عليك بالدمع عينُ تمير (٣)
إن كان أودى بك الزمان فقد * أبقيتِ منك الحديثَ فى الدُّور
دع ذكرها واهجُ قَرْنَ ناطحها * واسرُد أحاديثه بتفسير (٤)
كان حديثى أنى اشتريتُ فما اش * ـتريت كَبْشا سليلَ خنزير
فلم أزل بالنَّوى أسمِّنه * والتبن والقتِّ والأثاجير (٥)
أبرِّد الماء فى القِلال له * وأتَّقى فيه كلَّ محذور (٦)
تخدُمه طولَ كلّ ليلتها * خدمةَ عبدٍ بالذل مأسور
وهى من التِّيه ما تكلّمنى ال * ـفصيح إلا من بعد تفكير
شمس كأنّ الظلام ألبسها * ثوبا من الزِّفت أو من القير (٧)

(١) التنور : الكانون يخبز فيه . وهذا البيت فى جـ هكذا :

قد أوحشت من ضيائك الدار * والبيت إلى مطبخ وتنور

وهو غير مستقيم الوزن .

(٢) الرواق ككتاب وغراب : سقف فى مقدّم البيت . والمربد : محبس الإبل ، من ربد الإبل كنصر ربدا : حبسها .

(٣) الظاهر أن « تمير » اسم امرأته .

(٤) كلمة « ناطحها » ساقطة من جـ . وفيها أيضا « وأيسر أحاديثه » وهو تحريف .

(٥) القت : الرطبة من علف الدواب . والثجير : ثفل كل شى يعصر ، وقد جمعه الشاعر على أثاجير ، والظاهر أنه جمع جمع لأثجرة ، وأثجرة جمع ثجير .

(٦) القلال : جمع قلة مثل برمة وبرام ، وربما قيل : قلل مثل غرفة وغرف .

(٧) استطرد فى هذا البيت وما بعده إلى وصف خادمته فقال : إنها كالشمس ، يريد فى جمالها وإن كانت سوداء . والقير والقار : الزفت ، وفى جـ « ثوبا من الوقت » وهو تحريف .

من جلدها خُفُّها وبرقعها * حوراءُ في غير خِلقة الحُور (١)
فلم يزل يغتذي السرورَ، وما ال * محزونُ في عيشةٍ كمسرور (٢)
حتى عدا طَورَه، وحُقَّ لمن * يكفر نُعمَى بقُرْب تغيير
فسدَّ قرنيه نحو مسرجةٍ * تَعدُّ في صون كلِّ مذخور
شدَّ عليها بقَرْن ذي حَنَقٍ * معوَّدٍ للنطاح مشهور
وليس يقوى برَوْقه جَبَلٌ * صَلْدٌ من الشُّمَّخ المذاكير (٣)
فكيف تقوى عليه مِسرَجةٌ * أرقُّ من جوهر القوارير
تكسَّرتْ كسرةً لها ألمٌ * وما صحيحُ الهوى كمكسور (٤)
فأدركتْه شَعوبُ فانشعبتْ * بالرَّوع والشِّلْو غير مقتور (٥)
أُديلَ منه فأدركتْه يدٌ * من المنايا بحدِّ مطرور (٦)
يلتهب الموتُ في ظُباه كما * تلتهب النار في المساعير (٧)

(١) الحور : شدّة سواد العين في شدّة بياضها في شدّة بياض الجسد ، ولا تسمى حوراء حتى تكون مع حور عينيها بيضاء لون الجسد ، ولذا قال : غير خلقة الحور .

(٢) في جـ « فلم يزل يغتذ » وهو تحريف .

(٣) الروق : القرن . والصلد : الصلب . والشامخ : المرتفع الشاهق . مذاكير : جمع ذكر على غير قياس ، وقد وصفوا بهذا اللفظ يريدون الدلالة على قوة الموصوف وشدّته ، فقالوا : رجل ذكر أى قوى شجاع . ومطر ذكر أى شديد وابل ، وقول ذكر أى رصين ، وشعر ذكر أى فحل ، وقال الشاعر :

ما أنت والسير في متلف * يبرّح بالذكر الضابط

أى بالجمل القوىّ الشديد .

(٤) في جـ : « ولا تكسرت » .

(٥) شعوب : المنية . وقتر الشيء : ضم بعضه إلى بعض . والروع : القلب . والشلو : الجسد .

(٦) أداله الله من عدوّه : جعل له الغلبة عليه . والطر : تحديد السكين . والتقدير : بحد سكين مطرور .

(٧) الظبي جمع ظبة ، وهي حد السنان ونحوه ، استعمل الجمع هنا في موضع المفرد . والمساعير مع مسعار ، والمسعار والمسعر : ما سعر به أى أوقد به النار .

ومزّقته المُدَى فما تركت * كفُّ القِرَا منه غيرَ تعسير (١)

وآغتاله بعد كسرها قَدَرٌ * صيره نُهْزَة السَّنانير (٢)

فمزّقتْ لحمَه بَرائِنُها * وبدّدته أشدّ تبذير (٣)

واختلسته الحِداءُ خَلْسا مع الـ * ـغرْبان لم تزدجرْ لتكبير (٤)

وصار حظّ الكلاب أعظُمُه * تهشم أنحاءها بتكسير (٥)

كم كاسِرٍ نحوَه وكاسرةٍ * سلاحُها فى شَفَا المناقير (٦)

وخامعٍ نحوَه وخامعةٍ * سلاحُها فى شَبَا الأظافير (٧)

قد جعلتْ حول شِلْوِه عُرُسا * بلا آفتقار إلى مزامير

ولا مغَنٍّ سوى هَماهِمِها * إذا تمطّت لوارِدِ العِير (٨)

يا كبشُ ذُق إذ كسرتَ مسرجتى * لِمُدية الموت كأس تحْبير (٩)

بغيتَ ظُلما والبغىُ مصرعُ مَن * بَغَى على أهله بتغيير

أُضحيّة ما أظن صاحبها * فى قَسْمه لحمَها بمأجور

---

(١) قراه قرى : أضافه . والتعسير : التضييق ، والمراد به هنا التقليل ، أى أن القرى لم يبق لنا من لحمه إلا اليسير .

(٢) النهزة : الفرصة . والسنانير : جمع سنور .

(٣) براثن : جمع برثن كبرقع ، وهو الكف مع الأصابع .

(٤) الخلس : الاختلاس .

(٥) فى جـ « يهشم ألحاها » وفى ب ، س « يهشم ألحاءها » وهو تحريف .

(٦) الشفا : حرف كل شىء .

(٧) خمع فى مشيته كمنع : عرج . والشبا : جمع شباة ، وهى حد كل شىء . والأظافير : جمع أظفور لغة فى الظفر .

(٨) هماهم : جمع همهمة ، وهى ترديد الصوت فى الصدر وكل صوت معه بحح . لوارد العير : أى للعير الواردة ، والعير : الإبل تحمل الميرة .

(٩) نحره نحرا : ذبحه ، وقد ضعفه الشاعر فقال « تحبير » للشعر .

سرق منه قرزناه

أخبرنى الحسن بن علىّ الشّيبانى قال : دخلتُ على أبى الشبل يوما فوجدتُ تحت مخدّته ثُلثَ قرطاس، فسرقتُه منه ولم يَعلَم بى ، فلما كان بعد أيام جاءنى فأنشدنى لنفسه يَرثِى ذلك الثلثَ القرطاس .

فِكَرٌ تَعترى وحزنٌ طويلُ * وسَقيمٌ أنحَى عليه النُّحولُ
ليس يبكى رَسْما ولا طَلَلا مَحَّ (١) كما تَنْدَب الرُّبا والطُّلول
إنما حزنُه على ثُلثٍ كا * ن لحاجاته فغالتْه غُول (٢)
كان للسر والأمانة والكتـ * ـمان إن باح بالحديث الرسول
كان مِثلَ الوكيل فى كلّ سوق * إنْ تلكّا أو ملّ يوما وكيل
كان للهمِّ إن تراكَمَ فى الصد * ر فلم يُشْفَ من عليلٍ غليل (٣)
لم يكن يبتغى الحِجَاب من الحُجَّا ب إن قيل ليس فيها دخول (٤)
إنْ شكا حاجبا تَشدّد فى الإذ * ن فللحاجب الشقىّ العويل (٥)
يُرفَع الخيرُ عنه والرزق والكسـ * ـوةُ فهو المطرود وهو الذليل (٦)
كان يُثْنَى فى جَيب كلّ فتاةٍ * دونَها خَندقٌ وسُورٌ طويل (٧)
يقف الناس وهو أوّل من يد * خله القصرَ غادةٌ عُطْبول (٨)
فإذا أبرزَتْه باح به فى الـ * ـقصر مسكٌ وعنبرٌ مَعْلول (٩)

(١) محت الدار: عفت . (٢) غالته غول : أهلكته هلكة . (٣) الغليل : حرارة الجوف . (٤) فى جـ « لايبتغى الحجاب » ولا يستقيم به الوزن . (٥) إن شكا حاجبا، أى إن شكوت فيه حاجبا . (٦) فى الأصول : « الحبر عنه والورق » وهو تحريف .
(٧) فى س « حيب » وهو تصحيف . (٨) العطبول : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق .
(٩) معلول : مضاعف ، من العلل كسبب وهو الشرب بعد الشرب تباعا ، وقد عله كضرب ونصر فهو معلول ، ومنه قول كعب بن زهير :

* كأنه منهل بالراح معلول *

وفى حديث على رضى الله عنه : من جزيل عطائك المعلول . وفى جـ « فإذا برزته » وهو تحريف .

٣٠/١٣

وله الحبّ والكرامة ممن * بات صَبًّا والشمّ والتقبيل (١)
ليس كالكاتب الذى بأبى الخطّا * ب يُكْنَى قد شابه التطفيل (٢)
ذا كريمٌ يُدْعَى ، وهذا طفيلىٌّ * وهذا وذا جميعا دليل (٣)
ذاك بالبشر والجماعة يُلقَى * ولهذا الحجاب والتنكيل (٤)
لم يفد وفدُه الزمانَ على الأل * سن منه عطفٌ ولا تنويل ٥
كان مع ذا عدل الشهادة مقبو * لا إذا عزّ شاهدًا تعديلُ
وإذا ماآلتوى الهوى بالأليفيـ * ـن فلم يَرْعَ واصلًا مَوْصولُ (٥)
فهو الحاكمُ الّذى قولُه بيـ * ـن الأليفَين جائزٌ مقبول
فلئن شَتّت الزمانُ به شَمْـ * ـلَ دَوَاتى وحانَ منه رحيل (٦)
لَقديما ما شَتّت البينُ والأُلـ * ـفَةُ من صاحبٍ، فصبر جميل (٧) ١٠
لا تَلُمْنى على البكاء عليه * إنّ فقدَ الخليل خطبٌ جليل

قال : فرددتُه عليه ، وكان آتّهم به أبا الخطّاب الذى هجاه فى هذه القصيدة ، فقال لى : ويلك ، نُجِّيتَ ووقع أبو الخطّاب بلا ذنب ، ولو عرفتُ أنّك صاحبها لكان هذا لك، ولكنّك قد سلمتَ . (٨)

(١) فى جـ « والسّم » ، وفى ب ، س « والثم » . ١٥

(٢) فى الأصول : « لأبى الخطاب » وهو تحريف . ويقال : طفل تطفيلا وتطفل تطفلا .

(٣) فى ب وس « ذليل » ، وهو تصحيف ، يعنى أن كليهما دليل يتقدّم لقضاء حاجة صاحبه ، لكنهما يفترقان فى مظهرهما ، فهذا كريم وهذا طفيلى .

(٤) فى س « والمجاعة » ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى جـ و ب .

(٥) فى الأصول : « فاصلا » ، وهو تحريف ، أى فلم يرع محبا حبيب . ٢٠

(٦) فى ب ، س « دواتى » ، وهو تحريف .

(٧) البين هنا : الوصل .

(٨) فى جـ « ويلك جيت » ، وهو تحريف .

أخبار عَثعَث

نسب

كان عَثْعَث أسودَ مملوكا لمحمد بن يحيى بن مُعاذ، ظهر له منه طبع وحُسْنُ أخذٍ وأداء، فعلّمه الغناء، وخرّجه وأدّبه، فبرع فى صناعته، ويكنى أبا دُلَيْجة وكان مأبونا؛ والله أعلم.

٥ أخبرنى بذلك محمد بن العبّاس اليزيدىّ عن ميمونَ بن هارون قال: حدّثنى عثعث الأسود، قال: مُخارقٌ كنانى بأبى دُلَيْجة، وكان السبب فى ذلك أن أوّل صوت سمعنى أغنّيه:

أبا دُلَيجةَ مَنْ توصِى بأرمَلةٍ * أم من لأشعثَ ذى طِمْرَين مِحالِ[1]

فقال لى: أحسنت يا أبا دُليجة، فقبلتُها وقبّلتُ يده، وقلتُ: أنا يا سيّدى

١٠ أبا المُهنّا؛ أتشرّف بهذه الكنية إذا كانت نِحلةً[2] منك. قال ميمون: وكان مخارق يشتهى غناءه ويَحزُنه إذا سمعه.

ما وقع له فى مجلس غناء

قال أبو الفرج: نسختُ من كتاب علىّ بن محمد بن نصر بخطّه، حدّثنى يعنى ابن حمدون قال: كنّا يوما مجتمعين فى منزل أبى عيسى بن المتوكّل، وقد عزمْنا على الصَّبوح ومعنا جعفر بن المأمون، وسليمان بنُ وهب، وإبراهيم بن المدبِّر، وحضرتْ

١٥ عَريب وشارية وجواريهما، ونحن فى أتم سرور، فغنَّت بدعة جارية عريب:

أعاذلتى أكثرتِ جَهْلا من العَذْلِ * على غير شىءٍ من مَلامى وفى عَذْلِى

---

(١) البيت لأوس. وفى ب «أم لأشعث»، وفى س «لم توصى أم لأشعث» وفيه تحريف وسقط. والتصويب عن جـ. والأشعث: المغبر الرأس. والطمر: الثوب الخلق. محال: من المحل، وهو الجدب.

٢٠ (٢) النحلة: العطية.

والصنعة لعَريب، وغنّت عِرفان :

إذا رام قلبى هجــرَها حالَ دونَه * شَفيعان مِنْ قلبى لها جَدِلان

والغنـاء لشارية ، وكان أهل الظَّرْف والمتعانون[1] فى ذلك الوقت صنفين : عريبيّة وشاريّة[2]، فـال كل حزب إلى من يتعصب له منهما من الاستحسان والطرب والاقتراح ، وعريب وشارية ساكتتان لا تَنطقان ، وكل واحدة من جـواريهما تغنّى صنعةَ ستّها لا تجاوزها، حتى غنّت عرفان :

بأبى مَن زارنى فى منـامى * فدنا مـنّى وفيـه نِفـارُ

فأحسنتْ ما شاءت، وشربْنا جميعا، فلما أمسكتْ قالت عريب لشارية : يا أختى لمن هذا اللحن؟ قالت : لى، كنت صنعتُه فى حياة سيّدى، تعنى إبراهيم بنَ المهدىّ، وغنّيتُه إياه فاستحسنه، وعَرضَه على إسحاق وغيره فاستحسنوه، فأَسكتتْ[3] عَريبُ، ثم قالت لأبى عيسى : أحبّ يا بنىّ[4] — فديتك — أن تَبعث إلى عَثعَث فتجيئنى به، فوجّه إليه، فحضر وجلس، فلما اطمأن وشرب وغنّى، قالت له : يا أبا دليجة أوتذكر صـوتَ زبير بن دَحْمانَ عندى وأنت حاضر، فسألته أن يَطرحه عليك ؟ قال : وهل تَنسى العَذراء أبا عُذرِها[5]، نعم، والله إنى لذاكرُه حتّى كأننا أمسِ افترقْنا عنـه . قالت : فغنّه ، فاندفع فغنّى الصوتَ الّذى ادّعتـه شارية حتى استوفاه

(١) فى جـ : « والمتعايثون » ، وهو تحريف .

(٢) فى الأصول : « وشروية » ، وهو تحريف .

(٣) يقال : تكلم ثم سكت بغير ألف ، فاذا انقطع كلامه فلم يتكلم قيل أسكت .

(٤) هكذا فى جـ . وفى ب، س : « بأبى فديتك » .

(٥) العذرة بالضم : البكارة ، وهو أبو عذرها وأبو عذرتها : إذا كان قد افتضها .

وتضاحكتْ عَرِيب ، ثم قالت لجواريها : خذوا فى الحقّ، ودَعونا من الباطل ، وغنُّوا الغناء القديم . فغنّت بدعة وسائر جوارى عَرِيب ، ونجحلتْ شارية وأطرقتْ وظهر الانكسار فيهـا ، ولم تنتفع هى يومئذ بنفسها ، ولا أحدٌ من جواريها ولا متعصِّبيها أيضا بأنفسهم .

غناؤه فى مجلس المتوكل

٥ قال : وحدّثنى يحيى بنُ حمـدون قال : قال لى عَثعَث الأسود : دخلتُ يوما على المتوكّل وهو مصطبِـح وابن المـارق يغنّيه قوله :

أقاتلتى بالجيد والقـدّ والخـدّ * وباللون فى وجهٍ أرقَّ من الورد

وهو على البِركة جالس، وقد طرب واستعاده الصوتَ مرارا وأقبل عليه، فجلست ساعةً ثم قمت لأبولَ، فصنعت هزَجا فى شعر البحترى الّذى يصف فيه البِركة :

١٠ صـــوت

إذا النجومُ تراءت فى جوانبهـا * ليلاً حسبتَ سمـاءً ركِّبت فيهـا

وإن علَتْها الصَّبا أبدت لها حُبُكا[1] * مثلَ الجَواشن مصقولا حواشيها

وزادها زينةً من بعد زينتها * أن اسمـه يومَ يُدْعَى من أساميها

فما سكتَ ابنُ المـارق سكوتا مستوجبا حتى اندفعتُ أغنّى هذا الصوتَ فأقبل علىّ

١٥ وقال لى : أحسنتَ وحياتى، أَعِدْ ، فأعدتُ ، فشرب قدحا ، ولم يزل يستعيدُنيه ويشرب حتى اتكأ ، ثم قال للفتح : بحياتى ادفع إليـه الساعة ألف دينار وخلعة تامّة واحمله على شِهْرِىّ[2] فارهٍ بسَرْجه ولجامه ، فانصرفتُ بذلك أجمَع .

---

(١) الصبا : الريح تهب من مطلع الشمس . والحبك : التكسر الذى يبدو على المـاء إذا مرت به الريح . والجواشن : جمع . جوشن ، وهو الدرع .

٢٠ (٢) الشهرية : ضرب من البراذين . الفاره : الجيِّد السير .

نسبة ما فى هذه الأخبار من الغناء

صوت

أعاذِلتى أكثرتِ جهلًا مِن العَذْلِ * على غير شىءٍ من ملامى ولا عذلِى
نأيتِ فلم يُحدِث لى النـاسُ سَلوةً * ولم أَلِفِ طول [النأى](١) عن خُلة يُسْلى

٣٢/١٣

عَروضُه من الطويل ، الشعر لجَميل ، والغناء لعَريب ، ثقيل أوّل بالبنصر ، ومنها : ٥

صوت

إذا رامَ قلبى هجرَها حالَ دونَه * شفيعان من قلبى لهـا جَدِلانِ
إذا قلتُ لا ، قالا بلى ، ثم أصبحا * جميعا على الرأى الّذى يَريان

عَروضه من الطويل ، والناس يَنسُبون هذا الشعر إلى عُروة بن حِزام ، وليس له .
الشعر لعلىّ بن عمرو الأنصارى ، رجل من أهل الأدب والرواية ، كان بسُرَّ مَن رأى ١٠
كالمنقطع إلى إبراهيمَ بنِ المهدى ، والغناء لشارية ، ثقيل أول بالوسطى ، وقيل إنه
من صنعة إبراهيم ، ونَحَلها إيّاه ، وفيه لعَريبَ خفيفُ رملٍ بالبنصر .
ومنهـا :

صوت

بأبى من زارنى فى منـامى * فـدنا منّى وفيـه نِفـارُ ١٥
ليـلةً بعـدَ طُلوعِ الثُّريّا * وليالى الصّيف بُتْرٌ قصارُ
قلتُ هُلكى أم صلاحى فعَطْفًا * دون هذا منك فيه الدَّمارُ
فدنا منّى وأعطَى وأرضَى * وشفَى سُـقْمى ولذَّ المَزارُ

(١) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصول ، كما يدل عليها قوله «نأيت» فى أول البيت .
وفى ب ، س : «طولا» . الخلة : الخليلة . ٢٠

لَم يقعْ إلينا لِمن الشعرُ، والغناء لزبير بن دَحْمان، ثقيل أوّل بالوسطى، وهو من جيّد صنعتِه وصدورِ أغانيه .

غنائه في شعر

أخبرنى ابن علىّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا أحمد بن طَيفور قال: كتب صديق لأحمدَ بنِ يوسف الكاتب فى يومِ دَجْن : « يومُنـا يومٌ ظريفُ النَّواة ، رقيقُ الحواشى ، قـد رَعَدتْ سماؤه وبَرَقتْ ، وحنّت وأَرجحنّتْ[1] ، وأنت قطبُ السرور، ونِظامُ الأمور، فلا تُفْردنا منك فنَقِلّ، ولا تنفردْ عنّـا فنَذِلّ، فإنّ المرءَ بأخيه كثير، و بمساعَدته جدير» . قال : فصار أحمد بن يوسف إلى الرجل، وحضرهم عَثْعَث بن الأسود، فقال أحمد :

صـــوت

أَرَى غَيْماً يؤلِّفــه جَنُوبُ * وأحسَبه ســيأتينا بهَطْلِ
فعينُ الرأى أن تأتى برِطْلٍ * فتشربَه وتدعو لى برِطل
وتسـقيه نَدامانا جميعـا * فينصرفون عنه بغير عَقْل
فيوم الغَيْم يومُ الغَمِّ[2] إن لم * تبادر بالمُـدامة كلَّ شغل
ولا تُكْرِه محـرِّمَها عليهـا * فإنّى لا أَراه لهـا بأهــل

قال : وغَنّى فيه عَثعَث اللَّحنَ المشهور الذى يغنَّى به اليوم .

(١) ارجحن السحاب : مال من ثقله .

(٢) فى الأصول : « الغيم » وهو تحريف .

صــــوت

ترى الجُنْدَ والأعرابَ يغشَون بابَه * كما وردت ماءَ الكُلاب هَــوامِلُهْ[1]

إذا ما أتَوا أبوابه قال : مرحبًــا * لِجُوا الدار حتى يقتلَ الجوعَ قاتلُهْ

عَروضُه من الطويل . الهوامل : التى لا رِعاء لها ، ولِجوا : أُدخلوا ، يقال : وَلج يَلِــج وَلجًا . وقوله : « حتى يقتل الجوع قاتله » : أى يطعمكم فيذهب جوعكم ، جعل الشِّبَع قاتلا للجوع .

٣٣ / ١٣

الشعر لعبد الله بن الزَّبِير الأسدى ، والغناء لابن سُرَيج ، رمل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

---

(١) هوامل : جمع هامل ، وهى المسيبة لا راعى لها . والكلاب : يوم من أيام العرب المشهورة .

أخبار عبد الله بن الزَّبير ونسبه

نسبه

عبد الله بن الزَّبير بن الأَشْيَم بن الأعشى بن بجْرة بن قيس بن مُنقِذ بن طَرِيف ابن عمرو بن قُعَين بن الحرث بن ثعلبة بن دُودان(١) بن أَسَد بن خزيمة .

أخبرنى بذلك أحمد عن الخرّاز عن ابن الأعرابى؛ وهو شاعر كوفىّ المنشأ ٥ والمنزل، من شعراء الدولة الأمويّة، وكان من شيعة بنى أميّة وذوى الهَوَى فيهم والتعصّب والنُّصْرة على عدوّهم، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أُتِىَ به أسيرا فمنّ عليه ووصله وأحسَنَ إليه، فمدحه وأكثر، وانقطع إليه، فلم يزل معه حتى قُتل مصعب، ثم عَمِىَ عبدُ الله بن الزبير بعد ذلك، ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان، ويُكنَى عبد الله أبا كثير، وهو القائل يعنى نفسَه :

١٠ فقالت : ما فعلتَ أبا كثير * أصحّ الودّ أم أخلفتَ بَعدِى(٢) ؟

وهو أحد الهجّائين للناس، المرهوبِ شرّهم .

خبره مع عبد الرحمن ابن أم الحكم

قال ابن الأعرابى : كان عبد الرحمن بنُ أم الحَكَم على الكوفة من قِبَل خاله معاوية بن أبى سُفْيان ، وكان ناس من بنى علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى ابن بجْرة بن قيس بن منقذ قتلوا رجلا من بنى الأَشْيَم ، من رَهْط عبد الله بن الزَّبير ١٥ دِنيةً(٣) ، فخرج عبد الرحمن بنُ أمّ الحَكَم وافدا إلى معاوية، ومعه ابنُ الزبير ورفيقان

---

(١) فى الأصول « داود » وهو تحريف ، والتصويب عن العقد الفريد ٢ : ٤٧

(٢) سيرد هذا البيت بعد، وآخره : «أم أخلفت عهدى» .

(٣) دنية : لحًّا .

له من بنى أَسَد ، يقال لأحدهما أُكَل[1] بن ربيعة من بنى جذيمة[2] بن مالك
ابن نصر بن قُعَين ، وعدىّ بن الحرث أحد بنى العِدَان[3] من بنى نصر ، فقال
عبد الرحمن بن أم الحكم لابن الزبير : خذ من بنى عمك دِيَتَين لقتيلك ، فأبى
ابن الزبير ، وكان ابن أم الحكم يميل إلى أهل القاتل ، فغضب عليه عبد الرحمن
وردّه عن الوفد من منزل يقال له قَيَّاض ، فخالف ابنُ الزبير الطريقَ إلى يزيد ٥
ابن معاوية ، فعاذ به ، فأعاذه وقام بأمره ، وأمره[4] يزيد بأن يهجو ابن أمّ الحكم ،
وكان يزيد يُبغضه وينتقصه ويَعيبه ، فقال فيه ابن الزبير قصيدةً أوّلها قولُه :

أبَى الليلُ بالمَرَّان[5] أن يتصرّما * كأنى أَسُومُ العَينَ نوما محرّما

(١) كذا فى الأصول : «أكل» ، ولعله «أكيل» كزبير أو «أكّل» كأحد ، وقد سمت بهما
العرب ، جاء فى تاج العروس مستدرك مادة أكل : «وكزبير أكيل أبو حكيم مؤذن مسجد إبراهيم النخعى ، ١٠
وموسى بن أكيل روى عنه إسمعيل بن أبان الوراق » وجاء فى تاج العروس : «أكّل : لص من لصوص
البادية ، قال الشاعر :

إن بها أكّل أو رزاما * خويربين ينقفان الهاما

وأكّل بن الشماخ العكلى ، شهد الجسر مع أبى عبيدة ، محدث حدث عنه الشعبى » .

(٢) فى الأصول : « خزيمة » وهو تحريف . ١٥

(٣) فى ب ، س « الفدان » وهو تحريف وصوابه « العدان » وفى تاج العروس مستدرك مادة
عدن : والعدان : قبيلة من بنى أسد ، وقد جاء فى قصيدة لزهير بن أبى سلمى فى مدح سنان بن
أبى حارثة المرى :

فلست بتارك ذكرى سليمى * وتشبيبى بأخت بنى العدان

انظر شرح ديوان زهير لأبى العباس ثعلب ص ٣٠٥ طبع دار الكتب . ٢٠

(٤) فى ب ، س « رأس » .

(٥) مران : موضع على ليلتين من مكة على طريق البصرة . يتصرم : ينقضى . أسوم : أكلف .

وردٌ بثنييه كأن نجومه * صوارٌ تناهَى من إرانٍ فقوّما [1]

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى * أُمَصّ بنات الدر ثديا مُصرّما [2]

وسوقَ نساء يسلبون ثيابها * يُهادُونها هَمْدانَ رِقًّا وخثعما [3]

على أى شىء يا لؤىّ بن غالب * تُجيبون مَن أجرَى علىّ وأَلجما [4]

وهاتوا فقُصُّوا آية تقرءونها * أحلّتْ بلادى أن تباح وتُظلما

وإلّا فأقصَى الله بينى وبينكم * وولَّى كثيرَ اللؤم مَن كان ألأما [5]

وقد شهدَتْنا من ثقيف رَضاعةٌ * وغيَّب عنها الحَومَ قُوّامُ زمزما [6]

---

(١) ثنيا الحبل : طرفاه . الصوار ككتّاب وغراب : القطيع من البقر . تناهى الشىء : بلغ نهايته . الإران : النشاط . فقوّما : جاء فى كتب اللغة : قامت به دابته : إذا كلت وأعيت فوقفت ولم تسر ، ومنه قوله تعالى « و إذا أظلم عليهم قاموا » أى وقفوا وثبتوا فى مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين ، ولعل « قوّم » فى البيت من ذاك ، فهى مضعف قام بهذا المعنى ، والتضعيف للتكثير كما فى طوّف وجوّل وموّت وحوّم ...

(٢) الدر : اللبن . و يقال : ناقة مصرمة ، وذلك أن يقطع ضرعها فلا يخرج اللبن ، وهو أقوى لها ، أو أن يصيب ضرعها شىء فيكوى بالنار فلا يخرج منه لبن أبدا . ثديا : بدل من بنات الدر ، أى أمص بنات الدر ثديا مصرما منها .

(٣) فى ب وس « تهب دونها » وفى جـ « تهبدونها » بوصل الكلمتين ولعل الصواب ما أثبتنا . يهادونها أى يهدونها . الرق : العبودية . همدان وخثعم : قبيلتان كبيرتان من عرب اليمن من بنى كهلان . والمعنى : يهدونهن رقيقات إلى همدان وخثعم .

(٤) لؤى بن غالب : يعنى معاوية وعشيرته ، فهو معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر وهو قريش . أجرى أى أجرى الخيل للغارة علىّ .

(٥) فأقصى أى أبعد . وفى الأصول « فأقضى » وهو تصحيف .

(٦) قوّام أى القائمون على زمزم ، المتولون سقاية الحاج منها ، وزمزم : بئر بمكة أنبع الله عينها لإسمعيل وأمه هاجر حين أسكنهما إبراهيم مكة ، ثم طمت تلك البئر وما زالت مطمومة إلى زمن عبد المطلب بن هاشم ، فأتاه آت وهو نائم بالحجر فأمره بحفرها فحفرها وأقام سقاية زمزم للحاج ، وكانت السقاية فى الجاهلية بيد ابنه أبى طالب ، ثم سلمها إلى أخيه العباس .

يقول : إن لنا رضاعة فى ثقيف — وقد كان والد عبد الرحمن المذكور من ثقيف كما سيأتى بعد — أى أنه يجمعنى وإياك أخوة رضاعة وصلة ماسة كان جديرا بك أن تقدرها وترعاها ، ثم عطف فقال : وقد نفى الدنس والنقص عن تلك الرضاعة أشراف بنى هاشم القائمون على زمزم .

٣٤
١٣

بنـو هاشم لو صادفوك تجُـدُّها * مججتَ ولم تملك حَيازيمَك الدما (١)

سـتعلم إن زلّتْ بك النعـلُ زَلّةً * وكلّ امرئٍ لاقى الذى كان قدّما

بأنك قد ماطَلْتَ أنيـابَ حيّـةٍ * تزجّى بعينيها شُجاعا وأرقَما (٢)

وكم من عدوّ قد أراد مسـاءتى * بِغَيبٍ ولو لاقيتُـه لتنـدّما

وأنـتم بنى حامِ بنِ نُوحٍ أرَى لكم * شِـفاهًا كأذناب المشـاجر وُرَّما (٣)

فإن قلتَ خالى من قريش فلم أجد * من الناس شرّا من أبيك وألأما (٤)

صـغيرا ضـغا فى خرقة فأمضّـه * مُربّيـه حـتى إذ أهمّ وأفطما (٥)

رأى جلدةً من آل حامٍ متينـةً * ورأسا كأمثـال الجَريب مُؤوّما (٦)

وكنتم سقيطا فى ثقيفٍ، مكانكم * بنى العبد، لا توفِى دماؤكمو دما (٧)

---

(١) تجـدها : تقطعها . صادفه : وجده ولقيه ، مججت : من مجّ الشراب من فيـه : رماه . حيازيم . جمع حيزوم : وهو وسط الصدر وما يضم عليه الحزام . يقول : إن بنى هاشم لو وجدوك تقطع هـذه العلاقة التى تربطنى بك ، أى لو وجدوك تعدو علىّ ولا ترعى حق صلتى بك لأراقوا دمك ولم تشدد حيازيمك حيالم .

(٢) عنى بالحية نفسه . تزجى : تسوق . والشجاع كغراب وكتّاب : الحية أو الذكر منها ، وجمعه شجعان بالكسر والضم . والأرقم : أخبث الحيات ، أو مافيه سواد وبياض ، أو ذكر الحيات . يقول : ستعلم عندئذ أنك قـد تعرّضت لمعاداة رجل مرهوب جانبه ، مخشىّ بأسه ، كالحية ، له نصراء يؤازرونه من عشيرته أمثـال الشجعان والأراقم .

(٣) المشاجر : جمع مشجر (بكسر الميم وفتحها) ، وهو عود الهودج . ورّم : جمع وارمة .

(٤) أبوه هو عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحرث الثقفى .

(٥) ضغا : صاح وضجّ . أمضه : آلمه وشق عليه . أهمّ ، أى أهم آله وذويه ، أى بلغ مبلغا جعلهم يهتمون له ويتعلقون به أفطم : حان أن يفطم ، وفى جـ « حتى إذاهم أفطما » وهو تحريف .

(٦) الجريب : مكيال قدر أربعة أقفزة . المؤوّم : العظيم الرأس أو المشوه .

(٧) السـقيط : الأحمق الناقص العقـل . وجاء فى مستدرك (سـقط) فى تاج العروس : وقوم سقاط بالكسر جمع ساقط كنائم ونيام وسقيط وسقاط كطويل وطوال .

٥
١٠
١٥
٢٠

شعره حين عزل عبد الرحمن عن الكوفة

قال ابن الأعرابى : ثم عُزل ابنُ أم الحكم عن الكوفة ، ووليها عبيد الله[1] بن زُياد ، فقال ابن الزبير :

أبلغ عبيدَ الله عنّى فإننى * رميتُ ابن عَوذ إذ بدَتْ لى مقاتلُه[2]

على قفرةٍ إذ هابَه الوفدُ كلُّهم * ولم أك أُشوِى القِرنَ حين أناضله[3]

وكان يُمارى مِن يزيدَ بوقعةٍ * فما زال حتى استدرجتْه حبائلُه[4]

فنَقَّصيه من ميراث حربٍ ورَهْطِه * وآلَ إلى ما ورَّثتْه أوائلُه[5]

وأصبح لمّا أسلمتْه حِبالُهم * ككلب القطار حلّ عنه جَلاجِلُه

ونسخت من كتاب جدّى لأمّى يحيى بن محمد بن ثوابة ، قال يحيى بن حازم وحدّثنا علىّ بن صالح صاحب المصلّى عن القاسم بن مَعْدان : أن عبد الرحمن ابن أمّ الحَكَم غضب على عبد الله بن الزَّبير الأسدى لما بلغه أنّه هجاه ، فهدَم داره ، فأتى معاويةَ فشكاه إليه ، فقال له : كم كانت قيمةُ دارك ؟ فاستشهد أسماءَ ابنَ خارجة ، وقال له : سَلْه عنها ؛ فسأله ؛ فقال : ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها ،

(١) ولى معاوية عبد الرحمن الكوفة بعد عزل الضحاك بن قيس سنة ٥٨ ﻫ ثم عزله عنها سنة ٥٩ ﻫ واستعمل عليها النعمان بن بشير الأنصارى ، ومات معاوية سنة ٦٠ وولى ابنه يزيد الخلافة ، و بقى النعمان واليا على الكوفة ، فلما كاتب أهلها الحسين رضى الله عنه ليبايعوه بالخلافة وبعث إليهم مسلم بن عقيل ، بعث يزيد إلى عبيد الله بن زياد وكان على البصرة فولاه الكوفة مع البصرة .

(٢) من أعمامهم « عوذ » والمفهوم هنا أن « ابن عوذ » كنية عبد الرحمن .

(٣) فى ب و س « أثوى القرن حتى » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى ب ، س « من يريد » ، وهو تصحيف صوابه « من يزيد » وهو يزيد بن معاوية .

(٥) فى جـ « فنقضيه ميراث » ؛ وهو تحريف .

ولكنه بعث إلى البصرة بعشرة آلاف درهم للساج[١]، فأمر له معاويةُ بألف درهم[٢]، قال : وإنما شهد له أسماء كذلك ليُرفِده[٣] عند معاوية ، ولم تكن داره إلّا خِصاص قَصَب .

وكان عبدُ الرحمن بن أم الحَكَم لمّا وَلِى الكوفةَ أساء بها السيرة، فقدم قادمٌ من الكوفة إلى المدينة، فسألتْه امرأة عبد الرحمن عنه، فقال لها : تركتُه يَسأل الحافا، وينفق إسرافا، وكان محمَّقا[٤]، ولاه معاويةُ خالُه عدّة أعمال ، فذمَّه أهلُها وتظلّموا منه ، فعزله واطرحه[٥] ، وقال له : يابُنىّ، قد جَهَدتُ أن أنفِّقك[٦] وأنت تزداد كسادا .

---

(١) الساج : خشب يجلب من الهند، أسود رزين يشبه الآبنوس، وهو أقل سوادا منه ، ولا تكاد الأرض تبليه .

(٢) هكذا فى الأصول . وهو غير ظاهر ؛ وقد تكررت هذه القصة فى آخر الترجمة ، وفيها : «...أعطانى عشرين ألف درهم وسألنى أن أبتاع له بها ساجا من البصرة ففعلت...وأمر معاوية له بها» .

(٣) الإرفاد : الإعانة .

(٤) أى ينسب إلى الحمق . وفى ب، س « وكان مخفا » وهو تحريف ، والتصويب عن ط .

(٥) جاء فى تاريخ الطبرى ٦ : ١٧٤ « استعمله معاوية على الكوفة فأساء السيرة فيهم فطردوه، فلحق بمعاوية وهو خاله ، فقال له : أوليك خيرا منها، مصر، فولاه فتوجه إليها ، وبلغ معاوية ابن حديج الخبر ، فخرج فاستقبله على مرحلتين من مصر فقال : ارجع إلى خالك فلعمرى لا تسير فينا سيرتك فى إخواننا من أهل الكوفة ، فرجع إلى معاوية ، وأقبل معاوية بن حديج وافدا ، وكان إذا جاء ضربت له قباب الريحان ، فدخل على معاوية وعنده أم الحكم ، فقالت : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : بخ ، هذا معاوية بن حديج ، قالت : لا مرحبا به "تسمع بالمعيدى خير من أن تراه" فقال : على رسلك يا أم الحكم ، أما والله لقد تزوجت فما أكرمت ، وولدت فما أنجبت ، أردت أن يلى ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار فى إخواننا من أهل الكوفة ، ما كان الله ليريه ذلك ، ولو فعل ذلك لضربناه ضربا يطأطئ منه ، وإن كره ذلك الجالس ، فالتفت إليها معاوية فقال : كفى » .

(٦) جهد كمنع : جدّ . ونفق السلعة : روّجها .

وقالت له أخته أمّ الحكم بنت أبى سُفيان بن حرب: يا أخى، زَوِّج ٱبنى بعضَ بناتِك؛ فقال: ليس لهنّ بكفء؛ فقالت له: زوّجنى أبو سفيان أباه، وأبو سفيان خير منك، وأنا خير من بناتك؛ فقال لها: يا أُخيّة: إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حينئذ يشتهى الزَّبيب، وقد كثر الأن الزبيب[1] عندنا، فلن نزوّج إلّا كُفئا.

خبره مع عمرو ابن عثمان بن عفان

٣٥ / ١٣

حدّثنا الحسن بنُ الطيّب البَلْخى قال: حدّثنى أبو غسّان قال: بلغنى أن أوّل من أَخَذ بعِينةٍ[2] فى الإسلام عمرو بن عثمان بن عفّان، أتاه عبد الله بن الزَّبير الأسدى، فرأى عمرو تحت ثيابه ثوبا رَثّا، فدعا وكيلَه وقال: اقترض لنا مالا؛ فقال: هيهات! ما يعطينا التجار شيئا. قال: فأَرْبِحْهم[3] ما شاءوا؛ فاقترض له ثمانيةَ آلاف درهم، وثانيا عشرة آلاف، فوجّهها إليه مع تخت[4] ثياب، فقال عبد الله بن الزبير فى ذلك:

سأشكر عمرا إن تراخت منيّتى * أيادىَ لم تُمْنَنْ وإن هى جلّتِ[5]

فتًى غير محجوبِ الغِنَى عن صديقه * ولا مُظهِر الشكوى إذا النعلُ زَلّتِ

رأى خَلّتى[6] من حيثُ يَخفَى مكانُها * فكانت قَذَى عينيه حتى تجلّتِ

(١) تقدّم أن أبا عبد الرحمن من ثقيف، وكانت ثقيف تنزل بالطائف، وفى الطائف تكثر البساتين وكروم العنب، ولذا كان الزبيب فيها كثيرا، وقد ذكروا أن الحجاج الثقفى كان أوّل أمره يبيع الزبيب بالطائف. يقول: حسبنا ما كان من مصاهرة أبى سفيان ثقيفا، ولسنا نرغب بعد فى مصاهرتهم. (٢) العينة: الربا.

(٣) فى جـ: «فأربحوا» وهو تحريف. (٤) التخت: وعاء تصان فيه الثياب.

(٥) جاء فى وفيات الأعيان لابن خلكان ٣: ١٤٧ طبع النهضة أن هذه الأبيات لإبراهيم بن العباس الصولى، وأن عمرا المذكور فى البيت هو عمرو بن مسعدة، قال: «وكان بين عمرو بن مسعدة وبين إبراهيم بن العباس الصولى مودّة، فحصل لإبراهيم ضائقة بسبب البطالة فى بعض الأوقات، فبعث له عمرو مالا، فكتب إليه إبراهيم الأبيات. (٦) الخلة: الحاجة والفقر. والقذى: ما يقع فى العين.

مدحه أسماء بن خارجة

أخبرنى الحسينُ بنُ القاسم الكوكبىّ إجازةً قال : حدّثنى أحمد بنُ عرفة المؤدِّب قال : أخبرنى أبو المصبِّح[1] عادية بن المصبِّح السَّلُولى قال : أخبرنى أبى قال : كان عبد الله بن الزَّبير الأسدىّ قد مدح أسماءَ بنَ خَارجة[2] الفَزَارىَّ فقال :

صـــوت

تراه إذا ما جئتَــه متهـــلِّلا * كأنّك تعطيه الذى أنتَ نائلُه[3]

ولو لم يكن فى كفّه غيرُ رُوحه * لجاد بهـا فليتّقِ اللهَ سائـلُه

فأثابه أسماء ثوابا لم يرضه، فغضب وقال يهجوه :

بَنَت لكمُ هنـــدٌ بتلذيع بَظْرها * دكاكينَ من جِصٍّ عليها المَجالسُ[4]

فوالله لـولا رَهْزُ هنـد ببظرها[5] * لَعُـــدَّ أبوها فى اللئـام العوابِس

(١) فى الأصول : « أبو المصيح » وهو مصحف وصوابه « أبو المصبح » وهو من كنى العرب ؛ كنى بها أعشى همدان الشاعر الأموى .

(٢) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى .

(٣) تهلل وجهه : تلألأ . نائله : آخذه . ويروى « أنت سائله » أى سائله إياه . والمعروف والمشهور أن البيت الأوّل لزهير بن أبى سلمى فى مدح حصن بن حذيفة بن بدر جد أسماء من قصيدته التى مطلعها :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله * وعرّى أفراس الصبا ورواحله

وأن البيت الثانى لأبى تمام فى مدح المعتصم من قصيدته التى مطلعها :

أجل أيها الربع الذى خف آهله * لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله

(٤) كان يحيى أبو حماد مجرد مولى لبنى هند بنت أسماء بن خارجة ، فولدت هند من بشر بن مروان عبد الملك بن بشر... » يريد أن هندا بزواجها من بشر أخى الخليفة عبد الملك بن مروان رفعت من قدر أهلها وهيأت لهم مجالس الشرف والرفعة .

(٥) رهزها : حركتها عند الجماع . وفى جـ « زهد » وهو تحريف . وفى هذا البيت إقواء .

فبلغ ذلك أسماء، فركب إليه، فاعتذر من فعله بضيقة شكاها، وأرضاه وجعل على نفسه وظيفةً[1] فى كل سنة، واقتطعه جنّتيه، فكان بعد ذلك يمدحُه و يفضّله .
وكان أسماء يقول لبنيه : والله ما رأيت قط جصا فى بناء ولا غيره إلا ذكرتُ بَظْر أمّكم هند فخجلتُ .

حبسه ابن أم الحكم وشعره

٥ أخبرنى عمّى عن ابن مهرُويَه، عن أبى مسلم، عن ابن الأعرابىّ قال: حبس ابنُ أمّ الحَكَم عبدَ الله بنَ الزّبير وهو أمير فى جناية وضَعَها عليه، وضربه ضربا مبرّحا لهجائه إيّاه، فآستغاث بأسماء بنِ خارجة، فلم يزل يَلطُف فى أمره، و يُرضى خصومه و يشفع إلى آبن أمّ الحَكَم فى أمره حتى يخلّصه[2]، فأطلق شفاعته، وكساه أسماءُ ووصله وجعل له ولعياله جِرايةً[3] دائمةً من ماله ، فقال فيه هذه القصيدة التى أوّلها الصوت
١٠ المذكور بذكر أخبار ابن الزّبير، يقول فيها :

ألم ترأنّ الجُودَ أرسَلَ فآنتقَى * حَليفَ صفاءٍ وأْتَلَى لا يُزايلُهْ[4]
تخيّر أسماء بنَ حصنٍ[5] فبُطّنتْ * بفعل العُلا أيمـانُه وشمـائلُه
ولا مجدَ إلا مجـدُ أسماءَ فوقه * ولا جرىَ إلا جرىُ أسماءَ فاضلُهْ

(١) الوظيفة : ما يقدّر من رزق .
١٥ (٢) أى قبل شفاعته إطلاقا لم يقيدها بقيد ولم يعتل فيها باستثناء .
(٣) الجراية : الجارى من الوظائف .
(٤) انتقى : اختار. ائتلى : أقسم .
(٥) فى س : « أسماء بن حفص» وهو تحريف .

وَمحتملٍ ضِغنا لأسماءَ لو جرى * بسَجْلَينِ من أسماءَ فارتْ أباجِلُهْ (١)

عَوَى يستجيشُ النابحاتِ وإنما * بأنيابه صُمُّ الصَّفا وجَنادِله (٢)

وأقصَرَ عن مجراةِ أسماءَ سعيُه * حَسِيرا كما يلقى من التُّرْب ناخله (٣)

وفضَّل أسماءَ بنَ حِصنٍ عليهمُ * سماحةُ أسماء بن حصن ونائله (٤)

فَمَن مثلُ أسماءَ بن حصن إذا غَدَت * شآبيبُه أم أىُّ شيء يعادِله (٥)

وكنت إذا لاقيتَ منهم حَطيطةً * لقيتُ أبا حسانَ تَنْدَى أصائله (٦)

تَضَيَّفُه غسّانُ يَرجون سَيْبَه * وذو يَمَنٍ أُحبُوشُه ومَقاوِله (٧)

٥

٣٦
١٣

---

(١) فى ب، س « صفنا » وهو تحريف . والسجل : الجرى . أباجل : جمع أبجل ، وهو عرق فى باطن الذراع . والمعنى : لو جرى بشوطين من جرى أسماء ، لأعيا وانبهر .

(٢) يستجيش النابحات : أى يستمد الكلاب النابحات . الصفا : جمع صفاة ، وهى الحجر الصلد الضخم . والمعنى أنه لا ينال منه ولا يؤثر فيه إلا كما يؤثر العاض على الصم الصلاب ، وهو كقول الأعشى :

كناطح صخرة يوما ليوهيها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(٣) حسيرا : كليلا .

(٤) النائل : العطاء .

(٥) غدت : بكرت . والشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر .

(٦) أبو حسان : كنية أسماء . أصائل : جمع أصيل ، وهو العشىّ . تندى أصائله ، أى يندى فى الأصائل . والحطيطة : البخس .

(٧) أصله تتضيفه أى تنزل عليه ضيفا . والسيب : العطاء . الأحبوش : جماعة الحبش ، وفى ب، س : « أحبوشة » . والمقاول : جمع مقول ، وهو الملك من ملوك حمير ، أو هو دون الملك الأعلى .

١٠

١٥

٢٠

فتًى لا يزال الدهر ما عاش مُخصِبا * ولو كان بالمَوْماة تَخْدِى رَواحِلُه[1]

فأصبح: ما فى الأرض خَلْقٌ علمتُه * من الناس إلا باعُ أسماءَ طائله[2]

تراه إذا ما جئتَــه متهــلِّلا * كأنك تعطيه الذى أنت سائلُه

ترى الجندَ والأعراب يغشَون بابه * كما وردت ماءَ الكُلاب نواهلُه

٥ إذا ما أتَوا أبوابه قال: مرحبا * لِجُوا البابَ حتى يقتلَ الجوعَ قاتلُه

ترى البازِلَ البُخْتِىَّ فوق خِوانه * مقطَّعةً أعضــاؤه ومفاصــلُه[3]

إذا ما أتوا أسماءَ كان هو الذى * تحلّب كفاه الندى وأناملُه

تراهمْ كثيرا حين يغشَون بابَهَ * فتسترهم جُــدْرانُه ومنــازِلُه

قال: فأعطاه أسماء حين أنشده هذه القصيدة ألفى درهم.

شعره بين يدى عبيد الله بن زياد

١٠ أخبرنى هاشم بن محمد قال: حدّثنا العبّاس بن ميمون طائع قال: حدّثنى أبو عدنان عن الهيثم بن عدىّ، عن ابن عيــاش، وقال ابن الأعرابى أيضا: دخل عبد الله ابن الزبير على عُبيد الله بن زياد بالكوفة وعنــده أسماء بن خارجة حين قدم ابن الزبير من الشأم، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول:

حنّت قَلوصى وَهْنًا بعــد هَدْأَتها * فهيّجتْ مغرَما صَبًّــا على الطَّرَبِ[4]

---

١٥ (١) الراحلة: المركب من الإبل ذكرا أو أنثى. وخدى البعير خديا وخديانا: أسرع وزج بقوائمه. وفى ج: «بالمومات» بتاء مفتوحة، وفى ب و س: «بالموتان» وهو تحريف. والموماة: المفازة.

(٢) طاله: فاته فى الطول.

(٣) البازل: الجمــل فى تاسع سنيه. البختى: من الجمال: طوال الأعناق. والخــوان كغراب وكتاب: ما يؤكل عليه الطعام.

٢٠ (٤) القلوص من الإبل: الشابة. الوهن: نحو من نصف الليل أو ما بعد ساعة منــه. الهدأة والهدوء: السكون عن الحركات، ويقال: أتانا بعد هدأة من الليل أى حين هدأ الليل.

حنّت إلى خيرِ مَن حُثَّ المطىُّ له * كالبدر بين أبى سفيان والعُتب

تذكّرتْ بقُرى البَلقاء نائلَه * لقد تذكّرتْه من نازحٍ عَزَبِ[1]

والله ما كان بى لولا زيارتُه * وأن أُلاقى أبا حسان من أَرَب

حنّت لترجِعنى خلفى فقلت لها * هـذا أمامك فالقَيْه فتى العرب

لا يحسب الشرّ جارا لا يفارقه * ولا يعاقِب عنـد الحلم بالغضب ٥

مِن خير بيت عَلمناه وأكرمِه * كانت دماؤهمُ تشفى من الكَلَب[2]

قال ابن الأعرابىّ : كانت العربُ تقول : من أصابه الكَلَب والجنونُ لا يَبرأ منه إلى أن يُسقَى من دمِ مَلِك، فيقول : إنه من أولاد الملوك .

بقية أخبـار عبد الله بن الزّبير

شعره حين قتل هانئ بن عروة

أخبرنى أحمد[3] بن عيسى العجلى بالكوفة قال : حدّثنا سليمان بن الربيع البرجمى ١٠ قال : حدّثنا مُضَرُ بنُ مُزاحم، عن عمرو بن سعد، عن أبى مِخْنَف، عن عبد الرحمن ابن عبيـد بن أبى الكَنُود، وأخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا الحارث بن محمد قال : حدّثنا ابن سعد عن الواقدى، وذكر بعض ذلك ابنُ الأعرابى فى روايته عن المفضَّل[4]، وقد دخل حديث بعضهم فى حديث الآخرين، أن المختـار بن أبى عبيد خطب الناسَ يوما على المنـبر فقال : "لتَنزلَنّ نار من السماء، تسوقها ريح حالكة ١٥

(١) البلقاء : كورة من أعمال دمشق. نازح : بعيد، عزب : بعيد أيضا ؛ وقالوا : رجل عزب : للذى يعزب فى الأرض .

(٢) فى جـ : « أشفى » .

(٣) كذا فى ط ، ومط ؛ وفى باقى الأصول « محمد » .

(٤) انظر الكامل للبرد ٢ : ١٦٧ ٢٠

دَهْماء، حتى تحرق دار أسماء وآلَ أسماء" وكان لأسماء بن خارجة بالكوفة ذِكْرٌ قبيح عند الشيعة ، يعدّونه فى قَتَلة الحسين عليه السلام ، لِمَا كان من معاونته عبيدَ الله ابنَ زياد على هانئ بن عُرْوة المُراديّ حتى قتل ، وحركتِه فى نُصْرته على مسلم ابن عقيل بن أبى طالب، وقد ذكر ذلك شاعرُهم فقال :

٥ أيركب أسماءُ الهماليجَ آمِنا * وقد طلبته مَذْحِجٌ بقتيلِ! (١)

يعنى بالقتيل هانئَ بنَ عروة المُراديّ، وكان المختار يحتال ويدبِّر فى قتله من غير أن يُغضب قيسا فتنصره، فبلغ أسماء قول المختار فيه ، فقال : أَوَقد سَجَع بى أبو إسحاق ! لا قرارَ على زَأْرٍ من الأسد (٢)، وهرب إلى الشام ، فأمر المختار بطلبه ففاته ، فأمر بهدم داره، فما تقدّم عليها مضرىّ [بتّةً (٣)] لموضع أسماء وجلالةِ قدرِه

١٠ فى قيس، فتولّت ربيعةُ واليمنُ هدمَها ، وكانت بنو تَيْم الله وعبد القيس مع رجل من بنى عِجل كان على شرطة المختار، فقال فى ذلك عبد الله بن الزَّبِير :

تأوَّبَ عينَ ابنِ الزَّبير سُهودُها * وولّى على ماقد عراها هُجودُها (٤)

كأنّ سواد العين أبطنَ نخلةً * وعاوَدَها مما تذكَّرُ عِيدُها (٥)

مخضَّرةً من نخل جَيْحانَ صعبةً * لَوَى مِجناحيها وليدٌ يَصيدُها (٦)

١٥ (١) الهماليج : جمع هملاج، والهملاج من البراذين : الحسن السير. و بنو مراد : قبيلة هانئ بن عروة بطن من مذحج ، فهم بنو مراد بن مالك بن مذحج بن أدد ... ... من بنى كهلان .

(٢) أخذه من قول النابغة الذبيانى فى النعمان بن المنذر من قصيدته المشهورة :

أنبئت أن أبا قابوس أوعدنى * ولا قرار على زأر من الأسد

(٣) زيادة عن ط ، مط .

٢٠ (٤) تأوبها سهودها ، أى راجعها وعاودها . والهجود : النوم ، وعلى هنا بمعنى اللام .

(٥) تذكر ، أى تتذكر . والعيد : ما اعتادك من هم أو مرض أو حزن .

(٦) فى جـ و ب وس « محضرة » وهو تصحيف ، كشح مخصر : دقيق ، ورجل مخصر : ضامر الخصر . جيحان : نهر بالمصيصة فى الشام . والوليد : الصبى .

من الليل وَهْنًا ، أو شَظِيَّةَ سُنبلٍ * أذاعت به الأرواحُ يُذرَى حَصيدها (١)

إذا طُرفت أذرَتْ دموعا كأنها * نَثِيرُ جُمانٍ بانَ عنها فَريدها (٢)

وبتُّ كأنّ الصدرَ فيه ذُبالةٌ * شَبا حرَّها القِنديلُ، ذاكِ وَقُودها (٣)

فقلتُ أناجى النفسَ بينى وبينها * كذاك الليالى نحسُها وسُعودُها

فلا تجزعى مما ألمّ فإننى * أرى سَنَةً لم يَبقَ إلّا شَريدها (٤)

أتانى وعُرْضُ الشامِ بينى وبينها * أحاديثُ والأنباءُ يَنمى بعيدُها (٥)

بأنّ أبا حَسانَ تهدِم دارَه * لُكَيزٌ سَعت فُسَّاقُها وعَبِيدُها (٦)

جزَتْ مُضَرًا عنّى الجوازِى بفعلها * ولا أصبحتْ إلّا بشرٍّ جُدودها (٧)

فما خيرُكم ؟ لا سيِّدًا تنصرونه * ولا خائفا إن جاء يوما طريدُها (٨)

---

(١) من الليل وهنا : متعلق بقوله : وعاودها ، أو شظية : عطف على نحلة . والشظية : كل فلقة من شىء . أذاع بالشىء : ذهب به . والأرواح : جمع ريح . ذرته الريح وأذرته : أطارته .

(٢) طرفت عينه : أصيبت بشىء، فدمعت . وفى ب ، س « طرقت » وهو تصحيف ، أذرت العين الدمع : صبته . نثير : منثور . وفى ب و س « نفير » وهو تحريف . الجمان : اللؤلؤ . الفريد والفريدة : الجوهرة النفيسة .

(٣) الذبالة : الفتيلة ، شبا النار شبوا : أوقدها كشبّاها . والمعنى : زاد القنديل فى حرّها بما يمدّها به من الزيت . وفى الأصول : « سنا » وهو تصحيف . ذكت النار : اشتدّ لهبها .

(٤) السنة : العام ، والجدب ، والقحط .

(٥) ينمى : ينتشر ويرتفع .

(٦) لكيز : قبيلة من ربيعة ، وهو لكيز بن أفصى بن عبد القيس . وفى ب ، س « وعتيدها » وهو تصحيف .

(٧) يقال : جزتك عنى الجوازى ، أى جزتك جوازى أفعالك ، والجوازى : جمع جازية ، وهى الجزاء ، مصدر على فاعلة . جدود : جمع جد بالفتح ، وهو الحظ ، يدعو عليها بنحس الجدّ وتعس الحظ .

(٨) ولا خائفا ، أى ولا تؤمنون الطريد إن جاء يوما خائفا .

أخذلانَه فى كلّ يومِ كَريهـةٍ * ومسألةً ما إن ينـادَى وليـدُها (١)

لِأُمِّكم الوَيْلاتُ أنَّى أُتيتمُ * جماعات أقوامٍ كثيرٍ عديدها

فيَاليتَـكم مِن بعـد خذلانِكُمْ له * جـوارٍ على الأعناق منهـا عُقودُها

ألم تغضبوا تَبًّا لكم إذ سَطَتْ بكم * مَجُوسُ القُـرى فى داركم ويَهودُها! (٢)

تركتمْ أبا حسّان تُهـدَم دارُه * مشـيَّدةً أبوابُهـا وحديدها

يهدِّمهـا العِجـلىّ فيـكمْ بشُرْطة * كما نَبَّ فى شِـبْلِ التُّيوس عَتودُها (٣)

لعمـرى لقـد لَفَّ اليهودىُّ ثوبَه * على غَدرة شـنعاءَ باقٍ نَشيـدُها (٤)

فلو كان من قحطانَ أسماءُ شمَّـرت * كتائبُ من قحطانَ صُـعْرٌ خدودُها (٥)

ففى رجب أو غُرّةِ الشهر بعـده * تزورُكُمُ حُمْـرُ المنـايا وسُـودها

ثمـانون ألفـا دِينُ عثمانَ دينُهـم * كتائبُ فيهـا جِبْرئيـل يقـودُها

فمن عاش منكم عاش عبدا ومن يمت * ففى النـار سُقياه هناك صَـديدها

---

(١) أخذلانه ... : أى أمذهبـكم خذلانه، أو أترون خذلانه؟ ومسألة، أى وفى كل مسألة، ويقال فى المثـل : هم فى أمر لا ينادى وليـده، قال ابن سيده : أصله كأن شدة أصابتهم حتى كانت الأم تنسى وليدها فلا تناديه ولا تذكره مما هى فيه، ثم صار مثلا لكل شـدة، وقيل : أصله من الغارة، أى تذهل الأم عن ابنها أن تناديه وتضمه، ولكنها تهرب عنه، وقيل : هو أمر جليل شديد لا ينادى فيـه الوليد ولكن تنادى فيه الجلة، وقيل يقال فى الخير والشر، أى اشتغلوا به حتى لو مدّ الوليد يده إلى أعز الأشياء لا ينادى عليه زجرا .

(٢) تبا لكم، أى ألزمكم الله هلاكا وخسرانا .

(٣) نب التيس : صاح عند الهياج . العتود من أولاد المعز : ما رعى وقوى وأتى عليه حول . وكتب أمام البيت فى نسخة ط ما نصه : يريد عمرو بن سعيد بن العاص كان والى العراق وهدم دار أسماء .

(٤) النشيد : الصوت .

(٥) صعر خدودها، أى قد أمالت خدودها كبرا . وفى ب، جـ « صفر » وهو تحريف .

وقال آبن مهرويه: أخبرنى به الحسن بن على عنه، حدّثنى عبدالله بن أبى سعد قال: حدّثنى على بن الصباح عن ابن الكلبى: أن مصعب بن الزبير لمـا ولى العراق لأخيه هرب أسماء بن خارجة إلى الشام، وبها يومئذ عبد الملك بن مروان قد ولى الخلافة، وقتل عمرو بن سعيد[1]، وكان أسماء أموىّ الهوى، فهدم مصعب بن الزبير داره وحرقها، فقال عبدالله بن الزَّبير فى ذلك:

* تأوّب عينَ ابن الزبير سهودها *

وذكر القصيدة بأسرها، وهذا الخبر أصح عندى من الأوّل، لأن الحسن بن على حدّثنى قال: حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقى قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثنى عمى مصعب قال: لمـا ولى مصعب بن الزبير العراق، دخل إليه عبد الله بن الزَّبير الأسدى، فقال له: إيهٍ يابن الزبير، أنت القائل:

إلى رَجَب السبعينَ أو ذاك قبلَه * تصبِّحكمْ حُمر المنايا وسُودُها[2]

ثمانون ألفا نصرُ مروانَ دينُهم * كتائبُ فيها جَبْرَئيلُ يقودُها

(١) هو عمرو الأشدق بن سعيد بن العاص، وذلك أنه لمـا كانت الفتنة بعد موت معاوية الثانى، وانحاز الضحاك بن قيس الفهرى عن مروان بن الحكم واستمال الناس ودعا إلى ابن الزبير، آلتقى مروان وعمرو بن سعيد فقال عمرو لمروان: هل لك فيما أقوله لك، فهو خير لى ولك؟ قال: وما هو؟ قال: أدعو الناس إليك وآخذها لك على أن تكون لى من بعدك، فقال مروان: لا بل بعد خالد بن يزيد آبن معاوية، فرضى الأشدق بذلك، ودعا الناس إلى بيعة مروان فأجابوا، و بايع مروان بعده لخالد آبن يزيد، ولعمرو بن سعيد بعد خالد، ثم مات مروان وخلفه آبنه عبد الملك، ولمـا آعتزم عبد الملك أن يخرج إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير بنفسه قال له عمرو: إنك تخرج إلى العراق وقد كان أبوك وعدنى هذا الأمر من بعده، وعلى ذلك جاهدت معه، وقد كان من بلائى معه مالم يخف عليك، فاجعل لى هذا الأمر من بعدك، فلم يجبه عبد الملك إلى شىء، فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق عمرو آبن سعيد دمشق وخالف عليه، فرجع إلى دمشق وحاصرها حتى صالح عمرا على أنه الخليفة بعده ففتح له، ثم إن عبد الملك آحتال له حتى قتله سنة ٦٩ هـ.

(٢) إلى رجب السبعين، أى إلى رجب السنة السبعين.

فقال : أنا القائل لذلك ، وإن الحقين ليأبى العذرة [(١)] ، ولو قدرت على جحده لجحدته ، فاصنع ما أنت صانع ؛ فقال : أمَا إنى ما أصنع بك إلّا خيرا ، أحسن إليك قوم فأحببتهم [(٢)] وواليتهم ومدحتهم ، ثم أمر له بجائزة وكسوة ، وردّه إلى منزله مكرّما ، فكان ٱبنُ الزّبير بعد ذلك يمدحه ويشيد بذكره ، فلما قتل مصعب بن الزبير ٱجتمع ٱبن الزّبير وعبيد الله بن زياد بن ظَبيانَ فى مجلس ، فعرف ٱبنُ الزبير خبره — وكان عبيد الله هو الذى قتل مصعب بن الزبير — فاستقبله بوجهه وقال له :

أبا مطر شلّت يمين تفرّعت [(٣)] * بسيفك رأس ابن الحَوارِيّ مصعبِ

فقال له ابنُ ظَبْيان : فكيف النجاة من ذلك؟ قال : لا نجاة ، هيهات ! «سَبَق السيفُ العَذَلَ» [(٤)] ، قال : فكان ٱبن ظبيانَ بعد قتله مصعبا لا يَنتفع بنفسه فى نوم ولا يَقَظة ،

(١) فى س « وإن الحقير ليأبى القدرة » وفى ب « وإن الحسير ليأبى القدرة » وهو تحريف . من أمثال العرب : أبى الحقين العذرة ، والحقين : المحقون أى المحبوس . والعذرة : العذر ، وأصله أن رجلا ضاف قوما فاستسقاهم لبنا ، وعندهم لبن قد حقنوه (حبسوه) فى وطب ، فاعتلوا عليه واعتذروا فقال : أبى الحقين العذرة ، أى قبول العذر ، أى أن هذا اللبن الحقين يكذبكم ، يضرب مثلا للرجل يعتذر ولا عذر له . (٢) فى ط « فاجتبيتهم » .

(٣) تفرعت : علت . وفى ب ، س ، جـ « تقرعت » والتصويب عن ط ، مط . الحوارى : الناصر أو ناصر الأنبياء : وهو هنا الزبير بن العوّام ، قال صلى الله عليه وسلم : « الزبير ابن عمتى وحواريّ من أمتى » أى خاصتى من أصحابى وناصرى ، وقال أيضا « إن لكل نبى حواريا ، وحواريّ الزبير ابن العوّام » .

(٤) أوّل من قال هذا المثل ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وكان له ابنان يقال لأحدهما : سعد وللآخر سعيد ، فنفرت إبل لضبة تحت الليل ، فوجه ابنيه فى طلبها ، فتفرقا ؛ فوجدها سعد فردّها ، ومضى سعيد فى طلبها ، فلقيه الحرث بن كعب ، وكان على الغلام بردان ، فسأله الحرث إياهما ، فأبى عليه ، فقتله وأخذ برديه ، فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سوادا قال : أسعد أم سعيد؟ فمكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم إنه حج ، فوافى عكاظ ، فلقى بها الحرث بن كعب ، ورأى عليه بردى ابنه سعيد فعرفهما ، فقال له : هل أنت مخبرى ما هذان البردان اللذان عليك ؟ قال : بلى لقيت غلاما وهما عليه فسألته إياهما فأبى علىّ فقتلته وأخذت برديه هذين ، فقال ضبة : بسيفك هذا ؟ قال : نعم ، فقال : فأعطنيه أنظر إليه فإنى أظنه صارما ، فأعطاه الحرث سيفه ، فلما أخذه هزه وقال : الحديث ذو شجون أى ذو طرق ، ثم ضربه به حتى قتله ، فقيل له : ياضبة ، أفى الشهر الحرام! فقال : سبق السيف العذل ، أى اللوم .

كان يهوّل عليه[1] فى منامه فلا ينام ، حتى كَلّ جسمُه ونُهك ، فلم يزل كذلك حتى مات .

شعره عند عبيد الله ابن زياد

وقال ابن الأعرابى : لما قدم ابنُ الزّبير من الشأم إلى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية إليه يأمره بصيانته وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه وإدرار عطائه ، فأوصله إليه ، ثم آستأذنه فى الإنشاد ، فأذن له ، فأنشده قصيدته التى أوّلها :

صوت

أَصَرْمٌ بليلى حادِثٌ أم تجنُّبُ * أم الحبل منها واهِنٌ متقضّبُ[2]

أم الودّ من ليلى كعهدى مكانه * ولكنّ ليلَى تستزيد وتَعتب[3]

غنّى فى هذين البيتين حُنين ثانى ثقيل عن الهشامى .

ألم تعلمى ياليْلَ أنّىَ لَيِّنٌ * هَضومٌ وأنّى عَنْبَسٌ حين أُغضبُ[4]

وأنى متى أُنفقْ من المال طارفًا * فإنّىَ أرجو أن يثُوبَ المثوّبُ[5]

أَأَن تلفَ المالُ التِّلادُ بحقّه * تَشَمّسُ ليلَى عن كلامى وتَقْطِب[6]

٣٩
١٣

---

(١) هوّل عليه : أفزعه .

(٢) الصرم : القطيعة . واهن : ضعيف . متقضب : متقطع .

(٣) فى ب ، س ، جـ «لعهدى» ؛ وقد أخذنا برواية ظ ، مط .

(٤) الهضوم : المنفق لماله . والعنبس : الأسد .

(٥) الطارف : المستحدث . ثاب وثوّب : رجع .

(٦) التلاد : المال القديم . تشمس : تتشمس ، أى تنفر وتعرض ، من شمس الفرس ، أى شرد ، ومنه المتشمس ، وهو الشديد القوى الذى يمنع ما وراء ظهره ؛ والبخيل الذى لا ينال منه خير . قطب كضرب : زوى ما بين عينيه وعبس وكلح .

عشيةَ قالت والركابُ مُناخةٌ * بأكوارِها مشدودةٌ: أين تذهبُ؟[(١)]
أفي كل مصرٍ نازحٍ لك حاجةٌ * كذلك ما أمرُ الفتى المتشعِّبِ[(٢)]
فوالله ما زالت تُلبِّثُ ناقتي * وتقسم حتى كادت الشمسُ تغربُ[(٣)]
دعيني ما للموت عنِّيَ دافعٌ * ولا للذي ولَّى من العيش مَطْلَبُ
إليك عبيدَ الله تَهوِى ركابُنا * تَعسَّفُ مجهولَ الفلاةِ وتدأبُ[(٤)]
وقد ضمرتْ حتى كأنّ عيونَها * نِطافُ فلاةٍ ماؤها متصبِّبِ[(٥)]
فقلت لها: لا تشتكي الأَيْنَ إنه * أمامكِ قَرْمٌ من أميةَ مُصْعَبِ[(٦)]
إذا ذَكروا فضلَ امرئٍ كان قبلَه * ففضلُ عبيدِ الله أثرى وأطيبُ[(٧)]
وأنك لو يُشفَى بك القَرْحُ لم يعُد * وأنت على الأعداء نابٌ ومِخلبُ[(٨)]
تصافى عبيدُ الله والمجدُ صفوةَ ال * حليفين ما أرسى ثَبِيرٌ ويثربُ[(٩)]
وأنتَ إلى الخيرات أوّلُ سابقٍ * فأبشر، فقد أدركتَ ما كنتَ تطلبُ

---

(١) الأكوار: جمع كور بالضم، وهو الرحل بأداته.

(٢) نازح: بعيد. المتشعب: المتفرق. و «ما» زائدة.

(٣) في ح «وأقسم».

(٤) هوى كرمى: أسرع في السير. تعسف، أي تتعسف؛ تعسف الطريق: سار فيه على غير هداية. والفلاة: الصحراء. تدأب: تجد وتتعب.

(٥) نطاف: جمع نطفة بالضم، وهي الماء الصافي قل أو كثر.

(٦) الأين: الإعياء. القرم من الرجال: السيد المعظم، وأصله الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة. ورجل مصعب: مسوّد، وأصله بمعنى القرم، أي الفحل الذي لم يمسه حبل ولم يركب.

(٧) أثرى: أفعل، من الثروة، أي أكثر.

(٨) القرح بالفتح ويضم: عض السلاح ونحوه مما يخرج بالبدن، أو بالفتح: الآثار، وبالضم: الألم؛ أراد به ما ينوبه من صروف الدهر.

(٩) رسا وأرسى: ثبت. ثبير: جبل بظاهر مكة. يثرب: مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

أعِنّى بسَجْل من سِجالك نافع * ففى كل يوم قد سَرَى لك مَحلب[(١)]

فإنك لو إيّاى تطلب حاجةً * جرى لك أهلٌ فى المقال ومَرْحَبُ[(٢)]

قال : فقال له عُبيد الله — وقد ضحك من هذا البيت الأخير — : فإنى لا أطلب إليك حاجة، كم السَّجل الذى يُرويك ؟ قال : نوالُك أيها الأمير يكفينى، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

٥

شعره فى صديقه

قال ابن الأعرابى : كان نُعَيم بنُ دُجانة بنِ شَدّاد بن حُذَيفة بن بكر بن قيس آبن مُنقِذ بن طَريف صديقا لعُبيد الله بن الزُّبير، ثم تغيّر عليه، و بلغه عنه قول قبيح فقال فى ذلك :

ألا طرقتْ رُوَيمةُ بعد هَدْءٍ * تَخَطَّى هَولَ أنمارٍ وأُسْدِ[(٣)]

تجُوس رحالنا حتى أتتنا * طُروقا بين أعرابٍ وجُندِ[(٤)]

١٠

فقالت : ما فعلتَ أبا كثيرٍ * أصحَّ الودُّ أم أخلفتَ عهدى؟

كأنّ المسك ضمّ على الخُزامَى * إلى أحشائها وقضيبَ رَنْدِ[(٥)]

ألا مَن مُبلغ عنى نُعَيما * فسوف يجرِّبُ الإخوانَ بعدى[(٦)]

رأيتك كالشموس تُرى قريبا * وتمنع مسحَ ناصيةٍ وخَدِّ

١٥

(١) السجل : الدلو العظيمة مملوءة .

(٢) لو إياى، أى لو إياى تقصد، جرى لك ... أى لقات لك أهلا وسهلا ومرحبا . وقوله : « المقال»، ساقط من مط .

(٣) الهدء : أول الليل إلى ثلثه . تخطى : أصله تتخطى . أنمار وأسد أى رجال شجعان كالأنمار والأسود .

٢٠

(٤) أتانا طروقا : إذا جاء بليل .

(٥) الخزامى : نبت زهره أطيب الأزهار نفحة . الرند : شجر طيب الرائحة .

(٦) فى جـ : « فكيف » .

فإنى إن أقع بك لا أهلّل * كوقع السيف ذى الأثر الفرند[1]
فأولى ثم أولى ثم أولى * فهل للدرّ يحلب من مردّ؟[2]

رثاؤه لصديقه

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى قال : حدّثنى عيسى بن إسمعيل تينة ، وأخبرنى عمى قال : حدّثنا الكرانى قال : حدّثنى عيسى بن إسمعيل عن المدائنى عن خالد ابن سعيد عن أبيه قال : كان عبد الله بن الزّبير صديقا لعمرو بن الزّبير بن العوّام ، فلما أقامه أخوه[3] ليقتص[4] منه بالغ كل ذى حقد عليه فى ذلك ، وتدسّس فيه من يتقرب إلى أخيه ، وكان أخوه لا يسأل من آدّعى عليه شيئا بيّنة ، ولا يطالبه بحجّة ، وإنما يقبل قوله ثم يدخله إليه السجن ليقتص منه ، فكانوا يضربونه والقيح ينتضح من ظهره وأكتافه على الأرض لشدّة ما يمرّ به ، ثم يضرب وهو على تلك الحال ، ثم أمر بأن يرسل عليه الجعلان[5] ، فكانت تدبّ عليه فتثقب لحمه ، — وهو مقيد مغلول[6] — يستغيث فلا يغاث ، حتى مات على تلك الحال ، فدخل الموكّل به على أخيه عبد الله بن الزبير وفى يده قدح لبن يريد أن يتسحّر به وهو يبكى فقال له : مالك ؟ أمات عمرو ؟ قال : نعم ، قال : أبعده الله ، وشرب اللبن ، ثم قال : لا تغسّلوه ولا تكفّنوه ، وادفنوه فى مقابر المشركين ، فدفن فيها ، فقال ابن الزّبير الأسدى يرثيه ويؤنّب أخاه بفعله ، وكان له صديقا وخلّا ونديما :

(١) هلل عن الأمر : فزع وجبن وولى عنه ونكص ، والأثر بالفتح والكسر . فرند السيف ، وهو جوهره وماؤه الذى يجرى فيه وطرائقه .

(٢) الدر : اللبن ، وفى جـ و ب و س « يجلب » وهو تصحيف .

(٣) أى عبد الله بن الزبير .

(٤) فى جـ و ب . س « ليقبض » وهو تصحيف .

(٥) الجعلان : جمع جعل كعمر ، وهو دويبة سوداء أكبر من الخنفساء .

(٦) مغلول : مقيد بالغل وهو القيد .

أيا راكبًا إمّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ * كبيرَ بنى العوّام إن قيل مَن تَعنِى (١)

ستعلم ـ إن جالت بك الحربُ جولةً * إذا فُوِّق الرامون ـ أسهم مَن تُغنِى (٢)

فأصبحتِ الأرحامُ حين وَليتها * بكفّيك أكراشًا تُجَرُّ على دِمْنِ (٣)

عقدتمْ لعمرو عُقدةً وغدرتمُ * بأبيضَ كالمصباح فى ليلة الدَّجْن (٤)

وكُلِّتهَ حَولا يجود بنفسه * تَنُوء به فى ساقه حَلَق اللَّبْنِ (٥)

فما قال عمرو إذ يجود بنفسه * لضاربه ـ حتى قضى نحبَه ـ: دعْنِى (٦)

تحدّثُ مَن لاقيتَ أنك عائذ * وصرَّعتَ قتلَى بين زمزمَ والرُّكْنِ (٧)

---

(١) عرضت : أتيت العروض (بفتح العين) وهى مكة والمدينة . تعنى : تقصد . وفى ب وس : « تغنى » وهو تصحيف .

(٢) الفوق بالضم : موضع الوتر من السهم ؛ وفوّق السهم : جعل له فوقا . تغنى : تنفع ؛ يقال : ما يغنى عنك هذا : ما يجزئ عنك ، وما ينفعك ، وفى ج و ب « تعنى » بالعين وهو صحيح ، جاء فى اللسان : « قال أبو تراب : يقال : ما أعنى شيئا وما أغنى شيئا بمعنى واحد ، وفى المصباح المنير : « وحكى الأزهرى ما أغنى فلان شيئا بالغين والعين أى لم ينفع فى مهم ولم يكف مؤنة » . وأسهم : مبتدأ ومن : اسم استفهام مضاف إليه ، وجملة تغنى خبره .

(٣) أكراش : جمع كرش ككتف . والدمن : السرقين المتلبد والبعر .

(٤) الدجن : إلباس الغيم الأرض .

(٥) ناء به الحمل : أثقله وأماله . حلق بفتح الحاء وكسرها : جمع حلقة بسكون اللام وفتحها . « اللبن » بالفتح : الضرب الشديد ، وفى معاهد التنصيص « البين » وهو الفراق .

(٦) قضى نحبه : مات ، وأصله الوفاء بالنذر .

(٧) كان عبد الله بن الزبير يدعى « العائذ » لأنه عاذ بالبيت الحرام ، ففى ذلك يقول ابن قيس الرقيات يذكر مصعبا :

بلد تأمن الحمامة فيه * حيث عاذ الخليفة المظلوم

الكامل للمبرد ٢ : ٥٩٧ طبع أوربا .

جعلتم لضرب الظّهر منه عِصيّكم * تُراوِحُه، والأَصْبحيَّةُ للبطن (١)

تُعَذِّر منه الآن لمّا قتلتَه * تفاوُتَ أرجاءِ القليب من الشَّطْن (٢)

فلم أر وَفْدًا كان للغدر عاقدا * كوفدكَ شدُّوا غيرَ مُوفٍ ولا مُسْنِى (٣)

وكنتَ كذاتِ الفِسق لم تدرِ ما حَوَتْ * تخيَّرُ حالَيْها أتسرق أم تزنى (٤)

٥ جزى الله عنى خالدا شرَّ ما جَزَى * وعُروةَ شرًّا، مِن خليلٍ، ومن خِدْن (٥)

قتلتم أخاكم بالسِّياط سفاهةً * فيالَكَ لِلرأى المضلَّل والأَفْن (٦)

فلو أنكمْ أجهزتُم إذ قتلتُمُ! * ولكنْ قتلتمْ بالسِّياط وبالسِّجْن

وإنى لأرجو أن أرى فيك ماترى * به من عقاب الله ما دونه يُغْنِى (٧)

قطعتَ من الأرحام ما كان واشجًا * على الشّيب، وأتبعتَ المخافةَ بالأمن (٨)

---

١٠ (١) تراوحه : تعاقب عليه . والأصبحىّ : السوط ، نسبة إلى ذى أصبح ملك من ملوك حمير .

(٢) المعذر : الذى يتكلف العذر وهو لا عذر له . تفاوت الشيئان : تباعد ما بينهما . والأرجاء : النواحى . والقليب : البئر . الشطن كسبب : الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به ، وسكنت الطاء هنا للشعر .

(٣) فى جـ و ب وس « موق » وهو تحريف ، وصوابه عن ط : أى غير موفين ، أفرد موف

١٥ مراعاة للفظ « وفد » . وأسناه : رفعه .

(٤) ما حوت : أى من المكاسب والمنافع ، وفى ط ، مط : « ما حلت » ولعله « ماجنت » .

(٥) الخدن : الصديق . وخالد وعروة : أخوا عبد الله بن الزبير ، وقد استعمل عبد الله أخاه خالدا على اليمن ، وكان عروة من كبار فقهاء المدينة ، وكان عمرو قد خالف أخاه عبد الله فقاتله ، ثم أتاه فى جوار عبيدة أخيه ، قال له عبيدة : امض معى إليه وأنت فى جوارى ، فإن أمنك وإلا

٢٠ رددتك إلى مأمنك ، فذهب معه فلم يجز عبد الله أمانه ، واقتص منه حتى مات . انظر المعارف لابن قتيبة ص ١١٣ طبع أوربة .

(٦) الأفن ويحرك : ضعف العقل والرأى .

(٧) ما دونه يغنى ، أى ما قبله يجزئ ويكفى فى الانتقام منك .

(٨) واشجا : متداخلا متشابكا .

وأصبحتَ تَسعَى قاسِطًا بكتيبةٍ * تهدَّمُ ما حول الحَطِيم ولا تبنى (1)

فلا تجزَعَنْ من سُنَّةٍ قد سَنَنْتَها * فما للدماء الدهرَ تُهْرَق مِن حَقْن

رثاؤه يعقوب ابن طلحة

أخبرنى عمِّى قال: حدّثنى الخزاز عن المدائنى قال: قتل يعقوب بن طلحة يوم الحَرّة (2)، وكان يعقوب ابن خالة يزيد [بن معاوية] (3) فقال يزيد: يا عجبا قاتلى كلّ أحد حتى ٱبن خالتى! قال: وكان الذى جاء بنعيه إلى الكوفة رجل يقال له الكَرَوَّس، فقال ٱبن الزَّبير الأَسَدىّ يرثيه:

لعمـرك ما هـذا بعيش فيُبْتَغَى * هـنىءٍ ولا موتٍ يُرِيحُ سريع

لعمـرى لقد جاء الكَرَوَّسُ كاظمًا * على أمرِ سَوْءٍ حين شاع فظيع

نعى أسرةً يعقوبُ منهم فأقفـرتْ * منازلُهم من رُومـةٍ فبَقيـع (4)

٤١/١٣

وكلهـمُ غيثٌ إذا قُحِط الورى * ويعقـوبُ منهـم للأنام ربيـع (5)

١٠

وقال ابن الأعرابى: كان عَلَى ابن الزبير دين لجماعة، فلازَموه ومنعوه التصرّف فى حوائجه، وألحّ عليه غريم له من بنى نَهْشَل يقال له: ذئب، فقال ابن الزَّبير:

---

(1) قاسطا: ظالما جائرا. الحطيم: حجر الكعبة أو ما بين الركن وزمزم والمقام.

(2) كان أهل المدينة كرهوا خلافة يزيد بن معاوية وخلعوه وحصروا من كان بها من بنى أمية وأخافوهم، فوجه إليهم يزيد مسلم بن عقبة المرى فى جيش، فقمع فتنتهم، وأخمد ثورتهم، وكانت هذه الوقعة تسمى «وقعة الحرة»؛ لأن مسلما حاصر المدينة من جهة الحرة — موضع بظاهر المدينة — وكانت فى ذى الحجة سنة ٦٣ هـ.

١٥

(3) عن ط.

(4) رومة: أرض بالمدينة فيها بئر رومة التى ابتاعها عثمان رضى الله عنه وتصدق بها، وفى الأصول «دومة» وهو تحريف. والبقيع: مقبرة أهل المدينة.

٢٠

(5) فى هذا البيت إقواء.

أحابِسَ كيدِ الفيلِ عن بطنِ مكةٍ (١) * وأنتَ على ما شئتَ جمُّ الفواضلِ
أرِخْنى من اللائى إذا حلّ دَينُهم (٢) * يمشُون فى الدارات مشىَ الأراملِ
إذا دخلوا قالوا : السلام عليكم * وغير السلام بالسلام يُحاوِلُ (٣)
ألِينُ إذا اشتدّ الغريم وألتوى * إذا اشتدّ حتى يُدرِكَ الدينَ قابلُ (٤)
عرضت على «زَيْد» ليأخذ بعض ما * يحاوله قبل اشتغال الشواغل (٥)
تثاءب حتى قلتُ : داسِع نفسِه * وأخرجَ أنيابًا له كالمعاولِ (٦)

دخوله المدينة مع عبد الرحمن ابن الحكم

وقال ابن الأعرابىّ : استجار ابن الزّبير بمروانَ بنِ الحكم وعبد الله بن عامر لما هجا عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم ، فأجاراه وقاما بأمره ، ودخل مع مروان إلى المدينة ، وقال فى ذلك :

---

(١) كيد الفيل : أى كيد أصحاب الفيل ، يشير إلى وقعة الفيل ، وما كان من أبرهة الأشرم ملك اليمن حين خرج بجيشه إلى مكة على الأفيال ليهدم الكعبة بجعل الله كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل ... والفواضل : الأيادى الجسيمة .

(٢) هذا البيت شاهد على استعمال اللائى بمعنى الذين ، كقول الشاعر :

فما آباؤنا بأمنَّ منه * علينا اللاء قد مهدوا الحجورا

وهو قليل ، قال ابن مالك « واللاء كالذين نزرا وقعا » . والدارة : العرصة وهى ساحة الدار .

(٣) أى يبغى من وراء التحية مأربا له . وفى هذا البيت وتاليه إقواء .

(٤) الغريم : الدائن . وفى الأصول « وألتوى إذا أشتد » وهو تصحيف ، إذ أنه ليس بمستساغ أن يذكر كلمة « اشتد » مرتين فى بيت واحد ، والصواب « وألتوى إذا استد » واستد : استقام ، وهو المقابل لكلمة «ألتوى» . قابل : أى العام القابل . وفى الأصول : «قائل» .

(٥) كذا فى الأصول ولعله يريد « ذنبا » المشار إليه قبل فى قوله « يقال له ذنب » .

(٦) داسع : فاعل من الدسع ، وهو الدفع ، دسعه كدفعه وزنا ومعنى ، ودسع البعير بجرته : دفعها حتى أخرجها من جوفه إلى فيه وأفاضها .

أجِدِّى إلى مَرْوانَ عَدْوًا فقَلِّصى * وإلّا فرُوحى واغتدى لابن عامرِ [(١)]

إلى نفـرٍ حولَ النبيِّ بيوتُهـم * مكاريمُ للعـافى رِقاقُ المـآزرِ [(٢)]

لهمْ سورة فى المجد قد عُلِمتْ لهم * تُذَبذِبُ باعَ المتعب المتقاصرِ [(٣)]

لهم عامرُ البَطْحاء من بطن مكّة * ورُومة تسـقى بالجمال القيـاسرِ [(٤)]

حبسه زفر فقال شعرا

وقال ابن الأعرابى: عرض قوم من أهل المَدَراء [(٥)] لابن الزُّبير الأسدىّ فى طريقه من الشام إلى الكوفة وقد نزل بقَرْقِيسياء [(٦)]، فاستعدَوا [(٧)] عليه زُفَر بن الحارث الكِلابىّ [(٨)] وقالوا: إنه أُموى الهوى، وكانت قيس يومئذ زُبَيْرِيَّة، وقَرْقِيسياء وما والاها فى يد ابن الزبير، فحبسه زفر أياما وقيّده، وكان معه رفيق من بنى أميّة يقال له:

(١) أجدّ السير: أسرع فيه. وقلصت الناقة: شمرت واستمرت فى مضيها.

(٢) مكاريم: جمع مكرم؛ على حد قوله تعالى «ولو ألقى معاذيره». العافى: كل طالب فضل أو رزق. والمـآزر: جمع مئزر بالكسر: وهو الملحفة، ورقاق المـآزر كناية عن النعيم والترف.

(٣) السورة من المجد: أثره وعلامته وارتفاعه. ذبذبه: حركه، فتذبذب: تحرك واضطرب. المتقاصر: المقصر العاجز.

(٤) البطحاء: مسيل واسع فيه دقاق الحصى. وفى الأصول «ردمة» وهو تحريف. والقيسرىّ من الإبل: الضخم الشديد القوىّ، وجمعه: قياسر وقياسرة.

(٥) أهل المدراء: أهل الحضر. (٦) بلد على الفرات.

(٧) استعداه عليه: استنصره.

(٨) لما مات معاوية بن يزيد اختلف الناس بالشام، فكان أول من خالف من أمراء الأجناد النعمان بن بشير الأنصارى وكان على حمص فدعا لابن الزبير، فبلغ خبره زفر بن الحرث الكلابى فدعا إلى ابن الزبير أيضا ... ... ودعا مروان بن الحكم إلى نفسه، ثم التقى الزبيريون، وعليهم الضحاك بن قيس الفهرى فى مرج راهط بغوطة دمشق، فقتل الضحاك وانهزم جيشه، واستقام الأمر لمروان، وفر يومئذ زفر، وفى ذلك يقول:

فلم تر منّى زلّة قبل هذه * فرارى وتركى صاحبىّ من ورائيا

أبو الحَذْراء ، فرحل وتركه فى حبسه أياما ، ثم تكلّمت فيه جماعة من مُضَر ، فأُطلق ، فقال فى ذلك :

أغادٍ أبو الحَذْراء أم مُتروِّحُ؟ * كذاك النَّوى ممّا تُجِدّ وتَمْزَحُ [1]
لعمرى لقد كانت بلادٌ عريضةٌ * لى الرَّوْحُ فيها عنك والمتسرَّحُ [2]
ولكنه يدنو البغيضُ ويبعد الـ * ـحبيبُ وينأى فى المزار ويَنْزَحُ [3]
ألا ليت شعرى هل أتى أمَّ واصلٍ * كُبُولٌ أعَضُّوها بساقٍ تَجَرَّحُ [4]
إذا ماصرفتُ الكعبَ صاحت كأنها * صريفُ خَطاطيفٍ بدَلْوين تَمْتَحُ [5]
تُبَغّى أباها فى الرفاق وتنثنى * وأَلْوَى به فى لُجّة البحر تِمْسَحُ [6]
أمرتحلٌ وفدُ العراق وغُودِرت * تحِنُّ بأبواب المدينة صَيْدَحُ [7]
فإنكِ لا تدرين فيما أصابنى * أَريثُك أم تعجيلُ سيرِكِ أنجحُ [8]
أظَنَّ أبو الحذراء سَجْنى تجارةً * تربّحُ وما كلّ التجارة تُرْبِحُ!

أخبرنى محمد بنُ عمرانَ الصَّيرفىُّ قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال : حدّثنى محمد بن معاوية الأسدىّ قال : لما قدم الحجّاج الكوفةَ واليا عليها صعِد المنبرَ، فخطَبَهم فقال : ياأهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، إن الشيطان

خبره مع الحجاج

٤٢ / ١٣

(١) تروح : سار فى الرواح، وهو العشىّ .
(٢) الروح : الراحة . والمتسرح : انفراج الضيق والغم .
(٣) نزح كمنع وضرب : بعد .
(٤) كبول : جمع كبل بالفتح والكسر، وهو القيد الضخم .
(٥) صرفت : رددت ، أى حركت . صاحت أى صوّتت الكبول . صرفت البكرة صريفا : صوّتت عند الاستقاء . والخطاطيف : جمع خطاف كرمان، وهو حديدة حجناء فى جانبى البكرة فيها المحور . متح الماء كمنع : نزعه .
(٦) ألوى به : ذهب به . التمسح : التمساح .
(٧) صيدح : اسم ناقة ذى الرمة ، وفيها يقول : « فقلت لصيدح انتجعى بلالا » والظاهر أنه اسم ناقته هو أيضا . (٨) الريث : الإبطاء .

قد باض وفرّخ فى صدوركم ، ودبّ ودرج فى حُجوركم ، فأنتم له دين ، وهو لكم قرين ، ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ ثم حثّهم على اللّحاق بالمهلّب[1] بن أبى صُفرة ، وأقسم ألّا يجدَ منهم أحدا اسمُه فى جريدة المهلّب بعد ثالثة بالكوفة إلّا قتله ، فجاء عُمَير بن ضابئ البُرْجُمى فقال : أيّها الأمير ، إنى شيخ لا فضل فىَّ ، ولى ٱبنٌ شابٌّ جَلْد ، فاقبله بدلا منّى ؛ فقال له عَنبسة بن سعيد بن العاص : أيها الأمير ، هذا جاء إلى عثمان وهو مقتول ، فرفَسه وكسرَ ضِلْعين من أضلاعه ، وهو يقول :

* أين تركتَ ضابئًا يا نَعْثَلُ[2] *

---

(١) وكان على قتال الخوارج الأزارقة ، وذلك أن الخوارج كانوا قد مضوا إلى مكة سنة ٦٤ هـ ليمنعوا الحرم من جيش يزيد ، وناصروا ابن الزبير وقاتلوا معه ، ثم ناظروه فلم يرقهم ما سمعوا منه ، فتفرقوا عنه ، وصارت طائفة كبيرة منهم إلى البصرة ، وبايعوا نافع بن الأزرق الحنفى ، وسموه أمير المؤمنين ، وخرج بهم إلى الأهواز — وهى كورة كبيرة فى الجنوب الغربى من فارس — فغلبوا عليها وعلى ما وراءها من أرض فارس وكرمان ، ونسبوا إليه فقيل لهم : الأزارقة .

(٢) كان من قصة عمير بن ضابئ أن أباه ضابئ بن الحرث البرجمى استعار من قوم من الأنصار كلبا يدعى قرحان يصيد الظباء ، فأعاروه إياه ، ثم طلبوه منه ، فحبسه عنهم ، فنافره الأنصار يون واستعانوا عليه بقومه ، فكاثروه ، فانتزعوه منه وردوه على الأنصار ، وكان فاحشا ، فهجاهم ورمى أمهم به ، فقال من أبيات :

وأمكم لا تتركوها وكلبكم * فإن عقوق الوالدات كبير

فاستعدوا عليه عثمان ، فأرسل إليه فعزره وحبسه ، فاضطغن على عثمان لما فعل به ، فلما دعى به ليؤدب شد سكينا فى ساقه ليقتل بها عثمان ، فعثر عليه فأحسن أدبه ، وما زال فى الحبس حتى مات فيه ، وقد قال فى ذلك أبياتا منها :

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

انظر تاريخ الطبرى ٥ : ١٣٧ والكامل للمبرد ١ : ١٨٥

ونعثل : رجل من أهل مصر كان طويل اللحية ، وكان عثمان إذا نيل منه وعيب شبه بهذا الرجل لطول لحيته ، فكان أعداؤه وشاتموه يسمونه نعثلا لذلك ، وفى حديث عائشة : اقتلوا نعثلا ، قتل الله نعثلا تعنى عثمان ، وكان هذا منها لما غاضبته وذهبت إلى مكة .

فقال له الحجّاج: فهلّا يومئذ بعثتَ بديلا، ياحَرَسِيّ[1]! اضربْ عنقه، وسمع الحجّاج ضَوْضاء، فقال: ما هذا؟ فقال: هذه البراجم جاءت لتنصر[2] عميرا فيما ذكَرت، فقال: أتحفوهم برأسه، فرموهم برأسه، فولّوا هاربين، فازدحم الناسُ على الجسر للعُبور إلى المهلّب حتى غرِق بعضُهم[3]، فقال عبد الله بن الزَّبير الأسديّ:

أقــول لإبراهــيمَ لمّـا لقيتُــه * أرى الأمر أمسى واهيا متشعبا[4]

تخيرْ فإما أن تزور ابنَ ضابئٍ * عمــيرا وإمّا أن تَزور المهلَّبــا

هما خُطّتا خَسْفٍ نجاؤك منهمــا * ركوبُك حَوْليّــا من الثلج أشهبا[5]

---

(١) الحرسيّ: واحد حرس السلطان وهم الحرّاس.

(٢) فى الأصول ماعدا ط، مط: «لتبصر»؛ وهو تصحيف.

(٣) وفى الكامل ١: ١٨٣ «فقال الحجاج: ردوه، فلما رد قال له: أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار! إن فى قتلك أيها الشيخ لصلاحا للسلمين، ياحرسى اضربن عنقه، فجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل و يأمر وليه أن يلحقه بزاده» وفى الكامل أيضا ٢: ٢١٣ «ثم جلس لتوجيه الناس فقال: قد أجلتكم ثلاثا» وأقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور إلا قتله، ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه: إذا مضت ثلاثة أيام فاتخذا سيوفكما عصيا، فجاءه عمير بن ضابئ البرجمى بابنه فقال: أصلح الله الأمير، إن هذا أنفع لكم منى، وأشدّ بنى تميم أيدا، وأجمعهم سلاحا، وأربطهم جأشا، وأنا شيخ كبير عليل، واستشهد جلساءه، فقال الحجاج: إن عذرك لواضح، وإن ضعفك لبين، ولكنى أكره أن يجترئ بك الناس علىّ، وبعد فأنت ابن ضابئ صاحب عثمان، ثم أمر به فقتل، فاحتمل الناس، وإن أحدهم ليتبع بزاده وسلاحه» الخ.

(٤) يخاطب إبراهيم بن عامر الأسدى أحد بنى غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد، وكان قد لقى ابن الزبير فى السوق فسأله عن الخبر، فقال ابن الزبير هذه الأبيات.

وفى رواية الكامل ٢: ٦٨٦

«أقول لعبد الله يوم لقيته * أرى الأمر أمسى منصبا متشعبا»

أنصبه الأمر: أعياه وأتعبه.

(٥) الخسف: الذل. الحولى: ما أتى عليه حول. أشهب: أشد شهبة، والشهبة: بياض يصدعه سواد فى خلاله. والثلج شف ولكنه عند تراكمه يرى خلاله ظل من السواد، واستعماله أفعل التفضيل من اللون شاهد على جوازه عند الكوفيين، وعليه درج المتنبى فى قوله يخاطب الشيب:

ابعد بعدت بياضا لا بياض له * لأنت أسود فى عينى من الظلم

فأضْحَى ولو كانت خُراسانُ دونَه * رآها مكان السُّوقِ أو هى أقربا (١)

أخبرنى عيسى بنُ الحسين الورّاق قال : حدّثنا الزبير بن بكّار قال : حدّثنى على بن عثّام الكلابىّ قال : دخل عبدُ الله بنُ الزَّبير الأسدىُّ على مصعب بن الزُّبير بالكوفة لمـّا وَلِيَها وقد مدحه، فاستأذنه الإنشاد، فلمْ يأذن له، وقال له : ألم تُسقِط السماء علينا وتمنعْنا قَطْرها فى مديحك لأسماءَ بن خارجة! ثم قال لبعض من حضر : أنشِدْها، فأنشَدَه : ٥

إذا مات ٱبنُ خارجةَ بن حِصنٍ * فلا مَطَرتْ على الأرض السماءُ
ولا رجعَ الوُفودُ بغُنْم جيشٍ * ولا حَملتْ على الطُّهر النساءُ
ليومٌ منك خيرٌ من أُناسٍ * كثيرٍ حولَهم نَعَمٌ وشاءُ
فبُورِكَ فى بنيك وفى أبيهم * إذا ذُكِروا ونحن لك الفداءُ ١٠

فالتفت إليه مصعب وقال له : اذهب إلى أسماء، فمالك عندنا شىء، فانصرف، وبلغ ذلك أسماء، فعوّضه حتى أرضاه، ثم عوّضه مصعب بعد ذلك، وخُصّ به، وسمع مديحَه، وأحسن عليه ثوابَه .

مدحه لبشر بن مروان

قال ابن الأعرابى : لما ولى بشر بن مروانَ الكوفةَ أدنى عبدَ الله بنَ الزَّبير الأسدىّ وبرّه وخصّه بأنسه، لعلمه بهواه فى بنى أميّة، فقال يمدحه : ١٥

(١) جاء فى تعليق الأخفش على الكامل ١ : ١٨٣ : «دونه : الهاء عائدة على المهلب» فمعناه : فأضحى ولو كانت خراسان قريبة من موضع غزوه، وجاء فى تفسير المبرد لهذا البيت فى الكامل ١ : ١٨٥ «وقوله : فأضحى ولو كانت خراسان دونه : يعنى دون السفر رآها مكان السوق للخوف والطاعة» فمعنى دون السفر : قريبة من موضع سفره، قال المرصفى فى رغبة الآمل ٤ : ٩٠ «وقد سلف عن الأخفش أن الهاء من دونه عائدة على المهلب، وهو أجود . مكان السوق : يريد سوق حكمة (كرقبة) وهو موضع بنواحى الكوفة، نسبت إلى حكمة بن حذيفة بن بدر . أو هى أقربا : أو بمعنى بل، وأقرب ظرف متعلق بخبر هى، وقيل : مفعول ثان، وهى توكيد للأول، أى رآها مكان السوق أو رآها هى أقرب . ٢٠

ألــمْ تَرَنى[(١)] والحمـــد لله أننى * برئت وداوانى بمعْـــروفه بِشْرُ

رعى ما رعى مروانُ مِـنّى قَبـلَه * فصحّت[(٢)] له منى النصيحةُ والشكر

ففى كلّ عام عاشَه الدهرَ صالحا * علىّ لربّ العـالَمين له[(٣)] نَـذْرُ

إذا ما أبو مروانَ خَلّى مكانَه * فلا تَهنأ الدنيا ولا يُرسَل القطـرُ

ولا يَهنِئُ النـاسَ الولادةُ بينهـم * ولا يَبقَ فوقَ الأرض من أهلها شُفْر[(٤)]

فليس البُحــور بالتى تخــبرونَنى * ولكنْ أبو مروا ن بشْرٌ هو البحرُ

وقال فيه أيضا فذكر أمّه قُطْبة بنت بشر بن مالكٍ مُلاعب الأسنّة :

جاءت به عُجُــزٌ مقــابَـلةٌ * ما هن مِن جَـرْم ومن عُكُلِ[(٥)]

يا بشرُ يا ابن الجعفــريّة ما * خَلَق الإلهُ يديْك للبُخـــل

١٠ أنت ابن سادات لأَجمعِهِــم * فى بطن مكّة عزّةُ الأصـل

بحر من الأعيــاص جُدْن به * فى مغـرِسٍ للجُـود والفضل[(٦)]

متهـــلِّلٌ تنْــدَى يَـداه إذا * ضنّ السحاب بوابلٍ سَجْل[(٧)]

(١) رواية ط ، مط «ألم تر يا» . (٢) فى ط ، مط «لحقت» . (٣) فى ط ، مط «به» .

(٤) فى جـ و ب «فوق الدهر» وفى ب «سفر» وفى س «ولم يبق» وهو تحريف يقال : هنأنى الأمر وهنأ لى يهنأ ويهنئ ويهنؤ : سرنى ، شفر : أحد ، يقال : ما بالدار شفر بالفتح والضم : أى أحد .

١٥ (٥) عجز : جمع عجوز . المقابل : الكريم النسب من كلا طرفيه أبيه وأمه . جرم : بطنان من عرب اليمن ، بطن فى قضاعة وهم بنو جرم بن زبان (كشدّاد) وبطن فى طيئ وهم بنو ثعلبة بن عمرو بن الغوث ابن طيئ ، وعكل : قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكلّ من فيه غباوة ويستحمق : عكلىّ .

(٦) الأعياص من قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم أربعة : العاص ، وأبو العاص والعيص ، وأبو العيص ؛ وبشر هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس .

٢٠ (٧) فى الأصـول عدا ط « كما * ضن » وهو تحريف . تهلل الوجه : تلألأ ، بوابل سجل ، أى ذى سجل ، سجلت الماء سجلا : صببته صبا متصلا . وفى ب ، جـ « يبدى نداه » .

خبره مع الحجاج

أخبرنى عمى قال: حدّثنا الكرانى قال: حدّثنا العمرى، عن الهيثم [بن عدىّ] (١) عن عبد الله بن عيّاش قال: أخبرنى مشيخةٌ من بنى أسد أن ابن الزَّبير الأسدىَّ لمّا قفل من قتال الأزارقة صُوِّبَ (٢) بعثٌ إلى الرَّى، قال: فكنتُ فيه، وخرج الحجّاج إلى القنطرة يعنى قنطرةَ الكوفة التى بُزبارةَ (٣) ليَعرِض الجيشَ، فعرضهم، وجعل يسأل عن رجلٍ رجلٍ من هو؟ فمرّ به ابنُ الزَّبير، فسأله من هو؟ فأخبره، فقال أنت الذى تقول:

تخيّرْ فإما أن تزورَ ابنَ ضابئٍ * عُمَيرا، وإما أن تزورَ المهلّبا

قال: بلى، أنا الذى أقول:

ألم ترَ أنّى قد أَخذتُ جَعِيلةً * وكنتُ كَمَن قاد الجَنيبَ فأسمحا (٤)

فقال له الحجّاج: ذلك خيرٌ لك، فقال:

وأَوقَدَتِ الأعداءُ يا مَىُّ فاعلَمى * بكلِّ شَرًى نارًا فلمْ أَرَ مَجْمَحا (٥)

---

(١) عن ط، مط.

(٢) صوب، أى أرسل، من صوبت الفرس: إذا أرسلته فى الجرى. والرى: مدينة بفارس.

(٣) جاء فى معجم البلدان «زبارا: موضع، أظنه من نواحى الكوفة»؛ وقد ذكر غير مضبوط وفى آخره ألف.

(٤) الجعيلة: ما جعل لك على عملك، وجنبه كنصره: قاده إلى جنبه، فهو جنيب، وفى مط «الحبيب» وهو تصحيف. وأسمحت الدابة: لانت وانقادت بعد استصعاب.

يذكره الحجاج بأنه القائل: تخير... الأبيات أى أنه لا مناص لك من إحدى اثنتين: إما أن تقاتل مع المهلب، وإما أن تقتل كابن ضابئ — وفيها يقول:

فما إن أرى الحجاج يغمد سيفه * يد الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

فيجيبه بقوله أنا الذى أقول ... أى أنى نفذت ما أمرتنا به فأخذت جعيلتى (أى عطائى) وسرت لقتال الأزارقة مع المهلب، وكان الحجاج قد توعدهم فى خطبته بقوله: «وإن أمير المؤمنين أمرنى بإعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة، وإنى أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه».

(٥) الشرى: الطريق والناحية. مجمحا يريد مفرا ومهربا من لقائهم. وفى جـ «مجحا» وهو تحريف.

فقال له الحجّاج : قد كان بعض ذلك، فقال :

ولا يَعدَم الدّاعى إلى الخير تابعًا * ولا يَعدَم الداعى إلى الشرّ مُجْذِحا (١)

فقال له الحجّاج : إن ذلك كذلك، فامض إلى بَعْثك، فمضى إلى بعثه فمات بالرى .

مدح ابن أم الحكم فلم يصله فهجاه

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدّثنا الزبير بن بكّار قال : حدّثنى عمى قال : [لمّا] (٢) ولِىَ عبدُ الرحمن ابن أم الحكم الكوفة، مدحه عبد الله بن الزّبير، فلم يُثِبه ، وكان قدم فى هيئة رثّة، فلما اكتسب وأثرى بالكوفة تاه وتجبّر، فقال ابن الزّبير فيه :

تبقّلتَ لمّا أن أتيتَ بلادكُمْ * وفى مصرنا أنت الهمام القَلَمّسُ (٣)

ألستَ ببغل أمّه عربية * أبوك حمار أدبرُ الظهر يُنخَسُ (٤)

قال : وكان بنو أمية إذا رأوا عبدَ الرحمن يلقّبونه البغلَ ، وغلبتْ عليه حتى كان يشتم من ذكر بغلا، يظنّه يعرّض به .

شعره فى مقتل عبد الله بن الزبير

أخبرنى عمى قال : حدّثنا الكُرَانىُّ عن العُمَرى عن العُتْبى قال : لمّا قُتِل عبدُ الله بن الزّبير صلب الحجّاج جسدَه (٥)، وبعث برأسه إلى عبد الملك، فجلس على سريره وأَذِن للناس فدخلوا عليه ، فقام عبدُ الله بن الزّبير الأسدى فاستأذنه فى الكلام، فقال له : تكلّم ولا تقل إلّا خيرا، وتوخَّ الحقّ فيما تقولُه، فأنشأ يقول :

(١) جذح السويق وغيره : لته . والمجذح : ما يجذح به ، وهو خشبة فى رأسها خشبتان معترضتان ، والمعنى : لا يعدم محركا ومجيبا له . (٢) عن ط ومط .

(٣) القلمس : البحر ، والرجل الخير المعطاء ، والسيد العظيم ، والرجل الداهية المنكر البعيد الغور . تبقل : خرج يطلب البقل .

(٤) أدبر : وصف من الدبر بالتحريك وهو الجرح الذى يكون فى ظهر الدابة .

(٥) فى ط ومط : « جسمه » .

٤٤
١٣

مشى ابن الزبير القهقرى فتقدمت * أميّةُ حتّى أحرزوا القصبات
وجئتَ المجلِّى[1] يابن مروان سابقا * أمامَ قريش تنفُض العُذُرات
فلا زلتَ سبّاقا إلى كل غاية * من المجد نجّاءً من الغمَرات[2]

قال : فقال له : أحسنت فسل حاجتك : فقال له : أنت أعلى عينا بها وأرحَبُ صَدْرا يا أمير المؤمنين ؛ فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة، ثم قال له : كيف قلت ؟ فذهب يعيد هذه الأبيات ، فقال : لا ، ولكن أبياتك فى المحِلّ[3] فى وفى الحجّاج التى قلتَها : فأنشده :

شعره فى المحل وفى الحجاج

كأنى بعبد الله يركب رَدْعَه * وفيه سنان زاعِبيٌّ محَرَّب[4]
وقد فرّ عنه الملحدون وحلّقتْ * به وبمن آساه عَنقاءُ مُغْرِب[5]
تولّوا فخلّوه فشالَ بشلوه * طويل من الأجذاع عارٍ مشذَّب[6]
بكفَّىْ غلام من ثقيف نَمَت به * قريش وذو المجد التليد مُعتِّب

(١) فى الأصل : « المعلى » وإنما هو « المجلى » : السابق من الخيل . والعذرة : الناصية ، وقيل هى الخصلة من الشعر ، وعرف الفرس وناصيته .

(٢) الغمرات : جمع غمرة : وهى الشدة ، ومن أمثالهم « غمرات ثم ينجلين » . وفى ب ، س « إلى المجد » وهو تحريف والتصويب عن ط ، مط .

(٣) كان عبد الله بن الزبير يدعى المحل ، لإحلاله القتال فى الحرم ، وفى ذلك يقول رجل فى رملة بنت الزبير :

ألا من لقلب معنى غزل * بذكر المحلة أخت المحل

— الكامل للمبرد ٢ : ٥٩٨ طبع أوروبا .

(٤) يقال للقتيل : ركب ردعه : إذا خر لوجهه على دمه . زاعبى : فى ط ، جـ ، وفى ب « زاغبى » وهو تصحيف ، وزاعب بلد أو رجل ومنه الرماح الزاعبية أو هى التى إذا هزت كأن كعوبها يجرى بعضها فى بعض . وحرب السنان : حدده .

(٥) يقال : عنقاء مغرب ومغربة على الوصف وعنقاء مغرب بالإضافة ، وهى التى أغربت فى البلاد فنأت ولم تحس ولم تر .

(٦) الشلو : الجسد . شال به : رفعه ، أى أنه صلب على جذع طويل . والتشذيب : إصلاح الجذع .

٥
١٠
١٥
٢٠
٢٥

فقال له عبدُ الملك : لاتقل غلام، ولكن هُمام، وكتب له إلى الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى؛ والله أعلم .

مجازاة عبد الله ابن الزبير

أخبرنى أبو الحسن الأسدى قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عدى ، عن مجالد قال : قَتَل ابنُ الزّبير من شيعة بنى أميّة قوما بلغه أنهم يتجسّسون لعبد الملك، فقال فيه عبد الله بنُ الزَّبير فى ذلك يهجوه و يعيّره بفعله :

أيها العائذ فى مكّةَ كَمْ * من دمٍ أهرَقْتَه فى غير دمْ
أَيَــدٌ عائــذةٌ معصــمةٌ * و يد تقتل مَن حلَّ الحَرَم!

مدحه بشر ابن مروان

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصلى فيه إصلاحات بخطّه ، والكتاب بخــط النضر بن حديد[1] من أخبار عبد الله بن الزبير وشعره ، قال : دخل عبد الله بن الزبير على بشر بن مروانَ وعليه ثياب كان بشرٌ خلعَها عليه ، وكان قد بلغ بشرا عنه شىء يكرهه ، بجفاه ، فلما وصل إليه وقف بين يديه ، وجعل يتأمل مَن حَوالَيه من بنى أمية ، و يجيل بصرَه فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئتهــم ، فقال له بشر ، إن نظرك يا ابن الزَّبير ليدلّ أن وراءه قولا ؛ فقال : نعم ؛ قال : قل ؛ فقال :

كأن بنى أُميــة حول بشر * نجــومٌ وَسْطَهــا قمــر منــير
هــو الفرع المقدَّم مــن قريش * إذا أخذتْ مآخِذَها الأمــورُ
لقــد عمت نوافــلُه[2] فأضحى * غنيّــا مِــن نوافله الفقــير
جبَرْتَ مَهِيضَــنا[3] وعَدلْتَ فينــا * فعــاش البائس الكَلُّ الكَســير
فأنت الغيثُ قــد علمتْ قريش * لنــا ، والوا كِفُ[4] الجَوْنُ المَطِير

(١) فى ط ، مط « حبيب » .
(٢) النوافل : جمع نافلة ، وهى العطية .
(٣) هاض العظم : كسره بعد الجبور أو بعد ما كاد ينجبر فهو مهيض . الكل : من كان عيالا وثقلا على صاحبه . وفى ب ، جـ « الفقير » .
(٤) وكف الماء : سال . الجون : يطلق على الأسود والأبيض ، وهو هنا الأسود أى السحاب الكثيف المتراكم .

قال : فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضىَ عنه، فقال ابن الزّبير :

لِبشير بنِ مروانٍ على الناس نعمة * تروح وتغـدو لا يطاقُ ثوابُها
به أمّن الله النفوسَ من الردى * وكانت بحـال لا يقَـرُّ ذُبابُهـا (١)
دمغتَ ذوى الأضغان يابشر عَنوةً * بسـيفك حتى ذَلّ منهـا صِعابها (٢)
وكنت لنـا كهفا وحصنا ومَعقلا * إذا الفتنـة الصّمّاء طارت عُقابها (٣)
وكم لك يابشر بنَ مروانَ من يدٍ * مهـذّبةٍ بيضـاءَ راسٍ ظِرابُها (٤)
وَطَدْتَ لنـا دينَ النبيّ محمّـدٍ * بحلمك إذ هرّت سَـفاهًا كلابُها (٥)
وُسدتَ ابنَ مروانٍ قريشا وغيرَها * إذا السـنةُ الشهباءُ قلّ سَحابُها (٦)
رأبتَ ثأَانا واصطنعتَ أياديًا * إلينـا ونارُ الحربِ ذاكٍ شِهابُها (٧)

٤٥ / ١٣

شعره لبشر ابن مروان

قال النضر بن حديد فى كتابه هذا : ودخل عبدالله بنُ الزّبير إلى بشر بنِ مروان متعرّضا له ويُسمِعَه بيتا (٨) من شعره فيه، فقال له بشر: أراك متعرضا لأن أسمع منك،

(١) فى جـ « لا تفو ذباتها » . وفى ب وس « لا تفر ذبابها » وهو تحريف . والتصويب عن ط والذباب : الشرّ، أى لا يسكن شرها، والذباب أيضا : الجنون ، أى لا يهدأ اضطرابها .

(٢) دمغت : علوت وقهرت .

(٣) فى س « وكنت لهـا » . الكهف : الملجأ وكذا المعقل . الفتنة الصماء : هى التى لا سبيل إلى تسكينها لتناهيها فى ذهابها، لأن الأصم لا يسمع الاستغاثة ولا يقلع عما يفعـله . وقيل : هى كالحية الصماء التى لا تقبل الرقى . وفى جـ و ب وس « الفتنة » وهو تحريف .

(٤) ظراب : جمع ظرب ككتف، وهو الجبل المنبسط .

(٥) وطدت : ثبت . هرّ الكلب هريرا ، وهو صوته دون نباحه .

(٦) سـنة شهباء : إذا كانت مجدبة بيضاء من الجدب لا يرى فيها خضرة ؛ وقيل الشهباء التى ليس فيها مطر .

(٧) الثأى كالثرى : الإفساد . ذكت النار : اشتد لهبها . والشهاب : شعلة من نار ساطعة .

(٨) كذا فى ج، ط، مط . والذى فى ب، س : « شيئا » .

وهل أبقى أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودّك شيئا ؟ لقد نزحتَ فيه بحرك يا بن الزبير؛ فقال : أصلح الله الأمير، إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلا، وكانت له عندى أيادٍ كثيرة ، وكنتُ لمعروفه شاكرا، وأيادى الأمير عندى أجلّ، وأمَلى فيه أعظم، وإن كان قولى لا يحيط بها ففى فضل الأمير على أوليائه ما قبِل به ميسورَهم ، وإن أذن لى فى الإنشاد رجوتُ أن أوفَّق للصواب . فقال : هات ، فقال :

تداركنى بشرُ بنُ مروانَ بعد ما * تعاوَتْ إلى شِلوى الذئابُ العواسِلُ(١)

غِياثُ الضعاف المُرملين وعصمةُ ال‍ * ‍يتامى ومَن تأوِى إليه العَباهل(٢)

قَريعُ قريشٍ والهمامُ الّذى له * أقرّت بنو قحطان طُرًّا ووائل(٣)

وقيسُ بن عَيلان وخِنْدِفُ كلُّها * أقرّت وجِنُّ الأرض طُرًّا وخابِل(٤)

يداك ٱبنَ مروان يدٌ تقتل العدا * وفى يدك الأخرى غياثٌ(٥) ونائل

إذا أمطرَتْنا منك يوما سحابةٌ * رَوِينا بما جادت علينا(٦) الأنامل

---

(١) الشلو : الجسد . والعواسل : جمع عاسل ، عسل الذئب كضرب : اضطرب فى عدوه وهز رأسه

(٢) أرمل : نفد زاده . العباهلة : هم الذين أقروا على ملكهم لا يزالون عنه (بالبناء للمجهول) وقد جاء هنا العباهل بغير تاء ، وفى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « إلى الأقيال العباهلة » وواحد العباهلة عبهل كجعفر والتاء لتأكيد الجمع ، كقشعم وقشاعمة ، ويجوز أن يكون الأصل عباهيل جمع عبهول أو عبهال فحذفت الياء وعوض منها الهاء ، والأول أشبه .

(٣) القريع : السيد .

(٤) الخابل : الجن ، جاء فى لسان العرب : الخبل بالتحريك : الجن وهم الخابل ، وقيل الخابل : الجن ، والخبل ، اسم الجمع كالقعد والروح : اسمان لجمع قاعد ورائح ، وقيل : هو جمع ، وفى ط ، ب ، س « وحابل » وفى جـ « وحامل » وهو تحريف .

(٥) كذا فى ب وس والذى فى جـ ، ط ، مط « عقاب » .

(٦) كذا فى ط ، مط والذى فى ب ، س ، ج « عليه » .

فلا زلت يا بشر بن مروانَ سيّدا * يُهِلّ علينا منك طَلٌّ ووابل

فأنت المصفّى يا بن مروانَ والّذى * توافت إليه بالعطاء القبائلُ

يرجّون فضلَ اللهِ عند دعائكمْ * إذا جمعتكمْ والحجيجَ المنازلُ

ولولا بنو مروان طاشت حُلومنا * وكنّا فَرَاشا أحرقتْها الشعائل

شعره في أمير المؤمنين

فأمر له بجائزة وكساه خِلعة ، وقال له : إنى أريد أن أوفدَكَ على أمير المؤمنين ، فتهيّأْ لذلك يا بن الزّبير، قال : أنا فاعل أيّها الأمير، قال : فماذا تقول له إذا وفدتَ عليه ولقيتَه[1] إن شاء الله . فارتجل من وقته هذه القصيدة ثم قال :

أقول : أميرَ المؤمنين عَصَمْتَنا * ببشر من الدهر الكثير الزّلازل[2]

وأطفأتَ عنا نارَ كلّ منافق * بأبيضَ بُهلولٍ طويل الحمائل[3]

نَمَتْه قُرومٌ من أميّة للعلا * إذا افتخر الأقوام وَسْط المحافل[4]

هو القائد الميمونُ والعِصمة التى * أتى حقّها فينا على كل باطل

أقام لنا الدينَ القويمَ بحلمه * ورأيٍ له فضلٌ على كل قائل

أخوك أمير المؤمنين ومَن به * نُجادُ ونُسقَى صَوْبَ أسحمَ هاطلِ[5]

إذا ما سألنا رِفده هطَلَت لنا * سحابة كفّيه بجَوْدٍ ووابلِ[6]

حليمٌ على الجُهّال منا ورحمةٌ * على كلّ حافٍ من مَعدٍّ وناعلِ

(١) فى س ، ب « وألقيته » وهو تحريف . (٢) الزلازل : البلايا والشدائد .

(٣) إذا قالت العرب : فلان أبيض ، فالمعنى نقاء العرض من الدنس والعيوب ، وهو كثير فى شعرهم ، لا يريدون به بياض اللون ، ولكنهم يريدون المدح بالكرم ونقاء العرض . والبهلول : السيد الجامع لكل خير . الحمائل جمع حمالة بالكسر ، وهى علاقة السيف . وطويل الحمائل كناية عن أنه طويل القامة .

(٤) يقال : نماه جده : إذا رفع إليه نسبه ، ومنه قوله : «نمانى إلى العلياء كل سميدع» وقروم جمع قرم بالفتح : وهو السيد . (٥) الصوب : المطر، أسحم : أى سحاب أسحم : وهو الأسود المتكاثف .

(٦) الجود : المطر الغزير، أو ما لا مطر فوقه ، جمع جائد .

فقال بشر لجلسائه : كيف تسمعون ؟ هـذا والله الشعر ، وهذه القـدرة عليه !
فقال له حَجّار بن أبجر العجلى ، وكان من أشراف أهل الكوفة ، وكان عظيم المنزلة
عند بشر : هذا أصلحَ الله الأميرَ أشعرُ الناس وأحضَرُهم قولا إذا أراد ، فقال محمد
ابن عمير بن عطارِد — وكان عدوّا لحجّار — أيّها الأمير ، إنه لشاعر ، وأشعَرُ منه
الذى يقـول :

شعر الفرزدق فى بشر بن مروان

لبشرِ بنِ مروانٍ على كلّ حالة * من الدهر فضلٌ فى الرخاء وفى الجهد
قـريع قريش والذى باع ماله * ليَكسِب حَمْدا حين لا أحدٌ يُجْدى(١)
ينـافس بشر فى السماحة والنّدى * ليُحـرِز غاياتِ المَكارم بالحمـد
فكم جبرتْ كفّاك يابِشرُ من فتىً * ضَريك،وكم عيَّلت قوما على عَمْد(٢)
وصيّرتَ ذا فقـرٍ غنيّاً ، ومثريا * فقيرا، وكلّاً قد حذوتَ بلا وعد(٣)

خبره مع حجار ابن أبجر

فقال بشر : من يقول هـذا ؟ قال : الفرزدق، وكان بشر مُغضَبا عليـه، فقال :
ابعثْ إليه فأَحضِرْه ، فقـال له : هو غائب بالبصرة ، وإنّمـا قال هذه الأبيات
وبعث بها لأُنشِدَكَها ولتَرضَى عنه ، فقال بشر : هيهات ! لست راضيا عنه حتى
يأتيَنى ، فكتب محمـد بن عمير إلى الفرزدق ، فتهيّأ للقدوم على بشر، ثم بلغـه أن
البَصْرة قـد جُمِعتْ له مع الكوفة ، فأقام وانتظر قدومَه ، فقال عبـد الله بن الزَّبِير
لمحمد بن عُمَير فى مجلسه ذلك بحضرة بِشر :

---

(١) أجدى : أعطى .
(٢) كلمة « كفاك » ساقطة من جـ ، ب ، س وقد أثبتناها عن ط ، مط . والضريك : الفقير السيء الحال . عيلهم : أهملهم .
(٣) حذوت : قدوت .

بنى دارم[1] هل تعرفون محمدا * بدعوته فيكم إذا الأمر حققا

وساميتم قوما كراما بجدكم * وجاء سكيتا[2] آخر القوم مخفقا

فأصلك دهمان بن نصر فردهم * ولا تك وغدا فى تميم معلقا

فإن تميما لست منهم ولا لهم * أخا يابن دهمان فلا تك أحمقا

ولولا أبو مروان لاقيت وابلا[3] * من السوط ينسيك الرحيق المعتقا

أحين علاك الشيب أصبحت عاهرا * وقلت أسقنى الصهباء[4] صرفا مروقا

تركت شراب المسلمين ودينهم * وصاحبت وغدا من فزارة أزرقا[5]

تبيتان من شرب المدامة كالذى * أتيح له حبل فأضحى مخنقا

فقال بشر: أقسمت عليك إلا كففت، فقال: أفعل أصلحك الله، والله لولا مكانك لأنفذت حضنيه[6] بالحق، وكف ابن الزبير وأحسن بشر جائزته وكسوته، وشمت حجار بن أبجر بمحمد بن عمير — وكان عدوه — وأقبلت بنو أسد على ابن الزبير فقالوا: عليك غضب الله، أشمت حجارا بمحمد، والله لا نرضى عنك حتى تهجوه هجاء يرضى به محمد بن عمير عنك، أو لست تعلم أن الفرزدق أشعر العرب؟

(١) دارم بن مالك بن حنظلة: بطن من تميم: ومحمد: هو محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمى سيد تميم الكوفة. والدعوة فى النسب بالكسر: أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته.

(٢) السكيت: الذى يجىء آخر حلبة الخيل.

(٣) كذا فى ط، مط. والذى فى باقى الأصول «وائلا»؛ وهو تصحيف.

(٤) الصهباء: الخمر. والصرف: الخالص، ذكر الوصف حملا على المعنى، أى شرابا صرفا مروقا. والرحيق: الخمر أو أطيبها.

(٥) أزرق، أى أزرق العين، أى شبيه بالروم، وكان العرب يكرهون الروم وهم زرق العيون، فكانت الزرقة أبغض شىء من ألوان العيون إلى العرب، وكذا قالوا فى صفة العدو. أزرق العين.

(٦) الحضن: الجنب.

قال : بلى ، ولكن محمدا ظلمنى وتعرّض لى ، ولم أكن لأحلمَ عنه إذ فعل ، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجّارا ، فقال :

سليلَ النصارى سُدتَ عِجلا ولم تكن * لذلك أهْلاً أنْ تسود بنى عِجْلِ [1]

ولكنّهم كانوا لئامًا فَسُدْتَهمْ * ومثلُك من سادَ اللئامَ بلا عَقْلِ

وكيف بِعجلٍ إن دنا الفِصْحُ واغتدتْ * عليكَ بَنُو عجل ومِرجَلُكم يَغْلِى [2]

وعندك قِسّيس النصارى وصُلْبُها * وعانيّةٌ صَهْباءُ مثلُ جَنَى النحل [3]

قال : فلما بلغ حجّارا قوله شكاه إلى بشر بن مروان ، فقال له بشر : هجوت حجّارا ؟ فقال : لا والله أعزّ الله الأمير ، ما هجوتُه ، لكنّه كذب علىّ ، فأتاه ناس من بنى عجل وتهدّدوه بالقتل ، فقال فيهم :

تُهدِّدنى عِجْلٌ ، وما خِلتُ أنّنى * خَلاةٌ لعجلٍ والصليبُ لها بعلُ [4]

وما خِلتُنى والدهرُ فيه عجائبٌ * أُعمَّر حتى قد تهدّدنى عِجلُ

وتُوعِدُنى بالقتل منهم عصابةٌ * وليس لهم فى العزّ فرعٌ ولا أصل

وعِجلٌ أُسود فى الرخاء ، ثعالبٌ * إذا التقت الأبطال واختلف النَّبل

فإن تَلْقَنا عِجل هناك [5] فمالنا * ولا لهمُ مِ الموتِ مَنْجًى ولا وَعل [6]

---

(١) بنو عجل : قبيلة من ربيعة ، وهو عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل . وفى ا ، جـ ، ب ، س « ومن يكن * كذلك أهل » ، وما أثبتناه عن ط ، مط .

(٢) الفصح : عيد للنصارى . (٣) صهباء : ذات صهبة بالضم : وهى حمرة أو شقرة .

(٤) الخلى : الرطب من النبات واحدته خلاة ، وقيل : الخلاة كل بقلة قلعتها ، والبعل من النخل : ما شرب بعروقه من غير سقى ولا ماء سماء . (٥) فى ط ، مط « يوما » .

(٦) فى ب ، س « والموت » وهو تحريف ، التصويب عن جـ ، ط ، مط . أى من الموت . والوعل : الملجأ .

منع عبد الرحمن الخروج إلى الشام

وقال النضر فى كتابه : لما منع عبدالرحمن بن أم الحكم عبدالله بن الزّبير الخروجَ إلى الشام، وأراد حبسه، لجأ إلى سُوَيد بن مَنْجوف، واستجار به، فأخرجه مع بنى شيبانَ فى بلادهم، وأجازه عَمَل ابن أم الحكم (١)، فقال يمدحه :

أليس ورائى إن بلادٌ تجهَّمتْ (٢) * سويدُ بنُ مَنْجُوف وبكر بن وائلِ

حصونٌ براها الله لم يُرَ مثلُها * طوالٌ أعاليها شدادُ الأسافلِ ٥

هُمُ أصبحوا كَنْزِى الذى لستُ تاركًا * ونَبْلى التى (٣) أعددتُها للمُناضِلِ

حاجب بشر سأل شعرا

وقال أيضا فى هذا الكتاب : جاء عبد الله بن الزّبير يوما إلى بشر بن مروان، فحجبه حاجبُه ، وجاء حَجّار بن أبجَر فأذن له ، وانصرف ابن الزبير يومئذ، ثم عاد بعد ذلك إلى بشر وهو جالس جلوسا، فدخل إليه، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول :

ألم تر أن الله أعطى فخَصَّنا (٤) * بأبيضَ قَرمٍ من أميةَ أزهرا ١٠

طَلوع ثنايا المجد، سامٍ بطرفه * إذا سُئل المعروفَ ليس بأوعرا (٥)

فلولا أبو مروان بِشْرٌ لقد غدت * ركابى فى قَيْفٍ من الأرض أغبرا (٦)

سِراعًا إلى عبد العزيز دوائبًا * تَخَلَّلُ زَيتونا بمصر وعَرْعَرا (٧)

وحاربتُ فى الإسلام بكرَ بن وائل * كحربِ كليب أو أمرّ وأمقرا (٨)

(١) أى يسره أن يجتاز حدود ولايته . ١٥

(٢) تجهمه وتجهم له : استقبله بوجه كريه ، وقوله : « وبكر بن وائل » لأن بنى شيبان من بكر.

(٣) كذا فى ط ، مط ، وفى باقى الأصول : « الذى » .

(٤) فى ب ، س : « أخصنا » ، والتصويب عن ط ، مط .

(٥) ثنايا : جمع ثنية ، وهو الطريق فى الجبل .

(٦) القيف : المفازة كالفيفاة والفيفاء . ٢٠

(٧) هو عبد العزيز بن مروان أخو بشر ، وكان واليا على مصر . والعرعر : شجر السرو .

(٨) بكر بن وائل : تقدم أن حجار بن أبجر من بنى عجل وهم من بكر بن وائل . وكليب : هو كليب ابن ربيعة الذى قتله جساس بن مرة ، ونشبت بقتله حرب البسوس المشهورة بين بكر وتغلب . وأمقر : أمر ، وفى ط ، مط « وأسفرا » .

إذا قادتِ الإسلامَ بكرُ بن وائلٍ * فهَبَّ ذاك دِينا قد تغيّر مُهتَرا (١)

بأىّ بلاءٍ أم بأىّ نصيحةٍ * تُقدِّمُ حجّاراً أمامى ابنَ أبجَرا

وما زلتُ مذ فارقتُ عثمان صادياً * ومروانَ مُلتاحاً عن الماء أزورا (٢)

ألا ليتنى قُدِّمتُ واللهِ قبلَهم * وأن أخى مروانَ كان المؤخرا (٣)

٥ بهم جُمع الشملُ الشّتيتُ، وأصلَح الـ * إلهُ، وداوَى الصّدْعَ حتى تجبّرا

قضى الله : لا ينفكّ منهم خليفةٌ * كريم يسوس الناسَ يركبُ مِنبرا

فاعتذر إليه بِشرٌ ووصلَه وحمله، وأنكر على حاجبه ماتشكّاه، وأمر أن يأذن له عند إذنه لأخصّ أهله وأوليائه . ٨/١٣

شعر لأبيه

وقال النضر فى كتابه هذا : كان الزبير بن الأشيم — أبو عبد الله بن الزّبير (٤) —

١٠ شاعرا، وكان لعبد الله بنِ الزّبير ابن يقال له الزّبير شاعر، فأما أبوه الزبير بن الأشيم فهو الّذى يقول :

ألا يا لَقومى للـتَرقادِ المؤرِّقِ * وللرَّبع — بعد الغبْطَة — المتفرِّقِ (٥)

وهمِّ الفتى بالأمر من دون نَيْله * مراتبُ صعباتٌ على كلّ مُرتَقى

ويوم بصحراء البَدِيدَيْن قِلتُه * بمنزلة النُّعمان وآبن محرِّق

١٥ (١) هب : مدّ ، أهتر الرجل وأهتر بالبناء للمجهول : ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن فهو مهتر ، ورجل مهتَر : مخطئ فى كلامه ، والمعنى : فعدّه دينا فاسدا غير قويم .

(٢) الصادى : العطشان . الملتاح : المتغير . أزور : مائل، من الزور بالتحريك، وهو الميل . وعن الماء متعلق به .

(٣) كذا فى ط، مط والذى فى باقى الأصول : « فياليتنى » .

٢٠ (٤) فى جـ و ب و س « أبو عبد الله محمد بن الزبير » بزيادة كلمة « محمد » وهو خطأ . والتصحيح عن ط ، مط .

(٥) أى وللربع المتفرق بعد الغبطة، فصل بين الموصوف والوصف بمعمول الوصف، وهو جائز قال تعالى : « ذلك حشر علينا يسير » . والغبطة : حسن الحال والمسرة .

وذلك عيش قد مَضَى كان بَعْدَه * أمورٌ أشابَتْ كلَّ شأن ومَفْرِق (١)

وغيّر ما استنكرتِ يا أم واصلٍ * حوادثُ إلا تَكْسِر العظم تَعْرِق (٢)

فِراقُ حبيبٍ أو تغيُّر حالةٍ * من الدهر أورامٍ لشخصى مُفوِّق

على أنى جَلْدٌ صبورٌ مرزَّأٌ * وهل تترك الأيامُ شيئا لمشفِق؟

شعر لابنه

وأما ابنه الزّبير بن عبد الله بن الزّبير، فهو القائل يمدح محمد بن عيينة بن أسماء ابن خارجة الفزارى: ٥

قالت عبيدةُ مَوْهِنًا * أين اعتراكَ الهمُّ أينَهْ (٣)

هل تبلغنّ بك المُنَى * ما كنت تأمُل فى عُيينهْ

بدرٌ له الشِّيَم الكرا * مُ كاملاتٌ فاعتلينَهْ

والجوعُ يقتُله النَّدى * منه إذا قَحْطٌ ترينَهْ ١٠

فهناك يَحْمَدُه الورَى * أخلاق غيركم اشتكينه

قال: وهو القائل فى بعض بنى عمّه:

ومولًى كداءِ البَطْنِ أو فوق دائه * يزيدُ موالى الصدقِ خيرًا و ينقصُ (٤)

تلوّمتُ أرجو أن يثُوب فيرعَوِى * به الحلمُ حتّى اَستيأسَ المتربّصُ (٥)

---

(١) الشأن: موصل قبائل الرأس. ١٥

(٢) عرق العظم كنصر: أكل ما عليه من اللحم.

(٣) الموهن: نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه.

(٤) المولى: ابن العم. يقول: إن موالى الصدق يزيدون خيرا وهو ينقص.

(٥) تلوّم فى الأمر: تمكث وانتظر كتربص. يثوب: يرجع. واستيأس: يئس.

هربه إلى معاوية

وقال النضر فى كتابه هذا : لمـا هرب ابن الزبير من عبد الرحمن بن أم الحكم إلى معاوية ، أحرق عبدُ الرحمن دَاره ، فتظلّم منه وقال : أحرق لى دارا قد قامت علىّ بمائة ألف درهم ، فقال معاوية : ما أعلم بالكوفة دارا أنفق عليها هذا القدر ، فمن يعرف صحة ما ادعيت ؟ قال : هـذا المنذر بن الجارود حاضر و يعلم ذلك ،
٥ فقال معاوية للمنذر : ماعندك فى هذا؟ قال : إنى لم آبَه[1] لنفقته على داره ومبلغها ، ولكنى لمـا دخلت الكوفة وأردت الخـروج عنها ، أعطانى عشرين ألف درهـم وسألنى أن أبتاع له بها ساجًا من البصرة ، ففعلت ، فقال معاوية : إن دارا اشترى لهـا ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم! وأمر له بها ، فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه ، ثم قال لهم : أىّ الشيخين عندكم أكذب؟
١٠ والله إنى لأعرف داره ، وما هى إلّا خِصاص قصب ، ولكنهم يقولون فنسمع ، ويخادعوننا فننخدع ، فجعلوا يعجبون منه .

مدحه إبراهيم ابن الأشتر

أخبرنى الحسن بن على ومحمد بن يحيى قالا : حدّثنا محمـد بن زكريا الغلابىّ عن عبد الله بن الضحاك ، عن الهيثم بن عدىّ قال : أتى عبدُ الله بن الزّبير إبراهيم ابن الأشتر النّخَعى فقال له : إنى قد مدحتك بأبيات فاْسمعهنّ ، فقال : إنى لست
١٥ أُعطِى الشعراء ، فقال : اسمعْها منّى وترى رأيك ، فقال : هات إذًا ، فأنشده قوله :

الله أعـطَاك المهـابَةَ والتُّـقَى * وأحلَّ بيتَك فى العَـديدِ الأكثرِ
وأقـرّ عينَك يوم وقعَـةِ خازِرٍ[2] * والخيـلُ تعـثُرُ بالقَنا المتكسِّرِ

(١) أى لم أحفل .
(٢) فى الأصول « جازر » وهو تصحيف ، وفى جـ « المتكثر » وهو تحريف ، وخازر : نهر بين
٢٠ إربل والموصل ، وكانت عنده وقعة بين عبيد الله بن زياد وإبراهيم بن الأشتر ، وكان قد خرج مع المختار ابن أبى عبيد الثقفى للطلب بدم الحسين رضى الله عنه ، وقتل يومئذ ابن زياد سنة ٦٦ هـ .

إنِّى مدحتُك إذ نَبَا بِىَ منزلى * وذممتُ إخوانَ الغِنَى مِنْ مَعْشَرِ

وعرفتُ أنك لا تخيِّب مِدْحتى * ومتى أكن بسبيل خيرٍ أَشكر

فهلمّ نحوى من يمينك نَفحةً * إن الزمان ألحّ يا بن الأشتر

فقال : كم ترجو أن أعطيَك ؟ فقال : ألف درهم أُصلِح بها أمرَ نفسى وعيالى، فأمر له بعشرين ألف درهم .

صــــوت

ما هاج شوقَك من بُكاء حَمَامةٍ * تَدْعُو إلى فَنَن الأَراك حَماما[1]

تَدعو أخا فَرْخين صَادَف ضَارِيًا * ذَا مِخلبين من الصُّقور قَطاما[2]

إلا تَذَكُّرَكَ الأوانسَ بَعْدَما * قطع المطىُّ سَباسِبًا وهُياما[3]

الشعر لثابتِ قُطْنة ،وقيل إنه لكعب الأشقرىّ ، والصحيح أنه لثابت ، والغناء ١٠ ليحيى المكّىّ ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، من رواية ابنه والهشامىّ أيضا .

---

(١) الفنن : الغصن وفى أ ، ط ، مط ، « على » والذى أثبتناه عن ب ، س ، جـ .

(٢) صقر قطام بفتح القاف وقطامىّ بفتحها وضمها : لحم .

(٣) سباسب : جمع سبسب كجعفر ، وهى الفلاة .

أخبار ثابت قطنة

نسبه

هو ثابت بن كعب ، وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب ، ويكنى أبا العَلاء ، أخو بنى أسد بن الحارث بن العَتِيك[1] ، وقيل : بل هو مولى لهم ، ولقب قطنةَ لأن سهما أصابه فى إحدى عينيه فذهب بها فى بعض حروب الترك ، فكان يجعل عليها قطنة ، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية ، وكان فى صحابة يزيد بن المهلب[2] ، وكان يولّيه أعمالا من أعمال الثغور ، فيُحمد فيها مكانُه لكفايته[3] وشجاعته .

فأخبرنى إبراهيم بن أيوب قال : حدّثنا عبد الله بن مُسْلم بن قُتَيبة ، وأخبرنى على ابن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : كان ثابت قطنة قد ولى عملا من أعمال خراسان ، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام ، فتعذّر عليه وحَصِر ، فقال : (سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) ، وبعد عِىٍّ بَيانا ، وأنتم إلى أمير فعّال ، أحوج منكم إلى أمير قوّال :

وإلّا أكن فيكمْ خطيبًا فإنّنى * بسَيْفى إذا جدّ الوغَى لخطيبُ

فبلغت كلماتُه خالدَ بنَ صَفْوان — ويقال الأحنفَ بن قيس — فقال : والله ما علا ذلك المنبرَ أخطبُ منه فى كلماته هذه ، ولو أن كلاما استخفّنى ، فأخرجنى من بلادى إلى قائله استحسانا له ، لأخرجتْنى هذه الكلمات إلى قائلها ، وهذا الكلام بخالد ابن صفوانَ أشبهُ منه بالأحنف .

---

(١) فى ج ، ب ، س « الفتيك » وهو تحريف . والعتيك كأمير : بطن من الأزد ، وهو العتيك ابن الأزد .

(٢) ولى خراسان بعد وفاة أبيه المهلب بن أبى صفرة سنة ٧٢ فى خلافة عبد الملك بن مروان ، وعزل عنها سنة ٨٦ ، ولما ولى الخلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ ولاه أمر العراق ، ثم ولاه خراسان سنة ٩٧

(٣) فى أ ، ب ، س : « لكتابته » .

صلاته الجمعة بالناس

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنى أحمد بن زهير بن حرب، عن دعبل ابن على، قال: كان يزيد بن المهلب تقدّم(١) إلى ثابت قطنة(٢) فى أن يصلّى بالناس يوم الجمعة، فلما صعد المنبر ولم يطق الكلام، قال حاجب الفيل يهجوه:

٥٠/١٣

[أبا العلاء لقد لُقّيت معضلةً * يومَ العَروبة(٣) من كربٍ وتخنيق

أمّا القرانُ(٤) فلم تخلق لمحكمه * ولم تسدَّد من الدنيا لتوفيق

لمّا رمتك عيونُ الناس هبتهمُ * فكدتَ تَشرَق لمّا قمتَ بالرِّيق

تلوى اللسان وقد رُمتَ الكلام به * كما هَوى زَلِقٌ من شاهقِ النِّيق(٥)

٥

خبر حاجب الفيل مع يزيد بن المهلب

أخبرنى عمى قال: حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال: حدّثنى على بن الصباح قال: كان سبب هجاء حاجب بن ذبيان المازنى — وهو حاجب الفيل، والفيل لقب لقبه به ثابت قطنة وكعب الأشقرى — أن حاجبا دخل على يزيد بن المهلب، فلما مثل بين يديه أنشده]:

١٠

إليك امتطيتُ العيسَ(٦) تسعين ليلة * أرجّى ندى كفّيكَ يا بن المهلّب

[وأنت امرؤٌ(٧) جادتْ سماءُ يمينه * على كل حىٍّ بين شرقٍ ومغرب]

بِجُنْدٍ(٨) لى بطِرْفٍ أعوجىٍّ مشهّرٍ * سليم الشَّظا عَبْلِ القوائم سَلْهَبِ

---

(١) تقدّم إليه فى كذا: أمره به. (٢) فى ط، ب «ثابت بن قطنة»، وهو تحريف.

(٣) ما بين مربعين ساقط من ط، مط؛ وقد أثبتناه عن جـ، ب، س. ويوم العروبة: يوم الجمعة. (٤) القران: مسهل عن القرآن.

(٥) النيق: أرفع موضع فى الجبل. (٦) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة.

(٧) سقط هذا البيت من ط، مط.

(٨) الطرف: الكريم من الخيل. أعوجىّ: نسبة إلى أعوج، وأعوج: فرس كريم سابق كان لبنى هلال، ركب صغيرا فاعوجت قوائمه، وإليه تنسب الخيل الكرام، فيقال: الخيل الأعوجية. مشهر ومشهور: معروف المكان مذكور. والشظا: عظم لاصق بالركبة. عبل: ضخم؛ والسلهب من الخيل: ما عظم وطال عظامه. وفى ط، مط، جـ «منهب» والمنهب: الفائق فى العدو.

١٥

٢٠

سبوحٍ طموحِ الطَّرْفِ يَسْتَنُّ مِرْجَمٍ * أُمِرَّ كإمرار الرِّشاء المشذَّب[1]

طوى الضُّمرُ منه البطنَ حتى كأنه * عقاب تدلّت من شماريخ كَبْكَبِ[2]

تُبادِر جُنْحَ الليل فَرْخَين أقْوَيا * من الزاد فى قفرٍ من الأرض مجدب[3]

فلمّا رأت صَيْدًا تدلّتْ كأنها * دَلاةٌ تَهاوَى مَرْقبًا بعد مَرقب[4]

فشكّت سوادَ القلب من ذئبِ قفرةٍ * طويلِ القرا عارى العظام معصّب[5]

وسابغةٍ قد أَتْقَن القَيْنُ صنعَها * وأسمرَ خَطِّىٍّ طويلٍ مُحَرَّب[6]

وأبيضَ من ماء الحديد كأنه * شِهابٌ متى يَلْقَ الضَّريبةَ يَقْضِب[7]

وقل لى إذا ما شئتَ فى حَوْمة الوغى * تقدَّمْ أو اركبْ حومةَ الموت أَركب

فإنى امرؤٌ من عُصْبَةٍ مازنيّةٍ * نَمانِى أبٌ ضخمٌ كريمُ المركَّب

قال: فأمر له يزيدُ بدرع وسيف ورُمح وفرس، وقال له: قد عرفتَ ما شرطْتَ لنا على نفسك؟ فقال: أصلح الله الأمير، حجّتى بيّنة، وهى قول الله عزّ وجل:

---

(١) فرس سبوح: يسبح بيديه فى سيره. استنّ الفرس فى المضمار: إذا جرى فى نشاطه على سننه فى جهة واحدة. وفى ب، س «يستر» وهو تحريف. وفرس مرجم: يرجم الأرض بحوافره. أمر الحبل إمرارا: أحكم فتله. الرشاء: الحبل.

(٢) كبكب: جبل بعرفات، شماريخ: جمع شمراخ، وهو رأس الجبل.

(٣) جنح الليل: أى فى جنح الليل وهو الطائفة منه. أقوى: افتقر (واستغنى أيضا، ضد).

(٤) الدلاة: الدلو. تهاوى: تساقط. المرقب: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب.

(٥) سواد القلب: حبته. القرا: الظهر. المعصب: الجائع. وفى ط، جـ «من ذنب» وهو تحريف.

(٦) وسابغة: معطوف على «طرف» أى بدرع سابغة وهى التامة الطويلة. القين: الحدّاد. وفى جـ «قد أيقن صنعها» وفيه تصحيف وسقط. والأسمر: الرمح. والخطىّ: نسبة إلى الخط، مرفأ السفن بالبحرين، وكانت تباع به الرماح. حرب السنان: حدده. وفى ط، جـ، س، مط «مجرب».

(٧) أبيض، أى وسيف أبيض. والشهاب: شعلة من نار ساطعة. والضريبة: ما يضرب. يقضب: يقطع.

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ . فقال [له] (1) ثابت قطنة : ما أعجبَ ما وفدتَ به من بلدك فى تسعين ليلة ! مدحتَ الأمير ببيتين، وسألته حوائجك فى عشرة أبيات، وختمتَ شعرك ببيت تفخر عليه فيه، حتى إذا أعطاك ما أردتَ حِدتَ عمّا شرطتَ له على نفسك فأكذبتها كأنك كنت تخدعه، فقال له يزيد: مَهْ ياثابت، فإنّا لا نُخدَع، ولكنا نتخادع، وسوّغه (2) ما أعطاه، وأمر له بألفى درهم . ولجّ حاجب يهجو ثابتا فقال فيه :

لا يعرفُ الناسُ منه غيرَ قُطنتِه * وما سِواها من الأنسابِ مجهولُ

خبره مع حاجب الفيل عند يزيد

قال: ودخل حاجب يوما على يزيد بن المهلّب، وعنده ثابتُ قطنة وكعب الأشقرى - وكانا لا يفارقان مجلسَه - فوقف بين يديه فقال له : تكلّم يا حاجب، فقال : يأذن لى الأمير أن أُنشده أبياتا، قال : لا حتى تبدأ فتسألَ حاجتك، قال : أيها الأمير، إنه ليس أحد ولو أطنب فى وصفك موفِّيك حقك، ولكنّ المجتهد محسن، فلا تهجنى بمنعى الإنشادَ، وتأذن لى فيه، فإذا سمعتَ فجُودُك أوسعُ من مسألتى . فقال له يزيد : هات، فما زلتَ مُجيدا محسنا مجملا . فأنشده :

كم من كَمِىٍّ فى الهياج تركتَه * يَهوِى لِفيه مُجدَّلا (3) مقتولا
جلّلتَ مفرِقَ رأسه ذا رَونق * عضبَ المهزّة صارمًا مصقولا (4)
قُدتَ الجيادَ وأنت غِرٌّ يافعٌ * حتى اكتهلتَ ولم تزل مأمولا
كم قد حَرَبتَ وقد جبرتَ مَعاشرا (5) * وكم امتننت وكم شفيتَ غليلا

(1) عن ط، مط . (2) سوّغه ما أعطاه : تركه له خالصا .
(3) الكمى : الشجاع المتكمى فى سلاحه، المتغطى به . جدّله : صرعه .
(4) جللت ... : أى علوته بسيف ذى رونق قاطع .
(5) حربه يحربه حربا، كطلبه يطلبه طلبا : أخذ ماله وتركه بلا شىء .

فقال له يزيد : سل حاجتَك، فقال : ماعلى الأمير بها خفاء، فقال : قل، قال : إذًا لا أقصر ولا أستعظم عظيما أسأله الأميرَ أعزّه الله مع عظم قدره، قال : أجل، فقل يُفعَل، فلستَ بما تصير إليه أغبَطَ منا، قال : تحملنى وتُخدِمُنى (١) وتجزل جائزتى، فأمر له بخمسة تخوتٍ (٢) ثيابٍ وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبِرْذَوْن وخمسة آلاف درهم، فقال حاجب :

٥

شِمِ الغيثَ وانظُرْ وَيْكَ أين تبعّجتْ * كُلاه (٣) تجِدْها فى يدِ آبنِ المهلّبِ

يداه يدٌ يُخْزِى بها اللهُ مَن عصَى * وفى يدِه الأخرى حياةُ المعصَّبِ (٤)

قال : فحسده ثابتُ قُطْنة وقال : والله لو على قدر شعرك أعطاك لما خرجتَ بملء كفّك نوًى، ولكنه أعطاك على قدره، وقام مغضَبا، وقال لحاجبِ يزيدَ بن المهلّب : إنما فعل الأمير هذا ليضع منّا بإجزاله العطيّة لمثل هذا، وإلّا فلو أنا اجتهدنا فى مديحه ما زادنا على هذا، وقال ثابت قطنة يهجو حاجبا حينئذ :

١٠

أحاجبُ لولا أنّ أصْلَك زَيِّفٌ (٥) * وأنّك مطبوعٌ على اللؤم والكفرِ

وأنّى لو أكثرتُ فيــك مقصِّرٌ * رميتُك رميًا لا يَبِيد يَدَ الدهرِ (٦)

فقل لى ولا تكذِبْ فإنّى عالمٌ (٧) * بِمثلك هل فى مازنٍ لك من ظَهرِ؟

١٥

(١) أخدمه : أعطاه خادما يخدمه .

(٢) تخوت : جمع تخت، وهو وعاء تصان فيه الثياب .

(٣) شام البرق : نظر إليه أين يمطر . ويك : وى اسم فعل بمعنى أعجب، والكاف للخطاب أو أصله ويلك وحذفت اللام لكثرة الاستعمال . تبعج السحاب بالمطر : انفرج عن الوبل الشديد، وكلية السحاب : أسفله، والجمع كلى .

٢٠

(٤) المعصب : الذى عصبته السنون أى أكلت ماله، والذى يتعصب بالخرق من الجوع .

(٥) فى ط « زيفة » وما أثبتناه عن باقى الأصول .

(٦) يد الدهر : مد زمانه .

(٧) من ظهر : أى من أنصار وقوة . وفى جـ « فإنك عالم » وهو تحريف .

فإنك منهم غير شك ولم يكن * أبوك من الغُرّ الجحاجحة الزُّهر (١)

أبوك دِيافِىٌّ وأمّك حُرّةٌ * ولكنّها لا شكّ وافية البَظْر (٢)

فلست بهاج ابنَ ذُبيان إننى * سأُكرِمُ نفسى عن سِبابِ ذوى الهُجْر (٣)

هجاء حاجب له

فقال حاجب : والله لا أرضى بهجاء ثابت وحده، ولا بهجاء الأزد كلّها، ولا أرضى حتى أهجو اليمن طُرّا؛ فقال يهجوهم :

٥

دعُونى وقحطانًا وقولوا لثابت * تنحَّ ولا تقرَبْ مُصاوَلة البُزْل (٤)

فللزنج خيرٌ حين تُنسَب والدًا * من ابناء قحطانَ العفاشلة الغُرْل (٥)

أناسٌ إذا الهيجاء شبّتْ رأيتَهم * أذلّ على وَطْءِ الهَوان من النّعل (٦)

نساؤهم فوضَى لمن كان عاهرا * وجيرانهم نَهْبُ الفوارس والرَّجْل

شعره عن نفسه

أخبرنى وكيع قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : وحدّثنى دِعبِل قال : بلغنى أن ثابت قطنة قال هذا البيت فى نفسه وخطر بباله يوما فقال :

١٠

٥٢ / ١٣

لا يَعْرِف الناسُ منه غيرَ قطنته * وما سِوَاها من الأنساب مجهولُ

وقال : هذا بيت سوف أُهجَى به أو بمعناه، وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية وقال : اشهدوا أنّى قائله ، فقالوا : ويحك ما أردت [إلا] (٧) أن تهجو

(١) الجحجح كجعفر : السيد كالجحجاح . والجمع جحاجح و جحاجحة .

١٥

(٢) دياف : من قرى الشام، وقيل من قرى الجزيرة ، وأهلها نبط ، و إذا عرضوا برجل أنه نبطى نسبوه إليها . وفى ب و س « ديابى » ؛ وهو تحريف .

(٣) الهجر : القبيح من الكلام . (٤) البزل جمع بازل : وهو الرجل الكامل فى تجربته .

(٥) العفاشلة جمع عفشل كجعفر : وهو الثقيل الوخم وفى ط ، مط ، جـ « التنابلة » ؛ والتنبل : الرجل القصير . والغرل : جمع أغرل، وهو الذى لم يختتن . (٦) الهيجاء : الحرب .

٢٠

(٧) سقطت هذه الكلمة من جميع الأصول . وسياق الكلام يقتضيها .

نفسك به، ولو بالغ عدوّك ما زاد على هـذا . فقال : لابدّ من أن يقع على خاطر غيرى ، فأكون قد سبقته إليه، فقالوا له : أما هـذا فشرّ قد تعجّلته ، ولعلّه لا يقع لغيرك ، فلمّا هجاه به حاجبُ الفيل استشهدَهم على أنه هو قائله ، فشهدوا على ذلك، فقال يردّ على حاجب :

هَيْهاتَ ذلك بيتٌ قد سُبِقت به * فاطلبْ له ثانيًا يا حاجبَ الفيلِ

أخبرنى أحمد بن عثمان العسكرىّ المؤدّب قال: حدّثنا الحسن بنُ عُلَيل العَنَزىّ قال : حدّثنا قَعْنَب بن المحرز الباهلىّ عن أبى عبيدة قال : كان ثابت قطنة قد جالس قوما من الشُّراة[1] وقوما من المرجئة[2] كانوا يجتمعون فيتجادلون بخُراسان، فمال إلى قول المرجئة وأحبّه ، فلمّا اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم قصيدةً قالها فى الإرجاء :

(١) يسمى الخوارج أنفسهم « الشراة » ، جمع شار كقاض وقضاة ، من شرى كرمى بمعنى باع ، لقولهم : شرينا أنفسنا فى طاعة الله أى بعناها ووهبناها ، أخذ من قوله تعالى : «ومن الناس من يشرى نفسه أبتغاء مرضاة الله » أو من شرى بمعنى اشترى لقولهم : شرينا الآخرة بالدنيا أى اشتريناها .

(٢) المرجئة : فرقة من الفرق الإسلامية ؛ والإرجاء على معنيين : أحدهما التأخير ، من أرجأه إذا أخره ، وترك الهمزلغة فيه ، قال تعالى « قالوا أرجه وأخاه » أى أمهله وأخره ، والثانى : إعطاء الرجاء ، وعلى هذا فهو من أرجى أى بعث فيه الرجاء ، أما إطلاق اسم المرجئة على هذه الجماعة بالمعنى الأول فلأنهم كانوا يؤخرون العمل عن الإيمان؛ وأما بالمعنى الثانى فلأنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . وقيل : الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة ، فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا ، وقد غلت طائفة من المرجئة فقالوا : « إن الايمان عقد بالقلب ، و إن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية ، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية فى دار الإسلام ، وعبد الصليب وأعلن التثليث فى دار الإسلام ، ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل ، ولىّ لله ، من أهل الجنة » .

وقيل : إن أول من قال بالإرجاء الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب ، وكان يكتب فيه الكتب إلى الأمصار ، إلا أنه ما أخر العمل عن الايمان كما قالت المرجئة ، لكنه حكم بأن صاحب الكبيرة لا يكفر ، إذ الطاعات وترك المعاصى ليست من أصل الايمان حتى يزول الإيمان بزوالها — انظر الملل والنحل للشهرستانى ١ : ١٤٤ ، والفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٩٠

يا هندُ إنّى أظنُّ العيشَ قد نفِدا * ولا أرَى الأمرَ إلا مُدْبرا نَكِدا (١)

إنى رَهينَــةُ يومٍ لستُ سابقــه * إلّا يكن يومُنا هــذا فقــد أفِدا (٢)

بايعتُ ربّىَ بيعًا إن وفيتُ به * جاورتُ قتلَى كرامًا جاوَروا أُحُدا (٣)

يا هنــدُ فاستمعى لى إنّ سيرتَنا * أن نَعْبُــد الله لم نشرِكْ به أحدَا

نُرجِى الأمــورَ إذا كانتْ مشبَّهة * ونَصدُق القولَ فيمن جارَ أو عنَدا (٤)

المســلمون على الإسلام كلّهــم * والمشركونَ أشَــتُّوا دِينهــمْ قِدَدا (٥)

ولا أرى أن ذنبــا بالغٌ أحَــدًا * مِ الناس شِركا إذا ماوحَّدوا الصمدا (٦)

لا نَســفِك الدمَ إلّا أن يراد بنــا * سَفْكُ الدماء طريقا واحدًا جَدَدا (٧)

من يتّق الله فى الدنيا فإنّ له * أجرَ التــقىّ إذا وُفّى الحسابَ غدا

وما قضَى اللهُ من أمرٍ فليسَ له * رَدٌّ، ومايَقضِ من شىء يكن رَشَدا

كلّ الخَــوارج مُخطٍ فى مَقالتــه * ولو تعبَّــد فيما قالَ واجْتهــدا

أما عَــلِىٌّ وعثمانٌ فإنهمــا * عَبْــدان لم يُشرِكا بالله مذ عبَــدا

وكان بينهما شَــغْب وقد شهِدا * شقَّ العصا، وبعين الله ما شَهِدا (٨)

يُجــزَى علىٌّ وعثمانٌ بسَــعْيِهما * ولستُ أدرى بحــقٍّ أيّةٌ وَرَدا

الله يعــلم ماذا يَحضُران به * وكلُّ عبــد سيلقَى اللهَ منفــردا

---

(١) نفد : فنى . (٢) أفد : دنا وأزف .

(٣) أحد : جبل بالمدينة كانت عنده غزوة أُحد المشهورة .

(٤) عند عن الطريق عنودا : مال .

(٥) فى ب، س « اشتروا فى دينهم » . واشتوا : فرقوا . وقددا، أى فرقا مختلفة أهواؤها جمع قدة بالكسر .

(٦) بالغ أحدا، أى بالغ من أحد . (٧) طريق جدد : مستو .

(٨) فى ب، س : الشــغب . وهو تهييج الشر . وفى أ، جـ، ط، مط : « الشــعب » . والشعب : الصدع والتفرق . ويقال : شقوا عصا المسلمين : أى شقوا اجتماعهم وائتلافهم .

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب بخط المُرهبيّ الكوفى فى شعر ثابت قطنة ،
قال : لما ولى سعيد بن عبدالعزيز(١) بن الحارث بن الحكم بن أبى العاص بن أمية خراسان
بعد عزل عبد الرحمن بن نُعيم ، جلس يَعرِض الناسَ وعنده حميد الرُّؤاسى وعُبادة
المحاربى ، فلما دُعِىَ بثابت قطنة تقدّم ، وكان تامَّ السلاح ، جَوادَ الفرس ، فارسا من
٥ الفرسان ، فسأل عنه ، فقيل : هذا ثابتُ قطنة ، وهو أحد فُرْسان الثغور ، فأمضاه ٥٣/١٣
وأجاز على اسمه ، فلما انصرف قال له حميد وعبادة : هذا أصلحك الله الذى يقول :

إنا لضرّابون فى حَمَسِ الوَغى(٢) * رأْسَ الخليفة إن أراد صدودا

فقال سعيد : علىّ به ، فردّوه وهو يريد قتله ، فلما أتاه قال له : أنت القائل :

* إنا لضرّابون فى حَمَسِ الوغى *

١٠ قال : نعم ، أنا القائل :

إنا لضرّابون فى حَمَسِ الوغى * رأْسَ المتوّجِ إنْ أراد صُدُودا
عن طاعة الرحمن أو خُلَفَائه * إن رام إفسادا وكرَّ عُنُودا

فقال له سعيد : أولى لك ، لولا أنك خرجتَ منها لضربتُ عنقَك ، قال : وبلغ ثابتا
ما قاله حُميد وعُبادة ، فأتاه عبادة معتذرا ، فقال [له](٣) : قد قبلت عذرك ، ولم يأته
١٥ حميد ، فقال ثابت يهجوه :

وما كان الجُنَيد ولا أخوه * حميدٌ من رءوس فى المَعالى

(١) فى ب ، س «العزى» .
(٢) حمس الأمر كفرح حمسا : اشتد .
(٣) عن «ط» وسقطت من جميع الأصول .

فإن يك دغفلٌ(١) أمسى رهينًا * وزيدٌ والمقيم إلى زوال

فعندكُم ابن بشر فاسألوه * بمرو الرُّوذِ(٢) يصدُق فى المقال

ويخبر أنه عبدٌ زنيمٌ(٣) * لئيم الجد من عمٍّ وخال

قال: واجتاز ثابت قطنة فى بعض أسفاره بمدينة كان أميرها محمد بن مالك بن بدر(٤) الهمْدانى ثم الخيَوانى(٥)، وكان يُغمَز فى نسبه، وخطب إلى قوم من كِنْدة فردّوه، فعرف خبر ثابت فى نزوله، فلم يُكرمه، ولا أمَر له بقِرًى، ولا تفقّده بنُزُلٍ(٦) ولا غيره، فلما رحل عنه قال يهجوه و يعيّره بردّ من خطب إليه :

(١) فى جـ «دعبلا» وفى ب، س، ط، مط «دعبل» وهو تحريف صوابه «دغفل»، وهو دغفل ابن حنظلة النسابة من بنى ذهل بن ثعلبة بن عكابة، كان أعلم أهل زمانه بالأنساب، ومن أمثالهم: أنسب من دغفل، وقد وفد على معاوية، وقتلته الأزارقة، وله حديث طويل مع معاوية حين قدم عليه مع وفد العراق — اقرأه فى ذيل الأمالى ص ٢٦، ج ٢ : ٢٠٣، ومجمع الأمثال ج ١ : ص ١٣ فى المثل : «إن البلاء موكل بالمنطق»، وفى العقد الفريد ٢ : ٥٥، والمعارف لابن قتيبة : ٢٣٢ وبلوغ الأرب ٣ : ١٩٨

وزيد : هو زيد بن الكيس النمرى من ولد عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط، كان نسابة»، قال أبو عبيدة : إنه ممن يقارب دغفلا فى العلم بالأنساب من العرب، وفيه وفى دغفل يقول مسكين بن عامر :

فحكم دغفلا وارحل إليه * ولا تدع المطىّ من الكلال

أو ابن الكيس النمرىّ زيدا * ولو أمسى بمنخرق الشمال

— تاج العروس «كيس»، وبلوغ الأرب ٣ : ٢٠٢

(٢) مرو الروذ : مدينة بخراسان، مات بها المهلب بن أبى صفرة .

(٣) الزنيم : الدعىّ . واللئيم : المعروف بلؤمه وشره .

(٤) كذا فى ب، س، جـ، والذى فى ط، مط : «يزيد» .

(٥) فى ب، س «الحرانى» وهو تحريف التصويب عن ط، جـ، مط . نسبة إلى خيوان ابن نوف (كشمس) بن همدان .

(٦) النزل كعنق وقفل : ما هيىء للضيف أن ينزل عليه .

لو أنّ بَكِيلاً هُمُ قومُه * وكان أبوه أبا العَاقبِ (١)
لأكرمَنَا إذ مَرَرْنَا به * كرامةَ ذى الحسَبِ الثاقبِ
ولكنّ خيوانَ هُمْ قومُه * فبئس هم القومُ للصَّاحبِ (٢)
وأنت سَنِيدٌ بهم مُلصَق * كما الصقتْ رُقعةُ الشاعبِ (٣)
وحَسْبُك حَسْبُك عند الثَّنا * بأفعال كِندةَ من عائبِ (٤)
خَطبتَ فجازَوْكَ لماخطبتَ * جزاءَ يَسارٍ من الكاعبِ (٥)

(١) بكيل: حىّ من همدان، هم بنو بكيل بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان: والعاقب: الذى يخلف السيد. (٢) فى جـ، ب، س «حيوان» وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبتنا. ورواية ط، مط: * فبئس أخو القوم والصاحب *

(٣) السنيد: الدعىّ، شعب صدع الإناء كمنع: أصلحه ولأمه.

(٤) الثنا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سىء يقال فلان حسن الثنا، وقبيح الثنا، وفى جـ و ب س: «الشيا»، وفى ط، مط: «الشنا»؛ وهو تحريف.

(٥) من أمثالهم: لقى ما لاقى يسار الكواعب، والكاعب: الجارية التى كعب ثدياها أى نهدا، ويسار: عبد أسود دميم، وكان يقال له يسار الكواعب لأن النساء إذا رأينه ضحكن منه لقبحه، فكان يظن أنهن يضحكن من إعجابهن به، حتى نظرت إليه امرأة مولاه فضحكت فظن أنها خضعت له، فقال لصاحب له أسود كان يكون معه فى الإبل: قد والله عشقتنى مولاتى فلأزورنها الليلة، ولم يكن يفارق الإبل، فقال له صاحبه: يا يسار، اشرب لبن العشار، وكل لحم الحوار، (بالضم وقد يكسر: ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه) وإياك و بنات الأحرار، فقال له: يا صاحب، أنا يسار الكواعب، والله ما رأتنى حرّة إلا عشقتنى، فلما أمسى قال لصاحبه: احفظ علىّ الإبل حتى أنصرف وأعود إليك، فنهاه فلم ينته، حتى دخل على امرأة مولاه يراودها عن نفسها، فقالت له: مكانك، فإن للحرائر طيبا أشمك إياه، فقال: هاتيه، فأتته بطيب وموسى قاطعة، فأشمته الطيب ثم انحنت بالموسى على أنفه فقطعته، وقيل: وضعت تحته بخورا وقطعت مذاكيره، فصاح، فقالت: صبرا على مجامر الكرام، ثم خرج هاربا حتى أتى صاحبه ودمه يسيل فضرب به المثل — انظر سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة المصرى ص ٢٧٠

وفى مجمع الأمثال للميدانى ٢ : ٢٤٨ أنه كان لمولى يسار بنت، فمرّت يوما بإبله وهى ترتع فى روض معشب، فجاء يسار بعلبة لبن فسقاها، وكان أفحج الرجلين، فنظرت إلى فحجه فتبسمت ثم شربت وجزته خيرا، فانطلق فرحا حتى أتى عبدا كان يراعيه، وقص عليه القصة وقال: دخلت إلىّ دخلة لا أخيبها (يقول: ضحكت ضحكة) ثم قام إلى علبة فملأها وأتى بها ابنة مولاه... فوضعت البخور تحته وتطأطأت كأنها تصلح البخور وأخذت مذاكيره وقطعتها بالموسى، قال الفرزدق يخاطب جريرا:

وإنى لأخشى إن خطبت إليهم * عليك الذى لاقى يسار الكواعب

كذبتَ فزيّفتَ عقدَ النكاح * لِمتّكَ بالنَّسَب الكاذب (١)

فـلا تخطبنْ بعـدها حُرّةً * فتُثْنَى بوَسْمٍ على الشارب (٢)

هجاؤه لقتيبة ابن مسلم

قال أبو الفرج : ونسخت من هـذا الكتاب قال : كان لثابت قطنة راويةٌ يقال له النضر ، فهجا ثابتُ قطنةُ قتيبةَ بنَ مسلم وقومَه ، وغيرَهم بهزيمـة انهزموها عن التُّرْك ، فقال :

توافتْ تمـيمٌ فى الطِّعان وعرّدتْ * بُهيْلَةُ لمّـا عاينتْ معشرًا غُلْبـا (٣)

كُماة كُفاة يرهَب النـاسُ حدَّهم * إذا مامَشَوْا فى الحرب تحْسَبهم نُكْبَا (٤)

تُسَامون كعبًا فى العُـلا وكِلابَهـا * وهيهاتَ أن تلقَوْا كِلابًا ولا كَعْبا

قال : فأفشى عليه راويتُه ما قاله ، فقال ثابت فيه وقد كان استكتمه هذه الأبيات :

يا ليت لى بأخى نضرٍ أخا ثقـةٍ * لا أرهب الشرَّ منه غابَ أم شهدَا

أصبحتُ منك على أسبابِ مَهْلكةٍ * وزَلّةٍ خائفا منـك الردَى أبدا (٥)

ما كنتَ إلا كذِئْب السُّوءِ عارضَهُ * أخوه يدمى فَفَرَى جِلْدَه قِـددا

---

(١) المت : التوسل بقرابة .

(٢) تثنى : ترد . والوسم : أثر الكيّ .

(٣) كذا فى جـ ، ط ، مط . وعرّدت : هربت . وبهيـلة : تصغير باهلة : قـوم قتيبة تصغير ترخيم ؛ ويؤيد ذلك قوله : « فهجا ثابت قطنة قتيبة بن مسـلم وقومه » . غلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة .

(٤) نكبا : جمع نكباء وهى كل ريح من الرياح الأربع ، انحرفت ووقعت بين ريحين ، وهى تهلك المـال وتحبس القطر ، والنكب من الرياح أربع : نكباء الصبا والجنوب ، ونكباء الصبا والشمال ، ونكباء الشمال والدبور ، ونكباء الجنوب والدبور .

(٥) رواية ط ، مط : * وزلة خائفا من شرها أبدا *

أو كابن آدم خَلَّى عن أخيه وقد * أدمَى حَشَاهُ ولم يبسط إليه يدا[1]

أهم بالصَّرف أحيانًا فيمنعني * حيًّا ربيعةَ والعَقْد الذى عَقَدَا

رثاؤه المفضل ابن المهلب

ونسخت منه أيضا قال : لما قُتِل المفضّل[2] بن المهلب دخل ثابت قطنة على هند بنت المهلب ، والناس حولها جلوس يعزّونها ، فأنشدها :

يا هند كيف بنُصْبٍ باتَ يُبكيني * وعائرٍ فى سَواد الليل يؤذيني[3]

كأنّ ليلِيَ والأصداءُ هاجدةٌ * ليلُ السَّليم ، وأعيا من يُداويني[4]

لمّا حنى الدهرُ من قوسي وعذّرني * شيبي وقاسيتُ أمرَ الغلْظ واللين[5]

إذا ذكرتُ أبا غسّانَ أرّقني * همٌّ إذا عرَّس السّارُونَ يُشجيني[6]

---

(١) يشير إلى ابني آدم قابيل وهابيل ، إذ قربا قربانا إلى الله وهو زرع لقابيل وكبش لهابيل ، فتقبل من هابيل ، فنزلت نار من السماء فأكلت قربانه ولم يتقبل من قابيل ، فغضب وقتل أخاه .

(٢) بعد هزيمة يزيد بن المهلب وقتله — كما سيأتى بعد — اجتمع آل المهلب بالبصرة وأمّروا عليهم المفضل بن المهلب ، وخرجوا إلى كرمان ، وبكرمان فلول كثيرة ، وبعث مسلمة بن عبد الملك فى طلبهم ، وقد اجتمعت الفلول إلى المفضل بفارس ، فأدركوهم فى عقبة واشتدّ قتالهم إياه ، فقتل المفضل وجماعة من خواصه ، وقتل آل المهلب عن آخرهم إلا أبا عيينة بن المهلب وعثمان بن المفضل ، فإنهما نجوا فلحقا برتبيل ملك الترك .

(٣) النصب بالفتح والضم وبضمتين : الداء والبلاء . والعائر : كل ما أعل العين ، والرمد ، والقذى كالعوار .

(٤) الأصداء : جمع صدى ، وهو الصوت . والهجود : النوم . والسليم : الملدوغ . أعيا : أعجز .

(٥) كذا فى ط ، مط . والذى فى باقى الأصول :

* قاسيت منه أمر الغلظ واللين *

وعذرني : من عذر الدار : طمس آثارها ، والمعنى : هدّني وهدمني ، وفى جـ «وغدرني» وهو تصحيف . والغلظ بفتح اللام وخفف هنا بتسكينها للشعر .

(٦) عرّس القوم : نزلوا فى آخر الليل للاستراحة . سرى : سار ليلا ، شجاه وأشجاه : أحزنه .

كان المفضّل عِزًّا فى ذوى يَمَن * وعصمةً وثمالا للمساكين (١)
ما زلتُ بعدك فى همٍّ تجيش به * نفسى وفى نَصَب قد كاد يبلينى (٢)
إنّى تذكّرتُ قتلى لو شهدتُهُمُ * فى حَومة الموت لم يَصلَوْا بها دونى (٣)
لاخير فى العيش إن لم أجنِ بعدهم * حربًا تُبِىء بهم قتلى فيشفونى (٤)

٥ فقالت له هند: اجلس يا ثابت، فقد قضيتَ الحقّ، وما من المرثية بُدٌّ (٥)، وكم من ميتةِ ميّتٍ أشرفُ من حياةِ حىّ، وليست المصيبة فى قتل ممن استشهد ذابًّا عن دينه، مطيعا لربه، وإنما المصيبة فيمن قلّت بصيرتُه، وخَمل ذكُره بعد موته، وأرجو ألّا يكون المفضّل عند الله خاملا، يقال: إنه ما عُزِّى يومئذ بأحسنَ من كلامها.

ردّه على ابن الكوّاء

قال أبو الفرج: ونسخت من كتابه أيضا قال: كان ابن الكوّاء اليشكرىّ (٦) ١٠ مع الشُّراة والمهلب يحاربهم، وكان بعض بنى أخيه شاعرا فهجا المهلبَ وعمَّ الأزْد بالهجاء، فقال لثابت: أجبه [فقال له ثابت (٧)]:

(١) الثمال: الغياث الذى يقوم بأمر قومه. وفى ط، مط «فى المساكين».
(٢) جاشت النفس: ارتفعت من حزن أو فزع. وفى ب، س، جـ، ط، مط: «كاد يسلينى».
(٣) فى ب، س: «تذكرت فعلى» وهو تحريف. وصلى النار وبها: قاسى حرها.
١٥ (٤) تبىء: أباء القاتل بالقتيل: قتله.
(٥) فى ب، س (المرزئة).
(٦) فى جميع الأصول «ابن الكوفى» وهو تحريف، وهو عبد الله بن الكواء. لما رجع الإمام على من صفين إلى الكوفة اعتزله جماعة ممن رأوا التحكيم ضلالا، ونزلوا حروراء بظاهر الكوفة فى اثنى عشر ألفا، وأمروا على القتال شبث بن ربعى التيمى، وعلى الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكرى.
٢٠ (٧) تكلة من ط، مط، مب.

كلُّ القبائلِ من بكرٍ نعدُّهمُ * واليشكُرِيّون منهمْ ألأمُ العربِ (١)
أثرى لجيم وأثرى الحصن إذقعدتْ * بيشكرٍ أمُّه المغرورة النَّسبِ (٢)
نحاكُمُ عن حياض المجد والدُّكَمُ * فما لكم فى بنى البَرْشاء من نسبِ (٣)
أنتم تحلُّون من بكرٍ إذا نُسبوا * مثل القُراد حوالَىْ عُكْوة الذنبِ (٤)
نُبِّئت أن بنى الكَوّاء قد نبحوا * فعلَ الكلاب تَلَى اللَّيث فى الأشبِ (٥)
يَكوى الأُبَيْجِر عبد الله شيخكم * ونحن نُبرِى الّذى يَكوى من الكَلَبِ (٦)

كتابه إلى يزيد ابن المهلب

ونسختُ من كتابه أيضا قال: كتب ثابت قطنة إلى يزيد بن المهلب يحرّضه:

إن امرأً حدبت ربيعةُ حولَه * والحىُّ من يَمَنٍ وهابَ كَئودا (٧)
لَضعيفُ ما ضمّت جوانحُ صدرِه * إن لم يَلُفَّ إلى الجنود جنودا (٨)
أيزيدُ كُنْ فى الحَرْب إذ هيّجتَها * كأبيك لا رَعِشا ولا رِعْديدا (٩)

---

(١) بكر: هم بكر بن وائل، ومنهم بنو يشكر بن بكر. وفى س «واليشكرين»؛ وهو تحريف، وفى ب، س «نعددهم».

(٢) لجيم: هو لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل. والحصن: هو ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن على بن بكر بن وائل، وفى بعض الأصول: «فقدت» وهو تحريف، والصواب ما أثبتنا كما فى ط، مط، مب، ها.

(٣) فى ب، س، جـ «حياض الوجد» وهو تحريف. والبرشاء: لقب أم ذهل وشيبان وقيس بنى ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل، لقبت بذلك لبرش أصابها (والبرش: البرص).

(٤) العكوة بالضم وبفتح: أصل الذنب.

(٥) فى جـ، ط «قد ضبحوا». الأشب: شدّة التفاف الشجر وكثرته حتى لا مجاز فيه.

(٦) الأبيجر: مصغر الأبجر، وهو العظيم البطن.

(٧) الكئود: المرتقى الصعب.

(٨) ما ضمت جوانح صدره: كناية عن القلب.

(٩) الرعش والرعديد: الجبان.

٥٥ / ١٣

شاوَرْتَ أكرَم من تناول ماجد * فرأيتُ هَمّك فى الهموم بعيدا
ما كان فى أبويك قادحُ هُجْنة (١) * فيكون زندُك فى الزناد صَلودا
إنا لضرّابونَ فى حَمَس الوَغَى، * رأس المتوّج إنْ أراد صدودا
وقُرٌ إذا كَفَر العَجاج تَرى لنا (٢) * فى كلّ معركة فوارس صِيدا
يا ليت أسْرتك الّذين تَغيّبوا * كانوا ليومك بالعراق شهُودا
وترى مواطنهم إذا اختلف القنا (٣) * والمشرفيّة يلتظين وقودا

فقال يزيد لما قرأ كتابه (٤) : إن ثابتا لغافل عمّا نحن فيه، ولعمرى لأطيعنّه، وسَيَرى ما يكون، فاكتبوا إليه بذلك .

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا الكُرانىّ عن العمرى عن الهيثم بن عدىّ قال : أُنشد مَسلمةُ بنُ عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلّب قولَ ثابت قطنة :

يا ليت أسْرتك الذين تَغيَّبُوا * كانوا ليومك يا يزيد شهُودا

فقال مَسلمة : وأنا والله لوددت أنهم كانوا شهودا يومئذ، فسقيتُهم بكأسه، قال : فكان مَسلمةُ أحَد من أجاب شعرا بكلام منثور فغلَبَه .

خطب امرأة، فدفعه عنها بجو ير ابن سعيد

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدّثنى عبيد الله بن أحمد بن محمد الكوفى قال : حدّثنى محمد القحذمىّ عن سليمان بن ناصح الأسدى قال : خطب

(١) الهجنة كون أحد الزندين واديا والآخر صالدا . وصلد الزند : صوّت ولم يور، فهو صالد وصلود . (٢) العجاج : الغبار، كفره كضرب كفرا بالفتح : ستره وغطاه . الثرى : الأرض . صيد : جمع أصيد وهو رافع رأسه كبرا . (٣) القنا : الرماح . والمشرفية : السيوف نسبة إلى مشارف الشام . التظت وتلظت : تلهبت وتوقدت .
(٤) فى ب، س : « الكتاب » .

ثابت قطنة آمرأةً كان يميل إليها، فجعل السفير بينه و بينها جُوَيْبِر بن سعيد المحدّث، فاندسّ فخطبها لنفسه، فتزوّجها ودفع عنها ثابتا، فقال ثابت حين بان له الأمر (١) :

أفشى علىّ مقالةً ما قلتها * وسعى بأمرٍ كان غيرَ سديدِ

إنى دعوت الله حين ظلمتنى * ربّى وليس لمن دعا ببعيدِ

أن لا تزال متيّما بخريدةٍ (٢) * تسبى الرجال بمقلتين وجيدِ

حتى إذا وجب الصّداق تلبّستْ (٣) * لك جلدَ أغضفَ بارزٍ بصعيدِ

تدعو عليك الحاريات مُبيرةً (٤) * فترى الطلاق وأنت غيرُ حميدِ

قال : فلقِىَ جُوَيبِرٌ كلّ مادعا عليه ثابت به، ولحقه من المرأة كلُّ شرّ وضُرّ حتى طلّقها بعد أن قبضتْ صداقَها منه .

رثاؤه يزيد ابن المهلب

أخبرنى جعفر بنُ قدامة قال : حدّثنى حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلّب فى يوم العَقْرِ (٥)، فلمّا خذله أهل العراق وفروا عنه فقتل، قال ثابتُ قطنةَ يرثيه :

كل القبائل بايعوك على الّذى * تدعو إليه وتابعوك وساروا

حتى إذا حمِس الوَغى وجعلتَهم * نصبَ الأسنّة أسلموك (٦) وطاروا

إن يقتلوك فإنّ قتلَك لم يكن * عارًا عليك، وبعضُ قتلٍ عار (٧)

(١) كذا فى ط ، مط . وفى باقى الأصول « لحين بان الأمر قال » .

(٢) تيمه الحب : عبده وذلله ، والخريدة : البكر التى لم تمسس .

(٣) فى ب و س : « تلعبت » . والأغضف : الكلب .

(٤) مبرة : غالبة قاهرة . وفى ب ، س « بنكبة » .

(٥) العقر : موضع ببابل قرب كربلاء من الكوفة ، كانت فيه الوقعة بين مسلمة بن عبد الملك وبين يزيد بن المهلب ، وفيه قتل يزيد . (٦) أسلموك : خذلوك .

(٧) فى وفيات الأعيان ، ومغنى اللبيب ١ : ٢٤ « ورب قتل عار» وهو على تقدير « هو عار » .

هجاؤه ربيعة

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب المرهبي قال: كانت ربيعة لما حالفت اليمن وحشدت مع يزيد بن المهلب تنزل حواليه هي والأزد، فاستبطأته ربيعة في بعض الأمر، فشغبت عليه حتى أرضاها فيه، فقال ثابت قطنة يهجوهم:

٥٦ / ١٣

عصافير تَنْزُو في الفساد، وفي الوغى * إذا راعَها رَوْعٌ جَماميحُ بَرْوَقِ (١)

الجماميح: ما نبت على رءوس القصب مجتمعا، وواحده جماح، فإذا دُقّ تَطاير. وبَرْوَق: نبت ضعيف.

أأحلُمُ عن ذِبّان بكر بن وائلٍ * ويعلق من نفسي الأذى كلّ مَعلقِ (٢)

ألم أكُ قد قلّدتكم طوقَ خِزْيةٍ * وأنكلتُ عنكمْ فيكمُ كلَّ مُلصقِ (٣)

لعمركَ ما استخلفتُ بكرًا ليَشغَبوا * عليّ، وما في حِلفكم من مُعلَّقِ (٤)

ضممتكُمُ ضمًّا إليّ وأنتمُ * شَتاتٌ كفَقْعِ القاعة المتفرّقِ (٥)

فأنتم على الأدنى أسودُ خفيّةٍ * وأنتم على الأعداء خِزّانُ سَمْلَقِ (٦)

(١) نزا: وثب. والروع: الفزع.

(٢) الذبان: الذباب؛ وفي جـ «دبان» وفي ب، س «ديان» وهو تصحيف؛ وفي س «من نفس الأذى»؛ وفي جـ، ب، س «وتعلق» وهو تصحيف.

(٣) أى كل ملصق فيكم؛ وأنكلت الحجر عن مكانه: دفعته عنه.

(٤) من معلق؛ أى من شيء يتعلق به ويعتمد عليه.

(٥) شتات؛ أى ذوو شتات وهو الفرقة؛ ومن أمثال العرب: أذل من فقع بقرقر؛ والفقع بالفتح ويكسر: البيضاء الرخوة من الكمأة؛ والجمع فقعة كقردة. والقاع والقاعة والقرقر: أرض مطمئنة سهلة مستوية؛ وذلك لأن الفقعة لا تمتنع على من اجتناها؛ أو لأنها توطأ بالأرجل لأنها لا أصول لها ولا أغصان.

(٦) في جـ «أسود خيفة» وفي ب، س «أسود مخيفة» والتصويب عن ط، مط. وخفية هي أجمة في سواد الكوفة تنسب إليها الأسود؛ فيقال أسود خفية. والسملق: الأرض المستوية الجرداء التي لا شجر بها؛ وخزان: جمع خزز بضم ففتح وهو ذكر الأرانب؛ وهي معروفة بالجبن.

شعره لما منعه قتيبة بن مسلم

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدّثني أبو بكر العامريّ قال : قال القَحْذَميّ : دخل ثابت قطنة على بعض أمراء خراسان — أظنّه قتيبة بن مسلم[1] — فمدحه وسأله حاجة، فلم يقضها له، فخرج من بين يديه وقال لأصحابه : لكن يزيد ابن المهلب لو سألته هذا أو أكثر منه لم يردّني[2] عنه، وأنشأ يقول :

أبا خالدٍ لم يَبْقَ بعدك سُوقةٌ * ولا مَلِك ممّن يُعين على الرِّفْد[3]
ولا فاعلٌ يرجو المقلُّون فضلَه * ولا قائلٌ ينْكا العدوَّ على حقد[4]
لو أنّ المنايا سامحتْ ذا حَفيظة * لأكرمنه أو عُجْن عنه على عَمْد[5]

شعره في قومه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : عتب ثابت قطنة على قومه من الأزد في حال استَنصَرَ عليها[6] بعضهم فلم ينصره فقال في ذلك :

تعفّفتُ عن شَتم العشيرة إنّني * وجدتُ أبي قد عفَّ[7] عن شتمها قبلي
حليمًا إذا ما الحِلمُ كان مروءةً * وأجهَلُ أحيانا إذا ٱلتمسوا جهلي

خبره مع أمية بن عبد الله بن خالد

أخبرني عمي قال : حدّثني العنزيّ عن مسعود بن بشر قال : كان ثابت قطنة بخراسان، فوليها أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسد لعبد الملك بن مروان، فأقام بها مدّة، ثم كتب إلى عبد الملك : « إن خَرَاج خُراسان لا يفي بمطبخي »، وكان أميّة يحمَّق، فرفع ثابتُ قُطنة إلى البريد[8] رقعة وقال: أَوصِل هذه معك، فلما أتى عبد الملك

(١) ولاه الحجاج خراسان بعد يزيد بن المهلب سنة ٨٦، وقتل سنة ٩٦
(٢) كذا في ب، س، جـ، والذي في ط، مط « لما ردّني ».
(٣) أبو خالد : كنية يزيد بن المهلب، والرفد : العطاء.
(٤) ينكا العدوّ : يهزمه. (٥) عاج عنه : رجع وانصرف.
(٦) كذا في ط، مط، والذي في جـ، ب، س : « استنصروا به فيها فلم ينصرهم ».
(٧) كذا في ط، مط وفي باقي الأصول « كفّ ». (٨) البريد : الرسول.

أُوصل إليه كتابَ أمية، ثم نَثَل كِنانَتَه[(1)] بين يديه فقرأ مافيها، حتى انتهى إلى رقعة ثابت قطنة، فقرأها ثم عزله عن خُراسان .

صـــوت

طَرِبتُ وهاجَ لى ذاك آدّكارا * بكَشٍّ وقد أطلت به الحِصارا[(2)]

وكنتُ ألذّ بعضَ العيش حتّى * كبِرتُ وصار لى همّى شِعارا

رأيتُ الغانيات كرِهن وصلى * وأبدين الصَّريمةَ[(3)] لى جِهارا

الشعر لكعب الأشقرىّ، ويقال إنه لثابت قطنة، والصحيح أنه لكعب، والغناء للهُذَلى، ثانى ثقيل بالوسطى عن عَمرو بن بانة، وذكر فى نسخته الثانية أن هذا اللحن لقَفا النجّار .

(١) نثل الكنانة كضرب : استخرج نبلها فنثرها .

(٢) كش : قرية من قرى أصبهان بفارس ، وأعاد عليها الضمير فى « به » مذكرا باعتبار البلد أو المكان .   (٣) الصريمة : القطيعة .

أخبارُ كعب الأشقريّ ونسبُه

نسبه وبعض أخباره

٥٧ / ١٣

هو كعب بنُ مَعْـدان الأشقريّ ، والأشاقر[1] : قبيلة من الأَزْد ، وأمّه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود فى الشجعان ، من أصحاب المهلّب والمذكورين فى حروبه للأزارقة ، وأوفده المهلّب إلى الحجّاج ، وأوفده الحجاج إلى عبد الملك .

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنا أحمد بن أبى خيثمة قال : حدّثنا [أبى قال حدّثنا][2] وهب بن جرير قال : حدّثنا أبى عن قتادة قال : سمعت الفرزدق يقول : شعراء الإسلام أربعة : أنا ، وجرير ، والأخطل ، وكعب الأشقرىّ .

أخبرنى وكيع قال : حدّثنى أحمد بن أبى خيثمة قال : حدّثنا [أبى قال : حدّثنا][2] وهب بن جرير قال : حدّثنا أبى عن المتلمّس قال : قلت للفرزدق : يا أبا فراس ، أشعرت أنه قد نبغ من عمان شاعر من الأزد يقال له "كعب ؟ فقال الفرزدق : إى والذى خلق الشّعر[3] " .

شعره للحجاج عن وقعة الأزارقة

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد ، وأخبرنى عمّى ، قال : حدّثنا الكُرانى قال : حدّثنا العُمَرى عن العُتْبىّ — واللفظ له وخبره أتمّ — قال : أوفد المهلّب بنُ أبى صُفرة كعباً الأشقريَّ ومعه مُرّة بنُ التليد[4] الأزدى إلى الحجّـاج بخبر وقعة كانت له مع الأزارقة ، فلمّا قدما عليـه ودخلا داره بَدَرَ كعب ابنُ معدانَ فأنشد الحجّـاج قولَه :

(١) الأشاقر جمع أشقر : وهم بنو عائذ بن دوس .

(٢) تكملة عن ط ، مط .

(٣) رواية ط ، مط : " فقال كعيب : إى والذى خلق الشعر " .

(٤) فى ب ، « التليه » وهو تحريف وصوابه كما فى ط ، مط ، جـ .

يا حفصَ إنّى عَدانى عنكمُ السَّفَرُ * وقــد سهِرتُ فآذَى عينىَ السهر (١)
عُلِّقتَ يا كعبُ بعد الشَّيب غانيةً * والشيب فيه عن الأهواء مزدجر (٢)
أممسِك أنتَ منهـا بالّذى عهدتْ * أم حبلُها إذ نأتْكَ اليــومَ منبــترُ (٣)
ذكرتُ خَوْدا بأعلى الطَّفِّ منزلُها * فى غُـرفةٍ دونَها الأبوابُ والحجــرُ (٤)
وقد تركتُ بشطّ الزّابِيَــيْنِ لهـا * دارًا بهـا يَسعَد البادُون والحضَر (٥)
واخترتُ دارا بها قــوم أُسَرُّ بهم * مازال فيهم لمن تَختـارهم خِيَر
أبا سعيــدٍ فإنى سرتُ منتجِعـًا * وطالبُ الخَــيْرِ مُرْتاد ومنتظر (٦)
لــولا المهلَّب ما زُرْنا بلادَهمُ * مادامتِ الأرضُ فيها المـاءُ والشجرُ
وما من النــاس من حىٍّ علمتُهــمُ * إلّا يُرَى فيهم من سَيْبِكم أثــر (٧)

وهى قصيدة طويلة قد ذكرها الرُّواة فى الخبر (٨)، فتركتُ ذكرَها لطولها، يقول فيها :

فمــا يجــاوز بابَ الجسر من أحدٍ * قدعضّتِ الحربُ أهلَ المصر فانجحروا (٩)
كنّا نهــوِّن قبــل اليــوم شأنَهــمُ (١٠) * حتى تفــاقم أمرٌ كان يُحتقــر
لمّا وَهَنّـا وقــد حلُّــوا بساحتنا * وآستنفَر النـاسُ تاراتٍ فمـا نفَروا (١١)
نادى آمرؤٌ لا خلافٌ فى عشــيرته * عنــه وليس به عن مثلهـا قِصَر

---

(١) عداه عن الأمر : صرفه وشغله . (٢) علق آمرأة : أحبها .
(٣) يقال نآه ونأى عنه ، أى بعد . منبتر : منقطع .
(٤) الخود : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة . والطف : موضع قرب الكوفة .
(٥) الزابيان : نهران أسفل الفرات بين الموصل وتكريت . (٦) أبو سعيد : كنية المهلب . والنجع : طلب الكلأ فى موضعه ، وانتجعه ، أتاه طالبا معروفه . (٧) السيب : العطاء .
(٨) أوردها الطبرى فى تاريخه ، وعدّتها ثلاثة وثمـانون بيتا .
(٩) فى ب ، س « فانحجروا » وهو تصحيف .
(١٠) حـ ، ب ، س « قبل الموت » .
(١١) وهنا : ضعفنا . استنفر القوم فنفروا معه ، أى استنجدهم واستنصرهم فنصروه .

حتى انتهى إلى قوله بعد وصفه وقائعهم مع المهلَّب فى بلدٍ بلد ، فقال :

خَبُّوا كَمِينَهُمُ بالسَّفْح إذ نزلوا * بكازَرُونَ فما عَزُّوا وما نَصَروا [1]

باتت كتائبُنا تَرْدِى مسوَّمةً * حولَ المهلَّب حتى نوّر القمرُ [2]

هناك ولَّوا خَزَايَا بعد ما هُزِموا * وحَال دُونَهُمُ الأنهارُ والجُدُرُ [3]

٥ تأبى علينا حزازاتُ النفوس فما * نُبْقِى عليهمْ ولا يُبقون إن قَدروا

فضحك الحجاج وقال له : إنك لمنصف يا كعبَ ، ثم قال الحجّاج : أخطيب أنت أم شاعر ؟ فقال : شاعر وخطيب . فقال له : كيف كانت حالُكم مع عدوّكم ؟ قال : كنا إذا لقيناهم بعفونا وعفوهم ، فعفُوهم تأنِيسٌ منهم ، فإذا لقيناهم بجهدنا وجهدهم طمِعنا فيهم [4] ، قال : فكيف كان بنو المهلب ؟ قال : حماة للحريم نهارا ، وفرسانٌ ١٠ بالليل أيقاظا ، قال : فأين السماع من العيان ؟ قال : السماع دون العيان ، قال : صفهم رجلا رجلا ، قال : المغيرة فارسُهم وسيّدهم ، نار ذاكية [5] ، وصَعْدة عالية ، وكفى بيزيد فارسا شجاعا ، ليثُ غاب ، وبحرٌ جمُّ العُباب [6] ، وجَوادُهم قَبيصة ، ليث المَغار ، وحامى الذّمار [7] ، ولا يستحي الشجاع أن يفرّ من مُدرِك ، فكيف لا يفرّ من الموت الحاضر ، والأسد الخادر [8] ، وعبد الملك سمٌّ ناقع ، وسيف قاطع ، وحبيب

١٥ (١) رواية الطبرى «عبوا جنودهم » وكازرون : مدينة بفارس بين البحرين وشيراز .

(٢) ردى الفرس كرمى : عدا فرجم الأرض بحوافره . والكتيبة : جماعة من الخيل إذا أغارت ، من المائة إلى الألف ، الخيل المسوّمة : المرسلة وعليها ركبانها ، أو المعلمة التى عليها السومة وهى العلامة .

(٣) فى ط ، مط « هناك ولوا جراحا بعد ما هزموا » وفى ب ، س « هناك ولوا جراحا بعد ما هربوا » ، (٤) كذا فى ط ، مط . والذى فى باقى الأصول « للغريم » .

٢٠ (٥) ذكت النار : اشتد لهبها ، والصعدة : القناة المستوية تنبت كذلك .

(٦) فى ب ، س « جم عباب » . (٧) الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته .

(٨) أسد خادر : مقيم فى عرينه داخل فى الخدر .

المـوتُ الذُّعاف[1] ، إنمـا هو طَوْد شامخ ، ونجر باذخ[2] ، وأبو عيينة البطل الهمام ، والسيف الحسام ، وكفاك بالمفضّل نجـدة ، ليثٌ هدّار ، وبحرٌ موّار[3] ، ومحمد ليث غاب ، وحسامُ ضِراب ، قال : فأيّهم أفضل ؟ قال : هم كالحلقة المفرَغة لا يُعرف طرفاها ، قال : فكيف جماعة الناس ؟ قال : على أحسن حال ، أدركوا ما رجَوْا ، وأمِنوا ممّـا خافوا ، وأرضاهم العـدل ، وأغناهم النَّفْـل[4] ، قال : فكيف رضاهم عن المهلّب ؟ قال : أحسن رضا ، وكيف لا يكونون كذلك وهم لا يعدمون منه رضا الوالد ، ولا يعدم منهم بِرَّ الولد ؟ قال : فكيف فاتكم قَطَرِىّ[5] ؟ قال : كدناه فتحوّل عن منزله وظن أنه قد كادنا ، قال : فهلّا تبعتموه ! قال : حالَ الليـلُ بيننا وبينه ، فكان التحرّز[6] — إلى أن يقع العيان ، ويعلم امرؤٌ ما يصنع — أحزم ، وكان الحدّ عنـدنا آثرَ من الفَـلّ ، فقال له المهلّب : كان أعلمَ بك حيث بعثـك وأمَر له بعشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده على عبد الملك بن مروان فأمر له بعشرة آلاف أخرى[7] .

شـعره فى المهلب وولده

أخبرنى أحمد بن عُبيدالله بن عمار قال : حدثنى أبو عمرو بُنْدار الكرجىّ قال : حدّثنا أبو غسّانَ التميمى عن أبى عبيدة قال : كان عبـد الملك بن مروان يقول للشعراء : تشبّهونى مرّة بالأسد ، ومرة بالبازى ، ومرة بالصقر ، ألا قلتم كما قال كعب الأشقرىّ فى المهلب وولده !

---

(١) يقال : موت ذعاف وذؤاف وزعاف وزؤاف : شديد سريع . (٢) الطود : الجبل ، والباذخ : العالى . (٣) مار : ماج واضطرب . (٤) النفل : الغنيمة والهبة .
(٥) هو قطرى بن الفجاءة المازنى ، ولاه الخوارج الأزارقة عليهم ، وبايعوه بعد قتل أميرهم الزبير ابن على السليطىّ ، ودار بينه وبين المهلب قتال عنيف ، ولما دبت عقارب الخلاف بين الأزارقة خلعوا قطريا ، وولوا عبـد ربه الصغير ، فانفصل إلى عبـد ربه أكثر من الشطر ، وارتحل قطرى ومن معـه إلى طبرستان ، فوجه إليه الحجاج جيشا عليه سفيان بن الأبرد فقاتلوه وتفرق عنه أصحابه وقتل سنة ٧٨ هـ .
(٦) فى ب وس « المتحرى » وفى جـ « المتحرر » والتصويب عن ط ، مط . والعيان : المشاهدة .
(٧) فى ط ، مط ، ما ، مب : « بعشرين ألف درهم » .

بَرَاكَ اللهُ حِينَ بَرَاكَ بَحْرًا * وَفَجَّرَ مِنْكَ أَنْهَارًا غِزَارَا

بَنُوكَ السَّابِقُونَ إِلَى المَعَالِى * إِذَا مَا أَعْظَمَ النَّاسُ الخِطَارَا (١)

كَأَنَّهُمُ نُجُومٌ حَوْلَ بَدْرٍ * دَرَارِىٌّ تَكَمَّلَ فَاسْتَدَارَا (٢)

مُلُوكٌ يَنْزِلُونَ بِكُلِّ ثَغْرٍ * إِذَا مَا الهَامُ يَوْمَ الرَّوْعِ طَارَا (٣)

٥ رِزَانٌ فِى الأُمُورِ تَرَى عَلَيْهِمْ * مِنَ الشَّيْخِ الشَّمَائِلَ وَالنِّجَارَا (٤)

نُجُومٌ يُهْتَدَى بِهِمُ إِذَا مَا * أَخُو الظَّلْمَاءِ فِى الغَمَرَاتِ حَارَا (٥)

وهذه الأبيات من القصيدة التى أولها :

* طربتُ وهاج لى ذاك آدّكارا *

التى فيها الغناء .

تهاجيه وزياد الأعجم

١٠ أخبرنى محمد بن الحسين الكندى قال : حدّثنا غسّان بنُ ذَكْوانَ الأهوازى قال : ذكر العُتْبىّ أن زيادا الأعجم هاجى كعباً الأشقرىّ ، واتصل الهجاء بينهما ، ثم غلبه زياد ، وكان سبب ذلك أنّ شرّا وقع بين الأزد و بين عبد القيس ، وحرّباسكّنها المهلّب وأصلَحَ بينهم ، وتحمّل ما أحدثه كلُّ فريق على الآخر ، وأدّى دِياته ، فقال كعب يهجو عبد القيس :

---

١٥ (١) الخطار : المراهنة .

(٢) فى ب ، س « حول بحر » والتصويب عن ط ، مط . وكوكب درّىّ : مضىء ؛ والجمع درارىّ وتقدير البيت : كأنهم نجوم درارىّ ؛ حول بدر تكمل فاستدار .

(٣) الهام : جمع هامة ، وهى الرأس .

(٤) رزان : جمع رزين . الشمائل : جمع شمال بالكسر ، وهو الطبع . والنجار : الأصل والحسب .

٢٠ (٥) كذا فى جميع الأصول . والذى فى ابن أبى الحديد . « أخو الغمرات فى الظلماء » والغمرات الشدائد .

إنّى و إن كنتُ فرعَ الأَزْد قد علموا * أُخزَى إذا قيل عبدُ القيس أخوالى

فَهْـمٌ أبو مالكٍ بالمجـد شرّفنى * ودنّس العبدُ عبدُ القيس سِرْبالى

٥٩
١٣

قال : فبلغ قوله زيادا الأعجم فغضب وقال : ياعجبا للعبد بن العبد بنِ الحيتان والسِّرطان[1]، يقول هذا فى عبد القيس، وهو يَعلم موضعى فيهم! والله لأدعنّه وقومَه غَرَضا لكل لسان ، ثم قال يهجوه :

٥

نبِّئت أشقـرَ تهجُونا فقلتُ لهمْ * ما كنتُ أحسبهمْ كانوا ولا خُلقوا

لا يَكثُرون و إن طالت حياتُهـمُ * ولو يبول عليهـمْ ثعلبٌ غَرِقـوا

قومٌ من الحَسَب الأدنى بمـنزلةٍ * كالفَقْع بالقاع لا أصْلٌ ولا وَرَق[2]

إنّ الأشاقرَ قد أضحَـوْا بمـنزلة * لـو يُرهَنون بنَعـلَىْ عبدِنا غَلِقـوا[3]

١٠

قال : وقال فيه أيضا :

هـل تَسمع الأَزْد ما يقال لهـا * فى ساحة الدّار أم بهـا صَمَـمُ ؟

اِختـتَنَ القـومُ بعد ما هَرِموا * واستعرَبوا ضَـلّةً[4] وهمْ عَجَـمُ

قال : فشكاه كعبٌ إلى المهلّب وأنشده هذين البيتين ، وقال : والله ما عَنَى بهما غيرَك ، ولقـد عمّ بالهجاء قومَك ، فقال المهلّب : أنت أسمعتَنا هذا وأطلقتَ لسانه فينا به ، وقد كنتَ غنيّا عن هجاء عبد القيس وفيهم مِثلُ زياد ، فاكفف عن ذكره ، فإنك أنت بدأته ، ثم دعا بزياد فعاتبه ، فقال : أيها الأمير، اِسمع ماقال فىّ وفى قومى فإن كنتُ ظلمتهُ فانتصِر ، و إلّا فالحجة عليـه ، ولا حُجّة على امرئٍ انتَصر لنفسـه وحسَبِه وعشيرتِه ، وأنشده قولَ كعب فيهم :

١٥

(١) السرطان : دابة تسمى عقرب الماء . (٢) رواية العقـد الفريد :

وهم من الحسب الزاكى بمـنزلة * كطحلب الماء لا أصل ولا ورق

٢٠

(٣) غلق الرهن كفرح : استحقه المرتهن إذا لم يفك فى الوقت المشروط . (٤) الضلة : الحيرة .

لعــلّ عُبيــدَ القيس تحسَب أنها * كتغلبَ فى يــوم الحفيظة أو بكرِ (١)

يُضعضع عبدَالقيس فى النّاس مَنصب * دنىءٌ وأحسابٌ جُبرن على كَسرِ

إذا شاع أمرُ الناس وآنشقَّت العصا * فإنّ لُكَيزًا لا تَريش ولا تَبرى (٢)

فقال المهلّب : قد قلتَ له أيضا ، قال : لا والله ما آنتصَرْتُ ، ولولاك ما قصَّرت

٥ وأىّ آنتصار فى قولى له (٣) :

يأيُّها الجاهلُ الجارى ليُدركَني * أقصرْ فإنّكَ إن أدركتَ مصروعُ

يا كعبُ لا تَكُ كالعَنْز الّتي بَحثتْ * عن حَتْفها وجَنابُ الأرض مَرْبوع

وقــولى (٣) :

لئن نَصبتَ لى الرَّوْقين مُعْـترِضًا * لأرمينَّـكَ رميًا غـيرَ ترفيـع

١٠ إنّ المـآثر والأحسابَ أورثنى * منها المَجاجيعُ ذِكرًا غيرَ مَوْضوع

يعنى مَجاعَة بن مُرّة الحنفى ، ومَجاعة بن عمرو بن عبد القيس ، فأقسم عليهما المهلّب أن يصطلحا ، فاصطلحا وتكافّا ، وممّا هجا كعبُ الأشقرىُّ عبدَالقيس به قوله :

هجاؤه عبدالقيس

ثَوَى عامـين فى الجيَف اللّواتى * مطرَّحة على باب الفصيــلِ (٤)

أَحَبُّ إلىّ من ظِلٍّ وكِنٍّ * لعبـد القيس فى أصـل الفَسيلِ (٥)

١٥ إذا ثارَ الفُســاءُ بهــمْ تَغَنَّوْا * ألم تَربَعْ على الدِّمَنِ المُثول

تَظَــلّ لهـا ضَباباتٌ علينـا * موانعُ من مَبيتٍ أو مَقيـلِ

(١) الحفيظة والحفاظ : الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب .

(٢) هو لكيز بن أفصى بن عبد القيس . وراش السهم يريشه : ركب عليه الريش .

(٣) ساقطة من جـ و ط ، مط .

٢٠ (٤) ثوى : أقام . ومطرحة ، أى هى مطروحة ، والفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه .

(٥) الكن : الستر . والفسيل : جمع فسيلة : وهى النخلة الصغيرة .

هجاؤه ربيعة واليمن

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب للنضر بن حديد : كانت ربيعةُ واليمنُ متحالفةً، فكان المهلّب وابنه يزيدُ يَنْزِلان هاتين القبيلتين فى محلتهما، فقال كعبٌ الأشقرىّ ليزيد :

٦٠ / ١٣

لا ترجُوَنّ هِنائيّا لصالحةٍ * واجعلهمُ وهَداداً أسوةَ الحُمُرِ (١)

حَيّانِ مالهما فى الأزْد مأثُرةٌ * غيرُ النَّواكةِ والإفراط فى الهَذَرِ (٢)

واجعل لُكَيْزاً وراءَ الناس كلِّهم * أهلَ الفُساءِ وأهلَ النَّتْن والقَذَرِ

قومٌ علينا ضَبابٌ من فُسائهمُ * حتى تَرانا له مِيداً من السُّكُرِ (٣)

أبلغ يزيدَ بأنّا ليس ينفعُنا * عيشٌ رَغيدٌ ولا شىءٌ من العطرِ

حتى تُحَلّ لُكَيْزاً فوق مَدْرَجةٍ * من الرّياح على الأحياء مِنْ مضرِ (٤)

ليأخُذوا لنِزار حَظَّ سُبّتها * كما أخذنا بحظّ الحلف والصِّهرِ

شعره فى المهلب أمام رسول الحجاج

أخبرنى محمد بنُ خلف وكيع قال : حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال : حدّثنا أبى قال : كتب الحجاج بن يوسف إلى المهلّب يأمره بمناجَزة الأزارقة ويستبطئه ويضعّفه، ويعجّزه فى تأخيره أمرَهم ومطاولَتِهم (٥)، فقال المهلّب لرسوله : قل له : إنّما البلاء أنّ الأمر إلى من يَملِكه لا إلى من يعرفه، فإن كنتَ نصبتَنى لحرب هؤلاء القوم على أن أدبِّرها كما أرى، فإن أمكنتْنى الفرصة انتهزتُها، وإن لم تُمكنّى

(١) هنائى : نسبة إلى هناء، وهم بنو هناء بن عمرو بن الغوث بن طىء . وهداد : حى من اليمن .

(٢) المأثرة بفتح الثاء وضمها : المكرمة المتوارثة ، والنواكة : الحماقة والهذر : سقط الكلام .

(٣) الميد : ما يصيب الإنسان من الدوار من السكر أو الغثيان أو ركوب البحر . وقد ماد فهو مائد من قوم ميدى كسكرى .

(٤) لكيز : من عبد القيس، من سلالة ربيعة بن نزار أخى مضر بن نزار . المدرجة : الطريق يدرج فيها أى يمشى .

(٥) كذا فى ط، مط . والذى فى باقى الأصول : « ومطالبتهم » .

[توقفت][1] ، فأنا أدبر ذلك بما يصلحه ، و إن أردتَ منّى أن أعمل [وأنا حاضر][1] برأيك وأنت غائب ، فإن كان صوابا فلك ، و إن كان خطأ فعلىّ ، فابعث من رأيتَ مكانى ، وكتب من فوره بذلك إلى عبد الملك ، فكتب إليه عبد الملك : لا تُعارض المهلّب فيما يراه ولا تُعجلْه ، ودَعْه يدبّر أمره ، وقام الأشقرىّ إلى المهلّب فأنشده بحضرة رسول الحجاج :

إن ابنَ يوسف غرّه من غزوكمْ * خفضُ المُقام بجانب الأمصارِ

لو شاهَدَ الصفَّين حين تَلاقيَا * ضاقت عليه رَحيبةُ الأقطارِ

من أرض سابُورِ[2] الجُنودِ، وخَيْلُنا * مِثْلُ القِداحِ بَرَيْتَها بشِفارِ

من كلّ خنذيذ يُرَى بلبَانه[3] * وَقْعُ الظُّباة مع القنا الخطّارِ

ورأى معاوَدَة الرِّباع غنيمةً * أزمانَ كان مخالفَ الإقتارِ

فدع الحروبَ لشيبها وشَبابِها * وعليك كلَّ خريدةٍ مِعطارِ[4]

فبلغت أبياتُه الحجّاج ، فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقرى إليه ، فأَعلمَ المهلّبُ كعبا بذلك ، وأوفده إلى عبد الملك [من تحت ليلته ،وكتب إليه يستوهبه منه ، فقدم كعب على عبد الملك][5] ، واستنشَدَه فأعجبه ماسمع منه ، فأوفده إلى الحجّاج ، وكتب إليه يُقسم عليه أن يعفوَ عنه و يُعرض عمّا بلغه من شعره ، فلما وصل إليه ودخل عليه قال : إيه يا كعب .

* ورَأى معاوَدَة الرِّباع غنيمةً *

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ب ، س ، جـ ، وقد أثبتناه عن ط ، مط ، مب ، ها .

(٢) سابور : كورة بفارس .

(٣) اللبان : الصدر أو وسطه . والظباة : جمع ظبة ، وهى حد السيف . ورمح خطار : ذو اهتزاز شديد

(٤) امرأة معطار : اعتادت أن تتعهد نفسها بالطيب وتكثر منه .

(٥) هذه التكلة ساقطة من ب ، س ، جـ . وقد أثبتناه عن ط ، مط ، مب ، ها .

فقال له : أيها الأمير، والله لقد وددتُ فى بعض ما شاهدتُه فى تلك الحروب وأزماتها، وما يُورِدُناه المهلَّب من خطرها، أن أنجوَ منها وأكونَ حجّاما أو حائكا ، فقال له الحجّاج : أَوْلَى لك ، لولا قَسَمُ أمير المؤمنين لما نفعك ما أَسمع ، فٱلحقْ بصاحبك، وردّه من وقته .

هربه إلى عمان

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب النضر بن حديد : لمّا عُزِل يزيد ابن المهلّب عن خراسان ووَلِيها قتيبةُ بن مسلم، مدحه كعب الأشقرىّ، ونال من يزيد وثلبه ، ثم بلغتْه وِلايةُ يزيدَ على خراسان ، فهرَب إلى عُمانَ على طريق الطَّبَسَيْن وقال :

وإنّى تاركٌ مَرْوًا ورائى * إلى الطَّبَسَيْن معتامٌ[1] عُمانا
لآوِى معقِلاً فيها وحِرْزًا * فكنّا أهل ثروتها[2] زمانا

فأقام بعُمانَ مدّة ثم اجتواها[3]، وساءت حالُه بها، فكتب إلى المهلّب معتذرا :

بئس التبدّل من مَرْوٍ وساكِنها * أرضُ عمانَ وسُكنَى[4] تحت أطواد
يُضحِى السحابُ مُطيرًّا دونَ مُنصِفها[5] * كأنّ أجبالَها عُلّت بفِرصاد
يا لهف نفسى على أمرٍ خطِلت[6] به * وما شفَيتُ به غِمْرى وأحقادى
أفنيتُ خمسين عاما فى مديحكمُ * ثم ٱغتررتُ بقول الظالم العادى

(١) كذا فى ب، س ، جـ وفى ط ، مط « أمامى » . ومرو : هى مرو الشاهجان قصبة خراسان وأشهر مدنها . والطبسان : طبس العناب ، والأخرى طبس التمر، والعرب تسميها باب خراسان لأنهم لما قصدوا فتح خراسان فى خلافة عثمان كانت أول فتوحهم . واعتام : اختار .

(٢) الثروة : كثرة العدد من الناس والمال .

(٣) اجتواها ، كرهها . (٤) السكنى : الإقامة . والطود : الجبل .

(٥) المنصف من الطريق ومن كل شىء : وسطه . علت : سقيت مرة بعد مرة . والفرصاد : صبغ أحمر . (٦) خطل كفرح فهو خطل ، أى أحمق عجل . والغمر : الحقد والغل .

أبلغ يزيدَ قرينَ الجود مألُكَةً (١) * بأنّ كعبا أسيرٌ بين أصفاد

فإن عفوتَ (٢) فبيتُ الجود بيتُكمُ * والدهرُ طَوْران من غَيٍّ وإرشاد

وإن مننتَ بصفحٍ أو سمحتَ به * نزعتُ نحوَك أطنابى (٣) وأوتادى

وذكر المدائنى أن يزيد بن المهلّب حبسه ودسّ إليه آبن أخ له فقتله .

شعره فى مقتل بنى الأهتم

٥ قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب النَّضر أيضا أن الحجّاج كتب إلى يزيد آبن المهلّب يأمره بقتل بنى الأهتم ، فكتب إليه يزيد : إن بنى الأهتم أصحابُ مَقال وليسوا بأصحاب فَعال ، فلا تُقدِّرْ أن تُحدث فيهم ضررا ، وفى قتلهم عار وسُبّة ؛ [واستوهَبهم منه] (٤) ، فتغافَل عنهم ، ثم آنضمّوا إلى المفضل بن المهلّب ، فكتب إليه الحجّاج يأمره بقتلهم ، فكتب إليه بمثل ما كتب به أخوه ، فأعفاهم (٥) ، ثم ولى قتيبةُ بن مسلم ، فخرجوا إليه وآلتقوا معه ، وذكروا بنى المهلّب فعابوهم ، فقبلهم (٦)

١٠ قتيبةُ وآحتوى عليهم ، فكانوا يُغرون الجندَ عليه ويحملونهم على سُوء الطاعة ، فكتب يشكوهم إلى الحجّاج ، فكتب إليه يأمره بقتلهم ، فقتلهم جميعا ، فقال كعب الأشقرىّ فى ذلك :

قل للأهاتم من يَعُود بفَضْله * بعد المفضَّل والأغرّ يزيد

١٥ رَدًّا صحائفَ حَتْفِكم بمَعاذرٍ * رجعتْ أشائمَ طيرِكم بسعود .

---

(١) المألكة بضم اللام وتفتح : الرسالة . والأصفاد : جمع صفد كسبب ، وهو القيد . وفى ب ، س « أسيرا » والتصويب عن ط ، مط ، مب ، ها . .

(٢) فى ب ، س ، مط « عفوت » .

(٣) الأطناب : جمع طنب كعنق ، وهو حبل طويل يشد به الخباء .

٢٠ (٤) تكملة عن ط ، مط ، مب ، ها .

(٥) كذا فى ب ، س ، جـ والذى فى ط ، مط « فعفا عنهم » .

(٦) فى جـ « فقتلهم » وفى ب ، س « فغلبهم » ، والتصويب عن ط ، مط . واحتوى عليهم : جمعهم .

رَدًّا على الحجّاج فيكمْ أمرَه * فجَزيتمُ إحسانَه بجحود

فاليوم فاعتبِروا فَعالَ[1] أخيكمُ * إنّ القياس لجاهل ورشيد

شعره فى عمرو ابن عمير

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتابه أيضا قال: وَلّى يزيدُ بنُ المهلّب رجلا من اليَحْمَد[2] يقال له عمرو بنُ عُمَير الزِّمّ، فلقيه كعب الأشقرىّ فقال له : أنت شيخ من الأزد يولّيك الزِّمّ ، ويولّى ربيعةَ الأعمالَ السنيّة ، وأنشده :

لقد فازتْ ربيعةُ بالمعَالى * وفازَ اليحمَدىُّ بعهْد زَمّ

فإن تَكُ راضيًا منهمْ بهذا * فزادكَ ربُّنا غمًّا بغمّ

إذا الأزدىُّ وَضّح عارِضَاه[3] * وكانت أمُّه مِن حىّ جرم

فثَمّ حماقةٌ لا شكّ فيها * مُقَابلةٌ[4] فمن خالٍ وعمّ

فردّ اليَحْمَدىّ عهدَ يزيدَ عليه ، فحلف لا يستعمله سنة ، فلما أجحفتْ[5] به [المئونة][6] قال لكعب :

لو كنتَ خلّيتَنى يا كعبُ متّكئًا * فى دُور زَمّ لما أَقفرتُ مِن عَلَف

ومن نبيذ ومن لحم أُعَلُّ به * لكنّ شِعرَك أمرٌ كان من حرف

إنّ الشّوق[7] بمَروٍ مَن أقام بها * يُقارع السُّوقَ من بَيْع ومن حَلِف

(١) فى ب ، س ، جـ « فراق » وما أثبتناه عن ط ، مط ، مب ، ها .

(٢) يحمد : أبو بطن من الأزد ، والزم : بلد بشط جيحون .

(٣) الوضح كسبب : الشيب ، أتى بالفعل منه مضعفا لتكثير المعنى . والعارضان : جانبا الوجه .

(٤) من قولهم ، رجل مقابل : أى كريم من كلا طرفيه أبيه وأمه ، والحماقة المقابلة التى يقابل أحد طرفيها الآخر، أى حماقة من طرفى الأب والأم .

(٥) أجحفت به المئونة : دنت منه .

(٦) عن ط ، مط ، مب ، ها .   (٧) فى ط ، مط ، مب ، ها « سلف » .

أخبرنى(١) أبو الحسن الأسدى قال : حدّثنى الرِّياشى عن الأصمعى قال : قال كعب الأشقرى يهجو زيادا الأعجم :

وأقلفَ صلّى بعد ما ناكَ أُمَّه * يَرَى ذاك فى دِين المَجوس حَلالا(٢)

فقال [له](٣) زياد : يابن النّمامة أهى أخبرتك أنّى أقلف ؟ فغلبه زياد .

والقصيدة التى أولها :

* طربتُ وهاج لى ذاك ادّكارا *

شعر له فيه غناء

وفيه الغناء المذكور بذكره خبرُ كعبِ الأشقرى، يمدح بها المهلّب بن أبى صُفرة ويذكر قتالَه الأزارقة، وفيها يقول بعد الأبيات الأربعة(٤) التى فيها الغناء :

غَرِضْن بمجلسى وكرِهْنَ وَصلى * أوانَ كُسِيتُ من شَمَطٍ عِذارا(٥)

زَرَيْن علىَّ حين بَدَا مَشِيبى * وصارت ساحَتِى للهمّ دارا(٦)

أتانى والحديثُ له نَماءٌ * مقالةُ جائر أحفى وجارا(٧)

سلوا أهلَ الأباطح من قريش * عن العزّ المؤبّد أين صارا(٨)

ومَن يَحمى الثغورَ إذا استحرّت * حروبٌ لا يَنون لها غِرارا(٩)

لقومى الأزد فى الغَمَرات أمضَى * وأوفَى ذِمّةً وأعزُّ جارا

(١) كذا فى ب، س، جـ والذى فى ط، مط، مب، ها : « حدثنى » .

(٢) الأقلف : من لم يختن . (٣) عن ط، مط، مب، ها .

(٤) كذا فى جميع الأصول . ويلاحظ أن المذكور فى الصوت ثلاثة أبيات لا أربعة .

(٥) غرضن بمجلسى أى مللنه وضجرن منه . والشمط : بياض بالرأس يخالط سواده . والعذار : جانبا اللحية . (٦) زرى عليه : عابه .

(٧) رواية ط، مط، مب، ها « مقالة قائل ... » .

(٨) المؤبد : المخلد .

(٩) لا ينون لها : لا يتوانون ولا يفترون عنها . غرارا : غافلين، جمع غارّ، وهو الغافل، كقيام جمع قائم .

هُم قادوا الجيادَ على وَجَاها (١) * من الأمْصَار يقذفْن المِهَارا

بكلّ مَفَازة وبكلّ سَهْب (٢) * بَسَابِسَ لا يَرَوْنَ لها مَنَارا

إلى كِرمانَ يحملن المنايا (٣) * بكلّ ثنيّة يوقدن نارا

شَوازب لم يصبن الشارَ حتى (٤) * رددناها مكلَّمةً مِرارا

ويشجرن العوالى السُّمر حتّى (٥) * تَرَى فيها عن الأَسَل ازورارا

غداةَ تَرَكْن مصرعَ عبدِ ربٍّ (٦) * يُثِرن عليه من رَهَجٍ عِصارا

ويوم الزحف بالأهواز ظلنا (٧) * نروِّى منهمُ الأَسَل الحِرارا

فقرّت أعينٌ كانت حديثًا (٨) * ولم يك نومها إلا غِرارا

صنائعنا السّوابغ والمذاكى (٩) * ومَن بالمِصر يحتلب العِشارا

(١) الوجى: الحفا. المهار جمع مهر: وهو ولد الفرس.

(٢) المفازة والسهب: الفلاة. والبسابس: جمع بسبس كجعفر، وهى الفلاة. منارا، أى علما يهدى إلى الطريق.

(٣) كرمان: بلد بفارس. والثنية: الطريق فى الجبل.

(٤) خيول شوازب، أى ضوامر، جمع شازب. مكلمة: مجرّحة.

(٥) السمر والأسل: الرماح. والعوالى: جمع عالية، وهى القناة المستقيمة. وازورّ عنه: انحرف ومال.

(٦) ولى عبد ربه الصغير أمر الأزارقة بعد خلع قطرىّ، ونشبت الحرب بينه وبين المهلب فأجلت الوقعة عنه قتيلا، وبذا خمدت حروب الأزارقة. والرهج ويحرك: الغبار. والعصار: الغبار الشديد.

(٧) الحرار: جمع حرّان، وهو العطشان.

(٨) كذا فى جميع الأصول. ورواية ابن أبى الحديد «حزينا» وحزين كقتيل يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع.

(٩) صنائع: جمع صنيعة، وهى المعروف والإحسان. السوابغ: جمع سابغة، وهى الدرع التامة الطويلة. والمذاكى: الخيل التى أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان. والعشار: جمع عشراء، وهى من النوق التى مضى لحملها عشرة أشهر، أو هى من الإبل كالنفساء من النساء.

فهنّ يحنّ كلَّ حِمًى عزيزٍ * ويحمين الحقائقَ والذِّمارا (١)

طُوَالاتُ المتُون يُصَنَّ إلا * إذا سار المهلّب حيث سارا

فلولا الشَّيخ بالمِصْرين ينفى * عدوَّهُمُ لقد تَرَكوا الديارا (٢)

ولكنْ قارَع الأبطالَ حتى * أصابوا الأمنَ واجتنبوا الفرارا (٣)

٥ إذا وَهَنوا وحَلَّ بهمْ عظيم * يَدُقّ العظمَ كان لهمْ جبارا

ومُبْهَمةٍ يَحيد الناسُ عنها * تَشُبُّ الموتَ شَدَّ لها الإزارا

شِهابٌ تَنجلِى الظَّلماء عنه * يَرَى فى كلّ مبهمَة منَارا

بل الرحمنُ جارُك إذ وَهَنّا * بدفعك عن محارمنا اختيارا

بَراك اللهُ حين بَراك بحرًا * وفجّر منك أنهارًا غِزارا

١٠ وقد مضت هذه الأبيات متقدّمةً فيما سلف من أخبار كعبٍ وشعره .

٦٣/١٣

شعره فى المهلب وولده

أخبرنى عمى قال : حدّثنا محمد بن سعد الكُرانى قال : حدّثنى العُمَرىّ عن العُتْبىّ قال : قال عبد الملك بنُ مروان : يا معشر الشعراء، تشبّهوننا بالأَسَد الأبخر، والجَبَل الوَعْر، والمِلْح الأُجاج؟ ألا قلتم كما قال كعبٌ الأشقرىّ فى المهلب وولده :

لقد خاب أقوامٌ سَرَوا ظُلَمَ الدُّجى * يؤُمّون عَمرًا ذا الشعير وذا البُرّ

١٥ يؤُمّون مَن نال الغِنَى بعد شَيْبه * وقاسَى وَليدًا مايقاسِى ذوو الفقر

---

(١) فهن، أى السوابغ والمذاكى . وفى ط، مط مب، ها : « بهن تبيح » . والذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته .

(٢) المصران : الكوفة والبصرة . تركوا الديار : أى ترك الديار أهلوها .

(٣) فى جـ، ط، مط : « واجتلبوا » . وفى ها : « واحتلوا القرارا » .

فقــل للجُشَمْ يا لَبَكْر بن وائل * مقالةَ مَن يَلحَى أخاه ومن يَزْرِى(١)

فلو كنتمُ حيًّا صميما نَفَيْتمُ * بخيلكمُ بالرَّغم منه وبالصُّغْر(٢)

ولكنّكم يا آلَ بكر بن وائل * يسودُكمُ من كان فى المال ذا وَفْر

هو المانع الكلبَ النُّباحَ وضَيفُه * خَمِيصُ الحَشَا يَرعَى النجومَ الّتى تَسرِى(٣)

هجاؤه لأخيه وخبر ذلك

قال : وكان بين كعب وبين ابن أخيه هذا(٤) تباعد وعداوة، وكانت أمّه سوداءَ فقال يهجوه :

إنّ السواد الذى سُرْبِلتَ تَعرفه * ميراث جَدِّك عن آبائه النُّوب(٥)

أشبهتَ خالَكَ خالَ اللؤمِ مؤتَسِيًا * بِهَدْيِه سالكا فى شرّ أُسْلوب(٦)

مقتله

قال المَدائنىّ فى خبره : وكان آبن أخى كعب هذا عدوّا له يسعى عليه، فلما سأل مَجزأةُ بنُ زياد بن المهلب أباه فى كعب فخلّاه، دسّ إليه زيادُ بنُ المهلَّب آبنَ أخيه الشاعر، وجعل له مالا على قتله، فجاءه يوما وهو نائم تحت شجرة، فضرب رأسه بفأس فقتله، وذلك فى فتنة يزيدَ بن المهلّب وهو بعمان يومئذ، وكان لكعب أخ غيرُ أخيه الّذى قتله آبنُه، فلما قُتل يزيد بنُ المهلّب فرّق مسلمةُ بنُ عبد الملك أعمالَه على عمّالٍ(٧) شتّى فولّى البصرةَ وعمانَ عبدَ الرحمن بن سليمان الكلبىّ، فاستخلف عبدُ الرحمن على عمانَ محمدَ بنَ جابر الراسِبىّ، فأخذ أخو كعب الباقى ابنَ أخيه الذى

(١) يلحى : يلوم . زرى عليه : عابه .

(٢) الصغر والصغار : الذل .

(٣) خميص الحشا : ضامر البطن .

(٤) الإشارة إلى ابن أخيه الذى قتله .

(٥) النوب : سكان بلاد النوبة جنوبى مصر، واحده نوبىّ .

(٦) ائتسى به : جعله أسوة وقدوة . والأسلوب : الطريق .

(٧) فى ط ، مط : « عماله على أعمال » .

قَتَل كعبا، فقدّمه إلى محمد بن جابر، وطلب القَوَد(١) منه بكعب، فقيل له : قُتِل أخوك بالأمس، وتَقتل قاتلَه وهو آبن أخيك اليوم! وقد مضى أخوك وآنقضى، فتبقى فردا كقَرْن الأعضب(٢) ! فقال : نعم إن أخى كعبا كان سيّدَنا وعظيمَنا ووَجْهَنا، فقتله هذا، وليس فيه خير، ولا فى بقائه عزّ، ولا هو خَلَفٌ من كَعب فأنا أقتلُه به، فلا خير فى بقائه بعد كعب، فقدّمه محمد بن جابر فضرب عنقَه والله أعلم .

مدحه لقتيبة ابن مسلم

أخبرنا أبو بكر محمد بنُ خلف بن المَرزُبان قال : حدثنا أحمد بن الهيثم قال : حدثنا العُمَرى، عن الهيثم بن عدى، ولَقيط وغيرهما، قالوا : حاصر يزيدُ بنُ المهلّب مدينةَ خُوارَزمَ فى أيام ولايته، فلم يَقدِر على فتحها، واستصعَب عليه، ثم عُزِل ووُلِّى قتيبةُ بنُ مسلم، فزحف إليها، فحاصرها ففتحها(٣)، فقال كعب الأشقرىّ يمدحه ويهجو يزيد بنَ المهلّب بقوله :

٦٤ / ١٣

رمتكَ فِيلٌ بمـا فيها وما ظَلَمتْ * من بعد مارامها الفَجْفاجةُ الصَّلِفُ(٤)

قيسٌ صريحٌ وبعضُ الناس يجمعهم * قُرًى وريفٌ ومنسوبٌ ومقترِفُ(٥)

منهم شُناسٌ ومَرْدَاذَاءُ نَعرِفُه * وفَسْخَراءُ، قُبورٌ حَشْوُها القَلَفُ

لم يَركَبوا الخيلَ إلّا بعدما هَرِموا * فهم ثِقالٌ على أكتافها عُنُفُ

(١) القود : القصاص وقتل القاتل بدل القتيل .

(٢) الأعضب : المكسور أحد قرنيه . (٣) كان ذلك سنة ٩٣ هـ .

(٤) كانت مدينة ولاية خوارزم يقال لها « فيل » قديما، ثم سميت المنصورة . ويعنى بالفجفاجة الصاف يديه .

(٥) فى جميع الأصول « صريح قيس » والتصويب عن تاريخ الطبرى ٨ : ٨٤ وذلك أن قتيبة آبن مسلم باهلى، وباهلة : من قبائل قيس عيلان . يقول : إن نسب قتيبة صريح، ويعرّض بآل المهلب بقوله « وبعض الناس » . ومنسوب، أى معروف النسب خالصه، يعنى قتيبة . ومقترف : قرفه بسوء : رماه به .

قال : الفيل الذى ذكره هو حصن خُوارَزم يقال له الكُهُنْدَر، والكُهُنْدَر : الحصن العتيق، والفَجْفاجة : الكثير الكلام . وشُناس : اسم أبى صُفرة، فغيّره، وتسمّى ظالما، ومَرْداذاء : أبو أبى صُفْرة، وسمّوه بسراق(١) لمّا تعرّبوا، وفَسْخَراء : جدّه، وهم قوم من الخُوز(٢) من أهل عُمان، نزلوا الأزْد، ثم آدّعوا أنّهم صَليبة صُرَحاء منهم،

صـــوت

لأسماءَ رسمٌ أصبح اليومَ دارسَا * وقفتُ به يوما إلى الليل حابِسا

بجَنْبا بهيتٍ(٣) لا تَرَى غيرَ منزلٍ * قليلٍ به الآثارُ إلّا الروامسَا

يدورون بى فى ظلّ كلّ كنيسةٍ * فينسُوننى قومى وأهوَى الكَنَائسا

البيت الأول من الشعر للعبّاس بن مِرْداس السُّلَمىّ، وبيت العبّاس مصراعُه الثانى :

* توهّمتُ منه رَحْرَحانَ(٤) فرا كِسا *

وغيّره يزيد بن معاوية فقال [مكان](٥) هذا المصراع :

* وقفتُ به يوما إلى الليل حابِسا *

والبيت الثانى للعبّاس بن مِرْداس ، والثالث ليزيدَ بن معاوية، ذكر بعضُ الرُّواة أنه قاله على هذا الترتيب وأَمَر بُدَيحا أن يغنّىَ فيه، ففعل؛ ولم يأت ذلك من جهة يوثَق بها ، والصحيح أنّ الغناء لمالك، خفيف ثقيل بالبنصر عن الهشامىّ ويحيى المكّىّ، وهذا صوت زعموا أن مالكا صنعه على لحن سمعه من الرُّهْبان .

---

(١) فى ب ، س « بشيرا » والتصويب عن ط ، مط ، جـ، مب، ها .

(٢) الخوز : جيل من الناس ، أعجمى معرب .

(٣) هيت : بلدة على الفرات . الروامس : الرياح التى تثير التراب وتدفن الآثار .

(٤) رحرحان : جبل قريب من عكاظ خلف عرفات . وراكس : واد .

(٥) الزيادة من نسخة ها، جـ .

أخبرنى الحسن بنُ يحيى، عن حمّاد بن إسحاق، عن أحمدَ المكىّ، عن أبيه، عن سِـياط ، أن مالكا دخل مع الوليد بن يزيدَ دَيْرا ، فسمع لحنـا من بعض الرُّهبان فاستحسنه، فصنع عليه .

* ليس رَسمٌ على الدَّفِين ببالى *

فلمـا غنّاه الوليدَ قال له : الأوّل أحسن فعـد إليه . اللحن الثانى الذى لمـالك ، ثقيل بالبنصر عن الهشامىّ وعمرو ، وأوله :

دَرَّ دَرُّ الشَّـباب والشعَرِ الأسـ * ـوَدِ والضامراتِ تحت الرحالِ[1]

والخناذيذ كالقداح من الشو * حـط يحملن شِكّة الأبطال[2]

(١) يقولون لمن يمدح و يتعجب من عمله : لله دره : أى لله عمله ، و ربما استعملوه من غير أن يقولوا : لله ، فيقولون : درّ درّ فلان ؛ فاذا شتموه وذموا عمـله قالوا لا درّ درّه ، أى لا زكا عمـله ولا كثر خيره .

(٢) الخناذيذ : جياد الخيل أو طوالها جمع خنذيذ بالكسر . وفى ب ، س « والخفاديد » وهو تحريف . والشوحط : شجر تتخذ منه القسى . والشكة : السلاح .

أخبار العباس بن مرداس ونسبه

نسبه

العباس بن مرداس بن أبى عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عَيْلانَ بنِ مضرَ بن نزار، ويكنى أبا الهيثم، و إيّاه يعنى أخوه سُراقة بقوله يرثيه :

أعَيْنِ ألا ابكى أبا الهَيْثَمِ (١) * وأذرى الدموعَ ولا تسأمى

٥

وهى أبيات تُذكر فى أخباره، وأمّه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشَّريد، وكان العباس فارسا شاعرا شديد العارضة (٢) والبيان، سيّدا فى قومه من كلا طرفيه، وهو مخضرَم أدرك الجاهلية والإسلام، ووفد إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلم، فلما أعطى المؤلَّفةَ قلوبُهم فَضّل عليه عيينةَ بنَ حصن والأقرعَ بنَ حابس، فقام وأنشده شعرا قاله فى ذلك، فأمر بلالا فأعطاه حتى رضى، وخبره فى ذلك يأتى بعد هذا الموضع، والله أعلم.

٦٥ / ١٣

١٠

خبره مع صنم كان له

أخبرنى محمد بنُ جرير الطبرىّ قال : حدّثنا محمد بنُ حُميد قال : حدّثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق عن منصور بن المعتمر، عن قَبيصة، عن عمرو والخُزاعىّ عن العبّاس بن مِرداس بن أبى عامر أنه قال : كان لأبى صنم اسمه ضِمار (٣)، فلمّا حضره الموتُ أوصانى به و بعبادته والقيام عليه، فعمَدتُ إلى ذلك الصنم فجعلته فى بيت، وجعلت آتيه فى كلّ يوم وليلة مرّة، فلما ظهر أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعتُ صوتا فى جوف الليل راعنى، فوثبتُ إلى ضِمار، فإذا الصّوت فى جوفه يقول :

١٥

(١) فى جـ « أعين لا ابكى على الهيثم » وهو تحريف . والتصويب عما ورد بآخر الترجمة .

(٢) العارضة : القدرة على الكلام ؛ والرأى الجيد . (٣) ضمار : صنم عبده العباس ابن مرداس ورهطه . وفى ب، س جـ « ضماد » ، وهو تصحيف . والتصويب عن ها .

٢٠

قل للقبائلِ من سُــليمٍ كلِّهــا * هَلَكَ الأَنيسُ وعاشَ أهلُ المسجدِ
إن الذى وَرِثَ النبوّة والهــدى * بعد آبن مريمَ من قريشٍ مهتدى
أَودَى الضِّمارُ وكانَ يعبَدُ مَرّةً * قبــل الكتابِ إلى النبىّ محمــد

قال: فكتمتُ الناسَ ذلك، فلم أحدِّث به أحدا حتى آنقضت غَزوة الأحزاب، فبينا أنا فى إبلى فى طرف العَقيق وأنا نائم، إذ سمعتُ صوتا شديدا، فرفعتُ رأسى فإذا أنا برجل على حِيالِى[1] بعمامة يقول: إن النور الذى وقع بين الآثنين وليلة الثلاثاء، مع صاحب الناقة العضباء[2]، فى ديار بنى أخى العَنْقاء[3]، فأجابه طائف عن شماله لا أُبصره فقال: بَشِّر الجنَّ وأجناسَها، أن وضعت المَطِىّ أحلاسَها[4]، وكفّت[5] السماء أحراسَها، وأن يُغِصّ[6] السَّوْقُ أنفاسَها، قال: فوثبتُ مذعورا وعرفتُ أنّ محمدا

(١) يقال: وقف حياله وبحياله: بإزائه.
(٢) العضباء: اسم ناقة النبى صلى الله عليه وسلم.
(٣) العنقاء: لقب ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء، قال حسان:
ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا أبنما.
والأوس والخزرج: ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء ومن بطون الخزرج بنو عدى بن النجار أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، تزوج منهم جده هاشم سلمى بنت عمرو والنجارية أم عبد المطلب.
(٤) أحلاس: جمع حلس بالكسر، وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة.
(٥) فى ب، س «ووكفت» وهو تحريف.
(٦) فى الأصول «أن بعض» ولعل صوابه ما أثبتنا، أى وبشر الجن بأن يغص ... وبشّر هنا بمعنى أنذر، ويغص أنفاسها: يصيبها بغصة، والسوق: الدفع الشديد. والمعنى: لم يعد لها سلطان، وكانت العرب تعتقد أن الجن تأتى بخبر السماء فتلقيه فى جوف الأصنام. وجاء فى رواية الروض الأنف: «عن عباس بن مرداس أنه كان فى لقاح له نصف النهار، فاطلعت عليه نعامة بيضاء عليها راكب عليه ثياب بيض، فقال لى: ياعباس ألم تر أنّ السماء كفت أحراسها، وأن الحرب جرعت أنفاسها، وأن الخيل وضعت أحلاسها، وأن الذى نزل عليه البر والتقى يوم الاثنين ليلة الثلاثاء، صاحب الناقة القصواء. قال: فخرجت مرعوبا قد راعنى ما رأيت، وسعيت حتى جئت وثنا لى يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه ...». والقصواء: التى قطع طرف أذنها، وهو لقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تكن ناقته قصواء، وإنما كان هذا لقبا لها، وقيل: كانت مقطوعة الأذن.

رسول الله صلى الله عليه وسلم مصطفى، فركبتُ فرسى وسرتُ حتّى انتهيت إليه فبايعته وأسلمْت ، وانصرفت إلى ضمار فأحرقتُه بالنار .

خروجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم و إسلامه .

وقال أبو عبيدة: كانت تحت العبّاس بن مِرداس حبيبة بنتُ الضحّاك بن سُفيان السُّلَمى أحد بنى رِعْل[1] بن مالك ، فخرج عبّاس حتى انتهى إلى إبله وهو يريد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فبات بها، فلمّا أصبح دعا براعيه فأوصاه بإبله ، وقال له : من سالك عنّى فحدِّثه أنّى لحقتُ بيثربَ، ولا أحسبنى إن شاء الله تعالى إلّا آتيا محمدا وكائنا معه ، فإنى أرجو أن نكون برحمة من الله ونور، فإن كان خيرا لم أُسبَق إليه ، و إن كان شرّا نصرتُه[2] لخئولته ، على أنى قد رأيت الفضلَ البيِّن وكرامةَ الدنيا والآخرة فى طاعته ومؤازرته ، واتّباعه ومبايعته، و إيثارِ أمرِه على جميع الأمور ، فإن مناهج سبيله واضحة ، وأعلامَ ما يجىء به من الحقّ نيرة، ولا أرى أحدا من العرب يَنصب[3] له إلا أُعطِىَ عليه الظفرَ والعلوّ ، وأرانى قد أُلقِيتْ علىَّ محبّةٌ له ، وأنا باذلٌ نفسى دون نفسه أريد بذلك رضا إله السماء والأرض ، قال : ثم سار نحو النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، وانتهى الراعى نحو إبله ، فأتى امرأتَه فأخبرها بالّذى كان من أمره ومسيره إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقامت فقوّضتْ بيتَها ، ولحقتْ بأهلها ، فذلك حيث يقول عبّاس بنُ مرداس ، حين أحرق ضِمارا ولحق بالنبيّ صلى الله عليه وسلم :

لَعَمـرى إنّى يوم أَجعَـل جاهدا * ضِمـارًا لربّ العالمين مُشارِكَا
وتركى[4] رسول الله والأَوسُ حولَه * أولئـك أنصـار له ، ما أولئكا؟

٦٦ / ١٣

(١) رعل : قبيلة من سليم .
(٢) فى جـ ، ب « بصرته » وفى س « أبصرته » والصواب عن « ها » وهو تحريف .
(٣) نصب له : عاداه .
(٤) تركى ، معطوف على أجعل المنزل منزلة المصدر ، أى يوم جعلى ضمارا مشاركا وتركى . ما أولئكا : استفهام للتعظيم والتهويل .

كتاركِ سهلَ الأرضِ، والحزنَ يبتغى * ليَسلُكَ فى غيب الأمور المسالكا
فآمنتُ بالله الّذى أنا عبـــدُه * وخالفتُ من أَمسَى يريد المـــالكا
وَوجّهتُ وجهى نحو مكّة قاصدا * وتابعت بين الأخشبين المبَارَكا (١)
نبيٌّ أتانا بعـدَ عيسى بناطـق * من الحقّ فيـه الفصل منه كذلكا
أمينا على الفرقان أوّل شافع * وآخـر مبعـوث يجيب الملائكا ٥
تَلافَى عُرا الإسلام بعد انفصامها * فأحكمَها حـتّى أقام المَناسـكا
رأيتـك يا خـير البـريّة كلّهـا * توسّطتَ فى القربى من المجد مالكا (٢)
سبقتَهمُ بالمجـد والجُـود والعُـلا * وبالغاية القصوى تَفوت السَّنابكا (٣)
فأنتَ المصفّى من قريش إذا سمتْ * غَلاصِمُها تبغى القُـروم الفـواركا (٤)

١٠ قال : فقدم عبـاس على رسول الله صلّى الله عليه وسلم المدينـةَ حيث أراد المسير إلى مكّة عامَ الفتح ، فواعَدَ رسولَ الله صلّى الله عليـه وسلّم قُدَيدًا (٥) ، وقال : القَنى

---

(١) الأخشبان : جَبلان مطيفان بمكة ، وهما أبو قبيس والأحمر . وفى جـ « الأحسبين » وهو تصحيف .

(٢) يعنى مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .

١٥ (٣) السنابك : جمـع سنبك كقنفذ ، وهو طرف الحافر . والمعنى : لا تبلغها سنابك الخيـول المتسابقة إليها .

(٤) غلاصم : جمع غلصمة ، وهى أصل اللسان أو الجماعة أو السادة . والقروم : جمع قرم بالفتح ، وهو السيد ، وأصـله الفحل الذى يترك من الركوب والعمل و يودع للفحلة والضراب . والفوارك : جمع فارك ، من فرك الرجل امرأته فركا : أبغضها ، يعنى أنهم ليسوا ممن تلهيهم النساء عن عظائم الأمور ،
٢٠ ومن ذلك قول الأخطل :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار

وقد تمثل به عبد الملك بن مروان حين تهيأ لقتال ابن الأشعث . وفى وصف القـروم بالفوارك ملاءمة ظاهرة . (٥) قديد : موضع قرب مكة .

أنت وقومك بقديد، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلّم قُديدا وهو ذاهب، لقيه عبّاس فى ألف من بنى سُلَيم ، ففى ذلك يقول عبّاس بنُ مرداس :

بلِّغْ عبادَ الله أنّ محمدا * رسولَ الإله راشد أين يمّما (١)

دعا قومَه واستنصر اللهَ ربَّه * فأصبح قد وافَى الإله وأنعما (٢)

عشيّة واعدنا قُدَيدا محمّدا * يؤُم بنا أمرا من الله مُحكَمَا

حلفت يمينا بَرّةً لمحمّد * فأوفيته ألفا من الخيل مُعلَمَا

سرايَا يراها الله وهو أميرُها * يؤم بها فى الدِّين من كان أظلَمَا (٣)

على الخيل مشدودا علينا دُروعُنا * وخيلا كدُفّاع الأَتِىّ عرمرما (٤)

أطعناك حتّى أسلم الناس كلهم * وحتّى صبَحْنا الخيلَ أهل يَلَمْلَمَا (٥)

وهى قصيدة طويلة .

زوجته تؤنبه على إسلامه

قال : ولمّا عرَف رَاعى العبّاس بن مرداس زوجتَه بنت الضحّاك بن سفيان خبره و إسلامَه قوّضتْ بيتها، وارتحلتْ إلى قومها ، وقالت تؤنّبه :

ألم ينه عباس بن مِرداسَ أنّنى * رأيتُ الورى مخصوصةً بالفجائع

(١) فى هذا البيت خرم . و يمم : طلب . وفى الروض الأنف جـ ٢ ص ٢٦٨ «من مبلغ الأقوام» .

(٢) وافَى الله حقّه ووفاه : أداه ، و يقال : فعل كذا وأنعم : أى زاد .

(٣) يراها الله ، أى بعين رعايته . وأظلم هنا بمعنى ظالم .

(٤) فى الأصول : « عليها » وهو تحريف ، والخيل : الفرسان . وفى السيرة « و رجلا » وهم الرجالة أى المشاة . وسيل أتىّ : وفى ب ، س : « اللواتى » ؛ وهو تحريف . والتصويب عن ها ، والسيرة النبوية . والدفاع : كثرة الماء وشدته وتدافع جريه . وجيش عرمرم : كثير شديد .

(٥) كذا فى الأصول . وفى الروض الأنف : «صبحنا الجمع» . يلملم : ميقات اليمن ، جبل على مرحلتين من مكة . وفى ب ، س « يلما » ؛ وهو تحريف .

أتاهمْ من الأنصار كلُّ سَمَيْذعٍ (١) * من القوم يَحمِى قومَه فى الوقائعِ

بكلّ شديد الوَقْع عَضْب، يقودُه * إلى الموت هامُ المُقْرِبات البرائعِ (٢)

لَعَمرى لئن تابعت دينَ محمد * وفارقت إخوانَ الصّفا والصنائعِ (٣)

لبدّلت تلك النفسَ ذلّا بعِزّة * غداةَ اختلاف المُرهَفات القواطعِ (٤)

٥ وقوم هم الرأس المقدَّم فى الوغى * وأهلُ الحِجا فينا وأهلُ الدَّسائعِ (٥)

سيوفُهُمُ عِزُّ الذَّليل وخيلُهم * سِهامُ الأعادى فى الأمور الفظائعِ

شعره لرسول الله حين فضل غيره عليه فى الغنائم وخبر ذلك

٦٧/١٣ فأخبرنى أحمد بنُ محمّد بنِ الجعد قال: حدّثنا محمد بن إسحاق المسيّبى قال: حدّثنا محمد بنُ فُلَيح عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، وأخبرنى عمر بن إسمعيل ابن أبى غَيْلان الثَّقفىّ قال: حدّثنا داود بن عمرو الضّبّىّ قال: حدّثنا محمد بن راشد

١٠ عن ابن إسحاق، وحدَّثنيه محمد بنُ جرير قال: حدّثنا محمد بنُ حُمَيد قال: حدّثنا سَلَمة عن ابن إسحاق — وقد دخل حديثُ بعضهم فى حديث بعض — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسَّم غنائمَ هَوازنَ، فأكثر العطايا لأهل مكّة، وأجزل القَسْم لهم ولغيرهم ممّن خرج إلى حُنين، حتّى إنه كان يعطى الرجل الواحد مائة ناقة، والآخر ألف شاة، وزَوى كثيرا من القَسْم عن أصحابه، فأعطى الأقرعَ بنَ حابس وعيينةَ

١٥ ابنَ حصن والعباسَ بنَ مرداس عطايا فضّل فيها عيينةَ والأقرعَ على العبّاس، فجاءه العباس فأنشَدَه:

(١) السميذع: السيد الكريم والشجاع.

(٢) المقربات: جمع مقربة، وهى الفرس التى تدنى وتقرب وتكرم، ولا تترك أن ترود لئلا يقرعها فحل لئيم، أو هى التى ضمرت للركوب. البرائع: جمع بريعة، وهى المرأة الفائقة فى الجمال والعقل؛

٢٠ جعلها هنا وصفا للأفراس. (٣) الصنائع: جمع صنيعة، وهى الإحسان.

(٤) المرهفات: السيوف المرققة. (٥) الدسائع: جمع دسيعة، وهى العطيّة.

وكانت نهابا تلافيتُها * بكَرِّى على المُهْر فى الأجرع[1]

وإيقاظِىَ الحىَّ أن يرقُدوا * إذا هجع القومُ لم أهجَع

فأصبح نَهبى ونَهبُ العبيـ * ـدِ بين عُيينةَ والأقرع[2]

وقد كنتُ فى الحرب ذا تُدْرَإٍ[3] * فلم أُعطَ شيئا ولم أمنَع

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ * يفوقان مرداسَ فى مجمَع

وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليومَ لا يُرفع

فبلغ قولُه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه فقال له: أنت القائل: «أصبح نهبى ونهبُ العبيد بين الأقرع وعيينة؟» فقال أبو بكر: بأبى أنت وأمّى يا رسول الله، لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغى لك الشعرُ، وما أنت براوية، قال: فكيف قال؟ فأنشده أبو بكر رضى الله عنه، فقال: هما سواء، لا يضرّك بأيّهما بدأت: بالأقرع أم بعيينة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقطعوا عنّى لسانَه، وأمر بأن يعطوه من الشّاء[4] والنَّعم ما يرضيه ليُمسك، فأُعطِىَ، قال: فوجَدَت[5] الأنصارُ فى أنفسها، وقالوا: نحن أصحاب مَوْطِن[6] وشدّة، فآثر قومه علينا، وقسم قَسْما لم يقسمه لنا، وما نراه فعل هذا إلّا وهو يريد الإقامة بين أظهرهم، فلما بلغ قولُهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أتاهم فى منزلهم فجمعهم، وقال: من كان هاهنا من غير الأنصار فليرجع إلى أهله، فحمد الله وأثنى عليه

(١) فى ب، س «كانت رزايا» والتصويب عن جـ، ها. والنهاب: الغنائم.

(٢) العبيد: اسم فرس العباس بن مرداس. وفى الأصول «عينية» وهو تصحيف.

(٣) رجل ذو تدرأ وتدرأة: مدافع ذو عز ومنعة.

(٤) فى ب، س، جـ: «من النساء»؛ وهو تحريف والتصويب عن ها.

(٥) وجد عليه يجد: غضب. (٦) الموطن: المشهد من مشاهد الحرب.

ثم قال : يا معشر الأنصار ، قد بلغتنى مقالةٌ قلتموها ، وموجدة وجدتموها فى أنفسكم ، ألم آتكم ضُلّالا فهداكم الله ؟ قالوا : بلى . قال : ألم آتكم قليلا فكثّركم الله؟ قالوا : بلى . قال : ألم آتكم أعداءً فألّف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى .

قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى يعقوب بن عيينة أنه قال : ألم آتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها ؟ قالوا : بلى . قال : أفلا تجيبون يا معشر الأنصار ؟ قالوا : لله ولرسوله علينا المنّ والفضل ، جئتنا يا رسول الله ونحن فى الظلمات ، فأخرجنا اللهُ بك إلى النور، وجئتنا يا رسول الله ونحن على شفا حُفْرة من النار ، فأنقذنا الله ، وجئتنا يا رسول الله ونحن أذلّة قليلون فأعزّنا الله بك، فرضينا بالله ربًّا، و بالإسلام دينا ، و بمحمد رسولا . فقال صلى الله عليه وسلم : أما والله لو شئتم لأجبتمونى بغير هذا ، فقلتم : جئتنا طريدا فآويناك ، ومخذولا فنصرناك ، وعائلا فأغنيناك ، ومكذّبا فصدّقناك ، وقبِلنا منك ما ردّه عليك الناسُ، لقد صدقتم . فقال الأنصار : لله ولرسوله علينا المنّ والفضل ، ثم بكوا حتى كثر بكاؤهم ، و بكى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقال : يا معشر الأنصار وَجَدْتم فى أنفسكم فى الغنائم أن آثرتُ بها ناسا أتألّفهم على الإسلام ليُسلِموا ، ووكلْتكم إلى الإسلام ، أولا ترضَون أن يذهب الناسُ بالشاء والإبل ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ والذى نفس محمد بيده لو سلك الناسُ شِعْبا[1] وسلك الأنصار شِعْبا لسلكتُ شِعبَ الأنصار ، ولولا الهجرة لكنتُ آمرأ من الأنصار ، ثم بكى القوم ثانيةً حتى أخضلوا[2] لحاهم ، وقالوا : رضينا يا رسول الله بالله و برسوله حظًّا وقسْما ، وتفرّق القوم راضين ، وكانوا بما قال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم أشدّ آغتباطا من المال .

(١) الشعب : الطريق فى الجبل .

(٢) أخضله : بله .

وقال أبو عمرو الشيبانى فى هذا الخبر : أَعطَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جماعةً من أشراف العرب عطايَا يتألّف بها قلوبَهم وقومَهم على الإسلام ، فأعطى كلَّ رجل من هؤلاء النّفر — وهم : أبوسفيان بن حرب، وابنه معاوية، وحكيم ابن حزام، والحرث بن هشام، وسُهَيل بن عمرو، وحُوَيْطِب بنُ عبد العُزَّى، وصفوان ابن أميّة، والعلاء بن حارثة الثَّقَفى حليفُ بنى زُهرة، وعيينة بن حِصْن، والأقرع ابن حابس — مائةً من الإبل، وأَعطَى كلَّ واحد من مَخْرَمة بن نوفل وعمير بن وهب أحد بنى عامر بن لؤىّ وسعيد بن يربوع، ورجلا من بنى سهم دون ذلك ما بين الخمسين وأكثر وأقلّ، وأعطى العبّاس بنَ مرداس أباعر، فتسخّطها وقال الأبيات المذكورة ، فأعطاه حتى رضى .

كتب عبد الملك كتابا فيه شعر للعباس يتوعده وخبر ذلك

حدّثنا وكيع قال: حدّثنا الكُرَانىّ قال: حدّثنا عطاء بنُ مصعب، عن عاصم ابن الحَدَثان قال : كتب عبد الملك بن مروانَ إلى عبد الله بن الزبير كتابا يتوعّده فيه وكتب فيه :

إنى لَعِندَ الحرب تحمل شِكّتِى * إلى الرَّوْع جَرْداء السَّيَالَة ضامرُ(١)

والشعر للعبّاس بن مرداس . فقال ابن الزبير : أبالشعر يقوى علىّ؟ والله لا أجيبه إلّا بشعر هذا الرجل ؛ فكتب إليه :

إذا فُرِس العَوالى لم يخالجْ * هُمومى غير نصرٍ واقترابِ(٢)

(١) الشكة : السلاح . السيالة : واحدة السيال ، وهو شجر سبط الأغصان له شوك أبيض وأراد بها المتن — على التشبيه — وفى الأصول : « السبالة » بالباء .

(٢) فرسه فرسا : دقه وكسره . والعوالى : جمع عالية ، وهى رأس الرمح .

وإنّا والسّوابح يومَ جَمْعٍ (١) * وما يتلو الرسول من الكتاب

هزمْنا الجمعَ جمعَ بنى قِسِيٍّ (٢) * وحكّت بَرْكَها ببنى رِئاب

هذه الأبيات من قصيدة يفخر فيها العبّاس برسول الله صلّى الله عليه وسلم ونصره له، وفيها يقول:

بذى لَجَب (٣) رسولُ الله فيه * كتيبتُه تَعرَّضُ للضِّراب

ولو أدركن صِرمَ (٤) بنى هلالٍ * لآمَ نساؤهمْ والنَّقْع كابى

خبر قتل أخيه هريم

قال أبو عُبيدة: وكان هُرَيم بنُ مرداس مجاورا فى خُزاعة فى جِوار رجل منهم يقال له عامر، فقتله رجل من خُزاعة يقال له خُوَيْلد، وبلغ ذلك أخاه العبّاس ابن مرداس، فقال يحضّ عامرا على الطلب بثأر جاره، فقال:

٦٩ / ١٣

إذا كان باغٍ منك نالَ ظُلامةً * فإنّ شفاء البغي سيفُك فافصِلِ

ونبِّئت أن قد عوّضوك أباعرًا * وذلك للجيران غزل بمغزل

فخذها فليست للعزيز بنُصرةٍ * وفيها متاعٌ لامرئٍ متذلّل

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لمّا دعاه علىّ عليه السلام إلى البيعة، وتحدّث الناس أنّه وعده أن يولّيه الشأم إذا بايعه. قال: فلما

(١) السوابح: جمع سابح، وهو من الخيل ما يمدّ يديه فى الجرى سبحا. وفى جـ، ب، س «يوم بدر» والتصويب عن ها والسيرة النبوية لابن هشام، وقد قال العباس هذا الشعر يوم حنين. وجمع: المزدلفة.

(٢) فى جـ، ب، س «يوم بنى قسىّ». وقسى هو ثقيف. والبرك: كلكل البعير وصدره الذى يدوك به الشىء تحته، ويقال فى صفة الحرب وشدّة وطأتها: «حكت بركها بهم».

(٣) بذى لجب، أى بجيش ذى لجب، واللجب: الجلبة والصياح. وفى الأصول: «كعارضة تعرض للصواب» والتصويب عن السيرة النبوية.

(٤) الصرم: الفرقة من الناس ليسوا بالكثير. والنقع: الغبار. والكابى: المرتفع الضخم.

بلغتْه هـذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسـده ماء بغُسل حتى يثأر بهُرَيم؛ ثم إن أبا حُلَيْس النَّصْرِىّ لقِىَ خويلدا قاتِلَ هُرَيم فقتله؛ فقال بنو نصر: بؤ بدم فلان النصرىّ — رجل كانت خزاعة قتلتـه — فقال أبو الحليس : لا ، بل هو بُؤْ بدم هُرَيم بن مرداس ، وبلغ العبّاس، فقال يمدحه بقوله :

أتانى من الأنباء أنّ آبنَ مالكٍ * كفى ثائرا من قومه مَن تغيّبا

[ويَلقاكَ ما بين الخَميس خُويلدٌ * أرى عَجَبا بل قتله كان أعجبا]

فِدًى لك أمّى إذ ظَفِرتَ بقتله * وأقسم أبغى عنك أمّا ولا أبا

فمثلُكَ أدّى نُصرةَ القوم عَنوةً * ومثلُكَ أعيا ذا السّلاح المجرّبا

خروجه لحرب بنى نصر

قال أبو عبيدة : أغارت بنو نصر بن معاوية على ناحية من أرض بنى سُـليم ، فبلغ ذلك العبّاسَ بنَ مرداس ، فخرج إليهم فى جمع من قومه، فقاتلهم حتى أكثرَ فيهم القتل، وظهرت عليهم بنو سُليم، وأسروا ثلاثين رجلا منهم، وأخذتْ بنو نصر فرسا للعبّاس عائرةً يقال لها زرّة، فانطلق بها عطية بنُ سُفْيان النَّصْرى — وهو يومئذ رئيس القوم — فقال فى ذلك العباس :

أبى قومنـا إلا الفرارَ ومن تكن * هوازنُ مولاه من النـاس يُظْلَمِ

(١) أى خويلد بؤ . يقال : باء دمه بدمه بوءا وبواء : عدله .

(٢) ثائرا ، أى آخذا بالثأر . (٣) تكلة عن « ها » . (٤) أبغى : لا أبغى .

(٥) هم بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ... فهم وبنو سـليم أبناء عم . (٦) يريد : شاردة وضالة ، من قولهم : أصابه سهم عائر أى لا يدرى من رماه .

(٧) فى الأصول : « زورة » وهو تحريف، وصوابه ما أثبتنا كما فى (تاج العروس) .

(٨) فى ب، س « غبطة » وصوابه ما أثبتنا كما فى ها .

(٩) أبى قومنا : يريد بنى عمهم بنى نصر . يظلم ، أى يتعرّض للظلم والعدوان عليـه لضعفهم عن نصرته والذود عنه .

أغار علينا جمعهم بين ظالم * وبين ابن عم كاذب الود أيهم (١)

كلاب وما تفعل كلاب فإنها * وكعب سراة البيت مالم تهدم (٢)

فإن كان هذا صنعكم فتجردوا * لألفين منا حاسر ومُلأم (٣)

وحرب إذا المرء السمين تمرست * بأعطافه بالسيف لم يترمرم (٤)

٥ ولم أحتسب سفيان حتى لقيته * على مأقط إذ بيننا عطر منشم (٥)

فقلت وقد صاح النساء خلالهم * لخيلى شدى إنهم قوم لهذم (٦)

فما كان تهليل لدن أن رميتهم * بزرة ركضا حاسرا غير ملجم

إذا هى صدت نحرها عن رماحهم * أقدمها حتى تنعل بالدم

وما زال منهم رائغ عن سبيلها * وآخر يهوى لليدين وللفم (٧)

١٠ لدن غدوة حتى استبيحوا عشية * وذلوا فكانوا لحمة المتلحم (٨)

فآبوا بها عرفا وألقيت كلكلى * على بطل شاكى السلاح مكلم (٩)

ولن يمنع الأقوام إلا مشايح * يطارد فى الأرض الفضاء ويرتمى (١٠)

٧٠/١٣

(١) الأيهم : من لا عقل له ولا فهم .

(٢) كلاب وكعب : هما ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وسراة
١٥ كل شىء : أعلاه وظهره ووسطه .

(٣) رجل حاسر : لا درع عليه ولا بيضة على رأسه . وملأم : عليه لأمة ، وهى الدرع ، والسلاح وأداة الحرب . (٤) تمرس به : احتك به . وترمرم : حرك فاه للكلام .

(٥) المأقط : المضيق الذى يقتتلون فيه . ومنشم : امرأة كانت عطارة بمكة ، وكانوا إذا أرادوا القتال وتطيبوا بطيبها كثرت فيهم القتلى ، فضربوا بها المثل فى الشؤم فقالوا : أشأم من عطر منشم .

٢٠ (٦) اللهذم : القاطع من الأسنة أى قوم ذوو لهاذم .

(٧) راغ : مال وحاد . (٨) المتلحم : يريد طالب اللحم ومشتهيه .

(٩) العرف : اسم من الاعتراف ، أى آبوا معترفين بالهزيمة . والكلكل : الصدر . شاكى السلاح : ذو شوكة وحد فى سلاحه ، مكلم : مجرح .

(١٠) شايح : قاتل ، وجد فى الأمر . وفى الأصول « مشايخ * تطاردن » وهو تصحيف .

٢٥ ارتموا : تراموا .

قال : ثم إن العبّاس بن مرداس جمع الأسارَى من بنى نصر — وكانوا ثلاثين رجلا — فأطلقهم ، وظن أنّهم سيثيبونه بفعله ، وأنّ سفيانَ سيردّ عليه فرسَه زِرْةَ، فلم يفعلوا ، فقال فى ذلك :

أزِرْة خيرٌ أم ثلاثون منكمُ * طليقا رددناه إليكمْ مسلَّما(١)

قال : وجعل العباسُ يهجو بنى نصر ، فبلغه أن سفيانَ بن عبد يغوث يتوعّده فى ذلك ، فلقيَه عبّاس فى المواسم ، فقال له سفيان : والله لتنتهينّ أو لأصرمنّك ، فقال عباس :

أتوعدنى بالصّرْم إن قلت أوفنِى * فأوفِ وزِدْ فى الصّرمِ لِهزِمَةَ النتن(٢)

وقال العباس أيضا فيه :

ألا مَن مُبلغ سُفيانَ عنّى * وظنّى أن سيبلغه الرسولُ

ومولاه عطيّة أنّ قِيلا * خلا منّى وأن قد بات قِيل(٣)

سئمتْم ربّكمْ وكفرتموه * وذلكمُ بأرضكمُ جميلُ(٤)

ألا تُوفِى كما أَوفَى شبيبٌ * فحلّ له الولايةُ والشُّمول

أبوه كان خيركم وفاءً * وخيرَكم إذا حُمِد الجميلُ

ألام على الهجاء وكلّ يوم * تلاقينى من الجيران غول(٥)

ساجعلها لأجمعكم شِعارا * وقد يَمضى اللسان بما يقول

(١) فى الأصول « طليق » وهو تحريف ، والفصل بين العدد وتمييزه ضرورة ، كقوله :

* ثلاثون للهجر حولا كميلا *

(٢) اللهزمتان : عظمان ناتئان فى اللحيين تحت الأذنين ، يريد يا رأس النتن وأصله .

(٣) القيل : القول ، أو القول فى الشر . خلا : مضى .

(٤) فى ب ، س « شتمتم » والتصويب عن حـ .

(٥) الغول : الهلكة والداهية .

وهذه الأبيات من شعر العبّاس بنِ مرداس التي ذكرنا أخبارَه بذكرها، وفيه الغناء المنسوب من قصيدة قالها في غَزاةٍ غزاها بني زُبَيْد باليمن .

حربه مع بنى زبيد

قال أبو عمرو وأبو عُبيدة : جمع العباس بنُ مرداس بن أبي عامر — وكان يقال للعبّاس : مقطِّع الأوتاد — جمعا من بني سُلَيم فيه من جميع بطونها، ثم خرج بهم حتى صبّح بني زبيد بتثليثَ من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة، فقتل فيها عددا كثيرا، وغنم حتّى ملأ يديه، فقال في ذلك :

لأسماءَ رسمٌ أصبح اليومَ دارسا * وقفتُ به يوما إلى اللّيل حابسَا

يقول فيهـا :

فدع ذا ولكنْ هل أتاك مَقادنا * لأعدائنا نزجِي الثقالَ الكَوادسا (١)

سموْنا لهم تسعا وعشرين ليلةً * نُجيزُ من الأعراض وَحشا بَسابِسا (٢)

فلم أر مثلَ الحيِّ حيًّا مصبَّحا * ولا مثلَنا يوم التقينا فوارسا

إذا ما شددْنا شَدّةً نصَبوا لنا * صدورَ المذاكي والرماحَ المَداعِسا (٣)

وأحصَنَنا منهمْ فما يبلغوننا * فوارسُ منّا يحبسون المَحابسا

وجُرْدٌ كأنّ الأُسد فوق مُتونها * من القوم مرءوسا كَميّا ورائسا

وكنتُ أمامَ القوم أوّلَ ضاربٍ * وطاعنتُ إذ كان الطِّعان مُخالسا (٤)

(١) كدست الدواب : أسرعت وركب بعضها بعضا في سيرها .

(٢) الأعراض : قرى بين الحجاز واليمن . والبسابس : جمع بسبس كجعفر، وهو القفر الخالي .

(٣) المذاكي : الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان . والمداعس : جمع مدعس كمنبر وهو من الرماح الغليظ الشديد الذي لا ينثني ، ودعسه بالرمح : طعنه .

(٤) تخالس القرنان : رام كل واحد منهما اختلاس الآخر . وفي جـ «مجالسا» وفي ا «تخالسا» .

ولومات منهم من جرحنا لأصبحت * ضباعٌ بأكناف الأراك عرائسا

فأجابه عمرو بن معد يكرب عن هذه القصيدة بقصيدة أوّلها :

لمن طللٌ بالخَيْف أصبح دارسا (١) * تبدّل آراما وعينا كوانسا

71/13

وهى طويلة ، لم يكن فى ذكرها مع أخبار العباس فائدة ، وإنما ذكرت هذه الأبيات من قصيدة العباس لأن الغناء المذكور فى أولها .

شعره فى جلاء بنى النضير وجواب خوّات له

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال : حدّثنا الزّبير بن بكّار قال : حدّثنا أبو غَزِيّة عن فُليح بن سليمان قال : قال العبّاس يذكر جَلاء بنى النَّضير ويبكيهم بقوله :

لو أنّ قَطِينَ الدّار لم يتحمّلوا (٢) * وجدت خلال الدار مَلْهى ومَلْعبا

فإنّك عَمْرى هل رأيتَ ظعائنا * سَلَكْن على رُكن الشطاة فَتيأَبا (٣)

[عليهنّ عِينٌ من ظِباء تَبالةٍ * أوانس يُصبين الحليمَ المجرّبا] (٤)

إذا جاء باغى الخير قلن بشاشةً * له بوجوهٍ كالدنانير : مَرحبا

[وأهلًا فلا ممنوع خيرٍ طلبتَه * ولا أنت تَخشَى عندنا أن تؤنّبا] (٤)

فلا تحسبنّى كنتُ مولى ابن مِشْكَمٍ * سلامٍ ولا مولى حُيَىّ بن أخطبا (٥)

فقال خوّات بن جُبير يجيب العبّاس :

أتبكى على قتلى يهودَ وقد تَرى * من الشَّجْو لو تَبكى أحقّ وأقربا

---

(١) آرام : جمع رئم ، وهو الظبى الخالص البياض . والعين : بقر الوحش . وكنس الظبى كضرب : دخل فى كناسه ، وهو ما يستره من الشجر .   (٢) القطين : أهل الدار . تحملوا : ارتحلوا .

(٣) فى الأصول « السطاة فأثأبا » وهو تحريف . والتصويب عن معجم ما استعجم ج ٣ : ص ٧٩٨ ، والشطاة بفتح أوله : موضع قبل خيبر ، ورد ذكره فى أشعار المغازى . وميئب : من خيبر هو موضع صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) سقط هذا البيت من ب ، س ، جـ وقد أثبتناه عن ها .   (٥) فى ب ، س ، جـ « سلم » وهو تحريف . والمولى : الحليف والصاحب . وحيىّ بن أخطب : سيد بنى النضير .

فهـلّا على قتـلى ببطنِ أُوارةٍ * بكيتَ وما تبكى من الشجو مغضبا

إذا السِّلم دارت فى الصديق رددتَها * وفى الدِّين صَدّادا وفى الحرب ثعلبا (١)

وإنك لما أن كلفت بمِدحـةٍ * لِمن كان مَيْنا مدحُـه وتكذُّبا (٢)

وجئتَ بأمرٍ كنت أهـلًا لمثـله * ولم تُلفِ فيهم قائلا لكَ مرحبا

فهـلّا إلى قوم ملوكٍ مـدحتَهم * بَنَوا من ذُرا المجـد المقدَّم مَنصِبا

إلى معشرٍ سادوا الملوكَ وكُرِّموا * ولَم يُلفَ فيهم طالبُ الحق مُجدِبا (٣)

أولئـك أَولَى من يهـودَ بمِدحةٍ * تراهمْ وفيهـم عزّةُ المجـد تُرْتَبـا (٤)

فقال عبّاس بنُ مرداس يجيبه :

هجـوتَ صريحَ الكاهنَين وفيكمُ * لهم نِعَم كانت من الدهر تُرْتَبـا (٥)

أولئك أحرى إن بكيتَ عليهمُ * وقومُك لو أدَّوا من الحقّ موجَبا

من الشكرِ إنّ الشكر خيرٌ مَغَبّةٍ * وأوفَقُ فِعـلا للّذى كان أصوبا (٦)

فصرتَ كمن أمسى يقطِّع رأسَـه * ليبلغَ عزّا كان فيـه مركَّبا

فَبَـكِّ بنى هارونَ واذكر فَعـالَهمْ * وقتلهمُ للجـوع إذ كُنْتَ مُسغبا (٧)

---

(١) فى ب، س، جـ « مداحا » والتصويب عن السيرة لابن هشام .

(٢) فى جـ « منا » .

(٣) فى ب، س، جـ « مجدبا » وهو تصحيف .

(٤) فى ها «أحرى» . والترتب (بضم التاء الأولى وضم الثانية وفتحها) : الشىء المقيم الثابت . وفى الأصول « وفيهم طابع اللؤم » . والتصويب عن السيرة النبوية .

(٥) الصريح : الخالص النسب . والكاهنان : يطلقان على قريظة والنضير .

(٦) فى ب ، س، جـ « من السكران السكر » وهو تصحيف .

(٧) أسغب : دخل فى المجاعة فهو مسغب ، كما يقال : أقحط : دخل فى القحط .

قال الزبير : فحدّثنى محمد بن الحسن عن مُحْرِز بن جعفر قال : التقى عبّاس بنُ مرداس وخوّات بنُ جبير يوما عند عمرَ بن الخطّاب رضى الله عنه ، فقال خوّات : ياعباس أأنت الذى رثيتَ اليهود ، وقد كان منهم فى عداوة رسـول الله صلى الله عليه وسلم ما كان ! فقـال عباس : إنهم كانوا أخلّائى فى الجاهلية ، وكانوا أقواما أنزل بهم فيكرموننى ، ومثلى يشكر ما صُنِـع إليه من الجميل ، وكان بينهما قول حتى تجاذبا ، فقال له خوّات : أما والله لئن استقبلت غَرْبَ[1] شـبابى ، وشَبَا أنيابى ، وخَشِن جوابى ، لتكرهنّ عتابى . فقال عبّاس : والله يا خوّات ، لئن استقبلت عَنِّى وفَنِّى[2] وذكاءَ سِنِّى ، لتَفِرّنّ منّى ، إيّاى تتوعد ياخوّات ، ياعانِىَ[3] السوآت ! والله لقد استقبلك اللؤمُ فَرَدَعك[4] ، واستدْبَرك فكسَعك[5] ، وعَلاك فوَضَعك ، فما أنت بمهجوم[6] عليك من ناحيـة إلّا عن فضل لؤم ، إيّاى ـــ ثكِلتْك أمُّك ـــ تروم ؟ وعلىّ تقوم ؟ والله ما نُصِبتْ سُوقُك ، ولأظهرنّ عليك بعدُ[7] ، فقال عمر لهما : إما أن تسكتا و إما أن أوجعكما ضربا ، فصمَتا وكَفّا ، أخبرنى بذلك على بن نصر قال : حدّثنى الحسن بن محمد بن جرير ، وحدّثنى الحرمى بن أبى العلاء ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن الحسن عن أبيه مثل ذلك . وللعباس مع خوّات مناقضات أُخَرُ فى هذا المعنى ، كرهتُ الإطالةَ بذكرها .

رثاء أخوه بشعر

قال أبو عبيدة : وكان العباس وسراقة وحَزن وعمـرو بنو مِرْداس كلّهم من الخنساء بنت عمرو بن الشريد ، وكلّهم كان شاعرا ، وعبّاس أشعرهم ، وأشهرهم وأفرسهم وأسودهم ، ومات فى الإسلام ، فقال أخوه سراقة يرثيه :

---

(١) الغرب : الحدّة . والشبا جمع شباة ، وهى حد كل شىء . (٢) العنّ : الاعتراض . والفنّ : الأمر العجب ، رجل معنّ مفنّ (كفص) . معنّ : أى يعتن و يعترض فى كل شىء ، مفن : يأتى بالعجائب ، ومفن أيضا ذوفنون من الكلام . والذكاء : شدّة وهج النار . (٣) أى يا أسير السوآت م .
(٤) ردعه بالشىء كفتح : لطخه به . (٥) كسعه بالسيف كمنع ، ضرب دبره به .
(٦) فى ب ، من «بجهوم» وهو تحريف والتصويب عن «ها» . (٧) فى جـ ، ها «عنك» .

أعينِ ألا آبكى أبا الهيثم * وأذرى الدموعَ ولا تسأمِى

وأثنى عليـــه بآلائـــه * بقول آمرئ موجَع مؤلِم

[فمـا كنتُ بائعه بآمرئ * أراهُ بيَـدْوٍ ولا مَوْسِـمِ][1]

أشـــدّ على رجل ظـالم * وأدهَى لداهيــة مِيـثَمِ[2]

٥ وقالت أخته عَمرةُ ترثيه :

لِتَبكِ آبنَ مرداسٍ على ما عَرَاهُمُ * عشـيرتُه إذ حُـمَّ أمسِ زَوالُهـا

لدى الخصم إذ عند الأمير كفَاهمُ * فكان إليه فصلُها وجِدالُهـا[3]

ومُعضِـلة للحاملين كـفيتها * إذا أنهلت هُوج الرياح طِلالُهـا[4]

وقد روى العباسُ بنُ مرداس عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ونقل عنه الحديث .

دعاء النبي عليه السلام لأمته

١٠ حدّثنا الحسين بن الطيّب الشجاعيّ البَلْخي بالكوفة قال : حدّثنـا أيوب ابن محمد الطّلحي[5] قال : حدّثنا عبد القاهر بن السريّ السُّلَمى قال : حدّثنا عبد الله ابن كِنانة بن عبـاس بن مرداس السـلمى أن أباه حدّثه عن جـدّه عبـاس بن مرداس أن النبي صلى الله عليـه وسلم دعا لأمّتـه عشيّةَ عَرَفة قال : فأجيبَ لهم بالمغفـرة إلّا ما كان من مظالم العباد بعضهم لبعض ، قال : فإنى آخذ للظلوم

١٥ من الظالم، قال : أىْ ربِّ إن شئت أعطيتَ للظلوم من الجنـة، وغفرتَ للظالم، فلم يجب فى حينه ، فلمـا أصبح فى المزدلِفة أعاد الدعاء ، فأجيب لهم بمـا سأل ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم أو تبسّم ، فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : بأبى

(١) هذا البيت ساقط من ب، س، جـ وقد أثبتناه عن «ها» . (٢) ميثم : شديد الوطء .
(٣) فصلّها أى فى الخصومات والمشاكل . (٤) النهل (كسبب) : أوّل الشرب . هوج
٢٠ الرياح : الشديدة الهبوب . طلال : جمع طل وهو أخف المطر وأضعفه . يقول، إنه غياث لقومه وقت الجدب حين تهب الرياح الهوجاء حاملة طلالا لا تغنى ولا تسد حاجة . (٥) الذى فى جـ، «ها» «الصالحى» .

أنت وأمّى ! إن هــذه لساعة ما كنتَ تَضحك فيهــا أو تَبسَّم ، فقال : إنّ إبليس لمـّا علم أن الله غفر لأمّتي جعل يَحثُو الترابَ على رأسه ، و يدعو بالوَيْل والثُّبور ، فضحكتُ من جَزَعه . تمّت أخبارُ العبّاس .

صـــــوت

أرجوكَ بعــد أبى العبّاس إذ بأنا * يا أ كرمَ النــاسِ أعراقا وعِيدانا

أرجوك من بعده إذ بان سـيِّدنا * عنّــا ولولاك لاستسلمت إذ بانا ٥

فأنت أكرمُ من يَمشى على قدم * وأنضرُ الناس عند المَحْل أغصانا

لو مُجَّ عُــودٌ على قومٍ عُصَــارتَه (١) * لمجّ عودُك فينــا المِســكَ والبانا

الشعر لحمّاد عَجْرد ، والغناء لحَكَم الوادىّ ، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر فى مجراها . ١٠

(١) فى ب ، س ، جـ « غضارته » والتصويبَ عن ط ، مط ، ها .

٧٣
――
١٣

أخبار حمّاد عَجْرد ونسبه

نسبه

هو حمّاد بنُ يحيى بن عمر بن كُلَيب[1]، ويُكنَى أبا عُمَر[2]، مولى [بني][3] عامر بن صعصعة، وذكر ابن النّطّاح أنه مولَى بني سَراة، وذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح ابن سليمان أنه مولى بني عُقيل، وأصلُه ومنشؤه بالكوفة، وكان يَبرِي النَّبل، وقيل: بل أبوه كان نَبّالا، ولم يتكسب هو بصناعة غير الشعر.

وقال صالح بنُ سليمان: كان عمٌّ لحمّاد عجرد يقال له مؤنس[4] بن كليب، وكانت له هيئة[5] — وابن عمه عُمارة بن حمزة بن كليب — انتقلوا عن الكوفة ونزلوا واسطا، فكانوا بها، وحمّاد من مخضرمى الدولتين الأمويّة والعباسيّة، إلا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرتَه في أيام بني العبّاس، وكان خليعا ماجنًا، متّهما في دينه، مرميًّا بالزندقة.

كان أبوه مولى لبني هند، وهجاء بشار له

أخبرني عمّي قال: حدّثنا أحمد بن أبي طاهر قال: قال أبو دعامة: حدّثني عاصمُ بن أفلحَ بن مالك بن أسماء قال: كان يحيى أبو حمّاد عجرد مولًى لبني هند بنت أسماءَ بن خارجة، وكان وكيلا لها في ضَيْعتها بالسَّواد[6]، فولدتْ هندٌ من بِشرِبنِ مروان عبدَ الملك بن بِشر، ففخر عبد الملك ولاء مَوالى أمّه فصاروا مَواليَه.

قال: ولما كان والدُ حمّاد عَجْرد بالسواد في ضَيْعتها نَبَّطه[7] بشّارٌ لمّا هجاه بقوله:

وٱشدُدْ يديك بحمّاد أبي عُمرٍ * فإنّه نَبَطيٌّ من زَنابِير[8]

(١) كذا في ها، ومعجم الأدباء ج ١٠ : ٢٤٩ وفي باقي الأصول «عمرو».
(٢) كذا في ب، س وهو الصواب؛ وفي باقي الأصول «أبا عمرو». (٣) عن ط، مط.
(٤) كذا في ط، مط. والذي في ب، س، جـ «مولى». وفي ها: يونس.
(٥) في ب، س، جـ «بقية» وما أثبتناه عن ط، مط، ها.
(٦) أي سواد العراق. (٧) نبطه: نسبه إلى النبط.
(٨) كذا في ط، مط. والذي في باقي الأصول: «دنانير»؛ وهو تصحيف. وزنابير: أرض باليمن.

قال: وإنما لقبه [(١)] بعجرد عمرو بن سِنْدِىّ مولى ثقيف لقوله فيه :

سَبَحَتْ [(٢)] بغلةٌ ركبتَ عليها * عجبًا منك خَيبةً للمَسير

زعمتْ أنها تَراه كبيرا * حَملها [(٣)] عَجْرد الزِّنا والفُجور

إن دهرًا ركبتَ فيه على بَغْـ * ـلٍ وأوقفتَه بباب الأمير

لَجديرٌ ألّا تَرى فيه خيرا * لصغير منّا ولا لكبير

ماأمرؤٌ يتّقيك ياعُقْدةَالكَلْـ [(٤)] * ـب لأسراره بجِدٍّ بصير

لا ولا مجالسٌ أَجَنَّـك [(٥)] للذّ * ات يا عَجْرَدَ الخنا بستير

يعنى بهذا القول محمد بنَ أبى العبّاس السفّاح، وكان عَجْرد فى نُدَمائه، فبلغ هذا الشعرُ أبا جعفر، فقال لمحمد: مالى ولعجرد يَدخُل عليك؟ لا يَبلغُنى أنك أذنتَ له،

قال: وعَجْرد مأخوذٌ من المعجرِد، وهو العُريان فى اللّغة، يقال: تعجرد الرجلُ إذا تَعرَّى فهو يتعجرد تعجردا: وعجردتُ الرجلَ أُعجرِدُه عَجردةً إذا عرّيته .

الحمادون الثلاثة

أخبرنى إسماعيل بنُ يونس قال: حدّثنا عمرُ بنُ شبّة، وأخبرنى إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة، ونسختُ من كتاب عبد الله بن المعتز، حدّثنى الثقفىُّ عن إبراهيم ابن عمر العامرىّ قال: كان بالكوفة ثلاثة نَفَر يقال لهم الحمّادون: حمّاد عَجْرد وحمّاد الراوية، وحمّاد [بن] [(٦)] الزِّبرِقان، يتنادمون على الشراب، ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرةً جميلة، وكانوا كأنهم نفس واحدة، يُرمون بالزندقة جميعا وأشهرهم بها حمّادُ عَجْرد .

(١) كذا فى ط، مط، ها. والذى فى ب، س «سماه». وقد سقطت هذه الكلمة من جـ .
(٢) سبح الفرس: مدّ يديه فى العدو، شبهه بالسابح فى الماء. وفى ب، س «سحبت».
(٣) حملها: بدل من الهاء فى تراه . (٤) عقدة الكلب: قضيبه .
(٥) أجنك: سترك - الخنا: الفحش - ستير: مستور .
(٦) كذا فى ط، مط، ها، مب. وقد سقطت هذه الكلمة من ب، س، جـ .

أخبرنا الفضل بن الحُباب الجُمَحىّ أبو خليفة إجازةً عن التوّزىّ[1] : أن حمادا لقِّب بعجرد لأن أعرابيا مرّ به فى يوم شديدِ البَرْد وهو عُريانٌ يلعب مع الصِّبيان فقال له : تعجردتَ يا غلام؛ فسمِّىَ عجردا .

٧٤ / ١٣

قال أبو خليفة : المتعجرِد : المتعرِّى؛ والعَجْرد أيضا : الذهب .

سبب مهاجاة بشار

٥ أخبرنى أحمد بنُ يحيى بن على بن يحيى، عن على بن مهدى، عن عبد الله ابن عطية ، عن عبّاد بن الممزّق، وأخبرنى أحمد بنُ عبد العزيز الجوهرىّ، قال : حدّثنا عمرُ بنُ شبة قال : كان السبب فى مهاجاة حمّاد عجردٍ بشّارا أنّ حمّادا كان نديما لنافع بن عُقبة ، فسأله بشّار تنجُّز حاجة له مِن نافع ، فأبطأ عنها ، فقال بشارٌ فيه :

١٠ مواعيدُ حمّاد سماءٌ مُخيلةٌ[2] * تَكشَّفُ عن رعد ولكن ستَبرُقُ

إذا جئتَه يوما أحالَ على غدٍ * كما وعد الكَمُّون ما ليس يَصدُق[3]

وفى نافع عنّى جَفاءٌ ، وإنّنى * لَأَطرق أحيانا، وذو اللُّبّ يُطرِق

وللنَّقَرَى قومٌ فلو كنتُ منهمُ * دُعيتُ ولكن دونىَ البابُ مغلق[4]

(١) كذا فى ط ، مط ، ها . وهو الصواب . والذى فى ب ، س ، جـ : الثورى؛ وهو تصحيف .

١٥ (٢) السحابة المخيلة : التى تحسبها ماطرة .

(٣) يعنى أنه كلما تطالب السعى تمهل وسوّف وقال : غدا غدا، وهذا المعنى وارد فى كلامهم ، من ذلك قول القائل :

لا تجعلنّا ككمّون بمزرعة * إن فاته الماء أروته المواعيد

المحاسن والأضداد ص ٧٠

٢٠ (٤) فى ب، س « وللنقدى » وهو تحريف . يقال : دعاهم النقرى، أى دعوة خاصة ، وهو أن يدعو بعضا دون بعض ينقر باسم الواحد بعد الواحد .

أبا عُمَرٍ خَلّفتُ خلفك حاجتى * وحاجةُ غيرى بين عينيك تَبرُقُ
وما زلتُ أستأنيك حتى حسرتَنى * بوعدٍ كجارى الآلِ يَخفَى ويَخفق (١)

قال : فغضب حمّاد وأنشد نافعا الشعر، فمنعه من «صلة» (٢) بشار، فقال بشّار :

أبا عُمَرٍ ما فى طِلابِيكَ حاجةٌ * ولا فى الّذى منّيتنا ثمّ أصحرا
وَعدتَ فلم تَصدُق وقلتَ غدًا غدًا * كما وُعِدَ الكمّون شِربا مؤخّرا

قال : فكان ذلك السببَ فى التّهاجى بين بشّار وحمّاد .

كان من كبار الزنادقة

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال : حدّثنى أبو إسحاق الطّلحىّ قال : حدّثنى أبو سُهيل قال : حدّثنى أبو نواس قال : كنت أتوهّم أن حمّاد عجرد إنما رُمىَ بالزندقة لمجونه فى شعره ، حتى حُبِستُ فى حبس الزّنادقة ، فإذا حمّاد عجرد إمامٌ من أئمّتهم ، و إذا له شعر مزاوج بيتين بيتين يقرءون به فى صلاتهم ، قال : وكان له صاحب يقال له حريث (٣) على مذهبه ، وله يقول بشّارٌ حين مات حمّادُ عجردٍ على سبيل التعزيَة له :

بَكَى حُريثٌ فوقّره بتعزيةٍ * مات آبن نِهيَا وقد كانا شريكَيْنِ
تَفاوَضا (٤) حين شابا فى نسائهما * وحلّلا كلّ شىء بين رِجلَين

---

(١) استأنى به : انتظر به ولم يعجله . حسره : كشفه . الآل : السراب، وقيل : الآل هو الذى يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض ، وأما السراب فهو الذى يكون نصف النهار لاطئا بالأرض كأنه ماء جار .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصول، وهى مثبتة فى مختار الأغانى ص ٤١٥

(٣) فى ب ، س ، جـ « حريب » وهو تصحيف ؛ والتصويب عن ط ، مط ، مب ، ها . وأراد هاهنا : حريث بن أبى الصلت الحنفى كما سيأتى بعد .

(٤) التفاوض والمفاوضة : الاشتراك فى كل شىء .

أمسى حُرَيْثٌ بمـا سَدَّى له غيرًا (١) * كراكبٍ اثنين يرجو قوّة اثنـين

حتى إذا أخذا فى غير وجهِهما * تفـرّقا وهـوى بين الطريقين

يعني أنه كان يقول بقول الثَّنَوِيَّة (٢) فى عبادة اثنين، فتفرقا وبقىَ بينهما حائرا، قال :

وفى حمّاد يقول بشّار أيضا وينسُبه إلى أنه ابن نِهْيا (٣) :

٥ يابن نِهْيـا رأسٌ علىّ ثقيـلُ * واحتمالُ الرءوس خَطْبٌ جليلُ

أُدْعُ غيرى إلى عبـادة الاثنيْـ * ـنِ فإنّى بواحـد مشـغولُ

يابن نِهْيا برئتُ منـك إلى اللّـ * ـه جهارا، وذاك منّى قليل

قال : فأشاع حمّاد هذه الأبيات لبشّار فى الناس، وجعل فيها مكان « فإنّى بواحد مشغول » : « فإنّى عن واحد مشغول » ليصحّح عليه الزندقة والكفرَ بالله تعالى،

١٠ فما زالت الأبيات تدور فى أيدى الناس حتى انتهت إلى بشّار، فاضطرب منها وتغيّر وجزِع وقال : أَشاطَ ابنُ الزانية بِدَمِى (٤)، والله ما قلت إلّا «فإنّى بواحد مشغولُ» فغيّرها حتى شَهَرنى فى الناس [بمـا يهلكنى] (٥) .

٧٥/١٣

هجاء بشار له

أخبرنى محمـد بنُ العبّاس اليزيدىّ قال : حدّثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدّثنى صالح بنُ سليمانَ الخَثْعَمىّ قال : قيل [لعبد الله بن ياسين] (٦) : إن بشارا المرعَّث (٧)

١٥ (١) كذا فى ط، مط، جـ، مب . والذى فى ب، س « أسدى له عندا » وفى ها « غمرا » .

(٢) الثنوية : فرقة يقولون بإثنينية الإله، أى إله الخير وإله الشر .

(٣) كذا فى ط، مط، مب، ها . وهو يوافق ما ورد فى أمالى المرتضى . والذى فى جـ، ب، س « نهبا » بالباء؛ وهو تصحيف .

(٤) يقال : أشاط دمه وبدمه : أذهبه، أو عمل فى هلاكه، أو عرّضه للقتل .

٢٠ (٥) ما بين القوسين من « ها » .

(٦) فى الأصول « قيل له » وما أثبتناه عن مختار الأغانى ص ٤١٥

(٧) كان بشار بن برد يلقب بالمرعّث، لرعاث كانت له فى صغره فى أذنه؛ ورعاث بالكسر : جمع رعثة بالفتح، وهو ما علق بالأذن من قرط ونحوه . وفى ب، س « المرغث » وهو تصحيف .

هجا حمّادا فنبّطه، فقال عبد الله : [قد][1] رأيتُ جدّ حمّاد، وكان يسمّى كُلَيبا، وكانت صناعتُه صناعة لا يكون فيها نَبطىّ، كان يَبرِى النِّبالَ ويَرِيشُها، وكان يقال له : كُلَيب النّبّال، مولى بنى عامر بن صعصعة .

هجاء بشار له ولصديقه سليم

أخبرنى أحمد بن العبّاس العسكرىّ المؤدِّب، قال : حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزىُّ قال: حدّثنى أحمد بنُ خَلّاد قال : كان بشّارٌ صديقا لسُلَيْم بن سالِم مولَى بنى سعد، وكان المنصورُ أيّامَ آستَتَر بالبَصرة نزل على سلَيم بن سالم، فولّاه أبو جعفر حين أفضى الأمر إليه السُّوسَ وجُنْدَيْسابور، فآنضمّ إليه حمّاد عجرد، فأفسده على بشّار، وكان له صديقا ، فقال بشّار يهجوهما :

أمسَى سُلَيم بأرض السُّوسِ مُرتَفِقًا[2] * فى خَزّها بعدَ غِرْبالٍ وأَمْدادِ
ليس النعيم وإنْ كُنّا نُزَنّ به[3] * إلّا نعيم سُلَيم ثمّ حمّادِ
نيكًا ونَاكًا ولَم يَشعُر بذا أحدٌ * فى غفلةٍ مِن نبىّ الرحمة الهادى

فنَشِب الشرُّ بين حمّاد وبشّار .

دخل بينه وبين بشار رجل بصرى

أخبرنى عمّى قال: حدّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُويَه، عن عمرَ بن شبّة، عن أبى أيّوب الزبالى[4]، قال: كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حمّاد وبشّار على اتفاق منهما ورضًا بأن يَنقُلَ إلى كلّ واحد منهما وعنه الشّعر، فدخل يوما إلى بشّار فقال له : إيهِ يا فلان، ما قال ابن الزانية فىّ ؟ فأنشده :

إنْ تاهَ بشّارٌ عليكمْ فقد * أمكنتُ بشّارا من التِّيهِ

(١) سقطت من ب ، س . وهى عن باقى الأصول .
(٢) فى ب و س « مرتفعا » وهو تحريف ، والصواب ما أثبتنا كما فى جـ ، ط ، مط ، ها . وارتفق : اتكأ على مرفقة : وهى المتكأ والمخدة . يكنى بذلك عن أنه صار منعما مترفا بعد أن كان ممتهنا . أمداد، جمع مدّ بالضم ، وهو مكيال ، ويفهم من هذا أنه كان قبل الولاية كيّالا .
(٣) أزننه بكذا : اتهمته به . (٤) فى ب و س «الذبالى» ؛ والتصويب عن باقى الأصول .

فقال بشّار : بأىّ شىء ويحك ؟ فقال :

وذاك إذ سمّيتُــه باسمــه * ولم يكن حرٌّ يسمّيه

فقال : سَخِنتْ عينه(١)، فبأى شىء كنت أُعرَف ؟ إيه، فقال :

فصــار إنسانا بذكرى له * ما يَبتغى مِن بعد ذِكريه ؟

٥ فقال : ما صنع شيئا ، إيهٍ ويحك ؟ فقال :

لم أهجُ بشّــارا ولكنّنى * هجـوتُ نفسى بهجائيهِ

فقال : على هذا المعنى دارَ، وحولَه حام(٢)، إيهٍ أيضا، وأىّ شىء قال ؟ فأنشده :

أنت ابن برد مِثلُ بُرْ * دٍ فى النّــذالة والرّذالهْ

من كان مثلَ أبيك يا * أعمى أبــوه فــلا أبا لَه

١٠ فقال : جوّدَ ٱبنُ الزانية ، وتمـام الأبيات الأُوَل :

لم آتِ شــيئا قطُّ فيما مضى * ولست فــيما عشتُ آتيــه

أسوأ لى فى الناس أحدوثةً * من خطإٍ أخطأتُه فيــه

فأصــبح اليــوم بِسبِّى له * أعظمَ شأنا من مَواليــه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال : حدثنا عمر بنُ شبّة، عن خلّاد ٧٦/١٣
١٥ الأَرْقَط قال : أنشَدَ بشّارا راويتُه قولَ عجرد فيه :

دُعيتَ إلى بُــرْد وأنت لغــيره * فهبْكَ ٱبن بُردٍ نكتَ أمّك مَنْ بُرْدُ؟

فقال بشار لراويته : هاهنا أحد؟ قال : لا ، فقال: أحسن والله ماشاء ابن الزانية.

---

(١) سخنت عينه : نقيض قرّت ، دعاء عليه .

(٢) فى ب ، س : « وحوله دام » . والتصويب عن باقى الأصول .

أخبرنى أحمد بن العباس العسكرىّ قال : حدّثنا الحسنُ بنُ عُليل العَنَزىّ قال : حدّثنى محمد بنُ يزيدَ المهلّبى قال : حدّثنى محمد بنُ عبد الله بنِ أبى عُيَينة قال : قال حمادُ عجرد لمّا أُنشد قولَ بشّار فيه :

يآبنَ نِهْيَا رأسٌ علىّ ثقيل * واحتمالُ الرأسين أمرٌ جليلُ
فادعُ غيرى إلى عبادة ربّيْـ * ـنِ فإنّى بواحد مشغول

والله ما أبالى بهذا من قوله ، وإنّما يغيظنى منه تجاهلُه بالزندقة ، يوهم الناس أنه يظن أن الزنادقة تعبد رأسا ليظن الجهّال أنّه لا يعرفها ، لأن هذا قولٌ تقوله العامّة لا حقيقة له ، وهو واللهِ أعلمُ بالزَّندقَة من مانى .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز وأحمد بنُ عبيد الله بنِ عمّار وحبيب بن نصر المهلّبى ، قالوا : حدّثنا عمرُ بنُ شبّة ، قال : حدّثنا أبو أيوب الزبالىّ قال : قال بشار لراويةِ حمّادٍ : ما هجانى به اليومَ حمّاد ؟ فأنشَدَه :

ألا مَن مُبلغٌ عنّى الّذ * ى والدُه بُرْدُ

فقال : صدق ابن الفاعلة ، فما يكون ؟ فقال :

إذا ما نُسب الناسُ * فلا قَبْلٌ ولا بَعْدُ

فقال : كذب آبن الفاعلة ، وأين هذه العرصات(١) من عُقَيل ؟ فما يكون ؟ فقال :

وأعمَى قَلْطَبانٌ ما * على قاذِفه حَدُّ

(١) كذا ، وفى ها « العصاب » .

فقال : كذب آبن الفاعلة ، بل عليه ثمانون جَلْدَةً ، هيه ، فقال :

وأعمَى يشبه القِـرْدَ * إذا ما عَمِـيَ القِـرْدُ

فقال : والله ما أخطأ آبن الزانيـة حين شبّهنى بقرد ، حسبُـك حسبُك ، ثم صفّق بيديه ، وقال : ما حيلتى ؟ يرانى فيشبّهُنى ولا أراه فأشبّهه .

٥ وقال : أخبرنى بهذا الخبر هاشم بنُ محمد الخُزاعىّ قال : حدّثنا أبو غسّانَ دَماذ فذَكَر مثلَه ، وقال فيه : لمّـا قال حمّاد عجردٌ فى بشّار :

شـبيهُ الوجـه بالقردِ * إذا ما عَمِىَ القِـردُ

بكى بشّار ، فقال له قائل : أتبكى من هجاء حمّاد ؟ فقال : والله ما أبكى من هجائه ولكن أبكى لأنّه يرانى ولا أراه ، فيصفُنى ولا أصفُه ، قال : وتمامُ هذه الأبيات :

١٠ ولو ينْكَهُ فى صَـلْدٍ * صَفاً لانصدع الصَّلْدُ

دنىٌّ لم يَرُح يـوما * إلى مجـدٍ ولم يَغْـدُ

ولم يحضرْ مع الحُضّا * رِ فى خيرٍ ولَم يَبْـدُ

ولَم يُخْـشَ له ذمٌّ * ولم يُرجَ له حَمْـدُ

جَرَى بالنَّحْسِ مذكان[1] * ولَم يجـرِ لـه سعدُ

١٥ هو الكلب إذا ما ما[2] * تَ لم يوجَد له فقـدُ

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمـرُ بنُ شبّة قال : حدّثنى خلّاد الأَرْقَط قال : أشاعَ بشّار فى الناس أن حمّاد عجردٍ كان يُنشِـد شعرا ورجُلٌ بإزائه يقرأ القرآن وقـد اجتمع الناس عليـه ، فقال حماد : عَلامَ آجتمعوا ؟ فوالله لمـا أقولُ أحسنُ ممّـا يقول .

٢٠ قال : وكان بشّار يقول : لمّـا سمعت هذا من حمّاد مَقَتُّه عليه .

(١) فى ب ، س « مذكاة » وهو تحريف .

(٢) فى جـ : « إذا مات كم » .

هجاء بشار له

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال : أخبرنى أبو إسحاق الطّلْحى قال : حدّثنى أبو سُهيل عبدُ الله بن ياسين أن بشّارا قال فى حمّاد عجرد وسهيل بن سالم، وكان سهيلٌ من أشراف أهل البصرة، وكان من عمّال المنصور، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب، وكان حمّادٌ وسهيلٌ نديمَين :

ليس النعيمُ وإن كنّا نُزَنّ به * إلّا نعيم سُهَيْلٍ ثمّ حمّادِ

نَاكَا ونِيكَا إلى أن لاح شَيْبُهما * فى غفلةٍ عن نبىّ الرحمة الهادى

فَهْدَيْن طورًا وفَهّادين آونةً * ما كان قبلهما فَهْدٌ بفَهّاد (١)

سبحانك اللهُ لو شئتَ امتَسَخْتَهُما * قِردَين فاعتلجَا فى بيت قرّاد (٢)

قال : يعنى بقوله * ما كان قبلهما فهدٌ بفهّاد * أى لم يكن الفَهد فَهّادا، كما تقول : لم يكن زيد بظريف، ولم يكن زيدٌ ظريفا، قال ابن ياسين : وفيه يقول بشار أيضا :

مالُمتُ حمّادا على فِسقِه * يلومه الجاهل والمائقُ (٣)

وماهمَا من أيْره واسته؟ * ملّكه إيّاهما الخالقُ

ما بات إلّا فوقه فاسقٌ * ينيكُهُ أو تحتَه فاسق

هجاؤه لبشار

أخبرنى أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار قال : أنشدنى ابنُ أبى سعد لحمّاد عجرد فى بشّار — قال وهو من أغلظ ماهجاه به عليه — :

نهارُه أخبثُ من ليله * ويومُه أخبثُ من أمسه

وليس بالمُقلِع عن غيّه * حتى يُوارَى فى ثرَى رَمْسه (٤)

---

(١) الفهّاد : صاحب الفهود الذى يعلّمها الصيد . (٢) اعتلجا : تصارعا وتقاتلا .
(٣) المائق : الأحمق . (٤) الرمس : القبر .

قال : وكان أغلظَ على بشّار من ذلك كله وأوجعَه له قولُه فيه :

لو طُلِيتْ جلدتُه عنبرًا * لأفسدتْ جلدتُه العنبَرا

أو طُليتْ مِسكًا ذكيًا إذًا * تحوّلَ المسكُ عليـه خَرَا

قال ابن أبى سعد : وقـد بالغ بشارٌ فى هجاءِ حمّاد ، ولكن حكمَ الناسُ عليـه لحمّاد بهذه الأبيـات .

اتصاله بالربيع

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنى عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدّثنى أحمد بن إسحاق قال : حدّثنى عثمان بن سُـفيانَ العطّار قال : اتصل حمـاد عجرد بالربيع (١) يؤدِّب ولدَه ، فكتب إليه بشارٌ رقعةً ، فأُوصلَتْ إلى الربيع ، فطرده لمّـا قرأها ، وفيها مكتوب :

يا أبا الفضـل لاتَنَـمْ * وقـعَ الذئبُ فى الغـنَمْ

إنّ حمّـادَ عَجْـردٍ * إنْ رأى غفلةً هَجَـمْ

بـين فَخْـذَيه حَـرْبةٌ * فى غِلافٍ من الأدَمْ (٢)

إنْ خلا البيتُ سـاعةً * مَجْمَـجَ المـيمَ بالقَـلَمْ

فلمّا قرأها الربيع قال : صيّرنى حمّاد دريئَةَ الشعراء ، أَخرِجوا عنّى حمادا ، فأُخرج .

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى إجازة ، عن على بن مهدى ، عن عبد الله بن عطية ، عن عبّاد بن الممزّق أن حمّاد عجردٍ كان يؤدّب ولدَ العبّاس بن محمد الهاشمى ، فكتب إليه بشّارٌ بهـذه الأبيات المذكورة ، فقال العبـاس : مالى ولبشّار ؟ أَخرِجوا عنّى حمّادا ، فأُخرج .

(١) هو الربيع بن يونس وزير المنصور ، وتوفى سنة ١٧٠ هـ .

(٢) الأدم : الجـلد .

هجاؤه لبشار

أخبرنى يحيى بن على قال : حدّثنى محمد بنُ القاسم قال : حدّثنى عبد الله ابن طاهر بن أبى أحمد الزُّبَيْرىّ قال : لمـا أخرج العباس بن محمد حمّادا عن خدمته، وآنقطع عنه ما كان يصل إليه منه، أوجعه ذلك، فقال يهجو بشّارا :

لقد صار بشّار بصيرا بدُبْره * وناظِـرُه بين الأنام ضَرِيرُ
له مُقلةٌ عمياءُ وآستٌ بصيرةٌ * إلى الأيرِ من تحت الثياب تشير
على وُدّه أن الحمـير تَنِيكُه * وأنّ جميعَ العـالَمين حَميرُ

قال أبو الفرج الأَصبَهانىّ : وقد فعل مِثلَ هذا بعينه حمّاد عجرد بقُطْرُب[(١)] .

شعره فى قطرب

أخبرنى عمّى عن عبد الله بن المعتزّ قال : حدّثنى أبو حفص الأعمى المؤدِّب، عن الزُّبالىّ قال : اتُّخذ قطرب النحوىُّ مؤدِّبا لبعض ولد المهدىّ، وكان حماد عجرد يطمع فى أن يُجعَل هو مؤدِّبه، فلم يتمّ له ذلك، لتهتّكه وشهرته فى الناس بمـا قاله فيه بشّار، فلمـا تمكن قطرب فى موضعه صار حمـاد عجرد كالمُلقَى على الرَّضَف[(٢)] ، فجعل يقوم و يقعد بقطرب فى الناس، ثم أخذ رقعةً فكتب فيها :

قل للإمام جزاكَ الله صـالحةً * لا تجمع الدهر بين السَّخْل[(٣)] والذيب
السَّخلُ غِرٌّ وَهمُّ[(٤)] الذئبِ فُرصَتُه * والذئب يَعلَمَ مافى السَّخْل من طِيب

فلمّا قرأ هذين البيتين قال : انظُروا لا يكون هذا المؤدِّب لُوطياً ، ثم قال : انفُوهُ عن الدار، فأُخرِج عنها، وجىء بمؤدِّب غيره، ووُكِّل به تسعون خادما يتناوبون، يحفظون الصبىّ، فخرج قطرب هاربا ممـا شهر به إلى عيسى بن إدريسَ العِجْلى ابن أبى دُلَف فأقام معه بالكَرَج إلى أن مات .

---

(١) هو أبو على محمد بن المستنير البصرى النحوى ، أخذ عن سيبويه، ولقبه سيبويه بقطرب ، لأنه كان يخرج فيراه بالأسحار على بابه فيقول له : ما أنت إلا قطرب ليل ؛ والقطرب : ذكر الغيلان أو الذئب الأمعط أو صغار الجن أو الخفيف أو طائر أو دابة صغيرة لا تستريح من الحركة وتوفى سنة ٢٠٦ هـ .

(٢) فى ج ، ط ، مط ، مب ، « الرصد » . والرضف : الحجارة المحماة بالشمس أو النار .

(٣) السخل والسخال : جمع سخلة : وهو ولد الشاة عند ولادته ذكرا أو أنثى .

(٤) فى ب ، س « وهم الناس » .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا أحمد بن الحارث، عن المدائنىّ قال : لمّا قال حمّاد عجرد فى بشّار :

ويا أقبحَ من قِردٍ * إذا ما عَمِىَ القِردُ

قال بشّار : لا إله إلّا الله ، قد والله كنت أخاف أن يأتىَ به ، والله لقد وقع لى هذا البيت منذ أكثر من عشرين سنة ، فما نطقتُ به خوفا من أن يُسمَع فأُهجَى به ، حتى وقع عليه النَّبَطىُّ ابنُ الزانية .

كان أبو حنيفة صديقا له

قال أبو الفرج : نسخت من كتاب عبد الله بن المعتزّ، حدّثنى العِجْلىّ قال : حدّثنى أبو دُهْمان قال : كان أبو حنيفة الفقيه صديقا لحمّاد عجرد ، فنَسَكَ أبو حنيفة وطلبَ الفقه ، فَبَلَغ فيه ما بلغ[1] ، ورفَضَ حمّادا وبسَطَ لسانَه فيه ، فجعل حمّاد يلاطفه حتى يكفّ عن ذِكره ، وأبو حنيفة يذكره ، فكتب إليه حمّادٌ بهذه الأبيات :

إن كان نسكُكَ لا يتـ * ـمّ بغير شَتمى وانتقاصى

أو لم تكن إلّا بـه * ترجو النجاة من القصاص

فاْقعد وقم بى كيف شئـ[2] * ـتَ مع الأدانى والأقاصى

فلطالما زكّيْتَنى * وأنا المقيم على المعاصى

أيّامَ تأخذها وتُعـ * ـطِى فى أباريقِ الرَّصاص

قال : فأمسك أبو حنيفة رحمه الله بعد ذلك عن ذكره خوفا من لسانه .

كان يحيى بن زياد صديقا له

وقد أخبرنى بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن النّضر بن حديد قال : كان حمّاد عجرد صديقا ليحيى بن زياد، [وكانا يتنادمان ويجتمعان على ما يَجتمع عليه مِثلُهما، ثم إن يحيى بن زياد][3] أظهر تورُّعا

(١) ساقطة من ب ، س . (٢) فى « ها » « حيث » .

(٣) تكملة عن ط ، مط ، ها ، مب . وسقطت من ب ، س ، جـ .

وقراءةً ونزوعا عمّا كان عليه ، وهجرَ حمّادا وأشباهَه ، فكان إذا ذُكر عنده ثَلَبه وذكر تهتّكه ومُجونَه ، فبلغ ذلك حمّادا ، فكتب إليه :

هل تذكرنْ دَلَجى إليـ * ـكَ على المضمَّرة القِلاص (١)
أيّامَ تعطيـنى وتـأ * خُذُ من أباريقِ الرَّصاص (٢)
إن كان نَسكُكَ لا يتـ * ـمّ بغير شَتْمى وٱنتقاصى
أو كنتَ لستَ بغير ذا * كَ تنالُ منزلةَ الخَلاص
فعليك فٱشتمْ آمِنا * كلَّ الأمان من القِصاص
وٱقعد وقمْ بى ما بدا * لك فى الأدانى والأقاصى
فلَطالما زكّيتَنى * وأنا المقيمُ على المعاصى
أيّام أنتَ إذا ذُكِرْ * تُ مناضِلٌ عنى مُناصِى (٣)
وأنا وأنت على ارتكا * بِ الموبِقات من الحِراص
وبِنا مواطنُ مابِنا * فى البرِّ آهلةُ العِراص (٤)

فاتّصل هذا الشعر بيحيى بن زياد ، فنَسب حمّادا إلى الزندقة ورماه بالخروج عن الإسلام ، فقال حمّاد فيه :

لا مؤمنٌ يُعرَف إيمانُه * وليس يَحيَى بالفتى الكافرِ
منافقٌ ظاهرُه ناسكٌ * يُخالِف الباطن للظاهرِ

(١) الدلج : السير من أوّل الليل . وفى ط ، مط «المضبّرة» . والمضبّرة : المكتنزة اللحم . والقلوص من الإبل : الشابة أو الباقية على السير ، والجمع قلائص وقلص ، وجمع الجمع قلاص .
(٢) كذا فى جميع الأصول . والذى فى مب « فآخذ » .
(٣) ناصاه مناصاة : جاذبه فأخذ كل واحد منهما بناصية صاحبه .
(٤) العراص : جمع عرصة وهى البقعة الواسعة بين الدار التى ليس فيها بناء .

شعره لصديق انقطع عن مجلسه

أخبرنى محمّد بن خلف وكيع قال : حدّثنا ابن أبى سعد، عن النضر بن عمرو قال : كان لحمّادِ عجردٍ إخوانٌ ينادمونه ، فانقطع عنه الشراب ، فقطعوه ، فقال لبعضهم :

لستَ بغضبانٍ ولكنّنى * أعرف ما شأنك يا صاحِ

أأن فَقَدْتُ الرّاحَ[1] جانبتَنى * ما كان حبُّك على الراحِ

قد كنتَ من قبلُ وأنتَ الذى * يعنيكَ إمسائى وإصباحى

وما أَرَى فعلَك إلّا وقد * أفسدنى من بعد إصلاحى

أنتَ من الناس وإن عبتَهم * دُونَكَها[2] منّى بإفصاحِ

كان من ندماء الوليد بن يزيد

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدّثنى ميمون بن هارون عن أبى محلّم أن الوليد[3] بن يزيدَ أمرَ شُراعةَ بن الزَّنْدَبُوذ أن يسمّى له جماعةً ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة، فسمّى له مطيعَ بنَ إياس وحمّادَ عجردٍ والمُطيعىَّ المغنّى ، فكتب فى إشخاصهم إليه ، فأُشخصوا ، فلم يزالوا فى ندمائه إلى أن قُتِل ، ثم عادوا إلى أوطانهم .

أخبرنى عيسى بنُ الحسين قال : حدّثنى حماد عن أبيه عن محمد بن الفضل السَّكونىّ قال : تزوّج حمّادُ عجردٍ امرأةً، فدخلْنا إليه صبيحةَ بنائه بها نهنّئه ونسأله عن خبره، فقال لنا : كنت البارحةَ جالسا مع أصحابى أشرب، وأنا منتظرٌ لامرأتى أن يؤتَى[4] بها ، حتى قيل لى : قد دخلتْ ، فقمتُ إليها فوالله ما لبثتُها[5] حتى افتضضتُها ، وكتبت من وقتى إلى أصحابى :

(١) فى ب ، س « الخمر » وما أثبتناه عن باقى الأصول .

(٢) أى خذها كلمة فصيحة صريحة .

(٣) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، ولى الخلافة سنة ١٢٥ وقتل سنة ١٢٦

(٤) كذا فى ط ، مط ، مب ، ها . والذى فى جـ ، ب ، س « يأتوا » . والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٥) فى ب ، س « لبثها » . والتصويب عن باقى الأصول .

قد فتحتُ الحصنَ بعد آمتناعٍ * بمُشيـــحٍ فـاتحٍ للقِــلاعِ

ظَفِـرتْ كفِّى بتفريقِ شَمـلٍ * جاءنا تفريقُــه بآجتماعِ

فإذا شَـعبى وشَـعْب حَبيبى * إنمـا يَلتـامُ بعـدَ آنصداعِ

اجتماعه بوجوه البصرة

أخبرنى محمـد بن القاسم الأنبـارىّ عن أبيـه ، وأخبرنى الحسن بن علىّ عن القاسم بن محمـد الأنبارى ، قال : حدّثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أحمـد ابن الأسـود بن الهيثم ، عن إبراهيمَ بنِ محمّد بن عبد الحميد ، قال : اجتمع عمّى سهم بنُ عبد الحميد وجماعةٌ من وجوه أهلِ البَصرة عنـد يحيى بن حُميد الطويل ، ومعهم حمّاد عجرد، وهو يومئذ هاربٌ من محمد بن سليمان، ونازلٌ على عُقبةَ بن سَلْم وقد أَمِن ، وحضر الغَداء، فقيل له : سهمُ بنُ عبد الحميد يصلّى الضحى، فآنتظر، وأَطَال سَهمٌ الصلاةَ ، فقال حماد :

ألا أيُّهــذا القـانتُ المتهجِّدُ * صـلاتُك للرحمن أم لىَ تَســجُدُ؟(١)

أما والّذى نادَى من الطُّور عبدَه * لِمَنْ غـيرِ ما بِرٍّ تقـوم وتقعـد

فهلّا اتّقيتَ اللهَ إذ كنتَ واليا * بصنعاءَ تبْرِى من وَليتَ وتجـرُد

ويَشهد لى أنّى بذلك صادقٌ * حُرَيثٌ ويَحيَى لى بذلك يَشهد

وعند أبى صَفوانَ فيـك شهادةٌ * وبَكْرٌ ، وبكرٌ مُسـلِمٌ متهجِّـد

فإن قلتَ زِدْنى فى الشهود فإنّه * سيشهد لى أيضـا بذاك محمّـد

قال : فلمّـا سمعها قطع الصلاة وجاء مبادرا ، فقـال له : قبحك الله يا زِنديق ، فعلتَ بى هـذا كله لشَرَهك فى تقـديم أكلٍ وتأخيره ! هاتوا طعامَكم فأطعِمـوه لا أطعَمَه الله تعالى ، فقدِّمت المـائدة .

---

(١) القانت : الطائع . والمتهجد : المصلى بالليل .

شعر لمحمد ابن الفضل السكونى يعتذر إليه به

أخبرنى يحيى بن على بن يحيى، عن أبيه، عن إسحاق الموصلىّ، عن محمد بن الفضل السَّكُونى[(١)] قال : لقيت حمّادَ عجردٍ بواسط وهو يمشى وأنا راكب، فقلت له : آنطلِق بنا إلى المنزل، فإنى الساعةَ فارغ لنتحدّث، وحبستُ عليه الدّابة، فقطعنى شُغْلٌ عَرَض لى لم أقدرْ على تَركه، فمضيتُ وأُنْسِيتُه، فلما بلغتُ المنزلَ ٥ خفتُ شرّه، فكتبت إليه :

أبا عُمَرٍ اِغْفِرْ هُدِيتَ فإنّنى * قد آذنبتُ ذنبا مخطئا غيرَ عامدِ

فلا تَجِدنْ فيه علىّ فإننى * أُقِرُّ بإجرامى ولستُ بعائدِ[(٢)]

وهَبْه لنا تفديك نفسى فإنّنى * أرى نعمةً إن كنتَ لستَ بواجدِ

وعُدْ منك بالفضل الّذى أنتَ أهلُه * فإنّكَ ذو فضلٍ طريفٍ وتالدِ

١٠ فكتب إلىّ مع رسولى :

81/13

محمدُ يآبن الفَضْل ياذا المحامِدِ * ويا بهجةَ النادى وزينَ المَشاهدِ[(٣)]

وحقِّكَ ما أذنبت منذ عرفتَنى * على خطأ يوما ولا عَمْد عامدِ

ولو كان، ما أَلْفيتَنى متسرِّعا * إليكَ به يوما تسرُّعَ واجدِ

أى لو كان لكَ ذنب ما صادفْتَنى مسرعا إليك بالمكافأة[(٤)] :

١٥ ولو كان ذُو فضل يسمّى لفضلِه * بغيرِ آسمه سُمّيتَ أُمَّ القلائدِ

(١) فى ب، س، حـ، ط، مط، مب « محمد بن الفضل السلولى » وهو تحريف؛ والتصويب عن ها والأغانى جـ ١٣ طبع دار الكتب المصرية .

(٢) وجد عليه يجد بكسر الجيم وضمها موجدة ووجدا : غضب .

(٣) فى ب، س، حـ « يا أبا الفضل » وهو خطأ . والصواب عن ط، مط، مب، ها .

٢٠ وفى ها « المساجد » . (٤) المكافأة : المجازاة .

قال : فبينا رقعتُه فى يدى وأنا أقرؤها إذ جاءنى رسولُه برقعة فيها :

قد غَفـرْنا الذنب يابن الـ * ـفضـلِ والذنبُ عظـيمُ
ومسىءٌ أنتَ يآبن الـ * ـفضـلِ فى ذاك مُلـيمُ [1]
حـينَ تخشانى على الذنـ * ـبِ كما يُخشَى اللئـيمُ
ليس لى إن كان ما خِفـ * ـتَ من الأمرِ حريمُ
أنـا والله ــ ولا أفـ * ـخَرُ ــ للغيظ كَظُومُ
ولأصحـابى وَلاءٌ * رَبُّـه بَـرٌّ رحـيمُ [2]
وبمـا يُرضيهـمُ عنِّـى ويُـرضِينى علـيمُ

مديحه لجِلّة من أبناء ملوك فارس

أخبرنى يحيى بن علىّ، عن أبيه عن إسحاق قال : خرج حمّادُ عجرد مع بعض الأمراء إلى فارسَ ، وبها جِلّةٌ من أبناء الملوك ، فعاشرقوما من رُؤسائها ، فأحمد معاشرتَهم ، وسُرَّ بمعرفتهم ، فقال فيهم :

ربَّ يـوم بفَسـاءٍ [3] * ليس عنـدى بذمـيم
قـد قرعتُ العيشَ فيـه * مَعَ نَـدْمانٍ كريم
مِن بنى صَيْهونَ [4] فى البيـ * ـت المعلَّى والصَّـميم
فى جِنانٍ بين أنهـا * رٍ وتعـريشِ كُروم
نتعـاطَى قهـوةً تُشـ * ـخِص يَقظانَ الهُمـوم [5]
بنتَ عشرٍ تـترك المكُـ * ـثِرَ منهـا كالأَميـم [6]

(١) الام : أتى ما يلام عليه . (٢) رواية ها : «ولا صحابى ــ ولا منّ به ــ رب رحيم» .
(٣) كذا فى ب ، س . وفسا (بالقصر) : أنزه مدينة بفارس فيما قيل ، بينها وبين شيراز أربع مراحل ، مدّه هنا للشعر . وفى ط ، مط ، جـ ، مب ، ها «رب يوم لى بفسا» . (٤) كذا فى ط ، مط . وفى ها . «مهبود» . (٥) القهوة : الخمر . وشخص كمنع : خرج من موضع إلى غيره ، وأشخصه : أخرجه . (٦) يقال : رجل أميم ومأموم ، أى يهذى من أم رأسه .

فيهـا دَأْباً أحـيَّ * ويحيِّيني نـديمي
في إناءٍ كِسْرَوِيٍّ * مستخِفٍّ للحليم
شَرْبةٌ تعـدِل منـه * شـربتي أمّ حكيم
عنـدنا دِهْقانَةٌ (١) حُسّـانـةٌ ذاتُ هَمِيم (٢)
جمعتْ ما شئتَ من حُسـ * ـنٍ ومن دَلٍّ رَخِيم ٥
في اعتدال من قَوامٍ * وصفاءٍ من أديم
وبَنانٍ كالمدارِي (٣) * وثنايا كالنجوم
لم أنَلْ منها سوى غَمْـ * ـزة كفٍّ أو شَمِيم (٤)
غيرَ أنْ أقْرُصَ (٥) منها * عُكْنةَ الكَشْحِ الهضيم
وبَـلى ألطِـم منهـا * خـدَّها لطمَ رحيم ١٠
وبنفسي ذاكَ يا أسْـ * ـوَدُ من خـدٍّ لَطِيم

يعني الأسودَ بنَ خلف كاتبَ عيسى بن موسى .

حريث بن أبي الصلت يعيبه بالبخل وشعره في ذلك

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال : حدثنا حمّاد بنُ إسحاق ، عن أبيه عن أبي النضر قال : كان حريث بن أبي الصلت الحنفيُّ صديقاً لحمّاد عجرد ، وكان يمازحه بالشعر ، ويَعيبه بالبخل ، وفيه يقول : ١٥

حُرَيثٌ أبو الفضـل ذو خِبْرةٍ * بما يُصلِح المِعَـد الفاسدهْ
تخـوَّف تُخْمـةَ أضيافه * فعـوَّدهم أكلةً واحـده

(١) دهقانة : مؤنث دهقان بالكسر والضم : وهو التاجر وزعيم فلاحي العجم ورئيس الإقليم ، معرّب . والهميم : الدبيب . (٢) الدل : الدلال ، ورخم الكلام ككرم ونصر فهو رخيم : لان وسهل .
(٣) المدارى : جمع مدرى بكسر الميم ، وهو المشط . (٤) الشميم : الشم . ٢٠
(٥) كذا في ط ، مط ، مب ، ها . والذي في ب ، س ، جـ « أرقص » وهو تصحيف . والعكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا .

قوله فى رجل حبق فى مجلسه

أخبرنى هاشم بنُ محمد الخُزاعىّ قال : حدّثنا عيسى بنُ إسماعيل تِينَة ، عن ابن عائشة قال : ضَرَط رجل فى مجلس فيه حمّاد عجرد ومطيع بنُ إياس ، فتجلّد(١) ، ثم ضرط أخرى متعمّدا ، ثم ثلّث ، ليظنوا أن ذلك كلّه تعمّد ، فقال له حماد : حَسبُك يا أخى فلو ضرطت ألفا لعُلم بأن الخَلِف الأوّل مُفلِت(٢) .

شعره فى قريش حين صلى به

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال : حدّثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدّثنى مُعاذ بنُ عيسى مولًى بنى تميم قال : كان سليمانُ بنُ الفُرات على كَسْكَر(٣) ، ولّاه أبو جعفر المنصور ، وكان قُرَيْشٌ مولًى صاحب المصلّى بواسِط فى ضِياع صالح — وهو سِندىّ(٤) — فحدّثنى مُعاذ بنُ عيسى قال : كنّا فى دار قريش ، فحضرت الصلاةُ ، فتقدّم قريشٌ فصلّى بنا وحمّاد عجرد إلى جَنْبى ، فقال لى حمّاد حين سلّم : اِسمع ما قلتُ ، وأنشدنى :

قد لقيتُ العامَ جَهْدًا * مِن هَناتٍ وهَناتِ(٥)
مِن همومٍ تعترينى * وبلايَا مطبِقاتِ(٦)
وجَوًى شيَّب رأسى * وحَنَى منّى قَناتى
وغُدُوِّى ورَواحى * نحوَ سَلْم بن الفرات
وآئتمامى بالقَمَارِىّ * قريشٍ فى صَلاتى(٧)

(١) فى ب ، س « فتخلد » وهو تصحيف ؛ والتصويب عن باقى الأصول .
(٢) الخلف : الكريه الرائحة . (٣) كسكر : كورة واسعة كانت قصبتها واسط التى بين الكوفة والبصرة . (٤) نسبة إلى السند ، وهى من بلاد الهند . وفى ب ، س « وهو سيدى » وهو تحريف . والتصويب عن جـ ، ط ، مط ، مب ، ها .
(٥) هنات وهنات ، أى شدائد وأمور عظام . (٦) مطبقات ، أى مغطية .
(٧) القمارىّ : نسبة إلى قمار ، وهو موضع ببلاد الهند ينسب إليه العود .

خبره مع غلام أمرد

أخبرنى محمد بنُ خلف وَكيع قال : حدّثنا أبو أيّوبَ المَدينىّ عن مصعب الزُّبيرىّ قال : حدّثنى أبو يعقوبَ الخُرَيمى قال : كنت فى مجلس فيه حمّاد عجرد، ومعنا غلام أمرَد ، فوضع حمّاد عَيْنَه عليه وعلى الموضع الّذى ينام فيه ، فلما كان الليلُ اختلفتْ مواضعُ نومِنا، فقمتُ فنِمتُ فى موضع الغلام، قال : ودَبَّ حمّاد إلىّ يظنُّنى الغلامَ ، فلما أحسستُ به أخذتُ يدهُ فوضعتُها على عينى العَوْراء — لأعلمه أنِّى أبو يعقوب — قال : فنتر يَده ومضى فى شأنه وهو يقول : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ .

شعره فى جوهر

أخبرنى عمّى قال : حدّثنى مصعب قال : كان حمّاد عجرد ومُطيعُ بن إياس يختلفان إلى جوهر جارية أبى عَوْن نافع بنِ عَوْن بن المُقْعَد ، وكان حمّاد يحبّها ويُجَنّ بها، وفيها يقول :

إنّى لأهوَى جوهرًا * ويُحبّ قلبى قلبَها

وأُحبُّ من حبّى لها * مَن وَدَّها وأَحَبَّها

وأحبُّ جاريةً لها * تُخفِى وتَكتُمُ ذنبَها

وأحبُّ جيرانا لها * وابنَ الخبيثة ربَّها

٨٣/١٣

رثاؤه للأسود ابن خلف .

أخبرنى عمّى قال : حدّثنى محمد بنُ سعد الكُرانىّ قال : حدّثنى أبيَضُ بنُ عَمرو قال : كان حمّاد عجرد يعاشر الأسْوَدَ بن خَلَف ولا يكادان يفترقان ، فمات الأسود قبله ، فقال يرثيه — وفى هذا الشعر غناء — :

صـــوت

قلتُ لحنَّـانةٍ دَلـوحٍ (١) * تَسُحُّ من وابِـلٍ سَـفوحِ

جادت علينا لهـا رَبابٌ (٢) * بواكِفٍ هاطِـلٍ نَضوحِ

أُمِّى الضَّريحَ الذى أسمِّى (٣) * ثم استَهِلِّى على الضَّـريحِ

على صَدَى أسودَ المُوارَى (٤) * فى اللَّحد والتُّرب والصَّفيحِ

فآسـقِيهِ رِيّاً وأَوطِنِيـه (٥) * ثم آغتـدِى نحوَه وروحى

اِغدِى بسُقْياى (٦) فآصبِحيه * ثم آغبِقيـه مع الصَّـبوحِ

ليس من العدل أن تَشِحِّى * على آمرئ ليس بالشَّحيحِ

الغناء ليونسَ الكاتب ذكره فى كتابه ولم يجنِّسْه .

هجا أبا عون مولى جوهر بشعر

أخبرنى عمّى قال : أنشَدَنا الكُرانى قال : أَنشَد مصعبٌ لحمّاد عجردٍ يهجو أبا عَوْن مولَى جَوْهر، وكان يُقِينُ (٧) عليها، وكان حمّاد عجردٍ يميل إليها، فإذا جاءهم

(١) سحابة حنانة : لها حنين كحنين الإبل ، أى صوت يشبه صوتها عنـد الحنين . وسحابة دلوح : كثيرة المـاء . سفوح : مبالغة فى سافح أى منصب ، من سفح .

(٢) الرباب : جمع ربابة ، وهى السحابة التى قد ركب بعضها بعضا . بواكف ، أى بمطر واكف أى سائل . نضوح ، أى ينضح بالماء ، وفى ط ، مط « جاد » .

(٣) أمى : اقصدى . استهلى ، أى ارفعى الصوت بالبكاء .

(٤) الصدى : جثة الميت . الصفيح : واحد الصفائح ، وهى الحجارة العريضة .

(٥) أوطنه : اتخـذه وطنا . (٦) كذا فى ط ، مط . وفى باقى الأصـول : « بسقيا فأصبحيه » : وصبحه كمنع : سـقاه الصبوح وهو شرب الغـداة ، وغبقه كنصر وضرب : سقاه الغبوق وهو شرب العشى . يريد اتصال هطلها عليه ودوامه صباحا ومساء .

(٧) كذا فى ط ، مط ، مب . والذى فى باقى الأصول « يغنى » .

ثقل، ولم يمكنّ أحدا من أصدقائها أن يخلو بها، فيضرّ ذلك بأبي عون، فجاءه يوما وعنده أصدقاء لجاريته، فحجبها عنه، فقال فيه :

إنّ أبا عون ولن يرعوِى * ما رقَّصتْ رَمْضاؤها جُنْدُباً (١)

ليس يَرَى كَسْبا إذا لم يكن * من كسبِ شُفْرَىْ جوهرٍ طيِّبا (٢)

٥ فسلّط الله على ما حَوَى * مئزرُها الأفعى أو العقربا (٣)

يُنْسَب بالكَشْخ ولا يشتهى * بغير ذاكَ الإسمِ أن يُنْسَبا (٤)

وقال فيه أيضا :

إن تكن أغلقتَ دونى بابًا * فلقد فتّحتَ للكَشْخِ بابا

وقال فيه أيضا :

١٠ قد تخرطمتَ علينا لأنّا * لم نكن نأتيك نبغى الصّوابا (٥)

إنّما تُكرِم مَن كان منّا * لسنانِ ٱلحَقْوِ منها قِرابا (٦)

وقال فيه أيضا :

يا نافعُ ٱبنَ الفاجِرَهْ * يا سيّدَ المؤاجِرَهْ (٧)

(١) الرمضاء : الأرض الشديدة الحرارة . الجندب بفتح الدال وضمها : ضرب من الجراد، ١٥ والجندب إذا رمض فى شدّة الحر لا يقرعلى الأرض، بل يطير فيسمع لرجليه صرير، والمعنى : ولن يرعوى ما دامت الرمضاء ترقص الجندب . (٢) الشفر : حرف الفرج . (٣) المئزر : الإزار .

(٤) ينسب بالكشخ ، أى يسمى بالكشخان، وسيأتى فى شعره بعد :

فقد أصبحت فى الناس * إذا سميت كشخانا

والكشخان : الديوث .

٢٠ (٥) تخرطم : يريد انخرطم .

(٦) الحقو بالفتح ويكسر : الخصر ، ومعقد الإزار من الجنب . لسنان الحقو، أى لحقوها الشبيه بالسنان فى الرقة والضمور . وفى جـ ، ب ، س « الحقوا » وهو تحريف ، والتصويب عن ط ، مط ، مب ، ها . (٧) آجر المملوك إيجارا ومؤاجرة : أكراه .

يا حِلْفَ كلِّ داعِرٍ * وزوجَ كلِّ عاهرَهْ
ما أَمَــةٌ تملِكها * أو حُـــرّة بطاهره
تجــارةٌ أحــدثْتَهــا * فى الكشخ غيرُ بائره
لــو دخلتْ عفيفةٌ * بيتَك صارت فاجرَهْ
حتّى متى ترتَع فى الـ * خُسْران يآبن الخاسرَه
تجمَّع فى بيتــك بيـ * ـن العِرْس والبرابره (١)

وقال يهجوه :

أنتَ إنسانٌ تُسمَّى * دارُه دارَ الزّوانى
قد جرى ذلك بالكرْ * خ على كلّ لسان (٢)
لك فى دارِ حرٌ يزْ * نِى وفى دارِ حِرانِ (٣)

وقال فيــه :

تفرحُ إن نيكتْ، وإنْ لم تُنَكْ * بتَّ حزينَ القلب مستعبرا (٤)
أسكرَكَ القومُ فساهَلْتَهمْ * وكنتَ سهلا قبــل أن تَسكَرا (٥)

وقال فيــه :

قل للشقىّ الجــدِّ غيرِ الأسعَدِ * أتحِبُّ أنكَ فقْحةُ ابنِ المُقْعَدِ؟ (٦)
لو لم يجِـــد شيئا يسكّنها به * يوما لسكّنها بزُبِّ المسجِد

وقال فيــه :

أباعون لقد صَــفَّـ * ـرَ زُوّارُك أُذْنَيْكا؟
وعينــاكَ ترَى ذاكَ * فأعمَى اللهُ عينيــكا

(١) العرس : امرأة الرجل . (٢) الكرخ : محلة ببغداد .
(٣) فى بو، ط، مط، مب «خوان» وفى ب، س «حوان» وهو تحريف . والتصويب عن «ها» .
(٤) استعبر : بكى . (٥) ساهله : ياسره . (٦) الفقحة : حلقة الدبر .

هجا بشارا ببيت من الشعر

أخبرنى حبيب بنُ نصر المهلّبى قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : لما قال حمّاد عجرد فى بشّار :

نُسِبْتَ إلى بُرْد وأنتَ لغيره * وَهَبْكَ لبُرْدٍ نِكْتَ أُمَّكَ مَنْ بُرْدُ؟

قال بشّار : تهيّأ له علىّ فى هذا البيت خمسةُ معان من الهجاء، قوله «نُسبتَ إلى بُرد» معنًى؛ ثم قوله : «وأنت لغيره» معنًى آخر، ثم قوله : «فهبك لبرد» معنًى ثالث، وقوله : «نكت أمّك» شتمٌ مفرَد، وآستخفافٌ مجدَّد، وهو معنًى رابع، ثم ختمها بقوله : مَنْ بُرْدُ؟ ولقد طَلب جرير فى هجائه للفرزدق تكثيرَ المعانى، ونحا هذا النحوَ، فما تهيّأ له أكثر من ثلاثة معانٍ فى بيت، وهو قوله :

لمّا وَضعتُ على الفرزدقِ مِيسَمى * وضَغَا البَعيثُ جدَعتُ أنفَ الأخطلِ[1]

فلم يُدرِكْ أكثرَ من هذا .

هجاؤه له أيضا

أخبرنى حبيب بنُ نصر قال : حدّثنا عمر بنُ شبّة قال : قال أبو عبيدة : ما زال بشّارٌ يهجو حمّادا ولا يَرفُثُ[2] فى هجائه إيّاه حتى قال حمّاد :

مَن كان مِثلَ أبيك يا * أعمَى أبوه فلا أبَا لَهْ

أنت آبنُ بُرْد مِثلُ بُرْ * دٍ فى النَّذالة والرذالهْ

---

(١) قبل هذا البيت :

أعددت للشعراء سما ناقعا * فسقيت آخرهم بكأس الأوّل

والميسم : المكواة، يريد به أهاجيه التى يكويه بها . وضغا ضغوا : استخذى، وضغا : صاح وضج، وضغا السنور والكلب : صوّت وصاح، ثم كثر حتى قيل للإنسان إذا ضرب فاستغاث . وفى جـ «وضما» وفى مختار الأغانى «وصما»، وفى ب، س «وصع البعيث» . والتصويب عن ط، مط، مب، ها .

(٢) رفث فى منطقه كطلب وضرب وأرفث : أفحش فيه أو صرح بما يكنى عنه .

زَحَرَتْك مِن بُجُـرِ اَستِهـا * فى الحُشِّ خَارِئَةٌ غَزالَهْ (١)
من حيث يَخرج جعرُ منـ * ـتِنة مدنَّسـة مُـذالَه (٢)
أعمى كستْ عينيـه مِن * وَذَح اَستِها وكَسَت قَذالَه (٣)
خـنزيرةٌ بَظْـراءُ منـ * ـتنةُ البُـداهَة والعُـلالَه (٤)
رَسْحاء خضراءُ المَغا * بِنِ ريحُها ريحُ الإهالَه (٥)
عَـذْراءُ حُبـلَى يالقَـوْ * مِى لِلمَجانة والضَّـلالَه (٦)
مَرَقتْ فصارت قَحبـةً * بجِعـالةٍ و بـلا جِعَـالَه (٧)
ولقـد أقلتُـك يابنَ بُرْ * دٍ فاجترأتَ فـلا إقالَه

٨٥
١٣

فلمّا بلغتْ هذه الأبياتُ بشّارا أطرق طويلا ، ثم قال : جزى الله ابنَ نَهْيَا خيرا ،
فقيل له : علامَ تَجزِيه الخيرَ ؟ أعَلى ما تَسمع ؟ فقال : نعم ، والله لقد كنت أردّ

(١) يقال : زحرت به أمه وتزحرت عنه : ولدته ، والحش : المتوضأ ، سمى به لأنهم كانوا يذهبون عند قضاء الحاجة إلى البساتين .

(٢) الجعر : ما يبس من العـذرة فى الدبر . وفى ب ، س « جمد » وهو تحريف ، والتصويب عن ط ، مط ، مب ، ها . والمذالة : الأمة .

(٣) الوذح : ما تعلق بأصـواف الغنم من البعر والبول ، وفى جـ « ودج » وفى ب ، س ومختار الأغانى «ودح» وهو تصحيف . والتصويب عن ط ، مط ، ها ، مب . والقذال : جماع مؤخر الرأس .

(٤) البداهة والعـلالة : يقال لأوّل جرى الفرس : بداهتـه ، وللذى يكون بعـده : علالته ، قال الأعشى :

إلا بداهة أو عـلا * لة سابح نهد الجزاره

والمعنى : أنها منتنة أوّل ما تلقاها و بعد لقائها .

(٥) رسحاء : قليلة لحم العجز والفخذين والقبيحة . والمغابن : جمع مغبن كمنزل وهو الرفغ بالضم : أى الإبط وما حول فرج المرأة . و يعنى بخضراء المغابن : أنها طويلة العانة . والإهالة : الشحم والزيت .

(٦) فى ب ، س « للخانة » ؛ والتصويب عن باقى الأصول .

(٧) مرقت ، أى خرجت عن عفافها . قحبة : فاجرة . الجعالة مثلثة : الجعل وهو الأجر .

على شيطانى أشياءَ من هجائه إبقاءً على المودّة ، ولقد أطلق من لسانى ما كان مقيّدا عنه ، وأهدَفنى عورةً ممكنةً منه ، فلم يزل بعد ذلك يَذكُرُ أمَّ حمّاد فى هجائه إيّاه، ويذكُرُ أباه أقبحَ ذِكر، حتى ماتت أمُّ حمّاد ، فقال فيها يخاطب جارًا لحمّاد :

أبا حامدٍ إن كنتَ تَزنِى فأسْعِدِ * وَبكِّ حِرًا ولَّتْ به أمُّ عجرَدِ (١)

حِرًا كان للعُزّاب سَهْلا ولم يكن * أبِيًّا على ذى الزوجة المتودِّدِ

أُصيبَ زُناةُ القومِ لمّا توجّهتْ * به أمُّ حمّادٍ إلى المضجَع الرَّدِى (٢)

لقد كان للأدنى وللجارِ والعِدا * وللقاعد المعترِّ والمتزيِّدِ (٣)

أخبرنا محمد بنُ الحسن بنِ دُرَيد قال : حدّثنا أبو حاتم قال : قال يحيى بن الجَوْن العبدىّ راويةُ بشّار : [أنشدتُ بشّارا] (٤) يوما قولَ حمّاد :

راوية بشار ينشده شعرا لحماد

ألا قل لعبد الله إنّك واحدُ * ومثلُك فى هذا الزمان كثيرُ

قطعتَ إخائى ظالما وهجرتَنى * وليس أخى مَن فى الإخاء يجور

أُديمُ لأهل الوُدّ ودّى، وإنّنى * لمن رام هجرى ظالما لهَجور

ولو أن بَعضِى رابَنى لقطعتُه * وإنّى بقطع الرائبين جدير

فلا تحسبنْ مَنحِى لك الودَّ خالصا * لعِزٍّ ولا أنّى إليك فقير

ودونَك حظّى منك لستُ أريدُه * طَوالَ الليالى ما أقام ثَبيرُ (٥)

(١) أى فأسعدنى وأعنّى بالبكاء . وفى س «وابك» وهو تحريف . والتصويب عن باقى الأصول .

(٢) فى الأصول : « إلى مضجع » وهو تحريف ، والتصويب عن مختار الأغانى .

(٣) فى ب ، س ، ها « وللقاصد المعتل والمتردد . وما أثبتناه عن ط ، مط ، مب » .

(٤) هذه التكملة ساقطة من ب ، س ، جـ . وقد أثبتناها عن ط ، مط ، مب ، ها .

(٥) ثبير : جبل بظاهر مكة .

فقال بشّار : ما قال حمّادٌ شعرا قطُّ هو أشدّ علىّ من هـذا ، قلتُ : كيف ذاك ولم يُهْجُك فيه ؟ وقد هجاك فى شعر كثير فلم تجزع . قال : لأن هـذا شعر جيّد ومِثلُه يُروى ، وأنا أَنفَسُ[1] عليه أن يقول شعرا جيّدا .

إعجاب محمد بن النطاح بشعره

أخبرنى علىّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدّثنى هارون بن علىّ بن يحيى المنجّم قال : حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال : حدّثنى محمد بن النطّاح قال : كنت شديدَ الحبّ لشعر حمّادِ عجرد ، فأنشدتُ يوما أخى بكرَ بنَ النطّاح قولَه فى بشّار :

أساءتُ فى رَدّى على ٱبن ٱستها * إساءةً لم تُبقِ إحسانا[2]

فصار إنسانا بذِكرِى له * ولم يكن من قبلُ إنسانا

قرعْتُ سِنّى نَدما سادِما * لو كان يغنى ندمى الآنا[3]

يا ضيعةَ الشعر ويا سَوْءتا * لِى ولأزمانىَ أزمانا

من بعد شتمى القِردَ لا والّذى * أنزلَ توراةً وقرآنا[4]

ما أحدٌ من بعد شَتْمى له * أنذَلُ مِنّى ، كانَ مَن كانا

---

(١) نفس عليه الشىء كفرح نفاسة : لم يره أهلا له .

(٢) فى ب ، س « أساتُ فى ردّى لمن أسأنا » والتصويب عن جـ ، ط ، مط ، مب ، ها . ومعنى « على ابن استها » : على ابن الأمة ، وكانت العرب تسمى بنى الأمة : « بنى استها » ويقال للذى ولدته أمة : « يابن استها » يعنون است أمة ولدته ، أى أنه ولد من استها ، قال الأعشى :

أسفها أوعدت يابن استها * لست على الأعداء بالقادر

انظر (لسان العرب مادّة سته) .

(٣) السدم محرّكة : الهمّ أو مع ندم أو غيظ مع حزن ، سدم كفرح فهو سادم وسدمان .

(٤) كذا فى ب ، س ، جـ . والذى فى باقى الأصول « وفرقانا » .

قال : فقال لى : لمن هـذا الشعرُ ؟ فقلتُ : لحمّـاد عجرد فى بشّار ، فأنشأ يتمثّـل بقول الشاعر :

ما يَضُرّ البحـرَ أمسَى زاخراً * أنْ رَمَى فيـه غلامٌ بحَجَـرْ

ثم قال : يا أخى ، إنْسَ هذا الشعرَ فنسيانه أزينَ بك ، والخَرَسُ[1] كان أسترَ على قائله .

٨٦ / ١٣

هجاء بشار أكثر مما هجاه هو

أخبرنى علىّ بنُ سليمان قال : حدّثنى هرون بنُ يحيى قال : حدّثنى علىّ ابنُ مهدىّ قال : أجمَعَ العلماءُ بالبَصرة أنه ليس فى هجاء حمّاد عجرد لبشّار شىءٌ جيّد إلا أربعين بيتا معدودةً ، ولبشّار فيه من الهجاء أكثرُ من ألف بيت جيّد ، قال : وكلّ واحد منهما هو الذى هَتَك صاحبَه بالزَّندقة وأظهرَها عليـه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط حمّـاد عجرد وتهتّك بفضـل بلاغة بشّار وجَوْدة معانيه ، و بقى بشّارٌ على حاله لم يَسقط ، وعُرِف مذهبُه فى الزندقة فقُتِل به .

مجاشع بن مسعدة يهجو حمادا

أخبرنى محمد بنُ العبّاس اليزيدىّ قال : حدّثنى عمّى[2] الفضلُ عن إسحاقَ الموصلىّ أنّ مُجاشِعَ بنَ مَسعدة أخا عَمرِو بنِ مَسعدة هجا حمّاد عجـرد وهـو صبىّ حينئـذ ليرتفع بهجائه حمّادا ، فترَك حمّادا وشَبّب بأمّه ، فقال :

راعتْـك أمُّ مُجـاشع * بالصـدِّ بعد وِصالِهـا[3]

وٱستبدلتْ بِكَ والبـلا * ءُ عليك فى ٱستبدالهـا

(١) كذا فى جـ ، ط ، مط ، مب ، ها ، وهو الصواب . والذى فى ب ، س « والحرمن » ؛ وهو تصحيف .

(٢) ساقطة من ب ، س ، جـ . وقد أثبتناها عن باقى الأصول .

(٣) راعتك : أفزعتك بالصد : وفى جـ ، ب ، س « والصدق » ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن ط ، مط ، مب ، ها .

جِنِّيَّةٌ مِن بَرْبَرٍ * مشهورةٌ بجَمالها
لحرامُها أشهى لنا * ولها من آستحلالها(1)

فبلغ الشعرُ عمرو بنَ مَسعدة، فبعث إلى حمّاد بصلة، وسأله الصفحَ عن أخيه، ونال أخاه بكلّ مكروه، وقال له : ثكلتك أمُّك، أتتعرض لحمّاد وهو يُناقِف(2) بشّارا ويقاومهُ، والله لو قاومتَه لما كان لك فى ذلك فخر، ولئن تعرضت له ليهتِكَنَّك وسائرَ أهلك، وليفضَحَنّا فضيحةً لانغسلها أبدا عنّا .

شعره فى جارية

أخبرنى عمى قال : حدّثنا محمد بنُ سعد الكُرانىّ قال : حدّثنى أبو علىّ بنُ عمّار قال : كان حمّاد عجرد(3) عند أبى عمرو بن العلاء، وكانت لأبى عَمرو جاريةٌ يقال لها مَنِيعة، وكانت رسحاءَ عظيمةَ البَطْن، وكانت تَسخَرُ بحمّاد(4)، فقال حمّاد لأبى عمرو : أَغنِ عنّى(5) جاريتَك فإنّها حَمْقاء، وقد آستغلقتْ(6) لى، فنهاها أبو عمرو فلم تنته فقال لها حماد عجرد :

لو تأتّى لك التحوُّلُ حتّى * تجعلى خَلفَكِ اللطيفَ أَمامَا
ويكونُ القُدّامُ ذوالخِلقةِ الجَزْ * لةِ خَلفًا مؤثّلا مستَكاما(7)
لإذًا كنتِ يامنيعةُ خيرَ النّا * س خَلْفًا وخيرَهم قُدّاما

(١) فى جـ « أشهى لنا من استجلالها » وفيه سقط من الناسخ .
(٢) المناقفة والنقاف : المضاربة بالسيوف على الرءوس .
(٣) رسحاء : وصف من الرسح بالتحريك، وهو قلة لحم العجز والفخذين .
(٤) كذا فى ب، س . والذى فى جـ، ط، مط، مب، ها : « تعجرد حماد » .
(٥) أغنها عنى : اصرفها وكفها، قال تعالى : ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ أى يكفيه .
(٦) من قولهم : استغلقت علىّ بيعته : إذا لم يكن لى خيار فى ردها .
(٧) فى ب، س .
ويكون القدام فى الخلف منـ * ـنك حيرى ... ...
والتصويب عن باقى الأصول . والمؤثل : المجتمع . والمستكام : اسم مفعول من استكام الرجل المرأة : إذا جامعها .

شعره فى محمد بن طلحة

أخبرنى عمى قال : حدثنى الكرانى قال : حدثنى الحسن بن عُمارة قال : نزل حمّاد عجرد على محمد بنِ طلحة ، فأبطأ عليه بالطعام ، فاشتد جوعه ، فقال فيه حمّاد :

زرتُ امرأً فى بيتِه مرّةً * له حَياءٌ وله خِيرُ[1]

يَكرَه أن يُتخِم أضيافَه * إنّ أذى التُّخْمة محذورُ

ويشتهى أن يؤجَرُوا عندَه * بالصَّوْم والصالحُ مأجورُ ٥

قال : فلمّا سمعها محمد قال له : عليك لعنة الله ، أى شىء حملك على هجائى ، وإنما انتظرتُ أن يُفرَغ لك من الطعام؟ قال : الجوعُ وحياتِك حملَنى عليه ، وإن زدتَ فى الإبطاء زدتُ فى القول ، فمضى مبادرا حتى جاء بالمائدة .

٨٧ / ١٣

ردّه على حفص ابن أبى وزة حين طعن على مرقش

أخبرنى الحسين بن يحيي وعيسى بن الحسين ووكيع وابن أبى الأزهر قالوا : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان حفص بن أبى وَزّة صديقا لحمّاد عجرد ، وكان ١٠ حفص مرميّا بالزّندقة ، وكان أعمشَ أفطسَ أغضفَ[2] مقبّحَ الوجه ، فاجتمعوا يوما على شراب ، وجعلوا يتحدّثون ويتناشدون ، فأخذ حفص بن أبى وَزّة يطعن على مرقِّش ويعيب شعرَه ويلحّنهُ ، فقال له حمّاد :

لقد كان فى عينيك ياحفصُ شاغلٌ * وأنفٌ كَثِيلِ العَوْدِ عمّا تَتَبّعُ[3]

تَتَبّعُ لحَنا فى كلامِ مرقِّشٍ * ووجهُك مبنىٌّ على اللّحنِ أجمعُ ١٥

فأُذْناك إقواءٌ وأنفُك مُكْفَأٌ * وعيناك إيطاءٌ فأنت المرقَّعُ[4]

(١) الخير : الكرم والشرف والأصل . (٢) الأغضف : المتدلى الأذنين كالكلاب على التشبيه .

(٣) الثيل : بالكسر والفتح : القضيب . والعود : الجمل المسن .

(٤) الإقواء ، هو اختلاف حركة الروىّ كأن يكون فى آخر البيت كلمة «المحمود» مرفوعا وفى آخر البيت الثانى «المعدود» مجرورا . والإكفاء : هو أن يخالف الشاعر بين قوافيه فيجعل بعضها ميا وبعضها نونا وبعضها دالا وبعضها طاء وبعضها حاء ونحو ذلك . والإيطاء ، هو إعادة كلمة الروىّ لفظا ومعنى ، وهو عيب . ٢٠

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : ذكر أبو دِعامةَ عن عاصم بن الحارث بن أفلح، قال : رأى حمّاد عجرد على بعض الكتّاب جُبّة خَزٍّ دَكْناء فكتب إليه :

شعره فى جبه لبعض الكتاب

إنّنى عاشق لجبّتك الدكـ * ـناءعشقاقد هاج لى أطرابى

فبحقِّ الأمير إلا أتتنى * فى سَراحٍ مقرونةً بالجواب

وبك اللهُ والأمانةُ أن أجـ * ـعلها أشهُرا أميرَ ثيابى

فوجه إليه بها ، وقال للرسول : قل له وأىّ شىء لى من المنفعة فى أن تجعلها أمير ثيابك ؟ وأىّ شىء علىّ من الضرر فى غير ذلك من فعلك ، لو جعلتَ مكانَ هذا مدحا لكان أحسن ، ولكنّك رذّلت لنا شعرك فاحتملناك .

أخبرنى أحمد بن العبّاس العسكرىّ والحسن بن علىّ الخفّاف، قالا : حدّثنا الحسن بن عليل العَنَزىّ عن علىّ بن منصور قال : مرض حمّاد عجرد فلم يَعُدْه مُطيع ابن إياس ، فكتب إليه :

مرض فلم يعده مطيع بن إياس فقال شعرا فى ذلك

كفاكَ عيادتى من كان يرجو * ثوابَ الله فى صلةِ المريض

فإنْ تُحدِثْ لك الأيّامُ سُقْما * يَحولُ جَريضُه دونَ القَريض[1]

يكنْ طُولُ التأوُّه منكَ عندى * بمنزلة الطّنين مِن البَعوض

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا ابن أبى سعد قال : زعم أبو دِعامةَ أن التّيّحان[2] ابن أبى التّيّحان قال : كنت عند حمّاد عجرد فأتاه والبة بن الحباب[3] ، فقال له : ما صنعت فى حاجتى ؟ فقال : ما صنعت شيئا ، فدعا والبة بدواة وقرطاس وأملى علىّ :

(١) يقال : جرض بريقه ، أى ابتلع ريقه على هم وحزن بجهد ومشقة . والقريض : الشعر .
(٢) يقال : رجل تيحان يتعرض لكل مكرمة وأمر شديد .
(٣) هو أستاذ أبى نواس ، من شعراء الكوفة .

عثمانُ ما كانت عِدا * تُكَ بالعِـدات الكاذبهْ
فعَـلامَ ياذا المَكـرُما * تِ وذا الغُيوث الصائبهْ(١)
أخَّـرْتَ وهىَ يسيرةٌ * فى الرُّزْء(٢) حاجةَ والبهْ؟
فأبُـو أسامـةَ حقُّـه * أحـدُ الحقوق الواجبـه
فاْستحي مِن تَرْدادِه * فى حاجـةٍ متقـاربه ٥
ليست بـكاذبةٍ(٣) ، ولـو * والله كانت كاذبه
فقضيتَها أحْـدَثتَ غِـبُّ * قضائهـا فى العاقبـة
إنِّى ومـا رأيى بعـا * دمٍ عاتبٍ أو عاتبـه(٤)
لأرى لِمثـلك كلَّمـا * نابت عليـه نائبـه
ألّا يَرُدّ يَـدَ امرئٍ * بسُطت إليـه خائبـه ١٠

قال : فلقيتُ والبةَ بعد ذلك فقلت له : ما صنعتَ ؟ فقال : قَضَى حاجتى وزاد .

خبره مع المفضّل ابن بلال

أخبرنى عمى قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه عن الزبالى قال : بلغ حمّاد عجردٍ أنّ المفضّل بنَ بلالٍ أعانَ بشّارا عليه وقدّمه وقرّظه ، فقال فيه .

عَجبًا للفضّـل بنِ بلالٍ * ما له يا أبا الزُّبـير ومالِى
عربىٌّ لا شكّ فيه ولامِرْ * يةَ ما بالهُ وبالُ المـوالى ١٥

قال : وأبو الزبير هـذا الذى خاطبـه هو قبيس بنُ الزبير ، وكان قُبَيْس ويونُس ابنُ أبى فَروة كاتبُ عيسى بن موسى صديقَين له ، وكانوا جميعا زنادقة ، وفى يونس يقول حمّاد عجردٍ وقد قَدِم من غَيبة كان غابها :

(١) صاب المطر صوبا : انصب . (٢) فى ب ، س : « فى الرّد » .
(٣) فى ها « بكاربه » ، « كاربه » . (٤) كذا فى ها . وفى باقى الأصول « غائب أو غائبة » وهو تصحيف . ولعلها « عاتب أو عاتبه » . ٢٠

كيف بَعدى كنتَ يابو * نُسُ لا زلتَ بخير
وبغير الخير لازا * لَ قُبيسُ بنُ الزبير
أنت مطبوعٌ على ما * شئتَ من خَيْرٍ ومَيْر(1)
وهو إنسانٌ شبيهٌ * بكُسَيْرٍ وعُوَيْر(2)
رَغْمُه أهونُ عند النـ * ـاس من ضَرطة عَيْر(3)

٥

خبره مع سعاد الجارية

أخبرنى علىُّ بنُ سليمانَ الأخفش ووَكيع قالا : حدّثنا الفضلُ بنُ محمد اليزيدىّ قال : حدّثنى إسحاق المَوْصلىّ عن السَّكونى قال : ذَكر محمدُ بنُ سنان أنّ حمّادَ عَجرد حضر جاريةً مغنّيةً يقال لها سُعاد — وكان مولاها ظريفا — ومعه مطيع بنُ إياس، فقال مطيع :

قبّليـنى سعادُ بالله قُبلَهْ * وآسألينى لهـا فديتك نِحلهْ(4)
فو ربِّ السماءِ لو قلتِ لى صَلْ * لِ لوجهى جعلتُه الدهرَ قِبله

١٠

فقالت لحمّاد : اِكفِنيه ياعمّ ، فقال حمّاد :

إنّ لى صاحبا سواكَ وَفيًّا * لا مَلولًا لنا كما أنتَ مَلّهْ(5)
لا يبـاع التقبيل بيْعا ولا يُشْـ * ـرَى فلا تَجعل التعشُّقَ عِلّه

فقال مطيع : ياحمّاد، هذا هِجاء: وقد تعدّيتَ وتعرّضتَ، ولَم تأمُرك بهذا؛ فقالت الجارية — وكانت بارعة(6) ظريفة — أَجَل؛ ما أردنا هذا كلّه ، فقال حماد :

١٥

---

(١) مار عياله : جلب لهم الميرة بالكسر، أى الطعام؛ ويقال : ما عنده خير ولا مير .
(٢) يقال فى المثل : « كسير وعوير وكل غير خير » ، فى الخصلتين المكروهتين .
(٣) العير : الحمار، وغلب على الوحشىّ . (٤) النحلة : العطية .
(٥) رجل ملة : إذا كان يمل إخوانه سريعا .

٢٠

(٦) كذا فى جـ، ط ، مب، ها . والذى فى ب، س : « مؤدّبة » .

أنا واللهِ أشتهِى مِثْلَها منـ * ـكِ بنُحْل ، والنُّحْل فى ذاكَ حِلَّهْ[(١)]

فأجيبى وأنعِمى وخُذى البَذْ * لَ وأطفِى بقُبلةٍ منكِ غُلَّهْ[(٢)]

فرضِىَ مطيع ، وخجلتْ الجارية ، وقالت : اكفيانى شرّكما اليوم ، وخُذا فيما جئتُما له .

خبره مع غلام بعث به إليه مطيع

٥ أخبرنى محمد بنُ خلف وَكيع قال : حدّثنا أبو أيّوبَ المَدينىّ ، عن مصعب الزبيرىّ عن أبى يعقوب الخُرَيمى قال : أَهدَى مطيعُ بنُ إياس إلى حمّاد عجرد غلاما وكتب إليه : قد بعثتُ إليك بغلامٍ تتعلّم عليه كَظْمَ الغيظ .

٨٩ / ١٣

أخبرنى وكيع قال : حدّثنا أبو أيوبَ المدينىّ قال : ذكر محمدُ بنُ سِنانٍ أنّ مطيع بنَ إياس خرج هو وحمّاد عجردٍ ويحيى بن زياد فى سفر ، فلمّا نزلوا فى بعض

١٠ القرى عُرِفوا ، ففُرِّغ لهم منزل ، وأُتُوا بطعامٍ وشراب وغناء ، فبينا هم على حالهم يشربون فى صحن الدار ، إذ أشرفتْ بنتُ دِهْقان من سطح لها بوجه مشرق رائق ،

شعر له ولمطيع فى بنت دهقان

فقال مطيع لحماد : [ما][(٣)] عِندَكَ ؟ فقال حماد : « خذ فيما شئت »[(٤)] فقال مطيع :

ألا يا بأبى النـاظـ * ـر من بينهمُ نحوى

فقال حمّاد عجردٍ :

١٥ ألا ياليتَ فوقَ الحقْـ * ـوِ منها لاصِقًا حَقْوى

---

(١) النحل (بضم النون) : الهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق . حلة : حلال .

(٢) وخذى البذل ، أى ما بذله لك مطيع .

(٣) عن ها ، وسقطت من باقى الأصول .

(٤) كذا فى ها . والذى فى س ، ب ، جـ ، ط ، مط ، مب : « شبب بها » .

فقال مطيع :

وأنَّ البُضْعَ يا حمّا * دُ منها شَوْبُك المُرْوِى[1]

فقال يحيى بن زياد :

و ياسَقْيًا لسَطْح أشْ * رقتْ من بينهم حذْوِى[2]

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدّثنا حماد بنُ إسحاق عن أبيه : ٥

أن حمّادَ عجردٍ قال فى جوهر جارية أبى عَوْن : — قال : وفيه غناء — :

صــــوت

إنّى أحبُّك فاعلمى * إن لم تكونى تعلمينَا

حبًّا أقلُّ قليـــله * كجَميعِ حُبِّ العالمينَا

شعره فى وداع أبى خالد الأحول

أخبرنى عيسى بنُ الحسين الورّاق قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : ١٠

كان حمّاد عَجْرد صديقا لأبى خالد الأحوَل أبى أحمد بن أبى خالد ، فأراد الخروج إلى واسط ، وأراد وَداعَ أبى خالد ، فلما جاءه لذلك حجَبه الغـلام وقال له : هو مشغول فى هذا الوقت ، فكتب إليه [يقول][3] :

عليـك السـلامُ أبا خالدٍ * وماللوَداع ذكرتُ السلامَا

ولكنْ تحيّة مستطرِبٍ[4] * يُحبُّك حبَّ الغَوِىِّ المدامَا ١٥

(١) البضع : الفرج . والشوب : العسل ، واللبن ، يقال : سقاه الشوب بالروب ، أى العسل باللبن ، وسقاه الشوب بالذوب ، أى اللبن بالعسل .

(٢) الحذو والحذاء : الإزاء والمقابل .

(٣) عن ط ، مط . وسقطت من باقى الأصول .

(٤) استطرب : طلب الطرب . ٢٠

أردتُ الشُّخُوصَ إلى واسطٍ * ولستُ أطيلُ هناك المُقاما
فإن كنتَ مكتفيا بالكتا * بِ دون اللِّمام تركتُ اللِّماما (١)
وإلّا فأوصِ هَدَاكَ المَلِيـ * ـكُ بوّابكم بى وأوصِ الغلاما
[فإن جئتُ أُدخلت فى الداخليـ * ـنَ إمّا قعودا وإمّا قياما] (٢)
٥ فإنْ لم أكن منكَ أهلاً لذاكَ * فلا لومَ لستُ أحبُّ الملاما
لأنّى أذُمّ إليك الأنا * مَ أخزاهمُ اللهُ طرّا أناما
فإنّى وجدتُهمُ كلَّهمْ * يُميتون حمدًا ويُحيُون ذاما (٣)
سوى عُصبةٍ لستُ أعنيهمُ * كرامٍ فإنّى أحبُّ الكراما
وأقللْ عَديدَهم إنْ عددتَ * فما أكثرَ الأرذلين اللِّئاما

مازحته لمطيع ابن إياس وشعرهما فى ذلك ٩٠/١٣

١٠ أخبرنى عيسى بن الحسين قال : حدّثنى أبو أيّوب المَدينىّ قال : قال ابن عبد الأعلى الشيبانىّ : حضر حمّاد عجرد ومطيعُ بنُ إياس مجلسَ محمد بنِ خالد وهو أمير الكوفة لأبى العباس ، فتمازَحا ، فقال حماد :

يا مُطيعٌ يا مُطيعُ * أنتَ إنسانٌ رَقيعُ
وعن الخير بطىءٌ * وإلى الشرّ سريع

١٥ فقال مطيع :

إنّ حمّادا لئيمُ * سِفْلةُ الأصل عديمُ
لا تَراه الدهرَ إلّا * بِهَنِ العَيْرِ يهيمُ (٤)

---

(١) ألم به : زاره غبا ، وهو يزورنا لماما ، أى فى بعض الأحايين .
(٢) سقط هذا البيت من ب ، س . وقد أثبتناه عن باقى الأصول .
٢٠ (٣) الذام : العيب .
(٤) الهن : كناية عما يستفحش ذكره من الرجل والمرأة .

فقال له حماد : ويلك، أترميني بدائك، والله لولا كراهتي لتمادى الشرّ ولجاج الهجا لقلتُ لك قولا يبقى ، ولكنّي لا أفسد مودّتك ، ولا أكافئك إلاّ بالمديح ، ثم قال :

كل شيء لى فداءٌ * لمطيع بن إياس
رجلٌ مستملَحٌ فى * كلّ لين وشِماس (١)
عِدْلُ رُوحى بين جنـ * ـبيّ وعينيّ براسى (٢)
غَرس اللهُ له فى * كبِدى أحلى غِراس
لستُ دهرى لمطيع بـ * ـن إياس ذا تناس
ذاكَ إنسانٌ له فضـ * ـلٌ على كلّ أُناس
فإذا ما الكأس دارتْ * وآحتساها من أُحاسى (٣)
كان ذِكرانا مُطيعًا * عندها رَيْحانَ كاسى

هجاؤه عيسى ابن عمرو

أخبرنى أحمد بنُ العبّاس العسكرىّ ومحمد بنُ عمرانَ الصَّيْرَفىّ قالا : حدّثنا الحسن بنُ عُلَيل العنَزىّ قال : حدّثنا التّوزىّ قال : كان عيسى بنُ عمرو بنِ يزيدَ صديقا لحمّاد عَجْرد (٤)، وكان يواصله أيّامَ خدمته للربيع ، فلمّا طرده الربيع وآختلّت حالهُ جفاه عيسى، وإنما كان يصله لحوائجَ يَسأل له الربيعَ فيها، فقال حمّاد عجردفيه :

أوصلُ النـاس إذا كانت له * حاجةٌ عيسَى وأقضاهمْ لحـقّ
ولعيسى إنْ أتَى فى حاجة * مَلَقٌ ينُسى به كلَّ مَلَق
فإن آستغنَى فما يَعدِلُهُ * نخوةً كِسرَى على بَعْض السُّوَق
إن تكن كنتَ بعيسى واثقا * فبهذا الخُلْق من عيسَى فثِق

(١) الشماس : النفور والإباء ، شمس الفرس شموسا وشماسا : منع ظهره .
(٢) العدل : النظير . (٣) أحاسى : أساقى . (٤) فى ها « لعجرد » .

وله يهجوه أيضا

قال العنزى : وأنشدنى بعض أصحابنا لحماد فى عيسى بن عمر أيضا :

كم من أخ لك لست تنكره * ما دمت من دنياك فى يسر
متصنع لك فى مودته * يلقاك بالترحيب والبشر
يطرى الوفاء وذا الوفاء ويلـ * ـحى الغدر مجتهدا وذا الغدر
فإذا عدا والدهر ذو غير * دهر عليك عدا مع الدهر ٥
فارفض بإجمال مودة من[1] * يقلى المقل ويعشق المثرى
وعليك من حالاه واحدة * فى العسر إما كنت واليسر
لا تخلطنهم بغيرهم * من يخلط العقيان بالصفر[2]

٩١ / ١٣

هجا حشيشا الكوفى

أخبرنى يحيى بن على بن يحيى إجازة قال : حدثنى ابن أبى فنن قال : حدثنى العتابى، وأخبرنى عمى عن أحمد بن أبى طاهر قال : قال العتابى : وحديث ١٠ ابن أبى طاهر أتم، قال: كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعثة يقال له حشيش وكانت أمه حارثية، فمدحه حماد عجرد فلم يثبه، وتهاون به، فقال يهجوه :

يا لقومى للبلاء * ومعاريض الشقاء
قسمت ألوية بيـ * ـن رجال ونساء
ظفرت أخت بنى الحا * رث منها بلواء ١٥
حادث فى الأرض يرتا * ع له أهل السماء

قال : فعرضت أسماء العمال على المنصور فكان فيها اسم حشيش، فقال : أهو الذى يقول فيه الشاعر :

يا لقومى للبلاء * ومعاريض الشقاء؟

(١) فى ها « أخوة » . (٢) العقيان : الذهب . والصفر : النحاس وفى « ها » « من يخلط العقيان بالنسر » . ٢٠

قالوا : نعم يا أمير المؤمنين ؛ فقال : لو كان فى هذا خير ما تعرّض لهذا الشاعر، ولم يستعمله ، قال : وقال حمّاد فيه أيضا يخاطب سعيدَ بنَ الأسود و يعاتبه على صحبة حُشَيش وعِشرته :

صرتَ بعدى يا سعيد * مِن أخلاّء حُشَيْش
أتلوّطْتَ أم استُخـ * ـلِفتَ بعدى أم لايْش(١)
حَـلَقِيٌّ استُه أو * سَعُ من استِ بُجَيْش(٢)
ثم بَغّاءٌ على ذا * أبلَغُ النـاسِ لفَيْش(٣)
يا بَنِى الأشعَث ما عَيْـ * ـشُكمُ عندى بعَيْش
حين لا يُوجد منكمْ * غيرُه قائدُ جَيْش

قال : وكان بُجَيْش هذا رجلا من أهل البَصْرة لم يكن بينه و بين حمّاد شىء ، فلمّا بلغه هذا الشعرُ وَفَد من البَصرة إلى حمّاد قاصدا ، وقال له : يا هذا، مالى ولك، وما ذنبى إليك ؟ قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا بُجَيْش ، أما وجدتَ أحدا أوسعَ دُبُرا منّى يُتمثَّل به ؟ فضحك ثم قال : هذه بليّة صبّتها عليك القافية(٤) ، وأنت ظريف وليس يجرى بعد هذا مثله .

هجا أبا عون

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدّثنى محمد بنُ الحسن بن الحَرُون . قال : كان حماد عجرد يعاشر أبا عَوْن جدَّ ابن أبى عون العابد، وكان ينزل الكرخ، وكان عجرد إذا قدم بغداد زاره، فبلغ أبا عون أنه يحدِّث الناسَ أنه يهوَى جارية يقال لها جوهر، فحجبه وجفاه واطّرحه ، فقال يهجو أبا عون :

(١) لاط ولاوط وتلوّط : عمل عمل قوم لوط . (٢) الحلق : صفة سوء فى الرجل ، من قولهم : أتان حلقية إذا تداولتها الحمر فأصابها بسبب ذلك داء. وفى « ها » . « تجبيش » . (٣) الفيش والفيشة : رأس الذكر . (٤) فى ها « صبها عليك الروىّ » .

أبا عَوْن لحَاك اللّـ * ـهُ يا عُرّةُ إنسانا[1]
فقد أصبحتَ فى النّاس * إذا سُمِّيتَ كَشْخانا[2]
بَنَيْتَ اليومَ فى الكَشْخ * لأهل الكَرْخ بنيانا
وشرّفتَ لهم فى ذا * كَ أبواباً وحيطانا
وألفَيْتَ على ذاك * من الفُسّاق أعوانا
ومُجّانا ولن تعدَ * مَ مَن يمْجُن مُجّانا
فأخزَى الله من كنتَ * أخاه كان من كانا
ولا زلتَ ولا زال * بأخلاقك خَزْيانا
وعُرْيانا كما أصبحـ * ـتَ من دِينك عُرْيانا

وقال فيه أيضا :

إنّ أبا عَوْن ولا * أقولُ فيه كَذِبا
غاوٍ أتَى مدينَةً * فسَنَّ فيها عَجَبا
إخوانُه قد جَعلوا * أُمَّ بَنِيه مَركَبا
واتّخذوا جوهرةً * مبْوَلَةً ومَلْعَبا
إن نكتَها أرضيتَه * أو لم تنِكْها غضِبا
أحبهمْ إليه مَن * أدخَل فيها ذَنَبا
ومَن إذا ما لَمْ يَنِكْ[3] * جَرَّ إليها جَلَبا

أخبرنى الحسن بنُ علىّ قال : حدّثنا النّلابىّ عن مهدىّ بن سابق قال : استعمل محمد بنُ أبى العبّاس وهو يَلِى[4] البَصرة غَيلانَ جدَّ عبد الصَّمد بنِ المعذَّل على

(١) العرة : الجرب ، والمعنى ياشبيها بالعرة . وفى ها « ما عمر » . (٢) الكشخان : الديّوث . (٣) فى ط ، مط « يعف » . (٤) فى ب ، س « على » .

هجاؤه غيلان جدّ عبد الصمد بن المعذّل

بعض أعشار البصرة ، وظهرَ منه على خيانة ، فعزَله ، وأخذ ما خانه فيه ، فقال حمّاد عجرد يهجوه :

ظَهرَ الأميرُ عليكَ يا غَيْلانُ * إذ خُنتَه إنّ الأميرَ مُعانُ

أمع الدمامة قد جَمعتَ خيانةً ! * قبحَ الدّميمُ الفاجرُ الخوّانُ

٥

أخبرنى عمى قال : حدّثنى أحمد بن أبى طاهر عن أبى دِعامة قال : أُنشد بشّارٌ قولَ حمّاد عجرد فى غلام كان يهواه يقال له أبو بِشر :

صــــوت

أخى كُفّ عن لومى فإنّك لا تدرى * بما فعل الحبُّ المبرِّح فى صدرى

أخى أنت تلحانى وقلبُك فارغٌ * وقلبِىَ مشغولُ الجوانح بالفِكرِ

١٠

أخى إنّ دائى ليس عندى دواؤه * ولكن دوائى عند قلبِ أبِى بشر

دوائى ودائى عند من لو رأيتَه * يقلّب عينيه لأقصرتَ عن زَجرى

فأُقسم لو أصبحت فى لوعة الهوى * لأقصرتَ عن لومى وأطنبتَ فى عذرى

ولكن بلائى منك أنك ناصحٌ * وأنّك لا تدرى بأنك لا تدرى

فطرِب بشّار ثم قال : وَيْلكم ، أحسنَ والله ! مَن هذا ؟ قالوا : حمّاد عجرد ؛

١٥

قال : أوّه ، وَكَلْتُمونى والله بقيّة يومى بهمّ طويل ، والله لا أَطعَم بقيّةَ يومى طعاما ولأصوم غَمّا بما يقول النَّبَطىّ ابنُ الزانية مثل هذا .

٩٣ / ١٣

فى الأول والثانى من هذه الأبيات لحن من الثقيل الأول ذَكر الهشامىّ أنه لَعطَّرد .

أنشدَنى جحظة ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه لحمّاد عجرد :

٢٠

خليلِى لا يَفِى أبدًا * يمنّينى غدًا فغدَا

وبعدَ غدٍ وبعدَ غدٍ * كذا لا ينقضى أبدا
له جَمْرٌ على كبِدى * إذا حرّكته اتّقدا

شعره فى يحيى ابن زياد

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال : حدّثنا عمرُ بنُ شَبّة قال : حدّثنا الزّبالىّ قال : كان المهدىّ سأل أباه أن يولّى يحيى بنَ زياد[1] عملا، فلم يجبه، وقال : هو خليعٌ متخرّق فى النفقة ماجن، فقال : إنه قد تاب وأناب، وتضمّن عنه ما يُحبّ، فولّاه بعض أعمال الأهواز، فقصده حمّاد عجرد إليها، وقال فيه :

فمن كان يسأل أينَ الفَعالُ * فعندى شفاءٌ لذا الباحث
مَحَلُّ النّدى وفَعالُ النُّهى[2] * وبيتُ العُلَا فى بنى الحارث
[حللن بيحيى فخالفنه * حِبَاءً من الباعث الوارث][3]
فلا تعدِلنّ إلى غيره * لعاجلِ أمرٍ ولا رائث[4]
فإنّ لديه بلا منّةٍ * عطاءَ المرحّلِ والماكث

قال : وقال فيه أيضا :

يحيى امرؤٌ زيّنه ربّه * بفعله الأقدمِ والأحدَثِ
إن قال لم يكذب، وإن ودّ لم * يقطع، وإن عاهد لم ينكُث
أصبح فى أخلاقه كلّها * موكّلا بالأسهل الأدمث[5]
طبيعةٌ منه عليها جرى * فى خُلُق ليس بمستحدَث
ورّثه ذاك أبوه فيا * طِيبَ نثا[6] الوارث والمُورِث

فوصله يحيى بصلة سنيّة وحمّله وكساه، وأقام عنده مدّة ثم انصرف.

(١) من بنى الحرث بن كعب، شاعر مترسل بليغ (انظر الفهرست لابن النديم ص ١٧١).
(٢) النهى : العقل. (٣) ساقط من ب، س. وقد أثبتناه عن بقية الأصول.
(٤) الرائث : البطىء، من راث يريث. (٥) الأدمث : الأسهل، من دمث كفرح : سهل ولان.
(٦) النثا : التحدث عن إنسان بالمدح أو القدح، والمراد هنا الأوّل.

شعره فى عيسى ابن عمرو

أخبرنى عمّى قال : حدّثنى الكُرانى عن النضر بن عمرو قال : ولِىَ عيسى بنُ عَمرو إمارةَ البصرة مِن قِبَل محمد بن أبى العبّاس السفّاح لمّا خرج عنها عليلا ، فقال له حمّاد عجرد :

قل لعيسى الأمير عيسى بنِ عَمرو * ذى المساعى العِظام فى قَحْطانِ
والبناءِ العالى الّذى طال حتّى * قَصُرتْ دونَه يَدا كلِّ بانِ
يآبن عمرٍو عمرِو المكارم والتقـ * ـوى وعَمرو النَّدَى وعمرو الطِّعان
لك جارٌ بالمِصر لَم يجعـل الـلـ * ـه له منـك حُرمةَ الجيران
لا يصلّى ولا يصـومُ ولا يَقْـ * ـرأ حرفا مِن مُحكَم القرآن
إنّما مَعدِن الزُّناة من السِّفْـ * ـلة فى بيتِـه ومأوَى الزَّوانى
وهو خِدنُ الصِّبيانِ وهو آبن سبعيـ * ـنَ ، فماذا يهوَى من الصِّبيان؟
طَهِّـرِ المصرَ منـه يأيُّها المو (١) * لى المسمّى بالعدل والإحسان
وتقـرَّبْ بذاك فيـه إلى الـلـ * ـه تَفُزْ منـه فوزَ أهـلِ الجِنان
يآ بن بُرْدٍ إخسأْ (٢) إليـكَ فِمثلُ الـ * ـكلبِ فى الناس أنتَ لا الإنسانِ
ولَعمرى لأنت شرٌّ من الكلْـ * ـب وأولَى منـه بكلّ هَـوانِ

هجا يقطينا بشعر

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال : حدّثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال : حدّثنى محمد بنُ صالح الجَبَلىّ قال : كان حمّاد عجرد قد مدح يَقْطينا فلم يُثبه ، فقال يهجوه :

متى أرَى فيما أرَى دولةً * يَعِـزُّ فيها ناصرُ الدِّينِ
[ميمونةً يجـدُها ربُّها * بصادق النيّة ميمونِ
تَرُدُّ يقطينا وأشياعه * منها إلى أبزار يقطين

قال : وكان يقطين قبل ظهور الدولة العباسية (٣) بخُراسانَ حائكا .

(١) كذا فى ب ، س وفى باقى الأصول « يأيها الوالى » . (٢) خسأ الكلب : طرده وزجره وقال له : اخسأ . (٣) فى ها « الدعوة » .

قال : ومرّ يوما بيونسَ بن فَروةَ الذى كان الربيع يزعم أنه آبنُه ، فلم يَهَشّ له كما عوّده ، فقال يهجوه :

أما ابنُ فَـروةَ يونسٌ فكأنه * من كِبْره ابنٌ للإمام القائم [1]

وقال فيـــه :

ولقد رضيتَ بعُصبة آخيتَهـمْ * و إخاؤهم لكَ بالمَعـرّة لازمُ

فعلمتُ حين جعلتَهم لك دِخْلةً * أنّى لِعِـرضى فى إخائك ظالمُ [2]

شعره فى ولد لبشار

أخبرنى عمّى قال : حدّثنى المغـيرة بنُ محمـد المهلّبىّ قال : حدّثنى أبو مُعاذ النُّميرىُّ أنّ بشّارا وُلد له آبنٌ ، فلمّا وُلد قال فيه حمّاد عجرد :

سائلْ أُمامة يآبن بُر * دٍ من أبو هذا الغلام؟

أمِن الحـلالِ أتتْ به * أم مِن مقارَفَة الحـرامِ [3]

فلتخـــبِرنّك * أنّه * بينَ العـراقِى والشآمِى

والآخَـــرِ الرومىِّ والــــنَّـــبَطىِّ أيضـا وابن حامِ

أجَعلتَ عِرسَكَ شِقوةً * غـرضًا لأسهُمِ كلِّ رامِ [4]

أخبرنى أحمد بنُ العبّاس العسكرىُّ قال : حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزىّ قال : حدّثنى مسعود بنُ بِشر قال : مرّ حمّاد عجرد بقصر شيرينَ ، فاستظلّ من الحرّ بين سِدْرَتين كانتا بإزاء القصر ، وسمع إنسانا يغنّى فى شعر مطيع بنِ إياس :

أسـعِدانى يانخلـتَىْ حُلْوانِ * وآرثيا لى من رَيْب هذا الزمانِ

أسـعِدانى وأيقنـا أنّ نَحسًا * ســوف يلقاكما فتفـــترقانِ

(١) تكملة عن جـ ، ط ، مط ، مب . وقد سقطت من ها ، ب ، س .

(٢) دخلة الرجل مثلثة الدال : بطانته .

(٣) قارف الخطيئة : خالطها . (٤) السدر : شجر النبق .

قال شعرا حين سمع بيتى مطيع

فقال حمّاد عجرد :

جعل الله سدرتى قصر شيريـ * ـنَ فـداءً لنخلتىْ حُلوانِ

جئتُ مستسعِدا فلم يُسعِدانى * ومطيعٌ بكت له النخلتانِ

استجازه محمد بن أبى العباس وعدا

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً عن أبيه ، عن إسحاق ، عن محمد بن الفضل السَّكونى قال : كان محمد بن أبى العباس قد وعد حمّاد عجردٍ أن يحمله على بغل ، ثم تشاغلَ عنه ، فكتب إليه حمّاد :

طلبتُ البَذْلَ ممّن خُـ * ـلقتْ كفّاه للبذلِ

ومن يَنـفِى عن المُمحِـ * ـلِ بالجُود أذى المَحْلِ[1]

ألا يا ابنَ أبى العبّا * سِ يا ذا النائل الجَزْلِ

أما تذكر يا مولا * ىَ ميعادَك فى البغلِ؟

وذاك الرِّجس فى الدار * جليسٌ لأبى سهلِ[2]

يريك الحزمَ فى الإخلا * فِ للميعاد والمَطْلِ

أخبرنى الحسن بنُ علىّ قال : حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك قال : حدّثنا سليمانُ المَدينىّ قال : كان عثمان بنُ شيبةَ مبخّلا ، وكان حمّاد عجردٍ يهجوه ، فجاء رجل كان يقول الشعرَ إلى حمّاد فقال له :

٩٥ / ١٣

شعره فى عثمان ابن شيبة

أَعِنّى مِنْ غِناكَ ببيتِ شِعْرٍ * على فقرِى لعثمانَ بنِ شَيْبَهْ

فقال [له حمّاد][3] :

فإنّك إنْ رَضيتَ به خليلا * ملأتَ يديك من فقرٍ وخَيبهْ

---

(١) المحل : الجدب . (٢) الرجس : القذر ، عنى به عدوا له .

(٣) ساقطة من ب و س . وقد أثبتناها عن باقى الأصول .

٥ ١٠ ١٥ ٢٠

فقال له الرجل : جزاك الله خيرا ، فقد عرّفتنى من أخلاقه ما قطعنى عن مدحه ، فصنتُ وجهى عنه .

هجاؤه مطيع ابن إياس

أخبرنى عيسى بنُ الحسين الورّاق قال : حدّثنا آبن إسحاق عن أبيه قال : كان حمّاد عجرد يهوَى غلاما من أهل البَصْرة من موالى العَتيك يقال له : أبو بشر الحلو آبن الحلال — أحسبه من مُوالى المهلّب — وكان موصوفا بالجمال، فآندس له مطيع بنُ إياس ، ولم يزلْ يحتالُ عليه حتى وطِئه ، فغضب حمّاد عجرد من ذلك ، ونَشِب بينهما بسببه هجاء، فقال فيه حمّاد :

يا مطيعَ النّذلِ أنتَ الـ * ـيومَ مخـذولٌ جهـولُ

لا يغـرَّنْكَ غـرورٌ * ذو أفانينَ مَـلولُ

ليس يحلو الفعـلُ منه * وهو يحـلو ما يقـولُ

مَـلذانىٌّ[1] مـع الرِّيـ * ـحِ إذا مالت يميـلُ

وجَـوادٌ بالمـواعيـ * ـدِ وبالبَـذْلِ بخيـلُ

ليس يُرضِيه من الجُعْـ * ـلِ كثيرٌ أو قليـلُ[2]

ذاكَ ما اخترت خليلا * بئس واللهِ الخليـلُ

إنمـا يكفيك أن يأ * تيك فى السرِّ رسـول

ساخـراً منـكَ يمنِّـ * ـك أمانىَّ تطـول

وقال فى مطيع أيضا وقد لجَّ الهجاء بينهما :

عجبتُ للـدَّعى فى النـاس منزلةً * وليس يَصلح للدّنيـا وللـدِّينِ

لو أبصروا فيك وجهَ الرأيِ ما تركوا * حتى يَشُدُّوك كَرْها شَدَّ مجنونِ

(١) الملذانىّ : الكذوب الذى لا يصحّ ودّه .

(٢) كذا فى ب ، س . والذى فى ط ، مط ، مب ، « إذا عيف القليل » .

ما نالَ قطُّ مطيعٌ فضلَ منزلةٍ * إلّا بأن صرتُ أهجوه ويهجونى
ولو تركتُ مطيعا لا أجاوبُه * لكان ما فيه م الآفات يكفينى
يختار قربَ الفُحول المُرد معتمِداً * جَهْلا ويترُك قُربَ الخرَّدِ العِين (١)

مدحه وتعزيته داود بن اسماعيل ابن على بن عبد الله ابن العباس

أخبرنى يحيى بنُ علىّ بنِ يحيى إجازةً عن أبيه عن إسحاق قال : قال حمّاد عجرد فى داود بنِ إسماعيل بن على بن عبد الله بن العباس يمدحه ويعزّيه عن ابنٍ مات له ويستجيزه :

إنّ أرجَى الأنامِ عندى وأَوْلا * هُمْ بمَدْحى ونصرتى داودُ
إن يعِشْ لى أبو سليمان لا أحْـ * ـفِلْ ما كادنى به من يكيد (٢)
هدّ رُكنى فَقدِى أباكَ فقد شـ * ـدّ بك اليومَ رُكنىَ المهدود
قائلٌ فاعلٌ أبىٌّ وفىٌّ * مُتلِفٌ مُخلِفٌ مُفيدٌ مُبيدُ
وفتى السّنّ فى كمالِ ابنِ خمسيـ * ـنَ دهاءً وإرْبةً بل يزيد (٣)
مِخلَطٌ مِزيَلٌ أريبٌ أديبٌ * رائقٌ فائقٌ قريبٌ بعيدُ (٤)
وهو الذائد المدافِع عنّى * وعزيزٌ مُمنَّعٌ مَن يذود (٥)

٩٦/١٣

أخبرنى أحمد بنُ عبد العزيز الجوهرىّ قال : حدّثنا عمرُ بنُ شبّة قال : حدّثنى عبد الملك بنُ شَيبان قال : ولّى أبو جعفر المنصورُ محمدَ بنَ أبى العباس السفاح

(١) الخرّد : جمع خريدة، وهى البكر لم تمسس . والعين : جمع عيناء، وهى الواسعة العين .

(٢) يقال : ما حفله وما حفل به ، أى ما بالى ، ورفع هنا جواب الشرط وهو ضعيف .

(٣) الإربة : العقل .

(٤) رجل مخلط مزيل ، أى يخالط الأمور ويزايلها ، والمزيل : الرجل الكيس اللطيف ، والمزيل أيضا : الجدل فى الخصومات الذى يزول من جهة إلى جهة .

(٥) فى س « عنه » وهو تحريف .

البَصرة، فقدِمها ومعه جماعة من الشعراء والمغنّين منهم حمّاد عجرد، وحَكَمَ الوادى ودَحْمان، فكانوا ينادمونه ولا يفارقونه، وشَرِب الشرابَ وعاث (١)، فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله، قال: وكان ابن أبى العبّاس كثيرَ الطيب، يملأ لحيتَه بالغالية (٢) حتى تسيلَ على ثيابه فتسودّ، فلقّبوه أبا الدِّبس (٣)، وقال فيه بعض شعراء أهل البَصرة:

٥

صِرْنا من الرِّبح إلى الوكْسِ * إذْ وَلِى المصرَ أبو الدِّبسِ

ما شئتَ مِن لُؤْمٍ على نفسه * وجنسُه من أكرم الجِنْسِ (٤)

أخبرنى أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار قال: حدّثنا علىّ بنُ محمدٍ النَّوفلىّ قال: حدّثنى أبى قال: كان أبو جعفر المنصورُ يُبغض محمدَ بنَ أبى العبّاس ويُحبّ عيبَه، فولّاه البَصرة بعقب مَقتَل إبراهيم بن عبد الله بن حسن (٥)، فقدِمها، وأصحبَه المنصورُ قوما يعاب بصُحبتهم مُجّانا زنادقة: منهم حمّاد عجرد، وحمّاد بنُ يحيى، ونُظَراء

١٠ كان ماجنا زنديقا

لهم، ليَغُضّ منه ويرتفع ابنُه المهدىّ عند الناس، وكان محمد بنُ أبى العباس محمّقا، فكان يغلّف لحيتَه إذا ركب بأواقٍ من الغالية، فتسيل على ثيابه فيصير شُهرة،

(١) عاث: أفسد. (٢) الغالية: نوع من الطيب مركّب من مسك وعنبر وعود ودهن.

(٣) الدبس: عسل التمر وعصارته.

١٥ (٤) فى الأصول «فى لوم»، «وحبسه»، «الحبس» وهو تحريف، والتصويب عن مختار الأغانى ص ٤٢٧ أى أن ذاته وحدها هى المعيبة.

(٥) كان محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (الملقب بالنفس الزكية) قد خرج على أبى جعفر المنصور، وغلب على المدينة وعزل عنها أميرها من قبل المنصور، فندب المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى لقتاله، وكانت الغلبة لعسكر المنصور، فقتل محمد بن عبد الله وحمل رأسه إلى المنصور سنة ١٤٥ هـ. ثم خرج أخوه إبراهيم بن عبد الله ومضى إلى البصرة ودعا إلى نفسه، فأرسل إليه المنصور

٢٠ عيسى بن موسى بعد رجوعه من قتل أخيه، فالتقوا بقرية يقال لها باخمرى قرية من الكوفة، فكانت الغلبة لعسكر المنصور أيضا وقتل ابراهيم فى المعركة سنة ١٤٥ هـ.

فلقبه أهلُ البَصرة أبا الدِّبس؛ قال: ولمّا أقام بالبصرة مدّة قال لأصحابه: قد عزمتُ على أن أعترض أهلَ البصرة بالسيف فى يوم الجمعة، فأَقتل كلّ من وجدتُ، لأنّهم خرجوا مع إبراهيم بنِ عبد الله بن حسن، فقالوا له: نعم، نحن نفعل ذلك، لما يعرفونه منه، ثم جاءوا إلى أمّه سَلَمةَ[1] بنت أيوب بنِ سلمةَ المخزوميّة فأعلَموها بذلك، وقالوا: والله لئن همّ بها ليُقتَلنّ ولنُقتَلَنّ معه، فإنما نحن فى أهل البصرة أَكلةُ رأس، فخرجتْ إليه وكشفتْ عن ثدييها وأقسمتْ عليه بحقّها حتى كفّ عمّا كان عزم عليه.

أدّبه محمد بن أبى العباس

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى إجازةً قال: حدّثنى أبى عن إسحاق الموصلى قال: كان حمّاد عجرد فى ناحية محمد بن أبى العبّاس السفّاح، وهو الذى أدّبه، وكان محمد يهوَى زينبَ بنتَ سليمان[2] بن على، وكان قد قدم البصرة أميرا عليها من قِبَل عمّه أبى جعفر، فخطبها، فلم يزوّجوه لشىء كان فى عَقْله، وكان حمّاد وحَكَم الوادى ينادمانه، فقال محمد لحمّاد: قل فيها شِعرا، فقال حمّاد فيها على لسان محمد ابن أبى العبّاس، وغنّى فيه حَكَم الوادى:

صــوت

زينبُ ما ذنبى وماذا الّذى * غضِبتمُ منه ولَم تُغضَبوا[3]

واللهِ ما أعرِف لى عندكمْ * ذنبا ففيمَ الهجرُ يا زينبُ ؟

إن كنتُ قد أغضبتكُمْ ضَلّةً[4] * فآستعتِبونى إننى أُعتِب

عُودُوا على جهلى بأحلامكمْ * إنى ـ وإن لم أذنِب ـ المذنبُ

---

(١) كذا فى جميع الأصول. والذى فى مختار الأغانى ص ٤٢٧ «أم سلمة».

(٢) هو سليمان بن على بن عبد الله بن عباس عم المنصور.

(٣) ولم تغضبوا، أى لم آت ما يستوجب غضبكم.

(٤) الضلة: الضلال. استعتبه: أعطاه العتبى وهى الرضا. وأعتبنى فلان: ترك ما كنت أجد عليه من أجله، ورجع إلى ما أرضانى عنه بعد إسخاطه إياى عليه.

الغناء لحَكَم في هـذه الأبيات خفيف ثقيل ، الأوّل بالوسطى عن عمرو والهشامىّ وفيه هَزَج يقال : إنه لخليد بن عبيد الواديّ ، و يقال لعَريب .

أخبرني محمد بن يحيي الصُّولى قال: حدّثنا الحسين بن يحيي أبو الجمان الكاتب قال : حدّثني عمـرو بن بانةَ قال : كان لمحمّـد بن أبي العبّاس السّـفّاح شعر في زينبَ ، وغنّى فيه حَكَم الوادى :

نسيب محمد بن أبي العباس بزينب بنت سليمان

صـــوت

قُـولَا لزينبَ لو رأيـ * ـتِ تشوُّفى لكِ وآشترافى[1]
وتلفُّـتى كـما أرا * كِ وكان شخصُكِ غيرَخافِ
وشَمِمْتُ رِيحَكِ ساطعًا * كالبيت جُمِّر للطّواف
فتركـتِنى وكأنّمـا * قلبى يغـرَّز بالأشافى[2]

أخبرني محمد بن يحيي أيضا قال : حدّثني الحارث بن أبي أسامة عن المدائنىّ قال : خطب محمد بنُ أبي العباس زينبَ بنتَ سليمان ، ثم ذكر مثل هذا الحديث سواء، إلّا أنه قال فيه : فقال محمد بن أبي العبّاس فيها ، وذكر الأبيات كلّها ونسبها إلى محمد ولم يذكر حمّادا .

خطبته لها

قال أبو الفرج مؤلِّف هذا الكتاب : هذا فيما أُراه غَلَطٌ من رواته ، لمـّا سمعوا ذكر زينبَ ولحنَ حَكَم ، نسبوه إلى محمـد بن أبي العبّاس ، وقد ذكر هـذا الشعرَ بعينه إسحـاقُ المَوْصلىّ في كتابه ، ونسـبه إلى ابن رُهَيْمةَ وهو من زَيانب يونسَ الكاتب المشهورة ، معروفٌ ومنها فيه يقول :

فذَكَرْتُ ذاكَ ليونسٍ * فذكرتُه لأخٍ مُضـافِ

---

(١) تشوّف إلى الشيء : تطلع وتطاول وأشرف . والاشتراف : الانتصاب .
(٢) الأشافى : جمع إشفى بكسر الهمزة ، وهو المثقب .

وذكر إسحاق أن لحن يونس فيه خفيف رمل بالبنصر فى مجرى الخنصر، وأن لحن حَكَم من الثقيل الأوّل بالبنصر، قال محمد بن يحيى: ولمحمد بن أبى العباس فى زينب أشعارٌ كثيرة ممّا غنّى فيها المغنّون، منها:

صـــوت

زينبُ ما لى عنكِ من صبرِ * وليس لى منكِ سوى الهجرِ
وجهُكِ والله وإن شَفَّنى(1) * أحسنُ من شمسٍ ومن بدرِ
لو أبصرَ العاذلُ منكِ الّذى * أبصرتُه أسرع بالعذرِ

الغناء فى هذه الأبيات لحَكَم خفيف رمل بالوسطى.

غنى دحمان فى شعر قيس بن الخطيم

وأخبرنى محمد بن يحيى قال: حدّثنا الغَلاّبىّ قال: حدّثنى عبدالله بنُ الضحّاك عن هشام بنِ محمد قال: دخل دَحْمانُ المغنّى مولى بنى مخزوم — وهو المعروف بدَحمانَ الأشقر — على محمد بن أبى العبّاس وعنده حَكَم الوادى، فأحضر محمدٌ عشرةَ آلاف درهم وقال: من سَبق منكما إلى صوت يُطربنى فهذه له؛ فابتدأ دَحمانُ فغنّى فى شعر قيس بن الخَطيم:

حَوْراءُ ممكورةٌ منعَّمةٌ * كأنما شَفَّ وجهَها تَرَفُ(2)

فلم يهشّ له، فغنّى حَكَم فى شعر محمّدٍ فى زينب:

زينبُ ما لى عنكِ من صبرِ * وليس لى منكِ سوى الهجرِ

قال: فطرب وضرب برجله وقال له: خُذْها، وأَمر لدَحمانَ بخمسة آلاف درهم، قال: ومن شعرِه فيها الّذى غنّى فيه حَكَم أيضا:

(1) شفه الهم: هزله.
(2) امرأة ممكورة: مرتوية الساقين.

٩٨/١٣

صــــوت

أحببتُ من لا يُنصِفُ * ورجوتُ من لا يُسعِفُ

نَسَبٌ تليــدٌ بيننــا * ووِدادُنــا مســتطرَفُ

بالله أحلِفُ جاهِــدا * ومصــدَّقٌ مَن يحلِفُ

٥ إنى لأكــتمُ حبَّهــا * جَهْــدى لِمــا أتخوَّفُ

والحبُّ يَنطِــق إن سكَــتُّ بمــا أُجِنّ ويُعــرَفُ

شعر لابن أبي العباس غنى فيه

الغناء فى هذه الأبيات لحَكَم الوادِىّ، ولحنه ثقيــل أوّل . قال : ومن شــعر محمد فيها الّذى غنّى فيه حَكَم :

صــــوت

١٠ أَسعِد الصبَّ يا حَكَمْ * وأَعِنْــهُ عــلى الألم

وأدِرْ فى غِنــائه * نَغَمًا تشــبه النِّعَــم

أجميــلٌ بأن تُرَى * نائمــا وهــو لم يَنَمْ

لائمى فى هــواى زيـ * ـنبَ أنصِف ولا تَـلُمْ

لَبِس الجسمُ حُــلّةً * فى هواها من السَّقَم

١٥ غنّاه حَكَم، ولحنُه هَزَج .

سكر حماد مع حكم الوادى عند محمد بن أبى العباس فناموا دونه

وقد أخبرنى الحسن بنُ علىّ قال : حدّثنــا أبو أيّوبَ المَدينى قال : قال بُرَيْه الهاشمىّ حدّثنى من حضر محمد بن أبى العباس وبين يديه حمّــاد وحَكَمٌ الوادىّ يغنّيه، وندماؤه حضور، وهم يشربون حتى سكِروسكِروا، فكان محمّد أوّل من أفاق منهم، فقام إلى جمــاعتهم ينبّههم رجلا رجلا، فــلم يجد فيهم فَضْلا سوى حمّــاد

عجرد وحكم الوادى ، فأتتها ، وابتدءوا يشربون ، فقال عجرد على لسانه ، وغنى فيه حكم :

أسعد الصب يا حكم * وأعنه على الألم
أجميل بأن ترى * نائما وهو لم ينم

هكذا ذكر هذا الخبر الحسن ، ولم يزد على هذين البيتين شيئا .

محمد بن أبى العباس يشبب بزينب بنت سليمان

أخبرنى محمد بن يحيى قال : أنشدنى أبو خليفة وأبو ذكوان والغلابى لمحمد ابن أبى العباس فى زينب بنت سليمان بن على :

يا قمر المربد قد هجت لى * شوقا فما أنفك بالمربد
أراقب الفرقد من حبكم (١) * كأننى وكلت بالفرقد
أهيم ليلى ونهارى بكم * كأننى منكم على موعد
علقتها (٢) ريا الشوى طفلة * قريبة المولد من مولدى
جدى (٣) إذا ما نسبت جدها * فى الحسب الثاقب والمحتد
والله ما أنساك فى خلوتى * يا نور عينى ولا مشهدى

كان نهاية فى الشدة

أخبرنى محمد بن يحيى قال : حدثنى الحارث بن أبى أسامة قال : حدثنى المدائنى قال : كان محمد بن أبى العباس نهاية فى الشدة ، فعاتبه يوما المهدى ، فغمز محمد ركابه حتى انضغطت رجل المهدى فى الركاب ، ثم لم تخرج حتى رد محمد الركاب بيده ، فأخرجها المهدى حينئذ .

(١) الفرقد : النجم الذى يهتدى به .

(٢) علقتها : أحببتها . ريا : ممتلئة . الشوى : اليدان والرجلان . الطفلة : الرخصة الناعمة .

(٣) فى جـ « ما جدى إذا » وفى ب ، س « ما جدى إذ » وهو تحريف ، والتصويب عن باقى الأصول . والمحتد : الأصل .

حماد يمدح محمد ابن أبي العباس

٩٩ / ١٣

أخبرني محمد قال : حدّثنا أبو ذَكْوانَ قال : حدّثنا العُتْبيّ قال : كان محمد ابن أبي العبّاس شديدا قويّا جَوادا ممدّحا، وكان يلوى العمودَ ثم يلقيه إلى أخته رَيْطَة فتردّه ، وفيه يقول حمّاد عجرد :

أرجوكَ بعدَ أبي العبّاس إذ بانا * يا أكرم النـاس أعراقا وعِيدانَا

فأنت أكرمُ من يمشي على قَـدَمٍ * وأنضرُ الناس عند المَحْل أغصانا

لو مُجَّ عُـودٌ على قـوم عُصارَتَه * لَمجَّ عُودُك فينـا المِسْكَ والبـانا

خبر عزل محمد ابن أبي العباس عن البصرة

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدثنا الغلاّبيّ قال: حدّثني محمد بن عبد الرحمن قال : لمـا أراد محمد بن أبي العبّاس الخروجَ عن البَصرة لمّا عزله المنصورُ عنها قال :

١٠ أيا وقفـةَ البـينِ ما ذا شَبَبْتِ * من النّـار في كَبِد المُغْـرمِ!

رَميتِ جوانحَــه إذ رَميتِ * بقـوسٍ مُسَـدَّدةِ الأسْهُـمِ

وقفنـا لزينبَ يومَ الـوَداعِ * على مِثـل جَمر الغَضى المُضرَم

فمِنْ صَرْفِ دمـعٍ جرى للفـراقِ * لممـتزجٍ بعــدَه بالـدم

شبب حماد عجرد بزينب بنت سليمان

أخبرني محمد قال: حدثنا الفضل بنُ الحُباب قال: حدّثنا أبو عثمانَ المـازنيّ

١٥ قال : قال حمّاد عجرد يشبِّب بزينبَ بنتِ سليمان على لسان محمد بن أبي العبّاس :

ألا مَن لقلبٍ مستهامٍ معـذَّبِ * بحبِّ غزالٍ في الحِجـال مُرَبَّبِ (١)

يراه فـلا يسطيع رَدّا لطَرْفـه * إليـه حِـذارَ الكاشحِ المترقِّب

(١) الحجال : جمع حجلة كقبة ، وهي موضع يزين بالثياب والستور للعروس . مربب : مربى .

ولولا مليكٌ نافذٌ فيه حكمُه * لأدنى وصالًا ذاهبا كلَّ مَذهب

تغبَّرْتُ خلفَ اللهو بعد صِراوةٍ (١) * فبحتُ بما ألقاه من حبّ زينب

قال: فبلغ الشعرُ محمدَ بن سليمان، فنذر دمَه، ولم يقدر عليه لمكانه من محمد.

رثى حماد محمد ابن أبى العباس بشعر.

أخبرنى محمد بن يحيى قال: حدّثنى الغلابىّ عن محمد بن عبد الرحمن قال:

٥ مات محمد بن أبى العبّاس فى أول سنة خمسين ومائة، فقال حمّاد يرثيه بقوله:

صرتُ للدهر خاشعا مستكينا * بعد ما كنت قد قهرتُ الدهورا

حين أودى الأمير ذاك الذى كنـ * ـتُ به حيث كنتُ أُدعَى أميرا

كنتُ إذ كان لى أجير به الدهـ * ـر فقد صرتُ بعده مستجيرا

يا سمىّ النبى يا بن أبى العبّـ * ـاس حقّقتَ عندىَ المحذورا

١٠ سلبتْنى الهمومُ إذ سلبتْنيـ * ـك سرورى فلست أرجو سرورا

ليتنى متّ حين موتك لا بل (٢) * ليتنى كنت قبلك المقبورا

أنت ظلّلتنى الغمامَ بنُعما (٣) * ك ووطّأتَ لى وِطاءً وثيرا

لم تدعْ إذ مضيتَ فينا نظيرا * مثل ما لم يدع أبوك نظيرا

خبر موت محمد ابن أبى العباس

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا

١٥ محمد بن سلّام الجُمَحِىّ (٤) قال: كان خَصيب الطبيب نصرانيّا نبيلا، فسقى محمد ابن أبى العباس شربةَ دَواءٍ وهو على البَصرة، فمرِض منها، وحُمل إلى بغداد فمات بها،

(١) ورد هذا الشطر فى ب، س هكذا: «وعيرت بالكتمان بعد صراوة» والتصحيح عن باقى الأصول. وتغبر الناقة: احتلب غبرها، والغبر: بقية اللبن فى ضرع الناقة. والخلف: حلمة الضرع. والصرار: ما يشد فوق خلف الناقة من خيط لئلا يرضعها ولدها.

٢٠ (٢) فى ب، س «قيل» وما أثبتناه عن باقى الأصول، وهو أولى لسياق الكلام.

(٣) وثير: لين.

(٤) فى ب، س «يسير: الجمى» وهو تحريف؛ والتصويب عن باقى الأصول.

واتُّهم خصيب فحُبس حتى مات، وسئل عن علّته وما به فقال: قال جالينوس: إن مثل هذا لا يعيش صاحبه، فقيل: له إن جالينوس ربّما أخطأ، فقال: ما كنت قطّ إلى خطئه أحوج منّى اليوم، وفى خصيب يقول ابن قنبر:

١٠٠
١٣

ولقد قلتُ لأهلى * إذ أتونى بخصيب
ليس والله خصيبٌ * للّذى بى بطبيب
إنّما يعرف ما بى * من به مثلُ الّذى بى

٥

أخبرنى حبيبُ بن نصر وأحمدُ بنُ عبد العزيز وإسمعيل بنُ يونس، قالوا: حدّثنا عمر بنُ شبّة قال: حدثنى عبد الله بن شيبان[1] وابن داحة، وأخبرنى يحيى بن على ابن يحيى إجازة قال: حدثنى أبى عن إسحاق قال: لما مات محمد بن أبى العباس طلب محمد بنُ سليمانَ حمّادَ عجردٍ لما كان يقوله فى أخته زينبَ من الشعر، فعلم أنه لا مُقام له معه بالبَصرة، فمضى فاستجار بقبر أبيه سليمانَ بن علىّ، وقال فيه:

١٠

تنصله لأخى زينب بشعر

من مقر بالذنب لم يوجب الله * ـه عليه بسيء إقرارا
ليس إلّا بفضل حلمك يعتد * ـدّ بلاءً[2]، وما يُعدّ اعتذارا
يابن بنت النبى أحمدَ لا أجـ * ـعلُ إلّا إليكَ منك الفرارا[3]
غير أنّى جعلتُ قبرَ أبى أيـ * ـوبَ لى من حوادث الدهر جارا
وحرىٌّ من استجار بذاكَ الـ * ـقبرِ أن يأمنَ الردى والعِثارا
لم أجد لى من العباد مجيرًا * فآستجرتُ التراب والأحجارا

١٥

(١) فى ب، س «سنان» والتصويب عن باقى الأصول.
(٢) البلاء: الإنعام.
(٣) كذا فى ب، س، جـ. والذى فى ط، مط، مب، هـ:
يابن بنت النبى لا أجعل التو * بة إلا... ... ...

٢٠

لستُ أعتاضُ منك فى بغيـة العـ (١) ـزّ * ة قحطانَ كلَّها ونزارا
وأنا اليوم جارُ من ليس فى الأر * ض مجيرٌ أعزُّ منه جوارا
يابن بيت النبىّ يا خيرَ من حَـ * ـطّت إليه الغواربُ الأكوارا (٢)
إن أكن مذنبا فأنت ابنُ من كا * ن لمن كان مذنبا غفّارا
فاعفُ عنّى فقد قدرتَ وخيرُ الـ * ـعفوِ ما قلتَ كن فكان اقتدارا
لو يطيل الأعمارَ جارٌ لعزٍّ * كان جارى يطوّل الأعمارا

أخبرنى أحمد بن العبّاس العسكرىّ ومحمد بنُ عمرانَ الصَّيرفىّ قالا : حدثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزىّ قال : حدثنى على بنُ الصبّاح قال : كان محمد ابن سليمانَ قد طلب حمّاد عجرد بسبب نَسيبه بأخته زينب، ولم يكن يقدر عليه لمكانه من محمد بن أبى العبّاس ، فلما هلك محمد جدَّ ابنُ سليمانَ فى طلبه ، وخافه حمّاد خوفا شديدا ، فكتب إليه :

اعتذر إلى محمد ابن سليمان بشعر .

يابن عمّ النبىّ وابنِ النبىّ * لعلىٍّ إذا انتمى وعلىّ
أنت بدرُ الدجى المضىءُ إذا أظـ * ـلَم واسودّ كلُّ بدرٍ مضىّ
وحَيَا الناس فى المُحول إذا لم * يُجَد غيثُ الربيع والوسمىّ (٣)
إنّ مولاك قد أساء ومن أعـ * ـتب من ذنبه فغير مسىّ
ثم قد جاء تائبا فاقبل التو * بة منه يابنَ الوصىّ الرضىّ (٤)

(١) كذا فى ب ، س ، جـ . وفى ط ، مط ، مب ، ها :
لست أعتاض منكم فى ابتغاء الـ * ـعز ... ...

(٢) الغوارب : جمع غارب ، وهو أعلى الظهر ، وأعلى مقدّم السنام . والأكوار : جمع كور بالضم : وهو الرحل أو بأداته . (٣) الحيا : المطر . المحول : جمع محل ، وهو الجدب . والوسمى : مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات .

(٤) يقول الشيعة : إن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة من بعده لعلى كرم الله وجهه ، فلقبوا عليا بالوصىّ ، وهو أوصى بها لمن بعده ، وهكذا كل إمام وصىّ من قبله .

قال: ومضى إلى قبر أبيه سليمان بن علىّ فاستجار به، فبلغه ذلك، فقال: والله لأبلّنّ قبرَ أبى من دمه، فهرب حمّاد إلى بغداد، فعاذ بجعفر بن المنصور، فأجاره، فقال: لا أرضى أو تهجوَ محمد بنَ سليمان، فقال يهجوه:

١٠١ / ١٣

هجاؤه محمد بن سليمان

قل لوجه الخَصِىّ ذى العار إنّى * سوف أُهدِى لزينبَ الأشعارا
قد لعمرى فررتُ من شدّة الخو * ف وأنكرتُ صاحبىَّ نهارا
وظننتُ القبورَ تمنَع جارا * فآستجرت الترابَ والأحجارا
كنتُ عند آستجارتى بأبى أيّـ * ـوبَ أبغى ضلالةً وخَسارا
لم يُجِرنى ولم أجد فيه حظًّا * أضرم اللهُ ذلك القبرَ نارا

قال: وقال فيه:

له حَزْمُ بُرغوثٍ وحِلمُ مُكاتِبٍ * وغُلْمَةُ سِنَّوْرٍ بلَيْلٍ تُوَاوِلُ(١)

وقال فيه يهجوه:

وقال أيضا يهجوه

يآبنَ سليمانَ يا محمّدُ يا * من يشترى المكرُمات بالسِّمَنِ
إنْ فخرتْ هاشمٌ بمكرُمةٍ * فخَرتَ بالشَّحم منكَ(٢) والعُكَنِ
أُوْمِكَ بادٍ لمن يراك إذا * أقبلتَ فى العارِضَين والذَّقَنِ
ليتَك إذ كنتَ ضيِّقا نَكِرا * لم تُدْعَ من هاشمٍ ولم تكُنِ
جَدّاك جَدّان لم تُعَب بهما * لكنّما العيبُ منك فى البدنِ

قال: فبلغ هجاؤه محمدَ بنَ سليمان فقال: والله لا يُفلِتنى أبدا، وإنما يزداد حتفًا بلسانه، ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافلُ أبدا.

وقد اختُلِف فى وفاة حمّاد.

(١) تواول: تعول.
(٢) فى ها «أنت».

فأخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنى أبو داحة وعبد الملك بن شيبان أنّ حمّادا هرب من محمد بن سليمان فأقام بالأهواز مستترا، و بلغ محمدا خبره، فأرسل مولًى له إلى الأهواز، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله غيلة .

خبر مقتله

وأخبرنى أحمد بن العبّاس وأحمد بن يحيى ومحمد بن عمران قالوا : حدّثنا الحسن ابن عُلَيل العَنَزى عن أحمد بن خلّاد أن حمادا نزل بالأهواز على سُلَيم بن سالم فأقام عنده مدّة مستترا من محمد بن سليمان، ثم خرج من عنده يريد البَصرة، فمرّ بشِيرزَاذَانَ فى طريقه ، فمرض بها ، فاضطرّ إلى المُقام بها بسبب علّته، فاشتدّ مرضُه، فمات هناك ودُفن على تَلْعة[1]، وكان بشّار بلغه أن حمّادا عليل لما به، ثم نُعِى إليه قبل موته، فقال بشّار :

لو عاش حمّاد لهونا به * لكنّه صار إلى النار

شعر له وهو يحتضر

فبلغ هذا البيتُ حمادا قبل أن يموت وهو فى السِّيَاق[2]، فقال يردّ عليه :

نُبِّئتُ بشّارا نَعانى ولد * سموت بَرانى الخالقُ البارى

ياليتنى متّ ولم أهْجُه * نعم ولو صرتُ إلى النار

وأىُّ خزى هو أخزَى من أنْ * يقالَ لى يا سِبَّ بَشّار

قال : فلمّا قَتل المهدىُّ بشّارا بالبَطيحة[3] أنفق أن حُمِل إلى منزله ميتا ، فدفن مع حماد على تلك التّلعة، فمرّ بهما أبو هشام الباهلىُّ الشاعر البَصْرىّ الّذى كان يُهاجى بشارا، فوقف على قبريهما وقال :

(١) التلعة : القطعة المرتفعة من الأرض . (٢) السياق : نزع الروح .

(٣) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة .

قد تبع الأعمى قفا عجرد * فأصبحا جارين فى دار
قالت بقاع الأرض لا مرحبا * بقرب حماد وبشار
تجاورا بعد تنائيهما * ما أبغض الجار إلى الجار
صارا جميعا فى يدى مالك * فى النار والكافر فى النار

صــــوت

هل قلبك اليوم عن شنباء منصرف * وأنت ما عشت مجنون بها كلف
ما تذكر الدهر إلا صدّعت كبدا * حرّى عليك وأذرت دمعة تكف

ذكر أبو عمرو الشيبانى أن الشعر لحريث بن عتاب الطائى، وذكر عمرو بن بانة أنه لإسماعيل بن يسار النساء، والصحيح أنه لحريث، والغناء لغريض ثقيل أول بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشامى أنه لمالك.

أخبار حُرَيث ونسبه

نسبه

حُرَيث بنُ عَنَّاب (بالنون) ابن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف(1) بن عنين(2) ابن نائل بن أَسْوَدان ، وهو نبهان بنُ عمرو بنِ الغَوْث بن طيّء ، شاعر إسلامىّ من شعراء الدولة الأموية ، وليس بمذكور من الشعراء ، لأنه كان بدويّا مُقِلّا غيرَ متصدّ بالشعر للناس فى مدح ولا هجاء ، ولا يَعْدو شعره أمرَ ما يخصّه .

٥

يشبب بحبى بنت الأسود

أخبرنى بنسبه وما أذكره من أخباره عمّى عن الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرو الشَّيبانى ، عن أبيه ، وتمام الأبيات التى فيها الغناء بعد البيتين الأوّلين قوله :

يدومُ وُدّى لمن دامت مودّتُه * وأصرفُ النفسَ أحيانا فتنصرف(3)

يا وَيْحَ كلِّ محبٍّ كيف أرحمُه * لأنّنى عارف صدقَ الذى يصف(4)

لا تأمننْ بعــد حُبّى خُلّةً أبدًا * على الخيانة إنّ الخائنَ الطَّرِف(5)

كأنها رِيشةٌ فى أرض بَلْقَعة(6) * من حيثما واجهتْها الريحُ تنصرف

يُنسِى الخليلين طُولُ النأيِ بينهما * وتلتقِى طُرُقٌ شَــتّى فتأتلف

١٠

قال أبو عمرو ، قال حريث هذه القصيدة فى امرأة يقال لها حُبَّى بنت الأسود من بنى بُحْتُر بن عَتود ، وكان يهواها و يتحدّث إليها ، ثم خطبها ، فوعده أهلُها أن يزوّجوه

(1) فى ب ، س ، جـ : « عون » .

١٥

(2) كذا فى جـ ، ط ، مط ، مب . والذى فى ب ، س ، ها « عنبر » .

(3) كذا فى ط ، مط ، ها . والذى فى ب ، س ، جـ ، مب :

* وأصرف الناس أحيانا فينصرفوا *

(4) فى رواية « كأنى ... بعض » . (5) الطرف : الرجل الحديث الشرف .

(6) كذا فى ب ، س ، جـ ، مب . والذى فى ط ، مط ، ها « عرض » .

٢٠

ووعدته ألّا تجيب إلى تزويج إلّا به ، فخطبها رجل من بنى ثُعَل وكان موسرا فمالت إليه وتركت حُرَيثا ، وقد خُيِّرت بينهما فاختارت الثُّعَلىّ ، فتزوجها ، فطفق حريث يهجو قومها وقوم المتزوج بها من بنى بُحْتُر وبنى ثُعَل ، فقال يهجو بنى ثُعَل :

بنى ثُعَل أهلَ الخنا ما حديثُكم * لكم منطق غاوٍ وللناس مَنطِقُ

كأنكمُ معزَى قَواصِعُ جِرَّةٍ[1] * من العِىّ أو طيرٌ بخَفّانَ يَنعق ٥

دِيافيّـةٌ قُلْفٌ كأنّ خطيبَهم * سَراةَ الضُّحى فى سَلْحه يتمطّق[2]

١٠٣/١٣

قال أبو عمرو : ولم يزل حريثٌ يهجو بنى بُحْتُر وبنى ثُعَل من أجل حُبَّى ، فبينا هو ذات يوم بخيبر وقد نزل على رجل من قريش وهو جالس بفنائه ينشد الشعر الذى قاله يهجو به بنى ثُعَل وبنى بُحْتُر ابنَى عَتود ، وبخيبر يومئذ رجل من بنى جُشَم ١٠ ابن أبى حارثة بن جُدَىّ بن تَدُول بن بُحْتُر يقال له أَوْفَى بنُ مُجْر بن أُسَيد بن حُيَىّ ابن تُوملة بن ثرغل بن خثيم بن أبى حارثة عند بنى أخت له من قريش ، فمرّ أوفَى هذا بحريث بن عَتّاب وهو يُنشد شعرا هجا به بنى بحتر ، فسمعه أوفَى وهو ينشد قوله :

وإنّ أحقّ الناس طُرًّا إهانةً[3] * عَتودٌ يُباريه فَريرٌ وثَعلبُ

العَتود : التيس الهَرِم . والفَرير : ولد الظبية . ويباريه : يفعل فعلَه . فدنا منه ١٥ أوفَى وقال : إنى رجل أصمّ لا أكاد أسمع ، فتقرّبْ إلىّ ، فقال له : ومن أنت ؟ فقال: أنا رجل من قيس ، وأنا أهاجى هذا الحَىّ من بنى ثُعَل وبنى بُحْتُر ، وأحبّ

(١) فى ب ، س : « مواضع حرة » ؛ والتصويب عن باقى الأصول . وقصعت الناقة بجرّتها إذا ردّتها إلى جوفها أو مضغتها . أو ملأت بها فاها . يصفهم بالعىّ والفهاهة .

(٢) التمطق : التذوّق ، وهو إلصاق اللسان بالغار الأعلى فيسمع له صوت ، وذلك عند استطابة ٢٠ الشيء . والفاء فى قوله « فى سلحه » بمعنى الباء .

(٣) كذا فى ب ، س . والذى فى باقى النسخ : « إلا أهابه » .

أن أروىَ ما قيل فيهم من الهجاء، فأدنَوْه منه، وكانت معه هِراوة قد اشتمل عليها؛ فلما تمكّن من ابن عَتّاب جمع يديه بالهراوة ثم ضرب بهـا أنفَه فحَطَمه، وسقط على وجهه ووثب القرشىّ على أوفَى فأخذه، فوَثَب بنو أخته فانتزعوه من القرشىّ، وكاد أن يقـع بينهم شرّ، وأفلتَ أوفَى ودُورِىَ ابنُ عتّاب حتى صَلَح واستوى أنفُه، فقال أوفَى فى ذلك :

لاقَى ابنُ عتّاب بخيبرَ ماجدا * يَزَعُ اللئامَ وينصرُ الأحسابا

فضربتُه بِهراوتى فتركتُه * كالحِلْس منعفرَ الجبينِ مصابا

قال : ثم لحِق أوفَى بقومه، فلمّا كان بعد ذلك بمدّة اتهمه رجل من قريش بأنه سرق عبدا له وباعه بخيبر، فلم يزل القرشىّ بطلبه حتى أخذه وأقام عليه البيّنة، فحُبس فى سجن المدينة، وجُعلت للقرشىّ يدُه، فبعث ابنُ عتّاب إلى عشيرته بنى نَبْهان، فأبَوا أن يعاونوه، وأقبل غُرباء بنى بُحْتُر إلى المدينة يريدون أن يؤدّوا صدقاتِ قومهم فيهم حصن وسلامة ابنا معرِّض، وسعدُ بنُ عمرو بن لأم، ومنصور بنُ الوليد ابنِ حارثة، وجبّار بن أُنَيف، فلقُوا القرشىَّ وانتسبوا له، وقالوا : نحن نعطيك العِوَض من عَبْدك ونرضيك، ولم يزالوا به حتى قَبِل وخَلّى سبيلَه، فقال حُرَيثٌ يمدحهم ويهجو قومَه الأدنَيْن من بنى نَبْهان :

لما رأيتُ العهدَ نَبْهانَ تاركى * بلمّاعةٍ فيها الحوادثُ تَخطُر (1)

نُصِرتُ بمنصورٍ وبابنَى معرِّض * وسعدٍ وجبّارٍ بل اللهُ يَنصُر

وذو العرش أعطانى المودّةَ منهمُ * وثبّتَ ساقى بعدما كدتُ أعثُر

(1) اللماعة : الفلاة يلمع فيها السراب .

إذا ركب الناسُ الطريقَ رأيتهم * لهم خابطٌ أعمى وآخر مُبصرُ
لكلّ بنى عمرو بن غَوْثٍ رِباعةٌ[1] * وخيرُهمُ فى الشرّ والخير بُحْتُرُ

مر بنسوة فضحكن منه فقال شعرا

١٠٤
١٣

وقال أبو عمرو: مرّ ابن عَتّاب بعدما أسنّ بنسوةٍ من بنى قُلَيع وهو يتوكأ على عصًا فضحكن منه، فوقف عليهنّ وأنشأ يقول :

٥

هزئتْ نساءُ بنى قُلَيعٍ أن رأتْ * خَلَقَ القميص على العصا يتركّعُ
وجعلْننى هُزُؤًا ولو يعرفْننى * لعلمن أنّى عند ضيمى أَروعُ[2]

خبر إغارته على قوم من بنى أسد

قال أبو عمرو : وكان حريثُ بنُ عَتّاب أغار على قوم من بنى أسد فاستاق إبلًا لهم، فطلبَه السلطان ، فهرب من نواحى المدينة وخيبَرَ إلى جبَلين فى بلاد طيء يقال لهما : مُرَى والشُّموس حتى غَرِمَ عنه قومُه ما طلب، ثم عاوَدَ وقال فى ذلك :

١٠

إذا الدِّين أَودَى بالفساد فقل له * يدَعْنا ورُكْنًا من معَدٍّ نصادمُهْ
ببيض خِفافٍ مرهَفاتٍ قواطع * لداودَ فيها أثْرُه وخواتِمُهْ[3]
وزُرْقٍ كستْها ريشَها مَضْرَحيّةٌ * أثيثٌ خَوافى ريشِها وقوادِمُهْ[4]
إذا ما خرجْنا خرّت الأُكْمُ سُجَّدًا * لعزٍّ عَلا حَيْزُومُه وعلاجِمُهْ[5]

(١) الرباعة : السيادة . (٢) الأروع : الذى يروعك بشجاعته .

١٥

(٣) أثر السيف : فرنده وجوهره ووشيه . (٤) الزرق : النصال . والمضرحية : جمع مضرحىّ ، وهو النسر أو السيد الكريم . والأثيث : الكثير العظم . والخوافى : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت . والقوادم : أربع أو عشر ريشات فى مقدّم الجناح .

(٥) الحيزوم هنا : الغليظ من الأرض أو المرتفع منها . العلاجم : جمع علجم وهو الطويل من الإبل .

إذا نحن سِرْنا بين شرقٍ ومَغربٍ * تحـرَّكَ يقظانُ التّراب ونائمُـهْ

وتفزَع منّـا الإنسُ والجنُّ كلُّهـا * ويُشرب مهجورُ الميـاه وعائمه

ستمنَـع مُرَّى والشَّموسُ أخاهما * إذا حكم السلطان حُكْماً يُضاجِمه

يميل فيـه . ويروى : يصاجمه ، وقال أبو عمرو : يصاجمه : يزاحمه . والأصجم منه مأخوذ .

إلى هنا انتهى الجزء الرابع عشر من كتاب الأغانى
ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس عشر منـه
وأوّله أخبار جعفر بن الزبير ونسبه

مطابع كوستاتسوماس وشركاه

٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر – ٩٠١١٨

القاهرة


Bibliotheca Alexandrina
0488377